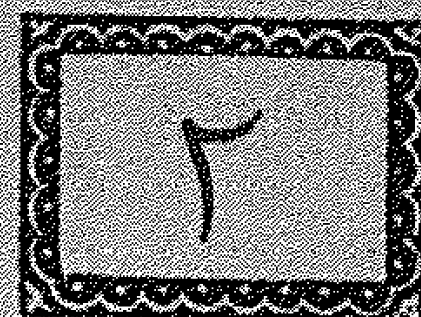

٢

الجزء الاول

من كتاب الكامل
فى اللغة والادب تأليف العلامة
الهمام علم الائمة الاعلام أبى العباس محمد
ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوى المتوفى سنة ٢٨٥
هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

(فى مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه)

وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهى كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابى على القالى البغدادى وماسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبى عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة فى المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

(محل مبيعه)

(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه)

(بجوار المسجد الحسينى بمصر)

(الطبعة الأولى)

(بمطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه)

(سنة ١٣٢٣ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن على بن سليمان الاخفش قراءة عليه قال قرئ لى هذا الكتاب على أبى العباس محمد بن يزيد المبرد

الحمد لله حمدا كثيرا يبلغ رضاه ويوجب مزيده ويجير من سخطه وصلى الله على محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلاة نامية زاكية تؤدى حقه وتزلفه عنده به (قال أبو العباس) هذا كتاب ألفناه يجمع ضروبا من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة والنية فيه أن نفسر كل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع الى أحد فى تفسيره مستغنيا وبالله التوفيق والحول والقوة واليه مفزعنا فى درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا من عمل بطاعته وعقد يرضاه وقول صادق يرفعه عمل صالح انه على كل شئ قدير • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار فى كلام جرى انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع الفزع فى كلام العرب على وجهين أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول

سلامة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل من صدر كتابه فى الحاسد والمحسود)

وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ورفع عنك الندامة كتبت الى أيدك الله تسألنى عن الحسد ما هو ومن أين هو وما دليله وأفعاله وكيف تعرف أموره وأحواله وبم يعرف ظاهره ومكتومه وكيف يعلم مجهوله ومعلومه ولم صار فى العلماء أكثر منه فى الجهلاء ولم كثر فى الاقرباء وقل فى البعداء وكيف دب فى الصالحين أكثر منه فى الفاسقين وكيف خص به الجيران من بين جميع أهل الاوطان والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود علاجه عسر وصاحبه ضجر وهو باب غامض وأمر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه فى عناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الأمم من

سلامة بن جندل   كنّا اذا ما أتانا صارخ فزِعٌ • كان الصراخ له قرعَ الظنابيب

يقول اذا أتانا مستغيث كانت اغاثته الجدّ في نصرته يقال قرع لذلك الامر ظنبوبه اذا جدّ فيه
ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى ان يقع فزع في معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعي (قال أبو الحسن
الكلحبة لقبه واسمه هُبيرة وهو من بني عرين بن يربوع والنسب اليه عرنيّ وكثير من الناس
يقول عُرَني ولا يدري وعُرينة من اليمن قال جرير (يهجو عرين بن يربوع

عرينٌ من عُرينة ليس منّا • برئتُ الى عُرينة من عرين)

فقلتُ لكأس ألجميها فانما • حللتُ الكثيبَ من زرود لأفزعا

يقول لأغيث وكأس اسم جارية وانما أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مقدّم عظم الساق
• وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة
أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الىّ وأبعدكم منى
مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قوله صلى الله عليه وسلم الموطؤون أكنافا مثل
وحقيقته ان التوطئة هي التذليل والتمهيد يقال دابة وطئ يا فتى وهو الذي لا يحرك راكبه
في مسيره وفراش وطئ اذا كان وثيرا لا يؤذي جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطأ
الاكناف ان ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه (قال أبو العباس) حدثني
العباس بن الفرج الرياشي قال حدثني الاصمعي قال قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان ما السميدع
فقال السيد الموطأ الاكناف وتأويل الاكناف الجوانب يقال في المثل فلان في كنف فلان كما
يقال فلان في ظل فلان وفي ذرى فلان وفي ناحية فلان وفي حيّز فلان وقوله صلى الله عليه وسلم
الثرثارون يعني الذين يكثرون الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا عن الحق وأصل هذه اللفظة من
العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثرثارة وكان يقال لنهر بعينه الثرثار وانما سمي به لكثرة
مائه قال الأخطل (واسمه غياث بن غوث يكنى أبا مالك ويلقب بدوبل والدوبل الخنزير)

لعمري لقد لاقت سليم وعامر • على جانب الثرثار راغية البكر (١)

قوله راغية البكر أراد أن بكر ثمود رغا فيهم فأهلكوا فضربته العرب مثلا وأكثرت فيه قال
علقمة بن عبدة الفحل   رغا فوقهم سقب السماء فداحض • بشكته لم يستلب وسليب

فبلكم الحسد والبغضاء
وقال بعض الناس لجلسائه
أي الناس أقل غفلة فقال
بعضهم صاحب ليل انما
همه أن يصبح فقال انه
لكذا وليس كذا وقال
بعضهم المسافر انما همه
أن يقطع سفره فقال انه
لكذا وليس كذا فقالوا
له فاخبرنا باقل الناس غفلة
فقال الحاسد انما همه ان
ينزع الله منك النعمة التي
اعطاكها فلا يغفل أبدا
وروي عن الحسن انه
قال الحسد أسرع في الدين
من النار في الحطب اليابس
وما أتى المحسود من حاسده
الا من قبل فضل الله عنده
ونعمه عليه قال الله عز
وجل أم يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله
فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة
وآتيناهم ملكا عظيما
والحسد عقيد الكفر
وحليف الباطل وضد
الحق وحرب البيان فقد
ذم الله أهل الكتاب به
فقال ود كثير من أهل
الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند أنفسهم منه
تتولد العداوة وهو سبب
كل قطيعة ومنتج كل وحشة
ومفرق كل جماعة وقاطع

(قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضا الزالق) وكذلك اذا لم تُضعف الثاء فقلت عين ثَرَّة فانما معناها غزيرة واسعة قال عنترة

جادت عليها كلُّ عين ثَرَّة ◦ فتركن كلَّ حديقة كالدرهم

(قال أبو العباس) وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثرة ثرثارة وقوله صلى الله عليه وسلم المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومُتَفَيهِق متفيعل من قولهم فهق الغدير يفهق اذا امتلأ ماء فلم يكن فيه موضع مزيد كما قال الأعشى

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة ◦ كجابية الشيخ العراقي تفهق

كذا يُنشده أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقي اذا تمكن من الماء ملأ جابيته لانه حضري فلا يعرف مواقع الماء ولا محالة (قال أبو العباس) وسمعت اعرابية تُنشد (قال أبو الحسن هي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق وهي راوية أهل الكوفة) كجابية السَّيح تريد النهر الذي يجري على جابيته فماؤها لا ينقطع لان النهر يمده ومثل قول البصريين فيما ذكروا به العراقي الشيخ قول الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرمة)

لها ذَنَب ضاف وذفرى أسيلة ◦ وخدٌّ كمرآة الغريبة أسجح

يقول ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن أهلها فمرآتها أبدا مجلوة لفرط حاجتها اليها وتصديق ما فسرناه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يريد الصدق في المنطق والقصد وترك ما لا يحتاج اليه قوله لجرير بن عبد الله البجلي يا جرير اذا قلت فأوجز واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف (قال أبو العباس) ومما يؤثر من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن ابن عوف وهو انه قال دخلت يوما على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في علته التي مات فيها فقلت له أراك بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما اني على ذلك لشديد الوجع ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي اني وليت أموركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه أن يكون له الامر من دونه والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا يا هادي الطريق جرت انما هو

والله

كل رحم من الاقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الحلفاء يكمن في الصدر كمون النار في الحجر ولو لم يدخل على الحاسد بعد تراكم الغموم على قلبه واستكان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه الا استصغاره نعمة الله وسخطه على سيده بما أفاد غيره وتمنيه عليه ان يرجع في هبته اياه وان لا يرزق أحدا سواه لكان عند ذوي العقول مرحوما وكان لديهم في القياس مظلوما وقد قال بعض الاعراب ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم والحاسد مخذول وموزور والمحسود محبوب ومنصور والحاسد مغموم ومهجور والمحسود مغشي ومسرور والحسد رحمك الله أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خص به أفضل الملائكة فعصى ربه وقايسه في خلقه واستكبر عليه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه

والله الفجر أو البحر فقلت خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا يهيضك الى مابك فوالله مازلت صالحاً مصلحاً لا تأس على شئ فاتك من أمر الدنيا ولقد تخليت بالامر وحدك فما رأيت الا خيرا قوله نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة وما ينضد من المتاع قال الراجز

وقربت خدامها الوسائدا ● حتى اذا ما علوا النضائدا ● سبحت ربى قائماً وقاعدا

وقد تسمى العرب جماعة ذلك النضد والمعنى واحد انما هو ما نضد فى البيت من متاع قال النابغة

● ورفعته الى السجفين فالنضد ● ويقال نضدت المتاع اذا ضممت بعضه الى بعض فهذا أصله قال الله تبارك وتعالى لها طلع نضيد وقال عز وجل فى سدر مخضود وطلح منضود ويقال نضدت اللبن على الميت وقوله على الصوف الأذربى فهذا منسوب الى أذربيجان وكذلك تقول العرب قال الشماخ

تذكرتها وهنا وقد حال دونها ● قرى أذربيجان المسالح والجال

وقوله على حسك السعدان فالسعدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد فى غيره فمن أمثال العرب مرعى ولا كالسعدان تفضيلا له قال النابغة

الواهب المائة الابكار زينها ● سعدان توضح فى أوبارها اللبد

ويروى فى بعض الحديث انه يؤمر بالكافر يوم القيامة فيسحب على السعدان والله أعلم بذلك (قال أبو الحسن السعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبو العباس ولا ساق له انما هو منفرش على وجه الارض حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيبانى عن ابن الاعرابى قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أما مادام السعدان مستلقياً فلا يريد أنه لا يرجع الى البادية أبدا كما ان السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبدا وقال أبو على البصير واسمه الفضل ابن جعفر وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شعره هذا لجودته لا للاحتجاج به يمدح عبيد الله ابن يحيى بن خاقان وآله فقال

يا وزراء السلطان ● أنتم وآل خاقان

كبعض ما روينا ● فى سالفات الازمان ماء ولا كصداء ● مرعى ولا كالسعدان

وهذه الامثال ثلاثة منها قولهم مرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك وماء ولا كصداء تضرب هذه الأمثال للشئ الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كقولهم ما من طامة الا فوقها طامة أى ما من داهية الا وفوقها داهية ويقال طما الماء وطم اذا ارتفع وزاد ومالك الذى ذكروا هو مالك

وجعله ابليسا وأزله من جواره بعد ان كان أنيسا وشوه خلقه تشويها وموه على مثليه تمويها نسى به عزم ربه فواقع الخطيئة فارتدع المحسود وتاب عليه وهدى ومضى اللعين الحاسد فى حسده فشقى وغوى وأما فى الأرض فابنا آدم حسد أحدهما أخاه فعصى ربه وأثكل أباه وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين فقد جره الحسد الى غاية القسوة وبلغ أقصى حدود العقوق فانساه من رحمته جميع الحقوق اذ ألقى الحجر عليه تقادحا وأصبح عليه نادما صارخا ومن شأن الحاسد ان كان المحسود غنيا ان يوبخه على المال فيقول جمعه حراما ومنعه أيتاما وغلب عليه محاويج أقاربه فتركهم له خصما وأمانهم فى الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم فى الظاهر فقال لقد كفروا معروفه وأظهروا فى الناس ذمه ليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون وان وجدهم خصما أعانه عليه ظلما وان كان محسن يعاشره فاستشاره غشه أو تفضل

ابن نُوَيرَةَ أخو مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ وصَدَّاءُ يُمَدُّ وبعضهم يقول صُدَّى فيضم أوله ويَقْصُرُ فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الا صَدْآء يافتى وهو اسم لماء معروفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لاتكون الا ساكنة كانك قلت صَدْعاعَ ياهذا) وقوله انما هو والله الفجر أو البَجْرُ يقول ان انتظرتَ حتى يُضيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصْدَكَ وان خَبَطْتَ الظلماءَ وركبت العَشْوَاءَ هَجَمَا بك على المكروه وضَرَبَ ذلك مَثَلاً لغَمَرات الدنيا وتحييرها أهلها وقوله يَهِيضُكَ مأخوذ من قولهم هِيضَ العَظْمُ اذا جُبِرَ ثم أصابه شئٌ يُعْنِتُهُ فآذاه فكسره ثانية أو لم يَكْسِرْهُ وأكثر ما يستعمل في كَسْرٍ ثانيةً ويقال عظم مَهِيضٌ وجَنَاح مَهِيضٌ في هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَرَ يزيدُ بن المُهَلَّبِ سِجْنَه وهَرَبَ فكتب اليه لو علمتُ انك تَبْقَى مافعلتُ ولكنك مسموم ولم أكن لأضع يدى في يد ابن عاتِكَةَ (هو يزيد بن عبد المَلِك بن مَرْوَانَ وأمه عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ولى المُلْكَ بعد عمر ابن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعْرَقُ في الخلافة منه) فقال عمر اللهم انه قد هاضني فَهِضْهُ فهذا معناه وقوله فكلكم وَرِمَ انفُهُ يقول امتلأ من ذلك غَضَبًا وذكر انفه دون السائر كما يقال فلان شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر • ولا يُهَاجُ اذا ما أنفُهُ وَرِمَا • أي لا يُكَلَّمُ عند الغضب ويقال للمائل برأسه كِبرًا مُتَشَاوِسٌ وثانى عِطْفِهِ وثانى جِيدِهِ انما هذا كله من الكبرياء قال الله عز وجل ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سبيل الله وقال الشَّمَّاخُ (يهجو الرُّبَيِّعَ بن عَلْبَاءَ السُّلَمِيَّ) نُبِّئْتُ أن رُبَيِّعًا أنْ رَعَى ابِلاً • يُهْدِي الىَّ خَنَاهُ ثانِيَ الجِيدِ وقوله أراكَ بارئًا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من بَرِئْتُ من المرض وبَرَأْتُ كلاهما يقال فمن قال بَرِئْتُ قال أَبْرَأُ يافتى لاغير ومن قال بَرَأْتُ قال في المضارع أَبْرَأُ وأبْرُؤُ يافتى مثل فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغُ والآية تُقْرَأُ على وجهين سَنَفْرُغُ لكم أيُّها الثَّقَلانِ وسَنَفْرَغُ والمصدر فيهما البُرْءُ يافتى • وعما روى لنا عنه رضي الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عَهِدَ به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يُؤْمِنُ فيها الكافر ويَتَّقِي فيها الفاجر انى استعملتُ عليكم عمر ابن الخطاب فان بَرَّ وعَدَلَ فذلك علمي به ورأيي فيه وان جار وبَدَّلَ فلا علم لى بالغيب والخير أردتُ

ولكل

عليه بمعروف كفره أو دعاه الى نصر خذله وان حضر مدحه ذمه وان سئل عنه همزه وان كانت عنده شهادة كتمها وان كانت منه اليه زلة عظمها يحب ان يعاد ولا يعود ويرى عليه القعود وان كان المحسود عالما قال مبتدع لرأيه متبع حاطب ليل ومبتغى نيل لا يدرى ما حمل قد ترك العمل فاقبل على الحيل قد أقبل بوجوه الناس اليه وما أحمقهم اذا انثالوا عليه فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته وأقل رعيته وأسوء طعمته وان كان المحسود ذا دين قال يتصنع ان يوصى اليه ويحج بشئ عليه ويصوم لتقبل شهادته ويظهر النسك ليودع المال بيته ويقرأ في المسجد ليزوجه جاره ابنته ويحضر الجنائز لتعرف شهرته وما لقيت حاسدا قط الا تبين مكنونه بتغير لونه وتخوص عينه واخفاء سلامه والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك وكان عبد الله بن أبي قبل نفاقه يسمع وحده لجودة رأيه وبعد همته ونبل شيمته

ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون نصب أي بقوله ينقلبون ولا يكون نصبها بسيعلم لان حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الالف من أن يعمل فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمت زيدا منطلقا فان أدخلت الالف قلت علمت أزيد منطلق أم لا فأي بمنزلة زيد الواقع بعد الالف ألا ترى ان معناها أذا أم ذا وقال الله عز وجل لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا لان معناها أهذا أم هذا وقال تعالى فلينظر أيها أزكى طعاما على ما فسرت لك وتقول أعلم أيهم ضرب زيدا وأعلم أيهم ضرب زيد تنصب أيا بضرب لان زيدا فاعل فانما هذا لما بعده وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلام أيهم في الدار وقد عرفت غلام من في الدار وقد علمت غلام من ضربت فتنصبه بضربت فعلى هذا مجرى الباب * ومما يؤثر من هذه الآداب ويقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خطبة خطبها حدثنا العتبي قال لم أر أقل منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه ثم نزل وانما حسن هذا القول مع ما يستحقه من قبل الاختيار بما عضده به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قد رويناهذه الخطبة التي عزاها الى عمر بن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء الى أبي موسى الاشعري وهي التي جمع فيها جمل الاحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونها اماما ولا يجد محق عنها معدلا ولا ظالم عن حدودها محيصا وهي بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا لا يمنعنك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب

وانقياد العشيرة له بالسيادة واذعانهم له بالرياسة وما استوجب ذلك الا بعد ما استجمع لهم لبه وتبين لهم عقله وفقد بينهم جهله ورأوه لذلك أهلا لما أطاق حملا فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ورأى غيره تشمخ بأنفه فهدم اسلامه لحسده وأظهر نفاقه وما صار منافقا حتى صار حسودا ولا صار حسودا حتى صار حقودا فحمق بعد اللب وجهل بعد العقل وتبوأ النار بعد الجنة ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه الى الانصار فقالوا يا رسول الله لا تلمه فانا كنا عقدنا له الخرز قبل قدومك لنتوجه ولو سلم للخذول قلبه من الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السودد في ارتفاع فوضعه الله لحسده وأظهر نفاقه ولذلك قال القائل

طال على الحاسد أحزانه
فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه
ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة
من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله
تسلم من كثرة بهتانه

ولا سنة ثم اعرف الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهى اليه فان احضر بينته اخذت له بحقه والا استحللت عليه القضية فانه انفى للشك واجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا فى ولاء او نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والايمان واياك والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تخلق للناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل فى عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام (قال ابو العباس) قوله آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك يقول سو بينهم وتقديره اجعل بعضهم اسوة بعض والتآسى من ذا ان يرى ذو البلاء من به مثل بلائه فيكون قد ساواه فيه فيسكن ذلك من وجده قالت الخنساء

فلولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس عنه بالتأسى
يذكرنى طلوع الشمس صخرا * واذكره لكل غروب شمس

تقول اذكره فى اول النهار للغارة وفى آخره للضيفان وتمثل مصعب بن الزبير يوم قتل بهذا البيت

وان الالى بالطف من آل هاشم * تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقوله حتى لا يطمع شريف فى حيفك يقول فى ميلك معه لشرفه وقوله فيما تلجلج فى صدرك يقول تردد واصل ذلك المضغة والاكلة يرددها الرجل فى فيه فلا تزال تتردد الى ان يسيغها او يقذفها والكلمة يرددها الرجل الى ان يصلها باخرى يقال للعيى لجلاج وقد يكون من الآفة تعترى اللسان قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح داء

وقوله انيض اى لم تنضج ومن امثال العرب الحق ابلج والباطل لجلج اى يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مخرجا وقوله او ظنينا فى ولاء او نسب فهو المتهم واصله مظنون وهى ظننت التى تتعدى الى مفعول واحد تقول ظننت بزيد وظننت زيدا اى اتهمت ومن ذلك قول الشاعر واحسبه عبد الرحمن بن حسان

فلا ويمين الله ما عن جناية * هجرت ولكن الظنين ظنين

(فصل فى حسد الجيران)

وذلك ان الجيران يرحمك الله طلائع عليك وعيونهم نواظر اليك فتى كنت بينهم معدما فايسرت فبذلت واعطيت وكسوت واطعمت وكانوا فى مثل حالك فاتضعوا وسلبوا النعمة والبستها عظمت عليهم بلية الحسد وصاروا منه فى تبغيض آخر الابد ولولا ان المحسود بنصر الله اياه مستور وهو بصنعه محجور لم يأت عليه يوم الا كان مقبورا ولم تأت ليلة الا وكان عن منافعه مقصورا ولم يمس الا وماله مسلوب ودمه مسفوك وعرضه بالضرب منهوك

(فصل منه) وانا اقول حقا ما خالط الحسد قلبا الا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشعيبه وكتمانه حتى يتمرد عليه بظهوره واعلانه فيستعبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو اغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الآسر على الاسير وكان ابن الزبير بالصبر موصوفا وبالدهاء معروفا وبالعقل موسوما وبالمداراة متهوما

وفى

وفي بعض المصاحف وما هو على الغيب بظنين وانما قال عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من انتمى الى غير أبيه أو ادّعى الى غير مواليه فلما كانت معه الاقامة على هذا لم يره للشهادة موضعا وقوله ودرأ بالبينات والأيمان انما هو دفع من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات وقال الله عز وجل قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين وقال فادارأتم فيها أي تدافعتم وأما قوله واياك والغلق والضجر فانه ضيق الصدر وقلة الصبر يقال في سوء الخلق رجل غلق وأصل ذلك من قولهم أغلق عليه أمره اذا لم يتضح ولم ينفتح من ذلك قولهم غلق الرهن أي لم يوجد له تخلّص وأغلقت الباب من هذا قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له • يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقوله ومن تخلّق للناس يقول أظهر للناس في خلقه خلاف نيته وقوله تخلّق يريد أظهر خلقا مثل تجمّل يريد أظهر جمالا وتصنّع وكذلك تجبّر انما تأويله الاظهار أي أظهر جبرية (وان شئت جبروة وان شئت جبروتا وان شئت جبروّى ومن كلام العرب على هذا الوزن رهبوتى خير لك من رحموتى أي لأن ترهب خير لك من أن ترحم) قال أبو العباس وأنشدونا عن أبي زيد (الشعر لسالم ابن وابصة الاسدي) يا أيها المتحلي غير شيمته • (ومن سجيته الاكثار والملق

دع التخلق يبعد عنك أوله) • ان التخلق يأتي دونه الخلق

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث • الا أخو ثقة فانظر بمن تثق

قال وأنشدتني أم الهيثم الكلابية

ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه • يدعه وتغلبه على النفس خيمها

وقال ذو الأصبع العدواني (ذو الاصبع اسمه حرثان بن الحرث بن محرّث وقيل له ذو الاصبع لان أفعى نهشت اصبعه) كل امرئ راجع يوما لشيمته • وان تخلّق أخلاقا الى حين

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثاب يثوب اذا رجع وتأويله ما يثوب اليك من مكافأة الله وفضله • وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الامر بي قدره وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنت مأكولا فكن خير آكل • والا فأدركني ولما أمزّق

فاظهر بلسانه حسدا كان واطّلب عليه أربعين سنة لبني هاشم فما اتسع قلبه لكتمانه ولا صبر على اكتمامه لما طالت في قلبه طيلة اظهره واعلنه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على خسفها وقلة اكترائه والتفاته لاحجار المجانيق التي تمر عليه فتذهب بطائفة من قومه ما يلتفت اليها حدثت بذلك عن علي بن مسهر عن الاعمش عن صالح بن حباب عن سعيد بن جبير قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير قال أنت الذي تؤنبني قال نعم لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس بمؤمن من بات شبعانا وجاره طاو فقال له ابن الزبير لئن قلت ذلك اني لا كتم بغضكم أهل البيت مذ أربعين سنة فحسر ابن عباس عن ذراعيه كأنهما عسيبا نخل ثم قال لابن الزبير نعم فليبلغ ذلك منك ما عرفتك ولقد أجلت الرأي ظهر البطن وفكرت في جوابه لابن عباس ان أجد له معنى سوى الحسد فلم أجده وكانت وخزة في قلبه فلم يبدها وفروع بني

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزبية مصيدة الاسد ولا تتخذ الا فى قلة أو رابية أو هضبة قال الراجز

(فانت والامر الذى قد كيدا) * كاللذ تزبى زبية فاصطيدا

وقال الطرماح يا طيئ السهل والاجبال موعدكم * كمبتغى الصيد أعلى زبية الاسد

(ويروى فى عريسة الاسد) وتقول العرب قد علا الماء الزبى وقد بلغ السكين العظم وبلغ الحزام الطبيين وقد انقطع السلى فى البطن فالسلى من المرأة والشاة ما يلتف فيه الولد فى البطن قال العجاج * فقد علا الماء الزبى فلا غير * أى قد جل الامر عن أن يغير ويصلح وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السباع والخيل يقال لمواضع الاخلاف منها أطباء يا فتى واحدها طبى كما يقال فى الظلف والخف خلف هذا مكان هذا فاذا بلغ الحزام الطبيين فقد انتهى فى المكروه ومثل هذا من أمثالهم التقت حلقتا البطان ويقولون التقت حلقتا البطان والحقب ويقال حقب البعير اذا صار الحزام فى الحقب قال الشاعر (قال أبو بكر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأوله

سليمى تلك فى العير * قفى ان شئت أوسيرى * فلما أن بدا الصبح

بأصوات العصافير * خرجنا نبتغى الصيد * بأمثال اليعافير)

اذا ما حقب جال * شددناه بتصدير

(زجرنا العيس فارمدت * باهذاب وتشمير)

وقال أوس بن حجر وازدحمت حلقتا البطان بأقوا * م وطارت نفوسهم جزعا

وتمثله بالبيت يشا كل قول القائل

فان آك مقتولا فكن أنت قاتلى * فبعض منايا القوم أكرم من بعض

* ويروى عن قنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخلت مع على بن أبى طالب على عثمان بن عفان رضى الله عنهما فاحبا الخلوة فأومأ الى على بالتنحى فتنحيت غير بعيد فجعل عثمان يعاتب عليا وعلى مطرق فاقبل عليه عثمان فقال ما بالك لا تقول فقال ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندى الا ما تحب تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به على فلذعك عتابى وعقدى ألا أفعل وان كنت عاتبا الا ما تحب * وتحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه انتهى اليه أن خيلا لمعاوية وردت الانبار فقتلوا عاملا له يقال له

هاشم حول الحرم باسقة وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية ومجالسهم من آ مالها عامرة وبحورها باوراق العباد زاخرة وانجمها بالهدى زاهرة فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما كن فى نفسه والحاسد لا يغفل عن فرصته الى أن يأتى الموت على رمته وما استقبل ابن عباس بذلك الا لما رأى من تقدمه على أهل القدم ونظر اليه وقد أطاف به أهل الحرم فأوسعهم حكما وتقبوا منه رأيا وفهما وسبقهم علما وحلما

(فصل منه) وكيف يصبر من استكن الحسد فى قلبه على امامته ولقد كان اخوة يوسف حلماء وأجلة علماء ولدهم الانبياء فلم يغفلوا عما قدح فى قلوبهم من الحسد ليوسف حتى اعطوا أباهم المواثيق المؤكدة والعهود المقبلة والايمان المغلظة انهم له حافظون وهو شقيقهم وبضعة منهم فخالفوا العهود ووثبوا عليه بالظلم وألقوه فى غيابة الجب وجاؤا على قميصه بدم كذب فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم طمعا

حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف وديث بالصغار وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا وقلت لكم اغزوهم من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتخاذلتم وتواكلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعاهدة فتنتزع أحجالهما ورعثهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم أحد كلما فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان به عندي جديرا يا عجبا كل العجب عجب يميت القلب ويشغل الفهم ويكثر الأحزان من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم حتى أصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر وإن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم الحر عنا فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال والله لقد أفسدتم علي رأيي بالعصيان ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها مني أو أشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ولقد نيفت اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع يقولها ثلاثا فقام إليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يعرفان بابني عفيف من الأنصار) فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك فوالله لننتهين إليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضى وشوك القتاد فدعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تقعان مما أريد ثم نزل (قال) أبو العباس قوله سيما الخسف قال هكذا حدثوناه وأظنه سيم الخسف يا هذا من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب ومعنى قوله سيما الخسف تأويله علامة هذا أصل ذا قال الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود وقال عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم

ان يخلو لهم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه وظنوا ان الايام تسليه وحبه لهم من بعد عمه يلهيه فما سالوا عبرته وأحرقوا قلبه وكيف تقر أعين الحاسدين بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الارض بصبره على أذى حساده ومقابلته اياهم بالعفو والمكافاة بحسن العشرة والمؤاخاة بعد امكانه منهم لما أتوه ممتارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن رفدهم وكرم قراهم فاقروا له لما عرفوه بالاذعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سجدا لما وردوا عليه وفدا فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فاقلل ما استطعت من مخالطته فانه اعون الاشياء على مسالمته وحصن سرك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة في مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه فان ذلك من حبائل نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يهينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن

وقال أبو عبيدة في قوله عز وجل مُسَوِّمِينَ قال مُعَلَّمِينَ واشتقاقه من السيما التي ذكرنا ومن قال مُسَوَّمِينَ فإنما أراد مُرْسَلِينَ من الإبل السائمة أي المُرْسَلَة في مراعيها وإنما أخذ هذا من التفسير وقال المفسرون في قوله تعالى والخَيْلِ المُسَوَّمَةِ القولين جميعا من العلامة والإرسال وأما قوله عز وجل حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ فلم يقولوا فيه الا قولا واحدا قالوا مُعَلَّمَةً وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيما قصر ويقال في هذا المعنى سِيمِيَاءُ ممدود قال الشاعر (وهو ابن عنقاء الفزاري في عُمَيْلَةَ الفزاري)

غلامٌ رَماه الله بالحُسْنِ يافعاً * له سِيمِياءُ لا تَشُقُّ على البَصَرْ

(كأنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في جَبِينِهِ * وفي أنفه الشِّعْرَى وفي جِيدِه القَمَرْ)

وقوله وقتلوا حَسَّانَ بن حسان من أخذ حَسَّانًا من الحُسْنِ صَرَفَه لأن وزنه فَعَّالٌ فالنون منه في موضع الدال من حَمَّاد ومن أخذه من الحَسِّ لم يصرفه لأنه حينئذ فَعْلانُ فلا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة لأنه ليست له فَعْلَى فهو بمنزلة سَعْدان وسِرْحان وقوله ودُيِّثَ بالصَّغار أي ذُلِّلَ يقال للبعير اذا ذَلَّلَتْه الرياضة بعيرٌ مُدَيَّثٌ أي مذلل وقوله في عُقْرِ دارهم أي في أصل دارهم والعُقْرُ الأصل ومن ثَمَّ قيل لفلان عَقارٌ أي أصل مال ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مَنْ باعَ دارًا أو عَقارًا فلم يردد ثمنه في مثله فذلك مال قَمِنٌ ألّا يبارَكَ له فيه وقوله قَمِنٌ يريد خليق ويقال أيضا قَمِنٌ وقَمَنٌ (قال أبو الحسن من قال قَمَنٌ لم يثن ولم يجمع ومن قال قَمِنٌ وقَمِينٌ ثنّى وجمع) ويقال للرجل اذا اتخذ ضَيْعَةً أو دارًا قد أثَّلَ فلان أي اتخذ أصل مال وقوله وتَواكَلْتم إنما هو مشتق من وَكَلْتُ الأمرَ إليك وكأنه أنت إليّ أي لم يتوله واحد منا دون صاحبه ولكن أحال به كلٌّ واحد منا على الآخر ومن ذلك قول الحُطَيْئَة

فَلأْيًا قَصَرْتُ الطَّرْفَ عنهم بِجَسْرَةٍ * أَمُونٍ إذا واكَلْتَها لا تَواكَلُ

وقوله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيًّا أي رميتم به وراء ظهوركم أي لم تلتفتوا إليه ويقال في المَثَل لا تجعل حاجتي منك بظَهْرٍ أي لا تطرحها غير ناظر إليها وقوله حتى شُنَّتْ عليكم الغارات يقول صُبَّتْ يقال شَنَنْتُ الماءَ على رأسه أي صببته وشَنَنْتُ الشراب في الإناء أي صببته ومن كلام العرب فلما لَقِيَ فلانٌ فلانا شَنَّه السيفَ أي صَبَّه عليه صبا وقوله هذا أخو غامد فهو رجل مشهور

من

خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو ألح في حسدك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور وما أحب أن تكون عن حاسدك غبيا وعن وهمك بما في ضميره نسيا الا أن تكون للذل محتملا وعلى الدناءة مشتملا ولأخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهبا أو تكون بك الحاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أبادك غرضا وقد قيل على وجه العرض الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها وربما كان الحسد لاصطناع اليه المعروف أكفر له وأشد احتقادا منه وأكثر تصغيرا له من أعدائه

(فصل منه) ومتى رأيت حاسدا يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا أو أفصح لك بالخير في غيبته عنك أو قصر من غيبته لك فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم وان ملك قتل وسبى وان ملك عصى وبغى حياتك موته وموتك

من أصحاب معاوية من بني غامد بن نصر بن الأزد بن الغوث وفي هذه القبيلة يقول القائل

ألا هل أتاها على نأيها ... بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس ... فردكم فارس واحد (هو ربيعة بن مكدم)

فليت لنا بارتباط الخيو ... ل ضأنا لها حالب قاعد

وقوله فتنتزع أحجالهما يعني الخلاخيل واحدها حجل ومن هذا قيل للدابة محجل ويقال للقيد حجل لأنه يقع في ذلك الموضع قال جرير يعير الفرزدق حين قيد نفسه وأقسم ألا يحلها حتى يحفظ القرآن فلما هاجى جرير البعيث هجا الفرزدق جريرا معونة للبعيث وذبا عن عشيرته فقال جرير

ولما اتقى القين العراقي باسته ... فرغت إلى العبد المقيد في الحجل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيث وسماه القين لأنه من رهط الفرزدق) ومعنى فرغت عمدت قال الله عز وجل سنفرغ لكم أيها الثقلان أي سنعمد (تميم تقول فرغ يفرغ فراغا وأهل العالية وهم قريش ومن والاها يقولون فرغ يفرغ فروغا) وقوله ورعثهما الواحدة رعثة وجمعها رعاث وجمع الجمع رعث وهي الشنوف وقوله ثم انصرفوا موفورين من الوفر أي لم ينل أحد منهم بأن يرزأ في بدن ولا مال يقال فلان موفور وفلان ذو وفر أي ذو مال ويكون موفورا في بدنه اذا ذكر ما أصيب به غيره في بدنه قال حاتم الطائي

وقد علم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراء المال كان له وفر

ويروى أمسى له وفر وقوله لم يكلم أحد منهم كلما يقول لم يخدش أحد منهم خدشا وكل جرح صغر أو كبر فهو كلم قال جرير

تواصت من تكرمها قريش ... برد الخيل دامية الكلوم

وقوله مات من دون هذا أسفا يقول تحسرا فهذا موضع ذا وقد يكون الأسف الغضب قال الله عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم والأسيف يكون الأجير ويكون الأسير فقد قيل في بيت الأعشى

أرى رجلا منهم أسيفا كأنما ... يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كبلت يده ويقال قد جرحها الغل والقول الأول هو المجتمع عليه ويقال في معنى أسيف عسيف أيضا وقوله من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاونهم وتظاهرهم وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشل فلان عن كذا إذا هابه

عرسه وسروره بصدق عليك كل شاهد زور ويكذب كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضك ولا يبغض الا من يحبك عدوك بطانة وصديقك علانية وقلت انك بما غلطت في أمره لما يظهر لك من بره ولو كنت تعرف الجليل من الرأي والدقيق من المعنى وكنت في مذاهبك فطنا نهابا ولم تك في عيب من ظهر لك عيبه مرتابا لاستغنيت بالرمز عن الاشارة وبالاشارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالجهر عن الرفع والاختصار عن التطويل وبالجمل عن التفصيل وأرحتنا من طلب التحصيل ولكني أخاف عليك أن قلبك لصديقك غير مستقيم وان ضمير قلبك غير سليم وان رفعت القذى عن لحيته وسويت عليك ثوبه فوق مركبه وقبلت صبيه بحضرته ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته واغتفرت له الزلة واستحسنت كلما يقبح من جهته وصدقته على كذبه وأعنته على فجرته فما

فتنكل عنه وامتنع من المضي فيه وقوله قلتم هذا أوان قر وصر فالصر شدة البرد قال الله عز وجل كمثل ريح فيها صر وقوله هذه حمارة القيظ فالقيظ الصيف وحمارته اشتداد حره واحتدامه وحمارة مما لا يجوز أن يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وزن الشعر الا في ضرب منه يقال له المتقارب فانه جوز فيه على بعد التقاء الساكنين وهو قوله

فذاك القصاص وكان التقا ❊ ص فرضا وحتما على المسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضا كان أجود وأحسن ولكن قد أجاز وا هذا في هذه العروض ولا نظير له في غيرها من الأعاريض وقوله ويا طغام الأحلام فجاز الطغام عند العرب من لا عقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طغام أهل الشأم كما قال

(اذا ما كان مثلهم رجاما) ❊ فما فضل اللبيب على الطغام

وقوله ويا عقول ربات الحجال ينسبهم الى ضعف النساء وهو السائر في كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين

(باب)

قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المفهم والاطناب المفخم وقد يقع الايماء الى الشئ فيغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لمحة دالة وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المستغلق واللفظ المستكره فان انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره وسترتا من شينه وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيئ للحسن والبعيد للقريب فمن ألفاظ العرب البينة القريبة المفهمة الحسنة الوصف الجميلة الرصف قول الحطيئة

وذاك فتى ان تأته في صنيعة ❊ الى ماله لا تأته بشفيع

وكذلك قول عنترة يخبرك من شهد الوقيعة أنني ❊ اغشى الوغى وأعف عند المغنم

وكما قال زهير على مكثريهم حق من يعتريهم ❊ وعند المقلين السماحة والبذل

ومما وقع كالايماء قول الفرزدق

هذا الغباء كأنك لم تقرأ المعوذة ولم تسمع مخاطبته نبيه صلى الله عليه وسلم في التقدمة اليه بالاستعاذة من شر حاسد اذا حسد أتطلب ويحك أثرا بعد عين أو عطرا بعد عروس أو تريد أن تجتني عنبا من شوك أو تلتمس حلب لبن من جمل انك اذا أعيا من باقل وأحمق من الضبع وأغفل من هرم ان كنت تجهل بعدما أعلمناك وتعوج بعد ما قومناك وتبلد بعد ما ثقفناك وتضل اذ هديناك وتنسى اذ ذكرناك فأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ وعمي عن المنافع فختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فنعوذ بالله من الخذلان انه لا يأتيك ولكن يناويك ولا يحاكيك ولكن يوازيك أحسن ما تكون عنده حالا أعظم ما يكون ضلالا وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهدا وأبعد ما يكون فاذا كان الأمر على هذا فمجاورة الموتى ومخالطة الزمنى والاجتنان بالجدران ومصر

ضربت

ضربت عليك العنكبوت بنسجها * وقضى عليك به الكتاب المنزل

فتأويل هذا ان بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال وقضى عليك به الكتاب المنزل يريد به قول الله تبارك وتعالى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ومن كلامه المستحسن قوله لجرير

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أباً عن كليب أو أبا مثل دارم

ومن أقبح الضرورة وأهجن الالفاظ وأبعد المعاني قوله

وما مثله في الناس الا مملكاً * أبو أمه حي أبوه يقاربه

مدح بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثله في الناس الا مملكا يعني بالمملك هشاما أبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحا وكان يكون اذا وضع الكلام في موضعه أن يقول وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح فدل على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجنه بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول

تصرم مني ود بكر بن وائل * وما كاد مني ودهم يتصرم

قوارص تأتيني ويحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول

والشيب ينهض في السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فهذا أوضح معنى وأعرب لفظ وأقرب مأخذ وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما يستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده

تبحثتم سخطي فغير بحثكم * نخيلة نفس كان نصحا ضميرها

ولن يلبث التخشين نفسا كريمة * عريكتها أن يستمر مريرها

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

فهذا كلام واضح وقول عذب وكذلك قوله أيضا

المصران وأكل القردان أهون من معاشرته والاتصال بحبله والغل نتيج الحسد ورضيعه وغصن من أغصانه وعون من أعوانه وشعبة من شعبه وفعل من أفعاله كما انه ليس فرع الا له أصل ولا مولود الا له مولد ولا نبات الا من أرض ولا رضيع الا من مرضع وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته ورأيت الله جل جلاله ذكر الجنة فحلاها في كتابه بأحسن حليه وزينها بأحسن زينة وجعلها دار أوليائه ومحل أنبيائه ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذكر في كتابه ما من به عليهم من السرور والكرامة عند ما دخلوها وبوأهاهم فقال ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين فما أنزلهم دار كرامته الا بعد ما نزع الغل والحسد من قلوبهم فتهنوا

بنى دارم ان يفنَ عمرى فقد مضى • حياتى لكم منى ثناء مخلّد

بدأتم فأحسنتم فأثنيت جاهدا • وان عدتم أثنيت والعود أحمد

ومما يفضل لخلاصه من التكلف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبى حية النميرى

رمتنى وستر الله بينى وبينها • عشية آرام الكناس رميم

(قيل فى ستر الله الاسلام وقيل فيه انه الشيب وقيل ما حرّم الله عليهما)

ألا رب يوم لو رمتنى رميتها • ولكن عهدى بالنضال قديم

(يرى الناس أنى قد سلوت وانّنى • لمرمىّ احناء الضلوع سقيم)

يقول رمتنى بطرفها وأصابتنى بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن قد تطاول عهدى بالشباب فهذا كلام واضح (قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الببينى عن عبد الله بن شبيب وروى • عشية أحجار الكناس رميم • وزاد فيه

رميم التى قالت لجارات بيتها • ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

الكناس والمكنس الموضع الذى تأوى اليه الظباء وجمع الكناس كنس وجمع المكنس مكانس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهى البالية وكذلك الرمة والرمة القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يرجع) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يدخل فى الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح به نظما أو وزنا ان كان فى شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان فى كلام منثور كنحو ما تسمعه فى كثير من كلام العامة مثل قولهم ألست تسمع أفهمت أين أنت وما أشبه هذا وربما تشاغل العيى بفتل اصبعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطبا فى شعره

ملىء ببهر والتفات وسعلة • ومسحة عثنون وفتل الاصابع

وقال رجل من الخوارج يصف خطيبا منهم بالجبن وأنه مجيد لولا أن الرعب أذهله

نحنح زيد وسعل • لما رأى وقع الاسل ويله اذا ارتجل • ثم أطال واحتفل

(وقال رجل يصف رجلا من اياد بالعى وكان أبوه خطيبا وخاله)

جمعت صنوف العى من كل وجهة • وكنت مليئا بالبلاغة من كتب

بالجنة وقابلوا اخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر فى مقابلة الوجوه لسلامة صدورهم ونزع الغل عن قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافتقدوا اللذاذة بالجنة وتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا وواقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب وأعقبوا منها الخروج لانه عز وجل فضل بينهم فى المنازل ورفع درجات بعضهم فوق بعض فى الكرامات وسنى العطيات فلما نزع الغل والحسد من قلوبهم ظن أدناهم منزلة فيها وأقربهم بدخول الجنة عهدا أنه أفضلهم منزلة وأكرمهم درجة وأوسعهم دارا بسلامة قلبه ونزع الغل من صدره فقرت عينه وطاب أكله ولو كان غير ذلك لصاروا الى التبغيض فى النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب وحدثت فيهم العيوب والذنوب وما أرى السلامة الا فى قطع الحاسد ولا السرور الا فى اعتقاد وجهه ولا الراحة الا فى صرم مداراته ولا الربح الا فى

ابوك

أبوك معنق الكلام ومخول * وخالك وثاب الجرائيم فى الخطب)

ومما يشاكل هذا المعنى ويجانس هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسرى فانه كان متقدما فى الخطابة ومتناهيا فى البلاغة فخرج عليه المغيرة بن سعيد بالكوفة فى عشرين رجلا فعطعطوا به فقال خالد أطعمونى ماء وهو على المنبر فعير بذلك فكتب به هشام اليه فى رسالة يوبخه فيها وسنذكرها فى موضعها ان شاء الله وعيره يحيى بن نوفل فقال

لأعلاج ثمانية وعبد * لئيم الأصل فى عدد يسير
هتفت بكل صوتك أطعمونى * شرابا ثم بلت على السرير

فهذا عارض وقال آخر يعيره

بل المنابر من خوف ومن وهل * واستطعم الماء لما جد فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق فى الخطب

* ومما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره قول أعرابى من بنى كلاب

فمن يك لم يغرض فانى وناقتى * بحجر الى أهل الحمى غرضان
(هوى ناقتى خلفى وقدامى الهوى * وانى واياها لمختلفان)
تحن فتبدى ما بها من صبابة * وأخفى الذى لولا الأسى لقضانى

(أنشد صاعد بعدهما زيادة فيهما

فيا كبدينا أجملا قد وجدتما * بأهل الحمى ما لم يجد كبدان
اذا كبدانا خافتا وشك نية * وعاجل بين ظلتا تجبان)

يريد لقضى علىّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسن مخرج قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون والمعنى اذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فهؤلاء أخذوا منهم ثم أعطوهم وقال الله تبارك وتعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا أى من قومه وقال الشاعر (هو أعشى طرود واسمه اياس ابن عامر)

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

أى أمرتك بالخير ومن ذا قول الفرزدق

تركك مكافأته فاذا فعلت ذلك فكل هنيا مريا وعش فى السرور مليا ونحن نسأل الله الجليل أن يمحق كدر صدرنا ويجنبنا واياك سوء الألفة والاتفاق ويحسن توفيقك وتسديدك والسلام

(فصل من صدر كتابه فى المعلمين) أعانك الله على سورة الغضب وعصمك من ثورة الهوى وصرف ما أعارك من القوة الى حب الانصاف ورجح فى قلبك ايثار الاناة فقد استعملت فى المعلمين قول السفهاء وخطل الجهلاء ومفلسة الايذاء ومجانبة سبل الحكماء وتهكم المقتدرين وأمن المغترين ومن تعرض للعداوة وجدها حاضرة ولا حاجة بك الى تكلف ما كفيت

(فصل منه) ولولا الكتاب لاختلت أخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين وانما اللسان الشاهد لك والعلم للغائب عنك والماضى قبلك والغابر بعدك فصار نفعه أعم والدواوين اليه أفقر والملك المقيم بالواسطة لايدرك مصالح أطرافه

ومنّا الذى اختير الرجالَ سماحةً * وجوداً اذا هبّ الرياح الزعازع

أى من الرجال فهذا الكلام الفصيح وتقول العرب أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً أى ما أذوق فيهن وقال الشاعر

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً * قليلاً سوى الطعن النهال نوافله

(قال أبو الحسن قوله لم يغرض أى لم يشتق يقال غرضتُ الى لقائك وحننت الى لقائك وعطشت الى لقائك وجعت الى لقائك أى اشتقت أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى وأنشدنا عنه

من ذا رسول ناصح فيبلغ * عنى عليّة غير قول الكاذب

أنى غرضت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

التناصف الحسن وأما قوله لقضانى فانما يريد لقضى علىّ الموت كما قال الله تبارك وتعالى فلما قضينا عليه الموت فالموت فى النية وهو معلوم بمنزلة ما نطقت به فلهذا ناسب هذا قوله عز وجل واختار موسى قومه وكذلك قوله تعالى كالوهم فالشئ المكيل معلوم فهو بمنزلة ما ذكر فى اللفظ ولا يجوز مررت زيداً وأنت تريد مررت بزيد لانه لا يتعدى الا بحرف جر وذلك انه فعل الفاعل فى نفسه وليس فيه دليل على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يتعدى الى مفعولين فيتعدى الى أحدهما بحرف جر والى الآخر بنفسه لان قولك اخترت الرجال زيداً قد علم بذكرك زيداً أن حرف الجر محذوف من الاول فأما قول الشاعر وهو جرير وانشاد أهل الكوفة له وهو قوله

تمرون الديار ولم تعوجوا * كلامكم علىّ اذاً حرام

ورواية بعضهم له أتمضون الديار فليسا بشئ لما ذكرت لك والسماع الصحيح والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الشاذة أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال قرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير * مررتم بالديار ولم تعوجوا * فهذا يدلك على ان الرواية مغيرة فاما قولهم أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً وقول الراجز

قد صبحت صبحها السلام * بكبد خالطها سنام * فى ساعة يحبها الطعام

يريد فى ساعة يحب فيها الطعام وكذلك الاول معناه ما أذوق فيهن فليس هذا عندى من باب قوله جل وعلا واختار موسى قومه الا فى الحذف فقط وذلك أن ضمير الظرف تجعله العرب مفعولاً على

السعة

وسد ثغوره وتقويم سكان مملكته الا بالكتاب ولولا الكتاب لما تم تدبير ولا استقامت الأمور وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل فى نصابه ويقوم على أساسه فى الكتاب والحساب وليس علينا لأحد فى ذلك من المنة بعد الله الذى اخترع ذلك لنا ودلنا عليه وأخذ بنواصينا اليه ما للمعلمين الذين حضرهم لنا ووصل حاجتهم الى ما فى أيدينا وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم وحاججتهم وغششت عليهم وألزمت الأكابر ذنب الأصاغر وحكمت على المجتهدين بتفريط المقصرين ورثيت لآباء الصبيان عن ابطاء المعلمين عن تحذيقهم ولم ترث للمعلمين عن ابطاء الصبيان عما يراد بهم وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه والمعلمون اشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت ان النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب (فصل منه)

السعة كقولهم يوم الجمعة سرته ومكانكم قمته وشهر رمضان صمته فهذا يشبه في السعة بقولك زيد ضربته وما أشبهه فهذا بين) قال أبو العباس ومما يستحسن ويستجاد قول أعرابي من بني سعد بن زيد مناة بن تميم وكان مملكا فنزل به أضياف فقام الى الرحى فطحن لهم فمرت به زوجته في نسوة فقالت لهن أهذا بعلي فأعلم بذلك فقال (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي محلم يعني السعدي)

تقول وصكت صدرها بيمينها • أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

فقلت لها لا تعجبي وتبيني • بلائي اذا التفت على الفوارس

ألست أرد القرن يركب ردعه • وفيه سنان ذو غرارين يابس *

اذا هاب أقوام تجشمت هول ما • يهاب حمياه الألد المداعس

لعمر أبيك الخير اني لخادم • لضيفي واني ان ركبت لفارس

قوله المتقاعس انما هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ويقال عزة قعساء وانما هذا مثل أي لا تضع ظهرها الى الارض وقوله بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يتقاعس بالرحى لم يجز لان قوله بالرحى من صلة الذي والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحنا وخطأ فاحشا وكان كمن جعل آخر الاسم قبل أوله ولكنه جعل المتقاعس اسما على وجهه وجعل قوله بالرحى تبيينا بمنزلة لك التي تقع بعد قولك سقيا وبمنزلة بك التي تقع بعد مرحبا فان قدمتها قبل سقيا ومرحبا فذلك جيد بالغ تقول بك مرحبا وأهلا وتقول لك حمدا ولزيد سقيا فأما قول الله عز وجل وأنا على ذلكم من الشاهدين وكذلك وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أحدهما أن يكون وأنا ناصح لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيرا الشاهد وناصح ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني وقال أبو العباس وهو الذي أختار على أن الالف واللام للتعريف لا على معنى الذي ألا ترى أنك تقول نعم القائم زيد ولا يجوز نعم الذي قام زيد وانما هو بمنزلة قولك نعم الرجل زيد وهذا الذي شرحناه متصل في هذا الباب كله مطرد على القياس وقوله • ألست أرد القرن يركب ردعه • فانما اشتقاقه من السهم يقال ارتدع السهم اذا رجع النصل متأخرا في السنخ ويقال ركب البعير ردعه اذا سقط فدخلت عنقه في جوفه فالكلام مشتق بعضه من بعض ومبين بعضه بعضا

واجمعوا على انهم لم يجدوا كلمة أقل حرفا ولا أكثر ريعا ولا أعم نفعا ولا أحث على بيان ولا ادعى الى تبين ولا اهجى لمن ترك التفهم وقصر في الافهام من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه قيمة كل امرئ ما يحسن وقد أحسن من قال مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها وكرهت الحكماء الرؤساء اصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى ادام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ وان كان الحفظ أشرف منزلة منه ومتى أهمل النظر لم تسرع اليه المعاني ومتى أهمل الحفظ لم يعلق بقلبه وقل مكثها في صدره وطبيعة الحفظ غير طبيعة

فيقال من هذا فى المثل ذهب فلانٌ فى حاجتى فارتدع عنها أى رجع وكذلك فلان لا يرتدع عن قبيح والاصل ماذكرتُ لك أولا ومثل هذا قولهم فلانٌ على الدابة وعلى الجبل أى فوق كل واحد منهما ثم تقول فلانٌ عليه دينٌ تمثيلا وكذلك ركبه دينٌ وانما تريد أن الدينَ علاه وقهره وكذلك فلان على الكوفة اذا كان واليا عليها وكذلك علا فلانٌ القومَ اذا علاهم بأمره وقهرهم أو جُعل فى هذا الموضع وقوله • وفيه سنانٌ ذوغرارين يابسُ • فالغرار ههنا الحدّ والغرار مواضع قال أبو العباس وحدثنى الرياشى فى اسناده قال قال جبر بن حبيب وذكر الراعى أخطأ الاعورُ قال ولم يعلم الحاكى عنه أن الراعى كان أعورَ الا من هذا الخبر فى قوله

فصادفَ سهمه أحجارَ قُفٍّ • كسرنَ العيرَ منه والغرارا

وجبر بن حبيب هو المخطئ لان الغرار ههنا هو الحدّ وذهب جبرٌ الى أنه المثالُ وقد يكون المثالَ وليس ذلك بمانعه من أن يحتمل معانى يقال بنوا بيوتهم على غرار واحد أى على مثال واحد كما قال عمرو بن أحمر الباهلىّ وضعن وكلّهن على غرار • هجان اللون قد وسقت جنينا (الرواية عن أبى العباس وضَعنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وُضِعنَ بضم الواو وكسر الضاد) ويقال لسوقنا درّةٌ وغرارٌ أى نفاقٌ وكسادٌ فهذا معنى آخر وانما تأويل الغرار فى هذا المعنى الاخير أنه شئ بعد شئ ومن هذا غارّ الطائر فرخه لانه انما يعطيه شيأ بعد شئ وكذلك غارّت الناقة فى الحلب ويقال من هذا ما غمضتُ الا غرارا قال الشاعر

ما أذوقُ النومَ الا غرارًا • مثلَ حسو الطيرِ ماءَ الثماد

فكشف فى هذا البيت معنى الغرار وأوضحه وقوله • يهاب حمياه الالدّ المداعسُ • فأصل الحميا انما هى صدمة الشئ يقال فلان حامى الحميا ويقال صدمته حميا الكأس يراد بذلك سورتها وقوله الالدّ فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدّ أى لا ينثنى عن خصمه قال الله عز وجل وتُنذر به قومًا لُدًّا كما قال بل هم قوم خصمون وقال مهلهل

ان تحت الاحجار حزمًا وجودًا • وخصيمًا ألدّ ذا معلاق

ويروى مغلاق فمن روى ذلك فتأويله أنه يُغلق الحجة على الخصم ومن قال ذا معلاق فانما يريد أنه اذا علق خصمًا لم يتخلص منه وجعل السعدى الالد الذى لا ينثنى عن الحرب تشبيها بذلك

الاستنباط والاذان يعالجان به ويستعينان متفق عليه الا وهو فراغ القلب للشئ والشهوة له وبهما يكون التمام وتظهر الفضيلة ولصاحب الحفظ سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت فأما الموضع فانهما يختاران اذا أرادا ذلك الفرق دون الشغل واما الساعات فالاسحار دون سائر الأوقات لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال وتعقب تمام الراحة والجمام لان للجمام مقدارا هو المصلحة كما ان للكد مقدارا هو المصلحة (فصل منه) ويستدل أيضا بوصايا الملوك المؤدبين فى ابنائهم وفى تقويم احداثهم على انهم قد قلدوهم أمورهم وضميرهم بلوغ التمام فى تأديبهم وما قلدوهم ذلك الا بعد ان ارتفع اليهم فى الحنو مالهم فى الأدب وبعد ان كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص وأنت حفظك الله لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب

والمداعس المطاعن يقال دعسه بالرمح اذا طعنه قال عمير بن الحباب السلمي

أنا عمير وأبو المغلس • وبالقناة مازني مدعس

(قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي • أبعلي هذا بالرحى المتقاعس • بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه اذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعس فان المتقاعس يدل على أن تقاعسا وقع فكأنه قال وقع التقاعس بالرحى ولم يرد ان يعمل المتقاعس في قوله بالرحى لانه في الصلة والصلة من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو الياء فكما لا يجوز أن يتقدم حروف الاسم بعضها على بعض لم يجز أن تتقدم الصلة على الموصول فأما قول الله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين وكذلك وأنا على ذلكم من الشاهدين فانه يكون على التبيين الذي قدمنا ذكره وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يجعل لكما وعلى ذلكم معلقين بشيئين محذوفين دل عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لان من مبعضة فكأنه قال والله أعلم وقاسمهما اني ناصح لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذكره أنه قول المازني وجعله الالف واللام للعهد مثلهما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مرضي عندي لانك اذا قلت نعم القائم زيد جعلت الالف واللام كالالف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه اذا كان هكذا دخل في باب الاسماء الجامدة وهي التي لم تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخرا الا على حيلة ووجه بعيد من التبيين الذي ذكرنا واذا كان في التأخير لا يعمل بنفسه فكيف يعمل اذا تقدم عليه الظرف وهذا مستحيل لا وجه له وأما انشاده • لا أذوق النوم الا غرارا • فان هذه أبيات أربعة أنشدناها عن الزيادي وذكر أنه كان يستحسنها وهي لاعرابي قال

مالعيني كحلت بالسهاد • وبجنبي نابيا عن وسادي

لا أذوق النوم الا غرارا • مثل حسو الطير ماء الثماد

أبتغي اصلاح سعدى بجهدي • وهي تسعى جهدها في فسادي

فتتاركنا على غير شيء • ربما أفسد طول التمادي

وأما انشاده • وضعن وكلهن على غراد • فان البيت لعمرو بن أحمر بن العمرد الباهلي) قال

والخطاطين لو جدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار فكم تظن انا وجدنا منهم من الرواة والقضاة والحكام والولاة من المناكير والدهاة ومن الحماة والكفاة ومن القادة والذادة ومن الرؤساء والسادة ومن كبار الكتاب والشعراء والوزراء والأدباء ومن اصحاب الرسائل والخطابة والمذكورين بجميع اصناف البلاغة ومن الفرسان واصحاب الطعان ومن نديم كريم وعالم حكيم ومن مليح ظريف ومن شاب عفيف ولا تعجل بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب وتبلغ أقصى العذر فانك ان كنت تعمدت تذممت وان كنت جهلت تعلمت وما أظن من احسن بك الظن الا وقد خالف الحزم (فصل منه) قال المعلم وجدنا كل صنف من جميع ما بالناس الى تعلمه حاجة المعلمين كمعلمي الكتاب والحساب والفرائض والقرآن والنحو والعروض والاشعار والاخبار والآثار ووجدنا

أبو العباس ومن سهل الشعر وحسنه قول طُفَيل بن أبي الطغماء الاسدي يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ثم من رهط عدي بن زيد العبادي قال

كأن لم يكن يوم بزورة صالح • وبالقصر ظل دائم وصديق

ولم أرد البطحاء يمزج ماءها • شراب من البروقتين عتيق

معي كل فضفاض القميص كأنه • اذا ما سرت فيه المدام فنيق

بنو السمط والحداء كل سميدع • له في العروق الصالحات عروق

واني وان كانوا نصارى أحبهم • ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعر أبو محلم ثم أنشدنيه رجل نصراني يكنى أبا يحيى شاعر من هؤلاء القوم الذين مدحوا به وذكر أنه يذكر طفيلا وهو يتردد اليهم ويظل عندهم قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحداء قال أذكره وأنا صغير جدا والسلطان يطلبه لقوله

• له في العروق الصالحات عروق • يقول اتقول هذا القوم من النصارى وكان هذا النصراني قد قارب مائة سنة فيما ذكر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فضول وانما يقصد الى ما فيه من الخيلاء كما قال زهير

يجرون الذيول وقد تمشت • حميا الكأس فيهم والغناء

ويقال ان تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار انما اراد معنى الخيلاء وقال الشاعر

ولا ينسيني الحدثان عرضي • ولا أرخي من المرح الازارا

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي تميمة الهجيمي اياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عرب فما المخيلة فقال صلى الله عليه وسلم سبل الازار والحديث يعرض لما يجري في الحديث قبله وان لم يكن من بابه ولكن يذكر به قال ابو العباس روي لنا ان رجلا من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فأنشد ابراهيم قول الشاعر

اذ أنت فينا لمن ينهاك عاصية • واذ أجر اليكم سادرا رسني

فقام ذلك الرجل (هو ابن ابي عتيق) فرمى بشق ردائه واقبل يسحبه حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام ما بدا لك فقال اني كنت سمعت هذا الشعر

الأوائل كانوا يتخذون لابنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة والرمي في التنبول والجثمة والطير الخاطف ورمي البنكاز والبنادق وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة والمنازلة والمطاردة ثم النجوم والعيون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج وضرب الدفوف وضرب الأوتار والوقع والنفخ في اصناف المزامير ويأمرون بتعليم ابناء الرعية الفلاحة والتجارة والبنيان والصياغة والخياطة والسرد والصبغ وانواع الحياكة ثم حتى علموا البلابل واصناف الطير الالحان وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكية والببغاء والسعل وغراب البين ويعلمون الابل والخيل والبغال والحمير والفيلة اصناف المشي واجناس الخطو ويعلمون الشواهين والصقور والبوازين

فاستحسنته فا ليث ألا أسمعه الاجرت ردائى كما ترى كما صحب هذا الرجل رسنه وأما الفنيق فانه الفحل وانما أراد خطرانه بذنبه من الخيلاء فشبه الرجل من هؤلاء اذا انتشى بالفحل وهو اذا خطر ضرب بذنبه يمنة وشامة قال ذو الرمة

وقربن بالزرق الجمائل بعدما • تقوب عن غربان أوراكها الخطر

ومن حسن الشعر وما يقرب ما أخذه قول مخيس بن أرطاة الاعرجي والاعرج الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لرجل من بني حنيفة يقال له يحيى وكان يصير الى امرأة في قرية من قرى اليمامة يقال لها بقعاء (قال أبو الحسن أنشدنه عن الرياشي نقعاء وسألت رجلا من أهل اليمامة قصيحا من بني حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه الا بقعاء بالباء)

عرضت نصيحة مني ليحيى • فقال غششتني والنصح مر

وما بي أن أكون أعيب يحيى • ويحيى طاهر الاخلاق بر

ولكن قد أتاني أن يحيى • يقال عليه في بقعاء شر

فقلت له تجنب كل شئ • يعاب عليك ان الحر حر

فهذا كلام ليس فيه فضل عن معناه وقوله ان الحر حر انما تأويله أن الحر على الاخلاق التي عهدت في الاحرار ومثل ذلك • أنا أبو النجم وشعري شعري • أي شعري كما بلغك وكما كنت تعهد وكذلك قولهم الناس الناس أي الناس كما كنت تعهدهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم) وقوله فقلت له تجنب كل شئ يعاب عليك كقول عمرو بن العاص لمعاوية حين وصف عبد الملك بن مروان فقال آخذ بثلاث تارك لثلاث آخذ بقلوب الرجال اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر الأمرين عليه اذا خولف تارك للمراء تارك لمقاربة اللئيم تارك لما يعتذر منه كقوله تجنب كل شئ • يعاب عليك ان الحر حر

• ومما يستحسن انشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعاني بين الناس قول ابن ميادة لرياح بن عثمان بن حيان المري من مرة غطفان وكلاهما من مرة غطفان يقوله في فتنة محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يعتزل القوم فلم يفعل فقتل فقال ابن ميادة

أمر تك يا رياح بأمر حزم • فقلت هشيمة من أهل نجد

والفهود والكلاب وعناق الارض الصيد ويعلمون الدواب الطحن والبخاتي الهمز حتى يروضوا الهملاج والعناق بالتخليع وغير التخليع وبالموضوع والأوسط والمرفوع ووجدنا الأشياء كلها معلمين وانما قيل للانسان العالم الصغير سليل العالم الكبير لان في الانسان من جميع طبائع الحيوان اشكالا من ختل الذئب وروغان الثعلب ووثوب الأسد وحقد البعير وهداية القطاة وهذا كثير وهذا بابه ولانه يحكي كل صوت بفيه ويصور كل صورة بيده ثم فضله الله تعالى بالمنطق والرؤية وامكان التصرف وعلى انا لا نعلم ان لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلم من الناس الاحداث المنطق المنثور ككلام الاحتجاج والصفات والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات بين الموزون من القصائد والارجاز من المزدوج والاسماع مع الكتاب والحساب

نَهِيْتُكَ عن رجالٍ من قريش ٭ على محبوكة الأصلاب جُرْدِ

ووجد اماوجدت على رباح ٭ وما أغنيتَ شيأ غير وجدي

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضعفة وأصل الهشيم النبت اذا ولّى وجفّ وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا قال الله تعالى فأصبح هشيما تذروه الرياح والنجد أعالي الأرض وقوله على محبوكة الأصلاب جرد فالمحبوك الذي فيه طرائق واحدها حباك والجماعة حبك يقال لطرائق الماء حبك وكذلك الطرائق التي على جناح الطائر من ذلك قول الله تبارك وتعالى والسماء ذات الحبك

(قال أبو الحسن ابن ميادة اسمه الرماح وأمه ميادة وأبوه أبرد وكان عاقا بأمه ولها يقول

اعرنزمي ميّاد للقوافي ٭ واستعبهن ولا تخافي ٭ ستجدين ابنك ذا قذاف

وأصل الاعرنزام التجمع والتقبض يقول استعدي لها وتهيئي وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له

ونواعم قد قلن يوم تحملي ٭ قول الجدو هن كالمراح

باليتنا من غير أمر فادح ٭ طلعت علينا العيس بالرماح

في أبيات له يعني نفسه قال أبو الحسن وتمام الابيات

بينا كذاك رأينني متعصبا ٭ بالخز فوق جلالة سرداح

فيهن صفراء المعاصم طفلة ٭ بيضاء مثل غريضة التفاح

ريشن حين أردن أن يرمينني ٭ نبلا بلا ريش ولا بقداح

ونظرن من خلل الستور بأعين ٭ مرضى مخالطها السقام صحاح)

قال أبو العباس ثم نذكر من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ثم نعود الى المقطعات ان شاء الله يروى عن ابن عمر أنه كان يقول انا معشر قريش كنا نعد الجود والحلم السودد ونعد العفاف واصلاح المال المروءة قال الأحنف بن قيس كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن لزم شيأ عرف به وقيل لعبد الملك بن مروان ما المروءة فقال موالاة الأكفاء ومداجاة الاعداء وتأويل المداجاة المداراة أي لا تظهر لهم ماعندك من العداوة وأصله من الدجى وهو ما ألبسك الليل من ظلمته وقيل لمعاوية ما المروءة فقال احتمال الجريرة واصلاح أمر العشيرة فقيل له وما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة وكان أبو سفيان اذا نزل به جار

وماشا كل ذلك ووافقه واتصل به وذهب مذهبه وقالوا انما اشتق اسم المعلم من العلم واسم المؤدب من الأدب وقد علمنا ان العلم هو الأصل والأدب هو الفرع والأدب اما خلق واما رواية وقد اطلقوا له اسم المؤدب على العموم والعلم اصل لكل خير وبه ينفصل الكرم من اللوم والحلال من الحرام والفضل من الموازنة بين افضل الخيرين والمقابلة بين انقص الشرين فلم يعرضوا لأحد من هذه الأصناف الذي اتخذ الناس لها المعلمين من جميع انواع الحق والباطل والسرف والاقتصاد والجد والهزل الا هؤلاء الذين لا يعلمون الا الكتاب والحساب والشعر والنحو والفرائض والعروض وما بالسماء من نجوم الاهتداء والانواء والسعود واسماء الأيام والشهور والمناقلات ويعنعم العرامة ويأخذهم بالصلاة في الجماعة ويدرسهم القرآن ويهذبون السنتهم برواية القصيد والأرجاز ويعاقب على

قال له يا هذا انك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبي على أهله وذلك أن الصبي قد يطلب مالا يوجد الا بعيداً و يطلب مالا يكون ألبتة قال الشاعر (هو الأعرج المعني)

ولا تحكما حكم الصبي فانه * كثير على ظهر الطريق مجاهله

وروى أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال يا أمير المؤمنين اعلم أنك لو لم تول هذا أمور المسلمين لأضعتها والأحنف جالس فقال له معاوية مالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا وأمر له بألوف فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال يا أبا بحر اني لأعلم أن شر من خلق الله هذا وابنه ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا أمسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيها وقال رجل يهجو بلال بن البعير المحاربي (الشاعر الرماح بن ميادة)

يقولون أبناء البعير وماله * سنام ولا في ذروة المجد غارب
أرادت وذا كم من سفاهة رأيها * لأهجوها لما هجتني محارب
معاذ الهي انني بعشيرتي * ونفسي عن ذاك المقام لراغب

وقال أبو الطمحان القيني (اسمه حنظلة بن الشرقي والطمحان فعلان من طمح بأنفه وبصره اذا تكبر والقين الحداد وكل صانع قين والقين أيضا موضع القيد من البعير)

واني من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب * بدا كوكب تأوي اليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه

وقال اياس بن الوليد يمدح قومه

اني وجدك من قوم اذا طلبوا * بعد النسيئة دينا أحسنوا الطلبا

التهاون ويضرب على الفرار ويأخذهم بالمناقلة والمناقلة أسباب المنافسة لمقبر بخلاف هذه السيرة وبضد هذه المعاملة

(فصل منه) وقد ذهب قوم الى أن الأدب خرق وطلبه شؤم وأنشد قول الشاعر

ما ازددت في أدبي حرفا أسر به * الا تزيدت حرفا تحته شوم
ان المقدم في حذق بصنعته * انى توجه فيها فهو محروم

ولم نر شاعرا نال بشعره الرغائب ولا أديبا بلغ بأدبه المراتب ذكر عن الأدب ولا بركة قول الشعر فانما حوم الواحد منهم والرجل الشاذ ذكر خرق الأدب وشؤم الشعر وان كان عدد من نال الرغائب أكثر من عدد من اخفق ومهما عبرنا من كان في هذه الصنعة فانا غير عابرين لابي يعقوب الخزيمي لانه نال بالشعر وأدرك بالأدب وليس الذي يعمل أكثر الناس على هذا القول الا وجدان المعاني والالفاظ فانهم يكرهون ان يضيعوا بابا من اظهار الظرف وفضل الشأن وهم عليه قادرون

لا تحسبوا هجم أبياتي علانية • ولا استلاب سلاحي ذاهباً لعبا

تبقى المعاير بعد القوم باقية • ويذهب المال فيما كان قد ذهبا

وقال آخر

ليسوا لعمرو وغيرنا شيب نسبة • ولكن عمرا غيبته المقابر

اذا عيروا قالوا مقادير قدرت • وما العار الا ما تجر المقادر

وقال رجل من بني نهشل بن دارم

اذا مولاك كان عليك عونا • أتاك القوم بالعجب العجيب

فلا تخنع اليه ولا ترده • ورام برأسه عرض الجبوب

فالشآفة من غير ذنب • اذا ولي صديقك من طبيب

قوله ورام برأسه عرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها أنشدني التوزي لرجل من بني مرة يرثي ابنه

بني على عيني وقلبي مكانه • ثوى بين أحجار ورهن جبوب

وقوله فالشآفة يقول لبغض يقال شنفت الرجل أشنفه شنافة وشآفة مثل شعفا وقد يقال في هذا المعنى شنفته قال الراجز

لما أتتني أم عمرو صدفت • ومنعتني خيرها وشنفت

وقال آخر • ولم تداو غلة القلب الشنف •

وقال نبهان بن عكي العبشمي

يقر بعيني أن أرى من مكانه • ذرا عقدات الأبرق المتقاود

وأن أرد الماء الذي شربت به • سلمى وقد مل السرى كل واجد

وألصق أحشائي ببرد ترابه • وان كان مخلوطا بسم الأساود

قوله ذرا عقدات فالذروة من كل شيء أعلاه فذروة السنام أعلاه وذروة المجد أرفعه وأسناه ويقال فلان في ذروة قومه اذا كان في الموضع الرفيع منهم وأما قول لبيد

مدمن يجلو بأطراف الذرا • دنس الأسوق عن عضب أفل

فانما يقول هذا رجل يعرقب الابل لينحرها ثم يمسح ذرا أسنمتها بسيفه ليجلو ما عليه من دم الاسوق وقوله عضب أي قاطع ومن ذلك رجل عضب اللسان وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب كما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

وقوله عقدات فهو ما انعقد وصلب من الرمل الواحدة عقدة والجمع عقد وأعقاد أيضا وعقدات

(فصل) وقد قالوا الصبي عن الصبي أفهم وبه أشكل وكذلك العاقل والعاقل والاحمق والاحمق والغبي والغبي والمرأة والمرأة قال الله تبارك وتعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لان الناس عن الناس أفهم واليهم اسكن فما أعان الله تعالى به الصبيان ان قرب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين وسمع الحجاج وهو يسير كلام امرأة من دار قوم فيه تخليط وهذيان فقال مجنونة أو ترقص صبيا ألا ترى ان أبلغ الناس لسانا وأجودهم بيانا وأدقهم فطنة وأبعدهم روية لو ناطق طفلا أو ناغى صبيا لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدا من ان ينصرف عن كل ما فضله الله به بالمعرفة الشريفة والالفاظ الكريمة وكذلك تكون المشاكلة بين المتفقين في الصناعات

(فصل في رياضة الصبي) واما النحو فلا تشغل قلبه منه الا بقدر ما يؤديه الى

قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازني يمدحه

رفعت مجد تميم يا هلال لها • رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتى نساء تميم وهي نازحة • بقلة الحزن فالصمان فالعقد

لو يستطعن اذا ما فتنة جحفت • وقينك الموت بالآباء والولد

وقوله الابرق فالأبرق حجارة يخلطها رمل وطين يقال لتلك برقة وأبرق وبرقاء يا فتى كما يقال الأمعز والمعزاء وهي الأرض الكثيرة الحصباء ومثل ذلك الأبطح والبطحاء وهو ما انبطح من الأرض فمن قال أبرق فانما أراد المكان ومن قال برقاء فانما أراد البقعة وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قدته أي جودته على استقامة وكذلك طريق منقاد وفلان قائد الجيش قال حاتم بن عبد الله الطائي يضرب هذا مثلا

ان الكريم من تلفت حوله • وان اللئيم دائم الطرف أقود

وقوله ولو كان مخلوطا باسم الاساود يريد جمع أسود سالخ وجمعه على أساود لانه يجري مجرى الاسماء وما كان من باب أفعل اسما فجمعه على أفاعل نحو أفكل وأفاكل والأكبر والأكابر وكذلك كل ما سميت به رجلا تقول أحمد وأحامد وأسلم وأسالم فان كان نعتا فجمعه على فعل نحو أحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن أسود اذا عنيت به الحية وأدهم اذا عنيت به القيد وأبطح اذا عنيت به المكان المنبطح وأبرق اذا عنيت به المكان مضارعة للاسماء لأنها تدل على ذات الشيء وان كانت في الأصل نعتا تقول في جمعها الأباطح والأبارق والأداهم والأساود فان أردت نعتا محضا يتبع المنعوت قلت مررت بثياب سود وبخيل دهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه قال جرير

هو القين وابن القين لا قين مثله • لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

وقال الأشهب بن رميلة (قال أبو الحسن رميلة اسم أمه)

أسود شرى لاقت أسود خفية • تساقوا على حرد دماء الأساود

قوله على حرد يقول على قصد فأما قول الله عز وجل وغدوا على حرد قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرنا من القصد قال الشاعر

قد جاء سيل جاء من أمر الله • يحرد حرد الجنة المغله

السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر ان أنشده وشيء ان وصفه وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الامور والاستنباط لغوامض التدبير ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالاركان والقطب الذي تدور عليه الرحا ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه وعويص النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر اليه شيء من الرأي ان يعتمد به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين وأنا أقول ان البلوغ في معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوفي فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ

(قال أبو حاتم هذه صنعة من لا أحسن الله ذكره يعني قطربا) وقالوا على حرد أي على منع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت درها (قال أبو الحسن رواية أبي العباس يقر بعيني يريد بقر عيني ثم أتى بالباء توكيدا وقال لنا هكذا سمعته ويقال أقر الله عينه بقرها وقرت عينه تقر وقررت بالمكان أقر وقال الأصمعي قرت عينه من القر وهو البرد أي جمدت فلم تدمع وهو بحذاء سخنت عينه وأجود مما روي عندي يقر بعيني وهو الاصل والباء في موضعها غير مؤكدة وقال أبو العباس الذي رويت وقد ملّ السرى كل واحد وهو المنفرد في السير المتوحد به وروى غيره كل واجد أي عاشق وروى أيضا كل واخد وهو من الوخد والوخدان وهو السير الشديد والوخد المصدر والوخدان الاسم) قال أبو العباس وقال القتال الكلابي واسمه عبيد بن المضرحي

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي • اذا ترامى بنو الاموان بالعار

لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة • لواضح الخد يحمي حوزة الجار

من آل سفيان أو ورقاء يمنعها • تحت العجاجة ضرب غير عوار

بالبيتي والمني ليست بنافعة • لمالك أو لحصن أو لسيار

طوال أنضية الأعناق لم يجدوا • ريح الاماء اذا راحت بأزفار

قوله اذا ترامى بنو الاموان بالعار فالاموان جمع أمة وأصل أمة فعلة متحركة العين وليس شيء من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يستدل عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقا منه لان اقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يلحق التصغير ما كان أقل منها فأمة قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم اموان كما علمنا أن الذاهب من أب وأخ الواو بقولهم أبوان وأخوان وعلمنا أن أمة فعلة متحركة بقولهم في الجميع آم فوزن هذا أفعل كما قالوا أكمة وآكم ولا تكون فعلة على أفعل ثم قالوا اموان كما قالوا في المذكر الذي هو منقوص مثله اخوان واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا في فعل الساكن العين تقول كلب وكلاب وكعب وكعاب كما تقول في المؤنث طلحة وطلاح وجفنة وجفان وصحفة وصحاف ونظير ذلك من غير المعتل ورل وورلان وبرق وبرقان وخرب وخربان وهو ذكر الحبارى والبرق الحمل ومن أنشد أموان فقد غلط لانه يجتمع بقولهم حمل

في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لان في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجا بلاغا وليس كذلك حال الحساب ثم خذ بتعريف جميع الكتاب وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذره التكلف واستكراه العبارة فان أكرم ذلك كله ما كان افهاما للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصورا على معناه لا مقصرا به عنه ولا فاضلا عليه فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المنعقد مغرقا في الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد ان يتبين له القول وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل ان يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر

وحملان وقلق وفلقان وهذا انما يحمل على ما كان معتلا مثله نحو أخ واخوان وقد روى أبو زيد أخوان فالى هذا ذهبوا والقياس المطرد لا تعترض عليه الرواية الضعيفة وقوله لا أرضع الدهر فهذا على لغته لان قيسا تقول رضع يرضع وأهل الحجاز يقولون رضع يرضع وينشدون بيت عبد الله بن همام السلولي على وجهين وهو

اذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا • ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها • أفاويق حتى ما يدر لها ثعل

وبعضهم يقول يرضعونها وقوله لا أرضع الدهر الا ثدي واضحة يقول انما ترضعني أمي وليست غير كريمة كما قال الاعشى

ياخير من يركب المطي ولا • يشرب كأسا بكف من بخلا

يقول انما تشرب بكفك ولست ببخيل ومثل هذا قول التميمي لنجدة بن عامر الحنفي الخارجي

متى تلق الحريش حريش سعد • وعبادا يقودا الدارعينا
تبين أن أمك لم تورك • ولم ترضع أمير المؤمنينا

وقوله واضحة أي خالصة في نسبها وليست بأمة وهذا توكيد لبيته الاول وقد أنشد بعضهم لواضح الجد والمعنى قريب وقوله يحمي حوزة الجار أي ما يحوزه يقال فلان مانع لحوزته أي لما صار في حيزه ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال الأزد أربع ليست لحي بذل لما ملكت أيديهم ومنع لحوزتهم وحي عمارة لا يحتاجون الى غيرهم وشجعان لا يجبنون وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار فهؤلاء بيت فزارة وبيوتات العرب في الجاهلية ثلاثة فبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة وبيت قيس بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت بكر بن وائل بنو شيبان ومركزه بنو ذي الجدين وقوله طوال أنضية الأعناق فالنضي مركب النصل في السنخ وضربه مثلا وانما أراد طوال الاعناق كما قال الاعشى

الواطئين على صدور نعالهم • يمشون في الدفني والأبراد

يريد السودد والنعمة ولم يخصص الصدور وانما أراد النعال كلها وقال الشاعر (هو الشمردل ابن شريك اليربوعي عن ابن قتيبة)

يشبهون ملوكا في تجلتهم • وطول أنضية الأعناق واللمم

اليه المعنى بجواو يلزقه به الزاقا حتى كان الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الآبه والآفة الكبرى ان يكون رديء الطبع بطيء اللفظ كليل الحد شديد العجب ويكون مع ذلك حريصا على أن يعد في البلغاء شديد الكلف بانتحال اسم الادب فاذا كان كذلك خفي عليه فرق ما بين اجابة الالفاظ واستكراهها وبالجملة ان لكل معنى شريف أو وضيع هزلا أو جدا وحزم أو ضاعه ضرب من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذي لا ينبغي ان يجاوزه أو يقصر دونه ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران ها هنا في وزن الربح هناك لان من كانت غايته انتزاع الالفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى أن يستعملها قبل وقتها ويضعها في غير مكانها

اذا بدا المسك يندى فى مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يروى يشبهون قروبشا فى تجلتهم) وقوله بأزفار فالزفر الحمل ويضرب مثلا الرجل فيقال انه زفر أى حمال للأثقال ويقال أى حمله فازدفره قال أبو قحافة أعشى باهلة

أخو رغائب يعطيها ويسئلها * يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

وانما يريده بعينه كقولك لئن لقيت فلانا ليلقينك منه الأسد وقوله النوفل من قولهم انه لذو فضل ونوافل وقال رجل من بنى عبس (قال أبو الحسن يقوله لعروة بن الورد)

لا تشتمنى يا ابن ورد فاننى * تعود على مالى الحقوق العوائد
ومن يؤثر الحق النؤوب تكن به * خصاصة جسم وهو طيان ماجد
وانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

قوله النؤوب يريد الذى ينوبه وكل واو انضمت لغير علة فأنت فى همزها وتركها بالخيار تقول فى جمع دار أدؤر وان شئت لم تهمز وكذلك النؤوب والقؤول لانضمام الواو فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهى مدة فلا يعتد بها ولو التقت واوان فى أول كلمة وليست احداهما مدة لم يكن بد من همز الاولى تقول فى تصغير واصل وواقد أويصل وأويقد لا بد من ذلك فأما وجوه فان شئت همزت فقلت أجوه وان شئت لم تهمز قال الله عز وجل واذا الرسل أقتت والاصل وقتت ولو كان فى غير القرآن لجاز اظهار الواو ان شئت وقوله تعالى ما ووري عنهما الواو الثانية مدة فلا يعتد بها ولو كان فى غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو وقولى اذا انضمت من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها اعرابا نحو هذا غزو يافتى ودلو كما ترى فهذا مما لا يجوز همزه لان الضمة للاعراب فليست بلازمة أو تنضم لالتقاء الساكنين فذلك أيضا غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخشوا الرجل ولتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولترون الجحيم ومن همز من هذا شيأ فقد أخطأ وقال رجل من بنى تميم

ألبان ابل تعلة بن مسافر * ما دام يملكها على حرام
وطعام عمران بن أوفى مثلها * ما دام يسلك فى البطون طعام

ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك قال صاحبه ولم ذاك قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وانما هى رياضة وسياحة والرفيق مصلح والأخرق مفسد ولا بد من هذان طبيعة مناسبة وسماع الالفاظ ضار ونافع فالوجه النافع ان يدور فى مسامعه ويغيب فى قلبه ويختم فى صدره فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت وكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة لانها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقر اذ لم يكن القصد الى شئ بعينه والاعتماد عليه دون غيره وبين الشئ اذا عشش فى الصدر ثم باض ثم فرخ ثم نهض وبين ان يكون الخاطر مختارا واللفظ اعتسافا واغتصابا فرق بين ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكال وعلى السرقة والاحتيال لم ينل طائلا وشق عليه النزوع واستولى عليه الهوان

ان

إن الذين يسوغ في أعناقهم • زاد يمن عليهم للئام

لعن الإله تعلة بن مسافر • لعناً يشن عليه من قدام

وهذا كلام فصيح جداً قوله يسوغ في أعناقهم يريد حلوقهم لأن العنق يحيط بالحلق ويشبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القطامي

لم ترقوماهم شر لأخوتهم • منا عشية يجري بالدم الوادي

نقريهم لهذميات نقد بها • ما كان خاط عليهم كل زراد

لأن الخياطة تضم خرق القميص والسرد يضم حلق الدرع فضربه مثلاً فجعله خياطة (قال أبو الحسن روى أبو العباس • وطعام عمران بن أوفى مثلها • رد الهاء والألف على الألبان وهذا لا نظر فيه وروى أيضاً مثله لأن الألبان تجري مجرى اللبن فحمله على المعنى وقد يجوز أن تجعل الألبان جماعة فتذكر لتذكير الجمع وروى أيضاً • مادام يسلك في الحلوق طعام • وروى الفراء في هذا الشعر • إن الذين يسوغ في أحلاقهم • وإنما كان ينبغي أن يكون في أحلقهم كقولك فلس وأفلس وما أشبهه ولكنه شبه باب فعل بباب فعل كما قالوا زند وأزناد وفرخ وأفراخ قال الحطيئة لعمر رحمه الله تعالى

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ • حمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب فعل كما شبهوا فعلاً بفعل في الجمع فقالوا أجبل وأجبال وزمن وأزمن كما قال

إني لأكني بأجبال عن اجبلها • وباسم أودية عن اسم واديها

فأتى به على الأصل وتشبيهاً بغيره على ما أخبرتك وقال ذو الرمة

أمنزلتي مي سلام عليكما • هل الأزمن اللائي مضين رواجع

والباب أزمان كما قال رؤبة • أزمان لا أدري وإن سألت • ما فرق بين جمعة وسبت

وروى أبو العباس البيت الأخير مقوى وجعله نكرة وهو قوله من قدام كما تقول جئتك من قبل ومن بعد ومن عل وما أشبهه كما قرأ بعضهم لله الأمر من قبل ومن بعد كما تقول أولاً وآخراً ورواه الفراء من قدام وجعله معرفة وأجراه مجرى الغايات نحو قبل وبعد كما قال طرفة بن العبد

ثم تفري اللجم من تعدائها • فهي من تحت مشيحات الحزم

واستهلكه سوء العادة والوجه الضار ان يحفظ ألفاظا باعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد ان يعد لتلك الالفاظ قسمها من المعاني فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا مسروقا ولا يكون الا مستكرها لالفاظه متكلفا لمعانيه مضطرب التأليف منقطع النظام فاذا مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ثم اعلم أن الاستكراه في كل شئ سمج وحيث ما وقع فهو مذموم وهو في الطرف أسمج وفي البلاغة أقبح وما أحسن حاله ما دامت الالفاظ مسموعة من فمه مسرودة في نفسه ولم تكن مخلدة في كتبه وخير الكتب ماذا اعيدت النظر فيه زاد في حسنه وأوقفك على حده

(فصل في ذم اللواط)

والذي يدل على أن هذه الشهوة معيبة في نفسها قبيحة في عينها ان الله تعالى وعز لم يعوض في الآخرة بشهوة الولدان من ترك لوجهه في الدنيا شهوة

وكما قال عدي بن مالك العقيلي أنشده الفراء أيضا

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراءُ وراءُ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهة التعريف وجهة التعريف أن يكون معرفا بنفسه كزيد وعمرو أو يكون معرفا بالألف واللام أو بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو معرف بالمعنى فلذلك بني اذ خرج من الباب ويروى لعنا يسن عليه بالسين ويسن ويشن واحد أي يصب الآن بعضهم قال السن الصب على جهة واحدة وقالوا يقال شننت عليه الماء وسننته وسننت عليه الدرع لاغير وقالوا اشننت عليه الغارة لاغير) قال أبو العباس وقال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته * فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وأفراسا حسانا

وكن اذا أغرن على قبيل * فأعوزهن كون حيث كانا

أغرن من الضباب على حلال * وضبة انه من حان حانا

وأحيانا على بكر أخينا * اذا ما لم نجد الا أخانا

قوله الحضارة يريد الأمصار وتقول العرب فلان باد وفلان حاضر وفي الحديث ولا يبيعن حاضر لباد وتأويل ذلك أن البادي يقدم وقد عرف أسعار ما معه وما مقدار ربحه فاذا جاءه الحاضر عرفه سنة البلد فأغلى على الناس ومثل ذلك النهي عن تلقي الجلب ومثله دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين وأنشد الاصمعي

أقوم يبعثون العير نجرا * أحب اليك أم حي حلال

(باب)

قيل لمعاوية ما النبل فقال الحلم عند الغضب والعفو عند القدرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده ألا أخبركم بشر من ذلكم من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا ألا أخبركم بشر من ذلكم من يبغض الناس ويبغضونه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى

بذمتهم

الغلمان كما يسقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون كأنه تبارك وتعالى قال لا سكر فيها ولا خمار وفي اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء انقطاع النسل وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدين والدنيا وغشيان الرجل الرجل والمرأة المرأة من المنكوس المعكوس ومن المبدل المقلوب لان الله جل ذكره انما خلق الذكر للأنثى وجعل بينهما أسباب التحاب وعلائق الشركة وعلل المشاكلة وجعل الذكر طبقا للأنثى وجعل الأنثى سكنا للرجل فقلب هؤلاء الامر وعكسوه واستقبلوا من اختار الله لهم بالرد والزهد فيه

(فصل) ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع ويكنى أبا عمرو وكان يتولى لآل الاهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم

بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه قوله صلى الله عليه وسلم تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كفء لفلان أى عديله وموضوع بحذائه قال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد ويقال فلان كفاء فلان وكفىء فلان وكفء فلان ويروى أن الفرزدق بلغه أن رجلا من الحبطات بن عمرو بن تميم خطب امرأة من بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فقال الفرزدق

بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع • وتنكح فى أكفائها الحبطات

فآل مسمع بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهم من بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم فقوله أكفاؤهم انما هو جمع كفء يا فتى فقال رجل من الحبطات يجيبه

أما كان عباد كفيئا لدارم • بلى ولأبيات بها الحجرات

يعنى بنى هاشم من قول الله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته وقال قيمة كل امرئ ما يحسن وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجلس وتدعوه بأحب الاسماء اليه وقال كفى بالمرء غيا أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيأ ثم يأتى مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه وقال عبد الله بن العباس لبعض اليمانية لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن السيوف صميمها يعنى سهيلا من النجوم والركن اليمانى وصمصامة عمرو بن معدى كرب ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال يوما من أجود العرب فقيل له حاتم قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس بن حجر قال فمن فارسها قيل عمرو بن معدى كرب قال فأى سيوفها أمضى قيل الصمصامة وقال معاوية بن أبى سفيان للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وابنة قرظة فى بيت يقرب منه فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أخرج اليهم فأسطو بهم فقال لها معاوية ان مضر كاهل العرب وتميما كاهل مضر وسعدا كاهل تميم وهؤلاء كاهل سعد وكان معاوية يقول انى لا أحمل السيف على من لا سيف معه وان لم تكن الا كلمة يشتفى بها مشتف جعلتها تحت قدمى ودبر أذنى المقذع الذى فيه اقذاع وهو السيء من القول

والترجمة واختراع المعانى وابتداع السير وكان جوادا فارسا جميلا وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولم يكن يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من أين غر المغتر ووثق الواثق واذا أردت ان تختبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بان تنظر فى آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم ردئ المدخل فى مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شئ الا نفذ فيه كالذى اعترى الخليل بن أحمد بعد احسانه فى النحو والعروض ان ادعى العلم بالكلام وبأوزان الاغانى فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد الا بخذلان الله تعالى فلا حرمنا الله تعالى عصمته ولا ابتلانا بخذلانه

(فصل) وهذان

(باب)

قال أبو العباس قال رجل أحسبه من بني سعد يرثي رجلا

ومختصر المنافع أريحي * نبيل في معاوزة طوال
عزيز عزة في غير فحش * ذليل للذليل من الموالي
جعلت وساده احدى يديه * وتحت جنانه خشبات ضال
ورثت سلاحه وورثت ذودا * وحزنا دائما أخرى الليالي

قوله أريحي هو الذي يرتاح للمعروف أي يخف له ويقال أخذت فلانا أريحية أي خفة وحركة لفعل المعروف والمعاوز الثياب التي يتبذل فيها الرجل وهي دون الثياب التي يتجمل بها واحدها معوز قال الشماخ في نعت القوس

اذا سقط الانداء صينت وأشعرت * حبيرا ولم تدرج عليها المعاوز

وقوله في معاوزة فزاد الهاء فانما يفعل ذلك لتحقيق التأنيث لان كل جمع مؤنث كما تقول في جمع صيقل صياقل وصياقلة وكذلك جوارب وجواربة الا أن أكثر الاعجمي يختص بالهاء وهو في العربي جيد وفي العجمي أكثر استعمالا نحو الموازجة فان كان منسوبا كان الباب فيه اثبات الهاء وتركها جائز نحو المهالبة والمسامعة والمناذرة والاحامرة وقالوا السيابجة لانه قد اجتمع فيه النسب والعجمة وقوله وتحت جنانه يعني شخصه والضال السدر البري وما كان من السدر على الانهار فليس بضال ولكن يقال له عبري قال ذو الرمة

(قطعت اذا تجوبت العواطي * ضروب السدر) عبريا وضالا

وقوله ورثت سلاحه وورثت ذودا يصف قرب نسبه منه والذود القطعة من الابل وأكثر ما يستعمل ذلك في الاناث ويجوز في السائر ومنه قولهم الذود الى الذود ابل ثم قال

* وحزنا دائما أخرى الليالي * كما قال الأول وغبط بميراث ورثه من أحد أهله

يقول جزء ولم يقل جللا * أني تزوجت ناعما جذلا
ان كنت أزننتني بها كذبا * جزء فلاقيت مثلها عجلا
أغبط أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

الشاعران جاهليان بعيدان من التوليد وبنجوة من التكليف (فصل) ومن خصال العبادة وان كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أرد في عاجل ولا أفضل في آجل من حسن الظن بالله تعالى وعز ثم اعلم أن أعقل الناس السلطان ومن احتاج الى معاملته وعلى قدر الحاجة اليه ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة وما أقرب فضل الراعي على الرعية من فضل السائس على الدابة ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا كما انه لولا المسيم لوثب السباع على السوام ودعني من تدريس كتب أبي حنيفة ودعني من قولهم اصرفه الى الصيارفة فان صناعة الصرف تجمع مع الكتاب والحساب المعرفة باصناف الأموال ولا تجد بدا من حلة السلطان ودعني من قول من يقول قد كانت قريش تجارا فان هذا باب لا ينقاس ولا يطرد ومن قاس تجار الكرخ وباعته وتجار

قوله ولم يقل جللا أى صغيرا والجلل يكون الصغير ويكون الكبير من ذلك قوله

كُلُّ شَيْءٍ ما خلا الله جَلَلْ • أى صغير وقال لبيد فى الكبير

وأرى أربد قد فارقني • ومن الأرزاء رزء ذو جلل

وقوله شصائصا يعنى حقيرة دميمة وزعم التوزى أن النبل من الاضداد يكون الجليل والحقير واحتج بهذا البيت الذى ذكرناه قال يريد ههنا الحقيرة وقوله أزننتنى أى قرفتنى ونسبتنى اليه يقال فلان يزن بكذا وكذا أى يسمى به وينسب اليه قال امرؤ القيس بن حجر

كذبت لقد أصبى على المرء عرسه • وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى

وفى معنى قوله ورثت سلاحه قول الشاعر

يفرح الوارث بالمال اذا • ورث المال ويبكى ان غضب

ومثله قول نعامة الفزارى • يا حبذا التراث لولا الذله • وقال جميل بن معمر

ما صائب من نابل قذفت به • يد وممر العقدتين وثيق

له من خوافى النسر حم نظائر • ونصل كنصل الزاعبى فتيق

على نبعة زوراء أيما خطامها • فمتن وأيما عودها فعتيق

بأوشك قتلا منك يوم رميتنى • نوافذ لم تعلم لهن خروق

كأن لم تحارب يا بثين لو انها • تكشف غماها وأنت صديق

قوله ما صائب يريد قاصدا يقال صاب يصوب اذا قصد ومن ذلك قوله تعالى أو كصيب من السماء وقد قالوا النازل والقصد أحكم كما قال بشر بن أبى خازم الاسدى

تؤمل أن أؤوب لها بغنم • ولم تعلم بأن السهم صابا

(صدر البيت عن أبى الحسن) وقوله وممر العقدتين يعنى وترا والممر الشديد الفتل وقوله من خوافى النسر حم نظائر يريد ريش السهم والحم السود وذلك أخلصه وأجوده وجعلها نظائر فى مقاديرها لانه أقصد للسهم واذا كانت الريشات بطن الواحدة منها الى ظهر الاخرى فهو الذى يختار وهو الذى يقال له اللؤام وانما أخذ من قولهم ملتئم وان كان ظهر الواحدة الى ظهر الاخرى وبطنها الى بطن الاخرى فذلك مكروه ويقال له اللغاب وقوله كنصل الزاعبى شبه نصل السهم

الاهواز والبصرة على تجار قريش فقد أخطأ مواضع القياس وجهل اقدار العلل قريش قوم لم يزل الله تعالى يقلبهم فى الأرحام البريئة من الآفات وينقلهم من الاصلاب السليمة من العاهات ويبقيهم لكل جسيم ويربيهم لكل عظيم ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه فى التجارة لعرف اختلاف السبل وتفاوت ما بين الطرق ولو كانت علتهم فى ذلك كعلة تجارة الابلة ومحتكرى أهل الحيرة لثلمت دقة التجارة فى اغراضهم ولنهك شفف الربح من مروآتهم ولصغر ذلك من اقدارهم فى صدور العرب ولوضع من علوهم عند أهل الشرف وكيف وقد ارتحلت اليهم الشعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء فاسنوا لهم العطية ولم يقصروا عن غاية فسقوا الحجيج وأقاموا القرى لزوار الله تعالى وهم بواد غير ذى زرع فلولا انه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول

بنصل الرمح الزاعبي وهو منسوب الى رجل من الخزرج يقال له زاعب كان يعمل الاسنة هذا قول قوم وأما الاصمعي فكان يقول الزاعبي هو الذي اذا هز فكأن كعوبه يجري بعضها في بعض للينه وتثنيه يقال مر يزعب بحمله اذا مر به مراسهلا وقوله فتيق يعني حادا رقيقا يقال فتيق الشفرتين وتأويله انه يفتق ما يحمد به له وفعيل يقع اسم الفاعل ويقع للمفعول فأما الفاعل فمثل رحيم وعليم وحكيم وشهيد وأما ما كان للمفعول فنحو جريح وقتيل وصريع وقوله زورا يريد معوجة وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى وقوله على نبعة يعني قوسا وأكرم القسي ما كان من النبع وقوله أيما يريد أما واستثقل التضعيف فأبدل الياء من احدى الميمين وينشد بيت ابن أبي ربيعة

رأت رجلا أيما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

وهذا يقع وانما بابه أن تكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال فيكرهون التضعيف والكسر فيبدلون من المضعف الأول الياء للكسرة وذلك قولهم دينار وقيراط وديوان وما أشبه ذلك فان زالت الكسرة وانفصل أحد الطرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت دنانير وقراريط ودواوين وكذلك ان صغرت قلت قريريط ودنينير وقوله وأيما عودها فتيق يصف كرم هذه القوس وعتقها ويحمد منها أن تترك ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشماخ

فمظعها حولين ماء لحائها * وينظر منها أيها هو غامز

مظعها أشربها (قوله فظعها حولين أي تركها في الظل حولين حتى تشرب ماء القضاء يقال تمظع الرجل الظل اذا تحول من مكان الى مكان) وقوله بأوشك قتلا منك يقول بأسرع يقال أمر وشيك أي سريع ويقال يوشك فلان أن يفعل كذا وكذا أي يقارب ذاك ويوشك يفعل كذا بطرح أن كل ذلك جيد قال الشاعر (هو أمية بن أبي الصلت)

يوشك من فر من منيته * في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما * للموت كأس فالمرء ذائقها

(قال أبو الحسن هذه الابيات أربعة وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج أولها

ما رغبة النفس في الحياة وان * عاشت قليلا فالموت لاحقها

ومن الجد ما يخرج فيه العيون لما أصلح طباعهم الشئ الذي يفسد جميع الأمة ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث غيرهم من الضيق ولو كانت سبلهم عند الملوك اذا وفدوا عليهم أو وردوا بلادهم بالتجارات سبل غيرهم من التجار لما أوجهوهم وقربوهم ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخاص واذا كانت قريش حسا تنسك في دينها وتناله في عبادتها وكان مانعا لهم من الغارات والسباء ومن وطء النساء من جهة المغنم ولذلك لم يئدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السباء ولا زوجوا أحدا من العرب حتى يتحمس ويدين بدينهم ولذلك لما صاروا الى بناء الكعبة لم يخرجوا في بنائها من أموالهم الا مواريث آبائهم ونسائهم خوفا من أن يخالطه شئ من حرام اذ كانت أرباح التجارات مخوفا عليها اذ ذلك فلما كانوا بواد غير ذي زرع ويحتاجون الى الأقوات

وأيقنت أنها تعود كما * كان براها بالأمس خالقها)

قوله غبطة أى شابا يقال اعتبط الرجل اذا مات شابا من غير مرض وأصل العبيط الطرى من كل شئ وقوله فوا فذلم تعلم لهن خروق معنى طريف وقد أخذه أبو حية منه فكشفه فى أبيات مختارة وهى (اسم أبى حية الهيثم بن الربيع)

وان دما لو تعلمين جنيته * على الحى جانى مثله غير سالم
أما انه لو كان غيرك أرقلت * اليه القنا بالراعفات اللهاذم
ولكن لعمر الله ما طل مسلما * كغر الثنايا واضحات الملاغم
اذا هن ساقطن الحديث كأنه * سقاط حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فأقصدن القلوب فلم تجد * دما مائرا الا جوى فى الحيازم

(الكاف فى قوله كغر فاعلة بقوله طل ومنه قول الاعشى

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وقول امرئ القيس وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

قال أبو الحسن وأول هذه الابيات المختارة أنشدناه غيره

خبرك الواشون أن لن أحبكم * بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذى تعلمينه * شفاء لنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة * بنا وبكم أف لاهل النمائم

قال أبو العباس فهذا مأخوذ من ذلك وقوله ولكن لعمر الله ما طل مسلما يقول ما طل دمه يقال دم مطلول اذا مضى هدرا كما قال الراجز * بغير عقل ودم مطلول * وحدثنى التوزى قال قال يحيى بن يعمر لرجل نازعته امرأته عنده ان طالبتك بثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قوله ثمن شكرها فانما يعنى الرضاع والشبر النكاح والشكر الفرج وقوله أنشأت تطلها أى تسعى فى بطلان حقها وقوله تضهلها أى تعطيها الشئ بعد الشئ يقال بئر ضهول اذا كان ماؤها يخرج من جوانبها شيأ بعد شئ وجوابها جوانبها وانما يغزر ماؤها اذا خرج من قرارتها فتعظم جمتها وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض قال الفرزدق

واقامة القرى لم يجدوا بدا من أن يتكلفوا ما يعيشهم ويصلح شأنهم فأخذوا الايلاف ورحلوا الى الملوك بالتجارات فهذا هو السبب فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم فيسرك بعد هذا ان يحول ابنك فى مسلاخ صالح الذرابيرى أو فى طباع ابن آدم وفى عقل بن سامرى فان زعموا ان أصحاب السلطان بعرض مكروه فليعلموا ان كل مسافر بعرض مكروه وقد قال بعض الحكماء المسافر ومتاعه على قلت الا من حفظ الله تعالى يعنى على هلاك وراكب البحر أشد خطرا ومشترى طعام الاهواز أشد تهورا ورافع الشراع بعرض هلكة والمتعرض للام والمعرض نفسه للسباع أقل شفقة وسكان الجزائر والسواحل أحق بالتعرض وأولى بالخوف والمنهوم بالطعام الردئ والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير والمتبارى فى ذلك والمتزيد منه أحق بتوقع الحدثان وحوادث الازمان فليس عليه عادة الدهر وسيرة الايام

سقتها خروقٌ فى المسامع لم تكن ● علاطًا ولا مخبوطةً فى الملاغم

يقول علم أرباب الماء لمن هى فسقاها اسمعوه من ذكر أصحابها العزهم ومنعتهم ولم تمتنع أن تكون بها سمةٌ والعلاط وسمٌ فى العنق والخباط فى الوجه

(باب)

قال بعض الحكماء من أدّب ولده صغيرا سرَّ به كبيرا وكان يقال من أدب ولده أرغم حاسده وقال رجل لعبد الملك بن مروان انى أريد أن أسرَّ اليك شيأ فقال عبد الملك لاصحابه اذا شئتم فانهضوا فأراد الرجل الكلام فقال له عبد الملك قف لا تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ولا تكذبنى فانه لا رأى لمكذوب ولا تغتب عندى أحدا فقال الرجل يا أمير المؤمنين أفتأذن لى فى الانصراف قال له اذا شئت وقال بعض الحكماء ثلاث لا غربة معهن مجانبة الريب وحسن الادب وكف الاذى وقال عمرو بن العاصى لدهقان نهر تيرى بم ينبل الرجل عندكم فقال بترك الكذب فانه لا يشرف الا من يوثق بقوله و بقيامه بأمر أهله فانه لا ينبل من يحتاج أهله الى غيره وبمجانبة الريب فانه لا يعز من لا يؤمن أن يصادف على سوأة و بالقيام بحاجات الناس فانه من رجى الفرج لديه كثرت غاشيته وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وان كان قبل وضيعا و بعد صيته وان كان خاملا وساد وان كان غريبا وكثرت الحاجة اليه وان كان مقترا وكان يقال عليكم بالادب فانه صاحب فى السفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسبب الى طلب الحاجة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أفضل ما أعطيته العرب الابيات يقدمها الرجل أمام حاجته فيستعطف بها الكريم و يستنزل بها اللئيم وكان شعبة ابن الحجاج أو سماك بن حرب (قال أبو الحسن هو سماك بلا شك) اذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه وقال بعض الملوك لبعض وزرائه وأراد محنته ما خير ما رزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال فأدب يتحلى به قال فان عدمه قال فمال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وقيل لرجل من ملوك العجم متى يكون العلم شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقال أزدشير من لم يكن عقله أغلب خلال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خلال الخير عليه وقال محمد بن على بن

وهذا كله أحق بالاهتمام وان كنت الى الاشفاق تذهب والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه وكيف دار الأمر فان التاجر قد استشعر الذل وتغشى ثوب المذلة وصاحب السلطان قد تجاوز حد العز والهيبة وانما عيبه شكر السلطان وافراط التعظيم قد استبطن بالعز وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كل مضر واصلاح كل فاسد واقامة كل معوج وعمارة كل خرب ولا أعلم فى الأرض أعم افلاسا ولا أشد نكبة ولا أكثر تحولا من يسر الى عسر ولا رأينا الحوائج الى أحد أهدى منها الى أموال الصيارفة فكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر والنكبات فيهم أقل وبعد هذا فانى أرى ان لا تستكرهه فتبغض اليه الأدب ولا تهمله فيعتاد اللهو على انى لا أعلم فى جميع الارض شيأ أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء والفراغ الفاضل

عبدالله بن العباس وذكر رجلا من أهله انى لأكره أن يكون لعلمه فضل على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضل على علمه وقال محمد بن على بن الحسين جميع التعايش والتناصف والتعاشر فى ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير ولا حظاً فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد عرفه وفطن به

(باب)

قال رجل من بنى عبدالله بن غطفان وجاور فى طيئ وهو خائف

جزى الله خيراً طيئاً من عشيرة • ومن صاحب تلقاهم كل مجمع

هم خلطونى بالنفوس ودافعوا • ورائى بركن ذى مناكب مدفع

وقالوا تعلم أن مالك ان يصب • نفدك وان تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بنى سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور فى طيئ

كأن الجار فى نمجى بن جرم • له نعماء أو نسب قريب

يحاط ذماره ويذب عنه • ويحمى سرحه أنف غضوب

ألفت مساكن الجبلين انى • رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيئ والغوث قبيلة من طيئ) وأنشدنى عبدالوهاب بن جنبة الغنوى لعبيد بن العرندس الكلابى يصف قوما نزل بهم

هينون لينون أيسار ذوو يسر • سواس مكرمة أبناء أيسار

لا ينطقون على العمياء ان نطقوا • ولا يمارون ان ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(قال أبو الحسن حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال حدثت عن أبى الفضل العباس بن الفرج الرياشى قال قصد رجل من الشعراء ثلاثة اخوة من غنى وكانوا مقلين فامتدحهم فجعلوا له عليهم فى كل سنة ذوداً فكان يأتى فيأخذ الذود والشعر الذى امتدحهم به قوله

يا دار بين كليات وأظفار • والحمتين سقاك الله من دار

عن الجهاد فى دراسة العلم ممن كان فارغا من أشغال الرجال ومطالب ذوى الهمم واحتل فى أن تكون أحب اليه من أمه ولا تستطيع أن يحصل المقة ويصفى لك المودة مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل التأديب عند من لم يبلغ حال العارف بفضل فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان وبذل المال ولهذا مقدار من حازه أفرط والافراط سرف ومن قصر عنه فرط والمفرط مضياع ولا تستكثرن هذا كله فان بعض النعمة فيه تأتى على أضعاف النعامة والذى تحاول من اصلاح أمر من تؤمل فيه أن يقوم فى أهلك مقامك واصلاح ما خلفت كقيامك الحقيق بالحيطة عليه وباعطائه المجهود من نفسك وقال زكريا عليه السلام رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فعلم الله تبارك وتعالى فوهب له غلاما وقال الله عز وجل وليس الذكر كالأنثى اعلم انه اعطاك ولدا غيرة عين العدو وقرة عين

عَلى تَقادُمِ ما قَدْمَتْ من عُصُرٍ • مع الذى مَرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنّا غَنيتِ بذاتِ الرِّمثِ من أَجَلى • والعَهْدُ منك قديمٌ مُنذُ أعصارِ

أراد أنى فقلب الهمز عينا

وقد نرى بكِ والأيامُ جامعةٌ • بيضًا عقائلَ من عينٍ وأبكارِ
فيهنّ عَتّمةُ لا يعلمنَ عثرتها • ولا عَلِمنَ لها يومًا بأسرارِ
اذ يحسبُ الناسُ أن قد نلتَ نائلَها • قِدمًا وأنتَ عليها عاتبٌ زاري
بل أيها الراكبُ المغني شبيبتَه • يبكي على ذاتِ خلخالٍ وأسوارِ
خبِّر ثناءَ بني عمرٍو فانهم • أولو فضولٍ وأنفالٍ وأخطارِ
هينونَ لينونَ أيسارٌ ذوو كرمٍ • سوّاسُ مكرمةٍ أبناءُ أيسارِ
فيهم ومنهم يعدُّ المجدُ متّلدًا • ولا يُعدُّ نثا خزيٍ ولا عارِ
لا ينطقونَ على العمياءِ ان نطقوا • ولا يمارونَ ان ماروا باكثارِ
وان تليّنتهم لانوا وان شهموا • كشفتَ أذمارَ حربٍ غيرَ أغمارِ
ان يُسألوا العرفَ يعطوه وان جهدوا • فالجهدُ يكشفُ منهم طيبَ أخبارِ
من تلقَ منهم تقلْ لاقيتُ سيدَهم • مثلَ النجومِ التى يسرى بها السارى)

قال أبو العباس وكان قوم نزلوا ببني العنبر بن عمرو بن تميم والقوم من بنى ضبّة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يغيثوهم وجعلوا يدًا فعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببنى مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم فركبوا فردّوها عليهم فقال المكعبرا الضبي فى ذلك (اسمه حريث بن عفوظ)

أبلغ طريفًا حيث شطّت بها النوى • فليس لدهر الطالبين فناءُ
كسالى اذا لاقيتهم غيرُ منطقٍ • يلهى به المحروبُ وهو عناءُ
وانى لارجوكم على بطء سعيكم • كما فى بطون الحاملات رجاءُ
أخبر من لاقيتُ ان قد وفيتم • ولو شئتُ قال المخبرون أساؤا
فهلا سعيتم سعى أسرة مالك • وهل كفلائى فى الوفاء سواءُ
كأن دنانيرًا على قسماتهم • وان كان قد شفّ الوجوه لقاءُ

الصديق الولى فاحمد الله وأخلص له فى الدعاء وأكثر من الخير ان شاء الله تعالى
(فصل من كتاب التربيع والتدوير)
فانظر فى مسالمة النفوس مع تقارب منازلها ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل ولم كانت الكثرة علة التخاذل والقلة سببا للتناصر وما فرق ما بين المجازاة والتحاسد وبين المنافسة والتغالب فانك متى عرفت ذلك استرحت منا ورجونا ان نستريح منك وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف يعرف المحدود من لم يسمع الفصول بل كيف يعرف الحجة من الشبهة والعذر من الحيلة والواجب من الممكن والعقل من الموسوم والمحال من الصحيح والاسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم وما يعلم باللفظ دون الاشارة مما لا يعلم الا بالاشارة دون اللفظ وما يعلم معقدا ولا

لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَاشِرُ لَحْمِهَا • وَبَعْضُ الرِّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُثَاءُ

قوله حيث شَطَّتْ بها النَّوَى معنى شَطَّتْ تَبَاعَدَتْ يقال أَشَطَّ فلانٌ في الحُكْمِ اذا عَدَلَ عنه متباعدا قال الله تعالى فاحْكُمْ بيننا بالحقِّ ولا تُشْطِطْ وقال الأَحْوَصُ

أَلَا يَا لَقَوْمِي قد أَشَطَّتْ عَوَاذِلِي • وَيَزْعُمْنَ أَنْ أُودِي بِحَقِّي بَاطِلِي

وَيَلْحَيْنَنِي فِي اللَّهْوِ أَلَّا أُحِبَّهُ • وَلِلَّهْوِ دَاعٍ دَائِبٌ غَيْرُ غَافِلِ

والنوى البُعْدُ ويقال شَطَّتْ بهم نِيَّةٌ قَذَفٌ أي رحلة بعيدة قال الشاعر

• وَصَحْصَحَانٍ قَذَفٍ كَالتُّرْسِ • وليس بمأخوذ من نأيت في اللفظ ولكنه مثله في المعنى وقوله

• فليس لدهر الطالبين فناء • يقول الطالب في أثر طَلِبَتِهِ أبدا ويُرْوَى أن رجلا من قُرَيْشٍ بَعَثَ الى رجل منهم وكان أَخَذَ له غلاما يا هذا ان الرجل ينام على الثُّكْلِ ولا ينام على الحَرَبِ فاما رَدَدْتَهُ واما عَرَضْتُ اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات ومن أمثال العرب لا ينام الا من اثَّأَرَ ويقال لمن أدرك ثَأْرًا نبيلا أصاب ثأرا مُنِيمًا وأنشد

تَقُولُ لِي ابْنَةُ الْبَكْرِيِّ عَمْرٍو • لَعَلَّكَ لَسْتَ بِالثَّأْرِ الْمُنِيمِ

وقوله وَإِنِّي لَأَرْجُوكُمْ عَلَى بُطْءِ سَعْيِكُمْ • كَمَا فِي بُطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءُ

يقول هذا رجاء غيرُ صادق ولا موقوف عليه كما أن هذه الحوامل لا يُعْلَمُ ما في بطونها وليس بمَيْؤُوسٍ منه وانما يَتَهَكَّمُ بهم وهو يَعْلَمُ أن سعيهم غير كائن ألا تراه يقول

أُخَبِّرُ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمُ • وَلَوْ شِئْتُ قَالَ الْمُخْبِرُونَ أَسَاؤُوا

وقوله كأنّ دنانيرا على قَسِمَاتِهِم زعم أبو عبيدة أن القَسِمَاتِ مجاري الدُّمُوعِ واحدتها قَسِمَةٌ وقال الأصمعيُّ القَسِمَاتُ أعالي الوجه ولم يبيّنه بأكثر من هذا وقول أبي عبيدة مشروح ويقال من هذا رجل قَسِيمٌ ورجل مُقَسَّمٌ ووجه قَسِيمٌ ومُقَسَّمٌ قال الشاعر

وَيَوْمًا تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ • كَأَنْ ظَبْيَةٌ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمْ

قوله تعطو أي تتناول يقال عَطَا يعطو اذا تناول وأَعْطَيْتُهُ أنا أي ناولته قال امرؤ القيس

وَتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ • أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ

والسَّلَمُ شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يَخْتَبِطُوهُ شَدُّوهُ ثم قطعوه فمن ذلك قول الحجاج

يعلم مكيفا ولا يعلم معتقدا وما المستغلق الذى يجوز ان يفارقه استغلاقه والمستبهم الذى لا يفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزراية والرغبة عنها قد طلبها بفضل طلبه لنفسه وجرى معها بقدر مناسبتها القدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وسنعرفك من جملة ما ذكرنا بابا بابا أنت اليه أحوج وهو علينا أرد

(فصل) وما في الارض قرار أثبت ودليل أوضح وشاهد أصدق من شاهدى عليك على ما ادعيت لنفسك من الرفعة مع ما ظهر من حسدك لأصل الصنعة وهل يكون كذلك الا فاسد الحس ظاهر العناد او جاهل بالمحال وبعد فانت أبقاك الله في يدك قياس لا ينكسر وجوار لا يقطع ولك حسد

والله لأحزِمنّكم حَزم السَلَمة ولأضربنّكم ضرب غرائب الابل قال وحدثنى التوّزى عن أبى زيد قال سمعت العرب تُنشِد هذا البيت فتنصب الظَبية وترفعها وتخفضها قال أبو العباس أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنّها ظبيةٌ وهذا شرط أنّ وكأنّ اذا خُففتا انما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى علم أن سيكون منكم مرضى وهذا الكتاب قد شرحناه فى الكتاب المقتضب فى باب أنّ وإنْ بجميع علله ومن نصب فعلى غير ضمير وعملها مخففة عملها مثقّلة لانها انما تعمل لشبهها بالفعل فاذا خُففت عملت عمل الفعل المحذوف كقولك لم يكُ زيدٌ منطلقا فالفعل اذا حذف يعمل عمله تاما فيصير التقدير كأنْ ظبيةً تعطو الى وارق السلم هذه المرأةُ وحذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال كأنْ ظبيةٍ جعل أن زائدة وأعمل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما زيدها فى قولك لمّا أنْ جاء زيدٌ كلّمته ووالله أن لو جئتنى لاعطيتك وقوله * لهم أذرُع بادٍ نواشرُها * فكل شئ كان على فِعال من المؤنث فجمعه أفعُل وكذلك فُعال تقول ذراع وأذرُع وكُراع وأكرُع لانهما مؤنثتان ومن أنّث اللسان قال ألسُن ومن ذكّره قال ألسنة وشِمال وأشمُل كما قال (هو أبو النجم العجلى) * يأتى لها من أيمُن وأشمُل * فأما المذكر فعلى أفعلة فى أدنى العدد وفُعُل فى الكثير يقال حمار وأحمرة وحُمُر وفِراش وأفرِشة وفُرُش والنواشر ما يظهر من العروق فى ظهر الذراع مما يدانى المِعصم وذلك الموضع يقال له أسَلة الذراع قال زهير

ودارٌ لها بالرقمتين كأنها * مراجيعُ وشمٍ فى نواشر معصم

وقوله * وبعض الرجال فى الحروب غُثاء * فالغُثاء ما يبس من البقل حتى يصير حطاما ويتناهى فى اليُبْس فيسودّ فيقال له غُثاء وهشيم ودِندن وثِنّ على قدر اختلاف أجناسه ويقال له الدرين قال الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وقال فأصبح هشيما تذروه الرياح وقال الشاعر يصف سحابا (هو ابن ميّادة وقبله)

سحائبُ لا من صيّفٍ ذى صواعقٍ * ولا محرقاتٍ ماؤهنّ حميم
اذا ما هبطن الأرض قد مات عودها * بكين بها حتى يعيش هشيم

وقال الراجز * تكفى الفصيلَ أكلةٌ من ثِنّ * وقد يقال للشئ الذى لا خير فيه هذا غُثاء أى قد صار كذلك الذى وصفنا ويُضرب هذا مثلا للكلام الذى لا وجه له وقال رجل أحسبه تميميا (هو الفرزدق)

لو لم يفارقنى عطيّة لم أهن * ولم أعط أعدائى الذى كنت أمنع

لا يفعل وغريب لا يثنى وهو قياسك الذى اليه تنسب ومذهبك الذى اليه تذهب أو تقول وما على أن يرانى الناس عريضا وأكون فى حكمهم غليظا وأنا عبد الله تعالى طويل جميل وفى الحقيقة مقدود رشيق وقد علموا حفظك الله انك مع طول البال راكبا الظهر جالسا ولكن بينهم فيك اذا قمت اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن غريب ما أعطيت ومن بديع ما أوتيت أنا لم نر مقدودا أوسع الجفرة غيرك ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك فانت المديد وأنت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب فيا شعرا جمع الأعاريض ويا شخصا جمع الاستدارة والطول بل ما يسمعك من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون ان استفاضة عرضك قد ادخلت الضيم فى ارتفاع سمكك وان ما ذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك طولا وان اختلفوا

شجاع

شُجاعٌ اذا لاقى ورامٍ اذا رمى * وهادٍ اذا ما أظلمَ الليلُ مِصْدَعُ

سأبكيك حتى تنفدَ العينُ ماءَها * ويشفى منى الدمعُ ما أتوجّعُ

أحسنُ الانشادين عندى لم أهِن بأخذه من وَهَن يَهِنُ لأنه اذا قال لم أهُن فهو من الهَوان ومن قال لم أهِن فانما هو من الضعف وهو أشبه بقوله * ولم أُعطِ أعدائى الذى كنت أمنع * والآخر غير بعيد يقول لم أهُن على أعدائى واذا قال لم أهِن فالأصل لم أوهِن ولكن الواو اذا كانت فى موضع الفاء من الفعل وكان ذلك الفعل على يفعِل فالواو محذوفة وانما تحذف الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارعة الباقية تابعة للياء لئلا يختلف الباب وهى التاء من قولك تفعل اذا عنيت مخاطبا أو مؤنثا غائبا نحو أنت تعِد وهى تعِد والهمزة اذا عنيت نفسك نحو أنا أعِد والنون اذا أخبرت عن نفسك ومعك غيرك نحو نحن نعِد فان قال قائل انما هذا لان الفعل المتعدى تحذف منه الواو فان كان غير متعد ثبتت فقد قال أقبح قول لأن التعدى أو غير التعدى لا يحدث فى أنفس الأفعال شيأ ولو كان كما يقول لا تثبت الواو فى وَهَن يَهِنُ لانك لا تقول وهنت زيدا وكذلك ورم يرم وَوَكَف البيت يكف ووَنَم الذباب يَنِم وهذا أكثر من أن يحصى فان لم تكن بعد الواو كسرة لم تحذف نحو وَجِل يوجَل ووحِل يوحَل ووجع الرجل يوجع وقد يجوز ييجع وياجع ويَيْجَع لما نذكره اذا جرى ذكر هذه المفتوحة ان شاء الله فأما الحذف فلا يكون فيها فان قال قائل فما بال يطأ ويسع حذفت منهما الواو ومثلهما تثبت فيه الواو فانما ذلك لانه كان فعِل يفعِل مثل ولى يلى وورِم يرِم ففتحته الهمزة والعين والأصل الكسر فانما حذفت الواو مما يلزم فى الأصل ألا ترى أنك تقول ولغ السبع يلغ فهذا فعَل يفعَل والأصل يفعِل ولكن فتحته العين لان حروف الحلق تفتح ما كان على يفعِل ويفعُل ولولا ذلك لم تقع فعَل يفعَل وحروف الحلق ستة الهمزة والهاء والعين والغين والحاء والخاء وهن يفتحن اذا كن فى موضع العين واللام فأما العين فنحو سأل يسأل وذهب يذهب وأما اللام فمثل قرأ يقرأ وصنع يصنع وسائر هذا الباب على ما وصفت لك وقوله

* وهادٍ اذا ما أظلم الليل مِصْدَعُ * فتأويل مصدع أى ماض فى الأمر قال الله عز وجل فاصدع بما تؤمر ويقال أخوَم الناس من اذا وضح له الأمر صدع به وقال أعرابى يمدح سوار بن عبد الله القاضى وسوار أحد بنى العنبر بن عمرو بن تميم

فى طولك لقد اختلفوا فى عرضك وان كانوا قد سلموا لك بالزعم شطرا فقد حصلت ما سلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا ولعمرى ان العيون لتخطئ وان الحواس لتكذب وما الحكم القاطع الا للذهن وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل اذ كان زماما على الاعضاء وعيارا على الحواس ومما يثبت أيضا ان ظاهر عرضك مانع من ادراك حقيقة طولك قول أبى رواد الايادى فى أبله

سمنت فاستمش أكرعها لا النى نى ولا السنام سنام ولو لم يك قبلك من العجب الا انك أول من عوده الله تعالى بالصدعلى خطاء الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت فى طولك غاية العالمين وفى عرضك منار الضلين وقد تكلم المربوع مثلى من الطويل مثل عمرو من القصير مثل عمرو اذا زعم انه أفرط فى الرشاقة ونسب الى القضافة لان افراط عرضه غمر الاعتدال من طوله وكلاهما يحتاج الى

وأوقف عند الأمر مالم يضح له • وأمضي اذا ما شك من كان ماضيا

فاستجمع في هذا المدح ركانة الحزم وامضاء العزم ومثله قول النابغة الجعدي

أبى لي البلاء وانى امرؤ • اذا ما تبينت لم أرتب

ومن أمثال العرب السائرة الجيدة روّ تحزم فاذا استوضحت فاعزم ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم

وانما يكون هذا بعد التوقف والتبين فقد قال الشعبي أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد

ومثل قوله • ويشفي مني الدمع ما أتوجع • قول الفرزدق

ألم تر انى يوم جو سويقة • بكيت فنادتني هنيدة ماليا

فقلت لها ان البكاء لراحة • به يشتفي من ظن أن لا تلاقيا

(قال أبو الحسن وبتلو هذين البيتين مما يستحسن

قعيدك كالله الذى أنتما له • ألم تسمعا بالبيضتين المناديا

حبيب دعا والرمل بيني وبينه • فأسمعني سقيا لذلك داعيا

يقال قعيدك الله وقعدك الله ونشدك الله أى سألتك بالله كما قال متمم بن نويرة وهو من بنى يربوع

قعيدك ألا تسمعيني ملامة • ولا تنكئي قرح الفؤاد فييجعا

ويروى فقعدك ألا تسمعيني والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن

عياش نزلت بى مصيبة أوجعتني فذكرت قول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة • من الوجد أو يشفي نجى البلابل

فخلوت فبكيت فسلوت وقال نضلة السلمي في يوم غول وكان حقيرا دميما وكان ذا نجدة وبأس

ألم تسل الفوارس يوم غول • بنضلة وهو موتور مشيح

رأوه فازدروه وهو حر • وينفع أهله الرجل القبيح

فشد عليهم بالسيف صلتا • كما عض الشبا الفرس الجموح

فأطلق غل صاحبه وأردى • قتيلا منهم ونجا جريح

ولم يخشوا مصالته عليهم • وتحت الرغوة اللبن الصريح

قوله وهو موتور مشيح فالمشيح الحامل الجاد يقال أشاح يشيح اذا جد وأنشدني التوزي قال

الاعتذار ويفتقر الى الاعتدال والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزاؤه في الحقيقة كما اعتدلت في المنظر فقد استغنى بعدل الحقيقة عن الاعتذار وبحكم الظاهر عن الاعتدال وقد سمعنا من يذم الطوال كما سمعنا من يزرى على القصار ولم يسمع أحد ذم مربوعا ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولا شك فيه ومن يذمه الا من ذم الاعتدال ومن يزرى عليه الا من أزرى على الاقتصاد ومن يعيب الصواب الظاهر الا المعاند ومن يمارى في العيان الا الجاهل بل من يزرى على أحد بتفاقم التركيب وبسوء التنضيد مع قول الله عز وجل ماترى في خلق الرحمن من تفاوت وبعد فأى قد أردى وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقصد أو طول مجاوز للقصد ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه خرج الجسم من التقدير وجاوز التعديل فاذا خرج

أنشدني أبو زيد (وهو لأبي العيال الهذلي) مُشِيحٌ فوق شيحان • يشد كأنه كلب

قال شيحان اسم فرسه (قال أبو الحسن ويروى شَيْحان بفتح الشين وحقه على رواية أبي زيد أن لا ينصرف لأنه فعلان فالألف والنون زائدتان وهو معرفة فضارع عطشان وما جرى مجراه وإنما اضطر فصرفه) وقال ابن الإطنابة واسمه عمرو

وإشاحتي على المكروه نفسي • وضربي هامة البطل المشيح

ويقال في هذا المعنى رجل شيح كما يقال ناقة نقض إذا كانت هزيلا قال أبو ذؤيب

• وشايحت قبل اليوم إنك شيح • وقوله بالسيف صلتا يقول منتضى ورجل صلت الجبين إذا كان نقيه وقوله كما عض الشباة يد حذ اللجام وشبا كل شيء حده • وقوله وأردى أي أهلك يقال ردي يردى إذا هلك والردى الهلاك قال الله عز وجل وما يغني عنه ماله إذا تردى قيل فيه قولان أحدهما إذا تردى في النار والآخر إذا مات وهو تفعل من الردى وقوله

• ولم يخشوا مصالته عليهم • فهي مفعلة من صال يصول ويقال صال البعير إذا عض وقيل للمغيرة بن شعبة إن بوابك يأذن لأصحابه قبل أصحابك فقال إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم وقوله • وتحت الرغوة اللبن الصريح • يقول إذا رأيت الرغوة وهو ما يرغو كالجلدة في أعلى اللبن لم تدر ما تحتها فربما صادفت اللبن الصريح إذا كشفتها أي أنهم رأوني فازدروني لدمامتي فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا والصريح المحض الخالص من ذلك قولهم عربي صريح أي خالص ومولى صريح ومن أمثال العرب إنه ليسر حسوا في ارتغاء ومعنى ذلك أنه يوهمك أنه يأخذ بفيه تلك الجلدة عن اللبن ليصلحه لك وإنما يحسو من تحتها يضرب هذا المثل لمن يريك أنه يعينك وإنما يجتر النفع إلى نفسه وقال أعرابي خبرت أنه من بني سعد وقد تمثل بهذا الشعر الخنوت وهو توبة بن مضرس أحد بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم في خلاف الدمامة

ولما التقى الصفان واختلف القنا • نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لي أن القماءة ذلة • وأن أشداء الرجال طوالها

دعوا بالسعد وانتمينا لطيئ • أسود الشرى إقدامها ونزالها

قوله نهالا يريد أنها قد وردت الدم مرة ولم تثن وذلك أن الناهل الذي يشرب أول شربة فإذا شرب

من التقدير تفاسدوا وإذا تفاسدوا وجاوز التعديل تباين ولو جاز هذا الوصف من حسن النعت هذا كان لإبراهيم بن السندي ما ليس لأحمد ابن عبد الوهاب وهذا كله بعد أن صدقوك على ما ادعيت لطولك في الحقيقة واحتججت لمرضك في الحكومة كما أنك بإهمالك لما تيقنه العيان واستشهادك لما تذكره الأذهان معترض للمصدق من المتكرم ومضحك بالحلم من المتغافل وأي صامت لا ينطقه هذا المذهب وأي ناطق لا يغريه هذا القول وإذا كان هذا قضاء العزم المقسم فما ظنك بعادة المتكلف فأنشدك الله أن تغري بك السفهاء وتنقص عزائم الحكماء وما أدري حفظك الله بأي الأمرين أنت أعظم إثما وفي أيهما أنت أفحش ظلما أبتعرضك للعوام أو بإفسادك حكم الخواص وبعد فما يحوجك إلى هذا وما يدعوك إليه وأشباهك من القصار كثير ومن ينصرك منهم غير ذليل

ثانية فهو عال يقال سقاه علا بعد نهل وعللا بعد نهل وفي المثل سمته سوم عالة اذا عرضت عليه
عرضا يستحيي من أن يقبل معه والعالة لا حاجة بها الى الشرب وانما يعرض عليها تعززا قال

• وأسباب المنايا نهالها • أي أول ما يقع منها يكون سببا لما بعده وأنشدني غير واحد

• وأن أشداء الرجال طيالها • وليس هذا بالجيد وانما قلب الواو ياء لوقوعها بين كسرة
وألف كقولهم ثياب وحياض وسياط والواحد ثوب وحوض وسوط وهذا جيد لسكون الواو في
الواحد فأما في مثل طوال فانما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتحرك الواو في الواحد وأنشدني
مسعود بن بشر المازني

لهم أوجه بيض حسان وأذرع • طيال ومن سيما الملوك نجار

ومجاز هذا في النحو ما وصفت لك والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر فلا يذكر منهم الا المحتج
عن نفسه ولا يمدح به غيره قال عنترة

بطل كأن ثيابه في سرحة • يحذى نعال السبت ليس بتوأم

يقول لم يشاركه في الرحم وقال جرير

تعالوا ففاتونا ففي الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الأكارم
فاني لأرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال حسان بن ثابت

وقد كنا نقول اذا رأينا • لذي جسم يعد وذي بيان
كأنك أيها المعطى بيانا • وجسما من بني عبد المدان

ويقال ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى
منكب العباس وكان العباس الى منكب عبد المطلب وحدثني التوزي قال طاف علي بن عبد
الله بالبيت وهناك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا
الذي فرع الناس فقيل علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدي
بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان بن
علي بن عبد الله بن العباس قال كان يقال صار شبه علي بن عبد الله في عظم الأجسام في العليين يعني
علي بن أمير المؤمنين المهدي المنسوب الى أمه ريطة وعلي بن سليمان بن علي ويروى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة كان فوق الربعة ولم يكن بالطويل المشذب وكان اذا

(فصل) وقلت ولولا
فضيلة العرض على الطول
لما وصف الله تعالى وعز
الجنة بالعرض دون الطول
حيث يقول وجنة
عرضها كعرض السماء
والأرض فهذا برهانك
الواضح ولو لم يكن فيك
من الرضا والتسليم ومن
القناعة والاخلاص الا
انك ترى ما عند الله تعالى
خيرا لك مما عند الناس
وان الطول الخفي أحب
اليك من الطول الظاهر
لكن في ذلك ما يقضي لك
بالانصاف ويحكم لك
بالتوفيق وانا أبقاك الله
أعشق انصافك كما تعشق
المرأة الحسناء وتعلم
خضوعك للحق كما تعلم
التفقه في الدين ولربما
ظننت ان جورك انصاف
قوم آخرين وانك يقنعك
سماع رجال منصفين وما
أظنك صرت الى معارضة
الحجة بالشبهة ومقابلة
الاختيار بالاضطرار
واليقين بالشك واليقظة
بالحلم الا بالذي خصصت
به من ايثار الحق والهمته
من فضيلة الانصاف
حتى صرت أحوج ما تكون
الى الانكار أذعن ما تكون

مثنى مع الطوال طالهم ولم يختلف أهل الحكمة والنظر من العرب والعجم أن الكمال في الاعتدال ولا يقال غير هذا عن حكيم وأبين ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد يقال الكيس في القصر وقد قيل في خبر قصير وكيده ومكره ما قد سار به المثل واستغنى عن الاعادة وحدثني العباس بن الفرج الرياشي قال حدثني أبو عثمان المازني قال كان أعرابي يختلف الى مغنية لآل سليمان فأشرفت عليه ذات مرة فأومأت اليه بيدها ايماء عاتبت له بالقصر فأنشأ يقول

يا جعفر يا جعفر يا جعفر • ان أك ربعة فأنت أقصر

أو أك ذا شيب فأنت أكبر • غرك سربال عليك أحمر

ومقنع من الحرير أصفر • وتحت ذاك سوأة لو تذكر

(قال أبو الحسن أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الوراق الشعر الذي فيه قوله

• ولما التقى الصفان واختلف القنا • بتمامه وهو شعر مختار لرجل من طيئ ويدل على ذلك ما تسمعه في الشعر وهو قوله

جمعنا لهم من حي غوث ومالك • كتائب يردي المقرفين نكالها

لهم عجز بالحزن فالرمل فاللوى • وقد جاوزت حي جديس رعالها

وتحت نحور الخيل حوشف رجلة • تتاح لحبات القلوب نبالها

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم • بنو ناتق كانت كثيرا عيالها

فلما أتينا السفح من بطن حائل • بحيث تناصى طلحها وسيالها

دعوا لنزار وانتمينا لطيئ • كأسد الشرى اقدامها ونزالها

فلما التقينا بين السيف فيهم • لسائلة عنا حفي سؤالها

ولما عصينا بالرماح تضلعت • صدور القنا منهم وعلت نهالها

ولما تدانوا بالسيوف تقطعت • وسائل كانت قبل سلما حبالها

فولوا وأطراف الرماح عليهم • قوادم مربوعاتها وطوالها

الكتائب جمع كتيبة سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها الى بعض يقال تكتب القوم اذا تضاموا ومنه أخذ الكتاب لانضمام حروفه ولذلك قالوا بغلة مكتوبة اذا شد حياؤها وضم ويردي

بالاقرار وأشد ما تكون الى الحيلة فقرا أشد ما تكون للحجة طلبا غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجاش رابط ونية جسور وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرق توقفت غير مغلوب ولا متشعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب يفصل الحد ويصيب المفصل ويقرب البعيد ويظهر الخفي ويميز الملتبس ويلخص المشكل ويعطي المعنى حقه من اللفظ كما يعطي اللفظ حظه من المعنى ويحب المعنى اذا كان حيا يلوح وظاهرا يصيح ويبغضه مستهلكا بالتعقيد ومستورا بالتقريب وتزعم ان شر الالفاظ ما أغرق المعاني وأخفاها وامرها وعماها وان راقت سمع الغمر واستمالت قلب المريض أعجب الالفاظ عندك مارق وعذب وخف وسهل وكان

يهلك يقال ردي الرجل اذا هلك والردى الهلاك والارداء الاهلاك والمقرفون الذين دخلوا في الفساد والعيث وهو في الأصل الهجنة يقال فرس مقرف اذا كان هجينا ثم يشيع في الفساد والعجز مؤخر العسكر ههنا وهو مستعار والحزن ما خشن من الأرض وغلظ واللوى مستدق الرملة حيث ينقطع يقال ألوينا فانزلوا أي صرتم الى آخر الرملة وهو اللوى وجديس قبيلة معرفة فلذلك لم يصرفها والرعال الجماعات المتفرقة واحدها رعلة والخرشف نبت يكثر في البادية وانما شبه النبل به في الكثرة والرجلة الرجالة وتتاح تقدر يقال أتاح الله له كذا وكذا أي قدره والنبال جمع نبل والناتق الولود فاذا أسرفت في ذلك وكثر ولدها جدا قيل منتاق والسفح أصل الجبل من الوادي وحائل موضع وتناصى تقابل وتقرب حتى يعلق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح يقال تناصى الرجلان تصاما وتناصيا اذا اقتتلا فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه والطلح والسيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى وتمى انتسب والشرى موضع كثير السباع وانما يريد كاقدام أسد الشرى اقدامهم حذف لعلم السامع وعصينا جعلنا الرماح كالعصي والعلل الشرب الثاني والنهل الأول يريد انا أعدناها الى الطعن مرة بعد أخرى وقوادم ذات اقدام فجاء به على الاصل كما قال * يخرجن من أجواز ليل غاض * أي مغض فجاء به على الأصل وهو كثير والمربوعات المعتدلة التي لم تبلغ أن تكون رمحا وهو رفع كأنه قيل له ماهي فقال هي مربوعاتها وطوالها ولو خفض وجعله بدل البعض من الكل لكان حسنا وكان يكون مقوى ولكن هكذا أنشدناه مرفوعا على التقدير الذي ذكرناه)

(باب)

قال أبو العباس حدثت أن صبرة بن شيمان الحداني دخل على معاوية والوفود عنده فتكلموا فأكثروا فقام صبرة فقال يا أمير المؤمنين انا حي فعال ولسنا بحي مقال ونحن بأدنى فعالنا عند أحسن مقالهم فقال صدقت وحدثت أن أبا بكر رضي الله عنه ولى يزيد بن أبي سفيان ربعا من أرباع الشأم فرقي المنبر فتكلم فارتج عليه فاستأنف فارتج عليه فقطع الخطبة فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال فبلغ كلامه عمرو بن

موقوفا على معناه ومقصورا عليه دون ما سواه لا فاضل ولا مقصر ولا مشترك ولا مغلق وقد جمع خصال البلاغة واستوفى خلال المعرفة فاذا كان الكلام على هذه الصفة وألف على هذه الشريطة لم يكن اللفظ أسرع الى السمع من المعنى الى القلب وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم وخفت المؤونة واستغنى عن الفكرة وماتت الشبهة وظهرت الحجة واستبدلوا بالخلاف وفاقا وبالمجاذبة موادعة ورهبوا بالعلم وتقنعوا ببرد اليقين واطمأنوا بثلج الصدور وبان المنصف من المعاند وتميز الناقص من الوافر وذل الخطل وعز المحصل وبدت عورة المبطل وظهرت براءة المحق وقلت والناس وان قالوا في الحسن كأنه طاقة ريحان أو خوط آس وكأنه قضيب خيزران وكأنه غصن بان وكأنه رمح رديني وكأنه صحيفة يمان وكأنه سيف هندواني وكأنه جان وكأنه جدل عنان فقد قالوا كأنه المشترى وكأن

العاصى فقال هن مخرجاتى من الشام استحسانا للكلامه وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعامر بن عبد قيس العنبرى ورآه ظاهر الأعرابية يا أعرابى أين ربك فقال بالمرصاد وقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال على أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وحدثت أن راهبين دخلا البصرة من ناحية الشام فنظرا الى الحسن البصرى فقال أحدهما لصاحبه مل بنا الى هذا الذى كأن سمته سمت المسيح فعدلا اليه فألفياه مفترشا بذقنه ظاهر كفه وهو يقول يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم فليت شعرى ما الذى ينتظرون ونظر الحسن الى الناس فى مصلى البصرة يضحكون ويلعبون فى يوم عيد فقال الحسن ان الله جعل الصوم مضمارا لعباده ليستبقوا الى طاعته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ولعمرى لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن تجديد ثوب أو ترطيل شعر قوله ترطيل شعر انما هو تليين الشعر بالدهن وما أشبهه ويقال للرجل اذا كان فيه لين وتوضيع رجل رطل والذى يوزن به ويكال يقال له رطل بكسر الراء وكان الحسن يقول اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها قوله القنطرة يعنى هذه المعقودة المعروفة عند الناس والعرب تسمى كل أزج قنطرة قال طرفة بن العبد

كقنطرة الرومى أقسم ربها • لتكتنفن حتى تشاد بقرمد

قوله حتى تشاد يقول تطلى وكل شىء طليت به البناء من جص أو جيار وهو الكلس فهو الشيد يقال دار مشيدة وقصر مشيد قال الله عز وجل ولو كنتم فى بروج مشيدة وقال الشماخ

لاتحسبنى وان كنت امرأ غمرا • كحية الماء بين الطين والشيد

وقال عدى بن زيد العبادى

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير فى ذراه وكور

والقرمد المطلى أيضا ثم قال حتى تشاد بقرمد فى معنى حتى تطلى ومن ذلك قول النابغة

• رابى المجسة بالعبير مقرمد •

وقال الحسن تلقى أحدهم أبيض بضا يملخ فى الباطل ملخا ينفض مذرويه ويضرب أسدريه يقول ها أنا ذا فاعرفونى قد عرفناك فمقتك الله ومقتك الصالحون قوله أبيض بضا فالبض الرقيق اللون الذى يؤثر فيه كل شىء وفى الحديث ان معاوية قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشام وهو أبض الناس فضرب عمر بيده على عضده فاقلع عن

وجهه دينار هرقلى وما هو الا البحر وما هو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنه دارة القمر وكأنه الزهرة وكأنه درة وكأنه غمامة وكأنه مهاة وقد نراهم وصفوا المستدير والعريض باكثر مما وصفوا القضيب الطويل وقلت ووجدنا الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل وكذلك الورق والحب والثمر والشجر وقلت والريح وان طالت فان التدوير عليها أغلب لان التدوير قائم فيها موصلا ومفصلا والطول لا يوجد فيها الا موصلا وكذلك الانسان وجميع الحيوان وقلت ولا يوجد التربيع الا فى المصنوع دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ما خلى ورسوم طبيعته على ان كل مرتفع فى جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطول فى حصته ومن العجب انك تزعم انك طويل فى الحقيقة

مثل الشراب أو مثل الشرك فقال هذا والله لتشاغلك بالحمامات وفوت الحاجات تقطع أنفسهم حسرات على بابك وقال حميد بن ثور الهلالي

منعمة بيضاء لودب محول • على جلدها بضت مدارجه دما

وقوله علج في الباطل ملخا يقول عرمر أسر بغا يقال بكرة ملوخ اذا كانت سهلة المر وقوله يضرب أصدريه وازدريه فانما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلان يضرب أصدريه وازدريه ولا يتكلم منه بواحد ويقال فلان ينفض مذرويه وهما ناحيتاه وانما يوصف بالخيلاء قال عنترة

أحولي تنفض استك مذرويها • لتقتلني فها أناذا عمارا

ولا واحد لهما ولو أفردت لقلت في التثنية مذريان لان ذوات الواو اذا وقعت فيهن الواو رابعة رجعت الى الياء كما تقول في ملهى ملهيان وهو من لهوت وفي مغزى مغزيان وهو من غزوت وانما فعلت ذلك لان فعله ترجع فيه الواو الى الياء اذا كانت رابعة فصاعدا نحو غزوت فاذا ادخلت فيه الالف قلت أغزيت وكذلك غازيت واستغزيت وانما وجب هذا الانقلاب في المضارع نحو يغزي ويستغزي ويغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها فان قال قائل فما بال يترجى ويتغازى يكونان بالياء نحوهما يتغازيان ويترجيان فانما ذلك لانهما في الاصل رجى يرجي وغازى يغازي ثم لحقت التاء بعد ثبات الياء والدليل على ذلك أن التاء انما تلحقه على معناه فقولك مذروان لا واحد له لما أعلمتك وثبات الواو دليل على أن أحدهما لا يفرد من الآخر فلذلك جاء على أصله

ثم تحتج للعرض والاستدارة وقد اضربت هما عند الله صفحا ولهجت بها عند الناس فاما حور العين فقد انفردت بحسنه وذهبت ببهجته وملحه الاما آبانك الله تعالى به من المشاكلة فانها لا تكون في اللئام ولا تفارق الكرام وأما سواد الناظر وحسن المحاجر وهدب الاشفار ورقة حواشي الأجفان فعلى أصل عنصرك وجائز اعراقك واما ادراك الشخص البعيد وقراءة الكتاب الدقيق ونقش الخاتم قبل الطابع وفهم المشكل قبل التأمل مع وهن الكبرة وتقادم الميلاد ومع تخون الأيام وتنقص الازمان فمن توتيا الهند ولترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استقبال الخضرة فانت يا عم حين تصلح ما أفسده الدهر وتسترجع ما أخذته الايام لكما قال الشاعر

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وترجي ان تكون فتية وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر

(باب)

قال أبو العباس قال يزيد بن الصقيل العقيلي وكان يسرق الابل ثم تاب وقتل في سبيل الله

ألا قل لأرباب المخائض أهملوا • فقد تاب عما تعلمون يزيد

وان امرأ ينجو من النار بعدما • تزود من أعمالها لسعيد

وفي هذا الشعر

اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت • حميمك فاعلم أنها ستعود

قوله ألا قل لأرباب المخائض فان الناقة اذا لقحت قيل لها خلفة والجميع المخاض وهذا جمع على غير واحده انما هو بمنزلة امرأة ونساء ثم جمع الجمع فقال مخائض كقولك في رسالة رسائل وكما

تقول فى قوم أقوام فتجمع الاسم الذى هو الجمع وكذلك أعراب وأعاريب وأنعام وأناعيم وقوله أهملوا أى اسرحوا ابلكم والهمل ما كان غير محظور وهو السُّدى ويروى فى مثل قوله

• اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت • حميمك • عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحنفية) أنه كان يقول اذا مات له جار أو حميم أولى لى كدت والله أكون السواد المخترم وقال ابن حبناء التميمى

أعوذ بالله من حال تزين لى • لوم العشيرة أو تدنى من النار

لا أقرب البيت أحبو من مؤخره • ولا أكسر فى ابن العم أظفارى

ان يحجب الله أبصارا أراقبها • فقد يرى الله حال المدلج السارى

قوله لا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقول لا آتيه لريبة ومثل ذلك قول الشاعر (وهو عقيل ابن علفة)

ولست بصادر من بيت جارى • كفعل العير غمّره الورود

يقول لا أخرج خروج الخائف لانه انما يقال تغمر الشارب اذا لم يرو ويقال للقدح الصغير الغمر من هذا وقوله ولا أكسر فى ابن العم أظفارى يقول لا أغتابه وهذا مثل كما قال الحطيئة

ملوا قراه وهرته كلابهم • وجرحوه بأنياب وأضراس

وقوله فقد يرى الله حال المدلج السارى فالمدلج الذى يسير من أول الليل يقال أدلجت أى سرت من أول الليل وادّلجت أى سرت فى السحر قال زهير • بكرن بكورا وادّلجن بسحرة • والسرى لا يكون الا سير الليل قال الله عز وجل فأسر بأهلك من قولك أسريت وهى اللغة القرشية وغيرهم من العرب يقول سريت وقد جاءت هذه اللغة فى القرآن قال الله عز وجل والليل اذا يسرى فهذا من سرى ولو كان من أسرى لكان يُسرى كما قال (هو لبيد بن ربيعة)

فبات وأسرى القوم آخر ليلهم • وما كان وقافا بغير معصر

والمعصر الملجأ والسارى انما هو من قولك سرى كقولك قضى فهو قاض ومن أسرى يقال للفاعل مُسرٍ كما تقول أعطى فهو معط كما قال الاخطل

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد • صاح الدجاج وحانت وقعة السارى

والدجاج ههنا الديوك يريد وقت السحر لانه يقال الديك هذا دجاجة فان أردت الانثى قلت هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بطة وهذا حمامة اذا أردت الذكر ولهذا باب يذكر فيه ان شاء الله قال جرير

تدس الى العطار سلعة أهلها
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر

وكيف يطمع فى نزوعك عن الحجاج وقد سقيته قبل الحجاج وكيف أرجو اقرارك جهرا وقد أتيته سرا وكيف تجود به صحيحا طمعا وقد بخلت به مريضا مؤيسا وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتخاشنه وتنافره وتراهنه لا تفعل ذلك الا فى المحافل العظام وبحضرة كبار الحكام ثم تستغرب ضحكا من طمعه فيك وتعجب الناس من محاولته لك واشهدك بعد هذا انك تخاشن عمرا الجاحظ وتغافله ثم تطارقه وتطاوله وتتغنى مع مخارق وتتكبر فضل زرزب وتستجهل النظام وتستغبي قيس بن زهير وتستخف الاحنف بن قيس وتبارز على بن أبى طالب ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المرة ومن حد القتل الى حدود الموتى

لماذكرت بالديرين أرقني ● صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

(قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الابيات الرائية المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبد الله بن الاعرابي وهي لاحد ابني حبناء أحسبه صخرا وهما من بني تميم وكانا من الازارقة قال

انى هززت من ام الغمر اذ هزئت ● بشيب رأسي وما بالشيب من عار

ما شقوة المرء بالاقتار يقترة ● ولا سعادته يوما باكثار

يقتره الهاء تعود على الاقتار

ان الشقي الذى فى النار منزله ● والفوز فوز الذى ينجو من النار

أعوذ بالله من أمر يزين لى ● لوم العشيرة أو يدنى من العار

وخير دنيا ينسى شر آخرة ● وسوف ينبئني الجبار أخبارى

ثم يتفقان بعد فى الرواية وكان ربما أنشدنا ● انى هزأت من ام الغمر) ● قال أبو العباس وقال اعرابي من بنى الحرث بن كعب

رئمت لسلمى بوضيم وانني ● قديما لآبي الضيم وابن أباة

فقد وقفتني بين شك وشبهة ● وما كنت وقافا على الشبهات

فيا بعل سلمى كم وكم باذاتها ● عدمتك من بعل تطيل أذاتى

بنفسى حبيب حال بابك دونه ● تقطع نفسى دونه حسرات

ووالله لولا أن يساء رعتها ● عياليس بالمأمون من فتكاتى

قوله رئمت لسلمى بوضيم فانما هذا مثل وأصله أن الناقة اذا ألقت سقبها فخيف انقطاع لبنها أخذوا جلد حوار فحشوه تبنا ولطخوه بشئ من سلاها ثم حشوا أنفها بخرقة فتجد لذلك كربا ويقال للخرقة التى تجعل فى أنفها الغمامة ثم تسل تلك الخرقة من أنفها فتجد روحا وترى ذلك البو تحتها وهو جلد الحوار المحشو فترأمه فان درت عليه قيل ناقة درور وترأمه تشمه ويقال فى هذا المعنى ناقة ظؤور فينتفع بلبنها ويقال ناقة رائم ورؤوم اذا كانت ترأم ولدها أو بوها فان رئمت ولم تدر عليه فتلك العلوق ولا خير عندها وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى على فعلى (الشعر لافنون التغلبي)

هذا وليس لك مساعد ولا معك شاهد واحد ولا رأيت أحدا اتفق فى الحكم عليك أو ينتظر تحقيق دعواك ولا رأيت منكرا بخليك من التأنيب ولا مؤنبا يخليك من الوعيد ولا موعدا يخليك من الايقاع ولا موقعا يرثى لك ولا شافعا يشفع فيك يا عم لم تحملنا على الصدق ولم تجرعنا مرارة الحق ولم تعرضنا الاداء الواجب ولم تستكثر من الشهود عليك ولم تحمل الاخوان على خلاف محبتهم فيك اجعل بدل ما تجنى على نفسك ان تجنى على عدوك وبدل ما يضطر الناس ان يصدقوا فيك ان تضطرهم الى ان يمسكوا عنك ولا بد رحمك الله تعالى لمن فاته الطول من ان يلقى بيده انما يقول خلاف ما يجده فى نفسه فوالله انك لجيد الهامة وفى ذلك خلف لحسن القامة وانك لحسن الخط وذلك عوض من حسن اللفظ وانا لنجد مقالا وانك لتعد

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم • أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به • رئمان أنف اذا ما ضن باللبن

فقوله رئمت لسلمى بوضيم أى أقمت لها على الضيم ويقال فلان رؤوم للضيم اذا كان ذليلا راضيا بالخسف وقال اعرابى أحسبه عميا

وداهية داهى بها القوم مفلق • شديد بعوران الكلام أزومها

أصخت لها حتى اذا ما وعيتها • رميت بأخرى يستدر أميمها

ترى القوم منها مطرقين كأنما • تساقوا عقارا لا يبل سليمها

فلم تلفنى فهها ولم تلف حجتى • ملجلجة أبغى لها من يقيمها

قوله وداهية يعنى حجة داهى بها القوم مفلق يريد عجيبة والفلق اسم من أسماء الدواهى ويقال فلق فى هذا المعنى ويقال داهية فليق وجاء القوم بالفليق وهذا مشهور كثير فى الكلام ومنه قول خلف الاحمر • موت الامام فلقة من الفلق • وأنشدنى منشد

(اذا عرضت داوية مدلهمة) • وغرد حاديها فرين بها فلقا

بفتح الفاء وقوله شديد بعوران الكلام العوراء هى القبيحة قال حاتم بن عبد الله الطائى

وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر • وذى أود قومته فتقوما

وأزومها امساكها يقال أزم به اذا عض به فأمسكه بين ثنيتيه وفى الحديث ان أبا بكر رضى الله عنه قال فى يوم أحد فنظرت الى حلقة من درع قد نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكببت لانزعها فاقسم على أبو عبيدة فأزم بها أبو عبيدة بثنيتيه فجذبها جذبا رفيقا فانتزعها وسقطت ثنيته ثم نظرت الى أخرى فأردتها فاقسم على أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل فى الاولى وكان مشفقا من تحريكها لئلا يؤذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو عبيدة أهتم وقوله فأزم بها يقال أزم يأزم وأزم يأزم وقوله أصخت لها يقول استمعت لها قال العبدى (وهو المثقب)

يصيخ للنبأة أسماعه • اصاخة الناشد للمنشد

والاصاخة الاستماع والناشد الطالب والمنشد المعرف يقال نشدت الضالة أنشدها نشدانا اذا طلبتها وأنشدتها اذا عرفتها والنبأة الصوت قال ذو الرمة

خصالا فقل معروفا نا من اعوانك واقتصدنا من انصارك وهات فانك لو أسرفت لقلنا قد اقتصدت ولو حرت لقلنا قد اهتديت ولكنك تجئ بشئ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لو غششناك لساعدناك ولو نافقناك لاغريناك (فصل) وقد كنت أطال الله بقاءك فى الطول زاهدا وعن القصر راغبا وكنت أمدح المربوع وأحمد الاعتدال ولا والله ن ايقوم خير الاعتدال بشر قصر العمر ولا جمال المربوع بما يفوت من منفعة العلم فاما اليوم فياليتنى كنت أقصر منك واضوى وأقل منك واقنى وليس دعائى لك بطول البقاء الزيادة لكن على جهة التعبد والاستكانة فاذا سمعتنى أقول أطال الله بقاءك فهذا المعنى أريد واذا رأيتنى أقول لا أخلى الله مكانك فالى هذا المعنى اذهب وقد زعموا جعلت

وقد توجس ركزا مقفر ندس • بنبأة الصوت ما في سمعه كذب

وقوله حتى اذا ما وعيتها يقول جمعتها في سمعي يقال وعيت العلم وأوعيت المتاع في الوعاء قال الله عز وجل وجمع فأوعى وقال الشاعر (عبيد بن الأبرص)

الخير يبقى وان طال الزمان به • والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وقوله رميت باخرى يستدير أميمها يريد يستدير من الدوار ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدوامة وفي الحديث كره البول في الماء الدائم لانه كالمستدير في موضعه قال جرير

عوى الشعراء بعضهم لبعض • على فقد أصابهم انتقام

اذا أرسلت صاعقة عليهم • رأوا أخرى تحرق واستداموا

وقوله أميمها يريد المأموم بها يقال أميم ومأموم كقولك قتيل ومقتول وجريح ومجروح ويقال الشجة التي قد وصلت الى أم الدماغ وأم الدماغ جليدة رقيقة تحيط بالدماغ فاذا وصل الى ذلك فالشجة آمة ومأمومة قال الشاعر

يحج مأمومة في قعرها لجف • فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

المغاريد صغار من الكمأة وقوله في قعرها الجف أي تقلع يقال تلجفت البئر اذا انقلع طيها من أسفلها ولجف القوم مكيالهم اذا وسعوه من أسفله وقوله تساقوا عقارا يريد كانهم سكارى لما نالهم من تلك الجنة والعقار اسم من أسماء الخمر وانما سميت عقارا لمعاقرتها الدن وقوله ما يبل يقال بل وابل من مرضه وكذلك استبل والسليم الملسوع وقيل له سليم على جهة التفول كما يقال للمهلكة مفازة وللغراب الأعور على الطيرة منه لصحة بصره وقوله فلم تلقني فها يقول ضعيفا يقال فه فلان عن حجته اذا ضعف عنها ويقال رجل مفهه اذا كان عاجزا وقوله ملجلجة وهوان يرددها في فيه وقد مضى تفسيره وقال رجل يكنى أبا مخزوم من بني نهشل بن دارم (هو بشامة بن حزن النهشلي عن أبي رياش)

انا بني نهشل لا ندعي لأب • عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة • تلق السوابق منا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبدا • الا افتلينا غلاما سيدا فينا

فداء لك ان كما طال عمره من الحيوان زائد في شدة الاركان وفي طول العمر وصحة الابدان كالورشان ذوالضباب وحمار الوحش وكلحم النسر لمن أكله ولحم الحية لمن استعمله فان كان هذا حقا وكان نافعا وكنت له مستعملا وفيه منتقدا وتراه رأيا أخذنا منه بنصيب وتعلقنا منه بسبب وقيل لك أمران غريبان وشاهدان بديعان جواز الكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة اياك وجوهرك فلكي وتركيبك أرضي فتلك طول البقاء ومعك دليل الفناء وأنت علة للتضاد وسبب للتنافي وما طنك بخالق لا تضره الاحالة ولا يفسده التناقض

(فصل) جعلت فداءك قد شاهدت الانس منذ خلقوا ورأيت الجن قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة وممزوجة واغفالا موسومة وسالمة ومدخولة فما تحقق

انى لمن معشر افنى أوائلهم • قيل الكماة الا أين المحامونا

لو كان فى الالف منا واحد فدعوا • من فارس خالهم اياه يعنونا

ولا تراهم وان جلت رزيتهم • مع البكاة على من مات يبكونا

انا لنرخص يوم الروع أنفسنا • ولو نسام بها فى الامن اغلينا

اذا الكماة تنحوا ان ينالهم • حد الظبات وصلناها بأيدينا

فرض على مكثرينا قيل بذلهم • والجود والبذل فى طبع المقلينا

انى ومن كابى يحيى وعترته • لا فخر الا لنا أمن يوازينا

قوله انا بنى نهشل يعنى نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ومن قال انا بنو نهشل فقد خبرك وجعل بنو خبر ان ومن قال بنى فانما جعل الخبر ان تبتدر غاية يوم المكرمة تلق السوابق منا والمصلينا ونصب بنى على فعل مضمر للاختصاص وهذا أمدح ومثله

• نحن بنى ضبة أصحاب الجمل • أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان من يختص بهذا فقال أعنى بنى ضبة وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد ثم عرفها بحمالة الحطب وقوله عز وجل والمقيمين الصلاة بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ فى التعريف وسنشرحه على حقيقة الشرح فى موضعه ان شاء الله وأكثر العرب ينشد (هو لعمرو بن الاهتم المنقرى)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب • فينا سراة بنى سعد وناديها

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسن الخالقين وقوله يشرى بنا بريد بيعتا يقال شراه يشريه اذا باعه فهذه المعروفة قال الله عز وجل وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وقال ابن مفرغ الحميرى

شريت بردا ولولا ما تكنفنى • من الحوادث ما فارقته أبدا

(يا بردما مسنا دهر أضر بنا • من قبل هذا ولا بعنا له ولدا)

ويكون شريت فى معنى اشتريت وهو من الاضداد وأنشدنى التوزى

اشروا لها خاتنا وابغوا لختنتها • مواسيا أربعا فيهن تذكير

(كان ابن جابر يروى لختنتها ويقول الختنة العقل) وقوله تلق السوابق منا والمصلينا فالمصلى

عليك الحجة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذافيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت العلل وهى تولد والاسباب وهى تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقة من التمويه (فصل) انا جعلت فداك كما انك لم تكن فكنت فكذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت فى الدهر الطويل فكذا تنقص فى الدهر الطويل وكل طويل فهو قصير وكل متناه فهو قليل فاياك ان تظن انك قديم فتكفر واياك ان تنكر انك

الذى فى أثر السابق وانما سمى مصليا لانه مع صلوى السابق وهما عرقان فى الردف قال الشاعر

تركت الرمح يعمل فى صلاه * كأن سنانه خرطوم نسر

وقوله الا فتيلينا غلاما سيدا فينا مأخوذ من قولهم فلوت الفلو يا فتى اذا أخذته عن أمه قال الأعشى

ملمع لاعة الفؤاد الى جحش فلاه عنها فبئس الفالى

وأخذ هذا المعنى من قول أبى الطمحان القينى * اذا مات منهم سيد قام صاحبه * وقوله

لو كان فى الألف منا واحد فدعوا * من فارس خالهم اياه يعنونا

مأخوذ من قول طرفة بن العبد

اذا القوم قالوا من فتى خلت أننى * عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

ومن قول متمم بن نويرة اذا القوم قالوا من فتى لعظيمة * فما كلهم يدعى ولكنه الفتى

وقوله حد الظبات فالظبة الحد بعينه يقال أصابته ظبة السيف وظبة النصل وجمعه ظبات

وأراد بالظبة ههنا موضع المضرب من السيف وأخذ هذا المعنى من قول كعب بن مالك بن أبى

كعب الانصارى نصل السيوف اذا قصرن بخطونا * قدما ونلحقها اذا لم تلحق

وقوله انا لنرخص يوم الروع أنفسنا أخذه من قول الهمدانى وهو الأجدع أبو مسروق ابن الاجدع

الفقيه لقد علمت نسوان همدان أننى * لهن غداة الروع غير خذول

وأبذل فى الهيجاء وجهى وانى * له فى سوى الهيجاء غير بذول

ومن القتال الكلابى حيث يقول

أنا ابن الأكرمين بنى قشير * وأخوالى الكرام بنو كلاب

نعرض للطعان اذا التقينا * وجوها لا تعرض للسباب

(باب)

قال أبو العباس قال عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه ثلاث من كن فيه فقد كمل من لم يخرجه غضبه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدر عفا وكف وقال الحسن نعم الله أكثر من أن تشكر الا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر من أن يسلم منها الا ما عفا الله عنه

وقال

محدث فقشرك فان الشيطان فى مسلك اطماعا لا يصيبها فى سوالك ويجد فيك غليلا لا يجدها فى غيرك

(فصل) وقد علمت ان الخبر اذا صح أصله وكان الناس علة فى نشره كان فى الدلالة على الحق كالعيان وفى الشفاه كالسماع على ان الخبر لا يعرف به تكييف الامور ولكن تعرف به جمل الاشياء الا خبرك فانك لا تحتاج الى اشارة ولا الى علة ولا الى نفس حتى يقوم خبرك فى الشفاه وفى كيفية الشئ مقام العيان وقد كنت أتعجب من عبد الملك وأقول ما يقولون فى رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو قلت كذا كان أفضل أو كنت لم أقل كذا كان أمثل فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من أقصى فكركم فلما رأيتك علمت انك عذاب صبه الله تعالى على كل رفيع ورحمة أنشأها الله

وقال عمر بن ذر ودخل على ابنه وهو يجود بنفسه فقال يا بنى انه ما علينا من موتك غضاضة ولا بنا الى أحد سوى الله حاجة فلما قضى وصلى عليه وواراه وقف على قبره فقال يا ذر انه قد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك لانا لا ندرى ما قلت ولا ما قيل لك اللهم انى قد وهبت له ما قصر فيه مما افترضت عليه من حق فهب له ما قصر فيه من حقك واجعل ثوابى عليه له وزدنى من فضلك انى اليك من الراغبين وسئل ما بلغ من بره بك فقال ما مشى معى بنهار قط الا تقدمنى ولا بليل الا تقدمنى ولا رقى سطحا وأنا تحته وماتت بنت عم للمنصور فحضر جنازتها وجلس لدفنها وأقبل أبو دلامة الشاعر فقال له المنصور ويحك ما اعددت لهذا اليوم فقال يا أمير المؤمنين ابنة عمك هذه التى واريتها قبيل قال فضحك المنصور حتى استغرب ودخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس فى سجن مالك بن المنذر بن الجارود ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله القسرى فقال يا أبت هذا عمر بن يزيد الأسيدى ضرب آنفا ألف سوط فمات فشد على حمار فقال الفرزدق كانك والله يا بنى بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك والحسن اذ ذاك عنده محبوس له فقال يا أبا فراس ما عندك ان كان ذلك فقال والله يا أبا سعيد لله أحب الى من سمعى وبصرى ومن مالى وولدى ومن أهلى وعشيرتى افتراه يخذلنى فقال الحسن لا وكان عمر بن يزيد الأسيدى شريفا حدثنى التوزى عن أبى عبيدة قال كان رجل أهل البصرة عمر بن يزيد الأسيدى ورجل أهل الشام عمر بن هبيرة الفزارى ورجل أهل الكوفة بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال أجل لولا خب فى بلال فقال بلال لما بلغه ذلك ومتى بدا انها انسلت وقتله مالك بن المنذر تعصبا فيما تذكره المضرية فلما دخل مالك على هشام أقبل على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد أما انى ما تمنيت ان تكون أمى ولدت رجلا من العرب غيره ثم قال لمالك قتلت والله خيرا منك حسبا ونسبا ودينا وعقبا فقال وكيف يا أمير المؤمنين ألست ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مسمع وكان جده أبا أمه وجعل عمر والسياط تأخذه ينادى يا هشاماه ففى ذلك يقول الفرزدق

ألم يك مقتل العبدى ظلما * أبا حفص من الكبر العظام

قتيل جماعة فى غير حق * يقطع وهو يدعو يا هشام

والتقى الحسن والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد قال

لكل وضيع نخبر فى ماجرى بينك وبين هرمس فى طبيعة الفلك وعن سماعك من افلاطون ومادار بينك وبين ارسطاطاليس وأى نوع اعتقدت وأى شئ اخترت فقد أبت نفسى غيرك وأبت ان تشفى الا بخبرك ولولا انى كلف برواية الأقاويل ومغرم بمعرفة الاختلاف وانى أستجيز مسألتك عن كل شئ وابتذالك فى كل امر لما سمعت من أحد سوالك وما انقطعت الى أحد غيرك اعلم جعلت فداك انى لم أرد بمزاحك الا ان أضحك سنك ولا كانت غايتى فيه الا الأنفق عندك وقد كنت خفت ان لا أكون وقعت على حده وأشفقت من المجاوزة لقدره والمزاح باب ليس المخوف فيه التقصير ولا يكون الخطأ فيه من جهة النقصان وهو باب متى فتحه فاتح وطرق له مطرق ولم يعلك من سده الذى

وما يقولون قال يقولون اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناس. فقال الحسن كلا لستُ بخيرهم ولستُ بشرهم ولكن ما أعددتَ لهذا اليوم فقال شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة وخمسَ نجائبَ لا يُدرَكن يعني الصلوات الخمس فيزعم بعض التميمية انه رُئي في النوم فقيل له ما صنع بك ربُّك فقال غفر لي فقيل له بأيّ شيء فقال بالكلمة التي نازعني فيها الحسنُ وحدثني العباس بن الفرج الرياشي في اسناد له ذكره قال كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحفُ في حجورهم فيسرّ بذلك ويجذل به ويقول ايه فدا لكم أبي وأمي كذا والله كان آباؤكم (قال أبو الحسن انما هو فداءٌ لكم فمن فتح قصر لا غير ومن كسر مدّ لكنه قصر الممدود على هذه الرواية) قال أبو العباس ونظر اليه أبو هريرة الدوسي فقال له مهما فعلتَ فقنّطك الناسُ فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال اني أرى لك قدمين لطيفتين فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة يقال قنَطَ يقنِطُ وقنِطَ يقنَطُ وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نقَمَ ينقِمُ ونقِمَ ينقَمُ والفرزدق يقول في آخر عمره حين تعلّق بأستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتم مسلما

ألم ترني عاهدتُ ربي وانني ... لبين رتاجٍ قائما ومقامِ
على حلفةٍ لا أشتم الدهرَ مسلماً ... ولا خارجاً من فيَّ زورُ كلامِ

وفي هذا الشعر

أطعتُك يا ابليسُ تسعين حجةً ... فلما انقضى عمري وتمّ تمامي
رجعتُ الى ربي وأيقنتُ أنني ... ملاقٍ لايام المنون حِمامي

قوله لبين رتاج فالرتاج غلقُ الباب ويقال باب مُرتَجٌ أي مُغلَقٌ ويقال أُرتِجَ على فلان أي أُغلِقَ عليه الكلامُ وقولُ العامة أُرتُجَ عليه ليس بشيء الا ان التوزيّ حدثني عن أبي عبيدة قال يقال ارتُجّ عليه ومعناه وقع في رجّةٍ أي في اختلاط وهذا معنى بعيد جدا وقوله ولا خارجا انما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر أراد لا أشتم الدهر مسلما ولا يخرج خروجا من فيّ زور كلام لانه على ذا أقسمَ والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل يقال ماء غَورٌ أي غائر كما قال الله عز وجل ان أصبح ماؤُكم غَورا ويقال رجل عَدلٌ أي عادل ويوم غَمٌّ أي غامٌّ وهذا كثير جدا فعلى هذا جاء المصدر على فاعل كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال قُم قائما فيوضع في موضع قولك قُم قياما وجاء من المصدر على لفظ فاعل حروفٌ منها فلج فالجا وعوفي عافيةً وأحرفٌ سوى ذلك يسيرة وجاء على

مفعول

علك من فقهه ولم يخرج بقدر ما كان قدم من نفسه لانه باب أصل بنائه على الخطأ ولا يخالطه من الاخلاق الا ما سخف ومن شأنه التزيد وان يكون صاحبه قليل التحفظ ولم نر شيأ أبعد من شر ولا أبعد له محبة ولا أشد خلافا ولا أكثر له خلطة من الجد والمزاح والمناظرة فان كنت لم أقصر عن الغاية ولم أتجاوز حد النهاية فيما أعرف من عن مكالمتك وبركة مكاتبتك ومن حسن تقويتك وجودة تثقيفك وان كنت أخطأت الطريق وجاوزت المقدار فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا انكارا لحقك ولكن حدود الاشياء اذا خفيت ومقاديرها اذا أشكلت ولم يكن مع الناظر فيها مثل تمامك ولا مع المتكلف بها مثل كمالك دخل عليه من الخلل بقدر عجزه وسلم منه بقدر نفاذه نعم ولو كان من

مفعول نحو رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع معسوره لدخول المفعول على المصدر يقال رجل رضا أى مرضى وهذا درهم ضرب الامير أى مضروب وهذه دراهم وزن سبعة أى موزونة وكان عيسى بن عمر يقول انما قوله لا أشتم حال فاراد عاهدت ربى فى هذه الحال وانا غير شاتم ولا خارج من فى زور كلام ولم يذكر الذى عاهد عليه وقال الفرزدق فى أيام نسكه

أخاف وراء القبر ان لم يعافنى • أشد من القبر التهابا وأضيقا
اذا قادنى يوم القيامة قائد • عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى • الى النار مغلول القلادة موثقا
اذا شربوا فيها الحميم رأيتهم • يذوبون من حر الحميم تمزقا

وحدثنى بعض أصحابنا عن الاصمعى عن المعتمر بن سليمان عن أبى مخزوم عن أبى شفقل راوية الفرزدق قال قال لى الفرزدق يوما امض بنا الى حلقة الحسن فانى أريد أن أطلق النوار فقلت انى أخاف عليك أن تتبعها نفسك ويشهد عليك الحسن وأصحابه فقال امض بنا فجئنا حتى وقفنا على الحسن فقال كيف أصبحت يا أبا سعيد فقال بخير كيف أصبحت يا أبا فراس قال تعلمن أن النوار منى طالق ثلاثا فقال الحسن وأصحابه قد سمعنا قال فانطلقنا قال فقال لى الفرزدق يا هذا ان فى قلبى من النوار شيأ فقلت قد حذرتك فقال

ندمت ندامة الكسعى لما • غدت منى مطلقة نوار
(وكنت كفاقئ عينيه عمدا • فأصبح لا يضئ له النهار
وما فارقتها شبعا ولكن • رأيت الدهر يأخذ ما أعار
وكانت جنتى فخرجت منها • كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى • لكان على للقدر الخيار

قال الاصمعى ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت

(باب)

قال لقيط بن زرارة

شربت الخمر حتى خلت أنى • أبو قابوس أو عبد المدان

العلماء الموصوفين ومن الادباء المذكورين والمزاح جعلت فداك باب نكد وجنس خدع يتكل المرء فى اساءته الى جليسه واسماعه لصديقه على ان يقول مزحت وعلى ان يقول عند المحاكمة عبثت وعلى ان يقول من يغضب من المزاح الا كز الخلق ومن رغب عن المفاكهة الا ضيق العطن و بعد فنى أعدت النفس عذرا كانت الى القبيح أسرع ومتى لم تجده كانت عنه أبطأ ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعى الخطأ اليه ان كثيرا ممن تمازحه يضحك وان كنت قد أغضبته ولا يقطع مزاحك وان كنت قد أوجعته فان حقد فى الحقد الداء وان عجل فذلك البلاء فان قلت فما أدخلك فى شئ هذه سبيله وهكذا جوهره وطريقته قلت لانى حين أمنت عقاب

أمشي في بني عدس بن زيد • رخي البال منطلق اللسان

وحدثني أبو عثمان المازني قال أسر رجل يوم الحسين بن علي رضي الله عنه فأتي به يزيد بن معاوية فقال له أليس أبوك القائل

أرجل جمتي وأجر ذيلي • وتحمل شكتي أفق كميت

أمشي في سراة بني غطيف • اذا ما سامني ضيم أبيت

قال بلى فأمر به فقتل قال أبو العباس وغني الى أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان فاختان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هاني بن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هاني فخرج هاني فكان في جوار معاوية ثم حضر مجلسه ومعاوية لا يعرفه فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال أنا هاني بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس بيوم يقول فيه أبوك أرجل جمتي الشعر فقال له هاني أنا اليوم أعز مني ذلك اليوم فقال له بم ذاك فقال بالاسلام يا أمير المؤمنين فقال له أين كثير بن شهاب قال عندي في عسكرك يا أمير المؤمنين فقال له معاوية انظر الى ما اختانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا وقال أعرابي

ولقد شربت الراح حتى خلتني • لما خرجت أبو فضل المنذر

قابوس أو عمرو بن هند ماثلا • يجبى له ما دون دارة قيصر

وقال آخر

شربناه من الذاذي حتى كأننا • ملوك لهم بر العراقين والبحر

فلما انجلت شمس النهار رأيتنا • تولى الغنى عنا وعاودنا الفقر

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحكم

وكأس ترى بين الاناء وبينها • قذى العين قد نازعت أم أبان

ترى شاربيها حين يعتورانها • يميلان أحيانا ويعتدلان

فما ظن ذا الواشي بأروع ماجد • وبداء خود حين يلتقيان

وقال آخر

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن • أخاها ولم أرضع لها بلبان

دعتني أخاها بعد ما كان بيننا • من الأمر ما لا يفعل الأخوان

وقال آخر (أنشده أبو علي لام ضيغم البلوية)

فبتنا فويق الحي لا نحن منهم • ولا نحن بالأعداء مختلطان

الاساءة ووثقت بثواب الاحسان وعلمت انك لا تنقض الاعلى العهد ولا تقرب الاعلى القصد ترى الأمن سائقا والأمل قائدا وأي عمل أرد وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والامن والمثوبة ولو كان هذا ذنبا كنت شريكي فيه ولو كان تقصيرا لكنت سببي اليه لان دوام التغافل شبيه بالاهمال وترك التعريف يورث الاغفال والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة ويذهبان بالحفظ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان ابن عفان عمر كان خيرا لي منك أرهبني فاتقاني وأعطاني فأغناني فان كنت اجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا به وان كنت أخطأت فلم أخطأ عليك الا لان حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب في قلة التحفظ وداعية الى ترك التحرز

وباتَ يَقينا ساقِطَ الطَّلِّ والنَّدى • من اللَّيلِ بُرْدا يُمنَةٍ عَطِران

نُعَدِّي بذِكرِ اللهِ في ذاتِ بينِنا • اذا كان قَلبا نابِتَا يَرِدان

(قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس

ونَصْدُرُ عن زِيِّ العَفافِ وربَّما • نَقَعْنا غَليلَ النَّفسِ بالرَّشَفانِ)

قال أبو العباس نُعَدِّي أي نَصرِفُ الشرَّ بذكر الله يقال فَعَدِّ عمّا تَرى أي فانصرِفْ عنه الى غيره

ويقال لا يَعدُونَّكَ هذا الحديثُ أي لا يتجاوزَنَّك الى غيرك قال أبو العباس وقال رجل من قُرَيش

مَنْ تَقرَعِ الكأسُ اللئيمةُ سِنَّهُ • فلابدَّ يوماً ان يُسِيءَ ويَجهلا

ولم أرَ مَطلوباً أخَسَّ غَنيمةً • وأوضعَ للأشرافِ منها وأخمَلا

وأجدَرَ أن تَلقى كريماً يذُمُّها • ويَشرَبُها حتّى يخِرَّ مُجدَّلا

فواللهِ ما أدري أخَبلٌ أصابَهم • أم العيشُ فيهم لم يُلاقوه أشكلا

وقال آخر اذا صدَمَتْني الكأسُ أبدَتْ محاسِني • ولم يَخشَ نَدماني أذاتي ولا بُخلي

ولستُ بفَحّاشٍ عليه وان أسا • وما شكلُ من آذى نداماهُ من شَكلي

وقال آخر كُلْ هَنيئاً وما شَرِبْتَ مَرِيئاً • ثُمَّ قُمْ صاغِراً فغَيرُ كريمِ

لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيـ • ـنِ اذا ما انتَشى لعِرسِ النَّديمِ

الايماضُ تَفَتُّحُ البَرقِ ولَمحُه يقال أومَضَتِ المرأةُ اذا ابتسَمَتْ وانما ذلك تشبيه لِلَمعِ ثَناياها بتَبَسُّمِ

البرق فاراد انه فتحَ عينَه ثم غمَّضَها بغَمْزٍ وقال حسّان بن ثابت

كأنَّ سَبيئةً من بيتِ رأسٍ • يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ

اذا ما الأشرِباتُ ذُكِرْنَ يوماً • فهُنَّ لطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ

نُوَلِّيها المَلامةَ ان ألَمْنا • اذا ما كانَ مَغْثٌ أو لِحاءُ

ونَشرَبُها فتَترُكُنا مُلوكاً • وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ

المَغثُ المُماغَثةُ باليد واللِّحاءُ المُلاحاةُ باللسان يقول يعتذِرُ المسيءُ بأن يقول كنتُ سَكرانَ

فيُعذَرُ وقوله كأنَّ سَبيئةً يقال سَبَأتُها اذا اشتريتَها سِباءً يعني الخمرَ والسابئُ الخمّارُ وقوله من

بيت رأسٍ يعني موضعاً كما يقال حارثُ الجَولانِ

وبعد فمن وهب الكبير فكيف يعف عند الصغير ومن لم يزل يعفو عن العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدري هو الذي عظم ذنبي لكان عظم قدري هو الذي شفع لي ولو استحققت عقابك باقدامي عليك مع خوفي لك لاستوجبت عفوك عن اقدامي عليك بحسن ظني بك على اني متى أوجبت لك العفو أوجبت لك الفضل ومتى أضفت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف ولا أعلم حال الفضل الا أشرف من حال العدل والحال التي توجب لك الشكر الا ارفع من الحال التي توجب لك الصبر وان كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه لأياديك عندي فان النعمة تشفع في النعمة فان لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحب الاحدوثة وعد الى حسن

(باب)

قال أبو العباس قال الأحنف بن قيس ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة الخلق السجيح والكف عن القبيح ألا أخبركم بأدوإ الداء الخلق الدني واللسان البذي. وقال الأحنف ثلاث فيّ ما أقولهن الا ليعتبر معتبر ما دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم أدع اليه يعني السلطان ولا حللت حبوتي الى ما يقوم اليه الناس تكسر الحاء وتضمها اذا أردت الاسم وتفتحها اذا أردت المصدر وأنشدني عمارة بن عقيل لجرير

قتل الزبير وأنت عاقد حبوة • قبحًا لحبوتك التي لم تحلل

ويقال في جمع حبوة حبا وحبا مقصوران وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ما أحسن الحسنات في آثار السيئات وأقبح السيئات في آثار الحسنات وأقبح من ذا وأحسن من ذاك السيئات في آثار السيئات والحسنات في آثار الحسنات والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد الى كل خبره وقال الله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال رجل لسلم بن نوفل ما أرخص السودد فيكم فقال سلم أما نحن فلا نسود الا من بذل لنا ماله وأوطأنا عرضه وامتهن في حاجتنا نفسه فقال الرجل ان السودد فيكم لغال ولسلم يقول القائل

يسود أقوام وليسوا بسادة • بل السيد المعروف سلم بن نوفل

قال معاوية لعرابة بن أوس بن قيظي الانصاري بم سدت قومك فقال لست بسيدهم ولكني رجل منهم فعزم عليه فقال أعطيت في نائبتهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يدي حليمهم فمن فعل منهم مثل فعلي فهو مثلي ومن قصر عنه فأنا أفضل منه ومن تجاوزه فهو أفضل مني وكان سبب ارتفاع عرابة أنه قدم من سفر فجمعه الطريق والشماخ بن ضرار المري فحادثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة قال قدمت لأمتار منها فملأ له عرابة رواحله برا وتمرا وأتحفه بغير ذلك فقال الشماخ

رأيت عرابة الأوسي يسمو • الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين
اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين
ومثل سراة قومك لم يجاروا • الى ربع الرهان ولا الثمين

العادة وان لم تفعل ذلك لحسن العادة فأنت ما أنت أهله واعلم اني واياك متى تحاكمنا الى كرمك قضى لي عليك ومتى ارتفعنا الى عدلك حسن العفو عني عندك وفصل ما بيننا وبينك وفرق ما بين اقدارنا وقدرك انا نسيء وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوم ونجهل وتعلم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف واذا فعلت ما تقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل ما يقدر عليه من التعرض وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن السلم وصار التعرض لعفوك بالامن باطلا والتعرض لعقابك بالخوف حقا ورغبت عن النبل والبهاء عن السودد والسنا وصرت كمن يشفي غيظا أو يداوي حقدا ويظهر القدرة أو يحب ان يذكر بالصولة ولم

قوله

قوله تلقاها عرابة باليمين قال أصحاب المعاني معناه بالقوة وقالوا مثل ذلك في قول الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه وقد أحسن كل الاحسان في قوله

اذا بلغتني وحملت رحلي • عرابة فاشرقي بدم الوتين

يقول لست احتاج الى أن أرحل الى غيره وقد عاب بعض الرواة قوله فاشرقي بدم الوتين وقال كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني نذرت ان نجوت عليها ان أنحرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما جزيتها وقال لا نذر في معصية ولا نذر للانسان في غير ملكه ومما لم يعب في هذا المعنى قول عبد الله بن رواحة الانصاري لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زيد وجعفر على جيش مؤتة

اذا بلغتني وحملت رحلي • مسيرة أربع بعد الحساء

فشأنك فانعمي وخلاك ذم • ولا أرجع الى أهلي ورائي

الحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابة فاذا مطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يغيض ومنع الرمل السمائم أن تنشفه فاذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء يقال حسي وأحساء وحساء ممدودة وقوله ولا أرجع الى أهلي ورائي مجزوم لانه دعاء وقوله لا هي الجازمة له ومعناه اللهم لا أرجع كما تقول زيد لا يغفر الله له فهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الامر والنهي كما تقول زيد ليقم وزيد لا يبرح وقد اتبع ذو الرمة الشماخ في قوله

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته • فقام بفأس بين وصليك جازر

الوصل المفصل بما عليه من اللحم يقال قطع الله أوصاله ويقال وصل وكسر وجدل في معنى واحد

(باب)

قال أبو العباس أنشدني التوزي لرجل من رجاز بني تميم في وقعة الجفرة

نحن ضربنا الازد بالعراق • والحي من ربيعة المراق

وابن سهيل قائد النفاق • بلا معونات ولا أرزاق

نحمدهم إ[ياك] أبقاك الله يحمدون القدرة الا عند استعمالها في الخير ويذمون العجز الا لما يفوت به من اتيان الجميل واني لك بالعقاب وأنت خير كلك ومن أين اعتراك المنع وأنت انهجت الجود لاهله وهل عندك الاماني طبعك وكيف لك بخلاف عادتك فلم تستكره نفسك على المكافأة وطباعها الصفح ولم تكدها بالمنافسة ومذهبها السماحة سبحان من جعل أخلاقك وفق أعراقك وفعلك وفق عملك ومن جعل ظنك أكثر من يقيننا وفراستك أقوى من عياننا وعفوك أرجح من جهدنا وبداهتك أجود من تفكرنا وفعلك ارفع من وصفنا وغيبتك أهيب من حضور الشاكة وعيبك أشد من عقاب الظلمة وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى عن عذاب المصر وتتغافل

الأبقابا كرم الأعراق • لشدة الخشية والاشفاق

• من المخازي والحديث الباقي •

الأعراق جمع عرق يقال فلان كريم العرق ولئيم العرق أي الأصل وقال آخر يصف ابنه

أعرف منه قلة النعاس • وخفة في رأسه من راسي • كيف ترين عنده مراسي

يخاطب أم ابنه فقوله أعرف منه قلة النعاس أي الذكاء والحركة وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده علمهم العوم وهذبهم بقلة النوم وكذا قال أبو كبير الهذلي

فأتت به حوش الجنان مبطنا • سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

وقال الآخر جاءت به حوش الفؤاد مسهدا • وأفضل أولاد الرجال المسهد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال عروة بن الورد العبسي وهو عروة الصعاليك

لحا الله صعلوكا اذا جن ليله • مصافي المشاش آلفا كل مجزر

(يعد الغنى من نفسه كل ليلة • أصاب قراها من صديق ميسر)

ينام ثقيلا ثم يصبح قاعدا • يحت الحصى عن جنبه المتعفر

يعين نساء الحي ما يستعنه • فيضحي طليحا كالبعير المحسر

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه • كضوء سراج القابس المتنور

مطلا على أعدائه يزجرونه • بساحتهم زجر المنيح المشهر

وان بعدوا لا يأمنون اقترابه • تشوف أهل الغائب المتنظر

فذلك ان يلق المنية يلقها • حميدا وان يستغن يوما فأجدر

(يريح على الليل أضياف ماجد • كريم ومالي سارحا مال مقتر

قال أبو الحسن كذا أنشده فذلك لانه لم يرو أول الشعر والصواب كسر الكاف لانه يخاطب امرأة الا تراه قال أقلي على اللوم يا ابنة مالك • ونامي وان لم تشتهي ذاك فاسهري)

قوله • يحت الحصى عن جنبه المتعفر • يريد المتترب والعفر والعفر اسمان التراب من ذلك قولهم عفر الله خده ويقال للظبية عفراء اذا كانت يضرب بياضها الى حمرة وكذلك الكثيب

عن المنادي وتصفح عن المتهاون حتى اذا صرت الى من ذنبه شيات وتوبته اخلاص وهفوته بكر وشفعته الحرمة ومن لا يعرف الشكر الا لك ولا الانعام الا منك ولا العلم الا من تأديبك ولا الاخلاق الا من تقويمك ولا يقصر في بعض طاعتك الا لمار أى من احتمالك ولا نسي بعض ما يجب لك الا لما داخله من تعظيمك صرت تتعود بالصدو هو دليل كل بلية وتستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكة وقد علمت ان عتابك أشد من الصرعة وان تأنيبك أغلظ من العقوبة وان منعك اذا منعت في وزن اعطائك اذا أعطيت وان عقابك على حسب نوابك وان جزعي من حرمانك في وزن سروري بفوائدك وان شين غضبك كذم رضاك وان موت ذكري بانقطاع سببي منك كحياة ذكري

الاعفر وقوله كالبعير الحسر هو المعيي يقال جمل حسير وناقة حسير قال الله عز وجل ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله * وان بعدوا الا يأمنون اقترابه * على التقديم والتأخير اراد لا يأمنون اقترابه وان بعدوا وهذا احسن في الاعراب اذا كان الفعل الاول في المجازاة ماضيا كما قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

فان كان الفعل الاول مجزوما لم يجز رفع الثاني الا ضرورة فسيبويه يذهب الى انه على التقديم والتأخير وهو عندي على ارادة الفاء لعلة تلزمه في مذهبه نذكرها في باب المجازاة اذا جرى في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله

يا أقرع بن حابس يا أقرع * انك ان يصرع أخوك تصرع

اراد سيبويه انك تصرع ان يصرع أخوك وهو عندي على قوله ان يصرع أخوك فأنت تصرع يا فتى ونستقصي هذا في بابه ان شاء الله تعالى وقوله * كيف ترين عنده مراسي * يقول للمرأة عززتك على شبهه ويقال أنجب الاولاد ولد الفارك وذلك لانها تبغض زوجها فيسبقها بمائه فيخرج الشبه اليه فيخرج الولد مذكرا وكان بعض الحكماء يقول اذا أردت ان تطلب ولد المرأة فأغضبها ثم قع عليها فانك تسبقها بالماء وكذلك ولد الفزعة كما قال أبو كبير الهذلي

ممن حملن به وهن عواقد * حبك النطاق فشب غير مهبل

(المهبل الكثير اللحم ومهبل غير مدعو عليه بالهبل)

حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

مزؤودة ذات زؤد وهو الفزع فمن نصب مزؤودة فانما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلة وجعل الليلة ذات فزع لانه يفزع فيها قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم في الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال آخر * فنام ليلي وتجلى همي * وهذا الرجز ضد ما قال الآخر في ولده فانه أقر بان امرأته غلبته على شبهه وذلك قوله

والله ما أشبهني عصام * لا خلق منه ولا قوام * نمت وعرق الخال لا ينام

يقول عزتني أمه على الشبه فذهبت به الى أخواله وقال آخر . . . .

مع اتصال سببي بك ومالي اليوم عمل أتابه اسكن ولا شفيع أتابه أوثق من شدة جزعي من عتبك وافراط هلعي من خوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومن بالعفو لم يكن لصاحبه منه الا السلامة والنجاة من الهلكة بل تشفع ذلك بالمراتب الرفيعة والعطايا الجزيلة والعز في العشيرة والهيبة في الخاصة والعامة مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكرى القد والخرط والطول والعرض وما بيننا وبينك في ذلك من التنازع والتشاجر والتنافر فان الكلام قد يكون في لفظ الجد وهو مزاح ولو استعمل الناس الدمائة في كل حال والجد في كل مقال وتركوا التسمح والتسهيل وعقدوا في كل دقيق وجليل لكان الشر صراحا خبر الهم والباطل

لقد بعثتُ صاحباً من العَجَمْ • بين ذوي الأحلام والبيض القِمَمْ • كان أبوه غائباً حتى فُطِمْ

يقول لم يُسقَ غَيلاً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هممتُ أن أنهى أمتي عن الغيلة حتى علمتُ ان فارس والروم تفعل ذلك باولادها فلا تضيرُ أولادها والغيلة ان ترضع المرأة وهي حامل أو ترضع وهي تُغشى ويزعم أهل الطب من العرب والعجم ان ذلك اللبن داء وقالت أم تأبط شرا والله ما حملته تضعاً ولا وضعاً ولا وضعته يتناً ولا سقيته غيلاً ولا أبته مئقاً وقال الاصمعي ولا أبته على مأقة وقولها ما حملته تضعاً يقال اذا حملت المرأة عند مقبل الحيض حملته وضعاً وتضعاً واذا خرجت رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضعته يتناً قال الشاعر

فجاءت به يتناً يجرّ مشيمةً • تسابق رجلاه هناك الاناملا

ويقال للرجل اذا قلب الشيء عن جهته جاء به يتناً قال عيسى بن عمر سألت ذا الرمة عن مسئلة فقال لي أتعرف اليتن قلت نعم قال فمسئلتك هذه يتن قال وكنت قد قلبت الكلام والغيل ما فسرناه واما قولها ولا أبته مئقاً تقول لم أُبِتْه مغيظاً وذلك ان الخرقاء تُبيت ولدها جائعاً مغموماً لحاجته الى الرضاع ثم تحركه في مهده حتى يغلبه الدوار فينومه والكيسة تُشبعه وتغنّيه في مهده فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع كما يسري ذلك الغم والجوع في بدن الآخر ومن أمثال العرب أنا تَئِقٌ وصاحبي مَئِقٌ فكيف نتفق التئق الممتلئ غيظا وغضبا والمئق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق

(باب)

قال أبو العباس قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يزهدنّك في المعروف كفرُ من كفره فانه يشكرك عليه من لم تصطنعه اليه وأنشد عبد الله بن جعفر قول الشاعر

إنّ الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى تُصيب بها طريق المصنع

فقال هذا رجل يريد أن يبخّل الناس أمطر المعروف مطراً فان صادف موضعاً فهو الذي قصدت له والا كنت أحقّ به (قال أبو الحسن الاخفش حدثنا المبرد في غير الكامل قال قال الحسن والحسين رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال قال بأبي أنتما وأمي ان الله عوّدني أن يتفضل عليّ وعوّدته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني) ومن

محضا أرد عليهم ولكن لكل شيء قدر ولكل حال شكل فالضحك في موضعه كالبكاء في موضعه والتبسم في موضعه كالقطوب في موضعه وكذلك المنع والبذل والعقاب والعفو وجميع القبض والبسط فان ذممنا المزاح ففيه لعمري ما يذم وان حمدناه ففيه ما يحمد وفصل ما بينه وبين الجد أن الخطأ الى المزاح أسرع وحاله بحال السخف أشبه فاما أن يذم حتى يكون كالظلم ويبقى حتى يصير كالغدر فلا لأن المزاح مما يكون مرة حسنا ومرة قبيحا فاذا صرنا الى الجد ورغبنا الى الهزل وتركنا المزاح وجلسنا للحكم فقد أغنانا الله تعالى عن الحجة كما سلمنا من الشبهة ولم نتكلف الاحتجاج كما نرغب بك عن الاعتلال فاصبحت لا محتجا ولا محجوجا ولا معتلا ولا

يزيد بن المهلب باعرابية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة فقربته عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما معك من النفقة فقال ثمانى مائة دينار قال فادفعها اليها قال له ابنه انك تريد الرجال ولا يكون الرجال الا بالمال وهذه يرضيها اليسير وهى بعد لا تعرفك فقال له ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فانا أعرف نفسى ادفعها اليها وزعم الاصمعى ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الامر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت وأنا غلام الى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فدخلت فاذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح يا جارية غدينا قال فاتته بزيت وتمر قال فدعانى فقذرته أن آكل معه حتى اذا قضى من أكله حاجة وثب الى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينى ماء فاتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال يا جارية على بردائى فاتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الاصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تبق حبوة الا حلت اعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الاحياء فى ماله وانصرف وحدثنى أبو عثمان بكر بن محمد المازنى عن أبى عبيدة قال لما أتى زياد بن عمرو المربد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى جعل فى الميمنة بكر بن وائل وفى الميسرة عبد القيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الاحنف فقال هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه فجاءه حارثة بن بدر الغدانى وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب فى القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف باخى كهمس وهو أحد بنى صريم بن يربوع فجعل فى القلب بحذاء الازد وجعل حارثة بن بدر فى بنى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للاحنف

سيكفيك عبس أخو كهمس * مقارعة الازد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

موسوما ولا مساوما ولا معذورا ولا قيل اختلاف ولا بل حاجة الى الائتلاف وليس مع العيان وحشة ولا مع الضرورة وجهة ولا دون اليقين وقفة وهل فيك ريب حتى تعالج بالحجة وهل يرد فضلك حاد حتى تثبت بالصبغة وهل لك خصم فى العلم أو يد فى الفهم أو مجاز فى الحلم أو ضد فى العزم وهل يبلغك الحسد أو تضرك العين أو تسمو اليك المنى أو يطمع فيك طاغ أو يتعاطى شأوك باغ وهل غاية الجميل الا وصفك وهل زين البليغ الا مدحك وهل يأمل الشريف الا اصطناعك وهل يفيد الملهوف الا غياثك وهل للطلاب غاية سواك وهل للغوانى مثل غيرك وهل للمادح رجز الا فيك وهل يحدو الحادى الا بك ولولا أن يأخذ الواصف لك بنصيبه منك بحصته

ونكفيك بكرا اذا أقبلت • بضرب يشيب له الأمرد

فلما تواقفوا بعث اليهم الأحنف يا معشر الأزد وربيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة قاصدة فوجه اليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث ان شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا وان شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم والا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة قال أبو العباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك في الجاهلية وكان الرجل اذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودى عشر ديات فبعث اليه الأحنف سنختار فانصرفوا في يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم انكم خيرتمونا خلالا ليس فيها خيار أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دما وأما ترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز وجل ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل ولكن الثالثة انما هي حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندي قتلاكم وانما مسعود رجل من المسلمين وقد أذهب الله أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ويغمدوا السيف ويودى سائر القتلى من الأزد وربيعة فتضمن ذلك الأحنف ودفع اياس بن قتادة المجاشعي رهينة حتى يؤدي هذا المال فرضي به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال

ومنا الذي أعطى يديه رهينة • لغاري معد يوم ضرب الجماجم
عشية سال المربدان كلاهما • عجاجة موت بالسيوف الصوارم
هنالك لو تبغي كليبا وجدتها • أذل من القردان تحت المناسم

(قال أبو الحسن وكان أبو العباس ربما رواه لغازي معد) ويقال ان تميما في ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط والسيابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا ففي ذلك يقول جرير

سائل ذوي يمن ورهط محرق • والأزد اذ ندبوا لنا مسعودا
فأتاهم سبعون ألف مدجج • متسربلين يلامقا وحديدا

قال الأحنف بن قيس فكثرت علي الغيات فلم أجدها في حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين فسألت عن

من الصدق وشيمته من الشكر لكان الاطناب عندهم في وصفك لغوا ولكان تكلفه فضلا ومن هذا الذي نصفه ان يكون دونك أو يجي بالتسليم أو بعد اقراره احسانا وخضوعه انصافا وهل تقع الابصار الا عليك وهل تصرف الاشارة الا اليك وأي أمرك ليس بغاية وأي شيء منك ليس في النهاية وهل فيك شيء يفوق شيأ أو يفوقه شيء أو يقال لو لم يكن كذا لكان أو لو كان كذا لكان أتم وأين الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التي لا تستحيل والتمام الذي لا يحل الا فيك أو عندك أولك أو معك لا بل أين الحسن المصمت والجمال المفرد والقد المعجب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل على ظهرها جميل حسيب

المقصود هناك فارشدت الى قبة فاذا شيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت توفى صلوات الله عليه قال فما فعل عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها فقلت له مات رحمه الله تعالى قال فاى خير فى حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمتنا للازد وربيعة قال فقال لى اقم فاذا راع قد اراح الف بعير فقال خذها ثم اراح عليه آخر مثلها فقال خذها فقلت لا احتاج اليها قال فانصرفت بالالف عنه ووالله ما ادرى من هو الى الساعة قوله المناسم واحدها منسم وهو ظفر البعير فى مقدم الخف وهو من البعير كالسنبك من الفرس وقوله عشية سال المربدان كلاهما يريد المربد وما يليه مما يجرى مجراه والعرب تفعل هذا فى الشيئين اذا جريا فى باب مجرى واحدا قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

يريد الشمس والقمر لانهما قد اجتمعا فى قولك النيران وغلب الاسم المذكر وانما يؤثر فى مثل هذا الخفة وقالوا العمران لابى بكر وعمر فان قال قائل انما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يصب لان أهل الجمل نادوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أعطنا سنة العمرين فان قال قائل فلم لم يقولوا أبوى بكر وأبو بكر أفضلهما فلان عمر اسم مفرد وانما طلبوا الخفة وأنشدنى التوزى عن أبى عبيدة لجرير

وما التغلبى ان عدوا مساعيهم * نجم يضىء ولا شمس ولا قمر

ما كان يرضى رسول الله فعلهم * والعمران أبو بكر ولا عمر

هكذا أنشدنيه (انما قال هكذا أنشدنيه لان غير التوزى يرويه والطيبان أبو بكر ولا عمر) وقال آخر (هو حميد الارقط) * قدنى من نصر الخبيبين قدى * يريد عبد الله ومصعبا ابنى الزبير وانما أبو خبيب عبد الله وقرأ بعض القراء سلام على الياسين فجمعهم على لفظ الياس ومن ذا قول العرب المسامعة والمهالبة والمناذرة فجمعهم على اسم الاب والمشعرة اسم لقتلى الملوك خاصة كانوا يكبرون أن يقولوا اقتل فلان فيقولون أشعر فلان من اشعار البدن ويروى أن رجلا قال حضرت الموقف مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به صائح يا خليفة رسول الله ثم قال يا أمير المؤمنين فقال رجل من خلفى دعاه باسم ميت مات والله أمير المؤمنين فالتفت فاذا رجل من بنى لهب وهم من بنى نصر بن الازد وهم أزجر قوم قال كثير

وما لم أديب الا وظلك أكبر من شخصه وظلك أكثر من علمه واسمك أفضل من معناه وحلمك أثبت من نجواه وربما رأيت الرجل حسنا جميلا وحلوا مليحا وعتيقا رشيقا وفخيما نبيلا ثم لا يكون موزون الاعضاء ولا معتدل الأجزاء وقد تكون أيضا الاقدار متساوية غير متقاربة ويكون قصدا ومقدارا عدلا وان كانت هناك دقائق خفية لا يراها الغبى ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكى فاما الوزن المحقق والتعديل الصحيح والتركيب الذى لا يفضحه التفرس ولا يحصره التعقب ولا يتعلق جاذبه ولا تطمعه فى القوة غايته فهو الذى خصصت به دون الأنام ودام لك على الأيام وكذا الحسن اذا كان حرا مرسلا وعتيقا مطلقا لا يتحكم عليه

سألتُ أخا الهبِ ليزجر زجرة • وقد صار زجر العالمين الى لهبِ

قال فلما وقفنا لرمي الجمار اذا حصاة قد صكت صلعة عمر فادمته فقال قائل أشعر والله أمير المؤمنين لا يقف هذا الموقف أبدا فالتفت فاذا ذلك اللهبي بعينه فقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحول

(باب)

قال أبو العباس أنشدني رجل من أصحابنا من بني سعد قال أنشدني اعرابي في قصيدة ذي الرمة

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى • ولا زال منهلا بجرعائك القطر

بيتين لم تأت بهما الرواة وهما

رأيت غرابا ساقطا فوق قضبة • من القضب لم ينبت لها ورق نضر

فقلت غراب لاغتراب وقضبة • لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وقال آخر (قال أبو الحسن هو جحدر العكلي وكان لصا)

وقد ماهاجني فازددت شوقا • بكاء حمامتين تجاوبان

(وقد ماعن أبي الحسن) تجاوبتا بلحن أعجمي • على عودين من غرب وبان

فكان البان أن بانت سليمى • وفي الغرب اغتراب غير دان

وأنشدني أبو محلم لرجل من ولد طلبة بن قيس بن عاصم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته • على الوجه حتى خاصمتني الدراهم

فلما تنازعنا الخصومة غلبت • علي وقالوا قم فانك ظالم

وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي عن أبي زيد الانصاري

ولقد بغيت المال من مبغاته • والمال وجه للفتى معروض

طلب الغنى عن صاحب ليبقى • ان الفقير الى الغني بغيض

وقال آخر أنشدنيه التوزي عن أبي زيد

وصاحب نبهته لينهضا • اذا الكرى في عينه تمضمضا

فقام عجلان وما تأرضا • يمسح بالكفين وجها أبيضا

الذهن ولا يبدله الزمان ولا يحتاج الى تعليق التمائم ولا الى الصون والكن ولا الى المنقاش والكحل ولو لم يكن لحسن وجهك الا انه قد سهل في العيون تسهيلا وحبب الى القلوب تحبيبا وقرب الى النفوس تقريبا حتى امتزج بالارواح وخالط الدماء وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوهم ولا السرور الشديد ولا الشراب الرقيق لكان له في ذلك المزية الظاهرة والفضيلة البينة ولو لم يكن لك الا اننا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو أحسن من القمر وأضوأ من الشمس وأبهى من الغيث وأحسن من يوم الحلبة وانا لا نستطيع ان نقول في التفاريق كان عنقه ابريق فضة وكان قدمه لسان حية وكان وجهه ماوية

قوله وماتأرضا أى لم يلزم الارض وأنشدنى التوزى عن أبى زيد الانصارى (قال أبو الحسن هو شبيب ابن البرصاء) لقد علمت أم الصبيين أننى ٭ الى الضيف قوام السنات خروج

اذا المرغث العوجاء بات يعزها ٭ على ضرعها ذو تومتين لهوج

وانى لأغلى اللحم نيا وانني ٭ لممن يهين اللحم وهو نضيج

قوله قوام السنات يريد سريع الانتباه والسنة شدة النعاس وليس بالنوم بعينه قال الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم وقال ابن الرقاع العاملى

لولا الحياء وان رأسى قد عسا ٭ فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها بين النساء أعارها ٭ عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ٭ فى عينه سنة وليس بنائم

معنى رنقت تهيأت يقال رنق النسر اذا مد جناحيه ليطير قال ذو الرمة

(اذا ضربته الريح رنق فوقنا) ٭ على حد قوسينا كما رنق النسر

وقوله المرغث يعنى التى ترضع ترغث ولدها ويقال لها رغوث قال طرفة

ليت لنا مكان الملك عمرو ٭ رغوثا حول قبتنا تخور

وقوله يعزها أى يغلبها وقال الله عز وجل وعزنى فى الخطاب يقول غلبنى فى المخاطبة وأصله من قوله كان أعز منى فيها ومن أمثال العرب من عز بز وتأويله من غلب استلب وقال زهير

٭ وعزته يداه وكاهله ٭ يقول كان ذلك أعز ما فيه ويقال لهج الفصيل فهو لهوج اذا لزم الضرع ويقال لرجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالا فيشده على الضرع أو على أنف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضربته عنها برجلها قال الشماخ يصف الحمار

رعى بارض الوسمى حتى كأنما ٭ يرى بسفا البهمى أخلة ملهج

البارض أول ما يبدو من النبت والبهمى يشبه السنبل يقول فهو لما اعتاد هذا المرعى اللدن استخشن البهمى وسفاها شوكها فيقول كأنه يتناول عن البهمى أى يراها كالأخلة وقوله ذو تومتين فالتومة فى الأصل الحبة ولكنها فى هذا الموضع التى تعلق فى الاذن (وقوله الحبة انما معناه من حبات النظم) وكالبيت الاخير قوله

وكان بطنه قنطية وكان ساقه بردية وكان لسانه ورقة وكان أنفه حد سيف وكان حاجبه خط قلم وكان لونه الذهب وكان عوارضه البرد وكان فاه خاتم وكان جبينه هلال وهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء وهو أمضى من السيل وأهدى من النجم لكان فى ذلك البرهان النير والدليل البين وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية فى كل فضل والمثل فى كل شكل واما قول الشاعر
يزيدك وجهه حسنا
اذا ما زدته نظرا
وقول الدمشقيين ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وما ندرى أجواهر مقطعاته أكرم فى الجواهر أم تنضيد

وانى لأغـلى لحمها وهى حيـة • ويرخص عندى لحمها حين تذبح

بذا فاندبينى وامـدحينى فاننى • فتى تعـتريه هـزة حين يمدح

(باب)

قيل لعـمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أىّ الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وقال رجل من الحكماء اعص النساء وهواك واصنع ماشئت وقال محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق فتأمل أمرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المخترم أهل الدنيا أهل سفر لا يحلون عقد رحالهم الا فى غيرها قوله تزدلف بك الى حمامك يقول تقربك ولذلك سميت المزدلفة وقوله عز وجل وزلفا من الليل انما هى ساعات يقرب بعضها من بعض قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا • طىّ الليالى زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا

ناج سريع والأين الاعياء والوجيف ضرب من السير ونصب طىّ الليالى لانه مصدر من قوله طواه الأين وليس بهذا الفعل ولكنّ تقديره طواه الأين طيّا مثل طىّ الليالى كما تقول زيد يشرب شرب الابل انما التقدير يشرب شربا مثل شرب الابل فمثل نعت ولكن اذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يبينه وقام ما أضيف اليه مقامه فى الاعراب من ذلك قول الله تبارك وتعالى واسئل القرية نصب لانه كان واسئل أهل القرية وتقول بنو فلان يطؤهم الطريق تريد أهل الطريق فحذفت أهل فرفعت الطريق لانه فى موضع مرفوع فعلى هذا فقس ان شاء الله وقوله سماوة الهلال انما هو أعلاه ونصب سماوة بطى يريد طواه الأين كما طوت الليالى سماوة الهلال والشاهد على انه يريد أعلاه قول طفيل

سماوته أسمال برد محبر • وسائره من أتحمى مشرعب

ويروى معصب وانما سماوته من قولك سماء فاعلم فاذا وقع الاعراب على الهاء أظهرت ما تبنيه على التأنيث على أصله فان كان من الياء أظهرت الياء وان كان من الواو أظهرت فيه الواو وتقول

شقاوة

أجزائه فى تنضيد الأجزاء فان ذلك معنى مسروق منى فى وصفك ومأخوذ من كتبى فى مدحك والجملة التى تنفى الجدال وتقطع القيل والقال انى لم أرك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت أجمل الناس فى عقب رؤيتك الا ذكرت النار ولا تعجب أيها السامع واعلم انى مقصر واذا رأيته علمت انى فيما يجب له مفرط هو رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشؤه محمود غذى فى النعمة وعاش فى الغبطة وأرهفه التأديب ولطفه طول التفكير وخاض ماء الأدب وجرى فيه ماء الحياء فأفعاله كأخلاقه وأخلاقه كأعراقه وعادته كطبيعته وآخره كأوله تحكى اختياراته التوفيق ومذاهبه التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التجرد ويتبسل عن

شقاوة لانها من الشقوة وتقول هذه امرأة سقاية اذا أردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبت الياء والواو همزتين لان الاعراب عليهما يقع فقلت سقاء وغزاء يافتى فان أنثت قلت سقاءة وغزاءة والاجود فيما كان له تذكير الهمز وفيما لم يكن له تذكير الاظهار وانما السماء من الواو لان الاصل مما يسمو اذا ارتفع وسماء كل شئ سقفه وقوله حتى احقوقف ابداعوج وانما هو افعوعل من الحقف والحقف النقا من الرمل يعوج ويدق قال الله عز وجل اذ أنذر قومه بالاحقاف أى بموضع هو هكذا وقال رجل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى خطبة باأمير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن وقال الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملا لابى موسى الاشعرى على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا جميعا قال فلما قدمنا أتيت يرفأ فقلت يايرفأ مسترشد وابن سبيل أى الهيآت أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله فأومأ الى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتى على رأسى فدخلنا على عمر فصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيأ وأعود به على أقارب لى فما فضل عنهم فعلى فقراء المسلمين قال فلا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز وأكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد فجعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت انى سخت فى الأرض فقلت ياأمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى ألين من هذا فزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت أقول ياأمير المؤمنين أن تنظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا واللحم غريضا فسكن من غربه وقال أههنا غرت قلت نعم فقال ياربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من صلائق

الانصاف لاتمتنع عليه معرفة المبهم ولا ينجبع باستبانته المشكل ولا يعرف الشك الا فى غيره ولا الى الاسماع فمن يطمع فى عينك بل من يطمع فى قدرك وكيف وقد أصبحت وما على ظهرها جواد الا تعثر باسمك ولا قينة الا وهى تبغى تمدحك ولا فتاة الا تشكو تباريح حبك ولا محجوبة الا وهى تثقب الخروق لمرك ولا عجوز الا وهى تدعو لك ولا غيور الا وقد شفى بك فكم من كبد حرى منضجة ومصدوعة ومعذبة وكم حشا خافق وقلب هائم وكم عين ساهرة وأخرى جامدة وأخرى باكية وكم عبرى مولهة وفتاة معذبة قد أقرح قلبها الحزن وأجمد عينها الكمد واستبدلت بالحلى العطلة وبالانس الوحشة وبالتكحيل المرة فاصبحت

وسبائك وصناب ولكني رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ثم أمر أبا موسى بإقراري وان يستبدل بأصحابي قوله فلتتها على رأسي يقول أدرت بعضها على بعض على غير استواء يقال رجل ألوث اذا كان شديدا وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج وهو مأخوذ من اللوثة وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سئل الأصمعي عن المجنون المسمى قيس بن معاذ فثبته وقال لم يكن مجنونا ولكن كانت به لوثة كلوثة أبي حية الشاعر وقيل للأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي بم كنتم تعرفون السودد في الصبي منكم قال اذا كان ملوث الأزرة طويل الغرلة سائل الغرة كأن به لوثة فلسنا نشك في سودده وقوله تؤتى بالحم غريضا يقول طريا يقال لحم غريض وشواء غريض يراد به الطراء قال الغساني (هو السموأل)

اذا ما فاتني لحم غريض * ضربت ذراع بكري فاشتويت

وقوله صلائق فمعناه ما عمل بالنار طبخا وشيا يقال صلقت الجنب اذا شويته وصلقت اللحم اذا طبخته على وجهه وقوله سبائك يريد ما يسبك من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحوارى وكانت العرب تسمي الرقاق السبائك وأصله ما ذكرنا والصناب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب ومن ذلك قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون وكان جرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففركت جريرا وجعلت تحن الى زيد فقال جرير

تكلفني معيشة آل زيد * ومن لي بالمرقق والصناب

وقالت لا تضم كضم زيد * وما ضمي وليس معي شبابي

فقال الفرزدق يجيبه

فان تفركك علجة آل زيد * ويعوزك المرقق والصناب

فقدما كان عيش أبيك مرا * يعيش بما تعيش به الكلاب

وأما قوله أكسار بعير فان الكسر والجدل والوصل العظم ينفصل بما عليه من اللحم وأما قوله نعى على قوم فمعناه انه عابهم بها ووبخهم قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على ان فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس وسم الفرسان وفارس قيس عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وفارس ربيعة بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد أحد بني شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن

وائل

والهمة مبنونة وهائمة مجهودة بعد طرف ناصع وسن ضاحك وبعد أن كانت نارا تتوقد وشعلة تتوهج وليس حسنك أبقاك الله الحسن الذي تبقى معه توبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد أو يثبت معه عزم أو يمهل صاحبه للتثبت أو يتسع للصبر أو ينهيه زجر أو يفيده خوف هو أبقاك الله شيء ينقض العادة ويفسخ المنة ويحيل عن الروية ويطوح بالعرا وتنسى معه العواقب ولو أدركك عمر ابن الخطاب لصنع بك أحسن مما صنع بنصر بن حجاج ولركبك بأعظم مما ركب جعدة السلمي بل لأداه الشغل بك الى ترك التشاغل بهما والغيظ عليك الى الرحمة لهما فمن كان عيب حسنه الافراط عليه من جهة الزيادة كيف يرومه عاقل

وائل قال ثم اختلفوا فيهم حتى نعوا عليهم سقطاتهم وأما قوله أههنا غورت يقول ذهبت يقال غار الرجل اذا أتى الغور وناحيته مما انخفض من الارض وأنجد اذا أتى نجدا وناحيته مما ارتفع فى الارض ولا يقال أغار انما يقال غار وأنجد وبيت الاعشى ينشد على هذا

نبى يرى ما لا ترون وذكره * لعمرى غار فى البلاد وأنجدا

وقوله سكن من غربه يقول من حده وكذلك يقول فى كل شئ فى السيف والسهم والرجل وغير ذلك وقوله خفين مطارقين تأويله مطبقين يقال طارقت نعلى اذا أطبقتها ومن قال طرقت أو أطرقت فقد أخطأ ويقال لكل ما ضوعف قد طورق قال ذو الرمة (يصف سقرا)

طراق الخوافى واقع فوق ريعة * ندى ليله فى ريشه يترقرق

قوله ريعة موضع ارتفاع قال الله عز وجل أتبنون بكل ريع آية تعبثون وهو جمع ريعة وقال الشماخ

تعن له بمذنب كل واد * اذا ما الغيث أخضل كل ريع

قال أبو العباس وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن الأصمعى قال قال عدى بن الفضيل خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحفره بئرا بالعذبة فقال لى وأين العذبة فقلت على ليلتين من البصرة فتأسف ألا يكون بمثل هذا الموضع ماء فأحفرنى واشترط على أن أول شارب ابن السبيل قال فحضرته فى جمعة وهو يخطب فسمعته وهو يقول يا أيها الناس انكم ميتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم محاسبون فلعمرى لئن كنتم صادقين لقد قصرتم ولئن كنتم كاذبين لقد هلكتم أيها الناس انه من يقدر له رزق برأس جبل أو بحضيض أرض يأته فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب قال فأقمت عنده شهرا ما بى الا استماع كلامه قوله بحضيض يعنى المستقر من الارض اذا انحدر عن الجبل ولا يقال حضيض الا بحضرة جبل يقال حضيض الجبل ويطرح الجبل فيستغنى عنه لان هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امرئ القيس * تنظرت اليه وانما با الحضيض *

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذى لم يأت على يومك الذى أنت فيه فانه ان يعلم من أجلك يأت فيه رزقك واعلم انك لا تكسب من المال شيأ فوق قوتك الا كنت خازنا لغيرك فيه ويروى للنابغة (هذا من شعر أوس بن حجر مثبت فيه فى كلمة لم يعرفها الاصمعى)

ولست بخابئ أبدا طعاما * حذار غد لكل غد طعام

آو ينتقصه عالم وما ندرى فى أى الحالين أنت أجمل وفى أى المنزلتين أنت اكمل اذا فرقناك واذا جمعناك واذا ذكرناك كلك ام اذا تأملنا بعضك فاما كفك فهى التى لم تخلق الا للتقبيل والتوقيع وهى التى يحسن بحسنها كلما اتصل بها ويختال بها كل ما صار فيها كما أصبحنا وما ندرى الكأس الذى فى يدك اجمل ام القلم ام الرمح الذى تحمله ام المخصرة ام العنان الذى تمسكه ام السوط الذى تعلقه وكما أصبحنا وما ندرى اى الأمور المتصلة برأسك احسن ام ايها اجمل واشكل اللمة ام مخط اللحية ام الاكليل ام العصابة ام العمامة ام القناع ام القلنسوة واما قدمك فهى التى يعلم الجاهل كما يعلم العالم ويعلم البعيد الاقصى كما يعلم القريب الادنى انها لم تخلق الا لمنبر

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان آمنا في سَرْبه معافى في بدنه عنده قوت
يومه كان كمن حِيزت له الدنيا بحذافيرها (كذا وقعت الرواية بفتح السين عن أبي العباس
والصواب كسرها وانما السَّرْب بفتح السين المال الراعي) قوله صلى الله عليه وسلم في سربه يقول
في مسلكه يقال فلان واسع السرب وخليّ السرب يريد المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب
للصدر والقلب يقال خلّ سربه أي طريقه حتى يذهب حيث شاء ويقال ذلك للإبل لأنها
تَسْرب في الطرقات ويقال سَرِّب عليَّ الإبل أي أرسلها شيئا بعد شيء فاذا قلت سِرْب بكسر السين
فانما هو قطيع من ظباء أو بقر أو شاء أو نساء أو قطا قال امرؤ القيس

فعنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نعاجه * عذارى دَوارٍ في المُلاء المذيَّل

دَوار نسك ينسكون عنده في الجاهلية ودُوّار ما استدار من الرمل ودوّار سجن اليمامة قال بعض
اللصوص (واسمه جحدر) كانت منازلنا التي كنّا بها * شتّى فألّف بيننا دوّار
وقال عمر بن أبي ربيعة فلم ترَ عيني مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف
وكان الحسن يقول ليس العجب ممن عطب كيف عطب انما العجب ممن نجا كيف نجا وكان الحجاج
ابن يوسف يقول على المنبر أيها الناس اقدعوا هذه الأنفس فانها أسأل شيء اذا أعطيت وأمنع
شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها
بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه قوله اقدعوا
يقول امنعوا يقال قدعته عن كذا أي منعته عنه ومنه قول الشماخ

اذا ما استافهن ضربن منه * مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعني حمارا يستاف أتنا يقول يمتحنه اذا اشتمّهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح
من أنف القدوع يريد بالقدوع المقدوع وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب اذا كان
يُركب ورجل ركوب للدواب اذا كان يركبها ويقال ناقة رغوث اذا كانت تُرضع وحوار رغوث
اذا كان يرضع ومثل هذا كثير يقال شاة حلوب اذا كانت تُحلب ورجل حلوب اذا كان يحلب
الشاة والقدوع ههنا البعير الذي يُقدع وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب
أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدعته وقدعت أنفه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما

عظيم او ركاب طرف كريم
واما قولك فهو الذي
لا ندري اي الذي تتفوه
به احسن واي الذي تبدأ
به اجل الحديث ام الشعر
ام الاحتجاج ام الأمر
والنهي ام التعليم والوصف
وعلى اننا لا ندري اي
السنتك ابلغ واي بيانك
اشفى اقلمك ابلغ ام لفظك
ام اشارتك ام عقدك
وانت في ذلك فوقهم والحمد
لله وواحدهم واعيذك
بالله تعالى وقد علمنا ان
القمر وهو الذي تضرب
به الامثال ويشبه به
اهل الجمال يبدو مع ذلك
ضئيلا ويظهر معوجا
شخصا وانت أبدا قمر بدر
ونجم زمرتم مع ذلك يحترق
في السرار ويتشاءم به في
المحاق ويكون نحسا كما
يكون سعدا ويكون ضرا
كما يكون نفعا ويقرض
الكتان ويشحب الالوان
ويحترق فيه اللحم وانت
دائم اليمن ظاهر السعادة

خطب خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فذكر ذلك لورقة بن نوفل فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خويلد الفحل لا يقدع أنفه وكان الحجاج يقول ان امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه أو يستغفر من ذنبه أو يفكر في معاده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة

(باب)

قال أبو العباس أنشدني عمارة بن عقيل لنفسه يحض بني كعب وبني كلاب ابني ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن على بني نمير بن عامر بن صعصعة وبينهم مطالبات وترات وكانت بنو نمير أعداء عمارة فكان يحض عليهم السلطان ويغري بهم اخوتهم ويحاربهم في عشيرته فقال

رأيناكما يا ابني ربيعة خرتما • لعض الحروب والعديد كثير
وصدقتما قول الفرزدق فيكما • وكذبتما ما كان قال جرير
أصابت نمير منكم فوق قدرها • فكل نميري بذاك أمير
فان تفخروا بما مضى من قديمكم • فقد هدمت مدائن وقصور
رمتها مجانيق العدو فقوضت • مدائن منها كالجبال وسور
وشيدها الأملاك كسرى وهرمز • وآل هرقل حقبة ونصير
فان تعمروا المجد القديم فلم يزل • لكم في مضرات الحروب ضرير
خبطتم ليوث الشام حتى تناذرت • حماكم وحتى لا يرام عقور
فكيف باكناف الشريف تصيبكم • ثعالب ينهشن الحصى وأبور

قوله فقد هدمت مدائن وقصور مثل يريد أن مجدكم الذي بناه آباؤكم متى لم تعمروه بأفعالكم خرب وذهب وهذا كما قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

لسنا وان كرمت أوائلنا • يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا • تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وكما قال الآخر

ألهى بني جشم عن كل مكرمة • قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يفاخرون بها مذ كان أولهم • يا للرجال لفخر غير مسئوم

ذا بت الكمال شائع النفع تكسو من أعراه وتكن من شعبه وعلى انه محقق حسنه الحاق وشانه الكلف وليس بذي توقد واشتعال ولا خالص ولا متلالئ ويعلوه برد ويكسفه ظل ثم لا يعتبر ذلك الا عند كماله وليلة نحره واحتفاله وكسوا ما يعتريه الصغار من بخار البحار وأنت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر نارى التوقد هوائي الدهر برى اللون روحاني البدن وان احتجوا عليك بأنه بالجزر والمد احتججت عليهم بالحلم والعلم وبان طاعتك اختيار وطاعته طبع واضطرار وبان له سورة قد قصر عليها ومنازل لا يجاوزها ولا يمكنه البدار وليس في قوله فضل التعرف على ان ضياءه مستعار من الشمس وضياؤك عارية عند جميع الخلق وكم بين

انّ القديم اذا ما ضاع آخرهُ • كساعد فلّه الايام مخطوم

وكما قال عامر بن الطُفيل العامري

انّى وان كنتُ ابن فارس عامرٍ • وفي السرّ منها والصريح المهذّبِ

فما سوّدتني عامرٌ عن وراثةٍ • أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ

ولكنّني أحمي حماها وأتّقي • أذاها وأرمي مَن رماها بمِقنَبِ

(قال أبو الحسن أنشدني هذه الابيات محمد بن الحسن المعروف بابن الحرون ويكنى أبا عبد الله لعامر بن الطفيل العامري قال أبو الحسن قال الاصمعي وكان عامر بن الطفيل يلقّب محبّر الحسن شعره وأولها

تقولُ ابنةُ العَمريّ مالك بعدما • أراك صحيحا كالسليم المعذّبِ

فقلتُ لها همّي الذي تعلمينَهُ • من الثأر في حيّي زُبيدٍ وأرحبِ

ان اغزُ زُبيدا أغزُ قوما أعزّةً • مركبُهم في الحيّ خيرُ مركبِ

وان أغزُ حيّي خثعمٍ فدماؤهم • شفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمتأوّبِ

فما أدركَ الأوتارَ مثلُ محقّقٍ • بأجردَ طاوٍ كالعسيب المشذّبِ

وأسمرَ خطّيٍّ وأبيضَ باترٍ • وزَغفٍ دلاصٍ كالغدير المثوّبِ

سلاحُ امرئٍ قد يعلمُ الناسُ أنّه • طَلوبٌ لثأراتِ الرجالِ مُطلّبِ

ثم نأتي بانشاد أبي العباس على وجهه الا انه روى مَن رماها بمَنكِب السليم الملدوغ وقيل له سليم تفؤّلا له بالسلامة وزُبيد وأرحب حيّان من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حميمك من الترة ومن قال ثار فقد أخطأ والمتأوّب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك يقال آب يؤوب اذا رجع والتأويب في غير هذا السير في النهار بلا توقّف والاوتار الاحقاد واحدها وِتر وحِقد والاجرد الفرس المحسّر الشعر والاجرد الضامر أيضا والعسيب السعفة والمشذّب الطويل الذي قد أخذ ما عليه من العُقد والسُلّاء والخوص ومنه قيل للطويل المعرّق مشذّب وخطّي رمح منسوب الى الخطّ وهي جزيرة بالبحرين يقال انها تُنبِت عصى الرماح وقال الأصمعي ليس بها رماح ولكن سفينة كانت وقعت اليها فيها رماح وأرفئت بها في بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخطّية ثم عمّ كلّ رمح هذا النسب الى اليوم والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوّب الذي تصفقه

المعبر والمستعبر والمتبين والمتحير بين العالم وما لا خير فيه بعبيره نسيم الهوى طيبا وتراب الارض عبقا ان هبت فالمر شاقة والملح وان تمكنت فالرهبانية والاخلاص وان توزنت فتهلان ذو الهضبات ما يتخلل وطباعك جعلت فداك طباع الحر الانك حلال كالك وجوهرك جوهر الذهب الا انك روح كما أنت وقد حويت خصال الياقوت الا ما زادك الله وأخذت خصال المشتري الا ما فضلك الله به وجمعت خلال الدر الا ما خصصت به دونه فلك من كل شئ صفوته وشرفه ولبابه وبهاؤه وهل يغير الفهد نباح الكلب وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة فاما القول في المزاح فقد بقي أكثره ومضى أقله وقد ذهب الناس في المزاح في مذاهب متضادة وسلكوا

الرياح فيذهب ويجيء وهو من ثاب يثوب اذا رجع وانما سمي الغدير غديراً لان السيل غادره
اى تركه) قال أبو العباس وقوله لكم فى مضرات الحروب ضرير يقال رجل ذو ضرير اذا كان ذا
مشقة على العدو وقال مهلهل بن ربيعة التغلبي

قتيل ما قتيل المرء عمرو • وهمام بن مرة ذو ضرير

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله خبطتم ليوث الشام يريد ما كان من نصر بن شبث العقيلي
وهو عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله وأبور جمع وبر واذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز
وقد ذكرنا ذلك قبل وقال عمارة أيضاً لهم أنشدنيه

الا لله در الحي كعب • ذوي العدد المضاعف والحمول
أما فيهم كريم مثل نصر • يورع عنهم سنن الفحول
تنوخهم بغير كل يوم • كفعل أخي العزازة بالذليل
وليسوا مثل عشرهم ولكن • يضيع القوم من قبل العقول
فأين فوارس السلمات عنهم • وجعدة والحريش ذوو الفضول
وأين عبادة الخشناء عنهم • اذا ما ضاق مطلع السبيل

قوله الا لله در الحي كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن
منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وقوله أما فيهم كريم مثل نصر يعني نصر
ابن شبث أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مثل ضربه فجعلهم
لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يقرعها الفحل ويورع يكف ويمنع ويدفع والورع في الدين
انما هو الكف عن أخذ الحرام وجاء في الحديث لا تنظروا الى صومه ولا الى صلاته ولكن
انظروا الى ورعه اذا أشفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسنن القصد ثم أبان ذلك
بقوله تنوخهم بغير كل يوم يقال ساف الفحل الناقة فتنوخها وذلك اذا ركبها من غير أن توطأ له
ولكن يعترضها اعتراضا وتقول العرب ان ذلك أكرم النتاج وذلك لان الولد يخرج صليبا مذكرا
ويقال لذلك الحمل الذي يقع من التنوخ والاعتراض يعارة وعراض يقال حملته عراضا وحملته
يعارة يا فتى قال الراعي قلائص لا يلقحن الا يعارة • عراضا ولا يشرين الا غواليا

فيه في طرق مختلفة فزعم
بعضهم ان جميع المزاح
خير من جميع الجد وزعم
آخرون ان الخير والشر
عليهما مقسومان وان
الجد والذم بينهما نصفان
وسنأتي على جل هذه
الاقاويل ثم نذكر جملة
ما نقول ان شاء تعالى فاما
الجاحظ عن الهزل والمفضل
للمزح فانه قال أول ما أذكر
من خصال الهزل ومن
فضائل المزح انه دليل
على حسن الحال وفراغ
البال وان الجد لا يكون
الا من فضل الحاجة
والمزح لا يكون
الا من فضل الغنى وان
النصب جد والمزاح جام
والجد مبغضة والمزح
محبة وصاحب الجد في بلاء
ما كان فيه وصاحب
المزح في رخاء الى أن يخرج
منه والجد مؤلم وربما
عرض لأشد منه
والمزح مله وربما عرض
لا لذمنه فقد شاركه في

وقال الطرماح سوف تدنيك من لميس سبندا • ة أمارت بالبول ماء الكراض
نخجته عشرين يوما ونيلت • حين نيلت يعارة في عراض

قوله سبنداة فهي الجريئة الصدر يقال للجريء الصدر سبنتاة وسبنداة وأصل ذلك في النمر وزعم الاصمعي ان الكراض حلق الرحم قال ولم أسمعه الا في هذا الشعر وقوله نخجته عشرين يوما انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حملت أياما نحو الذي عدّ فلا يخرج الولد الا محكما قال الحطيئة

لأدماء منها كالسفينة نخجت • به الحول حتى زاد شهرا عديدها

والعزازة العز والمصادر تقع على فعالة للمبالغة يقال عز عزا وعزازة كما يقال الشراسة والصرامة قال الله تعالى قال يا قوم ليس بي سفاهة وفي موضع آخر ليس بي ضلالة وقوله فأين فوارس السلمات يريد بني سلمة الخير وبني سلمة الشر أبني قشير بن كعب وجمع لانه يريد الحي أجمع كما تقول المهالبة والمسامعة فتجمعهم على اسم الأب على المهلب ومسمع وكذلك المناذرة وقد مرت الحجة في هذا وجعدة بن كعب والحريش بن كعب وبنو عبادة من بني عقيل بن كعب وقال الخشناء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء وروى ان معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى قال لدغفل بن حنظلة النسابة ما تقول في بني عامر بن صعصعة فقال أعناق ظباء وأعجاز نساء قال فما تقول في بني تميم قال حجر أخشن ان صادمته آذاك وان تركته تركك قال فما تقول في اليمن قال سيد وأنوك قال أبو العباس وأنشدني عمارة لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره ان رجلا من بني تميم يكنى أبا سعد كان منقطعا الى أبي نصر بن حميد الطائي ثم أحد بني نبهان وكان أبو نصر والياً على العرب وكتب أبو سعد الى عمارة يأمره أن يضع منه في يد أبي نصر فقال عمارة

دعاني أبو سعد وأهدى نصيحة • الي ومما أن تغر النصائح
(مما يعني رغما) لأجزر لحمي كلب نبهان كالذي • دعا القاسطي حتفه وهو نازح
أو البرجمي حين أهدى حينه • لنار عليها موقدان وذابح
ورأي أبي سعد وان كان حازما • بصيرا وان ضاقت عليه المسارح
أطار به ملعون نبهان سيفه • على قومه والقول عاف وجارح
ونصر الفتى في الحرب أعداء قومه • على قومه للمرء ذي الحلم فاضح

التعريض للخير والشر وبابنه بتجعيل الجيد دون الشر وانما تشاغل الناس ليفزعوا وجدوا ليهزلوا كما تذللوا ليعزوا وكدوا ليستريحوا وان كان المزاح انما صار معيبا والهزل مذموما لأن صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة الحد ومخاطرا بمودة الصديق فالجد داعية الى الافراط كما ان المزاح داعية الى مجاوزة القدر والتجاوز للحد قالع بين الفريقين في جميع النوعين فقد ساواه المزح فيما هو له وبابنه فيما ليس له وان كان المزح انما صار قبيحا لان الذي يكون بعده جد ولم يصر الجد قبيحا لان الذي يكون بعده مزح فكان الجد في هذا الوزن أقبح وكان الوزن على هذا التقدير أحسن لان ما جعل الشيء قبيحا أقبح من الشيء كما ان ما جعل الشيء حسنا أحسن

قوله لاجور لحمى كليب نبهان أى لا كون بجوزه له والجزرة البدنة تقريبا فقال أجزرت فلانا وتركت فلانا جزرا قال عنترة العبسى

ان تشتما عرضى فان أبا كما • جزر السباع وكل نسر قشعم

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه وهو نازح فهذا رجل من النمر بن قاسط خرج يبتغى قرظا من بعد فنهشته حية فمات فهو أحد القارظين والقارظ الأول من عنزة كان خرج مع ابن عم له فى طلب القرظ فقتله ابن عمه لانه كان يريد ابنته فمنعه منها قال أبو خراش الهذلى (الصحيح أن الشعر لابى ذؤيب)

وحتى يؤوب القارظان كلاهما • وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله كالذى دعا القاسطى حتفه الهاء فى حتفه ترجع على الذى وتقديره كالسبب الذى دعا القاسطى حتفه وقوله أو البرجمى فهذا رجل من البراجم وهم بنو مالك بن حنظلة كان عمرو بن هند لما قتل بنى دارم بأوارة وكان سبب ذلك ان أخاه أسعد بن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فى حجر حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم انصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فعبث كما تعبث الملوك فرماه رجل من بنى دارم بسهم فقتله (رمى ناقة بسهم فقتلها والرجل الذى قتله سويد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم) ففى ذلك يقول القائل وهو عمرو بن ملقط الطائى لعمرو بن هند

فاقتل زرارة لا أرى • فى القوم أوفى من زرارة

فغزاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القصيبة ويوم أوارة ففى ذلك يقول الاعشى

ونكون فى الشرف المواز • ى منقرا وبنى زرارة

أبناء قوم قتلوا • يوم القصيبة والأوارة

ثم أقسم عمرو بن هند ليحرقن منهم مائة فبذلك سمى محرقا فاخذ تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم لتكمل بها العدة فلما أمر بها قالت العجوز (على ما ذكر أصحاب الأخبار اسمها الحمراء بنت نضلة) ألا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حمما ومر وافد البراجم وهو الذى ذكرنا فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك يتخذ طعاما فعرج اليه فأتى به اليه فقال له من أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشقى وافد البراجم ثم أمر به فقذف فى النار ففى ذلك يقول جرير يعير الفرزدق

أين الذين بنار عمرو حرقوا • أم أين أسعد فيكم المسترضع

من الشئ فاما الذى عدل بينهما فانه زعم ان المزاح فى موضعه كالجد فى موضعه كما ان المنع فى حقه كالبذل فى حقه قال ولكل شئ موضع وليس شئ يصلح فى كل موضع وقد قسم الله تعالى الخيرة على المصلحة وأجرى جميع الأمور الى غاية المصلحة وقسط جزاء المثوبة على العزيمة وعلى الرخصة وعلى الاعلان والتقية وأمر بالمداراة كما أمر بالمباداة وجوز المعاريض كما أمر بالافصاح وسوغ المباح كما شدد أمر المفروض وجعل الجمام جماما للقلوب وراحة للابدان وعونا على معاودة الأعمال فصار الاطلاق كالحظر والصبر كالشكر فليس للانسان من الخيرة فى الذكر شئ الا وله فى النسيان مثله ولا فى الفطنة شئ الا وله فى الغفلة مثله

وقال أيضا وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم • وأدرك عمارا شقي البراجم

وقال الطرماح ودارم قد قذفنا منهم مائة • في جاحم النار اذ ينزون بالجدد

ينزون بالمشتوى منها ويوقدها • عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام يعني لطمع البرجمي في الاكل قال يزيد بن عمرو بن الصعق أحد بني عمرو بن كلاب

ألا أبلغ لديك بني تميم • بآية ما يحبون الطعاما

وقال آخر (ذكر ابن حبيب أن هذا الشعر لابي مهوش الفقعسي وذكر دعبل أنه لابي المهوس الأسدي)

اذا ما مات ميت من تميم • فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بلحم • أو الشيء الملفف في البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا • ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقوله المرء ذي الطعم يعني الراجع الى عقل يقال فلان ليس بذي طعم وفلان ليس بذي نزل أي ليس بذي عقل ولا معرفة وانما يقال هذا طعام ليس له نزل اذا لم يكن ذا ريع ومن قال نزل في هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابي يهجو قوما من طيئ

ولما أن رأيت بني جوين • جلوسا ليس بينهم جليس

يئست من التي أقبلت أبغي • لديهم انني رجل يئوس

اذا ما قلت أيهم لأي • تشابهت المناكب والرؤس

قوله جلوسا ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا ينتجع الناس معروفهم فليس فيهم غيرهم وهذا من أقبح الهجاء ومن أمثال العرب سمنهم في أديمهم ومعناه في مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيل ومقتول وتقول الحكماء من كثر خيره كثر زائره وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه يا بني اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر

أروح لتسليم عليك وأغتدي • وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

كفى بطلاب المرء ما لا يناله • عناء وباليأس المصرح ناهيا

(وربما قال أبو العباس هو مصرح بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود) ومن أحسن المدح قول زهير

قد جعل الطالبون الخير في هرم • والسائلون الى أبوابه طرقا

وقال

ولا في السراء شيء الا وله في الضراء مثله ولو لم يرزق الله تعالى العباد الا بالصواب محضا وبالصدق بحتا وبمر الحق صفحا لهلكت العوام ولم ينتقض أمر الخاص ولو ذكر الانسان كلما أتيته لشقي ولوجد في كل شيء مما لا تنكث وقد يكون الذكر الى الهلكة سلما كما يكون النسيان الى السلامة سببا وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك يجري جميع القبض والبسط فهذا وما قبله جمل أقاويل القوم ونحن نعوذ بالله تعالى ان نجعل المزاح في الجملة كالجد في الجملة بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجد وعامة الجد خير من عامة الهزل والحق ان ينصح عن بعض المزح ويجنح بجهوز الجد وكيف يتم لنا

وقال رؤبة (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نخيلة) • انّ الندى حيث ترى الضغاطا • وقال آخر

يزدحم الناس على بابه • والمشرب العذب كثير الزحام

وقال أشجع في محمد بن منصور على باب ابن منصور • علامات من البذل

جماعات وحسب البا • ب نبلا كثرة الأهل

وقوله تشابهت المناكب والرؤس اغاضر به مثلا للأخلاق والافعال أي ليس فيهم مفضل ويقال

ان الاضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم آذته عشيرته من بني سعد فخرج

عنهم فجعل لا يجاور قوما الا آذوه فقال أينما أذهب ألق سعدا أي أفر من الاذى الى مثله

(باب)

قال أبو العباس قال أبو ادريس الخولاني المساجد مجالس الكرام وقيل للاحنف بن قيس أحد بني

مرة بن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد أي المجالس أطيب فقال ما سافر فيه البصر واتدع فيه

البدن اتدع افتعل من التوديع والاصل اوتدع فتقلب الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول

مذهب أهل الحجاز يقولون ايتزر ياتزر وهو رجل موتزر والأجود أن تقلب ما كان أصله الواو

والياء في باب افتعل تاء وتدغمها في التاء من افتعل فتقول اتدع يتدع وهو متدع ومتزر ومتعد من

الوعد ومتئس من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أظهرت انقلبت على حركة ما قبلها فصارت

كالواو وتكونان واوين عند الضمة نحو موعد وموتعد وموئس وموتئس وياء بن الكسرة والواو

قد تقلب الى التاء ولا تاء بعدها نحو تراث من ورثت وتجاه من الوجه وتكأة وانما ذلك كراهية

الضمة في الواو وأقرب حروف الزوائد والبدل منها التاء فقلبت اليها وقد تقلب البدل في غير ضم

نحو هذا أتقى من هذا وضربته حتى أتكأته فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجه القلب

ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المقتضب وقيل للمهلب بن أبي

صفرة ما خير المجالس فقال ما بعد فيه مدى الطرف وكثرت فيه فائدة الجليس وروى عن لقمان

الحكيم أنه قال لابنه يا بني اذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا في ذكر

الله فأجل سهمك مع سهامهم وان أفاضوا في غيره فخلهم وانهض قوله فارمهم بسهم الاسلام يعني

جميع المزح مع ما نحن ذاكرون وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ولا يقال كان فيه مزاح ولا يقال مزح وكذلك الائمة ومن تبذل في بعض الحالات من أهل الحلم والوقار وقال عمر رضوان الله تعالى عليه انا اذا خلونا كنا كاحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وكان معه زيادة كلوحة وقطوبة يمازح أهله في الخلا كما يحدث الملاء وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائل أيمازح الأمير أهله قال والله ان تروني الا شيطانا والله لربما رأيتني واني لاقبل رجل احداهن فقد ذكرنا خير العالمين وجملة من خيار المسلمين وجبارا عنيدا وكافرا

السلام وقوله فاجل سهمك مع سهامهم يعني ادخل معهم في أمرهم فضرب به مثلا من دخول الرجل في قداح الميسر وقال وهب بن عبد مناف بن زهرة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه

واذا أتيت جماعة في مجلس * فاختر مجالسهم ولما تقعد
ودع الغواة الجاهلين وجهلهم * والى الذين يذكرونك فاعمد

وقال ابن عباس رحمه الله جليسي على ثلاث أن أرميه بطرفي اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغي اليه اذا حدث وكان القعقاع بن شور أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيبا في ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شاكرا له حتى شهر بذلك وفيه يقول القائل

وكنت جليس قعقاع بن شور * ولا يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان أمروا بخير * وعند السوء مطراق عبوس

وحدثني التوزي أن رجلا جالس قوما من بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال

شقيت بكم وكنت لكم جليسا * فلست جليس قعقاع بن شور
ومن جهل أبو جهل أخوكم * غزا بدرا بمجمرة وتور

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف لحكيم بن حزام لما بلغه قول أبي جهل بن هشام انتفخ والله سحره ونحره سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره اليوم قال رجل من بني مخزوم للأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الانصاري ليؤذيه أتعرف الذي يقول

ذهبت قريش بالمكارم كلها * واللؤم تحت عمائم الانصار

فقال الأحوص لا أدري ولكني أعرف الذي يقول

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل
أبقت رياسته لأسرته * لؤم الفروع ودقة الاصل

وهذا الشعر لحسان بن ثابت والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل وكان يزيد بن معاوية عتب على قوم من الانصار فأمر كعب بن جعيل التغلبي بهجائهم فقال له كعب أأهجو الانصار أرادي

لعبنا وبعد فمن سوء المزاح وهو شعبة من شعب السهولة وفرع من فروع الطلاقة وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وأمرنا بافشاء السلام والبشر عند الملاقاة وأمرنا بالتوادد والتصافح والتهادي

(فصل) قد اعتمدنا في معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزاح ومرة بالنسيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بك وانا جملة انا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم أنكرنا لكان في فضلك ما يتغمده وفي كرمك ما يوجب التغافل عنه فكيف وانما سهونا ثم تذكرنا واعتذرنا ثم أطنبنا فان تقبل فخطتك أصبت ولنفسك نظرت وان لم تقبل فاجهد جهدك

أنت الى الكفر بعد الاسلام ولكنى أدلك على غلام من الحى نصرانى كأن لسانه لسان ثور يعنى الاخطل قال فلما قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الانصارى على معاوية فحسر عمامته عن رأسه ثم قال يا معاوية أترى لؤما فقال ما أرى الا كرما فقال النعمان

معاوى ان لا تعطنا الحق تعترف • لحى الازد مسدولا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الاراقم ضلة • فماذا الذى تجدى عليك الاراقم

فمالى ثأر دون قطع لسانه • فدونك من ترضيه عنه الدراهم

وكان الاحنف بن قيس يقول لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف ولم تعدد الحلم ذلا ولا التواهب فيما بينهم ماضعة وقالوا فى تأويل قوله ما لبست العمائم يقول ما حافظت على زيها وقوله وتقلدت السيوف يريد الامتناع من الضيم وقوله ولم تعدد الحلم ذلا يقول ما عرفت موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغضى عن الجواب وهو مأسور لم يقل حلم وانما يقال حلم اذا ترك أن يقول الشئ لصاحبه منتصرا ولا يخاف عاقبة يكرهها فهذا الحلم المحض فاذا لم يفعل ذلك ورأى أن تركه الحلم ذل فهو خطأ وسفه وقوله ولم ترا التواهب بينها ماضعة نحو من هذا وهو أن يهب الرجل من حقه ما لا يستكره عليه وكان يقال أحيوا المعروف باماتته وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتن بمعروفه كدره وقيل المنة تهدم الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعم تكدير له وقال قيس بن عاصم يا بنى تميم اصحبوا من يذكر احسانكم اليه وينسى أياديه اليكم

ولا أبقى الله عليك ان أبقيت ولا عفى عنك ان عفوت وأقول كما قال أخو بنى منقر

فما بقيا على تركتمانى • ولكن خفتما صدد النبال

والله لئن رميتنى بعيسلة لأرمينك بكنانة ولئن نهضت بصالح بن على لأنهض باسماعيل بن على ولئن صلت على بسليمان بن وهب لأدمغنك بالحسن بن وهب ولئن تهت على بعنادمة جعفر الخياط لابهتن عليك بحسبة وهب الدلال وانا أرى لك ان تقبل العافية وترغب الى الله تعالى فى السلامة واحذر البغى فان مصرعه وخيم واتق الظلم فان مرعاه وبيل واياك ان تتعرض لجرير اذا هجا وللفرزدق اذا فخر ولهرثمة اذا دبر ولقيس بن زهير اذا مكر وللاغلب اذا كر

(باب)

قال أبو العباس قال عبد الملك بن مروان لأسيلم بن الاحنف الاسدى ما أحسن ما مدحت به فاستعفاه فأبى أن يعفيه وهو معه على سريره فلما أبى الا أن يخبره قال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم • بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا

من النفر البيض الذين اذا اعتزوا • وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

اذا النفر السود اليمانون نمنموا • له حوك برديه أجادوا وأوسعوا

جَلا المِسكُ والحَمّامُ والبِيضُ كالدُّمَى • وفَرْقُ المَدارَى رأسَه فهو أنزعُ

فقال له عبد الملك ما قال أخو الأوس أحسنُ مما قيل لك (قال أبو الحسن هو أبو قيس بن الأسلت)

قد حَصَّت البيضةُ رأسي فما • أطعمُ نوماً غيرَ تَهجاعِ

وحُدِّثتُ ان كُثَيِّراً كان يقول لوددتُ أني كنتُ سبقتُ الأسودَ أو العبدَ الاسود الى هذين البيتين يعني نُصَيباً في قوله

من النَّفَرِ البِيضِ الذين اذا انتَجَوا • أقَرَّتْ لِنَجواهُم لُؤَيُّ بنُ غالبِ

يُحَيَّونَ بَسّامينَ طَوراً وتارةً • يُحَيَّونَ عَبّاسينَ شُوسَ الحَواجبِ

والمختار من الشعر الاول قوله

من النفر البيض الذين اذا اعتَزَوا • وهابَ الرجالُ حَلقةَ البابِ قَعقَعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدُّ وقد قال جرير التيم خلافَ هذا وهو قوله

قومٌ اذا احتَضَرَ الملوكَ وُفودُهم • نُتِفَتْ شَوارِبُهم على الأبوابِ

وحُدِّثتُ أن جريرا كان يقول وددتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتا من شعري يعني قوله نُصَيب

بزينبَ ألمِمْ قبل ان يَرحلَ الرَّكبُ • وقُل ان تَمَلّينا فما مَلَّكِ القلبُ

وأما قول نُصَيب

أهيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ وان أمُتْ • أُوَكِّلْ بدعدٍ مَن يَهيمُ بها بعدي

فلم تَجِد الرُّواةُ ولا مَن يفهم جواهرَ الكلام له مذهبا حسنا وقد ذكر عبد الملك ذلك لجلسائه فكلٌّ عابَه فقال عبد الملك فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين فقال رجل منهم كنتُ أقول

أهيم بدعد ما حييت وان أمت • فوا حَزَنا مَن ذا يَهيم بها بعدي

فقال عبد الملك ما قلتَ والله أسوأ مما قاله فقيل له فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين فقال كنتُ أقول

أهيم بدعد ما حييت فان أمت • فلا صَلَحَتْ دعدٌ لذي خُلّةٍ بعدي

فقالوا أنت والله أشعرُ الثلاثة يا أمير المؤمنين وقد فَضَّل نُصَيبٌ على الفرزدق في موقفه عند سليمان بن عبد الملك وذلك أنهما حضرا فقال سليمان للفرزدق أنشدني وانما أراد أن يُنشده مدحا له فانشده

ورَكبٍ كأنَّ الريحَ تَطلُبُ عندهم • لها تِرَةً من جَذبِها بالعصائبِ

سَرَوا يَخبِطونَ الريحَ وهي تَلُفُّهم • الى شُعَبِ الأكوارِ ذاتِ الحقائبِ

ولظاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره وعليك بالجادة ودع البنيات فان ذلك أمثل لك وأنت والله بأني تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أظهر منك حربا وألطف كيدا وأكثر علما وأوزن حلما وأخف روحا وأكرم عيبا وأقل غشا وأحسن قدا وأبعد غورا وأجل وجها وأنصع طرفا وأكثر ملحا وأنطق لسانا وأحسن بيانا وأجهر جهارة وأحسن اشارة وأنت رجل تشذ من العلم وتنتف من الأخبار وغره نفسك وتعزمن قدرك وتتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتتعبب لحسن القلانس عندك الازاك فلم تزاحم البحر بالجداول والاجسام بالاعراض

اذا آنسوا نارا يقولون ليتها • وقد خصرت أيديهم نار غالب

فاعرض سليمان كالمغضب فقال نصيب يا أمير المؤمنين الا أنشدك فى رويها ما لعله لا يتضع عنها فقال هات فأنشده

أقول لركب صادرين لقيتهم • قفا ذات أوشال ومولاك قارب

قفوا خبرونى عن سليمان اننى • لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله • ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا فى باب المدح حسن ومتجاوز ومبتدع لم يسبق اليه على ان الشاعر وهو أخو همدان قد قال فى عصره فى غير المدح

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم • ويخرجن من دارين بجر الحقائب

على حين ألهى الناس جل أمورهم • فندلا زريق المال ندل الثعالب

وليس شعر نصيب هذا الذى ذكرناه فى المدح بأجود من قول الفرزدق فى الفخر وانما يفاضل بين الشيئين اذا تناسبا وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته فقام الفرزدق وهو يقول وخير الشعر أشرفه رجالا • وشر الشعر ما قال العبيد

ثم نرجع الى تفسير الشعر قوله يمرون بالدهنا خفافا عيابهم يعنى قوما تجارا وقد قالوا انما ذكر لصوصا والاول أثبت وذلك أن دارين سوق من أسواق العرب وقوله بجر الحقائب يقول عظام ويقال للرجل اذا اندلقت سرته فنتأت متقدمة رجل أبجر ويقال لها البجرة والبجرة وفعلة وفعلة تقعان فى الشئ يقال قلفة وقلفة وصلعة وصلعة ومثل هذا كثير وقوله على حين ألهى الناس ان شئت خفضت حين وان شئت نصبته أما الخفض فلانه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك اياه الى شئ غير معرب فبنيته على الفتح لان المضاف والمضاف اليه اسم واحد فبنيته من أجل ذلك ولو كان الذى أضفته اليه معربا لم يكن الا مخفوضا وما كان سوى ذلك فهو لحن تقول جئتك على حين زيد وجئتك فى حين امرة عبد الملك وكذا قول النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا • وقلت ألما أصح والشيب وازع

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لانه مضاف الى فعل غير متمكن وكذلك قولهم يومئذ تقول عجبت من يوم عبد الله لا يكون غيره فاذا أضفته الى اذفان شئت فتحت على ما ذكرت لك

وما لا يتناهى بالجزء الذى لا يتجزأ فامثل الباد والعامة فمن يعدل بين القناة والكرة ومن يمثل بين النخلة والدكلى وبين رحى الطحان وبين سيف يمان وانما يكون التمثيل بين أتم الخيرين وأنقص الشرين وبين المتقاربين دون المتفاوتين فاما الخل والعسل والحصاة والجبل والسم والغذاء والفقر والغنى فهذا مما لا يخطئ فيه الذهن ولا يكذب فيه الحس والخطأ ثلاث خطأ الحس وخطأ الوهم وخطأ الرأى كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير والتقويم والتأنيب والعهد نوع واحد وسبيله القمع والحظر والضرب والقتل وأول ذلك ان يهجره صاحب الحكمة ولا يطمعه فى وعظ ولا مجالسة وقد رأيت من

فى حين وان شئت خفضت لما كان يستحقه اليوم من التمكن قبل الاضافة تقرأ ان شئت من عذاب يومئذ وان شئت من عذاب يومئذ على ما وصفت لك ومن خفض بالاضافة قال سير بزيد يومئذ فأعربته فى موضع الرفع كما فعلت به فى الخفض ومن قال من خزى يومئذ فبناه قال سير بزيد يومئذ يكون على حالة واحدة لانه مبنى كما تقول دفع الى زيد خمسة عشر درهما وكما قال الله عز وجل عليها تسعة عشر وأما قوله فندلا زريق المال ندل الثعالب فزريق قبيلة وقوله ندلا مصدر يقول اندلى ندلا يا زريق المال والندل أن تجذبه جذبا يقال ندل الرجل الدلو ندلا اذا كان يجذبها مملوءة من البئر فنصب ندلا بفعل مضمر وهو اندل وهذا فى الامر تقول ضربا زيدا وشتما عبد الله لان الامر لا يكون الا بفعل فكان الفعل فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر ولو كان خبرا لم يجز فيه الاضمار لان الخبر يكون بالفعل وغيره والامر لا يكون الا بالفعل قال الله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فكان فى موضع اضربوا حتى كأن القائل قال فاضربوا ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل محضا فى قوله حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ولو نون منون فى غير القرآن لنصب الرقاب وكذلك كل موضع هو بالفعل أولى وقوله ندل الثعالب يريد سرعة الثعالب يقال فى المثل أكسب من ثعلب وأما قول نصيب ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فانما يريد انهم يرجعون مملوءة حقائبهم من رفده فقد أثنت عليه الحقائب قبل أن يقولوا فأما قول الأعشى

وان عتاق العيس سوف يزوركم ٭ ثناء على أعجازهن معلق

فانما أراد المدح الذى يحدين به والحادى من ورائها كما أن الهادى أمامها وأما قول أبى وجزة

راحت بستين وسقا فى حقيبتها ٭ ما حملت حملها الأدنى ولا السددا

فانما أراد ما يوجب ستين وسقا لا أن الناقة حملت ستين وسقا وكان من حديث ذلك أن أبا وجزة السلمى المعروف بالسعدى لنزوله فيهم ومحالفته اياهم كان شخص الى المدينة يريد آل الزبير وشخص أبو زيد الاسلمى يريد ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو والى المدينة فاصطحبا فقال أبو وجزة هلم فلنشترك فيما نصيبه فقال أبو زيد الاسلمى كلا أنا أمدح الملوك وأنت تمدح السوق فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده ٭

يا ابن هشام يا أخا الكرام ٭ فقال ابراهيم وانما أنا أخوهم وكأنى لست منهم ثم أمر به فضرب

يعاند الحق اذا كانت المعرفة عيانا وأنت لا ترضى بحجة العيان حتى تدعوا اليه ولا ترضى بالدعاء اليه حتى تعادى فيه ولا ترضى بالعداوة حتى يكون لك الرياسة ولا ترضى بالرياسة السابقة ولا بالطارف دون التالد ولا بالتالد دون الاعراق التى تسرى والمواليد التى تنمى ولا ترضى بان تكون أولا حتى تكون آخرا ولا بالمداراة دون المباداة ولا بالجدال دون القتال وحتى ترى ان التقية حرام وان التقصير كفر وحتى لو كنت امام الرافضة وكنت فى طرف لهلكت الأمة لانك رجل لاعقب لك والأمامة لا تصلح فى الاخوة وكانت تصلح فى ابن العم ثم دنت من الارحام شيأ فصارت لا تصلح الا فى الولد وفى هذا

بالسياط وامتدح أبو وجزة آل الزبير فكتبوا اليه بستين وسقا من تمر وقالوا هى لك عندنا فى كل سنة فانصرفا فقال أبو زيد

مدحت عروقا للندى مصت الثرى • حديثا فلم تهمم بان تترعرعا
نقائذ بؤس ذاقت الفقر والغنى • وحلبت الايام والدهر أضرعا
سقاها ذوو الأرحام سجلا على الظما • وقد كربت أعناقها أن تقطعا
بفضل سجال لو سقوا من مشى بها • على الأرض أرواهم جميعا وأشبعا
فضمت بايديها على فضل مائها • من الري لما أوشكت أن تضلعا
وزهدها أن تفعل الخير فى الغنى • مقاساتها من قبله الفقر جوعا

وقال أبو وجزة راحت رواحا قلوصى وهى حامدة • آل الزبير ولم تعدل بهم أحدا
راحت بستين وسقا فى حقيبتها • ما حملت حملها الادنى ولا السددا
ما ان رأيت قلوصا قبلها حملت • ستين وسقا ولا جابت به بلدا
ذاك القرى لا قرى قوم رأيتهم • يقرون ضيفهم الملوية الجددا

أما قول أبى زيد لابراهيم مدحت عروقا للندى مصت الثرى حديثا فانما عنى أن ابراهيم وأخاه محمدا انما تطعما بالعيش ودخلا فى النعمة وخرجا من حد السوق الى حد الملوك حديثا وذلك بهشام بن عبد الملك لانهما كانا خاليه فانما ولاهما عن خؤول وقوله فلم تهمم بان تترعرعا فانما هذا مثل يقال فلان يهتز للندى ويرتاح لفعل الخير كما قال متمم بن نويرة

تراه كنصل السيف يهتز للندى • اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تحرك سرور لفعل الخير قال أبو العباس وأنشدنى التوزى لأبى رباط يقول لابنه

رأيت رباطا حين تم شبابه • وولى شبابى ليس فى بره عتب
اذا كان أولاد الرجال حرارة • فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه أنيق وجانب • شديد على الأعداء مركبه صعب
وتأخذه عند المكارم هزة • كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

قال وحدثنى على بن عبد الله قال حدثنى العتبى قال أشرف عمر بن هبيرة الفزارى من قصره يوما

القياس انها بعد أعوام لا تصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الأبد وهذا هو علة أصحاب التناسخ وانت رافضى ولم يكن هذا عندك فاهد الآن من ابن التوتيا كما أهديت اليك باب التناسخ وأنت ترى القتل فى حق المعاندة شهادة وترى ان مباينة المنصفين فى تعظيم العمود سعادة وان الرياسة فى دفع الحقائق مرتبة وان الاقرار بما يظهر للعيون ضعة وان الشهوة بالمغالبة رفعة أظهر القوم عندك جبهة أرفعهم صوتا التوبة أصلبهم وجها وأحسنهم بغية أقلهم خرجا وأحسنهم انصافا أشدهم شغبا تعشق المتهور وتكلف بالجوح وتصافى الوقاح والأديب عندك من عاب أحاديث الجلساء واعترض على نوادر

فاذا هو باعرابى يرقص جمله الآل فقال لحاجبه ان أرادنى هذا فأوصله الى فلما دنا الاعرابى سأله فقال قصدت الامير فأدخله اليه فلما مثل بين يديه قال له عمر ما خطبك فقال الاعرابى

أصلحك الله قل ما بيدى • فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر أنحى بكلكله • فأرسلونى اليك وانتظروا

(رجوك للدهر أن تكون لهم • غيث سحاب ان خانهم مطر)

قال فأخذت عمر الاريحية فجعل يهتز فى مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذًا والله لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما فأمر له بألف دينار ورده على بعيره قال أبو العباس وحدثنى أبو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضى أن الخبر لمعن بن زائدة وصح ذلك عندى وقوله نقائذ بؤس واحدتها نقيذة وتأويله أنهم أنقذوا من بؤس يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نقيذة بؤس تقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك زيد مكرمة لأهله وزيد كريمة قومه أى يحل محل العقدة الكريمة والخصلة الكريمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم جرير بن عبد الله البجلى لما ورد عليه فبسط له رداءه وعممه بيده وقال اذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه هكذا روى فقهاء أصحاب الحديث وقد قال صلى الله عليه وسلم قبل وروده عليه يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مسحة ملك وقال صخر بن عمرو بن الشريد يعنى معاوية أخاه وكان قتله هاشم ودريد ابنا حرملة المريان من غطفان فقيل له اهجهم فقال ما بينى وبينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن هجائهم الا صونا للنفسى عن الخنى لفعلت ثم قال

وعاذلة هبت بليل تلومنى • ألا لا تلومينى كفا اللوم ما بيا

تقول ألا تهجو فوارس هاشم • ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا

أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى • وأن ليس اهداء الخنى من شماليا

(اذا ذكر الاخوان رقرقت عبرة • وحييت رمسا عند لية ثاويا

اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية • فحياك رب العرش عنى معاويا

وهون وجدى أننى لم أقل له • كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال الاخفش وأنشدنى الاحول • ومالى ان أهجوهم ثم ماليا •) وتقول العرب الرجل

الاخوان وغمز فى قفا النديم ونصب للعالم وأبغض العاقل واستثقل الظريف وحسد على كل نعمة وأنكر كل حقيقة جعلت فداءك انما أخرجك موسى الى شئ وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت أن يكون استطرافك للآتى قبل ان ينقضى استطرافك للماضى ولانك متى كنت للشئ متوقعا وله منتظرا كان احظى لما يرد عليك وأشهى لما يهدى اليك وكل منتظر معظم وكل مأمول مكرم وذلك رغبة فى الفائدة وصبابة بالعلم وكلفا بالاقتباس وشحا على نصيبى منك وضنا بما أؤمله عندك ومداراة لطباعك واستزادة من

راوية ونسّابة تُبَتز بدالهاء للمبالغة وكذلك علّامة وقد تلزم الهاء في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو ربعة ويفعة وصرورة وهذا كثير لا تنزع الهاء منه فاما راوية وعلامة ونسّابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء وقوله

• وحلبت الايام والدهر أضرعا • فانه مثل يقال للرجل المجرّب للامور فلان قد حلب الدهر أشطره أى قد قاسى الشدة والرخاء وتصرّف في الفقر والغنى كما قال القائل

قد عشت في الناس أطوارا على طرق • شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا

كلا بلوت فلا النعماء تبطرني • ولا تخشعت من لأوائها جزعا

لا يملأ الهول صدري قبل موقعه • ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا •

ومعنى قوله أشطره فانما يريد خلوفه يقال حلبتها شطرا بعد شطر وأصل هذا من التنصّف لان كل خلف عديل لصاحبه وللشطر وجهان في كلام العرب فاحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم شاطرتك مالى والوجه الآخر القصد يقال خذ شطر زيد أى قصده قال الله عز وجل فولّ وجهك شطر المسجد الحرام أى قصده وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره قال أبو العباس وأنشدني التوزي عن أبي عبيدة قول الشاعر

ان العسير بها داء مخامرها • فشطرها نظر العينين محسور

يريد ناحيتها وقصدها والعسير التى تعسر بذنبها اذا حملت أى تشيله وترفعه ومنه سمى الذنب عوسرا أى تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جهدها وسوء حالها ما أطيل معه النظر اليها حتى تحسر العينان والحسير المعيي وفي القرآن ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وقوله

• سقاها ذوو الارحام سجلا على الظما • فالسجل في الأصل الدلو وانما ضربه مثلا لما فاض عليها من ندى أقاربها فقال الدلو وهى مؤنثة سجل وذنوب وهما مذكران والغرب مذكر وهو الدلو العظيمة ويقال فلان يساجل فلانا أى يخرج من الشرف مثل ما يخرج الآخر وأصل المساجلة أن يستقى ساقيان فيخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة وبيّن ذلك الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب في قوله

من يساجلني يساجل ماجدا • يملأ الدلو الى عقد الكرب

نشاطك ولا انك على كل حال بشر ولا انك متناهى القوة مدبر

(فصل) والعقل حفظك الله أطول رقدة من العين وأحوج الى الشحذ من السيف وأفقر الى التعاهد وأسرع الى التغير وأدواؤه أقتل وأطباؤه أقل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيأ من حاجته ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب في الخواطر وللمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطأها ونظر كان أسوأ حالا ممن لم يخطئها ولم ينظر وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر وعلى قدر التفرغ يكون التنبه هذا جماع هذا الكتاب وجمهرته وأقسامه وجملته

ويقال ان الفرزدق مرّ بالفضل وهو يستقي وينشد هذا الشعر فسرا الفرزدق ثيابه عنده ثم قال أنا أساجلك ثقة منه بنسبه فقيل له هذا الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب فرد الفرزدق ثيابه عليه ثم قال ما يساجلك الا من عضّ بأير أبيه يقال سرا ثوبه ونضا ثوبه في معنى واحد اذا نزعه ويقال سرى عليه الهمّ اذا أتى ليلا وأنشد

سرى همّي وهمّ المرء يسري ۞ (وغار النجم الا قيد فتر)

البيت لعروة بن أذينة الليثي شيخ مالك بن أنس) وسرى همّه اذا ذهب عنه والمواضخة مثل المساجلة قال العجاج ۞ نواضخ التقريب قلوا مخلجا ۞ أي تخرج من العدو مثل ما يخرج قال الله عز وجل على مخرج كلام العرب وأمثالهم فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم وأصل الذنوب الدلو كما ذكرتك وقال علقمة بن عبدة للحرث بن أبي شمر الغساني (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شمر وبعضهم يقول شمّر) وكان أخوه أسيرا عنده وهو شأس بن عبدة أسره في وقعة عين أباغ (قال أبو الحسن غيره يقول اباغ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المنذر بن ماء السماء في كلمة له مدحه فيها

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ۞ فحق لشأس من نداك ذنوب

فقال الملك نعم وأذنبة وقوله وقد كربت أعناقها أن تقطعا يقول سقيت هذا السجل وقد دنت أعناقها من أن تقطع عطشا وكرب في معنى المقاربة يقال كاد يفعل ذلك وجعل يفعل ذلك وكرب يفعل ذلك أي دنا من ذلك ويقال جاء زيد والخيل كاربته أي قد دنت منه وقربت فاما أخذ يفعل وجعل يفعل فمعناهما انه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أن فاما كاد وكرب فان لا تستعمل بعد واحدة منهما الا ان يضطر شاعر قال الله عز وجل اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقرب من رؤيتها وايضاحه لم يرها ولم يكد وكذلك يكاد سنا برقه يذهب بالابصار وكذلك كاد تزيغ قلوب فريق منهم بغير أن ومن أمثال العرب كاد النعام يطير وكاد العروس يكون أميرا وكاد المنتعل يكون راكبا وقد اضطر الشاعر فأدخل أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرب فقال

۞ وقد كربت أعناقها ان تقطعا ۞ وقال رؤبة ۞ قد كاد من طول البلى ان يمصحا ۞

فكاد بمنزلة كرب في الاعمال والمعنى قال الشاعر

أغثني غياثا يا سليمان انني ۞ سبقت اليك الموت والموت كاربي

ثم من أنفع أسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لما ورد والانتظار لما لم يرد وان لا تخلي نفسك من الفكرة الا بقدر جمام الطبيعة وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فضل ما بين طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة والرهبة وتعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمة حتى تعطيه خالص المحبة كان يقال من شاب شيب له وخصلة ينبغي ان تعرفها وتقف عندها وهو أن تبدأ من العلم بالمهم وتختار من صنوفه ما أنت أبسط له والطبيعة به أعنى فان

خَشيةَ جَورٍ من أميرٍ مُسَلَّطٍ * ورَهطى وما دا الك مِثلُ الأقارِب

وقوله لما أوشكَتْ أن تَضَلَّعَا يقول لما قاربتْ ذلك والوشيكُ القريبُ من الشئ والسريع اليه يقال يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا والماضى منه أوشَكَ ووقعتْ بأنْ وهو أجود وبغير أنْ كما كان ذلك فى لعلّ تقول لَعَلَّ زيدًا يقوم فهذه الجيدةُ قال الله عز وجل لَعَلَّ الساعةَ تكونُ قريبًا ولَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخشَى ولعل الله يُحدِثُ بعدَ ذلك أمرًا وقال مُتَمِّم بن نُوَيرة

لَعَلَّكَ يومًا أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ * عليكَ من اللائى يَدَعنَكَ أجدعا

وعَسَى الاجودُ فيها أن تُستَعمَلَ بأنْ كقولك عسى زيد أن يقوم كما قال الله عز وجل فعسَى اللهُ أنْ يأتِيَ بالفَتحِ وقال جَلَّ ثناؤه عَسَى اللهُ أنْ يتوب عليهم ويجوز طَرحُ أنْ وليس بالوجه الجيد قال هُدبَة

عَسَى الكَربُ الذى أمسَيتَ فيه * يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ

وقال آخر

عَسَى اللهُ يُغنِى عَن بلادِ ابنِ قادرٍ * بمُنهَمِرٍ جَونِ الرَّبابِ سَكوبِ

وحروف المُقارَبَة لها باب قد ذكرنا ما فيه على مقاييسها فى الكتاب المُقتَضَب بغاية الاستقصاء وقوله أن تَضَلَّعا معناه ان تمتلئ وأصله ان الطعام والشراب يَبلُغان الأضلاعَ فيُكَظّانها كذلك قال الاصمعى فى قولهم أكَلَ حتى تَضَلَّعَ وأما قول أبى وجزة راحتْ بستّين وَسْقًا فالوَسْقُ خمسة أقفزة بقَفيز البَصرة وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسُقٍ صدقةٌ فما كان أقل من خمسة وعشرين قَفيزًا بالقَفيز الذى وصفنا وهو نصف القَفيز البَغدادى فى أرض الصدقة فلا صدقة فيه وانما أراد أنه آخَذَ الكتابَ بهذه الأوسُق فلذلك قال

ما ان رأيتُ قَلوصًا قبلها حَمَلَتْ * ستّينَ وَسْقًا ولا جابَتْ به بَلَدَا

واما قوله يَقرون ضَيفَهم المَلويّةَ الجُدَدا فانما اراد السياط وجمع جَديد جُدُدٌ وكذلك باب فَعيل الذى هو اسم أو مضارع للاسم نحو قَضيب وقُضُب ورَغيف ورُغُف وكذلك سَرير وسُرُر وجَديد وجُدُدٌ لانه يجرى مَجرَى الاسماء وجَرير وجُرُر فما كان من المضاعف جاز فيه خاصة أن تُبدَلَ من ضمته فتحةٌ لان التضعيف مُستَثقَلٌ والفتحة أخَفُّ من الضمة فيجوز أن يُمالَ اليها استخفافا فيقال جُدَدٌ وسُرَرٌ ولا يجوز هذا فى مثل قَضيب لانه ليس بمضاعَف وقد قرأ بعضُ القُرّاء على سُرَرٍ مَوضونة ويقال السوط الأصبَحِىُّ يُنسَبُ الى ذى أصبَحَ الحِميَرِىّ وكان أوّلَ من اتخذ هذه السياطَ التى يُعاقِبُ

القول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العناية ثم من أفضل أسبابه تلخيص أخلاقه وتمييز أجناسه والمعرفة بأقداره حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرفعة وقسطه من الابعاد والضعة حتى لا يشاغل الا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ولا يلقى الا الغث الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تعتبر فضل ما بين النظرين ولا فرق ما بين النعتين الكيس كل الكيس والحذق كل الحذق ان لا تعجل ولا تبطئ وان تعلم ان السرعة غير العجلة وان الاناة خلاف الابطاء وان تكون على يقين من درك الحق اذا وفيته شرطه وعلى ثقة من ثواب النظر اذا اعطيته حقه هذا جملة ما العذر فى

بها السلطان ويقال له العرفاص والقطيع وقال الشماخ • تكاد تطير من رأى القطيع •
وقال الصلتان العبدى أرى أمة شهرت سيفها • وقد زيد فى سوطها الأصبحى
وقال الراعى أخذوا العريف فقطعوا حيزومه • بالأصبحية قائما مغلولا
وقال الراجز • حتى تردى طرق العرفاص • وقوله ولا جابت به بلدا يقول ولا قطعت به يقال جبت البلاد قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ويقال رجل جواب جوال وأنشدنى على بن عبد الله قال أنشدنى القحذمى

ما من أتت من دون مولده • خمسون بالمعذور بالجهل
فاذا مضت خمسون عن رجل • ترك الصبا ومشى على رسل

وأمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بن خزيمة بقتل مرة بن محكان السعدى فقال مرة فى ذلك

بنى أسد ان تقتلونى تحاربوا • تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولست وان كانت الى حبيبة • بباك على الدنيا اذا ما تولت

قوله اذا الحرب العوان فهى التى تكون بعد حرب قد كانت قبلها وكذلك أصل العوان فى المرأة انما هى التى قد تزوجت ثم عاودت فخرجت عن حد البكر وقول الله عز وجل فى كتابه العزيز لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام ثم استأنف فقال عوان بين ذلك والفارض ههنا المسنة والبكر الصغيرة ويقال لهاة فارض أى واسعة وفرض القوس موضع معقد الوتر وكل حز فرض والفرضة متطرق الى النهر قال الراجز • لها زجاج ولهاة فارض • وقوله اشمعلت انما هو ثارت فاسرعت قال الشماخ

ورب ابن عم لسليمى مشمعل • أروع فى السفر وفى الحى غزل
• طباخ ساعات الكرى زاد الكسل •

وقوله ولست وان كانت الى حبيبة بباك على الدنيا انما هو على التقديم والتأخير اراد ولست بباك على الدنيا وان كانت الى حبيبة ولولا هذا التقدير لم يجز أن يضمر قبل الذكر ومثله

ان تلق يوما على علاته هرما • تلق السماحة منه والندى خلقا

وكذلك قول حسان بن ثابت

قد ثكلت أمه من كنت واحده • أو كان منتشبا فى برثن الأسد

هذه المسألة وجملة الحجة فيما قدمنا من الافتنان والاطالة فان كنا أصبنا فالصواب أردنا وان كنا أخطأنا فذاك عن فساد من الضمير ولا قلة احتفال بالتقصير ولعل طبيعة خانت أو لعل عادة جذبت أو لعل سهوا اعترض أو لعل شغلا منع خفض عليك أيها السامع فان الخطأ كبير عام وغالب مستول والصواب قليل خاص ومقموع مستخف فوجه اللائمة الى أهلها وألزمها من هو أحق بها فانهم كثير ومكانك مشهور اعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ أعجب من ان العجب قد ذهب أعجب ممن تعجب وفيه العجب أعجب وكيف التعجب والأمور كلها عجب كيف أتعجب من كل فعل خرج من العادة

يقول من كنتُ واحده قد ثكلتْ أمُّه وكذلك قوله

شَرَّ يومَيها وأغواه لها ● ركبتْ هندٌ بحدجٍ جملا

يقول ركبتْ هند بحدجٍ جملا في شرّ يومَيها وقال رجل من مُزَينة

خليليّ بالبَوباة عوجا فلا أرى ● بها منزلاً الا جَديبَ المُقيَّدِ

نذُق برد نجدٍ بعد ما لعبتْ بنا ● تهامةُ في حمّامها المُتوقِّدِ

قوله بالبوباة فهي المُتَّسَعُ من الارض وبعضهم يقول هي المَوماة بعينها قلبت الميم باء لانهما من الشَّفة ومثل ذلك كثير يقولون ما اسمُك وبا اسمُك ويقولون ضربة لازم ولازب ويقولون هذا طأمي وطأبي يعنون السلف (قال أبو الحسن الجيد سلف وما قال ليس بممتنع) ويقولون زُكْمَة سوء وزُكْبة سوء أي ولد سوء ويقولون عجم الذنب وعجب الذنب ويقولون رجل أخزم وأخزب وهذا كثير وقال عمر بن أبي ربيعة

عوجا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحوِلا ● والرَّبعَ من أسماءَ والمنزلا

بجانب البَوباة لم يَعْدُه ● تقادمُ العهد بأن يؤهَلا

وقوله الاجديبَ المُقيَّد يقال بلد جدْب وجديبٌ وخِصْبٌ وخصيبٌ والاصل في النعت خصيبٌ ومُخصِبٌ وجديبٌ ومُجدِبٌ والخصبُ والجدبُ انما هما ما حلّ فيه وقيل خصيبٌ وأنت تريد مُخصِبٌ وجديبٌ وأنت تريد مُجدِبٌ كقولك عذاب أليم وأنت تريد مُؤلِم قال ذو الرمة

ونرفعُ من صدورِ شَمَرْدَلاتٍ ● يَصُكُّ وجوهها وَهَجٌ أليمُ

ويقال رجل سميع أي مُسمِع قال عمرو بن معدي كرب

أمِن ريحانةَ الدّاعي السَّميعُ ● يؤرّقني وأصحابي هُجوعُ

وأما قوله المُقيَّد فهو موضع التقييد وكل مصدر زيدت الميم في أوله اذا جاوزتَ الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المفعول وكذلك اذا أردت اسم الزمان واسم المكان تقول أدخلتُ زيدا مُدخَلاً كريما وسرّحته مُسرَّحا حسنا واستخرجتُ الشيء مُستخرَجا قال جرير

ألم تعلم مُسرَّحيَ القوافي ● فلا عِيًّا بهنّ ولا اجتلابا

أي تسريحي وقال عز وجل وقل ربِّ أنزلني مُنزَلا مباركا ويقال أقمتُ مُقاما وأقمتُ مَقاما وقال عز

كما خرجت الافعال بأسرها من العادة وصارت بأسرها عجبا فبدخول كلها في باب العجب خرجت بأجمعها من باب العجب وقد ذكر الله تعالى ذكره التعجب في كتابه جل جلاله وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في زمانه وفي الناس يومئذ الناقص والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج وقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تعجب فعجب قولهم وقال له بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من المتعجب القائل الا نصيب اللسان ولا من المستمع القائل الاصحة المسمع فاما القلوب فخاوية قاسية وراكدة خامدة لا تسمع داعيا ولا تجيب سائلا قد أغفلها سوء العادة واستولى عليها

وجل انها ساءت مستقرا ومقاما أى موضع اقامة وقال الشاعر (حميد بن ثور الهلالى

تطول القصار والطوال يطلنها • فمن يرها الا ينسها ما تكلما)

وما هى الا فى ازار وعلقة • مغار ابن همام على حى خثعما

يريد زمن اغارة ابن همام وأما قوله تذق برد نجد فذلك لان نجدا مرتفعة وتهامة غور منخفض فنجد باردة ويروى عن الاصمعى أنه قال هجم على شهر رمضان وأنا بمكة فخرجت الى الطائف لاصوم بها هربا من حرمكة فلقينى اعرابى فقلت له أين تريد فقال أريد هذا البلد المبارك لاصوم هذا الشهر المبارك فيه فقلت له أما تخاف الحر فقال من الحر أفر وهذا الكلام نظير كلام الربيع بن خثيم فان رجلا قال له وقد صلى ليلة حتى أصبح أتعبت نفسك فقال راحتها أطلب ان أفره العبيد أكيسهم ونظير هذا الكلام قول روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ونظر اليه رجل واقفا بباب المنصور فى الشمس فقال قد طال وقوفك فى الشمس فقال روح ليطول وقوفى فى الظل ومثله من الشعر قوله (قال أبو الحسن هو عروة بن الورد العبسى)

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا • ولم تدر أنى للمقام أطوف)

(لعل الذى خوفتنا من ورائنا • سيدركه من بعدنا المتخلف)

ويروى أسرنا وقال آخر سأطلب بعد الدار منكم لتقربوا • وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حبيب بن أوس الطائى

أآلفة النحيب كم افتراق • أجد فكان داعية اجتماع

وليست فرحة الأوبات الا • لموقوف على ترح الوداع

وقال رجل واعتل فى غربة فتذكر أهله

لو أن سلمى أبصرت تخددى • ودقة فى عظم ساقى ويدى

وبعد أهلى وجفاء عودى • عضت من الوجد بأطراف اليد

قوله أبصرت تخددى يريد ما حدث فى جسمه من النحول وأصل الخد ما شققته فى الارض قال الشماخ فقلت لهم خدوا له برماحكم • بطامسة الأعلام خفاقة الآل

ويقال الشيخ قد تخدد يراد قد تشنج جلده وقال الله عز وجل قتل أصحاب الأخدود وقيل

سلطان السكر فدع عنك ما لست مثله وعليك شغلا شاغلا وهما داخلا اعلم ان الله تعالى قد مسخ الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قردة أو كما مسخ بعض الأمم خنازير لكان قد بقى بعض امورها وحبس عليها بعض اعراضها كبقية ما مع القرد فى ظاهره من شبه الآدمى وبقية ما مع الخنزير فى باطنه من شبه البشر لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخا متتبعا ومستقصى مستغرقا فبين حاليها جميع التضاد وبين معنيها غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول والعجب ممن يعجب وهو مغمور ويقول وهو ممنوع فان صرت عليه عونا مع

في التفسير هؤلاء قوم خدّوا أخاديد في الارض وأشعلوا فيها نيرانا تأخر قوابها المؤمنين وقوله عضّت من الوجد باطراف اليدفان الحزين والمغيظ والنادم والمتأسف يعضّ أطراف أصابعه بوّما قال الله عز وجل عضّوا عليكم الانامل من الغيظ وفي مثل ماذكرنا من تخدّد لحم الشيخ يقول القائل

(ذهب الشباب فلا شباب جمانا • وكأنّ ماقد كان لم يك كانا
وطويت كفي ياجمان على العصا • وكفى جمان بطيّها حدثانا)
يا من لشيخ قد تخدّد لحمه • أفنى ثلاث عمائم ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سوداء حالكة وسحق مفوّف • وأجدّ لونا بعد ذاك هجانا
(صحب الزمان على اختلاف فنونه • فأراه منه كراهة وهوانا)
قصر الليالي خطوه فتدانى • وحنون قائم صلبه فتحانا
والموت يأتي بعد ذلك كله • وكأنما يعنى بذاك سوانا

قوله أفنى ثلاث عمائم ألوانا يعني ان شعره كان أسود ثم حدث فيه شيب مع السواد فذلك قوله مفوّف والتفويف التنقيش وانما أخذ من الفوف وهي النكتة البيضاء التي تحدث في أظفار الأحداث وسميت بذلك لشبهها بشعرة يقال لها الفوفة وجمعها فوف والسحق الخلق يقال عنده سحق ثوب وجرد ثوب وسمل ثوب وقوله أجدّ أي استجدّ لونا والهجان الابيض وهي العمامة الثالثة يعني حين شمله الشيب

(باب)

قال أبو العباس من أمثال العرب لم يذهب من مالك ما وعظك يقول اذا ذهب من مالك شئ فقذرك أن يحلّ بك مثله فتأديبه اياك عوض من ذهابه ومن أمثالهم ربّ عجلة تهب ريثا وتأويله ان الرجل يعمل العمل فلا يحكمه للاستعجال به فيحتاج الى أن يعود فينقضه ثم يستأنف والريث الابطاء وراث عليه أمره اذا تأخر ومن أمثال العرب عش ولا تغترّ وأصل ذلك ان عمرو صاحب الابل بالارض المكلئة فيقول ادع أن أعشي ابلي منها حتى أرد على أخرى ولا يدري ما الذي يرد

الزمان قتلته وان أمسكت عنه فقد وفرته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التعزية وكيف اطلب منك ماقد انقطع سببه واجتث أصله وقد كان يقال من طلب عيبا وجده هذا في الدهر الصالح دون الفاسد فان انصفت فقد أغربت وان جرت فلم تعد ما عليه الزمان وهب الله لنا ولك الانصاف وأعاذنا واياك من الظلم والحمد لله كما هو أهله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة وسلم

(فصل من صدر رسالته الى الحسن بن وهب في مدح النبيذ وصفة أصحابه)

أنا أبقاك الله الطالب المشغول والقائل المعذور فان رأيت خطأ فلا تنكر

عليه وقريب منه قولهم أن تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكيسُ وتأويله أن يمر الرجل بالماء فلا يحمل منه اتكالاً على ماء آخر يصير اليه فيقال له أن تحمل معك ماءً أحزم لك فان اصبت ماء آخر لم يضرك فان لم تحمل نخفقت من الماء عطبت ومن أمثالهم قد أحزم لو أعزم يقول أعرف وجه الحزم فان عزمت فامضيت الرأي فانا حازم وان تركت الصواب وأنا أراه وضيّعت العزم لم ينفعني حزمي ومثله قول النابغة الجعدي

أبى لي البلاءُ وانّي امرؤٌ ٭ اذا ما تبيّنتُ لم ارتبِ

وقال اعرابي يمدح سوّار بن عبد الله

وأوقفُ عند الامر ما لم يضح له ٭ وأمضى اذا ما شكَّ من كان ماضيا

فالذي يُحمَدُ امضاءُ ما تبين رشدُه فاما الاقدام على الغَرَرِ وركوب الامر على الخَطَرِ فليس بمحمود عند ذوي الالباب وقد يُحسِّن بمثله القتّالُ كما قال (هو سعد بن ناشب المازني عن الرياشي وغيره)

عليكم بداري فاهدموها فانها ٭ تراثُ كريمٍ لا يخافُ العواقبا

اذا همّ ألقى بين عينيه عزمَه ٭ وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

ولم يستشر في رأيه غيرَ نفسه ٭ ولم يرضَ الا قائمَ السيف صاحبا

فهذا شأن القتّال وقال الآخر

غلامٌ اذا ما همّ بالفتك لم يبل ٭ الامتُ قليلاً أم كثيراً عواذلُه

وقال آخر

وما العجزُ الا أن تُشاورَ عاجزًا ٭ وما الحزمُ الا أن تَهُمّ فتفعلا

فاما قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكثر الفكرة في العواقب لم يشجع فتأويله انه من فكر في ظفر قرنه به وعلوه عليه لم يقدم وانما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أن يحظر أمر الدين ثم لا يفكر في الموت وقد قيل له أتقتل أهل الشام بالغداة وتظهر بالعشي في ازار ورداء فقال أبالموت أُخوَّف والله ما أبالي أسقطتُ على الموت أم سقط الموتُ عليَّ وقال للحسن ابنه لا تبدأ بدعاءٍ الى مبارزة فان دُعيت اليها فاجب فانّ طالبها باغ والباغي مصروع وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلتفّ في كسائه وينام ناحية المسجد فلما ورد بالمرزبان عليه (كذا وقعت الرواية المرزبان والصواب الهرمزان وكان صاحب تُستَرا) جعلوا يسألون عنه فيقال مرّ ههنا آنفا فيصغر في قلب المرزبان اذ رآه كبعض السوقة حتى انتهى اليه وهو نائم في ناحية المسجد فقال

فاني بصدده وبعرض منه بل في الحال التي توجبه والسبب الذي يؤدي اليه وان سمعت تسديدا فهو الغريب الذي لا تجده اللهم الا ان يكون من بركة مكاتبتك وعن مطالبتك ولان ذكرك يشحذ الذهن ويصورك في الوهم ويجلو العقل وتأميلك ينفي الشغل ولا يعجبني ما رأيت من قلة اطنابك في هذا النبيذ وقلة تلهيك بهذا الشراب وأنت تجد من فضل القول وحسن الوصف ما لا يصاب عند خطيب ولا يوجد عند بليغ وأنت ولو مشيت الخيلاء وحقرت العظماء وارغبت الشعراء وأعطيت الخطباء ليكون القول منهم موصولا غير مقطوع ومبسوطا غير مقصور لكنت بعد مقصرا في

المرزبان هذا والله الملك الهني يقول لا يحتاج الى احراس ولا عدد فلما جلس عمر امتلأ قلب العلج منه هيبة لما رأى عنده من الجد والاجتهاد وآنس من هيبة التقوى وقال الكلبي قال لي خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز القسري ما تعدون السودد فقلت أما في الجاهلية فالرياسة وأما في الاسلام فالولاية وخير من ذا وذاك التقوى فقال لي صدقت كان أبي يقول لم يدرك الأول الشرف الا بالفعل ولا يدركه الآخر الا بما أدرك به الأول قال فقلت صدق أبوك ساد الأحنف بحلمه وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له وساد قتيبة بدهائه وساد المهلب بجميع هذه الخلال فقال لي صدقت كان أبي يقول خير الناس للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ومن القتل لئلا يقاد ومن الزنا لئلا يحد فسلم الناس منه باتقائه على نفسه قال أبو العباس وكان عبد الله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال قال له عبد الملك يوما ما مالك فقال شيآن لا عيلة علي معهما الرضا عن الله والغنى عن الناس فلما نهض من بين يديه قيل له هلا أخبرته بمقدار مالك فقال لم يعد أن يكون قليلا فيحقرني أو كثيرا فيحسدني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه من سره الغنى بلا مال والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من ذل معصية الله الى عز طاعته فانه واجد ذلك كله وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باق لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع الاخلاص في السر والعلانية والعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأن أعفو عمن ظلمني وأصل من قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وحدثت أنه التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر اني لأحبك في الله فقال له الآخر لو علمت

أمره مفرطا في واجب حقه فلا تأديب الله قبلت ولا قول الناصح سمعت سمعت قول الله تبارك وتعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال الأول استدم النعمة باظهارها واستزد المواهب بادامة شكرها بل كيف أنست بالجلساء وأرسلت الى الأطباء ولم يكن في قربك ما يغنيك وفي النظر اليه ما يشغلك ولم ملكت نفسك دون أن تهدى ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف ولم كان الهذيان به هو الهذيان والسخف هو المروءة والتناقض هو الصحة والا بأي شئ خصمت وبأي معنى أتيت ولم لم تخلع فيه العذار ولم تخرج فيه عن كل مقدار وأي شئ أجوب جلدك وأمات حالك وأضعف مسرتك وأوحش منك

منى ما أعلمه من نفسي لا بغضتني في الله فقال له صاحبه لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل وكان مالك بن دينار يقول جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشد فطام الكبير وقيل لعمر بن عبد العزيز أي الجهاد أفضل فقال جهادك هواك وكان الحسن يقول حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فانها طلعة وانكم الا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية قوله حادثوا تمثيل ومعناه اجلوا واشحذوا تقول العرب حادث فلان سيفه اذا جلاه وشحذه وقال زيد الخيل

وقد علمت سلامة أن سيفي ٭ كريه كلما دعيت نزال

أحادثه بصقل كل يوم ٭ وأعجمه بهامات الرجال

قوله أعجمه بهامات الرجال أي أعضه يقال عجمه اذا عضه والدثور الدروس يقال دثر الربع اذا انمحى ومعناه تعهدوها بالفكر والذكر وقوله فانها طلعة يقول كثيرة التشوف والتنزي الى ما ليس لها وأنشد الأصمعي

ولا تملين من مال ولا عمر ٭ الا عباءة نفس الحاسد الطلعه

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لانه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها) قال ويقال للجارية اذا كانت تبرز وجهها لترى حسنها ثم تخفيه لتوهم الحياء خباءة طلعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول أيها الناس انما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار الى دار ويروى عن المسيح صلوات الله عليه وسلامه انه كان يقول ان احببتم الى الناس فكلوا قصدا وامشوا جانبا ولما احتضر قيس بن عاصم قال لبنيه يا بني احفظوا عني ثلاثا فلا أحد أنصح لكم مني اذا أنا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم بحفظ المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (آخر بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد أخطأ ومعنى آخر أدنى وأرذل)

رفيقك الا العقوبة المحضة والا الغضب والعقاب وحرمك الثواب الا التهاون في أمره وقلة الرعاية لحقه وكيف صارت أمراضي أمراض الاغنياء وأمراضك أمراض الفقراء الا لمعرفتي بفضله واستخفافك بقدره ألا ترى اني منقرس مفاوج وانت اجرب مستور فان تبت فما أقرب الفرج وأسرع الاجابة وسنفرغ لك ان شاء الله قريبا او تفلح سريعا وان أصررت وتتابعت وتماديت آتاك الله من سفلة الادواء وزوى عنك من عليه الامراض ما يضعك موضعا لا ارتفاع معه ويلزق بعقبك عارا لا زوال له ثم تتبع أشباهك السبة وتتبعهم المذمة علم الله انه استظرفك واستملحك واستحسن

(باب)

قال أبو العباس أنشدني رجل من الأعراب يرثي رجلا منهم

فلو كان شيئا قد لبسنا شبابه ٭ ولكنه لم يعد أن طر شاربه

وقال

وقالك الردى من ودّ أنّ ابن عمه • يرى مقترا أو أنه ذلّ جانبه

وقال الآخر (حسان بن ثابت) لامرأته

فاما هلكتُ فلا تنكحى • ظلوم العشيرة حسّادها

يرى مجده ثلب اعراضها • لديه ويبغض من سادها

وقال آخر (قال أبو الحسن هو ابن يزيد بن حبناء أو المغيرة بن حبناء يقوله لأخيه)

لحى الله أكبانا زنادا وشرّنا • وأيسرنا عن عرض والده ذبّا

رأيتك لما نلت مالا ومسّنا • زمان ترى فى حد أنيابه شغبا

جعلت لنا ذنبا لتمنع نائلا • فأمسك ولا تجعل غناك لنا ذنبا

قوله أكبانا زنادا الزناد التى تقدح بها النار ويقال أورى القادح اذا خرجت له النار وأكبى اذا أخفق منها هذا أصله يضرب للرجل الذى ينبعث الخير على يديه ويضرب الأكباء للذى يمتنع الخير على يديه قال الأعشى وزندك خير زناد الملو • ك صادف منهن مرخ عفارا

ولو بتّ تقدح فى ظلمة • صفاة بنبع لأوريت نارا

والمرخ والعفار شجر تسرع فيه النار ومن أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار واستمجدا استكثرا يقال أمجدته سبّا وأمجدته ذما اذا أكثرت من ذلك ومن أمثالهم ارخ يديك واسترخ ان الزناد من مرخ ويقال رجل ذو شغب اذا كان يشغب على خصمه ضربه مثلا للزمان الذى يهر على أربابه أى يشهم بالفقر والجدب وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب

رأيت فضيلا كان شيأ ملففا • فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

أأنت أخى ما لم تكن لى حاجة • فان عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

فلا زاد ما بينى وبينك بعدما • بلوتك فى الحاجات الا تماديا

فلست براء عيب ذى الود كله • ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا

فعين الرضا عن كل عيب كليلة • ولكن عين السخط تبدى المساويا

كلانا غنى عن أخيه حياته • ونحن اذا متنا أشد تغانيا

قدك واسترجع عقلك وأحسن بك ظننا ورآك لنفسه أهلا ولاتخاذه موضعا وللانس به مكانا وأنت لاه عنه زار عليه متهاون به قد أقبلت على دوانك تشغل بملازمته وتدع ما يجب عليك من صفاته والدعاء الى تعظيمه بل هل كنت من شيعته والذابين عن دولته والمعروفين بالانقطاع اليه والانبتات فى حبله الا ان يكون عندك التقصير لحقه والتهاون بامره اللازم ونهى الناس عنه ولو خرجت الى هذا لخرجت من جميع الاخلاق المحمودة والافعال المرضية واحسب انك لا تعظمه ولا ترق له ولو لم تتعصب الاجلاله وحسنه ولو لم تحافظ على نقائه وعتقه لكان ذلك واجبا وأمرا معروفا فكيف

قوله كان شيأ ملفقا يقول كان أمرًا مغطى والتمحيص الاختبار يقال أدخلتُ الذهبَ فى النار فمحصته أى خرج عنه مالم يكن منه وخلص الذهبُ قال الله عز وجل وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ويقال محص فلانٌ من ذنوبه وقوله أأنت أخى مالم تكن لى حاجة تقرير وليس باستفهام ولكن معناه انى قد بلوتك تظهر الاخاء فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيأ قال الله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالم بان عيسى لم يقله وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام فى موضعه من الكتاب المقتضب مستقصى ونذكر منه جملة فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاث لا يعرف الشجاع الا فى الحرب ولا الحليم الا عند الغضب ولا الصديق الا عند الحاجة وقال عبد الله بن معاوية أيضا (ذكر دعبل فى أخبار الشعراء له أن هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى)

أنى يكون أخا أو ذا محافظة • من كنت فى غيبه مستشعرا وجلا

اذا تغيب لم تبرح تظن به • سوأ وتسأل عما قال أو فعلا

وقال آخر

سأشكر عمرا ما تراخت منيتى • أيادى لم تمنن وان هى جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه • ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

رأى خلتى من حيث يخفى مكانها • فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وتمثل على بن أبى طالب رضى الله عنه فى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه • اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

فتى لا يعد المال ربا ولا ترى • به جفوة ان نال مالا ولا كبر

فتى كان يعطى السيف فى الروع حقه • اذا ثوب الداعى وتشقى به الجزر

وهون وجدى أننى سوف أغتدى • على اثره يوما وان نفس العمر

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو للأبيرد الرياحى وبعد البيت الثالث

فلا يبعدنك الله اما تركتنا • حميدا وأودى بعدك المجد والفخر)

قال أبو العباس حدثنى التوزى قال حدثنى محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب أحسبه عن أبيه

مع المناسبة التى بينكما
والشكل الذى يجمعكما
فان كان بعضك لا يصون
بعضا وأنت لا تعظم شقيقا
فانت والله من حفظ
العشيرة أبعد ولمعرفة
الصديق أنكر ولقد
نعيت الى لبلك واتكلتنى
حفاظك وأفسدت عندى
كل صحيح وقد كان يقال
لا يزال الناس بخير
ما تعجبوا من العجب قال
الشاعر
وهلك الفتى ان لا يراح الى
الندى
وان لا يرى شيأ عجيبا
فيعجبا
قال بكر بن عبد الله المزى
كنا نتعجب من دهر لا
يتعجب أهله من العجب
فقد صرنا فى دهر لا
يستحسن أهله الحسن
ومن لم يستحسن الحسن
لم يستقبح القبيح وقال
بعضهم العجب ترك التعجب

قال لما انقضى يوم الجمل خرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى ليلة ذلك اليوم ومعه قنبر وفى يده مشعلة من نار يتصفح القتلى حتى وقف على رجل قال التوزى فقلت أهو طلحة قال نعم فلما وقف عليه قال اعزز علىّ أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء وفى بطون الأودية شفيت نفسى وقتلت معشرى الى الله أشكو عجرى وبجرى قوله معفرا أى ملصق الوجه بالتراب ويقال التراب العفر والعفر يقال ما مشى على عفر التراب مثل فلان وقوله الى الله أشكو عجرى وبجرى يقول ما أسر من أمرى قال الأصمعى وهو قول سائر فى أمثال العرب أنبى فلان فلانا فأبثه عجره وبجره وقال النمر بن تولب (كل نمر فى العرب كالنمر بن قاسط وغيره مكسور النون مجزوم الميم الا النمر بن تولب عن ابن دريد قال أبو حاتم يقال النمر بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النمر)

تدارك ما قبل الشباب وبعده • حوادث أيام تمر وأغفل
يسر الفتى طول السلامة والبقا • فكيف يرى طول السلامة يفعل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة • ينوء اذا رام القيام ويحمل

قصر البقاء ضرورة والشاعر اذا اضطر أن يقصر الممدود وليس له أن يمد المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة فاذا احتاج حذفها لانها ألف زائدة فاذا حذفها رد الشئ الى أصله فلو مد المقصور لكان زائدا فى الشئ ما ليس منه قال الشاعر وهو يزيد بن عمرو بن الصعق

فرغتم لتمرين السياط وأنتم • يشن عليكم بالفنا كل مربع

فقصر الفناء وهو ممدود وقال الطرماح

وأخرج أمه لسواس سلمى • لمعفور الضرا ضرم الجنين

قوله وأخرج يعنى رمادا والأخرج الذى فى لونه سواد وبياض يقال نعامة خرجاء وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسلمى جبلا طيئ وسواس سلمى الموضع الذى بحضرة سلمى يقال هذا من سوس فلان ومن توس فلان أى من طبعه وأمه يعنى الشجرة التى هى أصله وقوله لمعفور الضرا فالضراء ما واراك من شجر خاصة والخمر ما واراك من شئ والمعفور ما سقط من النار من الزند وقوله ضرم الجنين يقول مشتعل والجنين ما لم يظهر بعد يقال القبر جنن والجنين الذى فى بطن أمه والمجن الترس لانه يسترك والمجنون المغطى العقل ويسمى الجن جنا لاختفائهم وتسمى الدروع الجنن لانها تستر

من العجب ولم أقل ذلك الا الآن تكون به ضنينا وبما يجب له عارفا ولكنك لم توفر حقه ولم تعرف نصيبه فان قلت ومن يقضى واجب حقه وينهض بجميع شكره قلنا فهل أعذرت فى الاجتهاد حتى لا يذم الا تعجيلك وهل استغرقت الاعتذار حتى لا تعاب الا بما زاد على قوتك ولولا انك عين الجود لم نطلبه منك ولولا ظننا لم نحمدك عليه ولولا معرفتنا بفضله لم نعجب من تقصيرك فى حقه ولولا أن الخطأ فيك أقبح والقبيح منك أسمج وهو فيك أبين والناس فيه أكلف والعيون اليه أسرع لكان كتابنا كتاب مطالبة ولم يكن كتاب معاتبة ولشغلنا الحلم لك عن الحلم عليك والقول لك

من كان فيها وقصر الضرا وهو ممدود ومثل هذا كثير في الشعر جداً وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهض في تثاقل قال الله عز وجل ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر (لعمرو بن قميئة

على الراحتين مرة وعلى العصا) • أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داء وقال حميد بن ثور الهلالي

أرى بصري قد رابني بعد صحة • وحسبك داء ان تصح وتسلما

ولا يلبث العصران يوم وليلة • اذا طلبا أن يدركا ما تيمما

وقال أبو حية النميري ألا حي من أجل الحبيب المغانيا • لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة • تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية

كانت قناتي لا تلين لغامز • فألانها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي في السلامة جاهدا • ليصحني فاذا السلامة داء

وقال عنترة بن شداد فما أوهى مراس الحرب ركني • ولكن ما تقادم من زماني

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا لقد أكل عليه الدهر وشرب اغمار يدون انه أكل هو وشرب دهرا طويلا قال الجعدي

(كم رأينا من أناس هلكوا) • أكل الدهر عليهم وشرب

والعرب تقول نهارك صائم وليلك قائم أي أنت قائم في هذا وصائم في ذلك كما قال الله عز وجل بل مكر الليل والنهار والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار وقال جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال الفرزدق تبكي على المنتوف بكر بن وائل • وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

غلامان شبا في الحروب وأدركا • كرام المساعي قبل وصل لحاهما

وابنا مسمع كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلب مع عدي بن أرطاة لما أتاه خبر قتل أبيه وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب والمنتوف كان مولى لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة وابنا

مسمع

عن القول فيك وقد كنت أهابك بفضل هيبتي لك واجترئ عليك بفضل بسطك لي فنعني حرص الممنوع وخوف المشفق وأمن الواثق وقناعة الراضي وبعد فمن طلب ما لا يجاد به وسأل ما لا يوهب مثله ممن يجود بكل ثمين ويهب بكل خطير فواجب ان يكون من الردء مشفقا وبالنجح موقنا وان كان أبقاه الله أهلا لان يمنع وكنت حفظك الله أهلا ان تبذل وجب ان يكون باذلا مانعا وسا كنا مطمئنا الا ان يكون الحرب سجالا والحالات دولا ولهذه الخصال ما وقع الطلب وشاع الطمع فان منعت فعذرك مبسوط عند من عرف قدرك وان بذلت فلم تعد الذي أنت أهله عند من عرف قدرك

مسمع من بنى قيس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب وفى ذلك يقول جرير

والأزْدُ قد جعلوا المنتوفَ قائدهم • فقتّلتهم جنودُ الله وانتُتِفوا

وتمام شعر الفرزدق

ولو قُتلا من جِذْم بكرِ بن وائلٍ • لكانَ على الناعى شديدًا بكاهما

ولو كان حيًّا مالكٌ وابنُ مالكٍ • اذا أوقدا نارين يعلو سَناهما

السَّنا ضوء النار وهو مقصور قال الله عز وجل يكاد سَنا برقه يذهب بالابصار والسَّناء من الشرف ممدود قال حسّان بن ثابت

وانّ خيرَ عثمانَ بنَ عمرٍو • وأسناها اذا ذُكر السَّناءُ

والبكاء يُمدّ ويُقصر فمن مدّ فانما جعله كسائر الاصوات ولا يكون المصدر فى معنى الصوت مضموم الاول الا ممدودا لانه يكون على فُعال وقلّما يكون المصدر على فُعَل وقد جاء فى حروف نحو الهُدى والسُّرى وما أشبهه وهو يسير فاما الممدود فنحو العُواء والدُّعاء والرُّغاء والثُّغاء فكذلك البُكاءُ ونظيره من الصحيح الصُّراخ والنُّباح ومن قصر فانما جعل البكاء كالحُزْن وقد قال حسّان فقصر ومدّ

بكت عينى وحقّ لها بُكاها • وما يُغنى البكاءُ ولا العويلُ

وقال جرير

قالوا نصيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم • كيف العزاءُ وقد فارقتُ أشبالى

هـذا سَوادةُ يجلو مُقلتَى لَحِمٍ • بازٍ يُصرصرُ فوق المَرقَب العالى

فارقتُه حين غَضّ الدهرُ من بَصرى • وحين صرتُ كعظم الرِّمّة البالى

(نصيبَك بالنصب لا غير لانه مفعول باضمار فعل تقديره احفظ نصيبك او احرز نصيبك) قوله يجلو مقلتى لحم شبّه مقلتيه بمقلتى البازى ويقال طائر لَحِمٌ من هذا وقوله يُصرصر يعنى يُصوّت يقال صرصرَ البازى والصقرُ وما كان من سباع الطير ويقال صرصرَ العصفورُ وأحسبه مستعارا لان الاصل فيه ان يستعمل فى الجوارح من الطير قال جرير

• بازٍ يُصرصر بالسَّهْبِ قطا جُونا • وقال آخر • كما صرصرَ العصفورُ فى الرُّطَب الثَّعْد •

وأنشدنى عُمارة بازٍ يُصعصع وهو أصح (قال أبو الحسن يُصعصع وهو الصواب ولكن هكذا وقع فى كتابه ويُصرصر لا يتعدّى) وقوله كعظم الرِّمّة فهى البالية الذاهبة والرَّميم مشتق من الرِّمّة وانما هو فعيلٌ وفِعْلةٌ وليس بجمع له واحد ومما كُفّرت به الفقهاءُ الحجّاجَ بن يوسف قولُه والناس يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره وان شئت قلت يُطيفون قال أبو زيد تقول

الا انه لا يجود بمثله الا غنى عند جميع الناس أو عاقل فوق جميع الناس وكيف لا أطلب طلب الجرئ المتهور وامسك امساك الهائب الموقور وليس فى الأرض خلق يغتفر فى وصفه المحال غيره ولا يستحسن الهذيان سواه على ان من الهذيان ما يكون مفهوما ومن المحال ما يكون مسموعا فمن جهل ذلك ولم يعرفه وقصر ولم يبلغه فليسمع كلام اللهفان والثكلان والغضبان والغيران ومن قصة الصبيان والمتعظ اذا دنا منه والحاذق حتى اذا استوهبت لم تهب له منه حتى تقف وقفة وتطرقه ساعة ثم تمخض وتستشير ثم

العرب طُفْتُ وأطفتُ به ودُرتُ وأدرتُ به ويقال حَدَقَ وأحدَقَ قال الأخطل

المُنعِمون بنو حربٍ وقد حَدَقَتْ * بي المنيّةُ واستبطأتُ أنصاري

انما يطوفون باعواد ورمّة ومن أمثال العرب لولا أن تُضيعَ الفتيانُ الذمّةَ لخبّرتُها بما تجد الابلُ في الرمّة يقول لولا أن تدعَ الأحداثُ التمسّكَ بالوفاء والرعايةَ للحرمة لأعلمتُها أن الابل تتناول العظم البالي وهو أقل الاشياء فتجد له لذّة ومثل بيت جرير الاخير قول أبي الشغب يرثي ابنه شَغْبًا

قد كان شَغْبٌ لوانّ الله عمّره * عِزًّا تُزادُ به في عزّها مُضَرُ

لَيتَ الجبالَ تداعت قبل مصرعه * دكًّا فلم يبقَ من أحجارها حجرُ

فارقتُ شَغْبًا وقد قُوِّستُ من كِبَرٍ * بئس الخليفانِ طولُ الحزنِ والكِبَرُ

قوله قوّست يقول انحنيتُ كالقوس قال امرؤ القيس

أراهنّ لا يُحببنَ من قلّ مالُهُ * ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقوّسا

وقال سليمان بن قَتّة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما

مررتُ على أبيات آل محمّدٍ * فلم أرها كعهدها يومَ حُلّتِ

فلا يُبعِدُ الله الديارَ وأهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلّتِ

وانّ قتيلَ الطفّ من آل هاشمٍ * أذلّ رقابَ المسلمين فذلّتِ

وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيّةً * فقد عظمت تلك الرزايا وجلّتِ

وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمائنا * سنجزيهم يومًا بها حيث حلّتِ

اذا افتقرت قيسٌ جبرنا فقيرها * وتقتلنا قيسٌ اذا النعلُ زلّتِ

وسليمان بن قتة رجل من بني تيم بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ وكان منقطعا الى بني هاشم وقال الفرزدق يرثي ابنيه

بِفي الشامتين التُربُ ان كان مسّني * رزيّةُ شبلَي مُخدرٍ في الضراغم

وما أحدٌ كان المنايا وراءه * ولو عاش أيامًا طِوالًا بسالم

أرى كلّ حيٍّ ما تزالُ طليعةٌ * عليه المنايا من ثنايا المخارم

يُذكّرني ابنيَّ السماكانِ موهنًا * اذا ارتفعا فوقَ النجومِ العوائم

تشفع على مستوهبه وتعجب من شاربه ثم تطيل الكتاب بالامتنان وتسطر فيه بتعظيم الانعام مع ذكر مناقبه ونشر محاسنه بقدر الطاقة وان لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه واشهد بطيبه وارح ساعته واشهد في الناس يومه وما ظنك بشيء لا تقدر ان تسرد في ذكره وتفرط في مدحه وتقصيرك واضح في كونه مكتوبا في طعمه موجودا في رائحته اذ كان كل ممدوح يقصر عن مدحه وقدره ويصغر في جنبه ولو لم يستدل على سعادة جدك واقبال أمرك وان الذي صدق في المعلوم وحظا في الرزق المقسوم وانك ممن تبقى

وقد رزئ الأقوام قبلى بنيهم * وإخوانهم فاقنى حياء الكرائم

ومات أبى والمنذران كلاهما * وعمرو بن كلثوم شهاب الأراقم

وقد كان مات الأقرعان وحاجب * وعمرو وأبو عمرو وقيس بن عاصم

وقد مات بسطام بن قيس بن خالد * ومات أبو غسان شيخ اللهازم

وقد مات خيراهم فلم يهلكاهم * عشية بانا رهط كعب وحاتم

فما ابنك الا من بنى الناس فاصبرى * فلن يرجع الموتى حنين المآتم

وانشدنى التوزى عن أبى زيد خنين المآتم بالخاء معجمة (الخنين بالخاء صوت من الخيشوم) قوله ماتزال طليعة يريد طالعة والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى الجبل من ذلك (الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أنف الجبل وقوله فوق النجوم العواتم يعنى المتأخرة يقال فلان يأتينا ولا يعتم أى لا يتأخر وعتمة اسم للوقت فلذلك سميت الصلاة بذلك الوقت وكل صلاة مضافة الى وقتها تقول صلاة الغداة وصلاة الظهر وصلاة العصر وأما قولك الصلاة الأولى فالأولى نعت لها اذ كانت أول ما صلى وقيل أول ما أظهر وقوله فاقنى حياء الكرائم يقول فارضى وأصل القنية المال اللازم تقول اقتنى فلان مالا اذا اتخذ أصل مال وقيل فى قول الله عز وجل وأنه هو أغنى وأقنى أى جعل لهم أصل مال وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبى المثلم الهذلى يرثى صخرا)

لو كان للدهر عز يطمئن به * لكان للدهر صخر مال قنيان

والكرائم جمع كريمة والاسم من فعيلة والنعت يجمعان على فعائل فالاسم نحو صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن والنعت نحو عقيلة وعقائل وكريمة وكرائم وقوله ومات أبى يريد التأسى بالأشراف وأبو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وكان أبوه شريفا وأجداده الى حيث انتهوا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها والمنذران المنذر بن المنذر بن ماء السماء اللخمى يريد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التغلبى قاتل عمرو بن هند وكان أحد أشراف العرب وفتاكهم وشعرائهم والأراقم قبيلة من بنى تغلب بنت وائل من بنى جشم بن بكر وزعم أهل العلم انهم انما سموا الأراقم لان عيونهم شبهت بعيون الحيات والأراقم واحدها

نعمه ويدوم شكره ويفهم النعمة ويربيها ويدرأ عنها ويستديمها الا انه ان وقع فى قسمك وكان فى نصيبك لكان ذلك أعظم البرهان وأوضح الدلالة بل لا نقول انه وقع اتفاقا وغرسا نادرا حتى يكون التوفيق هو الذى قصد به والصنع هو الذى دل عليه ولو لم تملك غيره لكنت غنيا ولو ملكت كل شئ سواه لكنت فقيرا وكيف لا يكون كذلك وهو مستراح قلبك ومجال عقلك ومربع عينك وموضع أنسك ومستنبط لذتك وينبوع سرورك ومصباحك فى الظلام وشعارك من جميع الاقسام وكيف وقد جمع أبهة الجلال

أرقم فكانوا معروفين بهذا قال الفرزدق يرد على جرير فى هجائه له وللأخطل

إنّ الأراقم لن ينال قديمها • كلب عوى متهتّم الأسنان

وجعله شهابا ألهم لنوره وبهائه وضيائه تقول العرب انما فلان نجم أهله وكذلك قالت الخنساء

• كأنّه علَمٌ فى رأسه نارُ • والأقرعان الأقرع بن حابس وابنه الأقرع من بنى مجاشع بن دارم

وكان الأقرع فى صدر الاسلام سيّد خندف وكان محلّه فيها محلّ عيينة بن حصن فى قيس وحاجب

ابن زرارة بن عدس سيّد بنى تميم فى الجاهلية غير مدافع وعمرو أبو عمرو يريد عمرو بن عدس

وكان شريفا وكان ابنه عمرو شريفا قتل يوم جبلة قتلته بنو عامر بن صعصعة وقتلوا لقيط بن زرارة

وكان الذى ولى قتله عمارة الوهّاب العبسى وينسب الى بنى عامر لان بنى عبس كانوا فيهم مع

قيس بن زهير وعمارة هذا هو الذى كان يقال له دالق وقتله شرحاف الضبى ولذلك يقول الفرزدق

وهن بشرحاف تدار كن دالقا • عمارة عبس بعد ما جنح العصر

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية أريت فى منامها قائلا يقول أعشرة هدرة

أحب اليك أم ثلاثة كعشرة (هدرة بالدال غير معجمة قال أبو الحسن هم السقاط من الناس)

فلم تقل شيأ فعاد لها الليلة الثانية فلم تقل شيأ ثم قصت ذلك على زوجها فقال ان عاد لك الثالثة

فقولى ثلاثة كعشرة وزوجها زياد بن عبد الله بن ناشب العبسى فلما عاد لها قالت ثلاثة كعشرة

فولدتهم كلهم غاية ولدت ربيع الحفّاظ وعمارة الوهّاب وأنس الفوارس وهى احدى المنجبات

من العرب وأسروا حاجبا فذلك حيث يقول جرير يعير الفرزدق ويعلمه فخر قيس عليه

تحضّض يا ابن القين قيسا ليجعلوا • لقومك يوما مثل يوم الأراقم

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا • وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا • وشدّات قيس يوم دير الجماجم

الجونان معاوية وحسان ابنا الجون الكنديان أسرا فى ذلك اليوم فقتل حسان وفودى معاوية

بسبب يطول ذكره والشعب شعب جبلة وقوله وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا فى الاسلام

يعنى وقعة الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل الثقفى بعبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس بن

معد يكرب الكندى بدير الجماجم وقوله وقلمات بسطام بن قيس بن خالد يعنى الشيبانى وهو

ورشاقة الهلال ووقار البها وشرف الخير وعز المجاهدة ولذة الاختلاس وحلاوة الزبيب وسأصف لك شرف النبيذ فى نفسه وفضيلته على غيره ثم أصف فضل شرابك على سائر الأشربة كما أصف فضل النبيذ على سائر الأنبذة لأن النبيذ اذا غشى فى عظامك والتبس بأجزائك ودب فى جنانك منحك صدق الحس وفراغ النفس وجعلك رخى البال خلى الذرع قليل الشواغل قرير العين واسع الصدر فسيح الهم حسن الظن ثم سد عليك أبواب التهم وحسن دونك الظن وخواطر الفهم وكفاك مؤونة الحراسة وألم

فارس بكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحسن وهو جبل (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حبل بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى الحسن والحسين حبلا رمل) قتله عاصم بن خليفة الضبي وكان عاصم أسلم في أيام عثمان رحمه الله فكان يقف ببابه فيستأذن عليه فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتل بسطام بن قيس بالباب (قال أبو الحسن الوجه عندي في بسطام أن لا ينصرف لانه أعجمي) وكان سبب قتله اياه أن بسطاما أغار على بني ضبة وكان معه حاز (قال أبو الحسن حاز بالزاي زاجر) يحزو له فقال له بسطام اني سمعت قائلا يقول

الدلو تأتي الغرب المزله • فقال الحازي فهلا قلت • ثم تعود بادنا مبتله • قال ما قلت فاكتسح ابلهم فتنادوا واتبعوه فنظرت أم عاصم اليه وهو يقع حديدة له أي يحددها والميقعة المطرقة فقالت له ما تصنع بهذه وكان عاصم منقوصا فقال لها أقتل بها بسطام بن قيس فنهرته وقالت است أمك أضيق من ذلك فنظر الى فرس لعمه موثقة الى شجرة فاعروراها أي ركبها عريا ثم أقبل بها الريح فنظر بسطام الى الخيل قد لحقته فجعل يطعن الابل في أعجازها فصاحت به بنو ضبة يا بسطام ما هذا السفه دعها اما لنا واما لك وانحط عليه عاصم فطعنه فرمى به على الألاءة وهي شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نصرانيا وكان مقتله بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطام أنا حنيف ان رجعت ففي ذلك يقول ابن عمة الضبي وكان في بني شيبان

نخر على الألاءة لم يوسد • كأن جبينه سيف صقيل

ولما قتل بسطام لم يبق في بكر بن وائل بيت الا هجم أي هدم وقوله ومات أبو غسان شيخ اللهازم يعني مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب أحد بني قيس بن ثعلبة واليه تنسب المسامعة وكان سيد بكر بن وائل في الاسلام وهو الذي قال لعبيد الله بن زياد بن ظبيان أحد بني تيم اللات بن ثعلبة وكان حين حدث أمر مسعود بن عمرو والمعنى من الأزد فلم تعلمه به فقال له عبيد الله وهو أحد فتاك العرب وهو قاتل مصعب بن الزبير أيكون مثل هذا الحدث ولا تعلمني به لهممت أن أضرم دارك عليك نارا فقال له مالك اسكت أبا مطر فوالله ان في كنانتي سهم أنا أوثق به مني بك فقال له عبيد الله أو أنا في كنانتك فوالله لو قعدت فيها لطلتها ولو قمت فيها لخرقتها فقال له مالك وأعجبه ما سمع منه أكثر الله في العشيرة مثلك قال لقد سألت ربك شططا وفي مالك بن مسمع يقال

الشفقة وخوف الحدثان وذل الطمع وكذا الطلب وكلما اعترض على السرور وأفسد اللذة وقاسم الشهوة وأخل بالنعمة وهو الذي يرد الشيوخ في طبائع الشبان ويرد الشبان في نشاط الصبيان وليس يخاف شاربه الا مجاوزة السرور الى الاشر ومجاوزة الاشر الى البطر ولو لم يكن من اياديه ومننه ومن جميل آلائه ونعمه الا انك ما دمت تمزجه بروحك وتزاوج بينه وبين دمك فقد أعفاك من الجد ونصبه وحبب اليك المزاح والفكاهة وبغض اليك الاستقصاء والمحاولة وازال عنك تعقد الحشمة وكذا المروءة وصار يومه جمالا لايام

اذا ما خشينا من أمير ظلامة • دعونا أبا غسان يوما فعسكرا

قوله وقدمات خيراهم تثنية كقولك مات آخراهم ولم يخرج مخرج النعت الا ترى أنك تقول هذا أخر القوم اذا أردت هذا الآخر الذى للقوم فاذا أردت الذى يفضلهم فى باب الحمرة قلت هذا أشدهم حمرة ولم تقل هذا أحمرهم وكذلك خيراهم وانما أردت هذا خيرهم ثم ثنيت أى هذا الخير الذى هو فيهم وقوله عشية بانا مردود على قوله خيراهم وقوله رهط كعب وحاتم انما خفضت رهطا لانه بدل من هم التى أضفت اليها الخيرين والتقدير وقدمات خيرا رهط كعب وحاتم فلم يهلكاهم عشية بانا فاما كعب فهو كعب بن مامة الايادى وكان أحد أجواد العرب الذى آثر على نفسه وكان مسافرا ورفيقه رجل من النمر بن قاسط فقل عليهما الماء فتصافناه والتصافن أن يطرح فى الاناء حجر (هذا الحجر الذى يقسم به الماء يقال له المقلة بفتح الميم) ثم يصب فيه من الماء ما يغمره لئلا يتغابنوا وكذلك كل شئ وقف على كيله أو وزنه والأصل ماذكرنا فجعل النمرى يشرب نصيبه فاذا أخذ كعب نصيبه قال اسق أخاك النمرى فيؤثره حتى جهد كعب ورفعت له أعلام الماء فقيل له رد كعب ولا ورود به فمات عطشا ففى ذلك يقول أبو دواد الايادى

أوفى على الماء كعب ثم قيل له • رد كعب انك ورّاد فما وردا

فضرب به المثل فقال جرير فى كلمته التى مدح فيها عمر بن عبد العزيز

يعود الفضل منك على قريش • وتفرج عنهم الكرب الشدادا
وقد أمنت وحشهم برفق • ويعيى الناس وحشك أن تصادا
وتبنى المجد يا عمر بن ليلى • وتكفى الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى • وتذكر فى رعيتك المعادا
وما كعب بن مامة وابن سعدى • بأجود منك يا عمر الجوادا
تعود صالح الأخلاق انى • رأيت المرء يلزم ما استعادا

هذا كعب بن مامة الذى ذكرناه وأما ابن سعدى فهو أوس بن حارثة بن لأم الطائى وكان سيدا مقدما فوفد هو وحاتم بن عبد الله الطائى على عمرو بن هند وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء فدعا أوسا فقال له أأنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكنى حاتم وولدى ولحمتى لوهبنا فى

الفكرة وتسهيلا لمعاودة الروية لكان فى ذلك ما يوجب الشكر ويطنب الذكر مع ان جميع ما وصفناه واخبرنا به عنه يقوم بايسر الجرم وأقل الثمن ثم يعطيك فى السفر ما يعطيك فى الحضر وسواء عليك البساتين والجنان ويصلح بالليل كما يصلح بالنهار ويطيب فى الصحو كما يطيب فى الدجن ويلذ فى الصيف كما يلذ فى الشتاء ويجرى مع كل حال وكل شئ سواه فانما يصلح فى بعض الاحوال ويدفع مضرة الهمار كما يجلب منفعة السرور ان كنت جذلا كان بارا بك وان كنت ذاهم نفاه عنك وما الغيث فى الحرث بانفع منه

غَداةً واحدة ثم دعا حاتمًا فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن انما ذُكِرْتُ بأوس ولأحد ولده أفضلُ منى وكان النعمان بن المنذر دعا بحُلَّة وعنده وُفودُ العرب من كل حىّ فقال احضروا فى غدفانى مُلبِسٌ هذه الحُلَّة أكرمكم فحضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلّفت فقال ان كان المراد غيرى فأجمل الاشياء أن لا أكون حاضرًا وان كنت أنا المراد فسأُطلَب ويُعرَف مكانى فلما جلس النعمان لم يرَ أوسا فقال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنًا مما خفت فحضر فأُلبِس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحُطَيئة اهجُه ولك ثلثمائة ناقة فقال الحطيئة كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا الا من عنده ثم قال

كَيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ • من آلِ لأمٍ بظهر الغَيبِ تأتينى

فقال لهم بِشْرُ بن أبى خازم أحد بنى أسد بن خُزَيمة أنا أهجوه لكم فأخذ الابل وفعل فأغار أوس على الابل فاكتسحها فجعل لا يستجير حيًّا الا قال قد أجرتك الا من أوس وكان فى هجائه اياه قد ذكر أمه فأُتى به فدخل أوسٌ على أمه فقال قد أُتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترين فيه فقالت له أوَتُطيعنى فيه قال نعم قالت أرى أن تردّ عليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وأفعلُ مثل ذلك فانه لا يغسلُ هجاءَه الا مدحُه فخرج اليه فقال ان أمى سُعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا وكذا فقال لا جرم والله لا مدحتُ أحدا حتى أموت غيرك ففيه يقول

الى أوسِ بن حارثةَ بن لأمٍ • ليقضىَ حاجتى فيمن قضاها

وما وطئَ الثرى مثلُ ابن سُعدى • ولا لبسَ النعالَ ولا احتذاها

وأما حاتمٌ الذى ذكره الفرزدقُ فهو حاتم بن عبد الله الطائىُّ جوادُ العرب وقد كان الفرزدق صافنَ رجلا من بنى العنبر بن عمرو بن تميم اداوةً فى وقت فرامه العنبرىُّ وسامه ان يؤثره وكان الفرزدق جوادا فلم تطب نفسه عن نفسه فقال الفرزدق

فلما تصافنّا الاداوةَ أجهشت • الىّ غضونُ العنبرىِّ الجُراضِمِ

فجاء بجلمودٍ له مثلِ رأسه • ليشربَ ماءَ القوم بين الصرائم

على ساعةٍ لو أنّ فى القوم حاتمًا • على جُوده ضنّت به نفسُ حاتم

قوله أجهشت فهو التسرّع وماتراه فى فحواه من مقاربة الشئ يقال أجهش بالبكاء والغضون

فى البدن وما الريش السهام بأدفأ منه للقرور ويستقرأ به الغداء ويدفع به نقل الماء ويعالج به الأدواء ويحمر به الوجنتان ويعدل به قضاء الدين ان انفردت به الهالك وان نادمت به سوالك ثم هو أصنع للسرور من زلزل وأشد اطرابا من مخارق وقدر احتياجهما اليه كقدر استغنائه عنهما لانه أصل اللذات وهى فرعه وأول السرور ونتاجه ولله در أول من عمله وصنعه وسقيا لمن استنبطه وأظهره ماذا دبر وعلى أى شئ دل وبأى معنى أنعم وأى دفين اثار وأى كنز استخرج ومن استغناء النبيذ بنفسه وقلة احتياجه الى غيره

التكسر في الجلد والجراضم الاحمر الممتلئ وقوله ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهي جمع صريمة
وهي الرملة التي تنقطع من معظم الرمل وقوله صريمة يريد مصرومة والصرم القطع وأنشد
الاصمعي

فبات يقول أصبح ليل حتى * تجلى عن صريمته الظلام

يعني ثورا وصريمته رملته التي هو فيها وقال المفسرون في قول الله عز وجل فأصبحت كالصريم
قولين قال قوم كالليل المظلم وقال قوم كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها فهو من الاضداد
ويقال السواد الارض وبياضها أي عامرها وغامرها فهذا مما يحتج به لاصحاب القول الاخير
ويحتج لاصحاب القول الأول في السواد بقول الله عز وجل فجعله غثاء أحوى وانما سمي السواد
سوادا للعمارة وكل خضرة عند العرب سواد ويروى

على ساعة لو أن في القوم حاتما * على جوده ما جاد بالماء حاتم

جعل حاتم تبيينا للهاء في جوده وهو الذي يسميه البصريون البدل أراد على جود حاتم

(باب)

قال أبو العباس كان يقال اذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال أنعم الناس عيشا من
عاش غيره في عيشه وقيل في المثل السائر من كان في وطن فليوطن غيره وطنه ليرتع في وطن غيره
في غربته قال وانتبه معاوية من رقدة له فأنبه عمرو بن العاصي فقال له عمرو ما بقي من لذتك يا أمير
المؤمنين قال عين خرارة في أرض خوارة وعين ساهرة لعين نائمة فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال
أن أبيت معرسا بعقيلة من عقائل العرب ثم نبها وردان فقال له معاوية ما بقي من لذتك فقال
الافضال على الاخوان فقال له معاوية اسكت فأنا أحق بها منك فقال له قد أمكنك فافعل ويروى
ان عمرا لما سئل قال أن أستتم بناء مدينتي بمصر وأن وردان لما سئل قال أن ألقى كريما قادرا في
عقب احسان كان مني اليه وأن معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الرجال ويروى عن
عبد الملك أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته فقال محادثة الاخوان في الليالي القمر على الكثبان
العفر وقال سليمان بن عبد الملك قد أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره وامتطينا العذراء
فلم يبق من لذتي الا صديق أطرح بيني وبينه مؤونة التحفظ وقال رجل لرجل من قريش اي والله

ان جميع ما سواه من الشراب يصلحه الثلج ولا يطيب الا به وأول ما اثني عليه به وذكر منه انه كريم الجوهر شريف النفس رفيع القدر بعيد الهم وكذلك طبيعته المعروفة وسجيته الموصوفة وانه يسر النفوس ويحبب اليها الجود ويزين لها الاحسان ويرغبها في التوسع ويورثها الغنى وينفي عنها الفقر ويعلاها عزا ويعدها خيرا ويحسن المسارة ويصير به النبت خصيبا والجناب مريعا ومأهولا معشبا وليس شيء من المأكول والمشروب أجمع للظرفاء ولا أشد تألفا للادباء ولا أجلب للمؤنسين ولا أدعى الى خلاف الممتنعين ولا

ما أملّ الحديث قال انما يملّ العتيق وقال المهلّب بن أبى صفرة العيش كله فى الجليس الممتع وقال
معاوية الدنيا بحذافيرها الخفض والدعة وقال يزيد بن المهلب ما يسرنى انى كفيت أمر الدنيا
كله قيل له ولم أيها الامير قال أكره عادة العجز وروى عن بعض الصالحين أنه قال لو أنزل الله كتابا انه
معذّب رجلا واحدا لخفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه ولو علمت
أنه معذّبى لا محالة ما ازددت الا اجتهادا لئلا أرجع على نفسى بلائمة وروى أن عمر بن العزيز
كان يدخل اليه سالم مولى بنى مخزوم وقالوا ابن زياد وكان عمر أراد شراءه وعتقه فأعتقه مواليه
وكان عمر يسميه أخى فى الله فكان اذا دخل وعمر فى صدر مجلسه تنحّى عن الصدر فيقال له فى ذلك
فيقول اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس وهمّ السراج ليلة بأن
يخمد فوثب اليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر فجلس ثم قام عمر فأصلحه فقال له رجاء
أتقوم يا أمير المؤمنين قال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز وروى
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا ترفعونى فوق قدرى فتقولوا فىّ ما قالت النصارى
فى المسيح فان الله اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا ودخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد
العزيز فى مرضته التى مات فيها فقال الا توصى يا أمير المؤمنين قال فيم أوصى فوالله ان لى من مال
فقال هذه مائة ألف فمر فيها بما أحببت فقال أو تقبل قال نعم قال تردّ على من أخذت منه ظلما
فبكى مسلمة ثم قال يرحمك الله لقد ألنت منا قلوبا قاسية وأبقيت لنا فى الصالحين ذكرا وقيل لعلى
ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم انك من أبرّ الناس بأمك ولسنا نراك تأكل
مع أمك فى صحفة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ما قد سبقت عينها اليه فأكون قد عققتها وقيل
لعمر بن ذرّ حين نظر الى تعزيه عن ابنه كيف كان برّه بك فقال ما مشيت بنهار معه قط الا مشى
خلفى ولا بليل الا مشى أمامى ولا رقى سطحا وأنا تحته وقال أبو المخش كانت لى ابنة تجلس معى
على المائدة فتبرز كفا كأنها طلعة فى ذراع كأنها جمّارة فلا تقع عينها على أكلة نفيسة الا خصّتنى
بها فزوّجتها وصار يجلس معى على المائدة ابن لى فيبرز كفا كأنها كرنافة فى ذراع كأنها كربة فوالله
ان تسبق عينى الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال الاصمعى قيل لابى المخش أما كان لك ابن
فقال المخش وما كان المخش كان والله أشدق خرطمانيا اذا تكلم سال لعابه كانما ينظر من قلتين

أجدر أن يستدام به
حديثهم ويخرج مكنونهم
ويطول به مجلسهم منه
وان كل شراب وان كان
حلا ورق وصفا ودق
وطاب وعذب وبرد ونفح
فان استطابتك لأول
جرعة منها أكثر ويكون
من طبائعك أوقع ثم لا
يزال فى نقصان الى ان
يعود مكروها و بلية الا
النبيذ فان القدح الثانى
اسهل من الأول والثالث
أيسر والرابع الذ والخامس
أسلس والسادس
اطرب الى ان يسلسك
الى النوم الذى هو حياتك
او أحد أقواتك ولا خير
فيه اذا كان اسكاره تغلبا
وأخذه بالرأس تعسفا
حتى يميت الحس بحدته
ويصرع الشارب بسورته

وكان تمر فوقه بوان أو خالفة وكأن مشاش منكبيه كركرة جمل فقأ الله عيني هاتين ان كنت رأيت بهما أحسن منه قبله ولا بعده قوله بوان أو خالفة فهما عمودان من عمد البيت البوان في مقدمه والخالفة في مؤخره والكرنافة طرف الكربة العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتف حدثني بهذا الحديث العباس بن الفرج الرياشي عن الأصمعي وحدثني عمن حدثه قال مرّ بنا أعرابي ينشد ابناله فقلنا صفه فقال دنينير فقلنا لم نره فلم نلبث ان جاء بجعل على عنقه فقلنا لو سألت عن هذا لأرشدناك مازال منذ اليوم بين أيدينا وأنشدني منشد وأنشدني الرياشي أحد البيتين

نعم ضجيع الفتى اذا برد الـ ... ـليل سحيرا وقرقف الصرد
زينها الله في الفؤاد كما * زين في عين والد ولد

وقالت أم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تعني ابنها

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه * أم الطعام ترى في ريشه زغبا
حتى اذا آض كالفحال شذبه * أباره ونفى عن متنه الكربا
أنشأ يخرق أثوابي ويضربني * أبعد ستين عندي تبتغي الأدبا
اني لأبصر في ترجيل لمته * وخط لحيته في وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعني * رفقا فان لنا في أمنا أربا
ولو رأتني في نار مسعرة * من الجحيم لزادت فوقها حطبا

قوله أباره فهو الذي يصلحه يقال أبرت النخل وأبرته خفيفة اذا لقحته وروى أن مالك بن العجلان أو غيره من الأنصار كان يتحف أبا جبيلة الملك حيث نزل بهم بتمر من نخلة لهم شريفة فغاب يوما فقال أبو جبيلة أن مالكا كان يقوت علينا جنى هذه النخلة فجدوها فجاء مالك وقد جدت فقال من سعى على عذق الملك فجده فأعلموه أن الملك أمر بذلك فجاء حتى وقف عليه فقال

جددت جنى نخلتي ظالما * وكان الثمار لمن قد أبر

فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أطرفوه بهذا الحديث فقال صلى الله عليه وسلم الثمر لمن أبر الا أن يشترطه المشتري والفحال فحل النخل ولا يقال لشيء من الفحول فحال غيره وأنشدني المازني

يطفن بفحال كأن ضبابه * بطون الموالي يوم عيد تغدت

ويورث البهر بكظته ولا يسري في العروق لغلظته ولا يجري في البدن لركوده ولا يدخل في العمق ولا يدخل الصميم ولا والله حتى يغازل العقل ويعارضه ويدعه ويخادعه فيسره ثم يهزه فاذا امتلأ سرورا وعاد ملكا محبورا اخاله السكر وراوغه وداراه وماكره وهازله وغانجه وليس كما يغتصب السكر ويعسف الداذي ويفترس الزبيب ولكن بالتقتير والغمز والحيلة والحيل وتحبيب النوم وتزيين الصمت وهذه صفة شراب الامالا نحيط به ونعوته بتبدل الامايقبح منها الجهل به وخير الاشربة ما جمع المحمود من خصالها

وضبابه

وضبابه ظلمه وآس هادورج ع وقولها اشذبه تقول قطع عنه الكرب وا لعنا كيل وكل مشذب مقطوع ويقال للرجل الطويل النحيف مشذب يشبه بالجذع المحذوف عنه الكرب وأصل التشذيب القطع وقال الفرزدق

عضت سيوف تميم حين أغضبها ● رأس ابن عجلى فأضحى رأسه شذبا

أراد عضت سيوف تميم رأس ابن عجلى حين أغضبها وابن عجلى عبد الله بن خازم السلمي وأمه عجلى وكانت سوداء وهو أحد غربان العرب في الاسلام وسئل المهلب من أشجع الناس فقال عباد بن حصين وعمرو بن عبيد الله بن معمر والمغيرة بن المهلب فقيل له فأين ابن الزبير وابن خازم وعمير بن الحباب فقال انما سئلت عن الانس ولم أسئل عن الجن

وخصال غيرها وشرابك هذا قد أخذ من الخمر زينتها في المفاصل وغشيها في العظام ولونها الغريب وأخذ برد الماء ورقة الهواء وحركة النار وحمرة خدك اذا خجلت وصفرة لونك اذا فزعت وبياض عارضك اذا ضحكت وحسبي بصفاتك عوضا من كل حسن وخلفا من كل صالح ولا تعجب ان كانت نهاية الهمة وغاية المنية فان حسن الوجوه اذا وافق حسن القوام وشدة العقل وجودة الرأي وكثرة الفعل وسعة الخلق والمغرس الطيب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان المفسم والمخرج السهل والحديث المونق

(باب)

روى شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد قال قالت عائشة رضي الله عنها من أرضى الله باسخاط الناس كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن أرضى الناس باسخاط الله وكله الله الى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ويروى أن الحسن بن زيد لما ولي المدينة قال لابن هرمة اني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أو خوف ذمك قد أفادني الله بولادة نبيه الممادح وجنبني المقابح وان من حقه علي أن لا أغضي على تقصير في حقه وأنا أقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدين حد الخمر وحد السكر ولأزيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام ● وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها ● لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف تصبري عنها وحبي ● لها حب تمكن في عظامي
أرى طيب الحلال علي خبثا ● وطيب النفس في خبث الحرام

وقال الحسن لمطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي يا مطرف عظ أصحابك فقال مطرف اني أخاف أن أقول ما لا أفعل فقال الحسن يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول لود الشيطان أنه ظفر بهذه منكم

فلم يأمر أحدٌ بمعروف ولم ينهَ عن منكرٍ وقال مطرّف بن عبد الله لابنه يا عبد الله العلم أفضل من العمل والحسنة بين السيئتين وشرّ السير الحقحقة قوله الحسنة بين السيئتين يقول الحق بين فعل المقصّر والغالي ومن كلامهم خير الامور أوساطها وقوله وشرّ السير الحقحقة وهو ان يستفرغ المسافر جهد ظهره فيقطعه فيهلك ظهره ولا يبلغ حاجته يقال حقحق السير اذا فعل ذلك وقال الراجز • وأنبتّ فعل السائر المحقحق • (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لانه مصدر معنى) وحُدِّثت أن الحسن لقي سابق الحاج وقد أسرع فجعل يومئ اليه باصبعه فعل الغازلة وهو يقول خرقاء وجدت صوفا وهذا مثلٌ من أمثال العرب يضربونه للرجل الاحمق الذي يجد مالا كثيرا فيعيث فيه وشبيه بهذا المثل قوله عبدٌ وخلّى في يديه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغّض الى نفسك عبادة ربك فان المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى قوله متين المتين الشديد قال الله عز وجل وأملي لهم ان كيدي متين وقوله فأوغل فيه برفق يقول ادخل فيه هذا أصل الوغول ويقال مشتقا من هذا الرجل الذي يأتي شراب القوم من غير أن يدعى اليه واغل ومعناه انه وغل في القوم وليس منهم قال امرؤ القيس

حلّت لي الخمر وكنت امرأ • عن شربها في شغلٍ شاغلِ

فاليوم أسقى غير مستحقبٍ • اثما من الله ولا واغلِ

والمنبتّ مثل المحقحق واشتقاقه من الانقطاع يقال انبتّ فلانٌ من فلان اى انقطع منه وبتّ الله ما بينهم اى قطع قال محمد بن نمير

تواعد للبين الخليط لينبتّوا • وقالوا راعي الذود موعدك السبت

وفى النفس حاجات اليهم كثيرة • وموعدها فى السبت لو قد دنا الوقت

(روى الاخفش البيت الاخير وروى • ألا قرّب الحيّ الجمال لينبتّوا •) وحُدِّثت ان ابن السمّاك كان يقول اذا فعلت الحسنة فافرح بها واستقلّها فانك اذا استقللتها زدت عليها واذا فرحت بها عدت اليها وروى عن أويس القرني أنه قال ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما ودخل يزيد بن عمر بن هبيرة على امير المؤمنين المنصور فقال يا امير المؤمنين توسّع توسّعا قرشيا ولا تضق ضيقا حجازيا وروى انه دخل عليه يوما فقال له المنصور حدّثنا فقال يا امير المؤمنين ان

مع الاشارة الحسنة والنبل في الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل في المجاوزة والهز عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب يفل الحز ويصيب المفصل ويبلغ العفو ما يقصر عنه الجهد كان أكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال وان التاج بهي وهو فى رأس الملوك أبهى والياقوت الكريم حسن وهو فى جيد المرأة الحسناء احسن والشعر الفاخر حسن وهو من الاعرابي احسن فان كان من قول المنشد وقريضه ومن

سلطانكم

سلطانكم حديث وامارتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوة عدلها وجنبوهم مرارة جورها فوالله يا أمير المؤمنين لقد محضت لك النصيحة ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس فأتأره المنصور بصره ثم قال لا يعز ملك يكون فيه مثل هذا قوله محضت لك النصيحة يقول اخلصت لك واصل هذا من اللبن والمحض منه الخالص الذي لا يشوبه شئ وأنشد الاصمعي

امتحضا وسقياني ضيحا ● وقد كفيت صاحبي الميحا

(الميح طلب الشئ ههنا وههنا) ويقال حسب محض وقوله أتأره بصره يقول أتبعه بصره وحدد اليه النظر وأنشد الاصمعي (وهو للكميت بن زيد)

مازلت أرمقهم والآل يرفعهم ● حتى اسمدر بطرف العين اتآرى

ويروى عن أسماء بن خارجة أنه قال لا أشاتم رجلا ولا أرد سائلا فانما هو كريم أسد خلته أو لئيم أشترى عرضي منه ويروى عن الأحنف بن قيس أنه قال ماشاتمت رجلا مذ كنت رجلا ولا زحمت ركبتاي ركبتيه واذا لم أصل مجتدي حتى ينتح جبينه عرقا كما ينتح الحميت فوالله ما وصلته قوله مجتدي يريد الذي يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجتديه واعتفاه يعتفيه واعتراه يعتريه واعتره يعتره وعراه يعروه اذا قصده يتعرض لنائله وأصل ذلك مأخوذ من الجدى مقصور وهو المطر العام النافع يقال أصابتنا مطرة كانت جدى على الارض فهذا الاسم فاذا أردت المصدر قلت فلان كثير الجداء ممدود كما تقول كثير الغناء عنك ممدود هذا المصدر فاذا أردت الاسم الذي هو خلاف الفقر قلت الغنى بكسر أوله وقصرت قال خفاف بن ندبة يمدح أبا بكر الصديق رضي الله عنه

ليس لشئ غير تقوى جداء ● وكل شئ عمره للفناء

ان أبا بكر هو الغيث اذ لم ● تشمل الارض سحاب بماء

تالله لا يدرك أيامه ● ذو طرة حاف ولا ذو حذاء

من يسع كي يدرك أيامه ● يجتهد الشد بأرض فضاء

وهذا من طريف الشعر لانه ممدود فهو بالمد الذي فيه من عروض السريع الاولى وبيته في العروض

أزمان سلمى لا يرى مثلها الـ ● ـراؤن في شام ولا في عراق

ثم نرجع الى تأويل قول الأحنف قوله حتى ينتح جبينه عرقا فهو مثل الرشح وحدثني أبو عثمان

نحته وتحبيره فقد بلغ الغاية واقام النهاية وهذا الشراب حسن وهو عندك احسن والهدية منه شريفة وهي منك اشرف وان كنت قدرت اني انما طلبته منك لأشربه او لأسقيه اولأهبه او لأتحساه في الخلا أو اديره في الملا أولأ نافس فيه الاكفاء واختبر زيادة الخطأ اولأبتذله لعيون الندماء اوأعرضه لنوائب الأصدقاء فقد أسأت بي الظن وذهبت من الاساءة بي في كل فن وقصرت به فهو أشد عليك ووضعت منه فهو أضر بك وان ظننت أني انما اريده لا طرف به معشوقة اولاستميل به هوى ملك

المازنى فى اسناده له ذكره قال قال رؤبة بن العجاج خرجت مع أبى زيد سليمان بن عبد الملك فلما صرنا فى الطريق أهدى لنا جنب من لحم عليه كرافئ الشحم وخريطة من كمأة ووطب من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذفريای تنتحان منه الى أن رجعت وقوله الحيت فالحيت والزق اسمان له واذا زفت أوكان مربوبا فهو والوطب واذا لم يكن مربوبا ولا مزفتا فهو سقاء ونحى والوطب يكون للبن والسمن والسقاء يكون للبن والماء . قالت هند بنت عتبة لأبى سفيان بن حرب لما رجع مسلما من عند النبى صلى الله عليه وسلم الى مكة فى ليلة الفتح فصاح يا معشر قريش ألا انى قد أسلمت فاسلموا فان محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به فاخذت هند رأسه وقالت بئس طليعة القوم أنت والله ما خدشت خدشا يا أهل مكة عليكم الحيت الدسم فاقتلوه وأما قول رؤبة كرافئ الشحم يريد طبقات الشحم وأصل ذلك فى السحاب اذا ركب بعضه بعضا يقال له كرفئ والجميع كرافئ (قال أبو الحسن الاخفش واحد الكرافئ كرفئة وهاء التأنيث اذا جمعت جمع التكسير حذفت لانها زائدة بمنزلة اسم ضم الى اسم وأحسب ان أبا العباس لم يسمع الواحد من هذا فقاسه والعرب تجترئ على حذف هاء التأنيث اذا احتاجت الى ذلك وليس هذا موضع حاجة اذا كانت قد استعملت الواحدة بالهاء ونظير هذا قولهم ما فى السماء كرفئة وما فى السماء قذعملة وقذعميلة وما فى السماء طحربة وطحربة وما فى السماء قرطعبة وما فى السماء كنهورة وهى القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه)

●(باب)●

قال أبو العباس قال حسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض التيمى من تيم بن مرة بن كعب بن لؤى رهط أبى بكر الصديق رضى الله عنه

لو كنت من هاشم أو من بنى أسد ● أو عبد شمس أو اصحاب اللوا الصيد
أو من بنى نوفل أو رهط مطلب ● لله درك لم تهمم بتهديدى
أو فى الذؤابة من قوم ذوى حسب ● لم تصبح اليوم نكسا ثانى الجيد
أو من بنى زهرة الأخيار قد علموا ● أو من بنى جمح البيض المناجيد

او لأغسل به وضر الأفئدة او أودى به خطايا الأشربة او لأجلو به الأبصار العليلة او اصلح به الأبدان الفاسدة او لا تطوع به على شاعر مفلق أو خطيب مصقع او اديب مدقع ليفتق لهم المعانى وليخرج المذاهب ولما فى جانبهم من الأجر وفى اعناقهم من الشكر ولينقضوا ما قالت الشعراء فى الجدول لم تجفوا بما شاع لهم من الذكر فانى اريد ان اضع من قدرها وان أكسر من بالها فقد تاهت وتيهها او لأن اتفاءل برؤيته واتبرك بمكانه وآنس بقربه او لأشفى به الظمآن أو اجعله اكسير اصحاب الكيمياء او لأن اذ كرك كلما رأيته

أوفى السرارة من تيم رضيت بهم • أو من بنى خلف الخضر الجلاعيد

يا آل تيم ألا تنهوا سفيهكم • قبل القذاف بقول كالجلاميد

لولا الرسول فإنى لست عاصيه • حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى

وصاحب الغار إنى سوف أحفظه • وطلحة بن عبيد الله ذى الجود

لقد رميت بها شنعاء فاضحة • يظل منها صحيح القوم كالمودى

قوله لو كنت من هاشم يريد هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والنضر أبو قريش ومن كان من بنى كنانة لم يلده النضر فليس بقرشى وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وعبد شمس بن عبد مناف بن قصى وأصحاب اللواء بنو عبد الدار بن قصى واللواء ممدود إذا أردت به لواء الأمير ولكنه احتاج إليه فقصره وقد بينا جواز ذلك فأما اللوى من الرمل فمقصور قال امرؤ القيس

• بسقط اللوى بين الدخول فحومل • كذا رويه الأصمعى وهذه أصح الروايات وقوله أو من بنى نوفل فهو نوفل بن عبد مناف بن قصى والمطلب الذى ذكره هو ابن عبد مناف بن قصى وقوله لم تصبح اليوم نكسا فالنكس الدنى المقصر ويقول بعضهم إن أصل ذلك فى السهام وذلك أن السهم إذا ارتدع أو نالته آفة نكس فى الكنانة ليعرف من غيره قال الحطيئة

قد ناضلوك فأبدوا من كنانتهم • مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

قوله مجدا تليدا قالوا النواصى الفرسان الذين كان يمن عليهم وقوله ثانى الجيد قد مر تفسيره فى قول الله عز وجل ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله وقوله أو من بنى زهرة فهو زهرة بن كلاب ابن مرة ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت من خير حيين من هاشم وزهرة وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله المناجيد مفاعيل من النجدة والواحد منجاد وإنما يقال ذلك فى تكثير الفعل كما تقول رجل مطعان بالرمح ومطعام للطعام وقوله أوفى السرارة من تيم رضيت بهم يقول فى الصميم منهم والموضع المرضى وأصل ذلك فى التربة تقول العرب إذا غرست فاغرس فى سرارة الوادى ويقال فلان فى سر قومه والسرة مثل ذلك قال القرشى

هلا سألت عن الذين تبطحوا • كرم البطاح وخير سرة واد

وإذا عبتك كلما قابلته أو لأجتلب به اليسر وأنفى العسر أو لأنه والفقر لا يجتمعان فى دار ولا يقيمان فى ربع ولا تعرف به حسن اختيارك وأتذكر به جودة احتيالك أو لأن استدل به على خالص حبك وعلى معرفتك بفضلى وقيامك بواجب حقى فقد أحسنت بى الظن وذكرت من الإحسان فى كل فن بل هو الذى أصونه صيانة الأعراض وأغار عليه غيرة الأزواج واعلم أنك إن أكثرت لى منه خرجت إلى الفساد وإن أقللت اقتت على الاقتصاد وأنا رجل من بنى كنانة وللخلافة قرابة ولى فيها شفعة وهم بعد جنس وعصبة فأقل ما أصنع أن

وعن الذين أبوا فلم يستنكروا • أن ينزلوا الولجات من أجباد

يخبرك أهل العلم أن بيوتنا • منها بخير مضارب الأوتاد

وقوله أو من بنى خلف الخضر فانه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوجه وانما يحذف من الحرف لالتقاء الساكنين حروف المد واللين وهى الالف المفتوح ماقبلها والياء المكسور ماقبلها والواو المضموم ماقبلها نحو قولك هذا قفا الرجل وقاضى الرجل ويغزو القوم فاما التنوين فجاز هذا فيه لانه نون فى اللفظ والنون تدغم فى الياء والواو وتزاد كما تزاد حروف المد واللين ويبدل بعضها من بعض فتقول رأيت زيدا فتبدل الالف من التنوين وتقول فى النسب الى صنعاء وبهراء صنعانى وبهرانى فتبدل النون من ألف التأنيث وهذه جملة وتفسيرها كثير فلذلك حذف ومثل هذا من الشعر

عمرو الذى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف

(صوابه عمرو العلى) وقال آخر حميد الذى أمج داره • أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع

وقرأ بعض القراء قل هو الله أحد الله الصمد وسمعت عمارة بن عقيل يقرأ ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون فقلت ما تريد فقال سابق النهار وقوله أو اصحاب اللواء فخفف الهمزة وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن وتحذف كقولك من ابوك وقوله عز وجل الذى يخرج الخب فى السموات والارض وخلف الذى ذكره من بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وقوله الخضر الجلاعيد يقال فيه قولان أحدهما أنه يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب

وأنا الأخضر من يعرفنى • أخضر الجلدة فى بيت العرب

فهذا هو القول الاول وقال آخرون شبههم فى جودهم بالبحور وقوله الجلاعيد يريد الشداد الصلاب واحدهم جلعد وزاد الياء للحاجة وهذا جمع يجىء كثيرا وذلك أنه موضع تلزمه الكسرة فتشبع فتصير ياء يقال فى خاتم خواتيم وفى دانق دوانيق وفى طابق طوابيق قال الفرزدق

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة • نفى الدراهيم تنقاد الصياريف

وقوله قبل القذاف يريد المقاذفة وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو المقاتلة والمشاتمة

أكثرت لى منه ان اطلب الملك واقل مايصنعون بى ان انفى من الأرض فان اقللت فانك الولد الناصح وان اكثرت فانك الغاش الكاشح والسلام

(فصل من صدر كتابه فى طبقات المغنين)

ثم انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين فى الحكمة المحيطين بالامور معرفة ذكروا ان اصول الاداب التى منها يتفرع العلم لذوى الالباب اربعة فمنها النجوم وبروجها وحسابها الذى يعرف به الاوقات والازمنة وعليها مزاج الطبائع وايام السنة ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما اشبه ذلك

فباب فاعلْتُ انما هو للاثنين فصاعداً نحو قاتلْتُ وضاربْتُ وقد تكون الألف زائدة فى فاعلْتُ فتبنى للواحد كما زيدت الهمزة أوّلاً فى أفعلْتُ فتكون للواحد نحو عاقبْتُ اللصَّ وعافاه الله وطارقْتُ نعْلى وقوله وصاحبَ الغار يعنى أبا بكر رضى الله عنه لمصاحبته النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الغار وهذا مشهور لا يحتاج الى تفسير وطلحة بن عبيد الله ذو الجود نسبه الى الجود لانه كان من أجود قُرَيْشٍ وحدّثنى التَّوَّزِىُّ قال كان يقال لطلحة بن عبيد الله طلحةُ الطلحات وطلحةُ الخير وطلحةُ الجود وذكر التَّوَّزِىُّ عن الأصمعىّ أنه باع ضَيْعَةً له بخمسة عشر ألف درهم فقسمها فى الأطباق وفى بعض الحديث انه منعه أن يخرج الى المسجد أن لفقَ له بين ثوبين وحدثنى العُتْبِىُّ فى اسناد ذكره قال دعا طلحةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فأبطأ عنه الغلام بشئ أراده فقال طلحةُ يا غلام فقال الغلام لبَّيْكَ فقال طلحةُ لا لبَّيْكَ فقال أبو بكر ما يسرّنى أنى قلتها وأنّ لى الدنيا وما فيها وقال عمر ما يسرّنى أنى قلتها وأنّ لى نصفَ الدنيا وقال عثمان ما يسرّنى أنى قلتها وأنّ لى حُمْرَ النَّعَم قال وصَمَتَ عليها أبو محمد فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَةً بخمسة عشر ألف درهم فتصدق بثمنها وقوله يَظَلُّ منها صحيحُ القوم كالمودى فالمودى فى هذا الموضع الهالكُ والمودى موضع آخر يكون فيه القوىَّ الجادَّ حدّثنى بذلك التَّوَّزِىُّ فى كتاب الاضداد وأنشدنى

مُودونَ يحمونَ السَّبيلَ السابلا (المُؤْدى بالهمز التامُّ الأداة والسلاحِ وبغير الهمز الهالكُ) وقال رجل من العرب

خليلىَّ عُوجا باركَ اللهُ فيكما • على قبرِ أُهبانَ سقتْهُ الرواعدُ
فذاكَ الفتى كلُّ الفتى كان بينهُ • وبينَ المُزجّى نفنفٌ متباعدُ
اذا نازعَ القومُ الأحاديثَ لم يكنْ • عييًّا ولا عبئًا على منْ يقاعدُ

قوله على قبر أُهبانَ فهذا اسم علَم كزيد وعمرو واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ وهَمْزُ الواو لانضمامها كقوله تعالى واذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ فهو فُعِّلَتْ من الوَقْت وقد مضى تفسير همز الواو اذا انضمَّتْ وهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة وكل شئ لا ينصرف فصرفُهُ فى الشعر جائز لان أصله كان الصرفَ فلما احتيج اليه رُدَّ الى أصله فهذا قولُ البصريين وزعم قوم ان كل شئ لا ينصرف فصرفُهُ فى الشعر جائز الا أفعلَ الذى معه منكَ نحو أفضل منكَ وأكرم منكَ وزعم

ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الأبدان وعلاج الأسقام وما يتشعب من ذلك ومنها اللحون ومعرفة أجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها وأوزانها حتى يستوى على الايقاع ويدخل فى الوتر وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجمله اجتنابا للتطويل وتوخيا للاختصار وقصدنا للامر الذى اليه انتهينا واياه أردنا والله الموفق وهو المستعان ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم

الخليل وعليه أصحابه أن هـذا اذا كانت معه منك بمنزلة أحمر لانه انما كمل أن يكون نعتا بمنك وأحمر لا يحتاج اليها فهو مع منك بمنزلة أحمر وحده قال والدليل على أن منك ليست بما نعته من الصرف أنه اذا زال عن بناء أفعل انصرف نحو قولك مررت بخير منك وشر منك فلو كانت منك هي المانعة لمنعت ههنا فهذا قول بين جدا وقوله المزجى فهو الضعيف يقال زجى فلان حاجتي أي خف عليه تعجيلها والمزجاة من البضائع اليسيرة الخفيفة المحمل والنفنف وجمعه النفانف كل ما كان بين شيئين عال ومنخفض قال ذو الرمة

(ترى قرطها في واضح الليت مشرفا ... على هلك) في نفنف يتطوح

وقوله ولا عبئا على من يقاعده فالعبء الثقل يقال حمل عبئا ثقيلا ووكده بقوله ثقيلا ولو لم يقله لم يحتج اليه وقال آخر يذكر ابنه

ألا يا سمية شبي الوقودا ... لعل الليالي تؤدي يزيدا
فنفسي فداؤك من غائب ... اذا ما المسارح كانت جليدا
كفاني الذي كنت أسعى له ... فصار أبالي وصرت الوليدا

قوله شبي يقال شببت النار والحرب اذا أوقدتهما يقال شب يشب شبا قال الأعشى

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

وقوله اذا ما المسارح كانت جليدا فالمسارح الطرق التي يسرحون فيها واحدها مسرح والجليد يقع من السماء وهو ندى فيه جمود فتبيض له الأرض وهو دون الثلج يقال له الجليد والضريب والسقيط والصقيع وقالوا في قوله ... رجلا عقاب يوم دجن تضرب ... أي يصيبها الضريب وقوله وكنت الوليدا فالوليد الصغير وجمعه ولدان وهو في القرآن (قوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون) ونظير وليد وولدان ظليم وظلمان وقضيب وقضبان وباب فعال فعلان نحو عقبان وذبان وغربان وقولهم أمر لا ينادى وليده يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما انه لا يدعى له الصغار والوجه الآخر لأصحاب المعاني يقولون ليس فيه وليد فيدعى ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

سبقت صياح فراريجها ... وصوت نواقيس لم تضرب

أي ليست ثم ولكن هذا من أوقاتها وقالت أخت طرفة بن العبد

لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه وكان علمهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية الى أن نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه ومميز ما قالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذي سماه العروض وذلك انه عرض جميع ما روى من الشعر وما كان به عالما على الأصول التي رسمها والعلل التي بينها فلم يجد أحدا من العرب خرج منها ولا قصر دونها فلما أحكم وبلغ منه ما بلغ أخذ في تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيئا ورسم له رسما احتذى عليه من خلفه واستعد من عني به

عددنا له ستا وعشرين حجة • فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه • على خير حال لا وليدا ولا قحما

الوليد ما ذكرنا والقحم الرجل المتناهي سنا ويقال ذلك في البعير قحم وقحر ومقلهم ويقال البعير خاصة قحاريه بوزن قراسية وأنشد الاصمعي

رأين قحما شاب واقلهما • طال عليه الدهر فاسلهما

المسلهم الضامر وقال آخر لابنه يرثيه

ومن عجب أن بت مستشعر الثرى • وبت بما زودتني متمتعا

ولو أنني أنصفتك الود لم أبت • خلافك حتى ننطوي في الثرى معا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمدا

أبا المنازل يا عبر الفوارس من • يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أني لو خشيتهم • أو آنس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوك ولم أسلم أخي لهم • حتى نعيش جميعا أو نموت معا

قوله يا عبر الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم كما يقال ناقة عبر الهواجر وعبر السرى وقوله أو آنس القلب من خوف لهم فزعا يقول أحس وأصل الايناس في العين يقال آنست شخصا أي أبصرته من بعد وفي كتاب الله عز وجل آنس من جانب الطور نارا وقال متمم بن نويرة (يرثي أخاه)

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته • لميت ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم ان الاسى يبعث البكى • ذروني فهذا كله قبر مالك

الاسى الحزن وقدم تفسيره وقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رحمه الله

أبي العباس قرم بني قصي • وأخوالي الملوك بنو وليعه

هم منعوا ذماري يوم جاءت • كتائب مسرف وبنو اللكيعه

أرادني التي لا عز فيها • فحالت دونه أيد منيعه

قوله بنو وليعة فهم أخواله من كندة وأمه زرعة بنت مشرح الكندية ثم أحد بني وليعة وقوله كتائب مسرف يعني مسلم بن عقبة المري صاحب الحرة وأهل الحجاز يسمونه مسرفا وكان

وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي أول من حذا حذوه وامتثل هديه واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد قبله منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه ومنها حذقه بالضرب والايقاع وعلمه بوزنها وألف في ذلك كتبا عجيبة وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره فصنع الغناء بعلم فاضل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل مستحكم له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم نر أحدا وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له وصنع كثير من أهل زمانه أغاني كثيرة بهاجس

أراد أهل المدينة جميعًا على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أن كل واحد منهم عبدٌ قِنٌّ له الا على بن الحسين فقال حُصَين بن نُمير السكونى من كندة ولا يبايع ابن أختنا على بن عبد الله الأعلى ما بُويع عليه على بن الحسين على أنه ابن عم أمير المؤمنين والا فالحرب بيننا فأُعفى على بن عبد الله وقُبِل منه ما أراد فقال هذا الشعر لذلك وقوله بنو اللكيعة فهى اللئيمة ويقال فى النداء للئيم يا لُكَع وللأنثى يا لَكاعِ لانه موضع معرفة كما يقال يا فُسَقُ ويا خُبَثُ فان لم ترد أن تعدله عن جهته قلت للرجل يا ألكع وللأنثى يا لكعاء وهذا موضع لا تقع فيه النكرة وقد جاء فى الحديث والاصل ما ذكرت لك لا تقوم الساعة حتى يلى أمور الناس لُكَع بن لُكَع فهذا كناية عن اللئيم بن اللئيم وهذا بمنزلة عمر ينصرف فى النكرة ولا ينصرف فى المعرفة ولَكاعِ يُبْنَى على الكسر وسنشرح باب فَعالِ للمؤنث على وجوهه الخمسة عند أول ما يجرى من ذكره ان شاء الله وقد اضطر الحطيئة فذكر لَكاعِ فى غير النداء فقال يهجو امرأته

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثم آوى ✽ الى بيتٍ قَعِيدتُه لَكاعِ

قَعيدةُ البيت رَبّةُ البيت وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها ويقال الفرس قُعْدةٌ من هذا وهو الذى يرتبطه صاحبه فلا يفارقه قال الجعفى

لكن قعيدةُ بيتنا مجفوّةٌ ✽ بادٍ جَناجِنُ صدرها ولها غِنَا

الجناجنُ ما يظهر عند الهُزال من أطراف ضلوع الصدر واحدها جِنْجِنٌ وقال هشام أخو ذى الرُّمَّة

تعزّيتُ عن أوفى بغَيلانَ بعده ✽ عَزاءً وجَفْنُ العين بالماء مُترَعُ

ولم تُنسِنى أوفى المصيباتُ بعده ✽ ولكنّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجعُ

غَيلانُ هو ذو الرُّمَّة وكان هشام من عُقَلاء الرجال حدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره يعزوه الى رجل أراد سفرًا فقال قال لى هشام بن عُقْبة انّ لكل رُفْقة كلبًا يشركهم فى فضلة الزاد ويُهِرُّونه فان قدرت ألا تكون كلبَ الرفقة فافعل واياك وتأخير الصلاة عن وقتها فانك مُصَلّيها لا محالة فصلّها وهى تُقْبَل منك وقال حسان بن ثابت الانصارى

تقول شَعْثاءُ لو صَحَوْتَ عن الـ ✽ ـكَأسِ لأصبحتَ مُثْرِىَ العَدَدِ

(هى امرأته وهو اسمها)

طبعهم والاتباع لمن سبقهم فبعض أصاب وجه صوابه وبعض أخطأ وبعض قصر فى بعض وأحسن فى بعض ووجدنا الكل دهر دولة للمغنين يحماون الغناء عنهم ويطارحون به فتيان زمانهم وجوارى عصرهم وكان يوجد فى كل وقت من الأوقات قوم يتنادمون ويستحسنون الغناء ويميزون رديئه من جيده وصوابه من خطئه ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة فى آدابهم وأخلاقهم وروايتهم وهيآتهم فلم نجد هذه الطبقة ذكروا ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا وخصصنا فى أيامنا وزماننا بفتية أشراف وخلان نظاف انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب

أهوى حديث الندمان في فلق الصبح وصوت المسامر الغرد

لا أخدش الخدش بالجليس ولا • يخشى نديمي اذا انتشيت يدي

يأبى لي السيف واللسان وقو • م لم يضاموا كلبدة الاسد

لبدة الاسد ما يتطارق من شعره بين كتفيه ويقال أسد ذو لبدة وذو لبد وحدثني عمارة قال مرض جرير مرضة شديدة فعاده قيس فقال

نفسي الفداء لقوم زينوا حسبي • وان مرضت فهم أهلي وعوادي

لو خفت ليثاً أبا شبلين ذا لبد • ما أسلموني لليث الغابة العادي

ان تجر طير بأمر فيه عافية • أو بارتحال فقد أحسنتم زادي

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وهو يهاجي عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

فأما قولك الخلفاء منا • فهم منعوا وريدك من وداج

ولولاهم لكنت كحوت بحر • هوى في مظلم الغمرات داجي

وكنت أذل من وتد بقاع • يشجج رأسه بالفهر واجي

فكتب معاوية الى مروان أن يؤدبهما وكانا قد تقاذفا فضرب عبد الرحمن بن حسان ثمانين وضرب أخاه عشرين فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنك في مروان ما تريد فأشد بذكره وارفعه الى معاوية فقال اذا والله لا أفعل وقد حدني كما تحد الرجال الاحرار وجعل أخاه كنصف عبد فأوجعه بهذا القول وروى أن عبد الرحمن بن حسان لسعه زنبور فجاء أباه يبكي فقال له مالك فقال لسعني طائر كأنه ملتف في بردي حبرة قال قلت والله الشعر وروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة فقال

الله يعلم أني كنت منتبذاً • في دار حسان أصطاد اليعاسيبا

وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فانهم يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام وبعد هؤلاء في الوقت آل أبي حفصة فانهم أهل بيت كلهم شاعر يتوارثونه كابراً عن كابر وروى أن ابنة لابن الرقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون عنه

المروءة ما كان محجوبا عن غيرهم معدوما من سواهم فحملني الكلف بهم والمودة لهم والسرور بتخليد فخرهم وتشييد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الأود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته والفضل في معرفته وعلى تمييز طبقة طبقة منهم وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا اليها أنفسهم واحتملهم اخوانهم عليها وخلطنا جدا بهزل ومزجنا تعريفا بتعريض ولم نرد باحد ممن سميناسوأ ولا تعمدنا نقدا ولا تجاوزنا حدا ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وحابينا

فقالت ما تريدون اليه فقالوا جئنا لنهاجيه فقالت وهى صبية

تجمعتم من كل أوب ووجهة • على واحد لازلتم قرن واحد

فهذه بلغت بطبعها على صغرها مبلغ الاعشى فى قلب هذا المعنى حيث يقول لهوذة بن على

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة • ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

(باب)

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ورووهم ما يجمل من الشعر وفى حديث آخر وخير الخلق للمرأة المغزل ويروى عن الشعبى أنه قال قال عبد الله بن العباس قال لى أبى يا بنى انى أرى أمير المؤمنين قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والانصار فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تغتبن عنده مسلما ولا تفشين له سرا قال فقلت له يا أبه كل واحدة منها خير من ألف فقال كل واحدة منها خير من عشرة آلاف وحدثنى العباس بن الفرج فى اسناد ذكره قال نظر الى عمرو بن العاصى على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم ناخرة بمصر فقال لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديقى ما حفظ سرى ان الملل من كواذب الأخلاق قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل يقال للواحد ناخر وقيل ناخرة يراد جماعة كما تقول رجل بغال وحمار والجماعة البغالة والحمارة وكذلك تقول أتتنى عصبة نبيلة وقبيلة شريفة والواحد نبيل وشريف وشاور معاوية عمرا فى أمر عبد الله بن هاشم بن عتبة بن مالك بن أبى وقاص وكان هاشم بن عتبة أحد فرسان على رضى الله عنه (وهو المرقال) فأتى بابنه معاوية فشاور عمرا فيه فقال أرى أن تقتله فقال له معاوية انى لم أر فى العفو الا خيرا فمضى عمرو مغضبا وكتب اليه

أمرتك أمرا حازما فعصيتنى • وكان من التوفيق قتل ابن هاشم

أليس أبوه يا معاوية الذى • أعان علينا يوم حز الغلاصم

فقتلنا حتى جرى من دمائنا • بصفين أمثال البحور الخضارم

وهذا ابنه والمرء يشبه عيصه • ويوشك أن تلقى به جد نادم

آخر بن ولم نفعل ذلك تحببا الحيف بل قصدا للانصاف وقد نعلم ان كثيرا منهم سيبالغ فى الذم ويحتمل فى الشتم ويذهب فى ذلك غير مذهبنا وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الفتيان وتفكيههم والله حسيب من ظلم عليه نتوكل وبه نستعين وهو رب العرش العظيم ولم نقصد فى وصف من وصفنا من الطبقات التى صنفنا منهم الا من أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام اذ من خرج عنها ونزع الى الفتوة بعد التوبة والى أخلاق الحداثة بعد الحنكة وذلك فى سنة خمس عشرة ومائتين فرحم الله امرأ حسن فى

فبعث معاوية بابياته الى عبد الله بن هاشم فكتب اليه عبد الله بن هاشم

مُعاوِيَ انَّ المَرءَ عَمرًا أبَتْ له • ضَغِينةُ خَبٍّ غِشُّها غيرُ نائمِ

يَرَى لكَ قتلي يا ابن هندٍ وانما • يَرَى ما يَرَى عَمرٌو ملوكُ الأعاجمِ

على أنَّهم لا يقتلون أسيرَهُم • اذا كان منه بَيعةٌ للسالمِ

فان تَعفُ عنّي تَعفُ عن ذي قرابةٍ • وان تَرَ قتلي تَستحِلَّ محارمي

فصفح عنه وقال عمرو لعائشة رحمها الله لوددتُ أنكِ كنتِ قُتلتِ يوم الجمل فقالت ولِمَ لا أبا لك فقال كُنتِ تموتين بأجلك وتَدخلين الجنةَ ونجعلكِ أكبر التشنيع على عليّ وحدثني العباس بن الفرج الرياشيّ في اسناد ذكره آخره ابن عباس قال دخلتُ على عمرو بن العاصي وقد احتُضر فدخل عليه عبد الله بن عمرو فقال له يا عبد الله خُذ ذلك الصُندوقَ فقال لا حاجة لي فيه قال انه مملوء مالا قال لا حاجة لي به فقال عمرو ليته مملوء بعرًا قال فقلت يا أبا عبد الله انك كنتَ تقول أشتهي أن أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف يجد فكيف تجدك قال أجد السماء كأنها مُطبقةٌ على الارض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفَّس من خَرْتِ ابرةٍ ثم قال اللهم خُذ مني حتى ترضى ثم رفع يديه فقال اللهم أمرتَ فعصينا ونهيتَ فركبنا فلا بريءٌ فأعتذر ولا قويٌّ فأنتصر ولكن لا اله الا الله ثلاثا ثم فاظ وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشيّ بأتم من هذا ولكن اقتصرنا على هذا الثقة اسناده قوله من خَرْت ابرة يعني من ثَقب ابرة يقال الدليل خِرِّيتٌ وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يهتدي لمثل خَرْت الابرة وقوله فاظ أي مات يقال فاظ وفاد وفطس وفاز وفوّز كل ذلك في معنى الموت ولا يقال فاض بالضاد الا للاناء قال رؤبة • لا يَدفنون منهمُ مَن فاظا • وقال ابن جُريج • أما رأيتَ الميّتَ حين فوظه • ومن قال ذلك النفس قال فاضت نَفسُه شبَّهها بالاناء وحدثني أبو عثمان المازنيّ أحسبُه عن أبي زيد قال كلّ العرب يقولون فاضت نفسه الا بني ضَبَّةَ فانهم يقولون فاظت نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات وفي الحديث ان امرأة سلّام بن أبي الحُقَيق قالت فاظ واله يهود وحدثني مسعود بن بشر قال قال زياد الامرةُ تُذهِب الحَفيظةَ وقد كانت من قوم الي هَنَاتٌ جعلتُها تحت قدمي ودبر أذني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السُّلّ من بُغضي ما هتكتُ له سترًا ولا كشفتُ له قناعًا حتى يُبدي لي عن صفحته فاذا فعل لم أناظره وسمع زيادٌ رجلا

ذلك أمرنا وحذا فيه حذونا ولم يجعل الى ذمنا ودعا بالمغفرة والرحمة لنا وقد تركنا في كل باب من الأبواب التي صنفناها في كتابنا فرجا لزيادة ان زادت أو لاحقة ان لحقت أو نابتة ان نبتت ومن عسى أن ينتقل به الحذق من مرتبته الى ما هو أعلى منه أو يعجز به القصور عما هو عليه منها الى ما هو دونها الى مكانه الذي اليه نقله ارتفاع درجة أو انحطاطها ومن اعلمنا نصير الى ذكره ممن عزب عنا ذكره وأنسينا اسمه ولم يحط علمنا به فنصيره في موضعه ونلحقه بأصحابه وليس لأحد أن يثبت شيأ من هذه الأصناف الا بعلتها ولا يستبد بأمر

بسبب الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لضربت عنقه ان الزمان هو السلطان وفي عهد أزدشير وقد قال الأولون منا عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه اذا وليتم فلينوا للمحسن واشتدوا على المريب فان الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن قوله يزع أي يكف يقال وزع يزع اذا كف وكان أصله يوزع مثل يعد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتبعت حروف المضارعة الياء لئلا يختلف الباب وهي الهمزة والنون والتاء والياء نحو أعد ونعد وتعد ويعد ولكن انفتحت في يزع من أجل العين لان حروف الحلق اذا كن في موضع عين الفعل أو لامه فتحن في الفعل الذي ماضيه فعل وان وقعت الواو مما هي فيه فاء في يفعل المفتوحة العين في الأصل صح الفعل نحو وحل يوحل ووجل يوجل ويجوز في هذه المفتوحة ياحل وياجل وييحل وييجل وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزعته كففته وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهيأته وهو من الله عز وجل توفيق ويقال أوزعك الله شكره أي وفقك الله لذلك وقال الحسن مرة ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشرط فلما ولي القضاء كثر عليه الناس فقال لا بد للناس من وزعة وخطب الحجاج بن يوسف ذات يوم يوم جمعة فلما توسط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحية السوق فقطع خطبته التي كان فيها ثم قال يا أهل العراق ويا أهل الشقاق ويا أهل النفاق ومساوي الأخلاق يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء اني لأسمع تكبيرا ما يراد الله به انما يراد به الشيطان وان مثلي ومثلكم قول ابن براقة الهمداني

وكنت اذا قوم رموني رميتهم ❊ فهل أنا في ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكي وصارما ❊ وأنفا حميا تجتنبك المظالم

ثم نزل فصلى بهم قوله يا أهل الشقاق فالمشاقة المعاداة وأصله أن يركب ما يشق عليه ويركب منه مثل ذلك والنفاق أن يسر خلاف ما يبدي هذا أصله وانما أخذ من النافقاء وهو أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك انه أخفاها وانما يظهر من غيره ولجحره أربعة أبواب النافقاء والراهطاء والدامّاء والسابياء وكلها ممدودة ويقال للسابياء القاصعاء وانما قيل له السابياء لانه لا ينفذه فيبقى بينه وبين انفاذه هنة من الارض رقيقة وأخذ من سابياء الولد وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها

فيه دوننا ويورد ذلك علينا فيمتحنه ويعرفه بما عنده ويصير الى ترتيبه في المرتبة التي يستحقها والطبقة التي يحتملها فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العابثين من الجهال برب العالمين فلم نأمن أن يسرعوا بسفه رأيهم وخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وازالته عن أماكنه التي عليها رسمنا وان يقول كل امرئ منهم في ذلك على حاله ولقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل في ذلك الى بعض والذم لطبقة والحمد لأخرى فيهجنوا كتابنا

الولد من بطن أمه قال الأخطل يضرب ذلك مثلا ليربوع بن حنظلة لأنه سمى باليربوع

تسدّ القاصعاء عليك حتى • تنفّق أو تموت بها هزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضبّ الا وفي بجحره عقربٌ فهو لا يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه فهي مسالمة له وهو مسالم لها وأنشد

وأخدع من ضبّ اذا خاف حارشا • أعدّ له عند الذنابة عقربا

(كلها بالمد ويقال بالقصر ويقال أيضا فيها على وزن فعلة نفقة ورهطة ودممة وقصعة وحكى ابن القوطيـة في المقصور والممدود له الرهطاء كالراهطاء والنفقاء كالنافقاء والقصعاء كالقاصـعاء وحكى أيضا زيادة فقال العانقاء جحر الأرنب واليربوع والغابياء أيضا من جحرة اليربوع وأما قول أبي العباس في السابياء فهو مما قد ردّ عليه فيـه وقد تبعه ابن ولّاد وكلاهما غير مصيب وانما السابياء وعاء فيه ماء صاف يخرج مع الولد وهو الغِرْس وليس يخرج الولد فيه وقال الكميت

وقفّأ فيها الغيث من سابيائه • دوالح وافقن النجوم البواجسا

فشبّه ماء الغيث بماء السابياء وانما الجلدة التي يكون فيها الولد الغرس وقد تبع ابن القوطية أبا العباس في السابياء في أنه من أسماء جحرة اليربوع وذلك غلط) وقوله بنو الكبيعة يريد التيمة وقد مرّ تفسير هذا في موضعه قال ابن قيس الرقيات يذكر قتل مصعب بن الزبير

ان الرزيّة يوم مسكن والمصيبة والفجيعه • بابن الحواريّ الذي • لم يعده أهل الوقيعه

غدرت به مضر العراق وأمكنت منه ربيعه • فأصبت وترك يا ربيع وكنت سامعة مطيعه

يالهف لو كانت له • بالطف يوم الطف شيعه • أولم يخونوا عهده • أهل العراق بنو الكبيعه

لوجدتموه حين يغضب ضب لا يعرج بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مفرّغ الحميري

العبد يقرع بالعصا • والحرّ تكفيه الملامه

وقال جرير يهجو التيم • ألا انما تيم لعمرو ومالك • عبيد العصا لم يرج عتقا قطينها

وخطب الناس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالمربد عند ظهور أمر الحجاج عليه فقال أيها الناس انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب به يمينا وشمالا فلا تلبث أن تموت

وبلغوا بنا ما ليس من شأننا وأحببنا أن نأخذ في ذلك بالحزم وأن نحتاط فيه لأنفسنا ومن ضمه كتابنا ونبادر الى تفريق نسخة منها وتصييرها في أيدي الثقات والمستبصرين الذين كانوا في هذا الشأن ثم ختموا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبي صالح وكأحمد بن سلام وصالح مولى رشيده نفعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم ونسخة باقية في أيديهم ووثقنا بهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا انهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما عليه ائتمنوا اذا شيب بشوب يخالفه وأضيف

فسمعه رجل من بنى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال قبح الله هذا يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويعدهم الغرور وروت الرواة أن الحجاج لما أخذ رأس ابن الاشعث وجّه به الى عبد الملك بن مروان مع عرار بن عمرو بن شأس الاسدى وكان أسود دميما فلما ورد به عليه جعل عبد الملك لا يسأل عن شئ من أمر الوقيعة الا أنبأه به عرار فى أصح لفظ وأشبع قول وأجز اختصار فشفاه من الخبر وملأ أذنه صوابا وعبد الملك لا يعرفه وقد اقتحمته عينه حيث رآه فقال عبد الملك متمثلا

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * لعمرى عرارا بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار أتعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال فانا والله عرار فزاده فى سروره وأضعف له الجائزة وكتب صاحب اليمن الى عبد الملك بن مروان فى وقت محاربته ابن الاشعث انى قد وجهت الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم ير مثلها قط فلما دخل بها عليه رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا فالقى اليها قضيبا كان فى يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسما بهره فلما هم بها أعلمه الآذن أن رسول الحجاج بالباب فأذن له ونحى الجارية فاعطاه كتابا من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها

سائل مجاور جرم هل جنيت لها * حربا تزيل بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب * جم الصواهل بين الجم والفرط
وهل تركت نساء الحى ضاحية * فى ساحة الدار يستوقدن بالغبط

وتحتها (بيت آخر على غير الروى من الابيات الأول وهو)

قتل الملوك وسار تحت لوائه * شجر العرى وعراعر الاقوام

قال فكتب اليه عبد الملك كتابا وجعل فى طيه جواب ابن الاشعث

ما بال من أسعى لأجبر عظمه * حفاظا وينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوب الدهر بينى وبينهم * ستحملهم منى على مركب وعر
وانى واياهم كمن نبه القطا * ولو لم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناة وحلما وانتظارا بهم غدا * فما أنا بالوانى ولا الضرع الغمر

وينشد

اليه مالا يلائمه وجعلنا هذه النسخة المنصوبة والأصول المخلدة عند ذوى الأمانة والثقة واقتصرنا عليها واستعلينا بها على المبطلين ورفعنا بها ادغال المدغلين وتحريف المحرفين وتزيد المتزيدين ان شاء الله ولا قوة الا بالله العظيم

(فصل من صدر كتابه فى النساء)

انا لما ذكرنا فى كتابنا هذا الحب الذى هو أصل الهوى والهوى الذى يتفرع منه العشق والعشق الذى يهيم له الانسان على وجهه أو يموت كمدا على فراشه وأول ذلك ادخال الضيم على مروءته واستشعار الذلة لمن أطاف بعشيقته

ونُنشدُ بالفانى ثم بات يُقلّبُ كفَّ الجاريةِ ويقول ما أفدتُ فائدةً أحبَّ الىَّ منكِ فتقول فما بالكَ يا أمير المؤمنين وما يمنعك فقال يمنعنى ما قاله الأخطلُ لانى ان خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العربِ

قومٌ اذا حاربوا شدُّوا مآزرَهم ‌• دونَ النساءِ ولو باتتْ بأطهارِ

فما اليكِ سبيلٌ أو يحكمَ اللهُ بينى وبين عدوّ الرحمن بن الأشعثِ فلم يقربها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن قوله فرأى منها جسماً بَهَرَه يقال بَهَرَ الليلُ اذا سدَّ الأُفقَ بظلمته وبَهَرَ القمرُ اذا ملأ الارض ببهائه ومن ثمَّ قيل القمر الباهر أنشدنى المازنىُّ لرجل من بنى الحارث بن كعب

والقمرِ الباهرِ السماءَ لقد ‌• زُرْناهُ لا بجحفلٍ لجبِ

تَسمعُ زَجْرَ الكماةِ بينهمُ ‌• قَدِمْ وأخِّرْ وأرحِبِي وهَبِي

• من كلِّ هدّاءةٍ كعاليةِ الـرمحِ أمونٍ وشيظمٍ سَلِبِ

وقال طُفيلٌ الغنوىُّ يصفُ كيف تُزْجَرُ الخيلُ فجمعه فى بيت واحد

وقيلَ اقدِمى واقدمْ وأخِّ وأخِّرى ‌• وهاوهلا واضْبِرْ وقادعُها هَبِى

(قال أبو الحسن وأجِّ) ومن زَجْرِ الخيل أيضا هقب وهقط وأنشدنى أبو عثمان المازنى

لمّا سمعتُ زَجْرَهم هقطْ ‌• علمتُ أن فارساً مُنحطْ

(قال الفراء هقط بالكسر والفتح وروى مُختَبَطْ بدل مُنحطّ) وقوله بين الجَمِّ والقُرْطِ هما موضعان باعيانهما وقوله فى ساحة الدار يستوقدن بالغُبَطِ يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهنَّ قد يَئسْنَ من الرحيل فجعلن مراكبهنَّ حطبا هذا قول الأصمعى وقال غيره بل قد منعهنَّ الخوفُ من الاحتطاب والغبيطُ من مراكب النساء وكذلك الحِدْجُ قال امرؤُ القيس

تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً ‌• عقرتَ بعيرى يا امرأ القيس فانزِلِ

فأعلَمَكَ أن الغبيطَ لها والمحاملُ انما أوّلُ من اتخذها الحجّاجُ وفى ذلك يقول الراجز

أوّلُ عبدٍ عَمِلَ المحاملا ‌• أخزاهُ ربّى عاجلاً وآجلا

وقوله شهر العراء العراءُ بعينه ان ضُمَّ العينُ والعراءُ ممدودٌ وجهُ الأرض قال الله عزّ وجلّ لنُبِذَ بالعراء وهو مذموم وقال الهذلىّ

رفعتُ رِجْلاً ما أخاف عِثارَها ‌• ونبذتُ بالبلدِ العراءِ ثيابى

ولم نطنب مع ذلك فى ذكر ما يتشعب من أصل الحب من الرحمة والرقة وحب الأموال النفيسة والمراتب الرفيعة وحب الرعية الأئمة وحب المصطنع لصاحب الصنيعة مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته فى العواقب احتجنا الى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصبابة والمخالفة على قوة العزيمة لنجعل ذلك القدر جُنّة دون من حاول الطعن على هذا الكتاب وسخف الرأى الذى دعا الى تأليفه والاشادة بذكره اذ كانت الدنيا لا تنفك من حاسد باغ ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ومن منافس

وهـذا التفسير والانشاد عن أبي عبيدة وقوله دون النساء ولو باتت باطهار معناه انه يجتنبها في طُهرها وهو الوقت الذي يستقيم له غشيانها فيه وأهل الحجاز يرون الاقراء الطُهر وأهلُ العراق يرونها الحيض وأهلُ المدينة يجعلون عددَ النساء الاطهار ويحتجون بقول الاعشى

وفي كلِّ عام أنتَ جاشم غزوة ٭ تَشُدُّ لاقصاها عزيم عزائكا

مُورِثة مالا وفي الحيِّ رفعـة ٭ لما ضاع فيها من قُروء نسائكا

وقوله ولو باتت باطهار فلو أصلها في الكلام أن تدلَّ على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول لو جئتني لأعطيتك ولو كان زيد هناك لضربته ثم تتسع فتصير في معنى ان الواقعة للجزاء تقول أنت لا تكرمني ولو أكرمتك تريد وان أكرمتك قال الله عز وجل وما أنت بمؤمن لنا ولو كُنّا صادقين فأما قوله عز وجل فلن يُقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به فان تأويله عند أهل اللغة لا يُقبل به أن يتبرأ وهو مقيم على الكفر ولا يُقبل ان افتدى به فلو في معنى ان وانما منع لو أن تكون من حروف الجازاة فتجزم كما تجزم إن أن حروف الجازاة انما تقع لما لم يقع ويصير الماضي معها في معنى المستقبل تقول ان جئتني أعطيتك وان قعدت عني زرتك فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لما أحدثته فيه ان وكذا متى أتيتني أتيتك ولو تقع في معنى الماضي تقول لو جئتني أمس لصادفتني ولو ركبت الي أمس لالفيتني فلذلك خرجت من حروف الجزاء فاذا أدخلت معها لا صار معناها أن الفعل يمتنع لوجود غيره فهذا خلاف ذلك المعنى ولا تقع الا على الاسماء ويقع الخبر محذوفا لانه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستغني عن ذكره لذلك تقول لولا عبد الله لضربتك والمعنى في هذا المكان من قرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك فهذا معناها في هذا الموضع ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى وهي لولا التي تقع في معنى هلّا التي للتحضيض ومن ذلك قوله لولا اذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا أي هلّا وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم فهذه لا يليها الا الفعل لانها للامر والتحضيض مُظهرا أو مُضمرا كما قال (نسب لجرير وقيل للاشهب بن رُميلة)

تعدُّون عقرَ النيب أفضل مجدكم ٭ بني ضوطرى لولا الكميَّ المقنعا

أي هلا تعدُّون الكميَّ المقنعا ولولا الأولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرتُ لك ولا بدَّ في جوابها من

مقصر كما أنها لا تنفك من ذي سلامة متسلم ومن عالم متعلم ومن عظيم الخطر حسن المحضر شديد المحاماة على حقوق الادباء قليل التسرع الى اعراض العلماء وانما العشق اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقا وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار كما ان السرف اسم لما زاد على المقدار الذي يسمى جودا والبخل اسم لما ينقص عن المقدار الذي يسمى اقتصادا والجبن اسم لما قصر عن المقدار الذي يسمى شجاعة وهذا القول ظاهر على ألسنة الادباء مستعمل في بيان الحكماء وقد قال عروة بن الزبير والله اني لأعشق

اللام أو معنى اللام تقول لولا زيدٌ فعلتُ والمعنى لفعلتُ وزعم سيبويه أن زيدًا من حديث لولا واللام والفعل حديثٌ معلّق بحديث لولا وتأويله أنه الشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولوْ بغير لا لا يليها الا الفعل مضمرًا أو مظهرًا لأنها تشارك حروف الجزاء في ابتداء الفعل وجوابه تقول لو جئتني لأعطيتك فهذا ظهور الفعل واضماره قوله عز وجل قُلْ لَوْ أنتم تملكون خزائن رحمة ربي والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم فهذا الذي رفع أنتم ولما أُضمر ظهر بعده ما يفسّره ومثل ذلك لو ذاتُ سوارٍ لطمتني أراد لو لطمتني ذاتُ سوارٍ ومثله (قول المتلمّس)

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي * جعلتُ لهم فوق العرانين ميسما

وكذلك قول جرير

لو غيرُكم علِق الزبيرَ بحبله * أدّى الجوارَ الى بني العوّام

فنصب بفعل مضمر يفسّره ما بعده لأنه للفعل وهو في التمثيل لو علق الزبيرَ غيرُكم وكذلك كل شيء للفعل نحو الاستفهام والأمر والنهي وحروف الفعل نحو اذ وسوف (كذا وقع هنا اذ وسوف ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح) وهذا مشروح في الكتاب المقتضب على حقيقة الشرح وأما قوله وعُراعِرُ الأقوام فمعناه رؤوس الأقوام الواحد عُرعُرة وعُرعُرة كل شيء أعلاه ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلّب الى الحجاج بن يوسف وان العدوّ نزل بعُرعُرة الجبل ونزلنا بالحضيض فقال الحجاج ليس هذا من كلام يزيد فمن هناك قيل يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد أن يُشخصه اليه وزعم التوّزيّ قال قال الحجاج ليحيى بن يعمر يوما أتسمعني ألحن قال الامير أفصح من ذلك قال فأعاد عليه القول وأقسم عليه فقال يحيى نعم تجعل أنّ مكان انّ فقال له ارحل عني ولا تجاورني قال أبو العباس هذا على أن يزيد لم تؤخذ عليه زلّة في لفظ الا واحدة فانه قال على المنبر وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب فقال هذه الضَّبُعة العرجاء فاعتُدّت عليه لحنًا لأن الانثى انما يقال لها الضَّبُع ويقال للذكر الضِّبعان فاذا جُمع قيل ضِبْعان وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لأن التأنيث لا زيادة فيه وفي التذكير زيادة الالف والنون فثُنّي على الأصل وأصل التأنيث أن يكون زائدًا على بناء التذكير لأنه منه يخرج مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة فمن حيث قلت الذكر والانثى في التثنية كريمان على حذف الزيادة قلت ضَبُعان وتقول له ابنان اذا أردت له ابنٌ وابنةٌ ولا تقول في الدار رجلان اذا أردت رجلاً وامرأة

الشرف كما تعشق المرأة الحسناء وذكر بعض الناس رجلا كان مدقعا محروما ومنحوس الحظ ممنوعا فقال ما رأيت أحدا عشق الرزق عشقه ولا أبغضه الرزق بغضه فذكر الأول عشق الشرف وليس الشرف بامرأة وذكر الآخر عشق الرزق والرزق اسم جامع لجميع الحاجات وقد يستعمل الناس الكتابة وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون ان يظهروا المعنى بألين اللفظ اما تنزها واما تفضلا كما سموا المعزول عن ولايته مصروفا والمهزوم عن عدوه منحازا ثم حتى سمى بعضهم البخيل مقتصدا ومصلحا وسمى عامل

الا على قول من قال للانثى رجلة فقد جاء ذلك وقال الشاعر

كل جارٍ ظلّ مغتبطا • غير جيراني بني جبله
خرّقوا جيب فتاتهم • لم يبالوا حرمة الرجله

ولا يقال الناقة والجمل جملان ولا يقال البقرة والثور ثوران لاختلاف الاسمين انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا فى قول من قال للانثى ثورة قال الشاعر

جزى الله فيها الاعورين ملامة • وعبدة ثفر الثورة المتضاجم

(قال أبو الحسن المتضاجم المتسع)

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال الراعى

ومرسل ورسول غير متهم • وحاجة غير مزجاة من الحاج
طاوعته بعد ما طال النجى بنا • وظن أنى عليه غير منعاج
ما زال يفتح أبوابا ويغلقها • دونى وأفتح بابا بعد ارتاج
حتى أضاء سراج دونه بقر • حمر الانامل عين طرفها ساجى
يا نعمها ليلة حتى تخونها • داع دعا فى فروع الصبح شحاج
لما دعا الدعوة الاولى فاسمعنى • أخذت بردى واستمررت أدراجى

قوله وحاجة غير مزجاة من الحاج المزجاة اليسيرة الخفيفة المحمل قال الله عز وجل وجئنا ببضاعة مزجاة والحاج جمع حاجة وتقديره فعلة وفعل كما تقول هامة وهام وساعة وساع قال القطامى

وكنا كالحريق أصاب غابا • فيخبو ساعة ويشب ساعا

فاذا أردت أدنى العدد قلت ساعات فاما قولهم فى جمع حاجة حوائج فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولدين ولا قياس له ويقال فى قلبى منك حوجاء أى حاجة ولو جمع على هذا لكان الجمع حواج يافتى وأصله حواجى يافتى ولكن مثل هذا يخفف كما تقول فى صحراء صحار يافتى وأصله صحارى وقوله طاوعته بعد ما طال النجى بنا يريد المناجاة فأخرجه على فعيل ونظيره من المصادر الصهيل والنهيق والشحيج ويقال شب الفرس شبيبا ولذلك كان النجى يقع على

الخراج المتعدى بحق السلطان مستعصيا ولما رأينا الحب من أكبر أسباب جماع الخير ورأينا البغض من أكبر أسباب الشر اجتنبنا ان نذكر أبواب السبب الجالب للخير ليفرق بينه وبين أبواب السبب الجالب للشر حتى نذكر أصولهما وعللهما الداعية اليهما والموجبة لكونهما فتأملنا شأن الدنيا فوجدنا أكبر نعيمها وأكمل لذاتها ظفر المحب بحبيبه والعاشق بطلبته ووجدنا شقوة الطالب المكدى وغمه فى وزن سعادة الطالب المنجح وسروره ووجدنا العشق كلما كان أرسخ وصاحبه به أكلف فان

الواحد والجماعة نعتاً كما تقول امرأة عدل ورجل عدل وقوم عدل لانه مصدر قال الله عز وجل وقربناه نجيا أى مناجيا وقال للجماعة فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى متناجين وقوله منعاج أى منعطف تقول عجت عليه أى عرجت عليه وعجت اليه أعيج أى عوجت عليه وقوله بعد ارتاج أى بعد اغلاق يقال أرتجت الباب ارتاجا أى أغلقته اغلاقا ويقال لغلق الباب الرتاج ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام أرتج عليه وقوله أضاء سراج دونه بقر يعنى نساء والعرب تكنى عن المرأة بالبقرة والنعجة قال الله عز وجل ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

وقوله عين انما هو جمع عيناء وهى الواسعة العين وتقديره فعل ولكن كسرت العين لتصح الياء ونحو ذلك بيضاء وبيض وتقديره حمراء وحمر ولو كان من ذوات الواو لكان مضموما على أصل الباب لانه لا اخلال فيه تقول سوداء وسود وعوراء وعور وقوله طرفها ساج ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر من طرفت طرفا قال الله عز وجل ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم لان السمع فى الأصل مصدر قال جرير

ان العيون التى فى طرفها مرض • قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وقوله ساج أى ساكن قال الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى وقال جرير

ولقد رمينك يوم رحن بأعين • يقتلن من خلل الستور سواجى

وقال الراجز

يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج

وقوله حتى تخونها أى تنقصها يقال تخوننى السفر أى تنقصنى والداعى المؤذن وقوله شحاج انما هو استعارة فى شدة الصوت وأصله للبغل والعرب تستعير من بعض لبعض قال العجاج ينعت حمارا

كأن فى فيه اذا ما شحجا • عودا دوين اللهوات مولجا

وقال جرير

ان الغراب بما كرهت لمولع • بنوى الأحبة دائم التشحاج

وقوله واستمررت أدراجى أى فرجعت من حيث جئت تقول العرب رجع فلان أدراجه ورجع فى حافرته ورجع عوده على بدئه وان شئت رفعت فقلت رجع عوده على بدئه أما الرفع فعلى قولك رجع وعوده على بدئه أى وهذه حاله والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولا

موقع لذة الظفر منه أرسخ وسروره بذلك أبهج فان زعم زاعم ان موقع لذة الظفر بالعدو المرصد أحسن من موقع لذة الظفر من العاشق الهائم بعشيقته قلنا انا قد رأينا الكرام والحلماء وأهل السودد والعظماء ربما جادوا بفضلهم من لذة شفاء الغيظ ويعدون ذلك زيادة فى نبل النفس وبعد الهمة والقدر ويجودون بالنفيس من الصامت والناطق وبالثمين من العروض وربما خرج من جميع ماله وآثر طيب الذكر على الغنى والسرو ولم نر نفس العاشق تسخو بمعشوقه ويجود بشقيقه

كقولك ردّ عودَه على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالا فى قول سيبويه لان معناه رجع ناقضا مجيئه ووضع هذا فى موضعه كما تقول كلّمته فاه الى فىّ أى مشافهة وبايعته يدا بيد أى نقدا وقد يجوز أن تقول فوه الى فىّ أى وهذه حاله ومن نصب فمعناه فى هذه الحال فاما بايعته يدا بيد فلا يكون فيه الا النصب لانك لست تريد بايعته ويده بيده كما كنت تريد فى الاول وانما تريد النقد ولا تبالى أقريبا كان أم بعيدا وقال اعرابى

شكوت فقالت كل هذا تبرّما ٭ بحبى أراح الله قلبك من حبى
فلما كتمت الحب قالت لشدّ ما ٭ صبرت وما هذا بفعل شجى القلب
وأدنو فتقصينى فأبعد طالبا ٭ رضاها فتعتدّ التباعد من ذنبى
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها ٭ وتجزع من بعدى وتنفر من قربى
فيا قوم هل من حيلة تعرفونها ٭ أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربى

قوله كل هذا تبرّما مردود على كلامه كانها تقول له أشكوتنى كل هذا تبرّما ولو رفع كل لكان جيدا يكون كل هذا مبتدأ وتبرّم خبره وشجى مخفف الياء ومن شدّدها فقد أخطأ والمثل ويل الشجى من الخلىّ الياء فى الشجى مخففة وفى الخلىّ مثقلة وقياسه انك اذا قلت فعل يفعل فعلا فالاسم منه على فعل نحو فرق يفرق فرقا فهو فرق وحذر يحذر حذرا فهو حذر وبطر يبطر بطرا فهو بطر فعلى هذا شجى يشجى شجى فهو شج يا فتى كما تقول هوى يهوى هوى فهو هو يا فتى وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضع تعرفونها خفض لانه نعت الحيلة وليس بجواب ولو كان ههنا شرط يوجب جوابا لانجزم تقول ائتنى بدابة أركبها أى بدابة مركوبة فاذا أردت معنى فانك ان أتيتنى بدابة ركبتها قلت أركبها لانه جواب الامر كما أن الاول جواب الاستفهام وفى القرآن خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها أى مطهرة لهم وكذلك أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا أى كائنة لنا عيدا وفى الجواب فذرهم يخوضوا ويلعبوا أى ان تركوا خاضوا ولعبوا وأما قوله عز وجل فذرهم فى خوضهم يلعبون فانما هو فذرهم فى هذه الحال لانهم كانوا يلعبون وكذلك ولا تمنن تستكثر انما هو ولا تمنن مستكثرا فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم وقال اعرابى أنشدنيه أبو العالية

نفسه لوالد ولا لولد بار ولا لذى نعمة سابغة يخاف سلبها وصرف احسانه عنه بسببها ولم تزل رجال يهبون للرجال الا ما لا يبالى به فى جنب ما يهبون النساء حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والنتف والقص والتحذيف والحلق وتجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مما لم يتكلفوه الا لهن ولم يتقدموا فيه الا من أجلهن وحتى كان الحيطان الرفيعة والأبواب الوثيقة والستور الكثيفة والخصيان والظؤورة والحشوة والخواص لم يتخذن الا للصون لهن والاحتفاظ بما يجب من

ألا تسأل المكيّ ذا العلم ما الذي * يحلّ من التقبيل في رمضان
فقال لي المكيّ أمّا لزوجة * فسبع وأمّا خلّة فثمان

قوله خلّة يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخنساء * فإنما هي إقبالٌ وإدبارُ * ويجوز أن تكون نعتتها بالمصدر لكثرته منها ويجوز أن تكون أرادت ذات إقبال وإدبار فحذفت المضاف وأقامت المضاف إليه مقامه كما قال عز وجل ولكنّ البرّ من آمن بالله فجائز أن يكون برّ من آمن بالله وجائز أن يكون لكنّ ذا البرّ من آمن بالله والمعنى يؤول إلى شيء واحد وفي هذا الشعر عيب وهو الذي يسميه النحويون العطف على عاملين وذلك أنه عطف خلّة على اللام الخافضة لزوجة وعطف ثمانيا على سبع ويلزم من قال هذا أن يقول مرّ عبدُ الله بزيد وعمرٌو وخالد ففيه هذا القبح وقد قرأ بعض القراء وليس بجائز عندنا واختلافِ الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريفِ الرياح آياتٍ فجعل آيات في موضع نصب وخفضها التاء الجميع فحملها على أنّ وعطفها بالواو وعطف اختلافا على في ولا أرى ذا في القرآن جائزا لأنه ليس بموضع ضرورة وأنشد سيبويه لعديّ بن زيد العباديّ (الصحيح انه لأبي دُواد الإياديّ)

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً * ونارٍ توقَّدُ بالليل نارا

فعطف على امرئ وعلى المنصوب الأول (قال أبو الحسن وفيه عيب آخر أنّ أمّا ليست من العطف في شيء وقد أجرى خلّة بعدها مجراها بعد حروف العطف حملا على المعنى فكأنه قال لزوجة كذا ولخلّة كذا) وقوله أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهي التي تحتاج إلى جزاء ومعناها إذا قلت أمّا زيد فمنطلق مهما يكن من شيء فزيد منطلق وكذلك فأمّا اليتيم فلا تقهر إنما هي مهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم وتكسر إذا كانت في معنى أو ويلزمها التكرير تقول ضربت إمّا زيدا وإمّا عمرا فمعناه ضربت زيدا أو عمرا وكذلك إمّا شاكرا وإمّا كفورا وكذلك إمّا العذابَ وإمّا الساعة وإمّا أن تعذّب وإمّا أن تتخذ فيهم حسنا وإنما كرّرتها لأنك إذا قلت ضربت زيدا أو عمرا أو قلت اضرب زيدا أو عمرا فقد ابتدأت بذكر الأول وليس عند السامع أنك تريد غير الأول ثم جئت بالشك أو بالتخيير وإذا قلت ضربت إمّا زيدا وإمّا عمرا واضرب إمّا زيدا وإمّا عمرا فقد وضعت كلامك بالابتداء على التخيير أو على الشك وإذا قلت ضربت إمّا زيدا وإمّا عمرا فالأولى وقعت

حفظ النعمة فيهن (فصل منه) وباب آخر وهو أنا لم نجد أحدا من الناس عشق والديه ولا ولده ولا من عشق مراكبه ومنزله كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فقد ذكر تبارك وتعالى جملة أصناف ما خولهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ولم نر الناس وجدوا بشيء من هذه الأصناف وجدهم بالنساء ولقد قدم ذكرهن في هذه

لبنية الكلام عليها والثانية للعطف لانك تعدل بين الاول والثانى فانما تكسر فى هذا الموضع وزعم سيبويه انها ان ضمت اليها ما فان اضطر شاعر فحذف ما جاز له ذلك لانه الاصل وأنشد فى مصداق ذلك (هو دريد بن الصمة الجشمى)

لقد كذبتك نفسك فاكذبنها • فان جزعا وان اجمال صبر

ويجوز فى غير هذا الموضع أن تقع امّا مكسورة ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة فى ان التى هى للجزاء كما تزاد فى سائر الكلام نحو أين تكن أكن وأينما تكن أكن وكذلك متى تأتنى آتك ومتى ما تأتنى آتك فتقول ان تأتنى آتك واما تأتنى آتك تدغم النون فى الميم لاجتماعهما فى الغنة وسنذكر الادغام فى موضع نفرده به ان شاء الله كما قال امرؤ القيس

فاما ترينى لا أغمض ساعة • من الليل الا أن أكب فأنعسا

فيارب مكروب كررت وراءه • وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا

وفى القرآن فاما ترين من البشر أحدا وقال واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فانت فى زيادة ما بالخيار فى جميع حروف الجزاء الا فى حرفين فان ما لا بد منها لعلة نذكرها اذا أفردنا بابا للجزاء ان شاء الله والحرفان حيثما تكن أكن كما قال الشاعر

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحا فى غابر الأزمان

والحرف الثانى اذما كما قال العباس بن مرداس

اذ ما أتيت على الرسول فقل له • حقا عليك اذا اطمأن المجلس

لا يكون الجزاء فى حيث واذ الا بما وأنشدنى أبو العالية

سل المفتى المكى هل فى تزاور • ونظرة مشتاق الفؤاد جناح

فقال معاذ الله أن يذهب التقى • تلاصق أكباد بهن جراح

(وأنشد لبعض العرب المحدثين

تلاصقنا وليس بنا فسوق • ولم يرد الحرام بنا الصفوق

ولكن التباعد طال حتى • توقد فى الضلوع له حريق

فلما ان أتيح لنا التلاقى • تعانقنا كما اعتنق الصديق

الآية على قدر تقدمهن فى قلوبهم فان قال قائل فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغنى المصيب فينقله ذلك الى طبع الصبيان والى أفعال المجانين فيشق جيبه وينقض حبوته ويفدى غيره ويرقص كما يرقص الحدث الغرير والشاب السفيه ولم نجد أحدا فعل ذلك عند رؤية معشوقه قلنا اما واحدة فانه لم يكن ليدع التشاغل بشمها وبرشفها وباحتضانها وتقبيل قدميها والمواضع التى وطئت عليه ويتشاغل بالرقص المباين لها وبالصراخ الشاغل

وهل حرجًا تراه أو حرامًا ● مشوق ضمه كلف مشوق

وأنشدني غيره

وما هجرتك النفس يا ليلى أنها ● قلتك ولا أن قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس أولعوا ● بقول اذا ما جئت هذا حبيبها

أنها في موضع نصب وكان التقدير لانها فلما حذفت اللام وصل الفعل فعمل تقول جئتك أنك تحب الخير فعناه لانك وكذلك أتيتك ان تأمر لي بشيء أي لان وتقديره في النصب أن أن الخفيفة والفعل مصدر نحو أريد أن تقوم يا فتى أي قياما وأن الثقيلة واسمها وخبرها مصدر تقول بلغني أنك منطلق أي انطلاقك فاذا قلت جئتك أنك تريد الخير فعناه ارادتك الخير أي مجيئي لانك تريد الخير ارادة يا فتى كما قال الشاعر (هو حاتم الطائي)

وأغفر عوراء الكريم ادخاره ● وأعرض عن ذم اللئيم تكرما

قوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره أي أدخره ادخارا وأضافه اليه كما تقول ادخارا له وكذلك قوله تكرما انما أراد لتكرم فأخرجه مخرج أتكرم تكرما وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعروة بن أذينة)

مازلت أبغي الحي أتبع ظلهم ● حتى دفعت الى ربيبة هودج

قالت وعيش أبي وأكبر اخوتي ● لأنبهن الحي ان لم تخرج

فخرجت خيفة قولها فتبسمت ● فعلمت أن يمينها لم تحرج

فلثمت فاها آخذا بقرونها ● شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وزاد فيها الجاحظ عمرو بن بحر

وتناولت رأسي لتعرف مسه ● بمخضب الأطراف غير مشنج

تقول العرب هودج وبنو سعد بن زيد مناة ومن وليهم يقولون فودج وقوله فعلمت أن يمينها لم تحرج يقول لم تضق عليها يقال حرج يحرج اذا دخل في مضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ما بينه قال الله عز وجل فلا يكن في صدرك حرج منه وقال تعالى يجعل صدره ضيقا حرجا وقرئ حرجا فمن قال حرجا أراد التوكيد للضيق كأنه قال ضيق شديد الضيق ومن قال حرجا جعله مصدرا مثل قولك ضيق ضيقا وقوله ببرد ماء الحشرج فهو الماء الجاري على الحجارة وقال قيس بن معاذ أحد بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهو المجنون وحدثني عبد الصمد بن المعذل قال سمعت

عنها فاما حمل الحبوة والصراخ عند رؤية الحبيبة فان هذا انما لا يحتاج الى ذكره لوجوده وكثرة استعمالهم له فكيف وهو ان خلا بمعشوقة لا يظن ان لذة الغناء تشغله بمقدار العشر من لذته بل ربما لم يخطر له ذلك الغناء على بال على أن ذلك الطرب مجاز غير لابث وظاعن غير مقيم ولذة المتعاشقين راكدة أبدا مقيمة غير ظاعنة وعلى ان الغناء الحسن من الوجه الحسن والبدن الحسن أحسن والغناء الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهى وكذلك الصوت الناعم

الأصمعي يثبته ويقول لم يكن مجنونا انما كانت به لوثة كلوثة أبي حية (النميري وهو من أشعر الناس ومن شعره)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة • ببطن منى ترمي جمار المحصب
ويبدي الحصا منها اذا قذفت به • من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر • مع الصبح في أعقاب نجم مغرب
ألا انما غادرت يا أم مالك • صدى أينما تذهب به الريح يذهب

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة ومما يستظرف في هذا الباب قول عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت • فيضحى وأما بالعشي فيخصر
أخا سفر جواب أرض تقاذفت • به فلوات فهو أشعث أغبر
قليلا على ظهر المطية ظله • سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

ومن هذا الباب قول القائل (هو قيس بن معاذ مجنون بني عامر الذي تقدم ذكره لا ابن الأبرش)

فأصبحت في أقصى البيوت يعدنني • بقية ما أبقين نصلا يمانيا

(بقية بدل من الياء في يعدنني بدل الاشتمال

تجمعن من شتى ثلاث وأربع • وواحدة حتى كملن ثمانيا)
يعدن مريضاهن هيجن ما به • ألا انما بعض العوائد دائيا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها ان شاء الله تعالى ومن الافراط فيه قوله

فلو أن ما أبقيت مني معلق • بعود ثمام ما تأود عودها

(الثمام نبت ضعيف واحدته ثمامة) وهذا متجاوز كقول القائل

• ويمنعها من أن تطير زمامها • وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه فيه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوي واختصار قريب

قال قيس بن معاذ

وأخرج من بين الجلوس لعلني • أحدث عنك النفس في السر خاليا
واني لأستغشي وما بي نعسة • لعل خيالا منك يلقى خياليا

وفي هذا الشعر

أشوقا ولما تمض لي غير ليلة • رويد الهوى حتى يغب لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحه معنى ويستحسن لذي الرمة قوله في مثل هذا المعنى

الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة وكم بين ان يغدي اذا شاع فيك الطرب مملوكات وبين ان يغدي أمثالك وكم بين ان يسمع الغناء من فم تشتهي ان تقبله وبين فم تشتهي ان تصرف وجهك عنه وعلى ان الرجال دخلاء على النساء في الغناء كما رأينا رجالا ينوحون فصاروا دخلاء على النوائح وبعد فايما أحسن وأملح وأشهى وأغنج ان يغنيك فحل ملتف اللحية كث العارضين أو شيخ متخلع الاسنان مغضن الوجه ثم يغنيك اذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير رأيت زهيرا تحت كلكل خالد

أُحبُّ المكانَ القفرَ من أجلِ أنني • به أتغنّى باسمها غيرَ مُعجِمِ

وأنشدني ابن عائشة لبعض القرشيين

وقفوا ثلاثَ منىً بمنزلِ غبطةٍ • وهُمُ على غرضٍ هنالك ماهُمُ

متجاورين بغير دارِ إقامةٍ • لو قد أجدَّ تفرّقٌ لم يندموا

(يعني طواف الوداع وقوله ثلاث منى أراد أيام النفر وأخرجه على الليالي وقوله لم يندموا لانهم يرجعون الى أوطانهم)

ولهنّ بالبيتِ العتيقِ لُبانةٌ • والركنُ يعرفهنّ لو يتكلّمُ

لو كان حيّا قبلهنّ ظعائنا • حيّا الحطيمُ وجوهَهنّ وزمزمُ

وكأنهنّ وقد صدرنَ لواغبا • بيضٌ بأفنيةِ المقامِ مُركّمُ

اللاغبُ المُعيي قال الله عز وجل وما مسّنا من لغوبٍ والمُركّمُ الذي بعضه على بعض والمرأة تُشبّه ببيضة النعامة كما تُشبّه بالدرة قال الله عز وجل كأنهنّ بيضٌ مكنونٌ والمكنون المصون والمكنّ المستور يقال أكننتُ السرّ قال الله عز وجل أو أكننتم في أنفسكم وقال أبو دهبل وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حسّان (بن ثابت الانصاري)

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّاصِ مِيزت من جوهرٍ مكنونِ

وقال ابن الرقيّات   واضحٌ لونها كبيضةِ أُدحيٍّ لها في النساءِ خلقٌ عميمُ

العميم التام والأُدحيّ موضع بيض النعامة خاصة وشعرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه وروى بعض الرواة أن أبا دهبل الجمحي كان تقيّا وكان جميلا فقفل من الغزو ذات مرة فمرّ بدمشق فدعته امرأة الى أن يقرأ لها كتابا وقالت ان صاحبته في هذا القصر وهي تحبّ أن تسمع ما فيه فلما دخلت به برزت له امرأة جميلة وقالت له انما احتلتُ لك بالكتاب حتى أدخلتك فقال لها أما الحرامُ فلا سبيل اليه قالت فلستَ تُراد حراما فتزوّجته وأقام عندها دهرا حتى نُعي بالمدينة ففي ذلك يقول وقد استأذنها في الإلمام بأهله ثم يعود فجاء وقد اقتُسم ميراثه فلما همّ بالعود اليها نُعيت له فهذا ما رُوي من هذا الوجه والذي كأنه اجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت معاوية (بن أبي سفيان)

فاقبلت أسعى كالعجول أبادر

أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس أو كأنها ياسمينة أو كأنها اخرطت من ياقوتة أو من فضة مجلوة بشعر عكاشة بن محصن

من كف جارية كأن بنانها من فضة قد طوقت عنابا وكأن يمناها اذا نطقت به ألقت على يدها الشمال حبابا

(فصل منه) فأما الغناء المطرب في الشعر الغزل فانما ذلك من حقوق النساء وانما ينبغي ان تغنى باشعار الغزل والتشبيب والعشق

صاح حيّا الاله أهلاً وداراً • عند أصل القناة من جيرون

عن يسارى اذا دخلت من البا • ب وان كنت خارجا فيمينى

فبتلك اغتربت بالشأم حتى • ظن أهلى مرجّمات الظنون

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغـوّاص ميزت من جوهر مكنون

واذا ما نسبتها لم تجدها • فى سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها الى القبة الخضـراء تمشى فى مرمر مسنون

تجعل المسك واليلنجوج والند صلاء لها على الكانون

قبة من مراجل ضربتها • عند برد الشتاء فى قيطون

المسنون المصبوب على استواء والمراجل ثياب من ثياب اليمن قال العجاج

• بشية كشية الممرجل • والقيطون البيت فى جوف بيت وقال آخر

وأبصرت سعدى بين ثوبى مراجل • وأثواب عصب من مهلهلة اليمن

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان فى ابنتك قال وما الذى

قال قال قال وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال معاوية صدق فقال يزيد وقال واذا ما نسبتها لم تجدها • فى سناء من المكارم دون

قال معاوية صدق فقال يزيد انه قال

ثم خاصرتها الى القبة الخضـراء تمشى فى مرمر مسنون

قال معاوية كذب

والصبابة بالنساء اللواتى فيهن نطقت تلك الاشعار وبهن شبب الرجال ومن أجلهن تكلفوا القول فى التشبيب وبعد فكل شئ وطبقته وشكله ولفقه حتى تخرج الأمور موزونة معدلة ومتساوية ومخاصة ولو أن رجلا من أدمث الناس وأشدهم تلغيصا لكلامه ومحاسنه لنفسه ثم جلس مع امرأة لاتزن بمنطق ولا تعرف بحسن حديث ثم كان يعشقها ما كان التناجح بينهما من الاحاديث والمتلاقح بينهما من المعانى والألفاظ الا ماكان يجرى بين غفل بن حنظلة وبين بشار بن الحرة واغاهذا على قدر تمكن

(باب)

قال أبو العباس حدثنى مسعود بن بشر قال حدثنى محمد بن حرب قال أتى عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكساه حلة وأقعده الى جانبه ثم قال انه ابن أمى وكان أبوه يرحمنى (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقه) وأنشدنى مسعود قال أنشدنى طاهر بن على بن سليمان قال أنشدنى منصور بن المهدى لرجل من بنى ضبة بن أد يقول لبنى تميم بن مر بن أد

أبني غنم انني أنا عمكم • لا تخرمن نصيحة الاعمام

اني أرى سبب الفناء وانما • سبب الفناء قطيعة الارحام

فتداركوا بأبي وأمي أنتم • أرحامكم برواجح الاحلام

(كذا أنشد أرحامكم ويروى أحسابكم) ويروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصعب بن الزبير خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه أتانا خبر قتل المصعب فسررنا به واكتأبنا له فاما السرور فلما قدّر له من الشهادة وخيّرله من الثواب وأما الكآبة فلوعة يجدها الحميم عند فراق حميمه وانا والله ما نموت حبجا كميتة آل أبي العاصي انما نموت والله قتلا بالرماح وقعصا تحت ظلال السيوف فان يهلك المصعب فان في آل الزبير منه خلفا قوله حبجا يقال حبج بطنه اذا انتفخ وكذلك حبط بطنه والمقعص المقتول واللوعة الحرقة يقال لاع يلاع لوعة يافتى فهو لائع ويقال لاع يافتى على القلب وأنشد أبو زيد

ولا فرح بخير ان أتاه • ولا جزع من الحدثان لاعي

قال وحدثني مسعود بن بشر في اسناد ذكره قال قال زياد لحاجبه يا عجلان اني وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربعة عزلتك عن هذا المنادي اذا دعا للصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق الليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته وعن رسول صاحب الثغر فان ابطاء ساعة يفسد تدبير سنة وعن هذا الطباخ اذا فرغ من طعامه قال وحدثني مسعود قال قال زياد يعجبني من الرجل اذا سيم خطة الضيم أن يقول لا بعل فيه واذا أتى نادي قوم علم أين ينبغي لمثله أن يجلس فجلس واذا ركب دابة حملها على ما تحب ولم يبعثها الى ما تكره وكتب الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الاموال فوقع جعفر هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذؤبان العرب بحيث العدد والعدة والقلوب القاسية والانوف الحمية فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ليدفع به عدوه فان نفقات الحروب يستظهر لها ولا يستظهر عليها وأكثر الناس شكية عامل فوقع اليه في قصتهم يا هذا قد كثر شاكوك وقل حامدوك فاما عدلت واما اعتزلت وزعم الجاحظ قال قال ثمامة بن أشرس النميري ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى والمأمون وقال موبس بن عمران ما رأيت رجلا أبلغ من يحيى بن خالد وأيوب بن جعفر وقال

الغزل في الرجل (فصل منه) والمرأة أيضا أرفع حالا من الرجل في أمور منها انها التي تخطب وتراد وتعشق وتطلب وهي التي تفدى وتحمى قال عنبسة بن سعيد للحجاج بن يوسف أيفدي الأمير أهله قال والله ان تعدونني الا شيطانا والله لربما رأيتني أقبل رجل احداهن (فصل منه) وانما يملك المولى من عبده بدنه فاما قلبه فليس له عليه سلطان والسلطان نفسه وان ملك رقاب الأمة فالناس يختلفون في جهة الطاعة فمنهم من يطيع بالرغبة ومنهم من يطيع بالرهبة

جعفر بن يحيى لكتّابه ان قدرتم أن تكون كتبكم كلها توقيعات فافعلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتم ما تدافنتم يقول لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييعه ودفنه وقال عليه الصلاة والسلام اجتنبوا القعود على الطرقات الا ان تضمنوا أربعا رد السلام وغض الأبصار وارشاد الضال وعون الضعيف وقالت هند بنت عتبة انما النساء أغلال فليختر الرجل غلا ليده وذكرت هند بنت المهلب بن أبي صفرة النساء فقالت ما زين بشئ كأدب بارع تحته لب ظاهر وقالت هند بنت المهلب بن أبي صفرة أيضا اذا رأيتم النعم مستدرة فبادروا بالشكر قبل حلول الزوال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله قيدوا النعم بالشكر وقيدوا العلم بالكتاب وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه العجب لمن يهلك والنجاة معه فقيل ما هي يا أمير المؤمنين قال الاستغفار وقال الخليل بن أحمد كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك وقال ابن أحمد يعني الخليل اجعل ما في كتبك رأس مال وما في صدرك للنفقة وقيل لنصر بن سيار ان فلانا لا يكتب فقال تلك الزمانة الخفية وقال نصر بن سيار لولا أن عمر بن هبيرة كان بدويا ما ضبط أعمال العراق وهو لا يكتب وفادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى فداءه من أسرى بدر فمن لم يكن له فداء أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة ففشت الكتابة بالمدينة ومن أمثال العرب خير العلم ما حوضر به يقول ما حفظ فكان للمذاكرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الفئ مغنما والصدقة مغرما وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يتخذون الفئ مغنما والصدقة مغرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشاورة الاماء وامارة الصبيان (الماحل الواشي يقال محل فلان بفلان اذا وشى به ومكر) ويروى عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال دفع الى الحجاج أزاذ مرد بن الهربذ وأمرني ان أستخرج منه وأغلظ عليه فلما انطلقت به قال لي يا محمد ان لك شرفا ودينا واني لا أعطي على القسر شيأ فاستأدني وارفق بي قال ففعلت فأدى الي في أسبوع خمسمائة ألف قال فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يدي ودفعه الى رجل كان يتولى له العذاب فدق

ومنهم من يطيع بالمحبة ومنهم من يطيع بالديانة وهذه الأصناف وان كان أفضلها طاعة الديانة فان تلك المحبة ما لم يمازجها هوى لم يقو على صاحبها قوة العشق وفي الأثر المستفيض والمثل السائر ان الهوى يعمي ويصم فالعشق يقتل

(فصل منه) ومما يستدل به على تعظيم شأن النساء ان الرجل يستحلف بالله الذي لا شئ أعظم منه وبالمشي الى بيت الله وبصدقة ماله وعتق رقيقه فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه فان استحلف بطلاق امرأته تربد وجهه وطار الغضب في دماغه

يديه ورجليه ولم يعطهم شيأ قال محمد بن المنتشر فانى لأمر يوما فى السوق اذ صاح بى يا محمد فالتفت فاذا به معرضا على حمار مدقوق اليدين والرجلين فخفت الحجاج ان أتيته وتذممت منه فملت اليه فقال لى انك وليت منى ما ولى هؤلاء فأحسنت وانهم صنعوا بى ما ترى ولم أعطهم شيأ وههنا خمسمائة ألف عند فلان فخذها فهى لك قال فقلت له ما كنت لآخذ منك على معروفى أجرا ولا لأرزأك على هذه الحال شيأ قال فأما اذا أبيت فاسمع أحدثك حدثنى بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر فى وقته وجعل المال فى سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر فى غير حينه قال فانصرفت فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسول الحجاج فأمرنى بالمسير اليه فألفيته جالسا على فرشه والسيف منتضى فى يده فقال لى ادن فدنوت شيأ ثم قال ادن فدنوت شيأ ثم صاح الثالثة ادن لا أبالك فقلت ما بى الى الدنو من حاجة وفى يد الامير ما أرى فأضحك الله سنه وأغمد سيفه عنى فقال لى اجلس ما كان من حديث الخبيث فقلت له أيها الامير والله ما غششتك منذ استنصحتنى ولا كذبتك منذ استخبرتنى ولا خنتك منذ ائتمنتنى ثم حدثته الحديث فلما صرت الى ذكر الرجل الذى المال عنده أعرض عنى بوجهه وأومأ الى بيده وقال لا تسمه ثم قال ان للخبيث نفسا وقد سمع الأحاديث ويقال كان الحجاج اذا استغرب ضحكا والى بين الاستغفار وكان اذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويدا فلا يكاد يسمع ثم يتزيد فى الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها أقصى من فى المسجد وكان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ويطاف به فى محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم وكان له ساقيان أحدهما يسقى الماء والعسل والآخر يسقى اللبن ويروى أن ليلى الاخيلية قدمت عليه فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة • تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العقام الذى بها • غلام اذا هز القناة ثناها

(العقام بالفتح والضم والضم أفصح) فقال لها لا تقولى غلام قولى همام ثم قال لها أى نسائى أحب اليك أن أنزلك عندها الليلة قالت ومن نساؤك أيها الأمير قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاصى

ويمنع ويعصى ويغضب ويأبى وان كان الحالف سلطانا مهيبا ولم يكن يحبها ولا يستكثر منها وكانت نفسها قبيحة المنظر دقيقة الحسب خفيفة الصداق قليلة النسب وليس ذلك الا لما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات فى صدور الأزواج

(فصل منه فى ذكر الولد)

وباب آخر وهو أنا لو خيرنا رجلا بين الفقر أيام حياته وبين أن يكون ممتعا بالباه أيام حياته لاختار الفقر الدائم مع التمتع الدائم وليس شئ مما يحدث الله لعباده من أصناف نعمه وضروب فوائده أبقى ذكرا ولا أجل خطرا من

الأمويّة وهند بنت أسماء بن خارجة الفزاريّة وهند بنت المهلّب بن أبي صفرة العتكيّة فقالت القيسيّة أحبّ الي فلما كان الغد دخلت عليه فقال يا غلام أعطها خمسمائة فقالت أيها الامير اجعلها أدما فقال قائل انما أمرك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا اناثا استحياء وانما كان أمر لها بشاء أولا والأدم البيض من الابل وهي أكرمها ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشعبي) قال دعاني الحجاج فسألني عن الفريضة المخمّسة وهي أمّ وجدّ وأخت فقال لي ما قال فيها الصديق رحمه الله قلت أعطى الامّ الثلث والجدّ ما بقي لانه كان يراه أبا قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان رحمه الله قلت جعل المال بينهم أثلاثا قال فما قال فيها ابن مسعود قال قلت أعطى الاخت النصف والام ثلث ما بقي والجد الثلثين لانه كان لا يفضّل أمّا على جد قال فما قال فيها زيد ابن ثابت قال قلت أعطى الام الثلث وجعل ما بقي بين الاخت والجد للذكر مثل حظ الانثيين لانه كان يجعل الجد كاحد الاخوة الى الثلاثة قال فزمّ بأنفه ثم قال فما قال فيها أبو تراب قال قلت أعطى الام الثلث والاخت النصف والجد السدس فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن قوله وجلس الحجاج يوما يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عمير بن عطارد ابن حاجب بن زرارة وحجّار بن أبجر بن بجير العجلي فاقبل في وسط من الطعام على محمد بن عمير بن عطارد فقال يا محمد أيدعوك قتيبة بن مسلم الى نصرتي يوم رستقباذ فتقول هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل لا جعل الله لك فيه ناقة ولا جملا يا حرسي خذ بيده وجرّد سيفك فاضرب عنقه فنظر الى حجّار ابن أبجر وهو يتبسم فدخلته العصبيّة وكان مكان حجّار من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مضر وأتى الخبّاز بغرنيّة فقال اجعلها امام أبي محمد فان اللبن يعجبه يا حرسي شم سيفك وانصرف وكان محمد شمر يفاوله بقول الشاعر

علم القبائل من معدّ وغيرها • أنّ الجواد محمد بن عطارد

وذكرت بنو دارم يوما بحضرة عبد الملك فقالوا قوم لهم حظّ فقال عبد الملك أتقولون ذلك وقد مضى منهم لقيط بن زرارة ولا عقب له ومضى القعقاع بن معبد بن زرارة ولا عقب له ومضى محمد ابن عمير بن عطارد ولا عقب له والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا قوله شم سيفك يقول اغمده ويقال شمت السيف اذا سللته وهو من الاضداد ويقال شمت البرق اذا نظرت من أيّ ناحية

أن يكون للرجل ابن يكون ولي بناته وساتر عورة حرمه وقاضي دينه ومحيي ذكره مخلصا في الدعاء له بعد موته وقائما بعده في كل ما خلفه مقام نفسه فمن أول أسفا على ما فارق ممن خلف كافيا مجربا وحائطا من وراء المال موفرا ومن وراء الحرم حاميا ولسلفه في الناس محييا وقال رجل لعبد الملك بن مروان ذكر ولد له أراك الله في بنيك ما أرى أباك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك في أبيك ونظر شيخ وهو عند المهلب الى بنيه قد أقبلوا فقال آنس الله بكم لا حقكم فوالله ان لم تكونوا أسباط

باقى قال الاعشى

فقلتُ للشرب فى دُرْنى وقد ثَمِلُوا * شِيموا وكيفَ يَشيمُ الشاربُ الثَمِلُ

وقال الفرزدق

بأيدى رجالٍ لم يَشيموا سيوفَهم * ولم تَكثُرِ القتلى بها حين سُلَّتِ

وهذا البيت ظريف عند أصحاب المعانى وتأويله لم يَشيموا لم يُغمِدُوا ولم تكثر القتلى أى لم يغمدوا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى حين سُلَّتْ وحدثنى الحسن بن رجاء قال قَدِمَ علينا علىُّ بن جَبَلَة الى عَسكرِ الحَسنِ بن سَهلٍ والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببُوران فقال الحسن ونحن اذذاك نُجرى على تِسْعةٍ وسبعين ألف مَلّاحٍ وكان الحسن بن سهل يَسْهَرُ مع المأمون وكان المأمون يَتَصبَّحُ فجلس الحسن للناس الى وقت انتباهه فلما ورد علىٌّ قلت قد ترى شُغْلَ الامير قال اذًا لاأضيع معه قلتُ أَجَلْ فدخلتُ على الحسن بن سهل فى وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لستَ بمشغول عن الامر له فقال يُعطَى عشرة آلاف درهم الى أن تتفرَّغَ له فأعلمت ذلك علىَّ بن جَبَلَة فقال فى كلمة له

أعطيتَنى ياولىَّ الحقِّ مُبتدِئًا * عطيّةً كافأتْ مدحى ولم تَرَنى

ماشِمتُ برقَكَ حتى نِلتُ رَيِّقَهُ * كأنّما كنتَ بالجَدوى تُبادِرُنى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال المُفضَّلُ بن المُهلَّبِ بن أبى صُفْرةَ (يصف الشجاعة والنجدة)

هل الجودُ الا أن تجودَ بأنفسٍ * على كلِّ ماضى الشَفرتين قضيبِ

وماخيرُ عيشٍ بعد قتل محمدٍ * وبعد يزيدٍ والحرونِ حبيبِ

ومَن هرَّ أطرافَ القَنا خشيةَ الردى * فليس لمجدٍ صالحٍ بكسوبِ

وماهىَ الارقدةٌ تُورِثُ العُلى * لرَهطكَ ماحنَّتْ رَوائمُ نِيبِ

قوله ومن هرَّ أطراف القنا خشية الردى يقول مَن كَرِهَ قال عَنترةُ بن شَدّاد

حَلَفْتُ لهم والخيلُ تَردِى بنا معًا * نُفارقُهم حتى يَهِرُّوا العَواليا

عَوالىَ زُرْقًا من رِماحِ رُدَينةٍ * هَريرَ الكلابِ يَتَّقينَ الأفاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل فى الموت يقال رَدِىَ يَرْدَى رَدًى قال الله عز وجل وما يُغنى عنه مالُه

نبوة انكم أسباط ملحمة وليست النعمة فى الولد المحيى والخلف الكافى بصغيرة

(فصل منه) وباب آخر وهو أن الله تعالى خلق من المرأة ولدا من غير ذكر ولم يخلق من الرجل ولدا من غير انثى فخص بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل كما خلق المسيح فى بطن مريم من غير ذكر

(فصل منه فى ذكر القرابات)

وأما أنا فانى أقول ان تباغض الأقرباء عارض دخيل وتحابهم واجب أصيل والسلامة من ذلك أعم والتناصر أظهر

اذا تردّى وهو تفعّل من الرّدى في احد التفسيرين وقيل اذا تردى في النار أي اذا سقط فيها وقوله الحرون فان حَبيب بن المهلّب كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يريم مكانه فكان يلقّب الحَرونَ وقوله وماهي الارقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد بن المهلب وذلك انه قال في يوم العَقْر وهو اليوم الذي قُتل فيه قاتَلَ اللهُ ابنَ الاشعث ماكان عليه لو غمّض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيل نفسه وذلك ان ابن الاشعث قام في الليل وهو في سطح للبول فزعموا انه ردّى نفسه وغير أهل هذا القول يقولون بل سقط منه بسِنَة النوم وقوله تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطكَ وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الاضافة تقول هذا ضاربٌ زيدًا وهذا ضاربٌ لزيد لانها لا تغيّر معنى الاضافة اذا قلت هذا ضاربُ زيدٍ وضاربٌ له وفي القرآن وأُمرتُ لأنْ أكونَ أول المسلمين وكذلك ان كُنتم للرؤيا تعبرون ويقول النحويون في قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون انما هو ردفكم والنيب جمع ناب وهي المسنّة من الابل وتقديرها فُعْل ساكنة وابدلت من الضمة كسرة لتصحّ الياء كما قلت في أبيض بيض وانما هو مثل أحمر وحُمْر وكذلك أشيب وشيب فتقدير ناب ونيب اذا جاء على فَعَل وفُعْل تقدير أَسَد وأُسْد ووَثَن ووُثْن وناب تقديرها فَعَل وانما انقلبت الياء ألفا فسكنت وانما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت في موضع حركة والرّوائم قد مضى تفسيرها وأنشدني الزيادي قال أنشدني أبو زيد قال نظر شيخ من الأعراب الى امرأته تتصنّع وهي عجوز فقال

عجوزٌ ترجّى أن تكون فتيّةً • وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر
تدسّ الى العطّار سلعة بيتها • وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر

(قال أبو الحسن وزادني غير أبي العباس في شعر هذا الاعرابي

وما غرّني الاخضاب بكفّها • وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وجاءوا بها قبل المحاق بليلة • فكان محاقا كلّه ذلك الشهر)

قال فقالت له امرأته

ألم تر أن الناب تحلب علبة • ويترك ثلب لاضراب ولا ظهر

قال ثم استغاثت بالنساء وطلب الرجال فاذاهم خُلُوف فاجتمع النساء عليه فضربنه وقوله قد لحب الجنبان يقول قلّ لحمهما يقال بعير ملحوب وقد لحب مثل عُرِق وقوله تدسّ الى العطار سلعة

بيتها

والتصادق في المودة أكثر فلذلك القبيلة تنزل معا وترحل معا وتحارب من ناوأها معا الا الشاذ النادر كخروج غني وباهلة من غطفان وكنزول عبس في بني عامر وما أشبه ذلك والا فان القرابة يد واحدة على من ناوأهم وسيف واحد على من عاداهم وما صلاح شأن العشائر الا بتقارب ساداتهم في القدر وان تفاوتوا في الرياسة والفضل كما قال في الأثر المستفيض لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فاذا تقاربوا هلكوا وحال العامة في ذلك كحال الخاصة

(فصل منه) وقضية واجبة ان الناس لا يصلحهم

بيتها يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك وكل عرض فالعرب تقول له سلعة أنشدنى عمارة بن عقيل شعرا يمدح به خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى ويذم تميم خزيمة بن حازم النهشلى

أأترك ان قلت دراهم خالد • زيارته انى اذا للئيم
وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه • ويعتل نقد المرء وهو كريم

(من رفع المرء نصب اصطناعه ومن نصب المرء رفع اصطناعه وأما على تفسير أبى العباس فبنصب اصطناعه لاغير)

فتى واسط فى ابنى نزار محبب • الى ابنى نزار فى الخطوب عميم
فليت ببرديه لنا كان خالد • وكان لبكر فى الثراء تميم
فيصبح فينا سابق متمهل • أغر وفى بكر أغم بهيم

قوله وقد يسلع المرء اللئيم اصطناعه أى تكثر سلعته لاصطناعه وقوله أغم بهيم فالغمم كثرة شعر الوجه والقفا قال هدبة بن خشرم العذرى

فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا • أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

والعرب تكره الغمم والبهيم الذى لا يخلط لونه غيره من أى لون كان وقولها ألم تر أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال والعلبة اناء لهم من جلود يحلبون فيه من ذلك قوله

لم تتقنع بفضل مئزرها • دعد ولم تغذ دعد بالعلب

ومن أمثال العرب قد تحلب الضجور العلبة يضربون ذلك للرجل البخيل الذى لا يزال ينال منه الشئ القليل والضجور الناقة السيئة الخلق انما تحلب حين تطلع عليها الشمس فتطيب نفسها والثلب الذى قد انتهى فى السن من الابل وقال آخر

لم أر مثل الفقر أوضع للفتى • ولم أر مثل المال أرفع للرذل
ولم أر عزا لامرئ كعشيرة • ولم أر ذلا مثل نأى عن الاصل
ولم أر من عدم أضر على امرئ • اذا عاش بين الناس من عدم العقل

وقال آخر

لعمرى لقوم المرء خير بقية • عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى • جزيل ولم يخبرك مثل مجرب
(وان خبرتك النفس أنك قادر • على ما حوت أيدى الرجال فكذب)

الا رئيس واحد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوهم ويمنع قويهم عن ضعيفهم وقليل له نظام أقوى من كثير لا نظام لهم ولا رئيس عليهم اذ قد علم الله سبحانه وتعالى ان صلاح عامة البهائم فى أن يجعل لكل جنس منها فحلا يوردها الماء ويصدرها وتتبعه الى الكلأ كالعير فى العانة والفحل فى الابل والهجمة وكذلك النحل العسالة والكراكى وما يحمى الفرس الا الحصان الجرور المروج فجعل منها رؤساء متبوعة وأذنابا تابعة ولو لم يقم الله الناس الوزعة من السلطان والحماة من الملوك وأهل

اذا كنت فى قوم عدًا لست منهم ٭ فكل ما علفت من خبيث وطيب

العدا الغرباء فى هذا الموضع ويقال الأعداء عدًا والعداة الأعداء لا غير وقال اعرابى من باهلة

سأعمل نص العيس حتى يكفنى ٭ غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها ٭ على المرء ذى العلياء مس هوان

متى يتكلم يلغ حكم مقاله ٭ وان لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى فى أهله بورك الغنى ٭ بغير لسان ناطق بلسان

ونظير هذا الشعر ما حدثنا به فى أمر حارثة بن بدر الغدانى فانا حدثنا عن حارثة بن بدر وكان رجل بنى تميم فى وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب فقال زياد كيف لى باطراح رجل هو يسايرنى منذ دخلت العراق لم يصكك ركابى ركابه ولا تقدمنى فنظرت الى قفاه ولا تأخر عنى فلويت عنقى اليه ولا أخذ على الشمس فى شتاء قط ولا الروح فى صيف قط ولا سألته عن علم الا ظننت أنه لم يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله فقال له حارثة أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبى المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة كان قد برع بروعا لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب على وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمن أن يظن بى فدع النبيذ وكن أول داخل على وآخر خارج عنى فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرى ونفعى أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملى ما شئت قال تولينى رام هرمز فانها أرض عذاة وسرق فان بها شرابا وصف لى فولاه اياها فلما خرج شيعه الناس فقال أنس بن أبى أنيس

أحار بن بدر قد وليت امارة ٭ فكن جرذا فيها تخون وتسرق

ولا تحقرن يا حار شيأ وجدته ٭ فحظك من ملك العراقين سرق

وباه تميما بالغنى ان للغنى ٭ لسانا به المرء الهيوبة ينطق

فان جميع الناس اما مكذب ٭ يقول بما يهوى واما مصدق

يقولون أقوالا ولا يعلمونها ٭ ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

ورثى حارثة بن بدر زيادا وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثوية فقال

الحياطة عليهم من الائمة لعادوا نثرا لا انظام لهم ومستكلبين لا زاجر لهم ولكان من عز بز ومن قدر قهر ولما زال اليسر راكدا والهرج ظاهرا حتى يكون التغابن والبوار وحتى تنطمس منهم الآثار ولكانت الانعام طعاما للسباع وكانت عاجزة عن حماية أنفسها جاهلة بكثير من مصالح شأنها فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجه الى الاستمتاع بها ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة فى صونها والدفاع عنها وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوها بالحراسة لها والذيادة عنها

صلى الاله على قبر وطهره ... عند الثوية يسفى فوقه المور
زفت اليه قريش نعش سيدها ... فثم كل التقى والبر مقبور
أبا المغيرة والدنيا مفجعة ... وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك بالمعروف معرفة ... وكان عندك للنكراء تنكير
وكنت تغشى وتعطى المال من سعة ... ان كان بيتك أضحى وهو مهجور
الناس بعدك قد خفت حلومهم ... كأنما نفخت فيها الأعاصير

ونظير هذا قول مهلهل يرثي أخاه كليبا وكان كليب اذا جلس لم يرفع بحضرته صوت ولم يستب بفنائه اثنان

ذهب الخيار من المعاشر كلهم ... واستب بعدك يا كليب المجلس
وتقاولوا في أمر كل عظيمة ... لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

قوله حارثة الثوية فهي بناحية الكوفة ومن قال الثوية فهو تصغير الثوية وكل ياء اتصلت بها ياء أخرى فوقعت معتلة طرفا في التصغير وليتها ياء التصغير فهي محذوفة وذلك قولك في عطاء عطي وكان الاصل عطيي كما تقول في سحاب سحيب ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها وتقول في تصغير أحوى أحي في قول من قال في أسود أسيد وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قلبتها ياء كقولك أيام والاصل أيوام وكذلك سيد والاصل سيود ومن قال في تصغير أسود أسيود فهو جائز وليس كالاول قال في تصغير أحوى أحيو يا فتى فتثبت الياء لانه ليس فيهما ما يمنعهما من اجتماع الياآت ومن قال أسيود فانما أظهر الواو لانها كانت في التكبير متحركة ولا تقول في عجوز الاعجيز لانها ساكنة وانما يجوز هذا على بعد اذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جدول وانما استجازوا اظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون في الجمع أساود وجداول فهذا على التشبيه بهذا فان كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال تقول في غزوة غزية وفي عروة عرية فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهو مستقصى في الكتاب المقتضب وقوله يسفى فوقه المور فمعناه ان الريح تسفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب وتقول سقاك الله الغيث ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول سقاك الغيث يا فتى وقال علقمة بن عبدة

وردفوبها عن ضعيفها وجاهلها عن عالمها وظالمها عن مظلومها وسفيهها عن حليمها فلولا السائس ضاع المسوس ولولا قوة الراعي لهلكت الرعية

(فصل منه) وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الامام بالامامة وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون الالفة ويصلح شأن الجماعة واذا كانت الجماعة انتهت الأعداء وانقطعت الأهواء

(فصل منه) ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل ان النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر

سقى الله عمان ذو حبيّ وعارض • تروح به جنح العشى جنوب

وقوله زفت اليه قريش نعش سيدها يقال زففت السرير وزففت العروس وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني الزيادي قال سمعت قوما من العرب يقولون أزففت العروس وهي لغة وقوله نعش سيدها يريد موضعه من النسب لانه نسبه الى أبي سفيان وكان رئيس قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب ويقول هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شيخ قريش وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجار فكان آل حرب اذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المواكب وأخليت لهم صدور المجالس الا رهط عثمان رضي الله عنه فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر وصاحب الجيش يوم أحد وفي يوم الخندق واليه كانت تنظر قريش في يوم فتح مكة وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل في داره فهو آمن في حديث مشهور وقوله كأنما نفخت فيها الأعاصير هذا مثل وانما يراد خفة الحلوم والاعصار فيما ذكر أبو عبيدة ريح تهب بشدة فيما بين السماء والارض ومن أمثال العرب ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا يضرب للرجل يكون جلدا فيصادف من هو أجلد منه قال الله عز وجل فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الصيد في بطن الفرا يعني الحمار الوحشي وذلك أن أجل شيء يصيده الصائد الحمار الوحشي فاذا ظفر به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد والعرب تختلف فيه فبعضهم يهمزه فيقول هذا فرأ كما ترى وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ومن أمثالهم أنكحنا الفرا فسنرى أي زوجنا من لا خير فيه فسنعلم كيف العاقبة وجمعه في القولين جميعا افراء كما ترى ونظيره جمل وجمال وجبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله • وطعن كايزاغ المخاض تبورها

الايزاغ دفع الناقة ببولها يقال أوزغت به ايزاغا وأزغلت به ازغالا وذلك حين تلقح فعند ذلك يقال لها خلفة وللجميع المخاض وقدمي هذا والبور أن تعرض على الفحل ليعلم أهي حامل أم حائل وقال ضابئ بن الحرث البرجمي (من الطويل)

ولكنا رأينا ناسا يزرون عليهن أشد الزراية ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويبخسونهن أكثر حقوقهن وان من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الا بأن ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا ان ناسا يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلا على الضعف وبابا من الخور لما تكلفنا كثيرا مما شرطناه في هذا الكتاب

ومن

وَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالمدينةِ رَحْلُهُ • فَإِنِّي وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبُ

وما عاجلات الطير تُدْنِي من الفتى • نجاحًا ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخِيبُ

ورُبَّ أُمورٍ لا تَضِيرُكَ ضَيْرَةً • وللقلب من مَخْشاتِهِنَّ وَجِيبُ

ولا خَيْرَ فيمن لا يُوَطِّنُ نَفْسَهُ • على نائباتِ الدهرِ حين تَنُوبُ

قوله فانى وقيارا بها لغريب أراد فانى لغريب بها وقيارا ولو رفع لكان جيدا تقول ان زيدا منطلقٌ وعمرًا وعمرٌو فمن قال عمرا فانما ردّه على زيد ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز فاما الجيد فأن تحمل عمرا على الموضع لانك اذا قلت ان زيدا منطلق فمعناه زيد منطلق فرددته على الموضع ومثل هذا لستُ بقائم ولا قاعدًا والباء زائدة لان المعنى لستُ قائما ولا قاعدًا ويقرأ على وجهين ان الله برىءٌ من المشركين ورسولُه ورسولَه والوجه الآخر أن يكون معطوفا على المضمر فى الخبر فان قلت ان زيدا منطلق هو وعمرو حسن العطف لان المضمر المرفوع انما يحسن العطف عليه اذا أكدته كما قال الله تعالى اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة وانما قبح العطف عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من أن يكون مستكنا فى الفعل بغير علامة أو فى الاسم الذى يجرى مجرى الفعل نحو ان زيدا ذهب وان زيدا ذاهب فلا علامة له أو تكون له علامة يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضربتُ سكنت الباء التى هى لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا ينفك أحدهما من صاحبه فهما كالشئ الواحد ولكن المنصوب يجوز العطف عليه ويحسن بلا تأكيد لانه لا يغير الفعل اذ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه نحو ضربتك وزيدا فاما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانما يحسن بغير توكيد لان لا صارت عوضا والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يحسن فى الكلام قال عمر بن أبى ربيعة

قلتُ اذ أقبلت وزُهْرٌ تَهادَى • كنعاجِ المَلا تَعَسَّفْنَ رَملا

وقال جرير ورجا الأُخَيْطِلُ من سَفاهة رأيه • ما لم يكن وأبٌ له لِيَنالا

فهذا كثير فاما النعت اذا قلت ان زيدا يقوم العاقل فانت مخير ان شئت قلت العاقلَ فجعلته نعتا لزيد أو نصبته على المدح وهو باضمار أعنى وان شئت رفعت على أن تبدله من المضمر فى

(فصل منه) كما نحب أن يخرج هذا الكتاب تاما ويكون للاشكال الداخلة فيه جامعا وهو القول فيما الذكور والاناث فى عامة أصناف الحيوان وما أمكن من ذلك حتى يحصل ما لكل جنس من الخصال المحمودة والمذمومة ثم يجمع بين المحاسن منها والمساوى حتى يستبين لقارئ الكتاب نقصان المفضول من رجحان الفاضل بما جاء فى ذلك من الكتاب الناطق والخبر الصادق والشاهد العدل والمثل السائر حتى يكون الكتاب عربيا اعرابيا وسنيا جماعيا وحتى يجتنب فيه

الفعل وان شئت كان على قطع وابتداء كأنك قلت ان زيدا قام فقيل من هو فقلت العاقل كما قال الله عز وجل قل هل أنبئكم بشر من ذلكم النار أى هو النار والآية تقرأ على وجهين على ما فسرنا قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب وعلام الغيوب وقوله وما عاجلات الطير تدنى من الفتى نجاحا يقول اذا ما تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ولا اذا أبطأت خاب فعاجلها لا يأتيه بخير وآجلها لا يدفعه عنه انما له ما قدر له والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشاءم به والسانح ما أراك ميامنه فأمكن الصائد والبارح ما أراك مياسره فلم يمكن الصائد الا ان ينحرف له وقد قال الشاعر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه ● الا كواذب مما يخبر الفال

والفال والزجر والكهان كلهم ● مضللون ودون الغيب أقفال

وقوله ورب أمور لا تضيرك ضيرة ● وللقلب من مخشاتهن وجيب

فان العرب تقول ضاره يضيره ضيرة ولا ضير عليه وضره يضره ولا ضرر عليه ويقال أصابه ضر وأصابه ضر بمعنى والضر مصدر والضر اسم وقد يكون الضر من المرض والضر عاما وهذا معنى حسن وقد قال أحد المحدثين وهو اسمعيل بن القاسم أبو العتاهية

وقد يهلك الانسان من باب أمنه ● وينجو باذن الله من حيث يحذر

وقال الله عز وجل فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال رجل لمعاوية والله لقد بايعتك وأنا كاره فقال معاوية قد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا وقوله

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ● على نائبات الدهر حين تنوب

نظيره قول كثير أقول لها يا عز كل مصيبة ● اذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وكان عبد الملك بن مروان يقول لو كان قال هذا البيت فى صفة الحرب لكان أشعر الناس وحكى عن بعض الصالحين ان ابنا له مات فلم ير به جزع فقيل له فى ذلك فقال هذا أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وجه على بن أبى طالب رضى الله عنه جرير بن عبد الله البجلى الى معاوية رحمه الله

باخذه

العويص والطرق المتوعرة والألفاظ المستنكرة وتلزيق المتكلفين وتلفيق أصحاب الأهواء من المتكلمين حتى نظر الى من لا يعلم مقادير ما اختزنها الله من المنافع وغشاها من البراهين وألزمها من الدلالة عليه وأنطقها به من الحجة له فنع من ذلك فرط الكبرة وافراط العلة وضعف المنة وانحلال القوة فلما وافق هذا الكتاب منا هذه الحال والتى قلوبنا على هذه الاشغال اجتنبنا ان نقصد من جميع ذلك الى فرق ما بين الرجل والمرأة فلما اعتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على

يأخذه بالبيعة له فقال له ان حولى من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ولكنى اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خير ذى يمن ائت معاوية فخذه بالبيعة فقال جرير والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتى شيأ وما أطمع لك فى معاوية فقال على رضى الله عنه انما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتاه جرير دافعه معاوية فقال له جرير ان المنافق لا يصلى حتى لا يجد من الصلاة بدا ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من البيعة بدا فقال له معاوية انها ليست بخدعة الصبى عن اللبن انه أمر له ما بعده فأبلعنى ريقى فناظر عمرا فطالت المناظرة بينهما وألح عليه جرير فقال له معاوية ألقاك بالفصل فى أول مجلس ان شاء الله تعالى ثم كتب لعمرو بمصر طعمة وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة فقال عمرو يا غلام اكتب ولا تنقض طاعة شرطا فلما اجتمع له أمره رفع عقيرته ينشد ليسمع جريرا

تطاول ليلى واعترتنى وساوسى • لآت أتى بالترهات البسابس

أتانى جرير والحوادث جمة • بتلك التى فيها اجتداع المعاطس

أكايده والسيف بينى وبينه • ولست لأثواب الدنى بلابس

ان الشام أعطت طاعة يمنية • تواصفها أشياخها فى المجالس

فان يفعلوا أصدم عليا بجبهة • تفت عليه كل رطب ويابس

(الجبهة جماعة الخيل) وانى لأرجو خير ما نال نائل • وما أنا من ملك العراق بيائس

وكتب الى على رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن صخر الى على بن أبى طالب أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم أبايعك وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يطعك أهل الشام وأما شرفك فى الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه ثم كتب اليه فى آخر الكتاب بشعر كعب بن جعيل وهو

أبواب يكثر عددها وتبعد غايتها فرأينا والله الموفق ان نقتصر منه على ما لا يبلغ بالمستمع الى السآمة وبالمألوف الى مجاوزة القدر وليس ينبغى لكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعانى الصعبة التى تستكد النفوس وتستفرغ المجهود والصبر غاية والاحتمال نهاية ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحا ببعض الهزل على ان الكتاب اذا كثر هزله سخف كما انه اذا كثر جده ثقل ولا بد للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط

أرى الشامَ تكرهُ مُلكَ العراق • وأهلَ العراقِ لهم كارهينا

وكلّا لصاحبه مُبغضًا • يرى كلَّ ما كان من ذاك دينا

اذا ما رمونا رميناهمُ • ودنّاهمُ مثلَ ما يقرضونا

فقالوا عليٌّ امامٌ لنا • فقلنا رضينا ابنَ هندٍ رضينا

وقالوا نرى أن تدينوا له • فقلنا ألا لا نرى أن ندينا

ومن دون ذلك خرطُ القتاد • وضربٌ وطعنٌ يُقِرُّ العيونا

وأحسن الروايتين بغض الشوونا وفى آخر هذا الشعر ذمٌّ لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه امسكنا عن ذكره قوله ولكنّك أغريتَ بعثمان المهاجرين فهو من الاغراء وهو التحضيض عليه يقال أغريتُه به وآسدتُه عليه وآسدتُ الكلبَ على الصيد أوسدُه ايسادًا ومن قال أشليتُ الكلب فى معنى أغريتُ فقد أخطأ انما أشليتُه دعوتُه الىّ وآسدتُه أغريتُه وقول ابن جعيل وأهلَ العراق لهم كارهينا محمول على أرى ومن قال وأهلُ العراق لهم كارهونا فالرفع من وجهين أحدهما قطعٌ وابتداءٌ ثم عطفَ جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقا وعمروٌ منطلقٌ الساعة خبّرتَ بخبر بعد خبر والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالا فيكون معناها اذ كما تقول رأيت زيدا قائما وعمرو منطلق تريد اذ عمروٌ منطلق وهذه الآية تُحمَل على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسُهم والمعنى والله أعلم اذ طائفةٌ فى هذه الحال وكذلك قراءة من قرأ ولو أنّ ما فى الأرض من شجرة أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعده سبعةُ أبحر أى والبحرُ هذه حاله ومن قرأ والبحرَ فعلى أنّ وقوله ودنّاهم مثلَ ما يقرضونا يقول جزيناهم وقال المفسرون فى قوله عز وجل مالكِ يومِ الدين قالوا يومِ الجزاء والحساب ومن أمثال العرب كما تَدِين تُدان وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعق الكلابىّ وله خبر)

واعلمْ وأيقنْ أنّ مُلكَك زائلٌ • واعلمْ بأنّ كما تَدِين تُدانُ

وللدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودينُ الاسلام من ذلك يقال فلان فى دين فلان أى فى طاعته ويقال كانت مكة بلدًا لَقاحًا أى لم يكونوا فى دين مَلِك وقال زهير

لئن حللتَ بجوٍّ فى بنى أسدٍ • فى دينِ عمرٍو وحالتْ بيننا فَدَكُ

القارئ وينفى النعاس عن المستمع فان وجد فى كتابنا هذا بعض ما ذكرنا فليعلم ان قصدنا فى ذلك انما كان على جهة الاستدعاء لقلبه والاستمالة لسمعه وبصره والله تعالى نسأل التوفيق

(فصل منه فى ذكر العشق)
رجلان من الناس لا يعشقان عشق الاعراب أحدهما الفقير المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ أقصاه والملك الضخم الشان لان فى الرياسة الكبرى وفى جواز الأمر ونفاذ النهى وفى ملك رقاب الأمم ما يشغل شطر قوى العقل عن التوغل فى الحب

فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند والدين العادة يقال مازال هذا ديني ودأبي وعادتي وديدني وإجريّاي قال المثقب العبدي تقول اذا درأت لها وضيني ● أهذا دينه أبدا وديني
أكل الدهر حل وارتحال ● أما تبقي علي وما يقيني
وقال الكميت بن زيد على ذاك اجرياي وهي ضريبتي ● وان أجلبوا طرا علي وأحلبوا
وقوله فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعني معاوية بن أبي سفيان وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وقوله أن تدينوا له أي أن تطيعوه وتدخلوا في دينه أي في طاعته وقوله ومن دون ذلك خرط القتاد فهذا مثل من أمثال العرب والقتاد شجيرة شاكة غليظة أصول الشوك فلذلك يضرب خرطه مثلا في الأمر الشديد لانه غاية الجهد ومن قال يفض الشؤونا فيفض يفرق تقول فضضت عليه المال والشؤون واحدها شأن وهي مواصل قبائل الرأس وذلك ان للرأس أربع قبائل أي قطع مشعوب بعضها الى بعض فموضع شعبها يقال الشؤون واحدها شأن وزعم الأصمعي قال يقال ان مجاري الدموع منها فلذلك يقال استهلت شؤونه وأنشد قول أوس بن حجر لا تحزنيني بالفراق فانني ● لا تستهل من الفراق شؤوني
ومن قال يقر العيونا ففيه قولان أحدهما للأصمعي وكان يقول لا يجوز غيره يقال قرت عينه وأقرها الله وقال انما هو بردت من القر وهو خلاف قولهم سخنت عينه وأسخنها الله وغيره يقول قرت هدأت وأقرها الله أهدأها الله وهذا قول حسن جميل والأول أغرب وأظرف فكتب اليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جواب هذه الرسالة بسم الله الرحمن الرحيم من علي ابن أبي طالب الى معاوية بن صخر أما بعد فانه أتاني منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه زعمت أنك انما أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وبعد فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بني أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فان زعمت انك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم الي واما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير وأهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هناك الا سواء لانها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر وأما شرفي في

والاحتراق في العشق (فصل منه) كثيرا ما يعتري العشاق والمحبين غير المحترقين كالرجل تكون له جارية وقد حلت من قلبه محلا وتمكنت منه تمكنا ولا يحنث أصل ذلك الحب الغضبة تعرض وكثرة التأذي بالخلاف يكون منها فيوجد الفترة عنها بعض هذه الحالات التي تعرض فتظن انه قد سلا أو تظن انه في عزاية على فقدها محتملا مبيعها ان كانت أمة أو طلاقها ان كانت زوجة فلا ينشب ذلك الغضب أن يزول وذلك الأذى ان ينسى فتحرك له الدفائن

الاسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب فقال له ان ابن جعيل شاعر أهل الشأم وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعني قوله قال اذا أسمعك شعر شاعر فقال النجاشي يجيبه

دعا يا معاوي ما لن يكونا * فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم علي بأهل العراق * وأهل الحجاز فما تصنعونا

وبعد هذا ما نسأل عنه قوله ليس له بصر يهديه فمعناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيدل والحادي الذي يتأخر فيسوق والعنق يسمى الهادي لتقدمه قال الأعشى

اذا كان هادي الفتى في البلا * د صدر القناة أطاع الأميرا

يصف انه قد عمي فاعتمد به عصا الا تراه يقول

وهاب العثار اذا ما مشى * وخال السهولة وعثا وعورا

وقال القطامي

اني وان كان قومي ليس بينهم * وبين قومك الا ضربة الهادي

وقال أيضا

قربن يقصرن من بزل مخيسة * ومن عراب بعيدات من الحادي

وقوله ولا قائد يرشده قد أبان به الأول وقوله دعاه الهوى فالهوى من هويت مقصور وتقديره فعل فانقلبت الياء ألفا فلذلك كان مقصورا وانما كان كذلك لانك تقول هوي يهوى كما تقول فرق يفرق وهو هو كما تقول هو فرق كما ترى وكان المصدر على فعل بمنزلة الفرق والحذر والبطر لان الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل فاما الهواء من الجو فممدود يدلك على ذلك جمعه اذا قلت أهوية لان أفعلة انما تكون جمع فعال وفعال وفعول وفعيل كما تقول قذال وأقذلة وحمار وأحمرة فهواء كذلك والمقصور جمعه أهواء فاعلم لانه على فعل وجمع فعل أفعال كما تقول جمل وأجمال وقتب وأقتاب قال الله عز وجل واتبعوا أهواءهم وقوله هذا هواء يا فتى في صفة الرجل انما هو ذم يقول لا قلب له قال الله عز وجل وأفئدتهم هواء أي خالية وقال زهير

كأن الرحل منها فوق صعل * من الظلمان جؤجؤه هواء

وهذا من هواء الجو قال الهذلي

هواء مثل بعلك مستميت * على ما في وعائك كالخيال

وكل واو مكسورة وقعت أولا فهمزها جائز ينشد على ما في اعائك ويقال وسادة واسادة ووشاح

واشاح

ويثمر ذلك الغرس فيتبعها قلبه فاما ان يسترجع الأمة من مبتاعها باضعاف ثمنها أو يسترجع الزوجة بعد أن نكحت فان تصبر وأمكنه الصبر لم يزل معذبا وان أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العقاب والنكس فليحذر الحازم الفترة يجدها في حب حبيبه والغضبة التي تنسيه عواقب أمره

(فصل منه) قال ابراهيم ابن السيدي حدثني عبد الملك بن صالح قال ان عيسى بن موسى قد خلا بنفسه وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع اذ صرت به

واشاح وأما قوله فما أنت وعثمان فالرفع فيه الوجه لانه عطف اسما ظاهرا على اسم مضمر منفصل وأجراه مجراه وليس ههنا فعل فيحمل على المفعول فكأنه قال فما أنت وما عثمان هذا تقديره في العربية ومعناه لست منه في شئ قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوزه جوازا حسنا وجعله مفعولا معه وأضمر كان من أجل الاستفهام تقديره عنده ما كنت وفلانا وهذا الشعر كما أصف لك ينشد

وأنت امرؤ من أهل نجد وأهلنا ❊ تهام وما النجدي والمتغور

وكذلك قوله (هو زياد الأعجم) تكلفني سويق الكرم جرم ❊ وما جرم وماذاك السويق

فان كان الأول مضمرا متصلا كان النصب لئلا يحمل ظاهر على مضمر تقول مالك وزيدا وذلك أنه اضمر الفعل فكانه قال في التقدير وملابستك زيدا وفي النحو تقديره مع زيد وانما صلح الاضمار لان المعنى عليه اذا قلت مالك وزيدا فانما تنهاه عن ملابسته اذ لم يجز وزيد واضمرت لان حروف الاستفهام للافعال فلو كان الفعل ظاهرا لكان على غير اضمار نحو قولك ما زلت وعبد الله حتى فعل لانه ليس يريد ما زلت وما زال عبد الله ولكنه أراد ما زلت بعبد الله فكان المفعول مخفوضا بالباء فلما زال ما يخفضه وصل الفعل اليه فنصبه كما قال تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا قالوا وفي معنى مع وليست بخافضة فكان ما بعدها على الموضع فعلى هذا ينشد هذا الشعر (هو لمسكين الدارمي)

فمالك والتلدد حول نجد ❊ وقد غصت تهامة بالرجال

ولو قلت ما شأنك وزيدا لاختير النصب لان زيدا لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشئ أبدا في مثل حاله ولو قلت ما شأنك وشأن زيد لرفعت لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تفسر على وجهين من الاعراب أحدهما هذا وهو الأجود فيها وهو قوله عز وجل فأجمعوا أمركم وشركاءكم فالمعنى والله أعلم مع شركائكم لانك تقول جمعت قومي وأجمعت أمري ويجوز أن يكون لما أدخل الشركاء مع الأمر حمله على مثل لفظه لان المعنى يرجع الى شئ واحد فيكون كقوله (هو عبد الله بن الزبعرى)

يا ليت زوجك قد غدا ❊ متقلدا سيفا ورمحا

وقال آخر ❊ شراب ألبان وتمر وأقط ❊ وهذا بيّن وروى ان عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا فقال يا أخي لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك فقال له خالد بئس والله ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين فقال ان خيلي مرت به فعبث بها وأصغرني فقال له خالد

جارية كأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها جمارة وكأنها قضيب فضة فحركت نفسه وخاف ان تخذله قوته ثم طمع في القوة لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله لو عجز كيف يكون حاله فلما فكر فتر فاقبل كالمخاطب لنفسه فقال انك لتجلسيني هذا المجلس وتحمليني على هذا المركب ثم تخذليني هذا الخذلان وتغشيني مثل هذا الذل ولولا حيرة الخجل لم أستعمل ما لا يقبل وذلك انه حين رأى ان أبلغ الحيل في توهمها ان العجز لم يكن من قبله ان

أنا أكفيك فدخل خالد على عبد الملك والوليدُ عنده فقال يا أمير المؤمنين الوليدُ ابن أمير المؤمنين
ووليّ عهد المسلمين مرّت به خيل ابن عمه عبد الله بن يزيد فعبث بها وأصغره وعبدُ الملك مُطرقٌ
فرفع رأسه فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون
فقال خالد واذا أردنا أن نُهلك قريةً أمرنا مُترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القولُ فدمّرناها تدميرا
فقال عبد الملك أفي عبد الله تُكلّمني والله لقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحنا فقال له خالد أفعلى
الوليد تُعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال له خالد وان كان عبد الله
يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تُعدّ في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع
يا أمير المؤمنين ثم أقبل عليه وقال ويحك فمن العيرُ والنفيرُ غيري جدّي أبو سفيان صاحبُ العير
وجدّي عُتبة بن ربيعة صاحبُ النفير ولكن لو قلتَ غُنيماتٌ وحُبيلاتٌ والطائفُ ورحم الله
عثمان لقلنا صدقتَ أما قوله في العير فهي عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشأم فنهد اليها
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وندب اليها المسلمين وقال لعلّ الله ينفلكموها فكانت وقعة بدر
وساحل أبو سفيان بالعير وكانت الغنيمةُ ببدر كما قال الله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
أنها لكم وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي غير الحرب فلما ظفر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأهل بدر قال المسلمون انهد بنا يا رسول الله الى العير فقال العباس رحمه الله انما وعدكم
الله احدى الطائفتين وأما النفير فمن نفر من قريش ليدفع عن العير فجاؤا فكانت وقعة بدر وكان
شيخُ القوم عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهو جدّ خالد من قبل جدّته هند أم معاوية بنت عُتبة
ومن أمثال العرب لستَ في العير يومَ يحدون بالعيس ولا في النفير يومَ النفير
ثم اتسع هذا المثلُ حتى صار يقال لمن لا يصلح لخير ولا لشر ولا يُحفل به لا في العير ولا في النفير وقوله
غنيمات وحبيلات يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطرد الحكمَ بن أبي العاصي بن أُميّة
وهو جدّ عبد الملك بن مروان لجأ الى الطائف فكان يرعى غُنيمات ويأوي الى حُبيلة وهي الكرمة
وقوله رحم الله عثمان أي لردّه اياه وقولنا أطرده أي جعله طريدا وطردته نفيته كما تقول حمدته أي
شكرته وأحمدته أي صادفته محمودا وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ردّه متى أفضى الأمرُ اليه روى ذلك الفقهاءُ

يقول لها تعرضين لي
وأنت تفلة ثم لا ترجين
بادئك ولا تستهدفين
لسيدك ولا تعينين على
نفسك حتى كانك عند
عبد يشبهك أو سوقة
لا يقدر الا على مثلك اما
لو كنت من بنات ملوك
العجم لألفاك سيدك
على أجود صنعة وعلى
أحسن طاعة اذ كل رجل
ينبسط للتمتع مع التفل
(فصل منه) ولم أسمع
ولم أقرأ في الأحاديث
المولدة في شأن العشاق
وما صنع العشق في القلوب
والاكباد والاحشاء
والزفرات والحنين وفي
الندابة والتولية ومتى
تستعبر الدمعة ومتى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال رجل من بنى أسد بن خزيمة يمدح يحيى بن حيان أخا الفتح بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج وهو مالك

ألا جعل الله اليمانين كلهم • فدى لفتى الفتيان يحيى بن حيان

ولولا عروق فى من عصبية • لقلت وألفا من معد بن عدنان

ولكن نفسى لم تطب بعشيرتى • وطابت له نفسى بأبناء قحطان

وهذا من التعصب المفرط وحدثنى شيخ من الأزد ثقة عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه فقيل له ألا تدعو لأمك فقال إنها تميمية وسمع رجل يطوف بالبيت وهو يدعو لأمه ولا يذكر أباه فعوتب فقال هذه ضعيفة وأبى رجل يحتال لنفسه وحدثنى المازنى عمن حدثه قال رأيت رجلا يطوف بالبيت وأمه على عنقه وهو يقول

أحمل أمى وهى الحماله • ترضعنى الدرة والعلاله • ولا يجازى والد فعاله

قوله الدرة فهو اسم ما يدر من ثديها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك والعلالة لا تكون الا بعد يقال عله يعله ويعله علا والاسم العلالة وكل شئ كان على فعلت من المدغم فضارعه اذا كان متعديا الى مفعول يكون على يفعل نحو رده يرده وشجه يشجه وفره يفره فاذا قلت فر يفر فانما ذاك لانه غير متعد الى مفعول ولكن تقول فررت الدابة أفرها وجاء فعل يفعل من المتعدى فى ثلاثة أحرف يقال عله يعله ويعله وهره يهره ويهره اذا كرهه ويقال أحبه يحبه وجاء حبه يحبه ولا يكون فيه يفعل قال الشاعر

لعمرك اننى وطلاب مصر • لكالمزداد مما حب بعدا

وقال آخر

وأقسم لولا تمره ما حببته • وكان عياض منه أدنى ومشرق

وقرأ أبو رجاء العطاردى فاتبعونى يحبكم الله فيفعل فى هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حببت والآخر أنه أدغم فى موضع الجزم وهو مذهب تميم وقيس وأسد وجماعة من العرب يقولون رد يا فتى يدغمون ويحركون الدال الثانية لالتقاء الساكنين فيتبعون الضمة الضمة ومنهم من يفتح لالتقاء الساكنين فيقول رد يا فتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول رد يا فتى فيكسر لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسورا ففيه وجهان تقول فر يا فتى للاتباع والاصل فى التقاء الساكنين وتفتح لان الفتح أخف الحركات واذا كان مفتوحا فالفتح للاتباع

يعترى العين الجود

﴿فصل منه﴾ ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأة فى جلة القول فى الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغى لنا ان نقصر فى حقوق المرأة وليس ينبغى لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الاخوة والأخوات والبنون والبنات وانا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم

﴿فصل من احتجاجه للاماء﴾

قال بعض من احتج العلة التى من أجلها صار أكثر الاماء أحظى عند الرجال من أكثر المهيرات ان

ولانه أخف الحركات والكسر على أصل التقاء الساكنين نحو عَضِّ يافتى وعَضِ يافتى فاذا لقيته ألف ولام فالأجود الكسر من أجل ما بعده وهى لام المعرفة نحو

فَغُضِّ الطرفَ انَّك من نُمَيرٍ • (فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا)

ومنهم مَن يُجريه مُجرى الأول فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة فى الأول فيقول (هو جرير)

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلة اللوى • والعيشَ بعد أولئك الأيامِ

ومن كان من شأنه أن يُتبع أو يكسر فعلى ذلك ومما جاء فى القرآن على لغة من يكسر قوله عز وجل ومن يُشاقِّ اللهَ فان اللهَ شديدُ العقابِ وأما أهل الحجاز فيُجرونه على القياس الأصلى فيقولون اردُدْ واغْضُضْ ويقولون افرِرْ من زيد واعْضَضْ لما سكن الثانى ظهر التضعيف لانه لا يلتقى ساكنان وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مُطَّرِدٌ بيِّنٌ وقد شرحناه فى الكتاب المُقتضَب على حقيقة الشرح وقال الآخر

اذا ضَيَّقتَ أمرا ضاق جدًّا • وان هوَّنتَ ماقد عزَّ هانا

فلا تَهْلِكْ لشئٍ فات يأسا • فكم أمرٍ تصعَّب ثم لانا

سأصبر من رفيقى ان جفانى • على كل الأذى الا الهوانا

فانَّ المرءَ يجزع فى خلاءٍ • وان حضر الجماعة أن يُهانا

وقال آخر أحسبه من لصوص بنى سعد (قال أبو الحسن هو عُبيد بن أيوب العنبرى وأنشدهذا الشعر ثعلب)

فانى وتركى الانس من بعد حبهم • وصبرى عمّن كنتُ ما ان أزايلُهْ

لكالصقر جلَّى بعد ما صاد قنيةً • قديرا ومشويًّا عبيطا خرادلُهْ

أهابوا به فازداد بعدًا وصدَّهُ • عن القرب منهم ضوء برقٍ ووابلُهْ

ألم ترنى صاحبتُ صفراء نبعةً • لها ربذىٌّ لم تُفَلَّلْ معابلُهْ

وطال احتضانى السيفَ حتى كانما • يُلاط بكشحى جفنُه وحمائلُهْ

أخو فلواتٍ صاحَبَ الجن وانتحى • عن الانس حتى قد تقضَّتْ وسائلُهْ

له نسبُ الانسىِّ يُعرف نَجرُهُ • وللجنِّ منه شكلُهُ وشمائلُهْ

قوله وصبرى عمّن كنتُ ما ان ازايله ان زائدة وهى تُزاد مغيِّرة للاعراب وتُزاد توكيدا وهذا موضع

الرجل قبل ان يملك الامة قد تأمل كل شئ منها وعرفه ماخلا الحظوة الخلوة فاقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقة والحرة انما تشارف جمالها النساء والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا والرجال بالنساء أبصر وانما تعرف المرأة من المرأة ظاهر الصفة وأما الخصائص التى تقع بموافقة الرجال فانها لا تعرف ذلك وقد تحسن المرأة ان تقول كأن أنفها السيف وكان عينها عين غزال وكان عنقها ابريق فضة وكان ساقها جمارة

ذلك فالموضع الذى تُغَيِّرُ فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية تقول ما زيدٌ أخاك وما هذا بشرا فاذا أدخلت ان هذه بطل النصب بدخولها فقلت ما ان زيدٌ منطلق قال الشاعر (هو فروة بن مسيك المرادى)

وما ان طبُّنا جُبنٌ ولكن ● منايانا ودولةُ آخرينا

فزعم سيبويه انها منعت ما العمل كما منعت ما انّ الثقيلة أن تنصب تقول ان زيدا منطلق فاذا أدخلت ما صارت من حروف الابتداء ووقع بعدها المبتدا وخبره والأفعال نحو انما زيد أخوك وانما يخشى الله من عباده العلماء ولولا مالم يقع الفعل بعدان لان ان بمنزلة الفعل ولا يلى فعل فعلا لانه لا يعمل فيه فأما كان يقوم زيدٌ وكاد تزيغ قلوب فريق منهم ففى كان وكاد فاعلان مكنيان وما تزاد على ضربين فاحدهما أن يكون دخولها فى الكلام كالغائها نحو فبما رحمة من الله لنت لهم أى فبرحمة وكذلك مما خطيئاتهم أغرقوا وكذلك مثلا ما بعوضة وتدخل لتغير اللفظ فتوجب فى الشئ مالولا هى لم يقع نحو ربما ينطلق زيد وربما يود الذين كفروا ولولا مالم تقع رب على الافعال لانها من عوامل الأسماء وكذلك جئت بعدما قام زيد كما قال المرار (هو المرار الفقعسى)

أعلاقةً أمَّ الوليد بعدما ● أفنانُ رأسك كالثغام المخلس

فلولا مالم يقع بعدها الا اسم واحد وكان مخفوضا باضافة بعد اليه تقول جئتك بعد زيد وقوله كالصقر جلى تأويل التجلى أن يكون يحس شيأ فيتشوف اليه فهذا معنى جلى قال العجاج

● تجلى البازى اذا البازى كسر ● أى نظر ويقال تجلى فلان فلانة تجليا واجتلاها اجتلاء أى نظر اليها وتأملها والأصل واحد وقوله قديرا هو ما طبخ فى القدر يقال قدير ومقدور كقولك قتيل ومقتول وقوله عبيطا خرادله فالعبيط الطرى يقال لحم عبيط اذا كان طريا وكذلك دم عبيط ويقال اعتبط فلان بكرته اذا نحرها شابة من غير علة وكذلك اعتبط فلان اذا مات شابا قال أمية (بن أبى الصلت الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعى)

من لم يمت عبطة يمت هرما ● الموت كأس فالمرء ذائقها

وحدثنى الزيادى ابراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد قال تحدث رجل من الأعراب قال نزلت برجل من طيئ فنحر لى ناقة فأكلت منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلت ان عندك من اللحم ما يغنى ويكفى فقال انى والله لا أطعم ضيفى الا لحما عبيطا قال وفعل ذلك فى

وكان شعرها العناقيد وكان أطرافها المدارى وما أشبه ذلك وهناك أسباب أخر بها يكون الحب والبغض

(فصل منه) وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شئ تشبه به ولكنهم اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ويقول بعضهم كانها الشمس وكانها القمر والشمس وان كانت بهية فانما هى شئ واحد وفى وجه الجارية الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب

اليوم الثالث وفي كل ذلك آكل شيأ وبأكل الطائيّ أكل جماعة ثم نُؤتى باللبن فأشربُ شيأ ويشرب عامَّة الوطْب فلما كان في اليوم الثالث ارتقبتُ غفلته فاضطجع فلما امتلأ نوما استقت قطيعا من ابله فأقبلتُ الفجّ فانتبه واختصر على الطريق حتى وقف لى في مضيق منه فألقم وتره فوق سَهمه ثم نادى بى لتطب نفسُك عنها قلت أرنى آية فقال انظر الى ذلك الضب فاني واضعٌ سهمى في مغرز ذنبه فرماه فأندر ذنبه فقلت زدني فقال انظر الى أعلى فقاره فرماه فأثبت سهمه في الموضع ثم قال لى الثالثة والله في كبدك قال فقلت شأنك بابلك فقال كلا حتى تسوقها الى حيث كانت قال فلما انتهيت بها قال فكرت فيك فلم أجد لى عندك ترة تطالبني بها وما أحسب الذى حملك على أخذ ابلى الا الحاجة قال قلت هو والله ذاك قال فاعمد الى عشرين من خيارها فخذها فقلت اذًا والله لا أفعل حتى تسمع مدحك والله ما رأيت رجلا أكرم ضيافة ولا أهدى لسبيل ولا أرمى كفا ولا أوسع صدرا ولا أرغب جوفا ولا أكرم عفوا منك قال فاستحيا فصرف وجهه عنى ثم قال انصرف بالقطيع مباركا لك فيه وقوله خراذيله يعني قطعه يقال ضربه ضربا فخذله وقاويله قطّعه كما قال ٭ والضربُ يمضى بيننا خراذلا ٭ وقوله أهاب به يقول دعوه يقال أبَّه به وأهاب به أى ناداه قال القرشيّ أهابَ بأحزان الفؤاد مهيبُ ٭ وماتت نفوسٌ للهوى وقلوبُ

وقوله ضوءُ برقٍ ووابله أراد صَدَّه عنهم ضوءُ برقٍ ووابلُه فأضاف الوابل من المطر الى البرق وانما الاضافة الى الشئ على جهة التضمين ولا يضاف الشئ الى الشئ الا وهو غيره أو بعضه فالذى هو غيره غلام زيد ودار عمرو والذى هو بعضه ثوب خزّ وخاتم حديد وانما أضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاورة وانهما راجعان الى السحابة وقد يضاف ما كان كذا على السعة كما قال الشاعر حتى أنخت قلوصى في دياركم ٭ بخير من يحتذى نعلا وحافيها

فاضاف الحافى الى النعل والتقدير حاف منها وقوله ألم ترنى صاحبت صفراء نبعة فالنبع خير الشجر للقسى ويقال ان النبع والشوحط والشريان شجرة واحدة ولكنها تختلف أسماؤها وتكرم وتحسن بمنابتها فما كان في قلة الجبل منها فهو النبع وما كان في سفحه فهو الشوحط وما كان في الحضيض فهو الشريان وقوله لها ارنذى بريد وترا شديد الحركة عند دفع السهم يقال رجل رَبذ اليد اذا كان يكثر الضرب بالدية والعبث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه وكان

العيب ومن يشك أن عين المرأة الحسناء أحسن من عين البقرة وأن جيدها أحسن من جيد الظبية والأمر فيما بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم (فصل منه) ورأيت أكثر الناس من البصراء بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة ولابد من جودة القد وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولابد من أن تكون كاسية العظام بين

الأصل رَبذيٌّ لانه رَبذٌ ولكن ما كان من فَعِل فنُسب اليه فتح موضع العين منه استثقالا لاجتماع ياءي النسب وكسرة اللام لان ياءي النسب تكسران ما تليانه فلم يدعوا مع ذلك العين مكسورة تقول في النسب الى النمر بن قاسط نَمَرِيٌّ والى الحَبِطات حَبَطيٌّ والى شَقِرة وهو الحرث بن تميم بن مُرّ شَقَرِيٌّ وفي النسب الى عَمٍ عَمَوِيٌّ يا فتى وقوله لم تُفَلَّل معابله يريد لم ينكسر حدّها من الفلول وروى أن عروة بن الزبير سأل عبد الملك أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير فأخرجه اليه في سيوف مُنْتَضاة فأخذه عروة من بينها فقال له عبد الملك بم عرفته فقال بما قال النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

والمِعْبَلة واحدة المعابل وهي سهم خفيف قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي • وفي البَجَلي مِعْبَلةٌ وقيعُ

باسكان الجيم لا غير (قال أبو الحسن بجيلة قبيلة من بني الهجيم من اليمن)

(باب)

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساء هن شرف من هن منه منهن أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وآمنة بنت سعيد بن العاصي بن أمية ورملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ففي ذلك يقول بعض الشعراء يحرض عليه عبد الملك

عليك أمير المؤمنين بخالد • ففي خالد عما تحب صدود

اذا ما نظرنا في مناكح خالد • عرفنا الذي ينوي وأين يريد

فطلق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك ففي ذلك يقول خالد

فتاة أبوها ذو العصابة وابنه • وعثمان ما أكفاؤها بكثير

فان تفتلتها والخلافة تنقلب • بأكرم علق منبر وسرير

قوله أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاصي بن أمية وذلك أن قومه يذكرون انه كان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له وينشدون

أبو أحيحة من يعتم عمته • يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

ويزعم الزبيريون أن هذا البيت باطل موضوع وقوله فان تفتلتها يقول تأخذها فجاءة ومن ذلك

الممتلئة والقضيفة والغمار يدون بقولهم مجدولة جودة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول ولذلك قالوا خمصانة وسيقانة وكانها جان وكانها جدل عنان وكانها قضيب خيزران والتثني في مشيها أحسن ما فيها ولا يكون ذلك الضخمة والسمينة وذات الفضول والزوائد على ان النحافة في المجدولة أعم وهي بهذا المعنى أعرف ولم أر المجدولة أعم وهي بهذا المعنى تحبب على السمان الضخام وعلى الممشوقات والقضاف كما يحبب هذه الأصناف

قول الشاعر مَن يأمنُ الأيّامَ بعد صُبيرةَ القرشيِّ ماتا

سبقت منيّتُه المشيبَ وكان ميتتُه افتلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة فى الرواية المشهورة وبالضاد معجمة رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين ورواية ابن سراج برفع يأمنُ على الاستفهام) وفى الحديث أن رجلاً قال يارسول الله ان أمى افتُلتت أى ماتت فجاءة ويروى ان آمنة لبثت عند الوليد فلما هلك عبد الملك سعى بها ساع الى الوليد قال أبو العباس وبلغنى أنها سعت بها احدى ضرّاتها الى الوليد بانها لم تبكِ على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد فى ذلك فقالت صدق القائل أكنت قائلة ماذا أقول ياليته كان بقى حتى يقتل أخالى آخر كعمرو بن سعيد وفى رملة بنت الزبير يقول خالد

تجول خلاخيل النساء ولا أرى * لرملة خلخالاً يجول ولا قُلبا

فلا تكثروا فيها الملام فاننى * تخيّرتها منهم زبيريّة قلبا

أحبّ بنى العوّام طرّا لحبّها * ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلبا

وزيد فيها فان تسلمى أسلم وان تتنصّرى * يعلّق رجال بين أعينهم صُلبا

فيروى ان عبد الملك ذكر له هذا البيت فقال له ياخالد أتروى هذا البيت فقال ياأمير المؤمنين على قائله لعنة الله وذكر العتبى ان الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى لما أكره عبد الله بن جعفر على أن زوّجه ابنته استأجله فى نقلها سنة ففكّر عبد الله بن جعفر فى الانفكاك منه فأُلقى فى روعه خالد بن يزيد فكتب اليه يعلمه ذلك وكان الحجاج تزوّجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلا فاستأذن من ساعته على عبد الملك فقيل له أفى هذا الوقت فقال انه أمر لا يؤخّر فأُعلم عبد الملك بذلك فأذن له فلما دخل عليه قال له عبد الملك فيم السرى يا أباهاشم قال أمر جليل لم آمن أن أؤخره فتحدث على حادثة فلا أكون قضيت حق بيعتك قال وما هو قال أتعلم انه ماكان بين حيين من العداوة والبغضاء ماكان بين آل الزبير وآل أبى سفيان قال لا قال فان تزويجى الى آل الزبير حلّل ماكان لهم فى قلبى فما أهل بيت أحبّ الىّ منهم قال فان ذلك ليكون قال فكيف أذنت للحجاج أن يتزوج فى بنى هاشم وأنت تعلم مايقولون ويقال فيهم والحجاج من سلطانك بحيث علمت قال فجزاه خيرا وكتب الى الحجاج بعزمة أن يطلقها فطلقها فغدا الناس عليه يعزّونه عنها فكان

على المجدولات ووصفوا المجدولة بالكلام المنثور فقالوا أعلاها قضيب وأسفلها كثيب

(فصل من صدر رسالته الى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك وعامة جند الخلافة)

وفقك الله وأرشدك وأعانك على شكره وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا واياك ممن يقول بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل مافيه مما قد يصد عنه ولا يكون حظه الوصف له والمعرفة به دون الحث عليه والانقطاع اليه وكشف القناع فيه وايصاله الى

فيمن

ومن أتاه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فأوقع الحجاج بخالد فقال كان الأمر لا بأنه فعجز عنه حتى انتزع منه فقال له عمرو بن عتبة لا تقل ذا أيها الامير فان لخالد قدما سبق اليه وحديثا لم يغلب عليه ولو طلب الأمر لطلبه بجد وجد ولكنه علم علما فسلم العلم الى أهله فقال الحجاج يا آل أبي سفيان انتم تحبون أن تحلموا ولا يكون الحلم الا عن غضب فنحن نغضبكم في العاجل ابتغاء مرضاتكم في الآجل ثم قال الحجاج والله لأتزوجن من هو أمس به رحما ثم لا يمكنه فيه شيء فتزوج أم الجلاس بنت عبد الله بن خالد بن أسيد أما قوله ألقى في روعه فان العرب تقول ألقى في روعي وفي قلبي وفي خلدي وفي تاموري كذا وكذا ومعناه كله واحد الا أن لهذه الأشياء مواضع مختصة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي فالروع والجيف غير مختلفين والعرب تقول أذهب الله قلبه ولا قلب له ولا تقول لا روع له فكأن الروع هو متصل بالقلب وعنه يكون الفهم خاصة ويقال رأيت قلب الطائر ولا يقال رأيت روع الطائر والتامور عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يفصح عنه فيجعله دم القلب خاصة الذي يبقى للانسان ما بقي يقال صبه في تامورك وفي قلبك وفي روعك وفي خلدك والدماء ممدود مثل التامور سواء تقول العرب ليس في الحيوان أطول ذماء من الضب وذلك انه يذبح ثم يطرح في النار بعد ان ظن أنه قد برد فيسعى من النار وقال رجل لابراهيم بن أدهم عظني فقال اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا وقال سعيد بن المسيب كنت بين القبر والمنبر مفكرا فسمعت قائلا يقول ولم أره اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا قال سعيد فلزمتهن فلم أر الا خيرا وقال الأصمعي كان من دعاء أبي الجبيب اللهم اجعل خير عملي ما قارب أجلي قال وكان يقول في دعائه اللهم لا تكلنا الى أنفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع قال وحدثني أبو عثمان المازني قال حدثني أبو زيد قال وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال الحمد لله كما هو أهله وأعوذ بالله ان أذكر به وأنساه خرجنا من المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين رجلا ممن أخرجته الحاجة وحمل على المكروه ولا يمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وان كرهوه والله يا قوم لقد جعت حتى أكلت النوى المحرق ولقد مشيت حتى انتعلت الدم وحتى خرج من قدمي بخص ولحم كثير أفلا رجل يرحم ابن سبيل وفل طريق ونضو سفر فانه لا قليل من الأجر ولا

أهله والصبر على المحافظة في ان لا يصل الى غيرهم والتثبت في تحقيقه لديهم فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون ان يكونوا عاملين وانما علمهم ليعلموا وبين لهم ليتقوا التورط في وسط الخوف والوقوع في المضار والتوسط في المهالك فلذلك طلب الناس التبيين وحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم وتجملوا مكروه ثقل المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين قال الأولون العارفون أكثر من الواصفين والواصفون أكثر من

غنيّ عن ثواب الله عز وجل ولا عملَ بعد الموت وهو الذى يقول جلّ ثناؤه من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له مَلِيٌّ وفيٌّ ماجدٌ واجدٌ جوادٌ لا يستقرض من عوز ولكنه يبلو الأخيار قال فبلغنى انه لم يبرح حتى أخذ ستين دينارا قوله بخص يريد اللحم الذى يركب القدم هذا قول الاصمعى وقال غيره هو لحم يخالطه بياض من فساد يحل فيه ويقال بخصت عينه بالصاد ولا يجوز الا ذلك ويقال بخسته حقه بالسين اذا ظلمته ونقصته كما قال الله عز وجل ولا تبخسوا الناس أشياءهم وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس ويدل على انه اللحم الذى قد خالطه الفساد قول الراجز (قال أبو الحسن على بن سليمان الأخفش الراجز هو أبو شراعة)

يا قدمى لا أرى لى مخلصا * مما أراه أو تعودا بخصا

وقوله فلّ فالفلّ فى أكثر كلامهم المنهزم الذاهب وفى خبر كعب بن معدان الاشعرى (الاشقرى بالقاف لا غير) انا آثرنا الحدّ على الفلّ يعنى مجاهدتهم عبد ربه الصغير لانه كان مقبلا على حربهم وتركهم قطريا لانه كان منهزما وفى حديث الحجاج بن علاط السلمى وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فى ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال وكانت له هناك أموال متفرقة وهو غريب بينهم انما هو احد بنى سليم بن منصور ثم أحد بنى بهز فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى احتاج ان أقول قال فقل قال أبو العباس وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول أقول على جهة الاحتيال غير الحق فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد وأكثر ما يقال فى هذا المعنى تقوّل كما قال الله عز وجل أم يقولون تقوّله فصار الى مكة فقالت قريش هذا لعمر الله عنده الخبر قال فقولوا فقالوا بلغنا ان القاطع قد خرج الى أهل خيبر فقال الحجاج نعم فقتلوا أصحابه قتلا لم يُسمع بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا لا نرى ان نُكارم به قريشا فندفعه اليهم فلا تزال لنا هذه اليد فى رقابهم وانما بادرت لجمع مالى لعلّى أصيب به من فلّ محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى اليه التجار ويتصل بهم الحديث قال فاجتهدوا فى أن جمعوا الىّ مالى أسرع جمع وسُرّوا أكثر السرور وقالوا بلا رغم وأتانى العباس وهو كالمرأة الواله فقال ويحك يا حجاج ما تقول قال فقلت أكاتم أنت على خبرى فقال اى والله قال فقلت فالبث علىّ شيأ حتى يخفّ موضعى قال فسرت اليه فقلت الخبر والله على

العاملين وانما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لان ثواب العمل مؤجل واحتمال ما فيه معجل وقد أعجبنى ما رأيت من شغفك بطاعة امامك واحتفالك لتدبير خليفتك واشفاقك من كل خلل يدخله وان دق ونول سلطانه وان صغر ومن كل أمر خالف هواه وان خفى مكانه وجالب رضاه وان قل ضرره ومن تخوفك ان تجد المتأول اليه متطرقا والعدو عليه متعلقا فان السلطان لا ينفك من متأول ناقم ومن محكوم عليه ساخط ومن معزول عن الحكم زار ومن متعطل متصنع

خلاف

خلاف ما قلت لهم خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتح خيبر وخلفته والله معرسا بابنة ملكهم وما جئتك الا مسلما فاطو الخبر ثلاثا حتى أعجز القوم ثم أشعه فانه والله الحق فقال العباس ويحك أحق ما تقول قلت اى والله قال فلما كان بعد ثلاثة تخلق العباس وأخذ عصاه وخرج يطوف بالبيت قال فقالت قريش يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة فقال كلا ومن حلفتم به لقد فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرس بابنة ملكهم فقالوا من أتاك بهذا الحديث فقال الذى أتاكم بخلافه ولقد جاءنا مسلما ثم أتت الاخبار من النواحى بذلك فقالوا أفلتنا الخبيث أولى له وأصل الفل مأخوذ من فللت الحديدة اذا كسرت حدها والنضو البالى المجهود ويقال ناقة نضو اذا جهدها السير وجمعه أنضاء وفلان نضو من المرض وقوله لا يستقرض من عوز فالعوز تعذر المطلوب يقال أعوز فلان فهو معوز اذا لم يجد والمعاوز فى غير هذا الموضع الثياب التى تبتذل ليصان بها غيرها وقوله ولكن ليبلو الاخبار يقال الله يبلوهم ويبتليهم ويختبرهم فى معنى وتأويله يمتحنهم وهو العالم عز وجل بما يكون كعلمه بما كان قال الله جل ثناؤه ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال رأيت أبا فرعون العدوى ومعه ابنتاه وهو فى سكة العطارين بالبصرة يقول

بنيتى صابرا أباكما * أنكما بعين من يراكما
الله ربى سيدى مولاكما * ولو يشاء عنهم أغناكما

وكان أبو فرعون وهو من بنى عدى الرباب بن عبد مناة بن أد وقال اليزيدى هو مولاهم وكان فصيحا وقدم قوم من الأعراب البصرة من أهله فقيل له تعرض لمعروفهم فقال

ولست بسائل الأعراب شيأ * حمدت الله اذ لم يأكلونى

وروى الاسدى انه افتقر رجل من الصيارفة بالحاح الناس فى أخذ أموالهم التى كانت لديه وتعذر أمواله التى كانت له عند الناس فسأل جماعة من الجيران أن يسيروا معه الى رجل من قريش كان موسرا من أولاد أجوادهم ليسد من خلته فساروا اليه فجلسوا فى الصحن فخرج اليهم يخطر بقضيب فى يده حتى ثنى وسادة فجلس عليها فذكروا حاجتهم وخلة صاحبهم مع قديم نعمته وقرب جواره فخطر بالقضيب ثم قال متمثلا (الشعر لنصيب وقيل لكثير والأول أثبت)

اذا المال لم يوجب عليك عطاءه * صنيعة تقوى أو صديق توامقه

ومن معجب برأيه ذى خطل فى بيانه مولع بتهجين الصواب وبالاعتراض على التدبير حتى كأنه رائد لجميع الأمة ووكيل لسكان جميع المملكة يضع نفسه فى مواضع الرقباء وفى مواضع التصفح على الخلفاء والوزراء لا يعذر وان كان مجاز العذر ظاهرا ولا يقف فيما يكون الشك محتملا ولا يصدق بأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وانه لا يعرف مصادر الرأى من لم يشهد موارده ومستدبره من لم يعرف مستقبله ومن

بخلت وبعض البخل حزم وقوة • فلم يفتلذك المال الا حقائقه

ثم أقبل على القوم فقال انا والله ما نجمد عن الحق ولا نتسدّق في الباطل وانّ لنا لحقوقا تشغل فضول أموالنا وما كل من أفلس من الصيارفة احتملنا لجبره فقوموا رحمكم الله قال فابتدر القوم الأبواب قوله فلم يفتلذك المال يقول لم يقتطع منك يقال فلذ له من العطاء أي قطع له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين قال الغلامان في القوم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف وفلان وفلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها وقال أبو قحافة أعشى باهلة يعني المنتشر بن وهب الباهلي

تكفيه فلذة كبد ان ألمّ بها • من الشواء ويكفي شربه الغمر

قال عبد الملك بن عمير استعمل عتبة بن أبي سفيان رجلا من آله على الطائف فظلم رجلا من أزد شنوءة فأتى الأزدي عتبة فمثل بين يديه فقال

أمرت من كان مظلوما ليأتيكم • فقد أتاكم غريب الدار مظلوم

ثم ذكر ظلامته فقال له عتبة اني أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة فقال أرأيت ان أنبأتك ذلك أتجعل لي عليك مسئلة قال نعم فقال الاعرابي

انّ الصلاة أربع وأربع • ثم ثلاث بعدهن أربع • ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال صدقت فاسئل فقال كم فقار ظهرك فقال لا أدري فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك قال ردوا عليه غنيمته قوله فقارا انما هو جمع فقارة ويقال فقرة فمن قال في الواحد فقرة قال في الجميع فقر كقولك كسرة وكسر ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فقار كقولك دجاجة ودجاج وحمامة وحمام وشهد اعرابي عند معاوية بشيء كرهه فقال له معاوية كذبت فقال الأعرابي الكاذب والله متزمل في ثيابك فقال معاوية وتبسم هذا جزاء من عجل قال أبو العباس قرأت على عبد الله بن محمد المعروف بالتوزي عن أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي قال كانت السواقط تردُ اليمامة في الأشهر الحرم لطلب التمر فان وافقت ذلك والا أقامت بالبلد الى أوانه ثم تخرج منه في شهر حرام فكان الرجل منهم اذا قدم يأتي رجلا من بني حنيفة وهم أهل اليمامة أعني بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن

محروم قد أضغنه الحرمان ومن لئيم قد أفسده الاحسان ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه وهو لجهله بقدره ولضيق ذرعه ولقلة شكره يظن ان الذي بقي له أكثر وحقه أوجب ومن مستزيد لو ارتجع السلطان سالف أياديه البيض عنده ونعمته السالفة عليه لكان لذلك أهلا وله مستحقا قد غره الأمل وأبطره دوام الكفاية وأفسده طول الفراغ ومن صاحب للفتنة خامل في الجماعة رئيس في الفرقة نعاق في الهرج

دُعْمِي بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزار فيكتب له على سهم أو غيره فلان جار فلان والسواقط من وَرَدَ اليمامة من غير أهلها وقد كان النُّعمان بن المُنذر أراد أن يجليهم منها فأجارهم مُرارة بن سُلمى الحنفي ثم أحد بنى ثعلبة بن الدول بن حنيفة فسوّغه الملك ذلك فقال أوس بن حجر يحض النعمان عليه

زَعَمَ ابنُ سُلمى مُرارةُ انه • مَولَى السَّواقط دون آل المُنذر

مَنَعَ اليمامة حَزنها وسُهولها • من كل ذى تاج كريم المَفخر

وذكر أبو عبيدة أن رجلاً من السواقط من بنى أبى بكر بن كلاب قدم اليمامة ومعه أخ له فكتب له عُمير بن سُلمى أنه له جار وكان أخو هذا الكلابي جميلاً فقال له قرين أخو عمير لا تردن أبياتنا بأخيك هذا فرآه بعد بين أبياتهم فقتله قال أبو عبيدة وأما المولى فذكر أن قريناً أخا عمير كان يتحدث الى امرأة أخي الكلابي فعثر عليه زوجها فخافه قرين عليها فقتله وكان عمير غائباً فأتى الكلابي قبر سُلمى أبي عمير وقرين فاستجار به وقال (قال أبو الحسن الأخفش قال أبو العباس قرين ووجدته بخط دماذ صاحب أبى عبيدة قُرَين)

واذا استجرتَ من اليمامة فاستجر • زيدَ بن يربوع وآلَ مُجَمِّع

وأتيتُ سُلمِيًّا فعُذتُ بقبره • وأخو الزمانة عائذ بالأمنع

أقرينُ انك لو رأيتَ فوارسي • بعمايتين الى جوانب ضلفع

حدثتَ نفسك بالوفاء ولم تكن • للغدر خائنة مغلّ الاصبع

فلجأ قرين الى قتادة بن مسلمة بن عُبيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة فحمل قتادة الى الكلابي ديات مضاعفة وفعلت وجوه بنى حنيفة مثل ذلك فأبى الكلابي أن يقبل فلما قدم عمير قالت له أمه وهى أم قرين لا تقتل أخاك وسق الى الكلابي جميع ماله فأبى الكلابي أن يقبل وقد لجأ قرين الى خاله السمين بن عبد الله فلم يمنع عميراً منه فأخذه عمير فمضى به حتى قطع الوادى فربطه الى نخلة وقال للكلابي أما اذا أبيت الا قتله فأمهل حتى أقطع الوادى وارتحل عن جوارى فلا خير لك فيه فقتله الكلابي ففى ذلك يقول عمير

قتلنا أخانا للوفاء بجارنا • وكان أبونا قد تُجير مقابره

وقالت أم عمير

تعدّ معاذر لا عُذر فيها • ومن يقتل أخاه فقد ألاما

قد أقصاه عز السلطان وأقام صغره ثقاف الأدب وأذله الجهل بالحق فهو مغيظ لا يجد غير التشنيع ولا يشتفي بغير الأرجاف ولا يستريح الا الى الامانى ولا يأنس الا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وخارص لا خير فيه وخالف لا غناء عنده يريد ان يسوى بالكفاة ويرفع فوق الحماة لا أب سلف له ولا احسان كان من غيره وليس ممن يربه قديم مجد ولا يحفل به رؤس شرف ولا يفصل بين ثواب المحسنين وكيف يعرف فرق ما بين حق

قوله ولم تكن الغدر خائنة ولم يقل خائنًا فانما وضع هذا فى موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة وقوله للغدر أى من أجل الغدر وقال المفسرون والنحويون فى قوله الله عز وجل وانه لحب الخير لشديد أى لشديد من أجل حب الخير والخير ههنا المال من قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية وقوله لشديد أى لبخيل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال تقول العرب فلان شديد ومتشدد أى بخيل قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى • عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقلما يجىء المصدر على فاعل فما جاء على وزن فاعل قولهم عوفى عافية وفلج فالجًا وقم قائمًا أى قم قيامًا وكما قال • ولا خارجًا من فىّ زور كلام • أى ولا يخرج خروجًا وقد مضى تفسير هذا والمغلّ الذى عنده غلول وهو ما يختان ويختجن ويستعمل مستعارًا فى غير المال يقال غلّ يغلّ كقول الله عز وجل ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة ويقال أغلّ فهو مغلّ اذا صودف يغلّ أو نسب اليه ومن قرأ وما كان لنبى أن يَغُلّ فتأويله أن يأخذ ويستأثر ومن قرأ يُغَلّ فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه ويكون وهو الذى نختار أن يخوّن فان قال قائل كيف يكون التقدير وقد قال ما كان لنبى أن يغلّ فيغلّ لغيره وأنت لا تقول ما كان لزيد أن يقوم عمرو فالجواب أنه فى التقدير على معنى ما ينبغى لنبى أن يخوّن كما قال وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ولو قلت ما كان لزيد أن يقوم عمرو اليه لكان جيّدًا للراجع اليه وكان جيدًا على تقديرك ما كان زيد ليقوم عمرو اليه كما قلنا فى الآية والاصبع أفصح ما يقال وقد يقال أصبع وإصبع وأصبُع وموضعها ههنا موضع اليد يقال لفلان عليك يد ولفلان عليك اصبع وكل جيّد وانما يعنى ههنا النعمة وأما قوله قتلنا أخانا للوفاء بجارنا فيكون على ضربين أحدهما أن يكون فخّم نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذى يذكر الجميع به والعرب تفعل هذا وبعدّ كبرًا ولا ينبغى على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعملا الا عن الله عز وجل لانه ذو الكبرياء كما قال الله تبارك وتعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وانّا أوحينا اليك وكل صفات الله أعلى الصفات وأجلها فما استعمل فى المخلوقين على تلك الألفاظ وان خالفت فى الحكم فحسن جميل كقولك فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان ودود الا ما وصفنا قبل من ذكر التكبر فانك اذا قلت فلان جبار أو متكبر كان عليه

الذمام وثواب الكفاية من لا يعرف طبقات الحق فى مراتبه ولا يفصل بين طبقات الباطل فى منازله ثم اعلم بعد ذلك انك بنفسك بدأت فى تعظيم امامك والحفظ بمناقب أنصار خليفتك واياها حطت لحياطتك لاشياعه واحتجاجك لأوليائه ونعم العون انت ان شاء الله على ملازمة الطاعة والموازرة على الخير والكفاية لأهل الحق وقد استدللت بالذى أرى من عنايتك وفرط اكترائك ولفقدك لأجناس الأعداء وبحثك

عيباونقصاوذلك لمخالفة هاتين الصفتين الحق وبُعْدهما من الصواب لانهما المُبْدئ المُعيد الخالق البارئ ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوعة وتطغيه الشبعة وتنقصه الحَظة وهو فى كل أموره مُدَبَّرٌ وأمّا القول الآخر فى البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايعه من عشيرته وأما قولها ومن يقتل أخاه فقد ألام تقول أتى ما يُلام عليه يقال ألامَ الرجلُ اذا تعرّض لان يُلام

(باب)

قال أبو العباس أنشدنى السعدىُّ أبو مُحَلِّم

انّا سألنا قومنا خيارهم • من كان أفضلهم أبوه الأول

أعطى الذى أعطى أبوه قبله • وتبخّلت أبناء من يتبخّل

وأنشدنى أيضا

لطلحة بن حبيب حين تسأله • أندى وأكرم من فند بن هطّال

وبيتُ طلحة فى عزّ ومكرمة • وبيتُ فند الى ربق وأجمال

ألا فتى من بنى ذُبيان يحملنى • وليس يحملنى الا ابنُ حمّال

فقلتُ طلحة أولى من عمدتُ له • وجئتُ أمشى اليه مشى مختال

مستيقنا أنّ حبلى سوف يعلقه • فى رأس ذيّالة أو رأس ذيّال

قوله الى ربق وأجمال انما أراد جمع جمل على القياس كما تقول فى جميع باب فَعَل جَمَلٌ وأجمالٌ وصَنَمٌ وأصنامٌ وقوله ألا فتى من بنى ذبيان يحملنى يعنى ذُبيانَ بن بَغيض بن رَيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر وأنشد بعضهم • وليس حاملُنى الا ابن حمّال • وهذا لا يجوز فى الكلام لانه اذا نُوّن الاسمُ لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فانما يقع معاقبا التنوين تقول هذا ضاربٌ زيدا غدًا وهذا ضاربك غدًا ولا يقع التنوين ههنا لانه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذا قول الله تعالى انّا منجّوك وأهلك وقد روى سيبويه بيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس أحد من النحويين المفتّشين يجيز مثل هذا فى الضرورة لما ذكرت من انفصال الكناية والبيتان اللذان رواهما سيبويه

همُ القائلون الخيرَ والآمرونه • اذا ما خشوا يوما من الأمر معظما

عن مناقب الأولياء على ان ما ظهر من نحلة أمم فى جنب ما بطن من اخلاصه فامتع الله بك خليفته ومتعنا وإياك محبته وأعاذنا وإياك من قول الزور والتقرب بالباطل انه حميد مجيد فعال لما يريد وذكرت انك جالست أخلاطا من جند الخلافة وجماعات من أبناء الدعوة وشيوخا من جلة الشيعة وكهولا من أبناء رجال الدولة المنسوبين الى الطاعة والمناصحة والمحبة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة وان رجلا من عرض تلك

وأنشد ولم يرتفق والناس محتضرونه • جميعا وأيدي المعتفين رواهقه

وانما جاز أن تبين الحركة اذا وقفت في نون الاثنين والجميع لانه لا يلتبس بالمضمر تقول هما رجلانه وهم ضاربونه اذا وقفت لانه لا يلتبس بالمضمر اذ كان لا يقع هذا الموقع ولا يجوز أن تقول ضربته وأنت تريد ضربت والهاء لبيان الحركة لان المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لبسا فاما قولهم ارمه واغزه فتلحق الهاء لبيان الحركة فانما جاز ذلك لما حذفت من أصل الفعل ولا يكون في غير المحذوف وقوله في رأس ذيالة يعني فرسا انثى أو حصانا والذيال الطويل الذنب وانما يحمد منه طول شعر الذنب وقصر العسيب وأما الطويل العسيب فمذموم ويقال ذلك للثور أيضا أعني ذيالا قال امرؤ القيس

جال الصوار واتقين بقرهب • طويل القرا والروق أخنس ذيال

ويقال أيضا للرجل ذيال اذا كان يجر ذيله اختيالا ويقال له قصفاص في ذلك المعنى ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال لمؤدبه كيف كانت طاعتي اياك وأنت تؤدبني فقال أحسن طاعة قال فاطعني الآن كما كنت أطيعك اذ ذاك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الازار في النار وقال آخر

• مالدد مالدد ماله • يبكي وقد أنعمت ما باله • مالي أراه مطرقا ساميا
ذا سنة يوعد أخواله • وذاك منه خلق عادة • أن يفعل الأمر الذي قاله
ان ابن بيضاء وترك الندى • كالعبد اذ قيد أجماله • آليت لا أدفن قتلاكم
فدخنوا المرء وسرباله • والدرع لا أبغي بها ثروة • كل امرئ مستودع ماله
والرمح لا أملأ كفي به • واللبد لا أتبع تزواله

قوله مالدد يعني رجلا وددُ في الاصل هو اللهو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست من دد ولا دد مني وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذا من العادة وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر والفتح أصلها ولكن كسرت مع الظاهر خوف اللبس بلام الخبر تقول ان هذا لزيد فيعلم انه شيء في ملك زيد فان قلت ان هذا لزيد في الوقف علم قبل الادراج انه زيد ولو فتحت المكسورة لم يعلم الملك من المعنى الآخر في الوقف وأما المضمر فبين فيه لان علامة المخفوض غير علامة المرفوع تقول ان هذا لك وان هذا لأنت وقوله وقد أنعمت ما باله

الجماعة ارتجل الكلام ارتجال مستبد وتفرد به تفرد معجب وانه تعسف المعاني وتهكم على الالفاظ فزعم ان جند الخلافة اليوم على خمسة أقسام خراساني وتركي ومولى وعربي وبنوي وانه أكثر حمد الله وشكره على احسانه ومننه وعلى جميع أياديه وسبوغ نعمه وعلى شمول عافيته وجزيل مواهبه حين ألف على الطاعة هذه القلوب المختلفة والأجناس المتباينة والأهواء المتفرقة وانك اعترضت على هذا المتكلم

فما زائدة والبالُ ههنا الحال والبال موضع آخر وحقيقته الفكْر تقول ما خطر هذا على بالى وقوله مطرقا ساميا فالسامى الرافع رأسه يقال سما يسمو إذا ارتفع والمُطرِقُ الساكت المُفكِّر المُنكِّس رأسَهُ فإنما أراد ساميًا بنفسه وقوله ذا سِنَةٍ يقول كأنه لطول إطراقه فى نَعْسَة وقوله كالعبد إذ قَيَّدَ أجماله يريد أنه غير مُكترث لاكتساب المجد والفضل وذلك أن العبد الراعى إذا قَيَّدَ أجماله لَفَّ رأسه ونام حَجْرَةً وهذا شبيه بقوله * واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى * وقوله فدخنوا المرء وسرباله يروى أنه طَعَن فارسا منهم فأحدث فقال تنظّفوه فإنى لا آذن القتيلَ منكم الا طاهرا وقوله والدرع لا أبغى بها نثرة فالنثرةُ الدرْعُ السابغة يقول درعى هذه تكفينى وقوله كل امرئ مُستودَعٌ ماله أى مُسترهَنٌ بأجله وهو كقول الأعشى

كُنتَ المُقدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ * بالسيفِ تضرِبُ مُعلِماً أبطالَها

وعَلِمتَ أنَّ النفسَ تَلْقَى حَتْفَها * ما كانَ خالِقُها المَلِيكُ قَضَى لها

وقوله الرمح لا أملأ كفى به يتأول على وجهين أحدهما أن الرمح لا يملأ كفى وحده أنا أقاتل بالسيف وبالرمح وبالقوس وغير ذلك والقول الآخر أنى لا أملأ كفى به إنما أختلس به اختلاسا كما قال الشاعر ومُدَجَّجٍ سَبَقَتْ يداى لَهُ * تحتَ الغُبارِ بطَعنةٍ خَلْسِ

وقوله واللبد لا أتبع تزواله يقول ان انحلّ الحزام فمال اللبد أملْ معه أى أنا فارس ثَبْتٌ وقال الفرزدق ونزل به ذئبٌ فأضافه

وأطلسَ عسّالٍ وما كانَ صاحبًا * رفعتُ لنارى مَوهِنًا فأتانى

فلمّا دنا قلتُ ادنُ دونكَ إننى * وإيّاكَ فى زادى لَمُشتركانِ

فبتُّ أقُدُّ الزادَ بينى وبينه * على ضوءِ نارٍ مرّةً ودُخانِ

وقلتُ له لما تكشّرَ ضاحكًا * وقائمُ سيفى من يدى بمكانِ

تعشَّ فإنْ عاهدتنى لا تخونُنى * نكُنْ مثلَ من يا ذئبُ يصطحبانِ

وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كنتما * أُخَيَّيْنِ كانا أُرضِعا بلِبانِ

ولو غيرَنا نبّهتَ تلتمسُ القِرى * رماكَ بسهمٍ أو شَباةِ سِنانِ

قوله وأطلس عسال فالأطلسُ الأغبرُ وحدثنى مسعود بن بشر قال أنشدنى طاهر بن علىّ الهاشمى

المستبد وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام وخالف بين هذه الأركان وفصل بين انسابهم وإذا انكرت ذلك عليه أشد الانكار وقذعته أشد القذع وزعمت انهم لم يخرجوا من الاتفاق وإن نفيت التباعد فى النسب والتباين فى السبب وقلت بل ازعم ان الخراسانى والتركى اخوان وان الحيز واحد وان حكم ذلك الشرف والقضاء على ذلك الصقع متفق غير مختلف ومتقارب غير متفاوت وان الاعراق فى

قال سمعت عبد الله بن طاهر بن الحسين ينشد في صفة الذئب

جَهْمٌ بني محارِبٍ مُذْدارُهُ ● أَطْلَسُ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبارُهُ ● في شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ ونارُهُ

قوله يخفي شخصه غباره يقول هو في لون الغبار فليس يُتَبَيَّنُ فيه وقوله عسّال فانما نسبه الى مشيته يقال مرّ الذئب يعسل وهو مشي خفيف كالهرولة قال الشاعر (هو ساعدة) يصف رمحا

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ ● فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعْلَبُ

وقال لبيد عَسَلانَ الذئبِ أمسى قارِبًا ● بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَلْ

قال أبو عبيدة نَسَلَ في معنى عَسَلَ وقال الله عز وجل فاذا هُم من الأجداثِ الى ربهم يَنْسِلونَ وخَفَضَ بهذه الواو لانها في معنى رُبَّ وانما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها في معنى رب لانها حرف خفض وهي أعني الواو تكون بدلا من الباء في القسم لان مخرجها في مَخْرَجِ الباء من الشَّفَة فاذا قلت والله لأفعلَنّ فمعناه أُقسِمُ بالله لافعلنّ فان حذفتها قلت الله لافعلن لان الفعل يقع على الاسم فينصبه والمعنى معنى الباء كما قال الله عز وجل واختارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعينَ رَجُلاً لميقاتنا وصل الفعلُ فعَمِلَ والمعنى معنى من لانها للتبعيض فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء وتكون في معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المَخْرَج وقوله رفعتُ لنارى من المقلوب انما أراد رفعتُ له نارى والكلام اذا لم يدخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار قال الله عز وجل وآتيناه من الكنوز ما انّ مفاتحه لَتَنُوءُ بالعُصْبَةِ أُولي القُوَّةِ والعصبةُ تَنُوءُ بالمفاتيح أى تستقل بها في ثِقَلٍ ومن كلام العرب ان فلانة لتنوء بها عجيزتُها والمعنى لَتَنُوءُ بعجيزتها وأنشد أبو عبيدة للأخطل

أَمّا كُلَيْبُ بنُ يَرْبوعٍ فليس لها ● عندَ التَّفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ

مُخَلَّفونَ ويَقْضِي الناسُ أَمْرَهُمُ ● وهُمْ بِغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا

مِثْلُ القَنافِذِ هَدّاجونَ قد بَلَغَتْ ● نَجْرانُ أو بَلَغَتْ سَوْآتِهِمْ هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السعة ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائي كيف تُنْشِدُ بيت الفرزدق فأنشده

غَداةَ أَحَلَّتْ لابنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ ● حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَّدائفِ والخَمْرُ

فقال الكسائي لما قال غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمّ الكلام فحمل

الخمر

الأصل اذا لم تكن كانت راسخة فقد كانت متشابهة وحدود البلاد المشتملة عليهم الا تكن متساوية فانها متناسبة وكلهم خراساني في الجملة وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه وزعمت ان اختلاف التركي والخراساني ليس كاختلاف ما بين الرومي والصقلي والزنجي والحبشي فضلا عما هو أبعد جوهرا وأشد خلافا بل كاختلاف ما بين المدري والوبري والبدوي والحضري والسهلي والجبلي وكاختلاف ما بين

الخمر على المعنى أراد وحلّت له الخمرُ فقال له يونس ما أحسنَ ما قلتَ ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلبِ فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمرَ على ما وصفنا من القلب والذى ذهب اليه الكسائى أحسن فى محض العربية وان كان انشاد الفرزدق جيدا وقوله فلما دنا قلتُ ادنُ دونكَ أمرٍ بعد أمرٍ وحسُنَ ذلك لان قوله ادنُ للتقريب وفى قوله دونك أمره بالا كل كما قال جرير لعيَّاش ابن الزِبرقانِ

أعيّاشُ قد ذاق القيونُ مَواسمى • وأوقدتُ نارى فادنُ دونكَ فاصطلِ

(جمع مِيسم وهو حديدة يصنعُها البيطارُ) وقوله على ضوء نارٍ مرة ودخانِ يكون على وجهين أحدهما على ضوء نارٍ وعلى دخان أى على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خبَتْ وجائز أن يعطفَ الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضياءٌ ولكن للاشتراك كما قال الشاعر

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا • متقلّدا سيفًا ورمحا

لان معناهما الحمل وكما قال • شرابُ ألبانٍ وتمرٍ وأقِطْ • فأدخل التمر فى المشروب لاشتراك المأكول والمشروب فى الحلوق وهذه الآية تحمل على هذا يُرسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٌ والشُواظُ اللهبُ لا دخان له والنحاسُ الدخان وهو معطوف على النار وهى مخفوضة بالشواظ لما ذكرتُ لك قال النابغةُ الجعدىُّ

تضىء كمثلِ سراج الذُبا • لِ لم يجعلِ اللهُ فيه نُحاسا

أى دخانا وقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (مَنْ يجوز أن يكون نكرة موصوفة تقديره مثل اثنين يصطحبان وأن يكون بمعنى الذى ويصطحبان صلته) فمَنْ تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئتَ حملتَ خبرها على لفظها فقلتَ مَنْ فى الدار يحبُّكَ عنيتَ جميعا أو اثنين أو واحدا أو مؤنثا وان شئت حملته على المعنى فقلت يحبانك ويحبكُ اذا عنيتَ امرأة ويحبونك اذا عنيت جميعا كل ذلك جائز جيد قال الله عز وجل ومنهم مَنْ يؤمن به ومنهم مَنْ لا يؤمن به ومنهم مَنْ يقول ائذن لى ولا تفتنّى وقال فحمل على المعنى ومنهم مَنْ يستمعون اليك وقرأ أبو عمرو ومَنْ يقنُتْ منكنّ لله ورسوله وتَعمل صالحا فحمل الأول على اللفظ والثانى على المعنى وفى القرآن بلى مَنْ أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله أجره عند ربه فهذا كله على اللفظ ثم قال ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون على المعنى وقوله أو شباة سنان فالشبا والشباةُ واحد وهو الحدُّ ومما يُستحسن فى وصف الجود والحث على المبادرة به وتعريف حمد العاقبة فيه قول النمر بن تولب

من نزل البطون وبين من نزل البحور وبين من نزل الاغوار وزعمت ان هؤلاء وان اختلفوا فى بعض اللغة وقارب بعضهم بعضا وبعض الصورة فقد نجد أن عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن وكذلك الصورة والصورة والشمائل والشمائل والاخلاق والاخلاق وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ولا معلهج ولا مربوع ولا مزلج ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

العُكْلي أحد بني عُكْل بن عبد مناة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضَر (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن اليأس بوصل الألف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يأس مشتق من يئست)

أعاذل ان يُصبح صداي بقفرةٍ • بعيداً نآني صاحبي وقريبي
ترى أنّ ما أبقيت لم اكُ ربّه • وأنّ الذي أنفقت كان نصيبي
وذي ابلٍ يسعى ويحسبها له • أخي نَصَبٍ في رعيها ودؤوب
غدت وغدا ربٌّ سواه يقودها • وبُدِّل أحجاراً وجال قليب

قوله ان يصبح صداي بقفرة فالصدى على ستة أوجه أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره والصدى الذكر من البوم قال ابن مُفَرِّغ (اسمه ربيعة وسمي مفرغا لانه شرب سقاء بن ففرّغهما)

وشربت بُرْداً ليتني • من بعد بُرْدٍ كنت هامه
هامةً تدعو صدى • بين المُشَقَّر واليمامه

ويقال فلان هامة اليوم أو غد أي يموت في يومه أو في غده ويقال ذلك الشيخ اذا أسنّ والمريض اذا طالت علته والمحتقر لمدة الآجال (رواية عاصم بن أيوب رحمه الله برفع المحتقر رفعه بالابتداء ويضمر الخبر فيكون التقدير والمحتقر لمدة الآجال يقال ذلك له ورواية ابن سراج بالخفض على العطف) وفي الحديث أن حسلاً أبا حذيفة بن حسل بن اليمان قال لشيخ آخر تخلّف معه في غزوة أُحد انهض بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما نحن هامة اليوم أو غد وكانا قد أسنّا (حسل أبو حذيفة هو حسل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان والشيخ الذي تخلف معه ثابت ابن وقش الانصاري) والصدى حشوة الرأس يقال لذلك الهامة والصدى وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قتل فلم يُدرك به الثأر أنه يخرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة والذكر الصدى فيصيح على قبره اسقوني اسقوني فان قتل قاتله كفّ ذلك الطائر قال ذو الاصبع العدواني أحد بني عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر (هو حُرثان بن مُحَرِّث سمي بذي الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حية عضته في اصبعه)

يا عمرو الّا تدع شتمي ومنقصتي • أضربْك حيث تقول الهامة اسقوني

والصدى ما يرجع عليك من الصوت اذا كنت بمتسع من الارض أو بقرب جبل كما قال

قحطان وعدنان من قبل ما طبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم لأهل كل جزيرة من الشكل والصورة ومن الاخلاق واللغة فان قلت وكيف صار أولادهما جميعا عربا مع اختلاف الابوة قلنا ان الجزيرة لما كانت واحدة استووا في التربة وفي اللغة وفي الشمائل والهمة وفي الأنفة والحمية وفي الاخلاق فسبكوا سبكا واحدا تشابهت الاجزاء وتباينت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابها في باب الأعم

إنّي على كلِّ إِيساري ومَعْسَرتي • أَدعو حُنَيفًا كما تَدعى ابنةُ الجَبَلِ

يعني الصَّدَى وتأويله انه يجيبني في سرعة اجابة الصَّدَى وقال آخر

كأَنِّي اذ دعوتُ بني سُلَيْمٍ • دَعَوتُ بدَعْوتي لهمُ الجبالا

والصَّدَأُ مهموز صَدَأُ الحديد وما أشبهه قال النابغة الذُّبياني

سَهِكِينَ من صَدَإِ الحديد كأنّهم • تحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقّارِ

وقال الأعشى فأمّا اذا ركبوا فالوُجو • هُ في الرَّوْعِ من صَدَإِ البَيْضِ حُمّ

والصَّدَى مصدر الصَّدِي وهو العطشان يقال صَدِيَ يَصْدَى صَدًى وهو صَدٍ قال طَرَفَةُ

• ستعلم إن متنا صَدًى أيُّنا الصَّدِي • (ويروى صَدَى أَيِّنا بخفض أينا على الاضافة فصَدَى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء والصَّدِي الخبر) وقال القُطامي

فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به • مواقعَ الماءِ من ذي الغُلّةِ الصادي

تأويل قوله نآني يكون على ضربين يكون أبْعَدَني وأحسنُ ذلك أن يقول أنآني وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الأخرى وليست بالحَسَنة وانما جاءت في حروف يقال غاضَ الماءُ وغِضْتُهُ ونَزَحَتِ البئرُ ونَزَحْتُها وهَبَطَ الشيءُ وهَبَطْتُهُ وبنو تميم يقولون أهبطتُه وأحرفٌ سوى هذه يسيرة والوجه في فَعَلَ أفعلتُه نحو دَخَلَ وأدخلتُه ومات وأماتَه الله فهذا الباب المُطَّرِدُ ويكون نآني في موضع نأى عني كما قال الله عز وجل وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقوله ودُؤوب يقول والخاحِ عليه تقول دَأَبْتُ على الشيء قال الشاعر (هو الراعي)

دَأَبْتُ الى أن يَنْبُتَ الظلُّ بعدما • تقاصرَ حتى كاد في الآلِ يَمْصَحُ

وقوله جل ثناؤه كدأبِ آلِ فرعون يقول كعادتهم وسنّتهم ومثله الدِّينُ والدَّيْدَنُ وقد مرَّ هذا وقوله وبُدِّلَ أحجارًا وجالَ قليبٍ فالجالُ الناحية يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جالٌ وجُولٌ وقال مُهَلْهِلٌ كأنَّ رِماحَهم أشطانُ بئرٍ • بعيدٍ بينَ جالَيْها جَرُورِ

ويقال رجل ليس له جُولٌ أي ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي

أماوِيَّ ان يُصْبِحْ صَدايَ بقفرةٍ • من الارض لا ماءٌ لَدَيَّ ولا خَمْرُ

تَرَيْ أنّ ما أبقيتُ لم أكُ رَبَّهُ • وانّ يدي مما بخلتُ به صِفْرُ

والأخص وفي باب الوفاق وفي البغية من بعض الأرحام وجرى عليهم حكم الاتفاق وفي الحسب وصارت هذه الأسباب ولادة أخرى حتى تناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بني اسحاق وهو أخو اسماعيل وجازوا بذلك في جميع الدهر وكبني قحطان ففي اجماع الفريقين على التناكح والتصاهر ومنعهما ذلك جميع الأمم ككسرى فمن دونه دليل على أن النسب عندهم متفق وان هذه المعاني

وقال الحرث بن حلزة اليشكري في هذا المعنى

قلتُ لعمرو حين أرسلتهُ • وقد حبا من دوننا عالجُ
لا تكسعِ الشولَ بأغبارها • انك لا تدري من الناتجُ
واصبُبْ لأضيافك ألبانها • فانّ شرّ اللبن الوالجُ

قوله لا تكسع الشول بأغبارها فان العرب كانت تنضح على ضروعها الماء البارد ليكون أسمن لاولادها التي في بطونها والغُبر بقية اللبن في الضرع فيقول لا تُبق ذلك اللبن لسمن الاولاد فانك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يُغار عليها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالي مالي ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيت فأمضيت وروى عن بعضهم انه قال اني أحبّ البقاء وكالبقاء عندي حسن الثناء وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

فاذا بلغتم أرضكم فتحدثوا • ومن الحديث متالفٌ وخلودُ

وأنشد

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكمُ • بأفعالنا ان الثناء هو الخلدُ

وقال معاوية لابن الاشعث بن قيس ما كان جدك قيس بن معدي كرب أعطى الاعشى فقال أعطاه مالا وظهرا ورقيقا وأشياء أُنسيتها فقال معاوية لكن ما أعطاكم الاعشى لا يُنسى وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم بن سنان المري ما وهب أبوك زهيرا فقالت أعطاه مالا وأثاثا أفناه الدهر فقال عمر لكن ما أعطاكموه لا يفنيه الدهر وقال المفسرون في قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسنا وفي قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلامٌ على ابراهيم أي يقال له هذا في الآخرين والعرب تحذف هذا الفعل من قال ويقول استغناء عنه قال الله عز وجل فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم أي فيقال لهم ومثله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون وكذلك والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم (حدثنا يموت بن المزرّع البصري قال حدثنا رفيع بن سلمة المنبز بدماذ قال حدثنا أبو عبيدة قال قال الحجاج يوما لعمائر العرب وهم في مجلسه ما أحسب هذا المزوني يناصحنا في حربنا يعني المهلّب والرأي مشتركٌ فقالوا

قد قامت عندهم مقام الولادة والأرحام الماسة وزعمت انه أراد الفرقة والتحزب وانك أردت الألفة والتقرب ثم زعمت أيضا ان البنوي خراساني وان نسب الابناء نسب آبائهم وان حسن صنيع الآباء وقديم فعال الأجداد هو حسب الأبناء وان الموالي بالعرب أشبه واليهم أقرب وبهم أمس لان النسبة قد نقلت الموالي الى العرب في كثير من المعاني لانهم عرب في المدعى وفي العاقلة وفي الراية وهذا تأويل قوله

الرأى للأمير أصلحه الله أن يكتب الى ابن الفجاءة باطعامه بعض الأرضين فاذا هو قد تحرّم بطاعته وأظهر الدعوة له سهلت الحيلة فيه فقال وفقكم الله وكتب الى ابن الفجاءة وأنفذه على يد الغضبان بن القبعثرى الشيبانى نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قطرى بن الفجاءة سلام عليك الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام أما بعد فانك كنت اعرابيا بالبدو بأتستطعم الكسرة وتخف الى التمرة ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع عما أنت عليه بما أرتئ لك وادعنى فقد آن لك فلما أوصل الغضبان الكتاب الى قطرى قال ياغلام ازبر هذه الصحيفة فتلا عليه ما فيها افتتهد قطرى الصعداء فقال ياغضبان ان الفيتنى محزونا وأنشأ يقول

فيا كبدا من غير جوع ولا ظما • ووا كبدا من وجد أم حكيم

فلو شهدتنى يوم دولاب أبصرت • طعان فتى فى الحرب غير لئيم

غداة طفت علماء بكر بن وائل • وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان بعبد القيس أول حدنا • وآب عميد الأزد غير ذميم

يعنى المهلب وأم حكيم هذه امرأة من الخوارج قتلت بين يديه ثم قال ياغلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف سلام على من اتبع الهدى ذكرت فى كتابك أنى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة وبالله لقد قلت زورا بل الله بصرنى من دينه ما أعماك عنه اذ أنت سائح فى الضلالة غرق فى غمرات الكفر ذكرت أن الضرورة طالت بى فهلا برزلى من حزبك من نال الشبع وانكا فاتدع أما والله لئن أبرزك الله صفحتك وأظهرلى صلعتك لتنكرن شيعتك ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليس كتسطير الأمثال)

مولى القوم منهم والولاء لحمة كلحمة النسب ثم زعمت ان الاتراك قد شاركوا القوم فى هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى باءوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال على أن ولاء الاتراك للباب قريش ولصاص عبد مناف وفى سر هاشم وهاشم موضع العذار من خد الفرس ومحل العقد من لبة الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحة من البيضة والعين فى الرأس والروح

(باب)

قال أبو العباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى خطبة له أيها الناس اتقوا الله الذى ان قلتم سمع وان أضمرتم علم وبادروا الموت الذى ان هربتم منه أدرككم وان أقمتم أخذكم قال وحدثنى التوزى فى اسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثى قال بينا نحن فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه اذ أتى

آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميرا على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّا بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه متقلّدا سيفا متنكّبا قوسا يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبّح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس اليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال (هو لسحيم بن وثيل الرياحى)

أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال يا أهل الكوفة انى لأرى رؤسا قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها وكأنى أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى ثم قال (الشعر لرشيد بن رميض العنبرى)

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

ثم قال قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى * مهاجر ليس بأعرابى

وقال قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

(لابد مما ليس منه بد)

انى والله يا أهل العراق ما يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرما كم بى لانكم طال ما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الابل فانكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وانى والله ما أقول الا وفيت ولا أهم الا أمضيت ولا أخلق الا فريت وان أمير المؤمنين أمرنى باعطائكم أعطياتكم وان أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وانى أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من

من البدن وهم الأنف المقدم والسنام الأكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الأحمر فقد شاركوا العرب فى أنسابهم وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذى لا يبلغه فضل وان برع بل لا يشرفه شرف وان عظم ولا مجد وان قدم فزعمت ان انساب الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكاتفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والأئمة وذكرت انه ذكر رجلا من

بالكوفة من المسلمين سلامٌ عليكم فلم يقلْ أحد منهم شيأ فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلّم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا عليه شيأ هذا أدب ابن نهية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الادب أو لتستقيمنّ اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلامٌ عليكم لم يبق فى المسجد أحد الا قال وعلى أمير المؤمنين السلام (زعم أبو العباس ان ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج) ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبرا فقال أيها الأمير انى من الضعف على ما ترى ولى ابنٌ هو أقوى على الأسفار منى فتقبله بدلا منى فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولّى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمىّ الذى يقول أبوه

همممتُ ولم أفعل وكدتُ وليتنى • تركتُ على عثمان تبكى حلائلُه

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولا فوطئ بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردّوه فلما ردّ قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ان فى قتلك أيها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا حرسىّ اضرب عنقه فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدىّ (الأسدىّ أسد خزيمة وليس من أسد قريش)

تجهز فاما أن تزور ابن ضابئ • عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطّتا خسف نجاؤك منهما • ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه • رآها مكان السوق أو هى أقربا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقرب ظرف وقيل مفعول ثان) قوله انا ابن جلا انما يريد المنكشف الامر ولم يصرف جلا لانه أراد الفعل فحكى والفعل اذا كان فاعله مضمرا أو مظهرا لم يكن الا حكاية كقولك تأبط شرا وكما قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها • بنى شاب قرناها تصرّ وتحلب

وتقول قرأت اقتربت الساعةُ وانشقّ القمرُ لانك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأتُ الحمدُ لله ربّ العالمين وقال الشاعر والله ما زيدٌ بنام صاحبُه • (ولا مخالط الليان جانبُه)

وقوله • أنا ابن جلا وطلاع الثنايا • لسحيم بن وثيل الرياحى وانما قاله الحجاج متمثلا وقوله

مفاخر هذه الأجناس وجهرة من مناقب هذه الأصناف وانه جمع ذلك وفصله وأجمله وفسره وانه ألغى ذكر الاتراك فلم يعرض بهم وأضرب عنهم صفحا فلم يخبر عنهم كما أخبر عن حجة كل جيل وعن برهان كل صنف فذكر أن الخراسانى يقول نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل ان تظهر نقابة أو تعرف نجابة وقبل المغالبة والمباداة وقبل كشف القناع وزوال التقية وبنا زال ملك أعدائنا

وطلاعُ الثنايا الثَّنايا جمع ثَنِيَّةٍ والثَّنِيةُ الطريق في الجبل والطريق في الرمل يقال له الخَلُّ وانما أراد به انه جَلْدٌ يَطَّلِعُ الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها كما قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة يعني أخاه عبد الله

كَمِيشُ الازارِ خارجٌ نِصْفُ ساقِه ٭ بَعيدٌ من السَّوآتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ

والنَّجْدُ ما ارتفع من الارض وقد مضى تفسير هذا وقوله اني لأرى رؤساً قد أينعت يريد أدركت يقال أَيْنَعَت الثمرةُ ايناعاً ويَنَعَتْ يَنْعَاً ويُنْعاً ويقرأ انظروا الى ثمره اذا أثمر ويُنْعِه ويَنْعِه كلاهما جائز قال أبو عبيدة هذا الشعر يختلف فيه فبعضهم ينسبه الى الأحوص وبعضهم ينسبه الى يزيد بن معاوية (قال أبو الحسن الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو

ولها بالماطرين اذا ٭ أَكَلَ النَّمْلُ الذي جَمَعا خُرْفَةٌ حتى اذا ربعت ٭ سكنت من جِلَّقٍ بِيَعا

في قِبابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ ٭ حَوْلَها الزَّيْتُونُ قد يَنَعا

(قال أبو الحسن أول هذه الابيات طال هذا الهَمُّ فاكْتَنَعا ٭ وأَمَرَّ النومَ فامْتَنَعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس ويروى بالماطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها) قال أبو العباس وقوله هذا أوانُ الشَّدِّ فاشتدي زِيَمْ يعني فرساً أو ناقة والشعر للحُطَمِ القيسي وقوله قد لَفَّها الليلُ بسواقٍ حُطَمْ فهو الذي لا يُبقي من السير شيأ ويقال رجل حُطَمٌ للذي يأتي على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التي لا تُبقي حُطَمةٌ وقوله على ظهر وَضَمْ فالوَضَمُ كل ما قُطِعَ عليه اللحم قال الشاعر (هو عمر بن أبي ربيعة)

وفتيانِ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو ٭ هِ لا يَجِدُونَ لشيء أَلَمْ

من آلِ المُغِيرةِ لا يَشْهَدو ٭ نَ عند المَجازرِ لحمَ الوَضَمْ

وقوله قد لفّها الليل بعَصْلَبِيّ أي شديد وأَرْوَعَ أي ذكيّ وقوله خَرّاجٍ من الدَّوِّيِّ يقول خَرّاج من كل غَمّاء شديدة (غَمّاء مقصورٌ رواية عاصم) ويقال للصحراء دَوِّيَّةٌ وهي التي تكاد تنقضي وهي منسوبة الى الدَّوِّ والدَّوُّ صحراء ملساء لا علم بها ولا أمارة قال الحطيئة (يصف خيلها وأنث على معنى المرأة) وأنّى اهتدت والدَّوُّ بيني وبينها ٭ وما خِلْتُ ساري الليل بالدَّوِّ يَهتدي

والداوِيَّةُ المتسعة التي تسمع لها دوِيّاً بالليل وانما ذلك الدويّ من أخفاف الابل تنفسح أصواتها فيها وتقول جهلة الأعراب ان ذلك عزيف الجن وقوله والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدٌّ فهو الشديد ويقال

عن مستقره وثبت ملك أوليائنا في نصابه وبين ذلك ما قتلنا وشردنا ونهكنا ضرباً وطلباً وبضعنا بالسيوف الحداد وعذبنا بألوان العذاب وبناشني الله تعالى الصدور وأدرك الثار ومنا الاثنا عشر النقباء والسبعون النجباء ونحن الخندقية وأبناء الخندقية ونحن الكتفية وأبناء الكتفية ومنا المستجيبة ومناهرج التهية ومنا قيم خزان وأصحاب الجوزتين ومنا الزغندية والاهزامردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا

عَرِنْدٌ في هذا المعنى وقوله انى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شَنٌّ وهو الجلد اليابس فاذا قُعقِعَ به نفرت الابل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه وقال النابغة الذبيانى

كأنك من جمال بنى أُقَيْش • يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنّ

(أُقَيْش حىّ من عُكْل) وقوله ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء يعنى تمام السن والذكاء على ضربين أحدهما تمام السن والآخر الحدة حدة القلب فما جاء فى تمام السن قول قيس بن زهير جرى المذكيات غلابُ (ويروى غلاء) وقال زهير يفضّله اذا اجتهدا عليه • تمام السن منه والذكاء

وقوله فعجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود اذا مضغته وكذلك فى كل شئ قال النابغة فظلّ يعجم أعلى الروق منقبضا • فى حالك اللون صدق غير ذى أود

والمصدر العجم يقال عجمته عجما ويقال لنوى كل شئ عجم مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ كما قال الاعشى (غزاتك بالخيل أرض العدوّ) • وجذعانها كلقيط العجم

وقوله طال ما أوضعتم فى الفتنة الايضاع ضرب من السير وقوله فأضحى ولو كانت خراسان دونه يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة وكان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحرث البرجمى وجب عليه حبس عند عثمان رحمه الله وأدب وذلك أنه كان استعار من قوم كلبا فأعاروه اياه ثم طلبوه منه وكان فحّاشا فرمى أمهم به فقال فى بعض كلامه

وأمّكم لا تتركوها وكلبكم • فان عقوق الوالدات كبير

فاضطغن على عثمان ما فعل به فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان فعثر عليه فأحسن أدبه ففى ذلك يقول

وقائلة ان مات فى السجن ضابئ • لنعم الفتى تخلو به وتواصله

وقائلة لا يبعدن ذلك الفتى • ولا تبعدن أخلاقه وشمائله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا • اذا الكبش لم يوجد له من ينازله

وقائلة لا يبعد الله ضابئا • اذا الخصم لم يوجد له من يقاوله

فلا تتبعينى ان هلكت ملامة • فليس بعار قتل من لا أقاتله

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى • تركت على عثمان تبكى حلائله

العدو بكل واد ونحن أصل هذه الدولة ومنبت هذه الشجرة وأصحاب الدعوة ومن عندنا هبت هذه الريح والانصار أنصاران الأوس والخزرج نصروا النبي صلى الله عليه وسلم فى أول الزمان وأهل خراسان نصروا ورثته فى آخر الزمان غذانا بذلك آباؤنا وغذونا به أبناءنا وصار لنا نسبا لا نعرف الا به ودينا لا نوالى الا عليه ثم نحن على وتيرة واحدة ومنهاج غير مشترك نعرف بالشيعة وندين بالطاعة ونقتل فيها

وما الفَنَدُ ما آمرتَ فيه ولا الذى * تُخبّرُ من لاقيتَ أنكَ فاعله

قال أبو العباس وشبيه بقوله ما حدثنا به عن أبى شَجَرَةَ السُّلَمى وكان من فُتّاك العرب (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العزّى وأمه الخنساء وقال الطبرى اسمه سليم بن عبد العزّى) فأتى عمرَ بن الخطاب رحمه الله يستحمله فقال له عمر ومن أنت فقال أنا أبو شجرة السلمى فقال له عمر أى عُدَىَّ نفسه ألستَ القائلَ حيث ارتددتَ

ورَوَّيتُ رُمحى من كتيبةِ خالدٍ * وإنى لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا

(ويروى أن أُعمِّرا بكسر الميم ومعناه أن أفعل ذلك بكتيبة عُمَر)

وعارضتُها شهباءَ تَخطِرُ بالقنا * ترى البيضَ فى حافاتها والسَّنَوَّرا

ثم انحنى عليه عمر بالدِّرَّة فسعى إلى ناقته فحلّ عقالها وأقبلها حَرَّةَ بنى سُلَيم يا حثّ السير هربا من الدرة وهو يقول قد ضنَّ عنا أبو حفص بنائله * وكلُّ مختبطٍ يوماً له ورَقُ

مازال يضربنى حتى خَذِيتُ له * وحالَ من دون بعض الرغبة الشَّفَقُ

ثم التفتُّ إليها وهى جانحةٌ * مثلَ الرتاج إذا ما لزَّه الغَلَقُ

أقبلتها الخلَّ من شوران مجتهداً * إنى لأزرى عليها وهى تنطلقُ

ويروى أنه كان يرمى المسلمين يوم الرِّدة فلا يُغنى شيأ فجعل يقول

ها إن رمى عنهم لمعبول * فلا صريعاً اليوم إلا المصقولْ

قوله وكل مختبط يوماً له ورق أصل هذا فى الشجرة أن يختبطها الراعى وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها فضرب ذلك مثلاً لمن يطلب فضله وقال زهير

وليس مانعَ ذى قُربى وذى نَسَبٍ * يوماً ولا مُعدِمٍ من خابطٍ ورقا

(قوله ولا معدم بالخفض عطفه على توهم الباء فى مانع ومثله ما أنشده

مشائيمُ ليسوا مصلحين عشيرةً * ولا ناعبٍ إلا ببَينٍ غرابُها

على توهُّم الباء فى مصلحين ومن فى خابط زائدة) وقوله حتى خَذِيتُ له يقول خضعتُ له وأكثر ما تستعمل العامة هذه اللفظة بالزيادة تقول استخذيتُ له وزعم الأصمعى أنه شَكّ فيها وأنه أحبَّ أن يستثبت أهى مهموزة أم غير مهموزة قال فقلتُ لأعرابى أتقول استخذيتُ أم استخذأتُ قال

وغوث علينا سيمانا موصوف ولباسنا معروف ونحن أصحاب الرايات السود فى الروايات الصحيحة والأحاديث المأثورة والذين يهدمون مدن الجبابرة وينتزعون الملك من أيدى الظلمة وفينا تقدم الخبر وصح الأثر جاء فى الحديث صفة الذين يفتحون عمورية ويظهرون عليها ويقتسلون مقاتلتها ويسبون ذراريها حيث قالوا فى نعتهم شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعل القول وحقق الخبر

لا أقولهما قلت ولم فقال لان العرب لا تستخذي وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم أذن خذواء ونعمة خذواء أي مسترخية (قال أبو الحسن اليغمة نبت مسترخ على وجه الارض تأكله الابل فتكثر عنه ألبانها) قال الاصمعي وقلت لاعرابي أتهمز الفارة قال تهمزها الهرة وقوله اني لا أزري عليها يقول أستحثها يقال زرى عليه أي عاب عليه وأزرى به أي قصر به فيقول انها المجتهدة واني لا أزري عليها أي أعيب عليها الطلب النجاء والسرعة وقال الاخطل

فظل يغدو بها وظلت كأنها * عقاب دعاها جنح ليل الى وكر

وقوله هاان رمى عنهم لمغبول يقول مغبول مردود والصريح المحض الخالص يقال ذلك اللبن اذا لم يشبه ماء ويقال عربي صريح ومولى صريح أي خالص قال وحدثني محمد بن ابراهيم الهاشمي في اسناد ذكره قال بلغ عمر بن الخطاب رحمه الله أن قوما يفضلونه على أبي بكر الصديق رحمه الله فوثب مغضبا حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس اني سأخبركم عني وعن أبي بكر انه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن قلنا له يا خليفة رسول الله ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحي والملائكة يمده الله بهم وقد انقطع ذلك اليوم فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بقتال العرب فقال أبو بكر الصديق أوكلكم رأيه على هذا فقلنا نعم فقال والله لأن أخر من السماء فتخطفني الطير أحب الي من أن يكون هذا رأيي ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت أيها الناس أأن كثر أعداؤكم وقل عددكم ركب الشيطان منكم هذا المركب والله ليظهرن الله هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين والله أيها الناس لو أفردت من جميعكم لجاهدتهم في الله حق جهاده حتى أبلي بنفسي عذرا أو أقتل قتلا والله أيها الناس لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين ثم نزل فجاهد في الله حق جهاده حتى أذعنت العرب بالحق قوله كم من فئة فهي الجماعة وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا

العيان ونحن الذين ذكرنا وذكر بلادنا امام الأئمة وأبو الخلائف العشرة محمد بن علي حين أراد توجيه الدعاة الى الآفاق وتفريق شيعته في البلدان اما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها علي وشيعة علي فليس فيهما من شيعتنا الا القليل وأما الشام فشيعة بني مروان وآل أبي سفيان وأما الجزيرة فخارجية وحرورية ومارقة

الموضع أن تُقلَب الهمزة ياءً وان كانت قبلها ضمة وهي مفتوحة قلبتها واواً نحو جُوَن تقول جُوَنٌ (الجُؤنة الحُقّة يجعل فيها الحَلْي) وقوله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ولقول العامة وجهٌ قد يجوز فأما الصحيح فان المُصَدِّق اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها قيل أخذ عقالاً واذا أخذ الثمن قيل أخذ نقدًا قال الشاعر

أتانا أبو الخطّاب يضرب طبلَه • فردَّ ولم يأخذ عقالاً ولا نقدا

(كانت الامراء اذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب الطبولَ) والذى تقوله العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عقالاً فضلاً عن غيره وهذا وجه والأول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يُعقَل به البعير فيطلبه فيمنعونه ولكن مجازه في قول العامة ماذكرنا ومن كلام العرب أتانا بجفنة يقعد عليها الثلاثةُ أي لو قعد عليها الثلاثة لصلح وكان ارتداد من ارتدّ من العرب أن قالوا نقيم الصلاةَ ولا نؤتي الزكاة فمن ذلك قول الحُطَيئة

ألا كلُّ أرماحٍ قصارٍ أذلّةٍ • فداءٌ لأرماحٍ نُصِبنَ على الغَمْرِ

فباسَتْ بني عَبسٍ وأستاهِ طيِّئٍ • وباسْتِ بني دُودانَ حاشا بني نَصْرِ

أبوا غيرَ ضربٍ يجثِمُ الهامَ وقعُه • وطعنٍ كأفواه المُزَفَّتة الحُمْرِ

(المزفّتة المَطليّة بالزِّفت وهو القَطِران يعني الابل وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزِّقاق)

أطعنا رسولَ الله اذ كان بيننا • فيالَهفَتا ما بالُ دينِ أبي بكرِ

أيورثُها بكراً اذا مات بعده • فتلك وبيتِ الله قاصمةُ الظَّهرِ

فقوموا ولا تُعطوا اللئامَ مَقادةً • وقوموا ولو كان القيامُ على الجَمرِ

فِدى لبني نصرٍ طَريفي وتالدي • عشيّةَ ذادوا بالرماح أبا بكرِ

(قوله ذادوا بالرماح أبا بكر كذبٌ انما خرجوا على الابل فقعقعوا لها بالشِّنان فنفرت وفرّت) قوله يجثم الهام وقعه انما هو مَثَلٌ يقال جَثَمَ الطائر كما يقال برك الجمل وربض البعير وكان قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر عاملا على صدقات بني سعد فقسم ما كان في يده من أموال الصدقات على بني منقر وقال

فمن مُبلغٌ عني قُريشاً رسالةً • اذا ما أتتها مُحكَماتُ الودائعِ

حَبَوتُ بما صدّقتُ في العام منقَرا • وأيأستُ منها كلَّ أطلَسَ طامعِ

ولكن عليكم بهذا الشرق فان هنالك صدوراً سليمة وقلوباً باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تخامرها الأدواء ولم تعتقبها البدع وهم مغبطون موتورون وهنالك العدد والعدة والعتاد والنجدة ثم قال وأنا أتفاءل الى حيث ما تطلع فكنا خير جند لخير امام وصدقنا ظنه وثبتنا رأيه وصوبنا فراسته وقال مرة أخرى ان أمرنا هذا شرقي لا غربي ومقبل غير مدبر يطلع كطلوع الشمس ويمتد على الآفاق امتداد النهار حتى تبلغ

قوله

قوله فاجمع رأينا كلنا أصحاب محمد فانما انخفض كلنا على انه توكيد لاسمائهم المضمرة والظاهرة لا تكون بدلا من المضمر الذى يعنى به المتكلم نفسه أو يعنى به المخاطب لا يجوز أن تقول مررت بى زيدلان هذه الياء لا يشركه فيها شريك فتحتاج الى التبيين وكذلك لا يجوز ضربتك زيدا لان المخاطب منفرد بهذه الكاف فأما الهاء نحو مررت به عبد الله فيجوز لانا نحتاج الى أن يعرفنا مبيننا من صاحب الهاء لانها ليست للذى يخاطبه فلا ينكر نفسه وانما يحدث به عن غائب فيحتاج الى البيان وقوله أصحاب محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر وهو أعنى ليبين من هؤلاء الجماعة كما ينشد ● نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ● أراد نحن أصحاب الجمل ثم بين من هم لان هذا قد كان يقع على من دون بنى ضبة معه وعلى من فوقها الى مضر ونزار ومعد ومن بعدهم وكذلك نحن العرب أقرى الناس لضيف ونحن الصعاليك لا طاقة بنا على المروءة ويختار فى هذا الشعر (هو لعمرو بن الأهتم)

انا بنى منقر قوم ذوو حسب ● فينا سراة بنى سعد وناديها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم

حيثما تبلغه الاخفاف وتناله الحوافر قالوا ونحن قتلنا الصحيحة والدالغيسة والذ كوانية والراشدية ونحن أصحاب الخنادق ونباتة بن حنظلة وعامر بن ضبابة وأصحاب ابن هبيرة فلنا قديم هذا الأمر وحديثه وأوله وآخره ومنا قاتل مروان ونحن قوم لنا أجسام وأجرام وشعور وهام ومنا كب عظام وجباه عراض وقصر غلاظ وسواعد طوال ونحن أولد للذكورة وأنسل بعولة وأقل ضوى وصولة وأقل أناما وأنتق أرحاما

(باب)

قال أبو العباس هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج اليها للتمثل لانها أشكل بالدهر ويستعار من ألفاظها فى المخاطبات والخطب والكتب قال عبد الصمد بن المعذل

تكلفنى اذلال نفسى لعزها ● وهان عليها أن أهان لتكرما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثم ● فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

(بالثاء مثلثة لا غير وكذلك أكثم بن صيفى ويقال ان يحيى بن أكثم من ولد أكثم بن صيفى) وقال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قزعة وهو أبو المغيرة أخو الملوى المتكلم قال وقال المازنى لم أر أعلم من الملوى بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النظام

خليلى من كعب أعينا أخاكما ● على دهره ان الكريم معين ● ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه

مخافة أن يرجى نداه حزين ● كأن عبيد الله لم يلق ماجدا ● ولم يدر أن المكرمات تكون

فقل لابى يحيى متى تدرك العلى ● وفى كل معروف عليك يمين

اذا جئته فى حاجة سد بابه ● فلم تلقه الا وأنت كمين

نظير قوله ● وفى كل معروف عليك يمين ● قول جرير

ولا خير فى مال عليه أليّة ● ولا فى يمين عقدت بالمآثم

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية)

أطع الله بجهدك ● عامدا أو دون جهدك أعط مولاك كما تطلب من طاعة عبدك

وقال محمود تعصى الاله وأنت تظهر حبه ● هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ● ان المحب لمن يحب مطيع

وقال أيضا انى شكرت لظالمى ظلمى ● وغفرت ذاك له على علمى

ورأيته أسدى الى يدا ● لما أبان بجهله حلمى

رجعت اساءته عليه واحسانى فعاد مضاعف الجرم

وغدوت ذا أجر ومحمدة ● وغدا بكسب الظلم والاثم

فكأنما الاحسان كان له ● وأنا المسىء اليه فى الحكم

مازال يظلمنى وأرحمه ● حتى بكيت له من الظلم

أخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له انى مررت بقوم من قريش من آل الزبير أو غيرهم يشتمونك شتما رحمتك منه قال أفسمعتنى أقول الا خيرا قال لا قال اياهم فارحم وقال أبو بكر الصديق رحمه الله لرجل قال له لأشتمنك شتما يدخل معك فى قبرك قال معك والله يدخل لا معى وقال ابن مسعود ان الرجل ليظلمنى فأرحمه وقال رجل للشعبى كلاما أقذع له فيه فقال له الشعبى ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك ويروى انه أتى مسجدا فصادف فيه قوما يغتابونه فأخذ بعضادتى الباب ثم قال

هنيأ مريئا غير داء مخامر ● لعزة من أعراضنا ما استحلت

وذكر ابن عائشة أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبى اليه فسألت عنه فقيل لى هذا الحسن بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما فامتلأ قلبى له بغضا وحسدت عليا أن يكون له ابن مثله فصرت اليه فقلت له أأنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت فبك وبأبيك أسبهما فلما انقضى كلامى

واشد عصبا وأتم عظاما وأبداننا أحمل للسلاح وأخفافنا أملأ للعيون ونحن أكثر مادة وأكثر عددا وعدة ولو أن يأجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر منا لظهروا عليهم بالعدد فأما الأيد وشدة الأسر فليس لأحد بعد عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين مثل أيدنا وأسرنا ولو أن خيول الآفاق وفرسان جميع الأطراف جمعوا فى حلبة واحدة لكنا أكثر فى العيون وأهول فى الصدور ومتى رأيت مواكبنا وفرساننا وبنودنا التى لا يحملها

قال

قال لي أحسبك غريبا قلت أجل قال فَلِ بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال آسيناك أو الى حاجة عاونّاك قال فانصرفت عنه ووالله ما على الارض أحدٌ أحبّ الي منه وقال محمود الورّاق

يا ناظرا يرنو بعيني راقد • ومشاهدا للامر غير مشاهد
منّيت نفسك ضلّة وأبحتها • طرق الرجاء وهنّ غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى • درك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما • منها الى الدنيا بذنب واحد

وقال الحكمي (هو أبو نواس الحسن بن هانئ وهو منسوب الى حكم قبيلة من مذحج) للفضل بن الربيع

ما من يد في الناس واحدة • كيد أبو العباس مولاها
نام الكرام على مضاجعهم • وسرى الى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمّنني • من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عني عفو مقتدر • حلّت له نقم فألغاها

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة لذي اليمينين (سمي ذا اليمينين لانه ضرب انسانا فجعله قسمين)

لمّا رأيتك قاعدا مستقبلا • أيقنت أنك للهموم قرين • فارفض بها وتعرّ من أثوابها
ان كان عندك للقضاء يقين • ما لا يكون فلا يكون بحيلة • أبدا وما هو كائن سيكون
يسعى الذكي فلا ينال بسعيه • حظّا ويحظى عاجز ومهين • سيكون ما هو كائن في وقته
وأخو الجهالة متعب محزون • الله يعلم أن فرقة بيننا • فيما أرى شيء علي يهون

وقال صالح بن عبد القدوس (صلبه عبد الملك بن مروان على الزندقة أعني صالحا)

ان يكن ما به أصبت جليلا • فذهاب العزاء فيه أجلّ
كل آت لا شك آت وذو الجهل معنّى والغمّ والحزن فضل

وأنشد منشد من الابيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهشام بن عبد الملك)

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى • الى بعض ما فيه عليك مقال

ومنها قول ابن أبي وهيب   واني لأرجو الله حتى كأنني • أرى بجميل الظن ما الله صانع
وقال آخر   ويعرف وجه الحزم حتى كأنما • تخاطبه من كل أمر عواقبه

غيرنا علمت انا لم نخلق الا لقلب الدول وطاعة الخلفاء وتأييد السلطان ولو أن أهل تبت ورجال وفرسان الهند وجلبة الروم هجم عليهم هاشم ابن أشناخنج لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب في البلاد ونحن أصحاب اللحى وأرباب النهى وأهل الحلم والحجى وأهل الشجاعة في الرأي والبعد من الطيش ولسنا بجند الشام المتعرضين للحرم والمنتهكين لكل محرم ونحن ناس لنا أمانة وفينا عفة ونحن نجمع بين النزاهة والقناعة

وقال أشجع السلمي رأى سرى وعيون الناس راقدة • ما أخر الحزم رأى قدم الحذرا

وقال آخر فلله منى جانب لا أضيعه • وللهو منى والبطالة جانب

وقال آخر فلو طاب نفسى غير نفسى لسؤته • فكيف ونفسى قد أتت ما يعيبها

وقال آخر يرى قلتات الرأى والرأى مقبل • كأن له فى اليوم عينا على غد

وقال عبد الصمد بن المعذل

أمن على المجتدى • وما أتبع المن من
كأن لم يزل ما أتى • وما قد مضى لم يكن
أرى الناس أحدوثة • فكونى حديثا حسن

وقال أيضا زعمت عاذلتى أنى لما • حفظ البخل من المال مضيع
كلفتنى عذرة الباخل إذ • طرق الطارق والناس هجوع
ليس لى عذر وعندى بلغة • إنما العذر لمن لا يستطيع

وقال الحسن بن هانئ الحكمى

أليك غدت بى حاجة لم أبح بها • أخاف عليها شامتا فأدارى
فأرخ عليها ستر معروفك الذى • سترت به قدما على عوارى

وقال أيضا قد قلت للعباس معتذرا • من ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتنى نعما • أوهت قوى شكرى فقد ضعفا
فاليك بعد اليوم تقدمة • لاقتك بالتصريح منكشفا
لا تحدثن الى عارفة • حتى أقوم بشكر ما سلفا

وقال دعبل بن على الخزاعى

أحببت قومى ولم أعدل بحبهم • قالوا تعصبت جهلا قول ذى بهت
دعنى أصل رحمى إن كنت قاطعها • لا بد للرحم الدنيا من الصلة
فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم • حقا يفرق بين الزوج والمرة
قومى بنو مذحج والأزد إخوتهم • وآل كندة والأحياء من علت
ثبت الحلوم فإن سلت حفائظهم • سلوا السيوف فأردوا كل ذى عنت

والصبر على الخدمة وعلى الضمز وبعد الشقة ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن أصحاب التجافيف والأجراس والبازفكند واللبود الطوال والأعمدة والحقفة والقلانس الشاشية والخيول الشهرية ولنا الكافركوبات والطبرزينات فى الأكف والخناجر فى الأوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل ولنا الأصوات التى تسقط الحبالى وليس فى الأرض صناعة عراقية ولا

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن ● ما راضه قلبه أجراه فى الشفة

فرب قافية بالمزح جارية ● مشؤومة لم يرد انماؤها انمت

انى اذا قلت بيتاً مات قائله ● ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال أيضا
نعونى ولما ينعنى غير شامت ● وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره ● وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره ● ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردئ الشعر من قبل أهله ● وجيده يبقى وان مات قائله

(البيت الاخير ليس لدعبل وانما هو مضمن) وقال اسمعيل بن القاسم

يا من يعيب وعيبه متشعب ● كم قد تمن عيب وأنت تعيب

لله درك كيف أنت وغاية ● يدعوك ربك عندها فتجيب

وقال أيضا
يا على بن ثابت بان منى ● صاحب جل فقده يوم بنتا

يا على بن ثابت أين أنتا ● أنت بين القبور حيث دفنتا

قد لعمرى حكيت لى غصص المو ● ت وحركتنى لها وسكنتا

وقال أيضا
صاحب كان لى هلك ● والسبيل التى سلك

(والسبيل التى سلك ابتداء وخبر ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا على بن ثابت ● غفر الله لى ولك كل حى مملك ● سوف يفنى وما ملك

وقال أيضا
طوتك خطوب دهرك بعد نشر ● كذاك خطوبه نشرا وطيا

فلو نشرت قواك لى المنايا ● شكوت اليك ما صنعت اليا

بكيتك يا أخى بدمع عينى ● فلم يغن البكاء عليك شيا

كفى حزنا بدفنك ثم انى ● نفضت تراب قبرك عن يديا

وكانت فى حياتك لى عظات ● وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار والآثار فينظم ذلك الكلام المشهور ويتناوله أقرب متناول ويسرقه أخفى سرقة فقوله وأنت اليوم أوعظ منك حيا انما

جازية من أدب وحكمة وحساب وهندسة وارتفاع بناء وصنعة وفقه ورواية تطرث فيها الخراسانية الا فرغت منها الرؤساء وبدت فيها العلماء ولنا صنعة السلاح عدة للحروب وتثقيفا ودربة للمجاولة والمشاولة والكر بعد الفر مثل الدبوق والنزو على الخيل صغارا ومثل الطبطاب والصوالجة كبارا ثم رمى الجنبمة والبرجاسبار والطائر الخاطف فنحن أحق بالأثرة وأولى بشرف المنزلة قلت وزعم أن

أخذه من قول الموبذ لقباذ الملك حيث مات فانه قال فى ذلك الوقت كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس وأخذ قوله *

قد لعمرى حكيت لى غصص المو ● ت وحركتنى لها وسكنتا

من قول نادب الاسكندر فانه لما مات بكى من بحضرته فقال نادبه حركنا بسكونه وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهية) يا عجبا الناس لو فكروا ● وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا الى غيرها ● فانما الدنيا لهم معبر

(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لاغير رواية عاصم)

الخير مما ليس يخفى هو الـمعروف والشر هو المنكر ● والموعد الموت وما بعده الحشر فذاك الموعد الاكبر ● لا فخر الا فخر أهل التقى ● غدا اذا ضمهم المحشر ليعلمن الناس أن التقى ● والبر كانا خير ما يذخر ● عجبت للانسان فى فخره وهو غدا فى قبره يقبر ● ما بال من أوله نطفة ● وجيفة آخره يفخر

أصبح لا يملك تقديم ما ● يرجو ولا تأخير ما يحذر

وأصبح الأمر الى غيره ● فى كل ما يقضى وما يقدر .

أما قوله يا عجبا الناس لو فكروا ● وحاسبوا أنفسهم أبصروا

فأخوذ من قولهم الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ومن قول لقمان لابنه يا بنى لا ينبغى لعاقل أن يخلى نفسه من أربعة أوقات فوقت منها يناجى فيه ربه ووقت يحاسب فيه نفسه ووقت يكسب فيه لمعاشه ووقت يخلى فيه بين نفسه و بين لذتها ليستعين بذلك على سائر الأوقات وقوله

وعبروا الدنيا الى غيرها ● فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقوله

الخير مما ليس يخفى هو الـمعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا وشبك بين أصابعه فقلت مرنى يا رسول الله فقال خذ ما عرفت ودع ما أنكرت وعليك بخويصة نفسك واياك

العربى يقول ان تمكن العربى تستحق بالانساب الثابتة والارحام الشابكة وبالقدمة وبطاعة الآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمدح الباقى وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء الدهر ويلوح ما لاح نجم وينشد ما أهل بالحج وما هبت الصبا وما كان للزيت عاصر وبالكلام المنثور والقول المأثور وبصفة مخرج الدولة والاحتجاج للدعوة وتقييد المآثر اذ لم يكن ذلك من عادة العجم ولا كان يحفظ ذلك معروفا لسوى العرب

وعوامها

وعوامُّها قوله صلى الله عليه وسلم فى حُثالة من الناس أما الحُثالة فهو ما يبقى فى الاناء من ردى الطعام وضرب به مثلاً وقوله مَرِجَتْ عُهودُهم يقول اختلطت وذهبت بهم كل مَذْهَبٍ يقال مَرِجَ الماءُ اذا سال فلم يكن له مانع قال الله عز وجل مَرَجَ البحرين يلتقيان وقوله

لَيعلمنَّ الناسُ أن التُّقى • والبِرَّ كانا خيرَ ما يُذخر

مأخوذ من قول أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا حُشر الناسُ فى صعيد واحد نادى منادٍ من قِبَل العرش لَيعلمنَّ أهلُ الموقف مَن أهلُ الكرم اليوم لِيَقُمِ المتقون ثم تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم انَّ أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله

ما بالُ من أوله نطفة • وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه وما ابنُ آدم والفخرُ وانما أوله نُطفةٌ وآخره جيفةٌ لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفَه وقال ابن أبى عُيَيْنة

ما راح يومٌ على حىٍّ ولا ابتكرا • الا رأى عبرةً فيه ان اعتبرا

ولا أتتْ ساعةٌ فى الدهر فانصرمتْ • حتى تؤثِّر فى قومٍ لها أثرا

(فانصرفتْ أشبهُ للمطابقة والمشهور انصرمتْ)

انَّ الليالى والايام أنفسها • عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا

فأخذ هذا المعنى حبيبُ بن أوس الطائى وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال

عمرى لقد نَصَحَ الزمانُ وانه • لَمِنَ العجائبِ ناصحٌ لا يُشفق

فزاد بقوله ناصح لا يشفق على قول ابن أبى عيينة شيأ طريفا وهكذا يفعل الحاذق بالكلام ولو قال قائل ان أقرب ما أخذ منه أبو العتاهية

لَيعلمنَّ الناسُ أن التُّقى • والبِرَّ كانا خيرَ ما يُذخر

من قول الخليل بن أحمد (قال أبو الحسن زعم النسابون أنهم لا يعرفون منذ وقت النبى صلى الله عليه وسلم الى الوقت الذى وُلد فيه أحمدُ أبو الخليل أحدا سُمِّى بأحمد غيره)

واذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد • ذخرا يكون كصالح الاعمال

لكان قد قال قولا وقال العباس بن الفرج أملى من دونه أجلى • فمتى أُفضى الى أملى

وتحن نرتبطها بالشعر المقفى ونقيدها بحفظ الأمين الذين لا يتكلمون على الكتب المدونة والخطوط المطرسة ونحن أصحاب التفاخر والتنافر والتنازع فى الشرف والتحاكم الى كل حكم مقنع وكاهن سجاع ونحن أصحاب التعاير بالمثالب والتفاخر بالمناقب ونحن أحفظ لانسابنا وأدعى لحقوقنا وتقييدها أيضا بالمنثور المرسل بعد الموزون المعدل بلسان امضى من السنان وارهف من السيف الحسام حتى نذكرهم ما قد درس رسمه

وقال الخليل بن أحمد وكان نظر في النجوم فأبعد ثم لم يرضها فقال

أبلغا عني المنجم أني ● كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا ● ن بحتم من المهيمن واجب

وقال محمد بن يسير يعيب المتكلمين أنشدنيه الرياشي

يا سائلي عن مقالة الشيع ● وعن صنوف الأهواء والبدع
دع من يقود الكلام ناحية ● فما يقود الكلام ذو ورع
كل أناس بدينهم حسن ● ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر ما فيه أن يقال له ● لم يك في قوله بمنقطع

وأنشدني الرياشي لغيره

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا ● في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم ● وفي الذي حملوا من حقه شغل

وقال محمد بن يسير ويل لمن لم يرحم الله ● ومن تكون النار مثواه
يا حسرتى في كل يوم مضى ● يذكرني الموت وأنساه
من طال في الدنيا به عمره ● وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل في مجلس ● قد كنت آتيه وأغشاه
صار اليسيري إلى ربه ● يرحمنا الله وإياه

وقال أيضا أي صفو إلا إلى تكدير ● ونعيم إلا إلى تغيير
وسرور ولذة وحبور ● ليس رهنا لنا بيوم عسير
عجبا لي ومن رضاي بدنيا ● أنا فيها على شفا تغرير
عالم لا أشك أني إلى الله إذا مت أو عذاب السعير
ثم ألهو ولست أدري إلى أيهما بعده يصير مصيري
أي يوم علي أفظع من يو ● م به تبرز النعاة سريري
كلما مر بي على أهل ناد ● كنت حينا بهم كثير المرور

وعفا أثره وبين القتال من جهة الرغبة والرهبة فرق وليس المعرق في الحفاظ كمن هذى فيه حادثا وهذا باب يتقدم التالد القديم الطارف الحديث وطلاب الطوائل رجلان سجستاني واعرابي وهل أكثر النقباء إلا من صميم العرب ومن حلية هذا النسب كعبد الحميد بن قحطبة ابن شبيب الطائي وأبي محمد سليمان بن كثير الخزاعي وأبي نصر مالك ابن الهيثم الخزاعي وأبي داود خالد بن ابراهيم الذهلي وكأبي عمرو لاهز بن قريظ

قيل من ذا على سرير المنايا • قيل هذا محمد بن يسير

وقال الحكمي أبو نواس

أخي ما بال قلبك ليس ينقى • كأنك لا تظن الموت حقا • ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا

أما والله ما ذهبوا لتبقى • وما أحد بزادك منك أحظى • وما أحد بزادك منك أشقى

ولا لك غير تقوى الله زاد • اذا جعلت الى اللهوات ترقى

ومما يستحسن من شعره قوله لا أذود الطير عن شجر • قد بلوت المر من ثمره

فلو ان هذا لو تقدم لكان فى صدور الامثال وكذلك قوله أيضا

فامض لا تمنن على يدا • منك المعروف من كدره

وكان يقول ذكر المعروف من المنعم افساده وكتمانه من المنعم عليه كفره وفى هذا الشعر أبيات

مختارة فمنها واذا مج القنا علقا • وتراأى الموت فى صوره • راح فى ثنيى مفاضته

أسد يدمى شبا ظفره • تتأيى الطير غدوته • ثقة بالشبع من جزره

فاسل عن نوء تؤمله • حسبك العباس من مطره • لا تغطى عنه مكرمة

بربا وادو لا خمره • ذللت تلك الفجاج له • فهو مختار على بصره

وقد عابوا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل • من رسول الله من نفره

وهو لعمرى كلام مستهجن موضوع فى غير موضعه لان حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يضاف اليه ولا يضاف الى غيره ولو اتسع متسع فأجراه فى باب الحيلة لخرج على الاحتيال ولكنه

عسر موضوع فى غير موضعه وباب الاحتيال فيه أن تقول قد يقول القائل من بنى هاشم لغيره من

أفناء قريش منا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق هذا انه من القبيل الذى أنا منه فقد أضافه

الى نفسه وكذلك يقول القرشى لسائر العرب كما قال حسان بن ثابت

وما زال فى الاسلام من آل هاشم • دعائم عز لا ترام ومفخر

بها ليل منهم جعفر وابن أمه • على ومنهم أحمد المتخير

فقال منهم كما قال هذا من نفره أراد من النفر الذين العباس هذا الممدوح منهم وأما قول حسان

منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير فان العرب اذا كان العطف بالواو قدمت وأخرت

المزنى ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزنى وبعد فمن هذا الذى باشر قتل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل نباتة بن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ومن فتح السند الاموسى بن كعب ومن فتح افريقية الا محمد بن الاشعث وقلت وقال ويقول الموالى انا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع الثقة عند الشدة وعلل المولى من تحت موجبة لمحبة المولى

قال الله تبارك وتعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال اسجدى واركعى مع الراكعين ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح الا تقديم المقدم ثم الذى يليه واحدا فواحدا واما قوله فى هذا الشعر وكريم الخال من يمن * وكريم العم من مضر فاضاف مضر اليه فهو أجود كلام لا يمتنع منه ممتنع قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم الجمل للاشتر وهو مالك بن الحرث أحد النخع بن عمرو بن علة بن جلد وكان على الميمنة احمل فحمل فى أصحابه فكشف من بازائه ثم قال لهاشم بن عتبة بن مالك أحد بنى زهرة بن كلاب وكان على الميسرة احمل فحمل فى المضرية فكشف من بازائه فقال على رضى الله عنه لاصحابه كيف رأيتم مضرى ويمنى فاضاف القبيلتين الى نفسه قال جرير

ان الذين ابتنوا مجدا ومكرمة * تلكم قريشى والانصار أنصارى

ومما يستحسن من أشعار المحدثين قول اسحق بن خلف البهرانى ونسبه فى بنى حنيفة لسباء وقع عليه يقوله لعلى بن عيسى بن موسى بن طلحة الاشعرى المعروف بالقمى (منسوب الى قمة وهى بلدة أو قرية من خراسان)

والكرد منك اذا زرتهم * بكبدك يوم كيوم الجمل
ومازال عيسى بن موسى له * مواهب غير النطاف المكل
لسل السيوف وشق الصفوف * لنقض التراث وضرب القلل
ولبس العجاجة والخافقات * تريك المنا برؤس الأسل
وقد كشرت عن شباناتها * عروس المنية بين الشعل
وجاءت تهادى وأبناؤها * كأن عليهم شروق الطفل
خروس نطوق اذا استنطقت * جهول تطيش على من جهل
اذا خطبت أخذت مهرها * رؤسا تحادر قبل النفل
ألذ اليه من المسمعات * وحث الكؤوسة فى يوم طل
وشرب المدام ومن يشتهيه * معاط له بعزاج القبل
بعثنا النواعج تحت الرحال * تسافه أشداقها فى الجدل

من فوق لأن شرف مولاه راجع اليه وكرمه زائد فى كرمه وخموله مسقط لقدره ويوده أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه لان ذلك كلما كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر كان هو بها أشرف وأنبل ومولاك أسلمك صدرا وأوضحها وأقل حسدا وأبعد فالولاء لحمة كلحمة النسب فقد صار لنا النسب الذى تقوى به العربى ولنا الأصل الذى يفتخر به العجمى قال والصبر ضروب فأكرمها كلها الصبر على افشاء السر والمولى فى

اذا ماحُدِينَ بِمَدحِ الامير • سَبقنَ لِحاظَ المُحِثِّ العَجِل

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أحَثَّ يقال حث وأحث على فَعَلَ وعلى أفعَلَ لغتان) قوله تريد المَنار يريد المنايا وهذه كلمة تخفف على ألسنتهم فيحذفونها وزعم الاصمعى انه سمع العرب تقول درَسَ المَنَا يريدون المنازل وجاء فى التخفيف أعجبُ من هذا حدثنا بعض أصحابنا عن الاصمعى وذكره سيبويه فى كتابه ولم يذكر قائله ولكنّ الاصمعى قال كان اخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتى وقت الرعى فيقول أحدهما لصاحبه ألا تا فيقول الآخر بلى فا يريد ألا تنهض فيقول الآخر بلى فانهض وحكى سيبويه فى هذا الباب

بالخير خيرات وانْ شرًّا فا • ولا أُريدُ الشرَّ الا انْ تا

يريد وان شرا فشر ولا أريد الشر الا أن تريد (قال ش قول أبى العباس الا أن تريدوهم وانما هو الا أن تشاء ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ • وحدثنى أبو عثمان الجاحظ قال قال لى محمد بن الجهم لما كانت أيام الزُطّ أدمنتُ الفكر وأمسكت عن القول فاصابتنى حُبسة فى لسانى وقال رجل من الاعراب يذكر آخر منهم

كأنّ فيه لَفَفًا اذا نَطَق • من طول تحبيس وهَمٍّ وأَرَق

وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتُكثِر فقال أُكثِرُ لضربين أحدهما فيما لا تُغنى فيه القلّةُ والآخر لتمرين اللسان فان حبسه يورث العُقلة وكان خالد يقول لا تكون بليغا حتى تُكلِّمَ أمَتَكَ السوداء فى الليلة الظلماء فى الحاجة المُهِمّة بما تتكلم به فى نادى قومك فانما اللسان عُضوٌ اذا مرّنته مَرَنَ واذا أهملته خارَ كاليد التى تُخشِّنها بالممارسة والبدن الذى تُقوّيه برفع الحجر وما أشبهه والرِجْل اذا عُوِّدَتِ المشىَ مشت وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تزالون أصحّاء ما نزعتم ونزوتم فنزعتم فى القسىّ ونزوتم على ظهور الخيل وقال بعض الحكماء لا ينبغى للعاقل ان يُخلىَ نفسه من ثلاث فى غير افراط الاكلُ والمشىُ والجماعُ فاما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يفطر على سَمْنٍ وصَبِرٍ ليفتُقَ امعاءه قال أبو العباس قال الاول والمشىُ ان لم تتعهده أوشكتَ ان تطلبه فلا تجده والجماعُ كالبئر ان نُزِحت جَمّت وان

هذه المكرمة ما ليس لأحد ونحن أخص مدخلا وألطف فى الخدمة مسلكا ولنا مع الطاعة والخدمة والاخلاص وحسن النية خدمة الأبناء للآباء والأجداد للاجداد وهم بمواليهم آنس وبناحيتهم أوثق وبكفايتهم أسر وقد كان المنصور ومحمد بن على وعلى بن عبد الله يخصون مواليهم بالمؤاكلة والبسط والايناس لا يبهرجون الاسود لسواده ولا الدميم لدمامته ولا ذا الصناعة الدنيئة لدناءتها ويصون بحفظهم أكابر أولادهم

تُرِكَتْ تَحْتَ بَرِيقِهَا وَهَا وحَقُّ هذا كله القَصْدُ وقوله • كأنّ عليهم شُروقَ الطَّفَلْ • يريد تألُّقَ الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وان لم تكن شمس وأحسن من هذا قول سلامة بن جندل

كأنّ النعامَ باضَ فوقَ رؤسهم • وأعيُنهم تحتَ الحديدِ جَواحِمُ

(أي مُتَّقِدَةٌ) فهذا التشبيه المصيب وأما قوله • أحب اليه من المسمعات • فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس أبو دُلَف العِجْليّ

يَوْمايَ يومٌ في أوانسَ كالدُّمَى • لَهْوِي ويومٌ في قتالِ الدَّيْلَمِ

هذا حليفُ غلائلٍ مَكْسُوَّةٍ • مِسْكاً وصافية كنَضْحِ العَنْدَمِ

ولذاك خالصةُ الدُّروعِ وضُمَّرٌ • يكسونَنا رَهَجَ الغُبارِ الأقتَمِ

وليومهنَّ الفضلُ لولا لَذَّةٌ • سبقتْ بطعن الدَّيْلَمِيِّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو

طواه الهوى فطَوَى مَن عَذَلْ • وحالفَ ذا الصَّبوةِ المُخْتَبَلْ

وأما قوله • تَسَافَهُ أشداقُها في الجُدُلْ • فتسافه من السفه وانما يصفها بالمرح وأنها تميل كذامرة وكذامرة كما قال رُؤْبة • يمشي العرضَنَى في الحديد المُتْقَنِ • وكما قال الآخر

اذا رأى السوطَ مشى الهَيْدَبَى • ويتّقي الأرضَ بعُجٍّ رقاقْ

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة وقوله بعج رقاق يريد قليلة اللحم) وكما قال الحُطَيْئة

وان آنستْ حِسّاً من السوط عارضَتْ • بيَ الجَوْرَ حتى تَسْتقيمَ ضُحَى الغَدِ

والجُدُلُ جمع جَديل وهو الزِّمامُ المجدول كما تقول قتيل ومقتول وأدنى العدد أَجْدِلَةٌ كقولك قضيب وقُضُبٌ وأقضبة وكذلك كَثيبٌ ورغيفٌ وجَريبٌ وفُعْلانٌ كفُعُل في الكثير يقال قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ ومثل قوله • تسافه أشداقها في الجدل • قول حبيب بن أوس الطائي

سفيهُ الرُّمْحِ جاهلُهُ اذا ما • بدا فضْلُ السفيهِ على الحليم

ومما يُستحسن من شعر اسحق هذا قوله في الحسن بن سَهْل

بابُ الأمير عَراءٌ ما به أحَدٌ • الا امرؤٌ واضعٌ كفاً على ذَقَنِ

قالتْ وقد أمَّلَتْ ما كنتُ آمُلُهُ • هذا الأميرُ ابنُ سَهْلٍ حاتِمُ اليَمَنِ

ويجلون الكثير من موتاهم في الصلاة على جنازتهم وذلك بحضرة من العمومة وبني الأعمام والاخوة ويتذاكرون اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة مولاه حين عقد له يوم مؤتة على جلة بني هاشم وجعله أميراً كل بلدة يطؤها ويتذاكرون حبه لأسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب وعقده له على عظماء المهاجرين وأكابر الانصار ويتذاكرون صنيعه بسائر مواليه كأبي أنسة وشقران وفلان وفلان

كَفَيْتَنِى النَّاسَ لا تَلْقَى أُخَاطِبُ ● بِنِى دارِكَ يَسْتَعْدِى على الزمن

ان الرجاء الذى قد كنت آمله ● وضعته ورجاء الناس فى كفن

فى الله منه وجدوى كفه خلف ● لبس السدى والندى فى راحة الحسن

واسحق هذا هو الذى يقول فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره ● أمضى من الأجل المتاح

وكأنما ذرَّ الهبا ● ءَ عليه أنفاسُ الرياح

واسحق هذا هو الذى يقول فى مدح العربية

النحو يبسط من لسان الألكن ● والمرء تكرمه اذا لم يلحن

واذا طلبت من العلوم أجلَّها ● فأجلُّها منها مقيم الألسن

قال أبو العباس وأحسبه أخذ قوله ● والمرء تكرمه اذا لم يلحن ● من حديث حدثناه أبو عثمان الخزاعىّ عن الأصمعى قال كان يقال ثلاثة يُحكم لهم بالنُبل حتى يُدرى مَن هم وهم رجل رأيته راكبا أو سمعته يُعرِب أو شممت منه طيبا وثلاثة يحكم عليهم بالاستصغار حتى يدرى مَن هم وهم رجل شممت منه رائحة نبيذ فى محفل أو سمعته فى مصر عربى يتكلم بالفارسية أو رجل رأيته على ظهر طريق ينازع فى القدر قال أبو العباس أنشدنى أحد الأمراء لشاعر من أهل الرى يكنى أبا يزيد شيأ يقوله لعبد الله بن طاهر أحسن فيه وأصاب الفص وقصد بالمدح الى معدنه واختاره لأهله

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا ● فى شاذمهر ودع غمدان لليمن

فانت أولى بتاج الملك تلبسه ● من هوذة بن علىّ وابن ذى يزن

فأحسن الترتيب جدا وان كانت الملوك كلها تلبس التاج فى ذلك الدهر وانما ذكر ابن ذى يزن لقول أمية بن أبى الصلت الثقفى حيث يقول

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفقا ● فى رأس غمدان دارا منك محلالا

وقال الأعشى فى هوذة بن على وان لم يكن هوذة ملكا

من ير هوذة يسجد غير متئب ● اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

له أكاليل بالياقوت فصلها ● صوّاغها لا ترى عيبا ولا طبعا

قالوا ولنا صاحب الدولة أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وأبو سلمة حفص بن سليمان وأبو مسلم مولى الامام وعليهما دارت رحى الدولة وتم الأمر واتسق نظام الملك قالوا ولنا من رؤساء النقباء أبو منصور مولى خزاعة وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة وأبو حمزة عمرو بن أعين مولى خزاعة وأبو النجم عامر بن اسماعيل مولى أبى معيط قلنا مناقب الخراسانية ولنا مناقب الموالى فى هذه الدعوة ونحن منهم واليهم ومن أنفسهم

قال أبو العباس وحدثني التوزي قال سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال لم يتتوج معدي قط وإنما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال إنما كانت خرزات تنظم له قال أبو العباس وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يجير لطيمة كسرى في البر بجنبات اليمامة واللطيمة الابل تحمل الطيب والبز ووفد هوذة بن علي على كسرى بهذا السبب فسأله عن بنيه فذكر منهم عددا فقال أيهم أحب اليك فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يصح فقال له كسرى ما غذاؤك في بلدك فقال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادي الذين يغتذون اللبن والتمر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد هممت أن لا أقبل هدية وروي أن لا أتهب هبة الا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي وروى بعضهم أو دوسي وذلك أن أعرابيا أهدى اليه هدية فثنى بها فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأمصار تفضيلا على أهل البوادي وقال عبد الله بن محمد بن أبي عيينة يعاتب رجلا من الأشراف

أتيتك زائرا لقضاء حق • فحال الستر دونك والحجاب
وعندك معشر فيهم أخ لي • كأن اخاءه الآل السراب
ولست بساقط في قدر قوم • وإن كرهوا كما يقع الذباب
وراءي مذهب عن كل ناء • بجانبه اذا عز الذهاب

وقال أيضا

كنا ملوكا اذ كان أولنا • للجود والبأس والعلى خلقوا
كانوا جبالا عزا يلاذ بها • ورائحات بالوبل تنبعق
كانوا بهم ترسل السماء على الـأرض غياثا ويشرق الأفق
لا يرتق الراتقون ان فتقوا • فتقا ولا يفتقون ما رتقوا
ليسوا كمعزى مطيرة بقيت • فما بها من مصابة لثق

(اللثق البلل)

والضعف والجبن عند نائبة • تنوبهم والحذار والفرق
هذا زمان بالناس منقلب • ظهرا لبطن جديده خلق
الأسد فيه على براثنها • مستأخرات تكاد تمترق

لا يدفع ذلك مسلم ولا ينكره مؤمن خدمناهم كبارا وحملناهم على عواتقنا صغارا هذا مع حق الرضاع والخؤولة والنشوء في الكتاب والتقلب في تلك العراص التي لم يبلغها الاكل سعيد الجدو جيه في الملوك فقد شاركنا العربي في فخره والخراساني في مجده والنبوي في فضله ثم تفردنا بما لم يشاركونا فيه ولا سابقونا اليه قالوا ونحن أشكل بالرعية وأقرب الى طباع الدهم وهم بنا آنس والينا أسكن والى لقائنا أحن ونحن بهم أرحم وعليهم

وكان سببُ قوله هذا الشعر أن اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان له صديقا وكان عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَة من رؤساء مَنْ أخذ البصرة للمأمون في أيام المخلوع وكان معاضداً لطاهر بن الحسين في حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعا في مَوَاليه وأهله وكانت الحال بينهما ألطف حال فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فولّاه البصرة وولّى ابن أبي عيينة اليمامة والبحرين وغوص البحر فلما رجعا الى البصرة تنكّر اسمعيل لابن أبي عيينة فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة ثم عزل ابن أبي عيينة فلم يزل يهجو اسمعيل وسأل ذا اليمينين عزله فدافعه وضنّ بالرجل فكان يهجو من أهله مَنْ يواصلُ اسمعيلَ وكان أكبرَ أهله قدراً في ذلك الوقت يزيد بن المنجاب وكان أعور قائم العين لم يطّلع على علّته الا بشعر ابن أبي عيينة وكان منهم وكان سيد أهل البصرة أجمعين محمد بن عبّاد بن عباد بن حبيب بن المهلّب ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صُفْرة وكان قصيرا وكان ابن عباد أحْوَلَ فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه

تَسْتقدمُ النّجْنان والبرق • في زمن سَرْوُ أهله المَلَق

عُورٌ وحُولٌ وثالثٌ لهمُ • كأنّه بين أسطر لَحَقُ

ولهم يقول ولاثنين ظن أنهما معهم وقد مروا به يريدون اسمعيل بن جعفر

ألا قُلْ لرهطٍ خمسةٍ أو ثلاثةٍ • يعدّون من أبناء آل المهلّبِ

على باب اسمعيل رُوحوا وبكّروا • دجاجَ القُرى مبثوثةً حول ثعلبِ

وأثنوا عليه بالجميل فانه • يسرّ لكم حبّاً هو الحبّ واقلبِ

يلين لكم عند اللقاء مُوارباً • ويخلفكم منه بناب ومخلبِ

ولولا الذي تُولونه لتكشّفت • سريرته عن بغضة وتعصّبِ

أبعد بلائي عنده اذ وجدته • طريحا كنصل القدح لمّا يركّبِ

به صدأٌ قد عابه خفاؤه • بكفّي حتى ضوؤه ضوء كوكبِ

وركّبته في خُوط نبعٍ وريشته • بقادمتي نسرٍ ومتنٍ معقّبِ

فما ان أتاني منه الا مبوّأ • الى بنصلٍ كالحريق مذرّبِ

أعطف وهم أشبه فن أحق بالأثرة وأولى بحسن المنزلة عن هذه الخصال له وهذه الخلال فيه وقلت وذكرت ان النبوي قال نحن أصل خراساني وهو مخرج الدولة ومطلع الدعوة ومنها نجم هذا القرن وصبا هذا الناب وتفجر هذا الينبوع واستفاض هذا البحر حتى ضرب الحق بجرانه وطبق الآفاق بضيائه فابرأ من السقم القديم وشفى من الداء العضال وأغنى من العيلة وبصر من العمى وهذه بغداد وهي مستقر الخلافة

فَفَقَتْ منه حدّه وتركته • كهذبة ثوب الخزّ لما يهذّب

رضيتم بأخلاق الدنيّ وعفتم • خلائق ماضيكم من العمّ والاب

وفى هذا يقول لطاهر بن الحسين

مالى رأيتك تُدْنى كلّ مُنتكث • اذا تغيّب مُلتاث اذا حضرا

اذا تنسّم ريح الغدر قابلها • حتى اذا نفخت فى أنفه غدرا

ومَن يجىء على التقريب منك له • وأنت تعرف فيه الميل والصعرا

أحلّك الله من قحطان منزلة • فى الرأس حيث أحلّ السمع والبصرا

فلا تضع حق قحطان فتغضبها • ولا ربيعة كلّا ولا مضرا

أعط الرجال على مقدار أنفسهم • وأول كُلّا بما أولى وما صبرا

ولا تقولنّ انى لست من أحد • لا تمحق النيّرين الشمس والقمرا

ويقول له فى أخرى

هو الصبر والتسليم لله والرضا • اذا نزلت بى خطّة لا أشاؤها

اذا نحن أبناء السنين بأنفس • كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمة انها • تؤوب وفيها ماؤها وحياؤها

هى الأنفس الكبرى التى ان تقدمت • أو استأخرت فالقتل بالسيف داؤها

سيعلم اسمعيل أن عداوتى • له ريق أفعى لا يصاب دواؤها

ولما حمل اسمعيل مقيدا ومعه ابناه أحدهما فى سلسلة مقرونا معه وكان الذى تولى ذلك أحمد بن أبى خالد فى قصة كانت لاسمعيل أيام الحضرة فقال ابن أبى عيينة فى ذلك

مرّ اسمعيل وابنا • ه معاً فى الأسراء   جالسا فى محمل ضنك على غير وطاء

يتغنى القيد فى رجليه ألوان الغناء   باكيا الأرقات عيناه من طول البكاء

باعقاب الدجن فى الأمن وفى الخوف ابن ماء

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به فمن ذلك قوله

لا تعلم العزل يا أبا الحسن • ولا هز الا فى دولة السمن

والقرار بعد الجولة وفيها بقية رجال الدعوة وأبناء أبناء الشيعة وهى خراسان العراق وبيت الخلافة وفيها بقية رجال الدعوة وموضع المادة وأنا أعرف فى هذا الأمر من أبى وأكثر ترددا فيه من جدى وأحق بهذا الفضل من المولى والعربى ولنا بعد فى أنفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال ولنا معانقة الأبطال عند تحطم القنا وانقطاع الصفائح ولنا المواجأة بالسكاكين وتلقى الخناجر بالعيون

ولا

ولا انتقالا من دار عافية • الى ديار البلاء والفتن
ولا خروجا الى القفار من الارض وترك الاحباب والوطن
كم روحة فيك لى مهجرة • ودلجة فى بقية الوسن
فى الحر والقر كى تولى على البصرة عن الامصار والمدن
انى أحاجيك يا أبا حسن • ماسورة صورت فلم تكن
وما جوى فى العين منظره • لو وزنوه بالزف لم يزن
ظاهره رائع وباطنه • ملآن من سوأة ومن درن

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زغبل مولى بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وكان منقطعا الى اسمعيل وولده وكان لا يبلغ ابن أبى عيينة فى الشعر ولا يدانيه ومن أمثل شعره وما اعترض له به قوله

انى أحاجيك ما حنيف على الشطرة باع الرباح بالغبن
وما شيخ من تحت سدرته • معلق نعله على الغصن
وما سيوف حمر مصقلة • قد عريت من مقابض السفن
وما سهام صغر مجوفة • تحشى خيوط الكتان والقطن
وما ابن ماء ان يخرجوه الى الارض تسل نفسه من الاذن
وما عقاب زوراء تلجم من • خلف فتهوى قصدا على سنن
لها جناحان يخفزان بها • نيطا اليها بحذوق رسن
باذا اليمينين اضرب علاوته • يدفع ومانى فى النار فى قرن

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جده حبس راية طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانى فى النار فى قرن مانى اسم علم وكان رأسا من رؤس الزنادقة) فأجابه ابراهيم السواق مولى آل المهلب وكان مقدما فى الشعر بأبيات لا احفظ أكثرها منها

قد قيل ما قيل فى أبى حسن • فانتصروا فى تطاول الزمن

وهذا السواق هو الذى يقول لبشر بن داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب

سماؤك تمطر الذهبا • وحربك تلتظى لهبا وأى كتيبة لا تشتمل لم تحسن الهربا

ونحن حماة المستلحم وأبناء المضائق ونحن أهل الثبات عند الجولة والمعرفة عند الخبرة وأصحاب المشهورات وزينة العساكر وحلى الجيوش ومن يمشى فى الرمح ويختال بين الصفين ونحن أصحاب القتل والاقدام ولنا بعد التسلق ونقب المدن والتقحم على ظبات السيوف وأطراف الرماح ورضخ الجندل وهشم العمد والصبر تحت الجراح وعلى جر السلاح اذا طار قلب الاعرابى وساء ظن الخراسانى ثم

ومن شعره السائر   هبيني يا معذبتي أسأت • وبالهجران قبلكم بدأت

فأين الفضل منك فدتك نفسي • علي إذا أسأت كما أسأت

ولابن أبي عيينة في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبات ذي اليمينين وهجاء اسمعيل وغيره سنذكرها بعد في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ومن شعره المستحسن قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وكان تزوج امرأة منهم يقال لها فاطمة بنت عمر بن حفص هزارمرد (وقعت الرواية كما في الاصل وصوابه هزاذمرد بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي) وهو من ولد قبيصة بن أبي صفرة ولم يلده المهلب وكان يقال لأبي صفرة ظالم بن سراق

أفاطم قد زوجت عيسى فأيقني • بذل لديه عاجل غير آجل

فإنك قد زوجت عن غير خبرة • فتى من بني العباس ليس بعاقل

فإن قلت من رهط النبي فإنه • وإن كان حر الأصل عبد الشمائل

فقد ظفرت كفاه منك بطائل • وما ظفرت كفاك منه بطائل

وقد قال فيه جعفر ومحمد • أقاويل حتى قالها كل قائل

وما قلت ما قالا لأنك أختنا • وفي السر منا والذرا والكواهل

لعمري لقد أثبته في نصابه • بأن صرت منه في محل الحلائل

إذا ما بنو العباس يوما تبادروا • عرا المجد وابتاعوا كرام الفضائل

رأيت أبا العباس يسمو بنفسه • الى بيع بياعاته والمباقل

برخم ببيض العام تحت دجاجه • ليخرج بيضا من فراريج قابل

قال أبو العباس وولد عيسى من فاطمة هذه لهم شجاعة ونجدة وشدة أبدان وفاطمة التي ذكرتها هي التي كان ينسب بها أبو عيينة أخو عبد الله ويكني عنها بدنيا ومن ذلك قوله لها

دعوتك بالقرابة والجوار • دعاء مصرح بادي السرار

لأني عنك مشتغل بنفسي • ومحترق عليك بغير نار

وأنت توقرين وليس عندي • على نار الصبابة من وقار

فأنت لأن ما بك دون ما بي • تدارين العيون ولا أداري

الصبر تحت العقوبة والاحتجاج عند المسألة واجتماع العقل وصحة الطرف وثبات القدمين وقلة التشكي بحمل العقابين والبعد من الفرار وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفاء الاقارب والاخوان ولنا القناعة عند أبواب الخنادق ورؤوس القناطر ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب ولنا المواجأة في الازقة والصبر على قتال السجون فسل عن ذلك الخلدية والكنفية والبلالية والحربية ونحن أصحاب المكابدات

ولو والله تشتاقين شوقى ٭ جمحت الى خالعة العذار

وقال عبد الله يعاتب ذا اليمينين

من مبلغ عنى الامير رسالة ٭ محصورة عندى عن الانشاد

كل المصائب قد تمر على الفتى ٭ فتهون غير شماتة الحساد

واظن لى منها لديك خبيئة ٭ ستكون عند الزاد آخر زاد

مالى ارى اخرى لديك كانه ٭ من ثقله طود من الاطواد

واراك ترجيه وتمضى غيره ٭ فى ساعة الاصدار والايراد

الله يعلم ما اتيتك زائرا ٭ من ضيق ذات يد وضيق بلاد

لكن اتيتك زائرا لك راجيا ٭ بل رتبة الآباء والاجداد

قد كان لى بالمصر يوم جامع ٭ لك مصلح فيه لكل فساد

ودعوت منصورا فاعلن بيعة ٭ فى جمع اهل المصر والاجناد

بارت مسارعة اليك بطاعتى ٭ كل البوادى وآذنت بكساد

فى الارض منفسح ورزق واسع ٭ لى عند فى غورى وفى انجادى

وقال ايضا يعاتبه

اباذا اليمينين ان العتا ٭ ب يغرى صدورا ويشفى صدورا

وكنت ارى ان ترك العتا ٭ ب خير واجدر ان لا يضيرا

الى ان ظننت بان قد ظننت ٭ بانى لنفسى ارضى الحقيرا

فاضمرت النفس فى وهمها ٭ من الهم هما يكد الضميرا

ولا بد للماء فى مرجل ٭ على النار موقدة ان يفورا

ومن اشرب اليأس كان الغنى ٭ ومن اشرب الحرص كان الفقيرا

علام وفيم ارى طاعتى ٭ لديك ونصرى لك الدهر بورا

الم آتك بالمصر ادعو البعيد ٭ اليك وادعو القريب العشيرا

الم آتك اول آت اتاك ٭ بطاعة من كان خلفى بشيرا

والزم غمرك فى ما قط الـ ٭ ـحروب عليها مقيما صبورا

وارباب البينات وقتل الناس جهارا فى الاسواق والطرقات ونحن نجمع بين السلة والمزاحفة وبين اصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة والمطارد القصار ما كنا فرسانا فان صرنا كمينا فالحتف القاضى والسم الذعاف وان كنا طلائع فكلنا يقوم مقام امير الجيش نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ونقاتل فى الماء كما نقاتل على الارض ونقاتل فى القرية كما نقاتل فى المحلة ونحن اقتل واخشب ونحن اقطع الطريق واذكر فى الثغور

فنعم تقدم جفالة ۰ اليك أمامي وأدعى أخيرا
كأنك لم تر أن الفتى السحمي اذا زار يوما أميرا
نقدم من دونه قبله ۰ ألست تراه بسخط جديرا
ألست ترى ان سف التراب ۰ به كان أكرم من أن يزورا
ولست ضعيف الهوى والمدى ۰ أكون الصبا وأكون الدبورا
ولكن شهاب فان ترم بى ۰ مهما تجد كوكبي مستنيرا
فهل لك فى الاذن لى راضيا ۰ فانى أرى الاذن غنما كبيرا
وكان لك الله فيما ابتعثت ۰ له من جهاد ونصر نصيرا
ولا جعل الله فى دولة ۰ سبقت اليها وريح فتورا
فان ورائى لى مذهبا ۰ بعيدا من الارض قاعا وقورا
به الضب تحسبه بالفلاة ۰ اذا خفق الآل فيها بعيرا
ومالا ومصرا على أهله ۰ يد الله من جار أن يجورا
وانى لمن خير سكانه ۰ وأكثرهم بنفيرى نفيرا

وقال عبد الله لعلى بن محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم وكان دعاه الى نصرته حين ظهرت المبيضة فلم يجبه فتوعده على فقال عبد الله

أعلى انك جاهل مغرور ۰ لا ظلمة لك لا ولا لك نور
أكتبت توعدنى ان استبطأتنى ۰ انى بحربك ما حييت جدير
فدع الوعيد فان وعيدك ضائرى ۰ أطنين أجنحة البعوض يضير
واذا ارتحلت فان نصرى للذى ۰ أبواهم المهدى والمنصور
نبتت عليه لحومنا ودماؤنا ۰ وعليه قد رسعينا المشكور

وقال عبد الله فى قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب من قتل بأرض السند بدم أخيه المغيرة بن يزيد

أفنى تميما سعدها وربابها ۰ بالسند قتل مغيرة بن يزيد
صعقت عليهم صعقة عتكية ۰ جعلت لهم يوما كيوم ثمود

مع حسن القدود وجودة الخرط ومقادير اللحى وحسن العمة والنغس المرة وأصحاب الفتوة ثم الخط والكتابة والفقه والرواية ولنا بغداد بأسرها تسكن ما سكنا وتحرك ما تحركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى مغناها فاذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وغناؤها لغنائها وخلاعها لخلاعها ورؤساؤها لرؤسائها وصلحاؤها لصلحائها ونحن تربية الخلفاء وجيران

ذاقت تميم عن كثب عذابنا • بالسند من عمرو ومن داود
قدنا الجياد من العراق اليهم • مثل القطا مستنّة لورود
يحملن من ولد المهلب عصبة • خلقت قلوبهم قلوب أسود

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة

اذا كرّ فيهم كرّة أفرجوا له • فرار بغاث الطير صادفن أجدلا
وما نيل الامن بعيد بحاصب • من النبل والنشاب حتى تجدّلا
واني لمثن بالذي كان أهله • أبو حاتم ان ناب دهر فأعضلا
فتى كان يستحيي من الذم أن يرى • له مخبر جار وما عليه ومدخلا
وكان يظن الموت عارا على الفتى • يد الدهر الا أن يصاب فيقتلا
منية أبناء المهلب انهم • يرون بها حتما كتابا معجّلا
وقد أطلق الله اللسان بقتل من • قتلنا به منهم ومن وأفضلا
أناخ بهم داود يصرف نابه • ويلقي عليهم كلكلا ثم كلكلا
يقتلهم جوعا اذا ما تحصنوا • وتقريهم هوج المجانيق جندلا

وهذا شعر عجيب من شعره وفي هذه القصة يقول

أبت الا بكاء وانتحابا • وذكرا للمغيرة واكتئابا
ألم تعلم بان القتل ورد • لنا كالماء حين صفا وطابا
وقلت لها سري ونبي بقولي • كأنك قد قرأت به كتابا
فقد جاء الكتاب به فقولي • ألا لا تعدم الرأي الصوابا
جلبنا الخيل من بغداد شعثا • عوابس تحمل الأسد الغضابا
بكل فتى أغر مهلبي • تخال بضوء صورته شهابا
ومن قحطان كل أخي حفاظ • اذا يدعى لنائبة أجابا
فما بلغت قرى كرمان حتى • تخدد لحمها عنها فذابا
وكان لهن في كرمان يوم • أمرّ على الشراة بها الشرابا

الوزراء ولدنا في أفنيتهم لو كنا ونحن أجنحة خلفائنا فاخذنا بآدابهم واحتذينا على مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا نتهم بغيرهم ولم يطمع فينا أحد قط من خطاب ملكهم وممن يترشح للاعتراض عليهم فمن أحق بالأثرة وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له ان ذهبنا حفظك الله بعقب هذه الاحتجاجات وعند منقطع هذه الاستدلالات تستعمل المفاوضة بمناقب الاتراك

وإنّا تاركون غـداً حديثنا • بأرض السند سعداً والربابا
تُفاخر بابن أحوزها تميمٌ • لقـد حان المُفاخر لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عيينة

أعاذل صه لست من شيمتي • وان كنت لي ناصحاً مشفقا
أراك تُفرّقني دائباً • وما ينبغي لي أن أفرقا
أنا ابن الذي شاد لي منصباً • وكان السماك اذا حلّقا
فربع العراق وبطريقهم • وعزّهم المرتجى المتّقى
فمن يستطيع اذا ماذهبت أنطق في المجد أن ينطقا
انا ابن المهلّب مافوق ذا • لعال الى شرف مُرتقى
فدعني أُغلّي ثياب الصبا • بجدّتها قبل أن تخلقا

(قال أبو الحسن وهذا شعر حسن أوله

ألم تنه نفسك أن تعشقا • وما أنت والعشق لولا الشقا
أمن بعد شربك كأس النهى • وشمّك ريحان أهل التقا
عشقت فأصبحت في العاشقين أشهر من فرس أبلقا

ثم قال • أعاذل صه لست من شيمتي • ثم قال بعد قوله • فدعني أغلي ثياب الصبا •

أدنياي من غمر بحر الهوى • خذي بيدي قبل أن أغرقا
أنالك عبدُ فكوني كمن • اذا سرّه عبده أعتقا

قال أبو الحسن قوله انالك عبدُ فوصل بالالف فهذا انما يجوز في الضرورة والالف تثبت في الوقف لبيان الحركة فلم يحتج الى الالف ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقف للضرورة كقوله

فان يك غثّاً أو سميناً فانني • سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

لانه اذا وقف وقف على الهاء وحدها فأجرى الوصل على الوقف وأنشدوا قول الاعشى

فكيف أنا وانتحالُ القوا • في بعد المشيب كفى ذاك عارا

والرواية الجيدة فكيف يكون انتحال القوا • في بعد المشيب

والمقاربة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه الأصناف سلكنا في هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات في كتبهم وطرق أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم وكتابنا هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ولنزيد في الالفة ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم صدورهم وليعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب

سَقَى اللهُ دُنْيا على نأيِها • من القَطْرِ مُنْبَعِقاً رَيِّقا

ألم أخدعِ الناسَ عن حُبِّها • وقد يَخدعُ الكيِّسُ الأحمقا

بَلَى وسَبَقْتُهُمُ إنني • أُحِبُّ الى المجدِ أن أسبقا

ويومَ الجنازةِ إذ أرسلَتْ • على رِقْبَةٍ أن جِيِّ الخندقا

الى السّالِ فاخترْ لنا مجلساً • قَريباً وإيّاكَ أن تخرُقا

هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهلِ البصرة يقولون السالَ بالتخفيف وإنما هو السالُّ يا هذا وجمعه سُلّانٌ وهو الغالُّ وجمعه غُلّانٌ وهو الشَّقُّ الخَفِيُّ في الوادي

فكنا كغُصْنَيْنِ من بانةٍ • رَطيبَيْنِ حِدْثانَ ما أَوْرَقا

فقالت لِتِرْبٍ لها اسْتَنْشِديـ • ـهِ من شِعرِهِ الحَسَنِ المُنْتَقَى

فقلتُ أُمِرْتُ بكِتمانِه • وحُذِّرْتُ إن شاعَ أن يُسْرَقا

فقالت بعيشِكِ قولي له • تَمَتَّعْ لعلَّكَ أن تُنفِقا

قوله لعلك ان تنفقا اضطرار وحقه لعلك تُنْفِقُ لان لعلَّ من اخوات انَّ فاُجْرِيَتْ مُجْراها ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى كما قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة

لَعَلَّكَ يوماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ • عليكَ من اللائي يَدَعْنَكَ أجدعا

وهو كثير) قال أبو العباس وزعم أبو مُعاذ النُّمَيْرِيُّ انه كان يَعتادُ عبدَ الله بن محمد بن أبي عيينة ويكثر المُقامَ عنده وكان راويةً لشعره وأُمُّ ابن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلب يقال لها خَيْرَةُ وهي من بني سَلَمَة الخَيْرِ بن قُشَيْرِ بن كَعْبِ بن رَبيعةَ بن عامرِ بن صعصعةَ فأبطأَتْ عليه أياماً فكتب اليّ

تَمادَى في الجَفاء أبو مُعاذِ • ورَاوَغَني ولاذَ بلا مَلاذِ

ولولا حَقُّ أخوالي قُشَيْرٍ • أتتهُ قَصائدٌ غيرُ اللِّذاذِ

كما راحَ الهِلاليُّ بنُ حَرْبٍ • به سِمةٌ على عُنُقٍ وحاذِ

يعني محمد بن حرب بن قَبيصة بن مُخارِقٍ الهلاليَّ وكان من أقعد الناس ولقبيصة بن المخارق صحبةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سار اليه فأكرمه وبَسَطَ له رداءَهُ وقال مرحبا بخالي فقال يا رسول الله رَقَّ جِلدي ودَقَّ عظمي وقَلَّ مالي وهُنْتُ على أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم

لئلا يغير بعضهم مغير ويفسده عدو بأباطيل مموهة وشبهات مزورة فان المنافق العليم والعدو ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق ويلبس الاضاعة ثياب الحزم الا أنا على حال سنذكر جملا من أحاديث رويناها وأمورا رأيناها وشاهدناها وقصصا تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ثم تنظر أيهم لها أشد استعمالا

لقد أبكيت بما ذكرت ملائكة السماء ومحمد بن حرب هذا ولى شرطة البصرة سبع مرات وكان على شرطة جعفر بن سليمان على المدينة وكان كثير الادب غزيره فاغضب ابن أبى عيينة فى حكم جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى وكان على شرطته اذ ذاك ففى ذلك يقول عبد الله بن أبى عيينة

بأخوالى وأعمامى أقامت • قريش ملكها وبها اتهاب

متى ما أدع أخوالى لحرب • وأعمامى لنائبة أجابوا

أنا ابن أبى عيينة فرع قومى • وكعب والدى وأبى كلاب

خلا ابن عكابة الغربان سهل • له فسو تصاد به الضباب

وآخر من هلال قد تداعى • فصار كأنه الشئ الخراب

(باب)

قال أبو العباس كان ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع وكان يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع قال عمر بن الخطاب رحمه الله لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت وقال العتبى محمد بن عبيد الله يذكر ابنا له مات

أضحت بخدى للدموع رسوم • أسفا عليك وفى الفؤاد كلوم

والصبر يحمد فى المصائب كلها • الا عليك فانه مذموم

قال أبو العباس واحسب ان حبيبا الطائى سمع هذا فاسترقه فى بيتين أحدهما قوله فى ادريس بن بدر الشامى

دموع أجابت داعى الحزن همع • توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما • فأصبح يدعى حازما حين يجزع

والآخر قوله

قالوا الرحيل فما شككت بأنها • نفسى عن الدنيا تريد رحيلا

الصبر أجمل غير أن تلددا • فى الحب أحرى أن يكون جميلا

وقال سابق البربرى

وان جاء ما لا تستطيعان دفعه • فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

وقال آخر أيضا

اصبر على القدر المجلوب وارض به • وان أتاك بما لا تشتهى القدر

(فما صفا لامرئ عيش يسر به • الا سيتبع يوما صفوه كدر)

وكان خالد بن صفوان يدخل على بلال بن أبى بردة يحدثه فيلحن فلما كثر ذلك على بلال قال له أتحدثنى

احاديث

وبها أشد استقلالا ومن أنقب حسبا وأيقظ عينا وأزكى نفسا وأشد غورا وأهم خواطر وأكثر نفعا فى الحروب وضرا وأدرب دربة وأغمض مكيدة وأشد احتراسا وألطف احتيالا حتى يكون الخيار فى يد الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لمعانيه والمقلب لوجوهه والمفكر فى أبوابه والمقابل بين أوله وآخره ولا نكون نحن انتحلنا شيأ دون شئ وتقلدنا تفضيل بعض على بعض بل اعلمنا ان لا نخبر عن خاصة ما عندنا

أحاديث الخلفاء، وتلحن لحن السقاآت قال التوزي فكان خالد بن صفوان بعد ذلك يأتى المسجد ويتعلم الاعراب وكُفَّ بصرُه فكان اذا مرَّ به موكب بلال يقول ما هذا فيقال له الامير فيقول خالدٌ ❁ سحابةُ صيفٍ عن قليل تقشَّعُ ❁ فقيل ذلك لبلال فاجلس معه من يأتيه بخبره ثم مرَّ به بلال فقال خالد كما كان يقول فقيل ذلك لبلال فاقبل على خالد فقال لا تقشَّعُ والله حتى تصيبك منها بشؤبوب بَرَدٍ فضربه مائتى سوط وقال بعضهم بل أمر به فديس بطنه قوله بشؤبوب مهموز وهو الدفعة من المطر بشدة وجمعه شآبيب قال النابغة يخاطب القبيلة

ولا تلاقى كما لاقت بنو أسد ❁ فقد أصابتهم منها بشؤبوب

يريد ما نال بنى أسد من غارة النعمان عليهم وضرب الشؤبوب مثلا للغارة والغارة تضرب لذلك مثلا كما يقال شنَّ عليهم الغارة أى صبها عليهم قال ابن هرمة

كم بازل قد وجأت لبتها ❁ بمستهل الشؤبوب أو جمل

يريد ما وجأها به من حديدة يقول لما وجأتها دفعت بشؤبوب من الدم فكأنه قال بسنان مستهل الشؤبوب أو ما أشبه ذلك وكان خالد بن صفوان أحد من اذا عرض له القول قال فيقال ان سلمان بن على سأله عن ابنيه جعفر ومحمد فقال كيف احمادك جوارهما يا أبا صفوان فقال

أبو مالك جارُها وابن برثن ❁ فيا لك جارَى ذلة وصغار

(ش قوله أبو مالك صوابه أبو نافع وهو مولى لعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

فأعرض عنه سليمان وكان سليمان من أحلم الناس وأكرمهم وهو فى الوقت الذى أعرض فيه عنه والى البصرة وعمُّ الخليفة المنصور والشعر الذى تمثَّل به خالد ليزيد بن مفرغ الحميرى قال

سقى الله دارًا لى وأرضًا تركتها ❁ الى جنب دارى معقل بن يسار

أبو مالك جارُها وابن برثن ❁ فيا لك جارَى ذلة وصغار

وكان الحسن يقول لسان العاقل من وراء قلبه فان عرض له القول نظر فان كان له أن يقول قال وان كان عليه القول أمسك ولسان الأحمق أمام قلبه فاذا عرض له القول قال كان عليه أو له وخالدٌ لم يكن يقول الشعر ويروى انه وعد الفرزدق شيأ فأخره عنه وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدق فهدده فأمسك عنه حتى جازا الفرزدق ثم أقبل على أصحابه فقال ان هذا قد جعل احدى يديه

بحرف واحد فاذا دربنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعا على هذه الصفة كان العدل له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهواء وقد ظن ناس كثير أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت فى الصورة والخط والهجاء كانت حقائقها ومعانيها على حسب ذلك وليس الأمر على ما يتوهمون ألا ترى ان اسم الشاكرية وان خالف فى الصورة والخط والهجاء اسم الجند فان المعنى فيهما ليس ببعيد لانهم يرجعون الى

سَطيحًا وملأ الاخرى سلا وقال ان عمرتم سَطيحى والا فنحنكم بسلحى وقال اياس بن معاوية المزنى أبو واثلة وكان أحد العقلاء الدهاة الفضلاء الحالة لا ينبغى أن نجتمع فى مجلس فقال له خالد وكيف يا أبا واثلة فقال لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا أحب ان أسمع وخاصم الى اياس رجل رجلا فى دين وهو قاضى البصرة فطلب منه البينة فلم يأته بمقنع فقيل للطالب استجر وكيع بن أبى سود حتى يشهد لك فان اياسًا لا يجترئ على رد شهادته ففعل فقال وكيع والله لاشهدن لك فان رد شهادتى لأعممنه السيف فلما طلع وكيع فهم اياس عنه فاقعده الى جانبه ثم سأله عن حاجته فقال جئت شاهدا فقال له يا أبا المطرف أتشهد كما تفعل الموالى والعجم أنت تجل عن هذا فقال اذن والله لا أشهد فقيل لو كيع بعد انما خدعك فقال أولى لابن اللخناء وشهد رجل من جلساء الحسن بشهادة عند اياس فرده فشكا الرجل ذلك الى الحسن فأتاه الحسن فقال يا أبا واثلة لم رددت شهادة فلان فقال يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممن ترضون من الشهداء وليس فلان ممن أرضى واختلف نصرانى الى أبى دلامة مولى بنى أسد يتطبب لابن له فوعده ان برأ على يديه ان يعطيه ألف درهم فبرأ ابنه فقال للمتطبب ان الدراهم ليست عندى ولكن والله لأوصلنها اليك ادّع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك فليس دون أخذها شئ فصار النصرانى بالجار الى ابن شبرمة فسأله البينة فطلع عليه أبو دلامة وابنه ففهم القاضى فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة

ان الناس غطونى تغطيت عنهم • وان بحثونى كان فيهم مباحث
(وان حفروا بئرى حفرت بآرهم • ليعلم قوم كيف تلك النبائث)

فقال ابن شبرمة من ذا الذى يبحثنا يا أبا دلامة ثم قال للمدعى قد عرفت شاهديك فخلّ عن خصمك ورح العشية الى فراح اليه فغرمها من ماله وشهد أبو عبيدة عند عبيد الله بن الحسن العنبرى على شهادة رجل عدل فقال عبيد الله للمدعى أما أبو عبيدة فقد عرفته فزدنى شاهدا وكان عبيد الله أحد الادباء الفقهاء الصلحاء وزعم ابن عائشة قال عتبت عليه مرة فى شئ قال فلقينى يدخل من باب المسجد يريد مجلس الحكم وأنا أخرج فقلت معرضا به (البعيث)

طمعت بليلى أن تريع وانما • تقطع أعناق الرجال المطامع

فأنشدنى معرضا تاركا لما قصدت له

معنى واحد وعلم واحد والذى يرجعون اليه طاعة الخلفاء وتأييد السلطان واذا كان المولى منقولا الى العرب فى أكثر المعانى ومجعولا منهم فى عامة الاسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والداوالحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد جعل الله ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوبا الى أمه وقد جعل اسماعيل وهو ابن أعجميين عربيا لان الله تعالى لما فتق لهاته بالعربية المبينة على غير التعين

وبايعتَ ليلى في خلاء ولم يكن • شهودٌ على ليلى عدولٌ مقانعُ

وكان ابن عائشة يَتحدّثُ عنه حديثا عجيبا ثم عُرِفَ مخرجُ ذلك الحديث ذكر ابن عائشة وحدثني عنه جماعة لا أحصيهم كثرةً ان عبيد الله بن الحسن شهد عنده رجل من بني نهشل على أمر أحسبه دَيْنا فقال له أتروي قول الاسود بن يعفر • نام الخلي فما أحس رقادى • فقال له الرجل لا فردّ شهادته وقال لو كان في هذا خير لروى شرف أهله فحدثني شيخ من الأزد حديثا ظننت ان عبيد الله اياه قصد قال تقدم رجل الى سوّار بن عبد الله وسوّار ابن عم عبيد الله بن الحسن يدّعي دارا وامرأةٌ تدافعه وتقول لسوار انها والله خِطّةٌ ما وقع فيها كتاب قطُّ فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوّار فشهدا له بالدار وجعلت المرأة تنكر انكارا يعضده التصديق ثم قالت سل عن الشهود فان الناس يتغيرون فردّ المسئلة فحُمِدَ الشاهدان فلم يزل يُريّثُ أمورهم ويسأل الجيران فكلٌّ يصدّقُ المرأةَ والشاهدان قد ثبتا فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله انا أحضرُ مجلس الحكم معك فأتبيّن بالجليّة ان شاء الله تعالى فقال للشاهدين ليس القاضي ان يسألكما كيف شهدتما ولكن انا أسألكما قال فقالا أراد هذا ان يحجّ فأدارنا على حُدود الدار من خارج وقال هذه داري فان حدث بي حادث فلتُبَعْ ولتُقسم على سبيل كذا قال أفعندكما غير هذه الشهادة قالا لا فقال الله أكبر وكذا لو أدرتُكما على دار سوّار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لي ففهما انهما قد اغترّا فكان سوار اذا سأل عن عدالة الشاهد يُتبِعُ المسئلة ان يقول أجائزُ العدالة هو فظننت أن عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاخبره بهذا وما أشبهه وحدثني أحد أصحابنا ان رجلا من الأعراب تقدم الى سوّار في أمر فلم يصادف عنده ما يُحِبُّ فاجتهد فلم يَظْفَرْ بحاجته قال فقال الاعرابي وكانت في يده عصا

رأيتُ رؤيا ثم عبّرتُها • وكنتُ للأحلامِ عبّارا

بأنني أخبطُ في ليلتي • كلبا فكان الكلبُ سوّارا

ثم انحنى على سوار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه قال فما عاقبه سوّارٌ بشيء قال وحُدِّثْتُ ان اعرابيا من بني العنبر سار الى سوّار فقال ان أبي مات وتركني وأخالي وخطّ خطّين في الارض ثم قال وهجينا وخطّ خطّا ناحية فكيف نَقسِمُ المال فقال أهاهنا وارثٌ غيركم قال لا قال المال بينكم أثلاثا فقال لا أحسبك فهمتَ عني انه تركني وأخي وهجيننا لنا فقال سوار المال بينكم أثلاثا قال فقال

والترتيب وفطره على الفصاحة العجيبة على غير التنشؤ والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى بدنه تلك الاجزاء وركبه اختراعا على ذلك التركيب وسواه تلك التسوية وصاغه تلك الصيغة ثم حماه من طبائعهم ومنعه من أخلاقهم وشمائلهم وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأسناها وأشرفها وأعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته وصار أحق بذلك النسب

الاعرابى أياخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخى قال أجل فغضب الاعرابى قال ثم أقبل على سوار فقال تعلم والله انك قليل الحالات بالدهنا فقال سوار اذا لا يضيرنى ذلك عند الله شيأ (قيل انه ليس بالدهنا أمة وانما كان فيها الحرائر) وكان عقيل بن علفة من الغيرة والانفة على ماليس عليه أحد علمناه فخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته على أحد بنيه وكانت لعقيل اليه حاجات فقال أما اذ كنت فاعلا فجنبنى هجناءك وخطب اليه ابنته ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالى المدينة وكان أبيض شديد البياض فرده عقيل وقال

ردت صحيفة القرشى لما • أبت أعراقه الا احمرارا

وكانت حفصة بنت عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحه بن عبيد الله قد ميت عنها فخطبها جماعة من قريش أحدهم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام فكان أخوها محمد بن عمران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده

وقالوا يا جميل أتى أخوها • فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب

أحبك أن نزلت جبال حسمى • وأن ناسبت بثنة من قريب

وهذا الشعر لجميل بن عبد الله بن معمر العذرى فاما جميل بن معمر الجمحى فلا نسب بينه وبين معمر أى ليس بينه وبينه أب آخر وكانت له صحبة وكان خاصا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ويروى عن عبد الرحمن بن عوف انه قال أتيت باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته ينشد بالركبانية

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما • قضى وطرا منها جميل بن معمر

فلما استأذنت عليه قال لى أسمعت ما قلت فقلت نعم فقال انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم (قال ش وهم أبو العباس رحمه الله فى هذا وانما القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى سمع عبد الرحمن بن عوف ينشد) وكان جميل بن معمر الجمحى قتل أخا لابى خراش الهذلى يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثق فضرب به ففى ذلك يقول أبو خراش

فأقسم لولا قيته غير موثق • لآبك بالعرج الضباع النواهل

لكان جميل أسوأ الناس صرعة • ولكن أقران الظهور مقاتل

فليس كعهد الدار يا أم مالك • ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

وأولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم أبا لمن لم يلد فالنبوى خراسانى من جهة الولادة والمولى عربى من جهة المدعى والعاقلة ولو أحاط علمنا بان زيدا لم يخلق الامن نجل عمرو لنفيناه عنه وان أيقنا انه لم يخلق الامن ماء صلبه وكما جعل النبى أزواجه أمهات المؤمنين وهن لم يلدنهم ولا أرضعنهم وفى بعض القراآت وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم على قوله ملة أبيكم ابراهيم وجعل المرأة من جهة

وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل * سوى الحق شيئاً فاستراح العواذلُ

قوله أسوأ الناس صرعةً أى الهيئة التى يُصرَعُ عليها كما تقول جلست جِلْسةً وركبت رِكْبةً وهو حَسَنُ الجِلسةِ والرِّكْبةِ أى الهيئة التى يَجلِس عليها او يَركَبُ عليها وكذلك القِعْدةُ والنِّيمةُ وقوله لا بدَّ أى لعادك وأصل هذا من الإياب والرُّجوع قال الله تبارك وتعالى ان الينا ايابَهم وقال عَبيدُ بن الأبرص وكلُّ ذى غَيْبةٍ يَؤُوبُ * (وغائبُ الموت لا يؤوبُ)

وقوله بالعَرْج فهو ناحية من مكة به ولد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان فسمى العَرْجىَّ ويقال بل كان له مال بذلك الموضع فكان يقيم فيه (قال ش هذا وَهْمٌ من أبى العباس رحمه الله وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه) والنَّواهلُ فيه قولان أحدهما العطاشُ وليس بشئٍ والآخر الذى قد شَرِبَ شَربةً فلم يَروَ فاحتاج الى أن يَعُلَّ كما قال امرؤُ القيس اذ هُنَّ أقساطٌ كرِجلِ الدَّبى * أو كقَطا كاظمةَ الناهلِ

وقوله أحاطتْ بالرِّقاب السلاسلُ يقول جاء الاسلامُ فمنع من الطلب بالاوتار الا على وجهها وكان يقال ان أول من أظهرَ الجَورَ من القضاة فى الحكم بلالُ بن أبى بُردَةَ وكان أمير البصرة وقاضيها وفى ذلك يقول رُؤْبةَ وأنتَ يا ابن القاضيَيْنِ قاضى * (مُعتزمٌ على الطريق ماضى)

وكان بلال يقول أن الرجلين ليتقدَّمان الىَّ فأجدُ أحدهما على قلبى أخفَّ فاقضى له ويروى أن بلالا وفد على عمر بن عبد العزيز بخُناصِرةَ فسَدِكَ (ش معناه لصق) بسارية من المسجد فجعل يصلى اليها ويديم الصلاة فقال عمر بن عبد العزيز للعلاء بن المُغيرة بن البُنْدار ان يَكُنْ سِرُّ هذا كعلانيته فهو رجلُ أهل العراق غيرُ مُدافَع فقال العلاءُ انا آتيك بخبره فأتاه وهو يصلى بين المغرب والعشاء فقال اشفع صلاتك فان لى اليك حاجةً ففعل فقال له العلاء قد عرفتَ حالى من أمير المؤمنين فان أنا أشرتُ بك على ولاية العراق فما تجعل لى قال لك عُمالتى سنةً وكان مَبلَغُها عشرين ألف ألف درهم (العُمالة بضم العين أجرة العامل) قال فاكتب لى بذلك قال فارقدَّ (معناه أسرع) بلالٌ الى منزله فأتى بدواة وصحيفة فكتب له بذلك فأتى العلاءُ عمرَ بالكتاب فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وكان والى الكوفة أما بعد فان بلالا غرَّنا بالله فكِدنا نغترُّ فسبكناه فوجدناه خَبَثًا كلَّه والسلام ويروى أنه كتب الى عبد الحميد اذا وَرَدَ

الرضاع أما او جعل امرأة البعل أم ولد البعل من غيرها او جعل الراب والدا وجعل العم فى كتاب الله أباهم عبيده لا يتقلبون الا فيما قلبهم فيه وله ان يجعل من عباده من شاء عربيا ومن شاء أعجميا ومن شاء قرشيا ومن شاء زنجيا كما ان له ان يجعل من شاء ذكرا ومن شاء أنثى ومن شاء خنثى ومن شاء أخرجه من ذلك فجعله لا ذكرا ولا أنثى ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وهم أكرم على الله من جميع الخليقة فلم

عليك كتابي هذا فلا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى قال أبو العباس وكان بلال داهية لقنا أديبا ويقال أن ذا الرمة لما أنشده

سمعتُ الناسُ ينتجعون غيثا • فقلتُ لصيدحَ انتجعي بلالا

تناخي عند خير فتى يمانٍ • اذا النكباءُ ناوحت الشمالا

فلما سمع قوله • فقلت لصيدح انتجعي بلالا • قال يا غلام مُر لها بقتّ ونوى أراد ان ذا الرمة لا يحسن المدح قوله سمعت الناسُ ينتجعون حكاية والمعنى اذا حقق انما هو سمعت هذه اللفظة أى قائلا يقول الناسُ ينتجعون غيثا ومثل هذا قوله

وجدنا في كتاب بني تميم • أحقُّ الخيل بالركض المعارُ

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مكتوبة فقوله أحقُّ الخيل ابتداء والمعارُ خبره وكذلك الناسُ ابتداء وينتجعون خبره ومثل هذا في الكلام قرأتُ الحمدُ لله ربِّ العالمين انما حكيتَ ما قرأتَ وكذلك قرأتُ على خاتمه اللهُ أكبرُ يا فتى فهذا لا يجوز سواه وقوله اذا النكباء ناوحت الشمالا فان الرياح أربع ونكباواتها أربع وهي الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشمال والصبا أو الشمال والدبور أو الجنوب والدبور أو الجنوب والصبا فاذا كانت النكباء تناوح الشمالَ فهي آية الشتاء ومعنى تناوح تقابلُ يقال تناوحَ الشجرُ اذا قابل بعضه بعضا وزعم الأصمعي أن النائحة بهذا سُميت لانها تقابل صاحبتها وقال يحيى بن نوفل الحميري ويقال أنه لم يمدح أحدا قط

فلو كنتُ ممتدحا للنوال • فتى لامتدحتُ عليه بلالا

ولكنني لستُ ممن يريد • بمدح الرجال الكرام السؤالا

سيكفي الكريمَ إخاءُ الكريم • ويقنعُ بالودّ منه نوالا

ومن أحسن ما امتُدح به ذو الرمة بلالا قوله

تقول عجوزٌ مَدرَجي مُتروِّحا • على بيتها من عند أهلي وغاديا

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة • أراكَ لها بالبصرة العامَ ثاويا

فقلتُ لها لا انّ أهلي لجيرةٌ • لأكثبة الدهنا جميعا وماليا

(قوله لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة لان لا لا تقع الا في جواب أو وانما سألته بأم وهي لم يستقر

يجعل لآدم أبا ولا أما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حواء من ضلع آدم وجعلها له زوجا وسكنا وخلق عيسى من غير ذكر ونسبه الى أمه التي خلقه منها وخلق الجان من نار السموم وآدم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والأرض من الماء وخلق اسحاق من عاقر وأنطق عيسى في المهد وأنطق يحيى بالحكمة وهو صبي وعلم سليمان منطق الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة

عندها علم) وما كنتُ مذ أبصرتِني في خصومةٍ * أُراجعُ فيها يا ابنةَ الخيرِ قاضيا

ولكنني أقبلتُ من جانبَيْ قَسًا * أزورُ فتًى نجداً كريماً يمانيا

من آل أبي موسى ترى القومَ حوله * كأنهمُ الكَرَوانُ أبصرنَ بازيا

مُرِمِّينَ من ليثٍ عليه مهابةٌ * تَفادَى اسودُ الغابِ منه تفاديا

وما الخُرْقُ منه يرهبونَ ولا الخَنَى * عليهم ولكن هَيْبةٌ هي ماهيا

قوله مَدرجي يقول مَرّ دوري فأما قولهم في المَثَل خيرٌ من دَبّ ومن دَرَجَ فمعناه مَن حَيَّ ومَن ماتَ يريدون مَن دَبّ على وجه الأرض ومَن دَرَجَ منها فذهب وقوله أرانا لها بالبصرة العامَ ثاويا فانه يقال في هذا المعنى ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى اذا أقام وهي أكثر ويقال أثوى فهو مُثْوٍ يا فتى وهي أقلّ من تلك قال الأعشى

أثوى وقصّرَ ليلةً ليُزَوَّدا * فمضى وأخلفَ من قُتَيلةَ موعدا

وقوله قَسًا فهو موضع من بلاد بني تميم وقوله لا كثبةُ الدهنا فالكُثُبةُ جمع كثيبٍ وهو أقلّ العدد والكثير كُثُبٌ وكُثْبانٌ والدَّهنا من بلاد بني تميم ولم أسمع الا القصر من أهل العلم والعرب وسمعت بعدُ من يروي مدّها ولا أعرفه قال ذو الرمة

حَنَّتْ الى نَعَمِ الدَّهنا فقلتُ لها * أُمّي هلالًا على التوفيق والرَّشَدِ

يعني هلالَ بن أحوزَ المازني وقال جرير * بازٍ يُصَعصِعُ بالدَّهنا قَطًا جُونا * وقوله كأنهم الكروان أبصرن بازيا فالكِرْوانُ جماعة كَرَوانٍ وهو طائر معروف وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة فالتقدير كَرًا وكِرْوانٌ كما تقول أخٌ واخوانٌ ووَرَلٌ ووِرْلانٌ وبَرَقٌ وبِرْقانٌ والبَرَقُ أعجميٌّ ولكنه قد أُعرِبَ وجُمِعَ كما تُجمَعُ العربية واستعمل الكَرَوانُ جمعا على حذف الزيادة واستُعمِلَ في الواحد كذلك تقول العرب في مَثَلٍ من أمثالها

أَطرِقْ كَرَا أَطرِقْ كَرَا * انّ النَّعامَ في القُرَى

يريدون الكَرَوانَ وقوله من آل أبي موسى ترى القوم حوله فقال تَرَى ولم يقل تَرَيْنَ وكانت المخاطبةُ أوّلًا لامرأة الا تراه يقول

وما كنتُ مذ أبصرتِني في خصومةٍ * أُراجعُ فيها يا ابنةَ الخيرِ قاضيا

جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط ونطقوا بكل لسان وأنطق ذئب أهبان بن أوس والمؤمنون من جميع الأمم اذا دخلوا الجنة وكذلك أطفالهم والمجانين منهم يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلام أهل الجنة على غير الترتيب والتنزيل والتعليم على طول الأيام والتلقين فكيف يتعجب الجاهلون من انطاق اسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء وتأديب الحواضن وهذه المسألة ربما سأل عنهما بعض القحطانية

ثم حوّل المخاطبة الى رجل والعرب تفعل ذلك قال الله عز وجل حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكأنّ التقدير والله أعلم كان للناس ثم حُوّلت المخاطبة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال عنترة بن شدّاد شطّت مزار العاشقين فأصبحت • عسرا عليّ طلابك ابنة مخرم

وقال جرير ما للمنازل لا تجيب حزينا • أصممن أم قدم المدى فبلينا

وترى العواذل يبتدرن ملامتي • واذا أردن سوى هواك عصينا

قال أولا لرجل ثم قال سوى هواك وقال آخر

فدى لك والدي وسراة قومي • ومالي أنه منه أتاني

على تحويل المخاطبة وقوله مرّ مسين بدسكرة مطرقين يقال أرمّ اذا أطرق ساكتا وقوله تفادى أسود الغاب معناه تفتدى منه بعضها ببعض وفى الخبر ان سليمان بن عبد الملك أمر بدفع عيال الحجاج ولحمته الى يزيد بن المهلب فتفادى منهم تأويله فدى نفسه من ذلك المقام بغيره وقوله

وما الخرق منه يرهبون ولا الخنى • عليهم ولكن هيبة هي ماهيا

اذا رفعت هيبة فالمعنى ولكن أمره هيبة كما قال الله عز وجل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أى ذلك بلاغ ومثله قوله عز وجل طاعة وقول معروف يكون رفعه على ضربين أحدهما أمرنا طاعة وقول معروف والوجه الآخر طاعة وقول معروف أمثل ومن نصب هيبة أراد المصدر أى ولكن يهاب هيبة وأحسن ما قيل فى هذا المعنى

يغضى حياء ويغضى من مهابته • فما يكلّم الا حين يبتسم

وقال الفرزدق يعنى يزيد بن المهلب

فاذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم • خضع الرقاب نواكس الأبصار

وفى هذا البيت شئ يستطرفه النحويون وهو أنهم لا يجمعون ما كان من فاعل نعتا على فواعل لئلا يلتبس بالمؤنث لا يقولون ضارب وضوارب وقاتل وقواتل لانهم يقولون فى جمع ضاربة ضوارب وقاتلة قواتل لم يأت ذلك الا فى حرفين أحدهما فى جمع فارس فوارس لان هذا مما لا يستعمل فى النساء فأمنوا الالتباس ويقولون فى المثل هو هالك فى الهوالك فأجروه على أصله لكثرة الاستعمال لانه مثل فلما احتاج الفرزدق لضرورة الشعر أجراه على أصله فقال نواكس الابصار ولا يكون

ممن لا علم له بعض العدنانية وهى على حال القحطانية أشد فاما جواب العدنانى فسلس النظام سهل المخرج قريب المعنى لان بنى قحطان لا يدعون لقحطان نبوة فيعطيه الله تعالى مثل هذه الاعجوبة وما الذى قسم الله بين الناس من ذلك الا كما صنع فى طينة الأرض فجعل بعضها حجرا وبعض الحجر ياقوتا وبعضه ذهبا وبعضه نحاسا وبعضه رصاصا وبعضه صفرا وبعضه حديدا وبعضه

مثلُ هذا أبداً الا فى ضرورة

﴿ باب ﴾

قال جرير ونزل بقوم من بنى العَنبر بن عمرو بن تميم فلم يَقْرُوه حتى اشترى منهم القِرَى فانصرف وهو يقول

يا مالكُ بن طَريف انّ بيعكمُ • رِفْدَ القِرى مُفْسِدٌ للدينِ والحَسَبِ

قالوا نبيعكه بيعاً فقلتُ لهم • بيعُوا الموالىَ واستَحْيُوا من العربِ

لولا كِرامُ طَريفٍ ما غفرتُ لكم • بيعى قِراىَ ولا أنسأتُكم غضبى

هل أنتم غيرُ أوشابٍ زَعانفةٍ • رِيشُ الذُنابَى وليس الرأسُ كالذَنَبِ

قوله يا مالكُ بنَ طَريف فمن نصب فانما هو على انه جعل ابنا تابعا لما قبله كالشىء الواحد وهو أكثر فى الكلام اذا كان اسما علما منسوبا الى اسم علم جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشىء الواحد ومثل ذلك • يا حَكَمَ بنَ المُنذر بن الجارود ● ومن وقف على الاسم الأول ثم جعل الثانى نعتا لم يكن الا الرفع لانه مفرد نُعِتَ بمضاف فصار كقولك يا زيدُ ذا الجُمّة وقوله ولا أنسأتُكم غضبى يقول لم أُؤَخِّره عنكم يقال نسأ اللهُ فى أجلك وأنسأ اللهُ أجلَك والنسىءُ من هذا ومعناه تأخير شهر عن شهر وكانت النَسَأَةُ من بنى مُدْلِج بن كنانة فأنزل الله عز وجل انما النَّسِىءُ زِيادةٌ فى الكُفر لانهم كانوا يؤخرون الشهور فيُحَرِّمون غيرَ الحرام ويُحِلُّون غيرَ الحلال لما يُقدِّرونه من حُروبهم وتَصَرُّفهم فاستَوَتِ الشهورُ لمّا جاء الاسلام وأبان ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى قوله انّ الزمان قد استدار كهيئته يومِ خَلَقَ اللهُ السموات والأرض وقوله هل أنتم غيرُ أوشاب زعانفة فالأشابة جماعة تَدْخُلُ فى قوم وليست منهم وانما هو مأخوذ من الامر الأشِب أى المختلط وزعم بعض الرواة أن أصله فارسى أُعْرِب يقال بالفارسية وَقَعَ القومُ فى آشُوب فى اختلاط ثم تَصَرَّفَ فقيل تأشَّبَ النبتُ فصُنِعَ منه فعلٌ (هذا وَهْمٌ من أبى العباس ليس الأُشابةُ ولا الأَشِبُ من الأَوْشاب لان فاء الفعل من الأُشابة همزة ومن أَوْشاب واو ولكنه مثله فى المعنى يحتمل أن يكون أصله وُشابةٌ وأبدلت الواو المضمومة همزة) وأما الزَعانفُ فأصلها أجنحة السَمَك سمى بذلك الأدعياءُ لانهم التصقوا بالصَميم كما التصقت تلك الاجنحة بعظام السمك قال أوس بن حَجَر

(وما زال يَفرى الشَّدَّ حتى كأنّما) • قَوائمُهُ فى جانبيه زَعانفُ

تراما و بعضه نخارا وكذلك الزاج والمغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار والتوتيا والنوشادر والمرقشيثا والمغناطيس ومن يحصى عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز واذا كان الامر على ما وصفنا فالنبوى خراسانى واذا كان الخراسانى مولى والمولى عربيا فقد صار الخراسانى والنبوى والمولى مولى والعرب شيأ واحدا وأدنى ذلك ان يكون الذى معهم من خصال الوفاق غامرا لما معهم من خصال الخلاف

وتزعم الرواة أن ما أنفت منه جلة الموالى هذا البيت يعنى قول جرير

• بيعوا الموالى واستحيوا من العرب • لانه حطهم ووضعهم ورأى أن الاساءة اليهم غير محسوبة عيبا ومثل ذلك قول المنتجع لرجل من الاشراف ما علمت ولدك قال الفرائض قال ذلك علم الموالى لا أبالك علمهم الرجز فانه يهرت أشداقهم ومن ذلك قول الشعبى ومر بقوم من الموالى يتذاكرون النحو فقال لئن أصلحتموه انكم لاول من أفسده ومن ذلك قول عنترة

فما وجدونا بالفروق أشابة • ولا كشفا ولا دعينا مواليا

ومن ذلك قول الآخر

يسموننا الأعراب والعرب اسمنا • وأسماؤهم فينا رقاب المزاود

يريد أسماؤهم عندنا الحمراء وقول العرب ما يخفى ذلك على الأسود والأحمر يريد العربى والعجمى وقال المختار لابراهيم بن الأشتر يوم خازر (وقعت الرواية كما فى الاصل ووجد بخط يد أبى على البغدادى رحمه الله جازر بالجيم) وهو اليوم الذى قتل فيه عبيد الله بن زياد ان عامة جندك هؤلاء الحمراء وان الحرب ان ضرستهم هربوا فاحمل العرب على متون الخيل وأرجل الحمراء أمامهم ومن ذلك قول الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب رحمه الله وأتاه يتخطى رقاب الناس وعلى على المنبر فقال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك قال فركض على المنبر برجله فقال صعصعة بن صوحان العبدى مالنا ولهذا يعنى الاشعث ليقولن أمير المؤمنين اليوم فى العرب قولا لا يزال يذكر فقال على من يعذرنى من هذه الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويهجر قوم للذكر فيأمرنى أن أطردهم ما كنت لاطردهم فأكون من الجاهلين والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءا قوله الضياطرة واحدهم ضيطر وضيطار وهو الاحمر العضل الفاحش قال خداش بن زهير

وتركب خيل لاهوادة بينها • وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما قال جرير لبنى العنبر • هل أنتم غير أوشاب زعانفة • لان النسابين يزعمون أن العنبر بن عمرو بن تميم انما هو ابن عمرو بن بهراء وأمهم أم خارجة البجلية التى يقال لها فى المثل أسرع من نكاح أم خارجة فكانت قد ولدت فى العرب فى نيف وعشرين حيا من آباء متفرقين وكان يقول

بل هم فى معظم الأمر وفى كبر الشأن وعمود النسب متفقون فالاتراك خراسانية وموالى الخلفاء قصرة فقد صار فضل التركى الى الجميع راجعا وصار شرفهم زائدا فى شرفهم واذا عرف سائر الاجناد ذلك سامحت النفوس وذهب التعقيد ومات الضغن وانقطع سبب الاستثقال فلم يبق الا التحاسد والتنافس الذى لا يزال يكون بين المتقاربين فى القرابة وفى الصناعة وفى المجاورة على ان التوازر والتسالم فى القرابات وفى

لها الرجل خطب فتقول نكح كذلك قال يونس بن حبيب فنظر بنوها الى عمرو بن تميم قد ورد
بلادهم فأحسوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه وتزوجها وسبقهم لانه كان راكبا فقال لها
ان فيك لبقية فقالت ان شئت فجاؤوا وقد بنى عليها ثم نقلها بعد الى بلده فتزعم الرواة أنها جاءت
بالعنبر معها صغيرا وأولدها عمرو بن تميم أسيدا والهجيم والقليب فخرجوا ذات يوم يستقون فقل
عليهم الماء فانزلوا ماتحا من تميم فجعل الماتح يملأ الدلو اذا كانت للهجيم وأسيد والقليب فاذا وردت
دلو العنبر تركها تضطرب فقال العنبر

قد رابني من دلوي اضطرابها * والنأي عن بهراء واغترابها * الا تجئ ملأى يجئ قرابها

فهذا قول النسابين ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لعائشة رحمها الله وقد كانت
نذرت أن تعتق قوما من ولد اسمعيل فسبي قوم من بني العنبر فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان سرك أن تعتقي الصميم من ولد اسمعيل فأعتقي من هؤلاء فقال النسابون فبهراء من
قضاعة وقد قيل قضاعة من بني معد فقد رجعوا الى اسمعيل ومن زعم أن قضاعة من بني مالك بن
حمير وهو الحق قال فالنسب الصحيح في قحطان الرجوع الى اسمعيل وهو الحق وقول المبرزين
من العلماء انما العرب المتقدمة من أولاد عابر ورهطه عاد وطسم وجديس وجرهم والعماليق
فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهميسع بن تيمن بن نبت بن قيذار بن اسماعيل صلوات الله
عليه فقد رجعوا الى اسمعيل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من خزاعة وقيل من
الانصار ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال يحيى بن نوفل يهجو العريان بن الهيثم بن
الاسود النخعي وكان العريان تزوج زباد من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني وكانت عند الوليد بن
عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان وكان ابن نوفل له هجاء فقال

أعريان ما يدري امرؤ سيل عنكم * أمن مذحج تدعون أم من اياد
فان قلتم من مذحج ان مذحجا * لبيض الوجوه غير جد جعاد
وأنتم صغار الهام حدل كأنما * وجوهكم مطلية بمداد
فان قلتم الحي اليمانون أصلنا * وناصرنا في كل يوم جلاد
فأطول بأير من معد ونزوة * نزت باياد خلف دار مراد

بني الأعمام والعشائر
أفشى وأعم من التخاذل
والتعادي وحب التناصر
والحاجة الى التعاون
انضم بعض القبائل في
البوادي الى بعض ينزلون
معا ويظعنون معا ومن
فارق أصحابه أقل ومن
نصر ابن عمه أكثر ومن
اغتبط بنعمته وتمنى
بقاءها والزيادة فيها أكثر
ممن بغاها الغوائل وتمنى
انقطاعها وزوالها ولابد
في اضعاف ذلك من بعض
التنافس والتخاذل الا ان
ذلك قليل من كثير وليس
يكون ان تصفو الدنيا

لعمر بنى شيبان اذ ينكحونه • زياد لقد ما قصروا بزياد

أبعد الوليد أنكحوا عبد مذحج • كمزنية عيرا خلاف جواد

وأنكحها لا فى كفاء ولا غنى • زياد أضل الله سعى زياد

قوله أمن مذحج تدعون أم من اياد فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان واياد ابن نزار بن معد بن عدنان ويقال ان النخع وثقيفا أخوان من اياد فأما ثقيف فهو قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر فهذا قول قوم فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفا من بقايا ثمود ونسبهم غامض على شرفهم فى أخلاقهم وكثرة مناكحهم قريشا وقد قال الحجاج على المنبر تزعمون أنا من بقايا ثمود والله عز وجل يقول وثمود فما أبقى وقال الحجاج يوما لابى العسوس الطائى أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال أبو العسوس ان كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها وان كانت ثقيف من ثمود فهى أقدم فقال الحجاج يا أبا العسوس اتقنى فانى سريع الخطفة للاحمق المتهوك فقال أبو العسوس (رواية عاصم رحمه الله العسوس والعسوس وفى رواية ش كما فى دخل الكتاب)

يؤدبنى الحجاج تأديب أهله • فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا

وانى لاخشى ضربة ثقفية • يقد بها من عصاه المقلدا

على أننى مما أحاذر آمن • اذا قيل يوما قد عتا المرء واعتدا

وقد كان المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار الى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب فقالت قولوا له أمن ولد جبلة بن الايهم أنت قال لا قالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء قال لا قالت فمن أنت قال المغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئتك خاطبا قالت لو كنت جئتنى لجمال أو لمال لاطلبتك ولكنك أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر والا فاى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث اليها كيف كان أمركم فقالت سأختصر لك الجواب أمسينا مساء وليس فى الأرض عربى الا وهو يرغب الينا ويرهبنا ثم أصبحنا وليس فى الارض عربى الا ونحن نرغب اليه ونرهبه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت اختصم اليه رجلان منهم أحدهما ينميها الى اياد والآخر

ويبقى من الفساد والمكروه وحتى يموت جميع الخلاف ويستوى لاهلها ويتمهد لسكانها على ما يشتهون ويهوون لان ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل هذا كتاب كتبته أيام المعتصم بالله رضى الله عنه ونضر وجهه فلم يصل اليه لأسباب يطول ذكرها فلذلك لم أعرض للاخبار عنها وأحببت ان يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب اسراف فى مديح قوم واغراق فى هجاء

الى بكر بن هوازن فقضى بها للايادى وقال

ان ثقيفا لم تكن هوازنا • ولم تناسب عامرا ومازنا

يريد عامر بن صعصعة ومازن بن منصور فقال المغيرة أما نحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء وقالت أخت الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعى تبكيه وهذا الشعر رواه أبو اليقظان وكان متعصبا

أبعد الاشتر النخعى نرجو • مكاثرة ونقطع بطن واد

ونصحب مذحجا باخاء صدق • وان ننسب فنحن ذرا اياد

ثقيف عمنا وأبو أبينا • واخوتنا نزار أولو السداد

قوله وأنتم صغار الهام حذل فالاحذل المائل العنق يقال قوس حذلاء اذا اعوجت سيتها قال الراجز

لها متاع ولها فارض • حذلاء كالرق نحاه الماخض

(كذا وقعت الرواية لها والصواب له لانه يعنى الفحل من الابل لان الشقشقة لا تكون للانثى قاله ش) وأما قوله زبادباقى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر وقوله لقدما قصروا فما زائدة مثل قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ولو قال لقد ما قصروا لم يكن جيدا ودخل الوليد فى الذم وقوله كمثريه عبرا خلاف جواد يقول بعد جواد قال الله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقوله لافى كفاء يقال هو كفؤك وكفوك وكفيئك وكفاؤك اذا كان عديلك فى شرف أو ما أشبهه كما قال الفرزدق • وتنكح فى أكفائها الحبطات • (أول هذا البيت • بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع • وآل مسمع بيت بكر بن وائل والحبطات هم بنوا الحرث بن عمرو بن تميم وانما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلا من الحبطات خطب امرأة من بنى دارم بن مالك فأجابه رجل من الحبطات

أما كان عباد كفيئا لدارم • بلى ولابيات بها الحجرات

عباد يعنى بنى هاشم وقد تقدم هذا البيت للفرزدق فى مواضع) وقال الله عز وجل ولم يكن له كفوا أحد وقال عمر بن الخطاب رحمه الله لامنعن النساء الا من الاكفاء وتحدث أصحابنا عن الاصمعى عن اسحق بن عيسى قال قلت لامير المؤمنين الرشيد أو المهدى يا أمير المؤمنين من أكفاؤنا قال أعداؤنا يعنى بنى أمية وزياد الذى ذكر كان أخاها

آخرين فان الكتاب اذا كان كذلك شأنه وخالطه التزيد وبنى أساسه فى التكلف خرج كلامه مخرج الاستكراه والتعليق وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثرا وأحسنها ذكرا أن يكون المديح صدقا ولظاهر حال الممدوح موافقا وبه لائقا حتى لا يكون من المعبر عنه والواصف له الا الاشارة اليه والتنبيه وأنا أقول ان كان لا يمكن ذكر مناقب الاتراك الا بذكر مثالب سائر الأجناد

(هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعالِ مكسور الآخر)

(وهو على أربعة أضرب والأصل واحد)

قال أبو العباس اعلم انه لا يُبْنَى شيءٌ من هذا الباب على الكسر الا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته وهو في المؤنث بمنزلة فُعَلَ نحو عُمَرَ وقُثَمَ في المذكر وفُعَلُ معدولٌ في حال المعرفة عن فاعِلٍ وكان فاعلٌ ينصرف فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف وفَعالِ معدولٌ عن فاعلةَ وفاعلةُ لا ينصرف في المعرفة فعُدِلَ الى البناء لانه ليس بعد ما لا ينصرف الا المبنيُّ وبنى على الكسر لان في فاعلةَ علامةَ التأنيث وكان أصلُ هذا ان يكون اذا اردت به الامر ساكنا كالمجزوم من الفعل الذى هو في معناه فكسرته لالتقاء الساكنين مع ماذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنث به فلم يَخْلُ من العلامة تقول للمرأة أنت فعلتِ فالكسر علامة التأنيث وكذلك انكِ ذاهبةٌ وضربتُكِ يا امرأةُ فما لا يكون الا معرفةً مكسورا ما كان اسما للفعل نحو نَزالِ يا فتى ومعناه انْزِلْ وكذلك تَراكِ زيدا أى اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة وهما مؤنثان معرفتان يدلك على التأنيث القياسُ الذى ذكرنا قال الشاعر تصديقا لذلك

ولَنِعْمَ حَشْوُ الدرعِ أنت اذا • دُعِيَتْ نَزالِ ولُجَّ في الذُّعُرِ

فقال دعيتْ لما ذكرنا لك من التأنيث وقال الآخر وهو زيدُ الخَيْلِ

وقد علمتْ سلامةُ أن سَيْفِى • كَرِيهٌ كُلَّما دُعِيَتْ نَزالِ

وقال الشاعر تَراكِها من ابلٍ تَراكِها • أما تَرى الموتَ لدى أوراكها

أى اتْرُكْها وقال آخر (هو رؤبة) • حَذارِ من أرماحنا حَذارِ • وقال آخر (هو أبو النجم) • نَظارِ كَىْ أرْكَبَه نَظارِ • فهذا باب من الاربعة ومنها أن يكون صفة غالبة تَحُلُّ مَحَلَّ الاسم نحو قولهم للضَّبُعِ جَعارِ يا فتى وللمنية حَلاقِ يا فتى لانها حالقة والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله

لَحِقَتْ حَلاقِ بهم على أكسائهم • ضَرْبَ الرقابِ ولا يُهِمُّ المَغْنَمُ

وتقول في النداء يا فَساقِ ويا خَباثِ ويا لَكاعِ تريد يا فاسقةُ ويا خبيثةُ ويا لكعاءُ لانه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ فهذا باب ثان (حكى ابن السراج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للمذكر ولُكَعَةٌ للمؤنث) ومن ذلك ما عُدِلَ عن المصدر نحو قوله (هو المُتَلَمِّسُ يذم الخمر) جَمادِ لها جَمادِ ولا تقولى • طَوالَ الدهرِ ما ذُكِرَتْ حَمادِ

فترك ذكر الجميع أصوب والاضراب عن هذا الكتاب أحزم وذكر الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم الا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح وهو معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا أى لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من التطوع وذكر الاقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع ولكل الناس نصيب من النقص ومقدار من

وقال النابغة الذبياني أنا اقتسمنا خطتينا بيننا • فحملت برة واحتملت فجار

يريد قولي لها جوداً ولا تقولي لها أحداً هذا المعنى ولكنه عدل مؤنثا وهذا باب ثالث (برة اسم علم لجميع البر وفجار لجميع الفجور لابن جني تخصيصه برة بفعلت وفجار بافتعلت مثل قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فكسب الخير واكتسب الشر) والباب الرابع أن تسمي امرأة أو شيأ مؤنثا باسم تصوغه على هذا المثال نحو رقاش وحذام وقطام وما أشبهه فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذمة وقاطمة اذا سميت به وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرت لانه معدول في الاصل وسمي به فنقل الى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قالوا اسق رقاش انها سقاية وقال آخر

اذا قالت حذام فصدقوها • فان القول ما قالت حذام

وينشدون • واقفر من سلمى شراء فيذبل • (كذا وقع والصحيح فقد أقفرت سلمى شراء لان قبله • تأبد من أطلال جمرة مأسل • والشعر للنمر بن تولب) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسموا به صرفوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة وسيبويه يختار هذا القول ولا يرد القول الآخر فيقول هذه رقاش قد جاءت وهذه غلاب قد جاءت وهذه غلاب أخرى ولا اختلاف بين العرب في صرفه اذا كان نكرة وفي اعرابه في المعرفة وصرفه في النكرة اذا كان اسما لمذكر نحو رجل تسميه نزال أو رقاش أو حلاق فهو بمنزلة رجل سميته بعناق أو أتان لان التأنيث قد ذهب عنه فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيأ بالفعل الذي هو مأخوذ منه لاعربته نحو انزل واضرب لو سميت بهما رجلا لجرى مجرى اصبع واحد واغمد ونحو ذلك فهذا يحيط بجميع هذا الباب • قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صعصعة زوجت في طيئ لا تحمدن الدهر أخت أخالها • ولا ترثين الدهر بنت لوالد

هم جعلوها حيث ليست بحرة • وهم طرحوها في الاقاصي الاباعد

ويروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت انما النكاح رق فلينظر امرؤ من يرق كريمته وعلى هذا جاءت اللغة فقالوا كنا في املاك فلان وفي ملك فلان وفي ملكة فلان وفي ملكان فلان ويقول الرجل ملكت المرأة وأملكنيها وليها ومن ذلك أن عين الطلاق اذا وقع فيها اختلاف

الذنوب وانما يتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوي فاما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساوي دقيقها وجليلها ظاهرها وخفيها فهذا ما يعرفونه فيهم فاذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأهل المقايس من زعماء الجماعة يرون ذلك واجبا في الاخلاق ومصلحة في المعاش وتدبيرا في التعامل على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك ان الامام

انما يكون محلها محل الاقرار بترك ماكان عليه كالعتاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُوصيكم بالنساء فانهنّ عندكم عوانٍ أى أسيراتٌ ويقال عَنِيَ فلانٌ فى بنى فلان اذا أقام فيهم أسيرا ويقال فلان يَفُكُّ العُناةَ وأصل التعنية التذليل وأصل الاسار الوثاق ويقال للقتب مأسور اذا شُدَّ بالقِدّ هذا أصل هذا فاما المثل فى قولهم انما فلان غُلٌّ قَمِلٌ فانهم كانوا يتخذون الاغلال من القِدّ فكانت تقمل وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجتْ من غير كُفْء .

لقد فرح الواشون أن نال تَغْلِبٌ ● شبيهةَ ظَبْيٍ مُقلتاها وجيدُها
أضرَّ بها فقدُ الولىّ فأصبحتْ ● بكفِّ لئيم الوالدينِ يقودُها

ولما زوّج ابراهيم بن النعمان بن بَشير الانصارىّ يحيى بن أبى حَفْصَةَ مولى عثمانَ بن عفّانَ ابنته على عشرين ألف درهم قال قائل يُعيِّرُهُ

لَعَمْرى لقد جلّلتَ نفسك خَزْيَةً ● وخالفتَ فعلَ الاكثرينَ الاكارمِ
ولو كان جدّاك اللذان تتابعا ● ببدرٍ لَما راما صنيعَ الألائمِ

فقال ابراهيم بن النُّعمان يَرُدُّ عليه

ما تركتْ عشرون ألفا لقائلٍ ● مقالاً فلا تحفلْ مَلامةَ لائمِ
وان آكُ قد زوّجتُ مولًى فقد مضتْ ● به سُنّةٌ قبلى وحُبُّ الدراهمِ

وتزوّج يحيى بن أبى حفصة وهو جدُّ مروانَ الشاعرِ ويزعم النسّابون ان أباه كان يهوديا أسلم على يدى عثمان بن عفان وكان يحيى من أجود الناس وكان ذا يَسارٍ فتزوج خَوْلَةَ بنتَ مُقاتلِ بن طَلْبَةَ (الرواية المشهورة باسكان اللام وتساهل ابن سراج فى فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيد أهل الوَبَر ابن سنان بن خالد بن منقر ومهرها خِرَقا ففى ذلك يقول القُلاخ بن حَزْن

لم أر أثوابا أجرَّ لخزيةٍ ● والأمَ مكسُوًّا والأمَ كاسيا
من الخِرَقِ اللّاتى صُبِبْنَ عليكمُ ● بحجرٍ فكنّ المُبقِياتِ البواليا

فقال يحيى بن أبى حَفْصَةَ يُجيبه

تجاوزتُ حَزْنًا راغبةً عن بناته ● وأدركتُ قيسا ثانيا من عنانيا

يقال ذلك السابق اذا تقدّم تقدُّما بيّنا فبلغ الغاية فمن شأنه ان يَثْنِيَ عِنانَهُ فينظر الى الخيل وقال

الاكبر والرئيس الاعظم مع الاعراق الكريمة والاخلاق الرفيعة والتمام فى العلم والحلم والكمال فى العزم والحزم مع التمكن والقدرة والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التى معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله ليجله لباس الخلافة ويحبوه ببهاء الامامة وبأعظم نعمه وأسبغها وأفضل كرامة وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من

الشاعر فمن يفخر بمثل أبي وجدي • يجيء قبل السوابق وهو ثاني

يريد ثاني عنانه وقال القُلاخ في هذه القصة

نُبِّئتُ خولةَ قالت حين أنكحها • لطالما كنتُ منكَ العارَ أنتظر

أنكحتَ عبدين ترجو فضل مالهما • في فيكَ مما رجوتَ التربُ والحجرُ

لله درُّ جيادٍ أنت سائسها • برذنتها وبها التحجيلُ والغُرَرُ

وقال جرير يعيرهم رأيتُ مقاتلَ الطلبات حلّى • فروجَ بناته كَمَرَ الموالي

لقد أنكحتُمُ عبدَ العبيد • من الصهب المشوَّهة السبال

فلا تفخر بقيسٍ انَّ قيسًا • خريتُم فوق أعظمه البوالي

وقال آخر في مثل هذه القصة

ألا يا عباد الله قلبي متيَّمٌ • بأحسن من صلّى وأقبحهم بعلا

يدبُّ على أحشائها كلَّ ليلة • دبيبَ القرنبى بات يقرو نقًا سهلا

القرنبى دويبة على هيئة الخنفس منقّطة الظهر وربما كان في ظهرها نقطة حمراء وفي قوائمها طولٌ على الخنفس وهي ضعيفة المشي قال الفرزدق يعني عطيّة أبا جرير

قرنبى يحكُّ قفا مقرفٍ • لئيمٍ مآثره قُعدُد

(ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتانيث والقعدد اللئيم وجمعه قعادد) وفي هذا الشعر يقول

ألم تر أنا بني دارمٍ • زرارةُ منا أبو معبد

ومنّا الذي منع الوائدات • وأحيا الوئيدَ فلم تُوأد

ألسنا بأصحاب يوم النسار • وأصحاب ألوية المربد

(النسار جبل تألفه النسور كثيرا فلذلك سُمي بهذا الاسم)

ألسنا الذين تميمٌ بهم • تُسامي وتفخر في المشهد

وناحيةُ الخير والأقرعان • وقبرٌ بكاظمة المورد

اذا ما أتى قبرَه عائذٌ • أناخ على القبر بالأسعد

أيطلبُ مجدَ بني دارمٍ • عطيّةُ كالجُعَل الأسود

الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل مالا يبلغه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم ونحن قائلون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فيما انتهى الينا من القول في الاتراك زعم محمد بن الجهم وثمامة بن الاشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن يغشون دار الخلافة وهي دار الامامة قالوا جميعا بينا حميد بن عبد الحميد جالس ومعه أخشيد الصغدي وأبو شجاع شبيب بن بخارخداى

وَمجدُ بنى دارمٍ دونه • مكانُ السماكين والفرقد

(الرفع فى مكان أقوى وهو الوجه الجيد فى العربية) قوله ألم تر أنا بنى منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره وزُرارةُ الذى ذَكَرَ هو زرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم وكان زرارة يُكنى أبا مَعبد وكان له بنون مَعبدٌ ولقيطٌ وحاجبٌ وعلقمةُ والمأموم وزعم قوم ان المأموم هو علقمةُ ومنهم شَيبان بن زرارة وابنه يزيد بن شيبان القَسّابةُ وكان حاجبٌ أذكرَ القوم ورَوَوا أن عبد الملك ذَكَر يوما بنى دارم فقال أحدُ جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون فقال عبد الملك أتقول ذلك وقد مضى منهم لقيطُ بن زرارة ولم يُخلّف عقبا ومضى القعقاع بن معبد ابن زُرارة ولم يُخلّف عقبا ومضى محمد بن عُمير بن عُطارد بن حاجب بن زرارة ولم يُخلّف عقبا والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثة أبدا وكان لقيط بن زرارة قُتل يوم جبلة وأُسر حاجبٌ ففودى فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عكاظىٌّ أغلى فداءً من حاجب وكان آسره زَهدمُ العبسىُّ (اخو كَردم) فلحقه ذو الرُّقَيبة القُشيرىُّ وبنو عبس يومئذ نازلةٌ فى بنى عامر بن صعصعة فأخذه ذو الرُّقَيبة بعزّه وأنه فى محل قومه فقال حاجب لما تنازعنى الرجلان خفت ان أُقتل بينهما فقلت حكّمانى فى نفسى ففعلا فحكمتُ بسلاحى وركابى لزهدم وبنفسى لذى الرُّقَيبة وكان حاجب يُكنى أبا عكرشة وكان أحلم قومه وفى ذى الرقيبة يقول الشاعر (هو المسيّب بن عَلَس واسمه زهير ويُكنى أبا الفضة)

ولقد رأيتُ القائلين وفعلهم • فلذى الرُّقَيبة مالك فضلُ

كفّاه مُتلِفةٌ ومُخلِفةٌ • وعطاؤه متدفّق جزلُ

فَفَدى حاجبٌ وقُتل فى ذلك اليوم لقيطٌ وأُسر عمرو بن عمرو بن عُدس فلذلك يقول جرير يُعيّر الفرزدق لان الفرزدق من بنى مجاشع بن دارم وقد مضى ذكر هذا فى الكتاب ولجرير فى قيس خُؤولةٌ فلما هجا الفرزدق قيسا فى أمر قُتيبة بن مسلم الباهلى قال

أتانى وأهلى بالمدينة وقعةٌ • لآل تميم أقعدت كلّ قائم

كأنّ رؤوس الناس اذ سمعوا بها • مُشدَّخةٌ هاماتُها بالأمائم

(حجارة تُشدخ بها الرؤوس الواحدة أميمة)

وما بين من لم يُعط سمعا وطاعة • وبين تميم غير حزّ الحلاقم

البلخى ويحيى بن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين فى العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة بصناعة الحرب اذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم مفترقين ومجتمعين فلينبذ كل رجل منكم دعواه وحجته يقول لكم أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان فى مائة من نخبته ونقاته أن يلقى بهم مائة تركى أو مائة خارجى فقال القوم جميعا لأن نلقى مائة تركى أحب الينا من أن نلقى

أتغضب أن أذنا قتيبة حزتا • جهارا ولم تغضب لقتل ابن خازم
وما منهما الا نقلنا دماغه • الى الشام فوق الشاحجات الرواسم
تذبذب فى الخلاة تحت بطونها • محذفة الأذناب جلح المقادم
وما أنت من قيس فتنبح دونها • ولا من تميم فى الرؤس الأعاظم
تخوفنا أيام قيس ولم ندع • لعيلان أنفا مستقيم الخياشم
لقد شهدت قيس فما كان نصرها • قتيبة الا عضها بالأباهم

وقال جرير يجيبه
أباهل ما أحببت قتل ابن مسلم • ولا أن تروعوا قومكم بالمظالم

ثم قال يخوف الفرزدق

تحضض يا ابن القين قيسا ليجعلوا • لقومك يوما مثل يوم الأراقم
كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا • وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم
ولم تشهد الجونين والشعب ذا الصفا • وشدات قيس يوم دير الجماجم
فيوم الصفا كنتم عبيدا لعامر • وبالحنو أصبحتم عبيد اللهازم
اذا عدت الأيام أخزين دارما • وتخزيك يا ابن القين أيام دارم

أما قول الفرزدق
كأن رؤس الناس اذ سمعوا بها • مشدخة هاماتها بالأمائم

فان الشجاج مختلفة الأحكام فاذا كانت الشجة شقيقا يدمى فهى الدامية واذا أخذت من اللحم شيئا فهى الباضعة واذا أمعنت فى اللحم فهى المتلاحمة فاذا هشمت العظم فهى الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جليدة رقيقة فهى السمحاق من أجل تلك الجليدة يقال ما على ثرب الشاة من الشحم الا سماحيق أى طرائق فاذا خرجت منها عظام صغار فهى المنقلة وانما أخذ ذلك من النقل وهى الحجارة الصغار فاذا أوضحت عن العظم فهى الموضحة فاذا خرقت العظم وبلغت أم الدماغ وهى جليدة قد ألبست الدماغ فهى الآمة وبعض العرب يسميها المأمومة واشتقاق ذلك افضاؤها الى أم الدماغ ولا غاية بعدها قال الشاعر

يحج مأمومة فى قعرها لجف • فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

وقال ابن غلفاء الهجيمى يرد على يزيد بن عمرو بن الصعق فى هجائه بنى تميم

مائة خارجى وجيد ساكت فلما فرغ القوم جميعا من حججهم قال الرسول لجيد قد قال القوم فقل واكتب قولك وليكن حجة لك أو عليك قال بل أن ألقى مائة خارجى أحب الى لانى وجدت الخصال التى فضل بها التركى جميع المقاتلة غير تامة فى الخارجى ووجدتها تامة فى التركى ففضل التركى على الخارجى بقدر فضل الخارجى على سائر المقاتلة وذلك لان التركى بان من الخارجى بأمور ليس فيها الخارجى دعوى ولا متعلق على ان

فانك من هجاء بنى تميم • كمزداد الغرام الى الغرام

هم تركوك أسلح من حبارى • رأت صقرا وأشرد من نعام

وهم ضربوك أم الرأس حتى • بدت أم الشؤون من العظام

اذا يأسونها جشأت اليهم • شرنبثة القوائم أم هام

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبد الله بن خازم السلمى وهو أحد غربان العرب فى الاسلام وكان من أشجع الناس وقتله بنو تميم بخراسان وكان الذى ولى قتله منهم وكيع بن الدورقية القريعى وقوله فوق الشاحجات يعنى البغال والرسيم ضرب من السير واغا عنى ههنا بغال البريد لقوله • محذفة الاذناب جلح المقادم • كما قال امرؤ القيس

على كل مقصوص الذنابى معاود • بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وكانت برد ملوك العرب فى الجاهلية الخيل وأما قول جرير الجوزين فقد مضى ذكرهما ويوم دير الجماجم يريد الحجاج فى وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندى وقوله بالحنو أصبحتم عبيد اللهازم فاللهازم بنو قيس بن ثعلبة وبنو ذهل بن ثعلبة وبنو تيم اللات ابن ثعلبة وبنو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وبنو مازن بن صعب بن على ثم تلهزمت حنيفة بن لجيم فصارت معهم وأما علقمة بن زرارة فانه قتلته بنو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة فقتل به حاجب أخوه أشيم بن شراحيل القيسى فقال حاجب فى ذلك

فان تقتلوا منا كريما فاننا • أبأنا به مأوى الصعاليك أشيما

قتلنا به خير الضبيعات كلها • ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

وكان يقال لأشيم مأوى الصعاليك وضبيعة أضجم الذى ذكره هو ضبيعة بن ربيعة بن نزار رهط المتلمس هذا الحى وأما معبد بن زرارة فان قيسا أسرته يوم رحرحان فسار واليه الى الحجاز فاتى لقيط فى بعض الاشهر الحرم ليفديه فطلبوا منه ألف بعير فقال لقيط ان أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمع فينا ذؤبان العرب فقال معبد يا أخى افدنى بمالى فانى ميت فأبى لقيط وأبى معبد أن يأكل أو يشرب فكانوا يشحون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يهلك فيذهب فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك

هذه الامور التى بان بها التركى من الخارجى أعظم خطرا وأكثر نفعا مما شاركه الخارجى فى بعضه ثم قال جيد والخصال التى يصول بها الخارجى على سائر الناس صدق الشدة عند أول وهلة وهى الدفعة التى يبلغون بها ما أرادوا وينالون بها ما أملوا والثانية الصبر على الخبب وعلى طول السرى حتى يصبحوا القوم الذين من قوابهم غارين فيهجموا عليهم وهم بشر ولحم على وضم فيجعلوا بهم على الرؤية وعن رد

تَرَكتم بوادى رَحْرحانَ نساءكُمْ • ويومَ الصَّفا لاقيتمُ الشِّعبَ أوعَرا

سمعتم بنى مجدٍ دعَوْا يالَ عامرٍ • فكنتم نَعاماً عنـد ذاكَ مُنَفَّرا

وأسلمتِ القَلحاءُ فى الغلّ مَعبدا • ولاقى لَقيطٌ حَتفَـه فتقَطَّرا

قوله سمعتم بنى مجد دعوا يال عامر يعنى مَجْدَ بنتَ النَّضر بن كنانة وَلَدَتْ رَبيعةَ بنَ عامر بن صَعْصَعةَ وولده بنو كلاب وبنو كعب وبنو عامر بن ربيعة والقَلحاء لقب والقَلَح ان تَرَكَبَ الاسنانَ صفرةٌ تَضرِبُ الى السواد ويقال لها الحَبِرة لشدة تأثيرها أنشدنى المازنى

لَستُ بسَعْدِى على فيه حَبِرةٌ • ولستُ بعَبْدِى حَقيبتُه التَّمرُ

وزعم أبو الحسن الاخفش (سعيد بن مَسْعَدَة) ان العرب تقول فى هذا المعنى فى أسنانه حِبِرةٌ وليس ذلك بمعروف ولم يأت اسم على فِعِل الا ابِلٌ واطِلٌ (وامرأة بِلِزٌ أى ضخمة قاله ابن قتيبة أما ابل فكما ذكر وأما اطل فليس كما ذكر واطِلٌ أصله اِطْلٌ ثم حركت الطاء اتباعا لحركة الهمزة كما قالوا فى الجِلْد الجِلِد قال سيبويه ليس فى الاسماء والصفات فِعِلٌ الا ابِلٌ) وقوله ولاقى لقيطٌ حتفه فتقطّرا يقال قَطَّرَه لجنبيه وقَتَّره لغتان لان التاء من مخرج الطاء فان رمى به على قفاه قيل سَلَقَه وسَلقاه و بطحه لوجهه فان رمى به على رأسه قيل نَكَتَه • رجع التفسير الى شعر الفرزدق الاول • أما قوله ومنا الذى منع الوائدات فانه يعنى جده صعصعة بن ناجية بن عقال وكانت العرب فى الجاهلية تَئِدُ البنات ولم يكن هذا فى جميعها انما كان فى تميم بن مُرّ ثم استفاض فى جيرانهم فهذا قولٌ واحدٌ وقال قوم آخرون بل كان فى تميم وقيس وأسد وهذيل و بكر بن وائل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَرَ واجعلها عليهم سنينَ كسنى يوسف وقال بعض الرواة اشدد وطدتَك والمعنى قريب يرجع الى الثقل فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوَبَر بالدم فكانوا يسمونه العِلهِز ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ودلّ على ما من أجله قتلوا البنات فقال ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ املاق وقال ولا يقتلن أولادهن فهذا خبرٌ بيّنٌ ان ذلك للحاجة وقد روى بعضهم انهم انما فعلوا ذلك أنفةً وذكر أبو عبيدة مَعمَر بن المثنّى أن تميما منعت النعمانَ الاتاوةَ وهى الأديان فوجّه اليهم أخاه الريّانَ بن المنذر وكانت النعمان خمسُ كتائبَ احداها الوضائعُ وهم قوم من الفُرس كان كسرى يضعهم عنده عُدّةً ومَدَداً فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لخم فاذا

النفس بعد الجولة والنزوة لا يظنون أن أحدا يقطع فى ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد والثالثة ان الخارجى موصوف عند الناس بانه ان طلب أدرك وان طلب فات والرابعة خفة الازواد وقلة الامتعة وانها تجنب الخيل وتركب البغال وان احتاجت أمست بأرض وأصبحت بأخرى وانهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة والجنان الملتفة والدور المشيدة ولا ضياعا ولا

كان في رأس الحول ردّهم الى أهليهم وبعث مثلهم وكتيبة يقال لها الشهباء وهي أهل بيت الملك وكانوا بيض الوجوه يسمّون الاشاهب وكتيبة ثالثة يقال لها الصنائع وهم صنائع الملك أكثرهم من بكر بن وائل وكتيبة رابعة يقال لها الرهائن وهم قوم كان يأخذهم من كل قبيلة فيكونون رهنا عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم والخامسة دوسر وهي كتيبة ثقيلة تجمع فرسانا وشجعانا من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجلّ من معه بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذراري وفي ذلك يقول أبو المشمرج اليشكري

لما رأوا راية النعمان مقبلة • قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن
يا ليت أمّ تميم لم تكن عرفت • مرّا وكانت كمن أودى به الزمن
ان تقتلونا فأعيار مجدّعة • أو تنعموا فقديما منكم المنن
منهم زهير وعتّاب ومحتضر • وابنا لقيط وأودى في الوغا قطن

ويقول النعمان في جواب هذا

لله بكر غداة الروع لو بهم • أرمي ذرا حضن زالت بهم حضن
اذ لا أرى أحدا في الناس أشبههم • الا فوارس خاضت عنهم اليمن

وهذا خبر طويل فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقيا فقال

ما كان ضرّ تميما لو تغمّدها • من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فاناب القوم وسألوه النساء فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها ردّت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اختارت أباها الا ابنة لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المشمرج فنذر قيس أن لا تولد له ابنة الا قتلها فهذا شيء يعتلّ به من وأد ويقول فعلناه أنفة وقد أكذب ذلك بما أنزل الله تعالى في القرآن وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية وكانوا لا يورثون ولا يغذون الا من طاعن بالرمح ومنع الحريم يريد الذكران وروت الرواة ان صعصعة بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال يا رسول الله اني كنت أعمل عملا في الجاهلية أفينفعني ذلك اليوم قال وما عملك قال أضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت في بغائهما فرفع لي بيت حريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفناء الدار فسألته عن الناقتين فقال ما نارهما قلت ميسم بني

مستغلات ولا جواري مطهمات وانهم لا سلب لهم ولا مال معهم فيرغب الجند في لقائهم واغنامهم كالطير لا تدخر ولا تهتم لغد ولها في كل أرض من المياه والبرور ما يقوتها وان لم تجد ذلك في بعض البلاد فأجمعها تقرب لها البعيد وتسهل لها الحزون وكذلك الخوارج لا تمتنع عليهم القرى والطعم فان تمتنع عليهم ففي بنات أعواج وبنات شحاج وخفة الاثقال والقوة على طول الخبب ما يأتيها بأرزاقها وأكثر من

دارم فقال هما عندى وقد أحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه لنخرج الى فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها ما وضعت فان كان سقبا شاركنا فى أموالنا وان كانت حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قال قلت انما اشترى منك حياتها ولا اشترى رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قال قلت ذلك لك على ان يبلغنى الجمل واياها قال ففعل فآمنت بك يا رسول الله وقد صارت لى سنة فى العرب على أن اشترى كل موؤودة بناقتين عشراوين وجمل فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤودة فقد أنقذتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعك ذلك لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل فى اسلامك عملا صالحا تثب عليه وكان ابن عباس يقرأ واذا الموؤودة سألت باى ذنب قتلت وقال أهل المعرفة فى قول الله عز وجل واذا الموؤودة سئلت باى ذنب قتلت انما تسئل تبكيتا لمن فعل ذلك بها كما قال الله تعالى يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقوله وئدت انما هو أثقلت بالتراب يقال للرجل اتئد أى تثبت وتثقل كما يقال توقر قال قصير صاحب جذيمة (هذا وهم من أبى العباس وانما هو للزباء)

ما للجمال مشيها وئيدا • أجندلا يحملن أم حديدا • (أم صرفانا باردا شديدا)

وقوله أضلت ناقتين عشراوين أضللت ضللتا منى وتحقيقه صادفتهما ضالتين كما قال (لرجل من قضاعة يقال له مالك بن عمرو وقبله

لا وجد ثكلى كما وجدت ولا • وجد عجول أضلها ربع)

أو وجد شيخ أضل ناقته • حين تولى الحجيج فاندفعوا

والعشراء الناقة التى قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر وانما حمل الناقة سنة وقوله ما نارهما يريد ما وسمهما كما قال قد سقيت آبالهم بالنار • والنار قد تشفى من الأوار

أى عرف وسمهم فلم يمنعوا الماء وقوله فاذا بيت حريد يقول منتح عن الناس وهذا من قولهم انحرد الجمل اذا تنحى عن الاناث فلم يبرك معها ويقال فى غير هذا الموضع حرد حرده أى قصد قصده قال الراجز قد جاء سيل جاء من أمر الله • يحرد حرد الجنة المغله

وقالوا فى قوله عز وجل وغدوا على حرد قادرين أى على قصد كما ذكرنا وقالوا هو أيضا على منع من

أرزاقها والخامسة ان الملوك اذا أرسلوا اليهم أعدادهم ليكونوا فى خفة أزوادهم وأثقالهم وليقووا على التنقل كقومهم لم يقووا عليهم لان مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وان كثفوا الجيش وضاعفوا العدد ثقلوا عن طلبهم وعن الفوت ان طلبهم عدوهم ومتى شاء الخارجى ان يقرب منهم ليتطرقهم أو ليصيب الغرة أو ليثبتهم فعل ذلك ثقة بانه يقيم عند الفرصة وروية

قولهم حاردت الناقة اذا منعت لبنها وحاردت السنة اذا منعت مطرها والبعير الاحرد هو الذى يضرب بيده وأصله الامتناع من المشى وأما قوله

وقبر بكاظمة المورد ⁂ اذا ما أتى قبره خائف ⁂ أناخ على القبر بالأسعد

فانه يعنى قبر أبيه غالب بن صعصعة بن ناجية وكان الفرزدق يجير من استجار بقبر أبيه وكان أبوه جوادا شريفا ودخل الفرزدق البصرة فى امرة زياد فباع ابلا كثيرة وجعل يصر أثمانها فقال له رجل انك لتصر أثمانها ولو كان غالب بن صعصعة ما صرها ففتح الفرزدق تلك الصرر ونثر المال وبلغ الخبر زيادا فطلبه فهرب الفرزدق وله فى هربه حديث طويل واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله فممن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق امرأة من بنى جعفر ابن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بنى جعفر بن كلاب أن يسميها ويسبها فعاذت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال فى كلمته التى يهجو فيها بنى جعفر بن كلاب

عجوز تصلى الخمس عاذت بغالب ⁂ فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميم بن زيد القينى السند دخل البصرة فجعل يخرج من أهلها من شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت انى استجرت بقبر أبيك وأتت منه بحصيات فقال لها وما شأنك فقالت ان تميم بن زيد خرج بابن لى معه ولا قرة لعينى ولا كاسب لى غيره فقال لها وما اسم ابنك فقالت خنيس فكتب الى تميم بن زيد مع بعض من شخص

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى ⁂ بظهر فلا يعيا على جوابها
وهب لى خنيسا واحتسب فيه منة ⁂ لعبرة أم ما يسوغ شرابها
أتتنى فعاذت يا تميم بغالب ⁂ وبالحفرة السافى عليها ترابها
وقد علم الاقوام أنك ماجد ⁂ وليث اذا ما الحرب شب شهابها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال أحبيش أم خنيس ثم قال انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فأصيب ستة ما بين حبيش وخنيس فوجههم اليه ومنهم مكاتب لبنى منقر ظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره وقال انى قد قلت شعرا فقال هاته فقال

العورة ويمكنه الهرب عند الخوف وان شاء كبسهم ليقطع نظامهم أو ليقتطع القطعة منهم قال جميد فهذه هى مفاخرهم وخصالهم التى جاكره الفواد لقاءهم قال القاسم بن سيار وخصلة أخرى وهى التى أرعبت القلوب وحشتها ونقضت العزائم وفسختها وهو ما تسمع الاجناد ومقاتلة العوام من ضرب المثل بالخوارج كقول الشاعر اذا ما رأى الخيل المحاذى القرى

بقبر ابن ليلى غالب عذت بعدما ... خشيت الردى أو أن أرد على قسر

بقبر امرئ تقري المئين عظامه ... ولم يك الا غالبا ميت يقري

فقال لي استقدم أمامك انما ... فكاك أن تلقى الفرزدق بالمصر

فقال له الفرزدق ما اسمك قال لهذم قال يا لهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوما سوداء الحدقة قال يا جارية اطرحي الينا حبلا ثم قال يا لهذم اخرج بنا الى المربد فالقه في عنق ما شئت فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقة وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد علي في ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى اذا نفذ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدق يا لهذم قبح الله أخسرنا (قوله تقري المئين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله ولم يك الا غالبا ميت يقري فانه نصب غالبا لانه استثناء مقدم وانما تنصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك وذلك أن حق الاستثناء اذا كان الفعل مشغولا به أن يكون جاريا عليه لا يكون فيه الا هذا تقول ما جاءني الا عبد الله وما رأيت الا عبد الله وما مررت الا بعبد الله فان كان الفعل مشغولا بغيره فكان موجبا لم يكن في المستثنى الا النصب نحو جاءني اخوتك الا زيدا كما قال تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم ونصب هذا على معنى الفعل والدليل على ذلك فاذا قلت جاءني القوم لم يؤمن أن يقع عند السامع أن زيدا أحدهم فاذا قال الا زيدا فالمعنى لا أعني فيهم زيدا أو أستثني ممن ذكرت زيدا ولسيبويه فيه تمثيل والذي ذكرت لك أبين منه وهو مترجم عما قال غير مناقض له وان كان الاول منفيا جاز البدل والنصب والبدل أحسن لان الفعل الظاهر أولى بان يعمل من المختزل الموجود بدليل وذلك قولك ما أتاني أحد الا زيد وما مررت باحد الا زيد والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشيء يفرغ له الفعل فانت في المنفي اذا قلت ما جاءني أحد الا زيد اذا حذفت على جهة البدل صار التقدير ما جاءني الا زيد لانه بدل من أحد والموجب لا يكون فيه البدل لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا لم يجز حذف الاول لا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي ما جاءني أحد الا زيدا جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحت لك في الواجب والقراءة الجيدة ما فعلوه الا قليل منهم وقد قرئ الا قليلا منهم على ما شرحت لك في الواجب والقراءة الاولى فاذا قدمت المستثنى بطل البدل

رأى الضيف مثل الازرق المنقف

هذه زيادة القاسم بن سيار وأما جيد فانه قال فاما الشدة فالتركي فيها أحد أثرا وأجمع أمرا وأحكم شأنا لان التركي من أجل ان تصدق شدته ويتمكن عزمه ولا يكون مشترك العزم ومنقسم الخواطر قد عود برذونه ان لا ينثني وان ثناه فلا عملا فروجه الا ان يديره مرة أو مرتين والا فانه لا يدع سننه ولا يقطع ركضه وانما أراد التركي ان يؤيس نفسه من البدرات ومن ان

لانه ليس قبله شئ يُبدَل منه فلم يكن فيه الا وجهُ الاستثناء فتقول ما جاءنى الا أباك أحدٌ وما مررت الا أباك بأحد وكذلك تنشد هذه الاشعار قال كعبُ بن مالك الانصارىُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الناسُ ألْبٌ علينا فيكَ ليس لنا * الا السيوفَ وأطرافَ القَنا وَزَرُ

وقال الكُمَيت بن زيد

فمالى الا آلَ أحمدَ شيعةٌ * ومالى الا مَشْعَبَ الحق مَشْعَبُ

لا يكون الا هذا وليونس قول مرغوب عنه فلذلك لم نذكره وقوله فقال لى استَقْدِمْ أمامك مُخْبِرٌ عن الميت بالقول فان العرب وأهل الحكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولا فمن ذلك قول زُهَير

أمِنْ أُمِّ أوفى دِمنةٌ لم تَكَلَّمِ *

وانما كلامها عنده أن تَبِينَ عما يُرَى من الآثار فيها من قدم أهلها وحِدْثانِ عهدهم ورُوِى عن بعض الحكماء أنه قال هلّا وقفتَ على المَعاهد والجنان فقلتَ أيتها الجنانُ مَنْ شقَّ أنهارك وغرَس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تُجِبْكَ حوارًا اجابتك اعتبارا وأهل النظر يقولون فى قول الله عز وجل قالتا أتينا طائعين لم يكن كلام انما فعَلَ عز وجل ما أراد فوُجِدَ قال الراجز

قد خَتَّقَ الحوضُ وقال قَطْنِى * سَلّا رُوَيدًا قد ملأْتُ بطنى

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه وكذلك قوله

فقال لى استَقْدِمْ أمامك انما * فَكاكُكَ ان تلقى الفرزدقَ بالمصر

أى قد جُرِّبَ مثلُ هذا منك فى المستجير بقبره وحدثنى العباس بن الفَرَج الرِياشىُّ فى اسناد قد ذَهَبَ عنى أكثره قال نزل النُعمان بن المُنذِر ومعه عَدِىُّ بن زيد فى ظل شجرة مُونِقة ليلهوَ والنُعمان هنالك فقال له عدىُّ بن زيد أيها الملك أبيتَ اللعنَ أتدرى ما تقول هذه الشجرة قال وما الذى تقول قال تقول

(مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَهُ * أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالِ

وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقى لها * ولما تأتى به صُمُّ الجبال)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا * يمزُجونَ الخمرَ بالماء الزُلال

(والاباريقُ عليها فُدُمٌ * وجيادُ الخيل تَرْدى فى الجِلال

عَمِرُوا الدهرَ بعيشٍ حَسَنٍ * قَطَعوا دهرَهم غيرَ عِجال)

ثم أضحَوا عصفَ الدهرُ بهم * وكذاكَ الدهرُ حالا بعد حال

يعتريه التكذيب بعد الاعتزام لهول اللقاء وحب الحياة لانه اذا علم انه قد صير برذونه الى هذه الغاية حتى لا ينثنى ولا يجيبه الى التصرف معه الا بان يصنع شيأ بين الصفين فيه عطبه لم يقدم على الشدة الا بعد احكام الامر والبصر بالعودة وانما يريد ان يشبه نفسه بالمخرج الذى اذا رأى أشد القتال لم يدع جهدا ولم يدخر حيلة ولينفى عن قلبه خواطر الفرار ودواعى الرجوع وقال الخارجى عند الشدة انما

قال فتنغّص النعمانُ وهذا في الامثال كثير وفي الاشعار السائرة وأما قوله حكمُكَ مُسَمَّطًا فاعرابه أنه أراد لك حكمُكَ مُسَمَّطا واستُعمِلَ هذا فكثر حتى حُذِفَ استخفافا لعلم السامع بما يريد القائلُ كقولك الهلالُ والله أي هذا الهلال وأغنى عن قوله هذا القصدُ والاشارةُ وكان يقال لرُؤْبَةَ كيف أصبحت فيقول خيرٍ عافاكَ الله فلم يُضمِر حرف الخفض ولكنه حذَفَ لكثرة الاستعمال والمُسَمَّطُ المرسل غير المردود والكوماءُ العظيمة السنام

(باب)

قال أبو العباس قال الليثي (هو الجاحظ) أعتق سعيدُ بن العاصي أبا رافع الاسهُمًا واحدا فيه من أسهُمٍ لم يُسَمَّ عَدَدُها لنا فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السهم فأعتقه وكان لابي رافع بنون أشرافٌ منهم عبيد الله بن أبي رافع وحديثه أثبتُ الحديث عن علي بن أبي طالب وكان كالكاتب له وكان عبيد الله بن أبي رافع شريفا وكان عبيد الله يُنسَبُ الى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي عمرو بن سعيد الاشدقُ المدينة لم يَعمَلْ شيأ قبل ارساله الى عبيد الله بن أبي رافع فقال له مَولى مَنْ أنتَ فقال له مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مَولى مَن أنتَ فقال مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه مائة أخرى فلما رأى عبد الله أنه غير راجع وأن عمرا قد ألَحَّ عليه في ضربه قام الى عمرو فقال له اذكر المَلْحَ فأمسكَ عنه والملحُ ههنا اللبنُ يريد الرَّضاع كما قال أبو الطَّمَحان القينيّ

وانى لارجو مِلحَها في بطونكم ٭ وما بسطَتْ من جلد أشعثَ أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغبرَ لان قبله

ولو علمتْ صرفَ البيوع لَسرَّها ٭ بمكة أن تَبتاعَ حَمضًا باذخِرِ

قاله ش) وكما قال الآخر ٭ لا يُبعِدِ اللهُ رَبُّ العبا ٭ د والملحَ ما ولدَتْ خالدهْ

وروي ان عبيد الله بن أبي رافع أتى الحسن بن علي بن أبي طالب فقال انا مولاكَ فقال في ذلك مَولى لتمام بن عباس بن عبد المطَّلب يعذله ويعيِّره

جَحَدتَ بني العباس حقَّ أبيهمُ ٭ فما كنتَ في الدعوى كريمَ العواقبِ

متى كان أولادُ البنات كوارثٍ ٭ يحوزُ ويُدْعَى والدا في المناسبِ

يعتمد على الطعان والاتراك تطعن طعن الخوارج وان شد منهم ألف فارس فرموا رشقا واحدا صرعوا ألف فارس فما بقي جيش على هذا النوع من الشدة والخوارج والاعراب ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل والترك يرمي الوحش والطير والبرجاس والناس والمجثمة والمثل الموضوعة والطائر الخاطف ويرمي وقد ملأ فروج دابته مدبرا ومقبلا ويمنة ويسرة وصعدا وسفلا ويرمي العشرة

ريد ان العباس أولى بولاء مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان العم مدعوّ والد فى كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث وقال رجل من الثقفيين أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله

أنّى يكون وليس ذاك بكائن • لبنى البنات وراثة الاعمام
ألنى سهامهم الكتاب فالهم • أن يشرعوا فيه بغير سهام

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين

لو كان جدكم هناك وجدنا • فتنازعا فيه الوقت خصام
كان التراث لجدنا من دونه • حوّاه بالقربى وبالاسلام
حق البنات فريضة معروفة • والعم أولى من بنى الاعمام

وذكر الزبيريون عن ابن الماجشون قال جاءنى رجل من ولد أبى رافع فقال انى قد فاوضت رجلا من موالى بعض العرب فقلت أنا خير منك فقال بل أنا خير منك فما الذى يجب لى عليه فقلت ليس فى هذا شئ فقال أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انه خير منى قال قلت قد يتصرف هذا على غير الحسب قال فلما رآنى لا أقضى له بشئ قال لى أنت دافع مغرما الآن ولا فى عنده ليس فى موضع مرضى قال وصدق فى بنى تيم لتيم من هو أشرف ولا منى • وحدثت ان أسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان فى أمر ضيعة يدعيها كل واحد منهما فلججت بهما الخصومة فقال عمرو يا أسامة أتأنف ان تكون مولاى فقال اسامة والله ما يسرنى بولائى من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب ثم ارتفعا الى معاوية فلججا بين يديه فى الخصومة فتقدم سعيد بن العاصى الى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة فتقدم الحسن الى جانب اسامة يلقنه فوثب عتبة بن أبى سفيان فصار مع عمرو ووثب الحسين فصار مع اسامة فقام عبد الرحمن بن أم الحكم فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن العباس فجلس مع اسامة فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة فقال معاوية الحلية عندى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة فانصرف الهاشميون وقد قضى لهم فقال الأمويون لمعاوية هلا اذ كانت هذه القضية عندك بدأت بها قبل التحزب أو أخرتها عن هذا المجلس فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس وكان

الأسهم قبل ان يفوق الخارجى سهما واحدا ويركض دابته منحدرا من سهل أو متسفلا الى بطن واد باكثر مما يمكن الخارجى على بسيط الأرض والتركى له أربعة أعين عينان فى وجهه وعينان فى قفاه والخارجى عيب فى مستدبر الحرب والخراسانى عيب فى مستقبل الحرب فعيب الخراسانية أن لها جولة عند أول الالتقاء فان ركبوا أكساءهم كانت هزيمتهم وكثيرا ما يثوبون وذلك بعد الخطار بالعسكر

الذى اعتمد به الحجاج بن يوسف على سعيد بن جبير لما أتى به اليه بعد انقضاء أمر ابن الاشعث وكان سعيد عبد الرجل من بنى أسد بن خزيمة فاشتراه سعيد بن العاصى فى مائة عبد فأعتقهم جميعا فقال له الحجاج يا شقى بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربى فجعلتك اماما قال بلى قال أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الاشعرى وأمرته ان لا يقطع أمرا دونك قال بلى قال أوما جعلتك فى سمارى وكلهم من رؤس العرب قال بلى قال أوما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شئ منها قال بلى قال فما أخرجك على قال بيعة كانت لابن الاشعث فى عنقى فغضب الحجاج ثم قال أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك فى عنقك قبل والله لاقتلنك يا حرسى اضرب عنقه ونظر الحجاج فاذا جل من خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالى فأحب ان يزيلهم عن موضع الفصاحة والآداب ويخلطهم باهل القرى والانباط فقال انما الموالى علوج وانما أتى بهم من القرى فقراهم أولى بهم فامر بتسييرهم من الامصار واقرار العرب بها وأمر بان ينقش على يد كل انسان منهم اسم قريته وطالت ولايته فتوالد القوم هناك فخبثت لغات أولادهم وفسدت طبائعهم فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين فيقال انه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا ورد المنقوشين فرجعوا فى صورة الانباط ففى ذلك يقول الراجز

جارية لم تدر ما سوق الابل • أخرجها الحجاج من كن وظل
لو كان بدر حاضرا وابن جمل • ما نقشت كفاك فى جلد جلل

وقال شاعر لاهل الكوفة لما استقضى عليها نوح بن دراج (ينسب للفرزدق)

يا أيها الناس قد قامت قيامتكم • اذ صار قاضيكم نوح بن دراج
لو كان حيا له الحجاج ما سلمت • كفاه ناجية من نقش حجاج

ويروى عن حسان المعروف بالنبطى صاحب منارة حسان فى البطيحة قال أريت الحجاج فيما يرى النائم فقلت أصلح الله الامير ما صنع الله بك فقال يا نبطى أهذا عليك قال فرأيتنا لا نفلت من نقشه فى الحياة ومن شتمه بعد الوفاة ويروى عن حسان انه قص هذه الرؤيا على محمد بن سيرين فقال له ابن سيرين لقد رأيت الحجاج بالصحة قال أبو العباس وحدثت من ناحية الزبيريين ان الجحاف بن حكيم

واطماع العدو فى الشدة والخوارج اذا ولوا فقد ولوا وليس لهم بعد الفرار كر الا ما لا يعد والتركى ليست له جولة الخراسانى واذا أدبر فهو السم الناقع والحتف القاضى لانه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب بسهمه وهو مقبل ولا يؤمن رهقه قال وهم قد علموا الفرسان حمل قوسين وثلاث قسى ومن الاوتار على حساب ذلك قال والتركى فى حال شدته معه كل شئ يحتاج اليه لنفسه ولسلاحه

دخل على عبد الملك والأخطل عنده فلما بصر به الأخطل قال

ألا أبلغ الجحاف هل هو ثائر • بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فقال الجحاف بلى سوف نبكيهم بكل مهند • ونبكي عميرا بالرماح الخواطر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترئ على بمثل هذا ولو كنت مأسورا لك فحمّ الأخطل خوفا

فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه في اليقظة فمن يجيرني منه

في النوم ومن هذا أو نحوه أخذ السلمي قوله (قال أبو الحسن هو أشجع السلمي يقوله للرشيد)

وعلى عدوك يا ابن عم محمد • رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا هدا • سلت عليه سيوفك الأحلام

وكان العديل بن الفرخ العجلي هارباً من الحجاج فجعل لا يحل ببلدة إلا ربع لأثر يراه من آثار

الحجاج فيهرب حتى أبعد ففي ذلك يقول العديل

يخوفني الحجاج حتى كأنما • يحرك عظم في الفؤاد مهيض

ودون يد الحجاج من أن تنالني • بساط لأيدي اليعملات عريض

فلم ينشب أن أتى به الحجاج ففي ذلك يقول العديل

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها • لكان لحجاج علي دليل

بنى قبة الإسلام حتى كأنما • أتى الناس من بعد الضلال رسول

أجا وسلمى جبلا طيئ وأجأ مهموزا وإنما هو أجأ مقصور فاعلم قال زيد الخيل

جلبنا الخيل من أجا وسلمى • تخب نزائعا خبب الذئاب

والشاعر إذا احتاج إلى قلب الهمزة قلبها إن كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء أو ساكنة جعلها

على حركة ما قبلها وإن كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها ألفا وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة

جعلها ياء وإن كانت قبلها ضمة جعلها واوا قال الفرزدق

راحت بمسلمة البغال عشية • فارعي فزارة لا هناك المرتع

وقال حسان بن ثابت سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقال عبد الرحمن بن حسان وكنت أذل من وتد بقاع • يشجج رأسه بالفهر واجي

ولدابته وأداة دابته فأما الصبر على الخبب ومواصلة السير وعلى طول السرى وقطع البلاد فظاهر أن فرس الخارجي لا يصبر صبر برذون التركي والخارجي لا يحسن أن يعالج فرسه إلا معالجة الفرسان لخيولهم والتركي أحذق من البيطار وأجود تقويما لبرذونه على ما يريد من الراضة وهو استنتجه وهو رباه فلوا وتبعه إن سماه وإن ركض ركض خلفه قد عوده حتى عرفه كما يعرف الفرس أجذم

وأما قول الفرزدق فانه يقول لما عُزِلَ مَسْلَمةُ بن عبد الملك عن العراق بعد قتله يزيد بن المهلب لحاجة الخليفة الى قُرْبه وولي عُمر بن هُبَيْرَة فقال

راحتْ بَمسْلمةَ البِغالُ عشيةً • فارعَىْ فزارةُ لاهَناكِ المَرْتَعُ

ولقد علمتُ اذا فزارةُ أُمِّرتْ • ان سوف تَطْمَعُ فى الامارة أشجعُ

فارى الامور تَنَكَّرتْ أعلامُها • حتى أُمَيَّةُ عن فَزارةَ تَنْزِعُ

عُزِلَ ابْنُ عمرو وابن بِشرٍ قَبْلَهُ • وأخو هَراةَ لمِثْلها يَتَوَقَّعُ

(تَنْزِعُ رواية عاصم فمن روى تُنْزَعُ بضم التاء يعنى تُعْزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الزاى فهو من النَّزْع فى القَوْس وهو الرمى يشير الى أنها محتاجة الى رأيها وأنها ترمى عن قوسها) ففى جواب هذا يقول الأَسَدىُّ لما وَلِىَ خالد بن عبد الله القَسْرِىُّ

بَكَتِ المنابرُ من فَزارةَ شَجْوَها • فالآن من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ

وملوكُ خِنْدِفَ أسلمونا للعِدَى • لله دَرُّ ملوكنا ماتَصْنَعُ

(كانوا كتاركةٍ بَنيها جانبًا • سَفَهًا وغيرَهُمُ تَصونُ وتُرْضِعُ)

وأما قول حسان سالتْ هذيلٌ رسولَ الله فاحشة فليس من لغته سلتُ أسالُ مثل خفتُ أخافُ وهما يتساولان هذا من لغة غيره وكانت هذيل سألتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لها الزِنا ويروى ان أَسَدِيًّا وهُذَلِيًّا تفاخرا فرضيا برجل فقال انى ما أقضى بينكما الا ان تجعلا لى عَقْدًا وثيقا أن لا تَضْربانى ولا تَشْتِمانى فانى لستُ فى بلاد قومى ففعلا فقال يا أخا بنى أسد كيف تُفاخر العربَ وأنت تعلم انه ليس حَىٌّ أحبَّ الى الجيش ولا أبغضَ الى الضيف ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنتَ يا أخا هُذَيْل فكيف تكلمُ الناس وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ كان منكم دليلُ الحبشة على الكَعْبة ومنكم خَوْلَةُ ذاتُ النِّحْيَيْنِ وسألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يُحِلَّ لكم الزِنا ولكن اذا أردتما بَيْتَىْ مُضَرَ فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تَميم وقَيس قُوما فى غير حفظ الله وأما بيتُ عبد الرحمن بن حسان فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبى العاصى وكان يهاجيه فقال له فى كلمته

• وأما قولُك الخُلَفاءُ منا • فهم مَنَعُوا وَرِيدَكَ من وِداجِ

ولولاهُمْ لَكُنْتَ كَحُوتِ بَحْرٍ • هَوَى فى مُظْلِمِ الغَمَراتِ داجى

والناقة حلى والجمل جأ والبغل عدس والحمار سأسأ وكما يعرف المجنون لقبه والصبى اسمه ولو حصرت مدة عمر التركى وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر الارض نادرا والتركى يركب فحل ارماكه ويخرج غازيا أو مسافرا أو متباعدا فى طلب صيد أو سبب من الاسباب فتتبعه الرمكة وأفلاؤها ان أعياه اصطياد الناس اصطاد الوحش وان أخفق منها واحتاج الى طعام فصد

وكنتُ أذلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ • يُشَجِّجُ رأسه بالفهرِ واجي

وكان أحدَ مَنْ هرب من الحجاج سَوَّارُ بن المُضَرَّب (بفتح الراء) فني ذلك يقول

أقاتِـلِيَ الحَجّاجُ ان لم أزُرْ له • دَرَابَ وأترُكْ عند هندٍ فؤاديا

فان كان لا يرضيك حتى تَرُدَّني • الى قَطَرِيٍّ ما اخالُكَ راضِـيا

اذا جاوزَتْ دَرْبَ المُجيزِين ناقتي • فباسْتِ أبي الحَجّاج لمّا ثَنانيا

أيَرْجُو بنو مَرْوانَ سمعي وطاعتي • وقَومي تميمٌ والفَـلاةُ ورائيا

(فاعل يرضيك مضمر أو منوي تقديره فان كان لا يرضيك الارضاءُ ولا يجوز أن يكون ما بعد يرضيك الفاعل لان سيبويه رحمه الله قال الفاعل لا يكون جملة وحتى تردني جملة قاله ابن الأبرش) وورائي هاهنا بمعنى أمامي قال الله عز وجل وانى خفتُ المَوالِيَ من وَرائي وقال جل ثناؤه وكان وراءَهُم مَلِكٌ يأخُذُ كلَّ سفينةٍ غَصْبا وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نُمَيْر الثقفي وكان يُشَبِّبُ بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو القائل فيها

تَضَوَّعَ مِسْكًا بطنُ نَعمانَ أنْ مَشَتْ • به زينبٌ في نِسْوةٍ عَطِراتِ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى • ويَخْرُجْنَ شَطْرَ الليلِ مُعْتَجِراتِ

في كلمة له فلما أُتِيَ به الحجاج قال

هالكٌ يَدِي ضاقَتْ بي الارضُ رَحْبَها • وان كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكانِ

فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأَسُومِها • لخِلْتُكَ الاّ أن تَصُدَّ تَراني

(من رفع رحبها فعلى البدل ومن نصب فعلى الظرف قاله ش وأسومها بفتح الهمزة وبالضم والفتح أحسن ش) ثم قال والله أيُّها الامير ان قلتُ الا خيرا انما قلتُ

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التقى • ويخرجن شطر الليل معتجرات

فعفا عنه ثم قال له اخبرني عن قولك

ولمّا رأَتْ رَكْبَ النُمَيْرِيِّ أعرَضَتْ • وكُنَّ منَ ان يلقَيْنَه حَذِراتِ

ما كنتم قال كنتُ على حمارٍ هزيلٍ ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثله وممن هرب منه مالك بن الرَّيب المازني أحد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم وفي ذلك يقول

دابة من دوابه وان عطش حلب رمكة من رماكه وان أراح واحدة ركب أخرى من غير أن ينزل الى الأرض وليس في الأرض أحد الا وبدنه ينتفض عن اقتيات اللحم وحده غيره وكذلك دابته تكتفي بالعنقر والعشب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد قال وأما الصبر على الخبب فان الثغريين والفزاتقيين والحصيان والخوارج لو اجتمعت قواهم في شخص واحد لما وفوا بتركي

انْ تُنْصِفونا بالَمَرْوانَ نَقْتَرِبْ • اليكم والا فأْذَنُوا ببِعادِ

فانَّ لنا عنكم مَزَاحاً ومَرْحَلاً • بعِيسٍ الى ريح الفَلاةِ صوادِى

فنى الارض عن دار المَذَلّةِ مَذْهَبٌ • وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كبلادى

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء والاصح أَوْطَنَتْ بفتح الهمزة وفتح الطاء قاله ش)

فماذا تَرَى الحَجّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ • اذا نحنُ جاوزنا حَفيرَ زِيادِ

فلولا بَنُو مَرْوانَ كان ابنُ يوسفٍ • كما كان عبداً من عبيدِ ايادِ

زمانَ هو العَبْدُ المُقِرُّ بذِلَّةٍ • يُراوِحُ صِبيانَ القُرَى ويُغادى

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْنِ بالطائف وكان لقبه كُلَيْباً وفى ذلك يقول القائل

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زمانَ الهُزال • وتَعْلِيمَهُ سورةَ الكَوْثَرِ

رَغيفٌ له فَلْكَةٌ ما تُرَى • وآخَرُ كالقَمَرِ الأزْهَرِ

يقول خُبْزُ المُعَلِّمين يأتى مختلفا لانه من بيوت صبيان مختلفى الاحوال وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

أما رأيتَ بنى بَحْرٍ وقد حَفَلوا • كأنّهم خُبْزُ بَقّالٍ وكُتّابِ

هذا طويلٌ وهذا أَحْنَبُ جَعْدٌ • يمشون خَلْفَ عُمَيْرٍ صاحبِ البابِ

وفى لقبه يقول آخر من أهل الطائف كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ فى أرضكم • وقد كان فينا صغيرَ الخَطَرْ

ولما دخل الحجاجُ مكة اعتذر الى أهلها لقلة ما وصلهم به فقال قائل منهم اذاً والله لا نَعْذِرُكَ وأنت أميرُ العِراقَيْنِ وابنُ عَظيمِ القَرْيَتَيْنِ وذلك ان عُرْوَةَ بن مسعود وَلَدَهُ من قبل أمه وتأويل قول الله عز وجل وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجل من القريتين عَظيمٍ مجازُهُ فى العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف والرجلان عُرْوَةُ بن مسعود والآخر الوَليدُ بن المُغيرةِ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله مر بقبره ومعه خالد فقال أصبح جَمْرَةً فى النار فأجابه خالد فى ذلك بجواب غير مَرْضِىّ وأما عُرْوَةُ بن مسعود فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فَرَقِىَ سطحَهُ فرماه رجل بسهم فقتله فلما وَجَّهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم العباسَ بن عبد المُطَّلِب رحمه الله الى أهل مكة أبطأ عليه فقال رُدُّوا علىَّ أبى أما لئن فعلت به قريش ما فعلت ثقيفُ بعروة بن مسعود لأُضْرِمَنَّها عليهم نارا

واحد والتركى لا يبقى معه مع طول الغاية الا الصميم من دوابه والذى يقتله التركى باتعابه له ويبقيه عند غزاته هو الذى لا يصبر معه فرس الخارجى ولا يبقى معه كل برذون نجارى ولو سار خارجيا لا يستفرغ جهده قبل ان يبلغ الخارجى عفوه والتركى هو الراعى وهو السايس وهو الرائض وهو النخاس وهو البيطار وهو الفارس فالتركى الواحد أمة على حدة قال واذا سار التركى فى غير

يقال رقيتُ السطحَ وما كان مثله أرقاه مثل خشيتُه أخشاه كما قال الله تبارك وتعالى أو ترقى في السماء ويقال رقيتُ اللديغ أرقيه مثل رميته أرميه ويقال مارقأت عينه من الدمع مهموزٌ ترقأ يافتى مثل قرأت تقرأ يافتى وكان الحجاج رأى في منامه ان عينيه قلعتا فطلّق الهندين هندا بنت المهلّب وهندا بنت أسماء بن خارجة فلم يلبث أن جاء نعي أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد فقال هذا والله تأويل رؤياي ثم قال انا لله وانا اليه راجعون محمّدٌ ومحمّدٌ في يوم واحد

حسبي بقاء الله من كل ميّت ❊ وحسبي رجاء الله من كل هالك

اذا كان ربُّ العرش عنّي راضيا ❊ فانّ شفاء النفس فيما هنالك

(ويروى فان سرور النفس) وقال مَنْ يقول شعرا يسلّيني به فقال الفرزدق

ان الرزيّة لا رزيّة مثلها ❊ فقدانُ مثل محمد ومحمد

ملكان قد خلت المنابر منهما ❊ أخذ الحِمامُ عليهما بالمرصد

فقال لو زدتني فقال الفرزدق

انّي لباكٍ على ابنَي يوسف جزعا ❊ ومثلُ فقدهما للدين يبكيني

ماسدّ حيٌّ ولا ميْتٌ مسدّهما ❊ الا الخلائفَ من بعد النبيّين

فقال له ما صنعت شيأ انما زدت في حزني فقال الفرزدق

لئن جزع الحجّاج ما من مصيبة ❊ تكون لمحزون أجلَّ وأوجعا

من المصطفى والمصطفى من خيارهم ❊ جناحيه لما فارقاه فودّعا

أخٌ كان أغنى أيمن الارض كلّه ❊ وأغنى ابنُه أهل العراقين أجمعا

جناحا عقابٍ فارقاه كلاهما ❊ ولو نُزعا من غيره لتضعضعا

فقال الآن أما قوله الا الخلائفَ من بعد النبيّين فخفض هذا النون وهي نون الجمع وانما فعل ذلك لانه جعل الاعرابَ فيما قبلها وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو أفلُس ومساجدَ وكلاب فان اعرابه هذا كاعراب الواحد وانما جاز ذلك لان الجمع يكون على أبنية شتّى وانما يلحق منه بمنهاج التثنية ما كان على حدّ التثنية لا يُكسَّر الواحد عن بنائه والا فسلا فان الجمع كالواحد لاختلاف معانيه كما تختلف معاني الواحد والتثنيةُ ليست كذلك لانها ضربٌ واحد

عساكر الترك فسار القوم عشرة أميال سار التركي عشرين ميلا لانه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ويصعد في ذرى الجبال ويستبطن قعور الاودية في طلب الصيد وهو في ذلك يرمي كل ما دب ودرج وطار ووقع قال والتركي لم يسر في العسكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط قال واذا طالت الدلجة واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وشغل الناس الكلام وصمت المسايرون

ولا

ولا يكون اثنان أكثر من اثنين عدداً كما يكون الجمع أكثر من الجمع فمما جاء على هذا المذهب قولهم هذه سنينُ فاعلم وهذه عشرينُ فاعلم قال العدواني

انى أبيٌّ أبيٌّ ذو محافظة * وابنُ أبيّ أبيّ من أبيين

وأنتم معشرٌ زيدٌ على مائة * فأجمعوا كيدكم طُرّاً فكيدوني

وقال سُحيم بن وثيل

وماذا يدّري الشعراءُ منى * وقد جاوزتُ حدَّ الاربعين

أخو خمسين مجتمعٌ أشدّي * ونجّذني مداورةُ الشؤون

وفى كتاب الله عز وجل ولا طعامٌ الا من غسلين فان قال قائل فان غسليناً واحدٌ فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد فاعرابه كاعراب الجمع ألا ترى ان عشرين ليس لها واحد من لفظها واعرابها كاعراب مُسلمين واحدهم مُسلمٌ وكذلك جميع الاعراب وتقول هذه فلسطون يافتى ورأيت فلسطين يافتى هذا القول الاجود وكذلك يبرين وفى الرفع يبرون يافتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته تقول قنّسرون ورأيت قنّسرين والاجود فى هذا البيت (هو الاعشى)

وشاهدُنا الجُلّ والياسمو * ن والمُسمِعاتُ بقُصّابها

(الجُلّ الورد والقصاب الاوتار وقيل الزمّار) وفى القرآن ما يصدّق ذلك قول الله عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليّون فمن قال هذه قنّسرون ويبرون فنسب الى واحدة منهما رجلا أوشيأ قال هذا رجل قنّسريٌّ ويبريٌّ بحذف النون والواو ولمجيء حرف النسب ولو أثبتهما لكان فى الاسم رفعان ونصبان وجرّان لان الياء مرفوعة والواو علامة الرفع ومن قال هذه قنّسرينُ كما ترى قال فى النسب قنّسرينيٌّ لان الاعراب فى حرف النسب وانكسرت النون كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب وأما قوله ونجّذني مداورةُ الشؤون فمعناه فهّمني وعرّفني كما يقال حنّكته التجاربُ والناجذ آخرُ الاضراس من ذلك قولهم ضحك حتى بدت نواجذه والشؤون جمع شأن مهموزٌ وهو الامر وقال المفسرون من أهل الفقه وأهل اللغة فى قول الله تبارك وتعالى ولا طعامٌ الا من غسلين هو غُسالة أهل النار وقال النحويون هو فعلين من الغُسالة ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوما فقال الوليدُ بالشام والحجّاجُ بالعراق وقرّةُ بن شريك بمصر وعثمان بن حيّان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الارض والله جوراً وكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك

فلم ينطقوا وقطعهم ماهم فيه عن التشاغل بالحديث وتفسخ كل شئ من شدة البرد وبقى كل جليد قوى على طول السرى ان تطوى له الارض وكلما رأى خيالا أو علما استبشر به وظن انه قد بلغ المنزل واذا بلغه الفارس نزل وهو متفجع كانه صبى مجنون يئن أنين المريض ويستريح الى التثاؤب ويتداوى مما به بالتمطى والتجمع ترى التركى فى تلك الحال وقد سار ضعف ماسار وقد

بعد وفاة محمد بن يوسف أُخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنه أصيب لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار فان يكن أصابها من حلها فرحمه الله وان تكن من خيانة فلا رحمه الله فكتب اليه الوليد أما بعد فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلّف محمد بن يوسف وانما أصاب ذلك المال من تجارة أحللناها له فترحّم عليه رحمه الله وروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية في يوم بويع له على عهده فجعل الناس يمدحونه ويقرظونه يا أمير المؤمنين والله ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خديعته فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته وروى أن الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان وبلغني أن أمير المؤمنين عطس عطسة فشمته قوم فقال يغفر الله لنا ولكم فياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما وزعم الاصمعى قال خرج الوليد يوما على الناس وهو مشعانّ الرأس فقال مات الحجاج بن يوسف وقرة بن شريك وجعل ينتفخ عليهما قوله مشعانّ الرأس يعني منتفخ الشعر متفرقه (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سراج) ومثل هذا لا يكون في شعر لان في هذا التقاء ساكنين ولا يقع مثل هذا في وزن الشعر الا فيما تقدم ذكره في المتقارب وليس ذا على ذلك الوزن وحدثت أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وجّه عبد الله بن عبد الأعلى ومعه رجل من عنس الى أليون فقال العنسي تخلّانى عمر دونه وقال لى احفظ كل ما يكون منه فلما صرنا اليه صرنا الى رجل عربي اللسان انما نشأ بمرعش فذهب عبد الله ليتكلم فقلت على رسلك حمدت الله وصليت على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قلت انى وجّهت بالذى وجّه به هذا وان أمير المؤمنين يدعوك الى الاسلام فان تقبله تصب رشدك وانى لأحسب أن الكتاب قد سبق عليك بالشقاء الا أن يشاء الله غير ذلك فان قبلت والا فاكتب جواب كتابنا قال ثم تكلم عبد الله فحمد الله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب في القول وكان مفوّها فقال له أليون يا عبد الله ما تقول في المسيح فقال روح الله وكلمته فقال أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظر فقال أي نظر في هذا أما نعم واما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال ان هذا أُخرج من رحم قال في هذا نظر قال له أليون بالرومية انى أعلم أنك لست على دينى ولا على دين الذى أرسلك قال وأنا أفهم بالرومية ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم فقال وما ذاك اليوم أمن أعيادكم هو فقال لا قال فلم تعظمونه قال عبد لقوم كانوا صالحين قبل أن يصيرا اليكم قال فقال له

أتعب منكبيه كثرة النزع يرى لقرب المنزل عيرا أو ظبيا أو عرض له ثعلب أو أرنب كيف يركض ركض مبتدئ مستأنف حتى كأن الذى سار ذلك السير وتعب ذلك التعب غيره وان بلغ الناس واديا فازدحموا على مسلكه أو على قنطرة بطن برذونه فاقحمه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب وان انتهوا الى عقبة صعبة ترك السير وذهب في الجبل صعدا ثم تدلى من موضع

اليونُ بالرومية قد علمتُ أنك لستَ على دينى ولا على دين الذى أرسلك فقال له عبد الله أتدرى
ما يقول أهل السقَه قال وما يقولون قال يقولون قال ابليس أُمِرتُ أن لا أسجد الا لله ثم قيل لى
اسجُد لآدم قال فقال له بالرومية الامر فيك أبين من ذلك قال ثم كتبَ جواب كُتُبِنا قال فرجعنا
الى عمر بها قال فخبَّرناه بما أردنا ثم نهضنا فردَّنى اليه من باب الدار فخلا بى فأخبرته فقال لعنه الله لقد
كانت نفسى تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا قال فلما خرجتُ قال لى عبدُ الله ما الذى قال لكَ
قال قلتُ قال لى أتطمعُ فيه قلتُ لا ولما وجَّه عبدُ الملك الشعبىَّ الى صاحب الروم فكلَّمه قال له
صاحبُ الروم بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت قال قلت لا ولكنى رجلٌ من
العرب قال فكتب معى رُقعةً وقال لى اذا أديت جواب ما جئت له فأدِّ هذه الرقعةَ الى صاحبك قال
فلما رجعت الى عبد الملك فاعطيته جواب كتابه وخبَّرته بما دار بيننا نهضتُ ثم ذكرت الرقعةَ
فرجعت فدفعتها اليه فلما وَلَّيتُ دعانى فقال لى أتدرى ما فى هذه الرقعة قلتُ لا قال فيها العَجَبُ
لقوم فيهم مثلُ هذا كيف وَلَّوا أمورهم غيرَه قال فلما وَلَّيتُ دعانى فقال لى أفتدرى ما أراد بهذا
قلتُ لا قال حسدَنى عليك فاراد أن أقتلك قال فقلتُ انما كَثُرتُ عنده يا أمير المؤمنين لانه لم يرك
قال فرجع الكلام الى ملك الروم فقال لله أبوه ما عدا ما فى نفسى وحُدِّثتُ ان معاوية كان اذا
أتاه عن بِطريقٍ من بطارقة الروم كَيدٌ للاسلام احتال له فاهدى اليه وكاتبه حتى يُغرِىَ به ملكَ
الروم فكانت رُسُلُه تأتيه فتخبره بان هناك بطريقا يؤذى الرُسُلَ ويَطْعَنُ عليهم ويسىء عشرَتَهم
فقال معاوية أىُّ ما فى عمل الاسلام أحبُّ اليه فقيل له الخفافُ الحمر ودُهْنُ البان فألطَفَه بهما حتى
عَرَفَتْ رسله باعتياده ثم كتب كتابا اليه كأنه جوابُ كتابٍ منه يُعلِمُه فيه أنه وَثِقَ بما وعده به من
نصره وخذلان ملك الروم وأمر الرسولَ بان يتعرّضَ لأن يُظهَرَ على الكتاب فلما ذهبت رسله فى
أوقاتها ثم رجعت اليه قال ما حَدَثَ هناك قالوا فلانٌ البطريقُ رأيناه مقتولا مصلوبا فقال وانا
أبو عبد الرحمن وحُدِّثتُ أن ملك الروم فى ذلك الأوان وجَّهَ الى معاوية ان الملوك قبلك كانت
تراسل الملوك منا ويجهد بعضهم فى ان يُغرِبَ على بعض أفتأذن فى ذلك فأذِنَ له فوجَّه اليه برجلين
أحدهما طويل جسيمٌ والآخر أيِّدٌ فقال معاوية لعمرو أما الطويل فقد أصبنا كُفْأَه وهو قيس
ابن سعد بن عُبادةَ وأما الآخر الأيِّد فقد احتجنا الى رأيك فيه فقال ههنا رجلان كلاهما اليكَ

يعجز عنه الوعل وأنت
تحسبه مخاطرا بنفسه
الذى ترى من مطلعه
ولو كان فى كل ذلك مخاطرا
لما دامت له السلامة مع
تتابع ذلك منه قال
ويعجز الخارجى بانه اذا
طلب أدرك واذا طلب
فات والتركى ليس يحوج
الى ان يفوت لانه لا يطلب
ولا يرام ومن يروم مالا
يطمع فيه فهذا دليل على
انا قد علمنا ان العلة التى
عمت الخوارج بالنجدة
استواء حالاتهم فى أشد
الديانة واعتقادهم بان

بَغيضٌ محمدُ بن الحنفيّة وعبدُ الله بن الزُبَير فقال معاوية مَنْ هو أقربُ الينا على حال فلما دخل الرجلان وَجّه الى قيس بن سعد بن عُبادة يُعلمه فدخل قيسٌ فلما مَثَلَ بين يدى معاوية نزع سراويله فرمى بها الى العلج فلبسها فنالت ثُندُوتَه (الثندوة ما اسودّ حول الحلمة) فأطرق معاوية وخُدّثْتُ ان قيسا ليم فى ذلك فقيل له لم تبذّلتَ هذا التبذّل بحضرة معاوية هلّا وجّهتَ الى غيرها فقال

أردتُ لكيما يَعلَمَ الناسُ أنها • سراويلُ قيسٍ والوُفودُ شُهودُ

وان لا يقولوا غاب قيسٌ وهذه • سراويلُ عاديّ نَمَتْهُ ثمودُ

وانّى من القوم اليمانين سيّدٌ • وما الناسُ الا سيّدٌ ومَسودُ

وبذّ جميعَ الخلقِ أصلى ومَنصبى • وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديدُ

وكان قيس سِناطًا كانت الانصار تقول لَوَدِدْنا أنا اشترينا له لحيةً بأنصاف أموالنا وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبران شاء الله (السناطُ والسَّنوطُ أن يكون فى الذقن شئ من الشعر ولا يكون فى العارضَين شئ فان لم يكن فيهما جميعا شئ فهو الثَّطُّ) ثم وجّه الى محمد بن الحنفية فدخل فخُبِّر بما دُعِى له فقال قولوا له ان شاء فليجلس وليُعطِنى يده حتى أُقيمه أو يُقعدنى وان شاء فليكن القائمَ وانا القاعدَ فاختار الرومىّ الجلوسَ فأقامه محمدٌ وعجز هو عن اقعاده ثم اختار أن يكون محمدٌ هو القاعدَ فجذبه فأقعده وعجز الرومىّ عن اقامته فانصرفا مغلوبين وحدثنى أحد الهاشميين ان مَلِكَ الروم وَجّه الى معاوية بقارورة فقال ابعثْ الىّ فيها من كل شئ فبعثَ الى ابن عباس فقال لِتُملَأْ له ماءً فلما وُرِدَ بها على ملك الروم قال لله أبوه ما أدهاه فقيل لابن عباس كيف اخترت ذلك فقال لقول الله عز وجل وجعلنا من الماء كلَّ شئ حىّ وقيل لرجل من بنى هاشم وهو جعفر بن محمد بن على بن الحسين وكان يُقدَّم فى معرفته ما طَعْمُ الماء فقال طعمُ الحياة وأما عبد الله بن الزُبَير فيذكر أهلُه انه قال هاجَتْ لحيتى لتتّصلَ لى الى ان بلغتُ ستين سنةً فلما أكملتُها يئستُ منها وكان قيس بن سعد شجاعا جوادا سيدا وجاءته عجوز قد كانت تألفه فقال لها كيف حالك فقالت ما فى بيتى جُرَذٌ فقال ما أحسنَ ما سألتِ أمَا والله لأُكثِرَنّ جُرذانَ بيتكِ وكان سعدُ بن عُبادة حيث توجّه الى حَوران قَسَمَ ماله بين ولده وكان له حَمْلٌ لم يشعُر به فلما وُلِدَ له قال له عمر بن الخطاب يعنى قيسا لأَنقُضَنّ ما فعل سعدٌ فجاءه قيسٌ فقال يا أمير المؤمنين نصيبى لهذا المولود ولا تَنقُضْ ما فعل سعد قال أبو العباس حُدّثتُ

القتالُ دين لانا حين وجدنا السجستانى والجزرى واليمانى والمغربى والعمانى والازرقى منهم والنجدى والاباضى والصفوى والمولى والعربى والعجمى والاعرابى والعبيد والنساء والحائك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانة هى التى سوت بينهم فى ذلك كما ان كل حمام فى الارض من أى جنس كان ومن أهل أى بلد كان فهو يحب النبيذ وكان

بهذا الحديث من حيث أتى به ان أبابكر وعمر رحمهما الله مشيا الى قيس بن سعد بسالا نه فى أمر هذا المولود فقال نصيبي له ولا أغير ما فعل سعد وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والى مصر لعلى بن أبى طالب رحمه الله أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان غلب أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان غلب أبغضهما اليك قتلك ومثل بك وقد كان أبوك فوق سهمه ورمى غرضه فاكثر الحز وأخطأ المفصل حتى خذله قومه وأدركه يومه فمات غريبا بحوران والسلام فكتب اليه قيس أما بعد فانك وثن ابن وثن لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك دخلت فى الدين كرها وخرجت منه طوعا وقد كان أبى فوق سهمه ورمى غرضه فشغبت عليه أنت وأبوك ونظراؤك فلم تشقوا غباره ولم تدركوا شأوه ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه وأعداء الدين الذى خرجت اليه والسلام وكان قيس موصوفا مع جماعة قد بذوا الناس طولا وجمالا منهم العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولده وجرير بن عبد الله البجلى والأشعث بن قيس الكندى وعدى بن حاتم الطائى وابن جذل الطعان الكنانى وأبو زبيد الطائى وزيد الخيل بن مهلهل الطائى وكان أحد هؤلاء يقبل المرأة على الهودج وكان يقال للرجل منهم مقبل الظعن وكان طلحة بن عبيد الله موصوفا بالتمام

أصحاب الخلقان والسماكين والنخاسين والحاكة فى كل بلد ومن كل جنس شرار خلق الله فى المبايعة والمعاملة فعلمنا بذلك ان ذلك خلقة فى هذه الصناعات وبنية فى هذه التجارات حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك قال ورأيناه فى بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيره دون الحرمة ولا على حمية ولا على عداوة

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال السليك ابن السلكة وهى أمه وكانت سوداء حبشية وكان من غربان العرب وهو السليك بن عمير السعدى

ألا عتبت على فصارمتنى • وأعجبها ذوو اللمم الطوال

فانى يا ابنة الأقوام أربى • على فعل الوضى من الرجال

فلا تصلى بصعلوك نؤوم • اذا أمسى يعد من العيال

ولكن كل صعلوك ضروب • بنصل السيف هامات الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير همك)

أشاب الرأس أنى كل يوم • أرى لى خالة وسط الرحال

يشق على ان يلقين ضيما • ويعجز عن تخلصهن مالى

قوله وأعجبها ذوو اللمم الطوال يعنى الجمم وان شئت قلت الجمام يقال جمة وجمم كقولك ظلمة

وَظُلْمٌ ويقال جِمام كقولك جُفرة وجِفار (الجُفرة هي الحفرة العظيمة) وبُرمة وبِرام قال الشاعر

اما ترى لِمَّتى أودى الزمان بها • وشَيَّبَ الدهرُ أصداغى وأفوادى

وقوله على فعل الوَضِيّ من الرجال يريد الجميل وهو فعيل من وَضُؤ يَوْضُؤ يافتى تقديره كَرُم يَكْرُم وهو كريم ومصدره الوَضاءة وكذلك قَبُح يَقْبُح قَباحة وسَمُج يَسْمُج سَماجة ويقال ما كنت وَضِيئا ولقد وَضُؤت بعدنا وقوله فلا تَصلى بصعلوك يقول لا تتّصلى به كما قال ابن أحمر

ولا تَصلى بمطروق اذا ما • سَرى فى القوم أصبح مستكينا

اذا شرب المُرِضّة قال أوكى • على ما فى سقائك قد رَوِينا

(اذا صُبَّ لبن حَليب على حامض فهى المُرِضّة) والصعلوك الذى لا مال له قال الشاعر (جابر بن ثَعلبة الطائى) كان الفتى لم يَعْرَ يوما اذا اكتسى • ولم يكُ صُعلوكا اذا ما تَموّلا

وقوله نَؤُوم يصفه بالبلادة والكسل وكانت العرب تمدح بخفة الرؤس عن النوم وتذمّ النُّوَمة كما قال عبد الملك لمؤدّب ولده علّمهم العوم وخُذهم بقلة النوم وانما توجّع لها لانه لا نهن كنّ اماء ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمّ لنا قال كنت أجالس سعيد بن المسيّب فقال لى يوما مَنْ أخوالك فقلت أمّى فتاة فكأنى نَقَصتُ فى عينه فأمهلتُ حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله فلما خرج من عنده قلتُ يا عمّ مَنْ هذا فقال يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاةٌ قال ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رحمه الله فجلس عنده ثم نهض فقلتُ يا عم مَنْ هذا فقال أتجهل من أهلك مثلَه ما أعجب هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قلت فمن أمه قال فتاة فأمهلتُ شيأ حتى جاءه على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلتُ يا عم مَنْ هذا قال هذا الذى لا يَسَع مسلما ان يجهله هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب قلتُ فمن أمه قال فتاة قال فقلتُ يا عم رأيتنى نَقَصتُ فى عينك لما علمتَ انى لأم ولد أفمالى فى هؤلاء أسوة قال فجَلَلْتُ فى عينه جدا وكانت أم على بن الحسين سُلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب وكانت من خِيَرات النساء ويروى أنه قيل لعلى بن الحسين رحمه الله انك من أبرّ الناس ولستَ تأكل مع أمك فى صحفة فقال أكره أن تَسبق يدى الى ما قد سبقت اليه عينها فأكون قد عققتُها وكان يقال له ابن الخِيَرَتين (بتحريك الياء أفصح) لقول رسول الله صلى الله

ولا على وطن ولا على منع دار ولا مال وانما يقاتل على السلب والخيار فى يده وليس يخاف الوعيد ان هرب ولا يرجو الوعدان أبلى عذرا وكذلك هم فى بلادهم وما داموا هم وحرويهم وهو الطالب غير المطلوب ومن كان كذلك فانما يأخذ العفو من قوته ولا يحتاج الى مجهوده ثم مع ذلك لا يقوم له شئ ولا يطمع فيه أحد فاظننك بمن هذه صفته ولو اضطره اسراج أو غيره أو غضب أو تدين أو عرض

عليه وسلم لله من عباده خيرتان فخيرته من العرب قريش ومن العجم فارس وكانت سلافة عمة أم يزيد الناقص أو أختها وقال رجل من ولد الحكم بن أبي العاصي يقال له عبيد الله بن الحر وكان شاعرا متقدما وكان لأم ولد وهو من ولد مروان بن الحكم

فان تك أمي من نساء أفاءها • جياد القنا والمرهفات الصفائح
فتبا لفضل الحر ان لم أنل به • كرائم أولاد النساء الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عنترة

وانا امرؤ من خير عبس منصبا • شطري وأحمي سائري بالمنصل

(شطري مبتدأ والخبر في المجرور قبله) وأنشد لبلال بن جرير وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى أمه لانه ابن أم ولد فيقول قال ابن أم حكيم فقال بلال

يارب خال لي أغر أبلجا • من آل كسرى يغتدي متوجا • ليس كخال لك يدعى عشنجا

والعشنج المتقبض الوجه السيئ المنظر وكان سبب أم بلال عند جرير أن جريرا في أول دخوله العراق دخل على الحكم بن أيوب بن أبي عقيل الثقفي وهو ابن عم الحجاج وعامله على البصرة وفي ذلك يقول جرير أقبلن من ثهلان أو وادي خيم • على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم • حتى أنخناها الى باب الحكم
خليفة الحجاج غير المتهم • في ضنضئ المجد وبحبوح الكرم

فكتب الحكم بعد أن فاطنه الى الحجاج وذلك في أول سببه انه قدم على أعرابي باقعة لم أر مثله (يريد داهية والباقعة طائر حذر) فكتب اليه الحجاج ان يحمله معه فلما دخل عليه قال له بلغني انك ذو بديهة فقل في هذه الجارية لجارية قائمة على رأسه فقال جرير ما لي ان أقول فيها حتى أتأملها ومالي ان أتأمل جارية الامير فقال بلى فتأملها واسئلها فقال لها ما اسمك يا جارية فامسكت فقال لها الحجاج خبريه يا خناء فقالت أمامة فقال جرير

ودع أمامة حان منك رحيل • ان الوداع لمن تحب قليل
مثل الكثيب تمايلت أعطافه • فالريح تجبر متنه وتهيل
هذي القلوب صوادياً تيمتها • وأرى الشفاء وما اليه سبيل

له بعض ما يصحب المقاتل الحامي من العلل والاسباب قال وقناة الخارجي طويلة صماء وقناة التركي مطرد أجوف والقنا الجوف القصار أشد طعنة وأخف محملا والعجم تجعل القنا الطوال للرجالة وهي قنا الابناء على أبواب الخنادق والمضائق والأبناء في هذا الباب لايجرون مع الاتراك والخراسانية لان الغالب على الأبناء المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضائق وهؤلاء أصحاب

فقال له الحجاج قد جعل الله لك السبيل اليها خذها هي لك فضرب بيده الى يدها فمنعت عليه فقال

ان كان طبكم الدلال فانه • حسن دلالك يا أمام جميل

(ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالة) فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه الى اليمامة وخبرت انها كانت من أهل الري وكان اخوتها أسوارا فاتبعوه فأعطوه بها حتى بلغوا عشرين ألفا فلم يفعل وفي ذلك يقول

اذا عرضوا عشرين ألفا تعرضت • لأم حكيم حاجة هي ماهيا

لقد زدت أهل الري عندي مودة • وحببت أضعافا الى المواليا

فأولدها حكيما وبلالا وحزرة بني جرير وهؤلاء ممن أذكر من ولدها ويقال ان الحماني قاول بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر فقال يا ابن أم حكيم فقال له بلال ماتذكر من ابنة دهقان وأخيذة رماح وعطية ملك ليست كامة التي بالمروت تغدو على أتن أنها كانما عقباها حافرا حمار فقال له الحماني أنا أعلم بامك انما عتب عليها الحجاج في أمر الله أعلم به فحلف ان يدفعها الى ألأم العرب فلما رأى أباك لم يتشكك فيه قال وأنشدني رجل من رجاز بني سعد

أنا ابن سعد وتوسطت العجم • فأنا فيما شئت من خال وعم

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قوم أكيس من أولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم وكتب أمير المؤمنين المنصور الى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد واعلم اني لست من أولاد الطلقاء ولا أولاد اللعناء ولا أعرقت في الاماء ولا حضنتني أمهات الاولاد ولقد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدي الحسن والحسين يعني ان أم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم فكتب اليه المنصور اما ما ذكرت من ولادة هاشم عليا مرتين وولادة عبد المطلب الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولا عبد المطلب الا مرة واحدة وله السبق الى كل خير ولقد علمت انه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخيل والفرسان وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية لهم الفر والكر والفارس هو الذي يطوي الجيش طي السجل ويفرقهم فرق الشعر وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا الساقة الا الكبار منهم وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام

(فصل منها) والشح على الوطن والحنين اليه والصبابة به مذكور في القرآن مخطوط في المصحف

وعمومته أربعة فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك وأما ماذكرت انه لم تعرق فيك الاماء فقد فخرت على بني هاشم طرًّا أولهم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم على ابن الحسين الذي لم يولد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولود مثله وهذه رسالة للمنصور طريفة مستحسنة جدًّا سنمليها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأنشدني الرياشي

انّ أولادا السراري • كثروا يارب فينا
رب ادخلني بلادا • لا أرى فيها هجينا

والهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمه وضيعة والاصل في ذلك ان تكون أمة واغا قيل هجين من أجل البياض وكانهم قصدوا قصد الروم والصقالبة ومن أشبههم والدليل على أن الهجين الابيض ان العرب تقول ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر أي العربي والعجمي ويسمون الموالي وسائر العجم الحمراء وقد ذكرنا ذلك ولذلك قال زيد الخيل

(وأسلم عرسه لما رآنا) • وأيقن أننا صهب السبال

أي كهؤلاء العدو من العجم وقال ابن الرقيات

ان ترني تغير اللون مني • وعلا الشيب مفرقي وقذالي
فظلال السيوف شيبن رأسي • وطعاني في الحرب صهب السبال

فقيل هجين من ههنا واذا كانت الام كريمة والاب خسيسا قيل له المذرع قال الفرزدق

اذا باهلي تحته حنظلية • له ولد منها فذاك المذرع

وقال الآخر

ان المذرع لا تغني خؤولته • كالبغل يعجز عن شوط المحاضير

(جمع محضير وهو الفرس السريع) واغا سمي مذرعا للرقمتين في ذراع البغل واغا صارتا فيه من ناحية الحمار وقال هدبة

ورثت رقاش اللؤم عن آبائها • كتوارث الحمرات رقم الاذرع

وقال عبد الله بن العباس في كلام يجيب به ابن الزبير والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عوام بن عوام يطمع في صفية بنت عبد المطلب من أبوك يا بغل فقال خالي الفرس

(باب)

قال أبو العباس قال اعرابي

كل امرئ ذي لحية عثولية • يقوم عليها ظن ان له فضلا

بين جميع الناس فسيرأن التركي للعلل التي ذكرنا أشد حنينا وأكثر نزوعا وباب آخر مما كان يدعوهم الى الرجوع قبل ثني العزم والعادة المنقوضة وذلك ان الترك قوم يشتد عليهم الحضر وطول اللبث والمكث وقلة التصرف والتحرف وأصل بنيتهم انما وضع على الحركة وليس للسكون فيهم نصيب وفي قوى أرواحهم فضل على قوى أبدانهم لانهم أصحاب توقد وحرارة

وما الفضلُ فى طول السبالِ وعرضِها ✱ اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا

و يروى لحاملها عثولية يقول كثيرة والمستعمل يقال رجل عثولٌ اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك فى الرأس واللحية و بناء الاعرابى بناء جدول كانه عثولٌ ثم نسب اليه والسبلة مقدم اللحية يقال لما أسبل من الشارب بين سبلتان وتقول العرب أخذ فلان شفرة فلثم بها سبلة بعيره أى نحره واللثم الشق فهذا ما أسبل من جوانبه وقال بعض المحدثين

وما حسنُ الرجالِ لهم بحسنٍ ✱ اذا ما أخطأ الحسنَ البيانُ

كفى بالمرء عيبا أن تراه ✱ له وجـهٌ وليس له لسانُ

وقال آخر انى على ما تزدرى من دمامتى ✱ اذا قيس ذرعى بالرجال طويلُ

ونظر يزيد بن مزيد الشيبانى الى رجل ذى لحية عظيمة وقد تلففت على صدره فاذا هو خاضبٌ فقال انك من لحيتك فى مؤنة فقال أجل ولذلك أقول

لها درهم للدهن فى كل جمعة ✱ وآخر للحناء يبتـدران

ولولا نوالٌ من يزيد بن مزيد ✱ لصوّت فى حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية

ما سرّنى أننى فى طول داود ✱ وأننى عـالمٌ فى البأس والجود

ماشيتُ داود فاستضحكتُ من عجبٍ ✱ كاننى والدُ يمشى بمولود

ما طولُ داود الا طولُ لحيته ✱ يظلُّ داود فيها غير موجود

تكنّه خصلةٌ منها اذا نفحت ✱ ريحُ الشتاء وجفَّ الماءُ فى العود

كالأقحوانى مضعوفا عوارضها ✱ سوداء فى لين خد الغادة الرود

أجزى وأغنى من الخز الصفيق ومن ✱ بيض القطائف يوم القر والسود

ان هبت الريح أدته الى عدن ✱ ان كان مالف منها غير معقود

(القُرُّ بالقاف يريد البَرْدَ و يروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غرّا لبياضها) وفى الحديث من سعادة المرء خفّةُ عارضيه وليس هذا بناقض لما جاء فى اعفاء اللحى واحفاء الشوارب فقد روى أنهم قالوا لا بأس بأخذ العارضين والتبطين وأما الاعفاء فهو التكثير وهو من الاضداد قال الله

واشتعال وفطنة كثيرة خواطرهم سريع لحظهم وكانوا يرون الكفاية معجزة وطول المقام بلادة والراحة غفلة والقناعة من قصر الهمة وان ترك الغزو يورث الذلة وقد قالت العرب فى مثل ذلك قال عبـد الله بن وهب الراسبى حب الهوينا يكسب النصب والعرب تقول من غـلا دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء وقال اكثم بن صيفى ما أحب انى مكفى كل أمر الدنيا قيل ولم قال

عز وجل حتى عَفَوا أى حتى كثُروا ويقال عفا وَبَرُ الناقة اذا كثر قال الشاعر

ولكنا نُعِضُّ السيفَ منها • بأسْوُقِ عافياتِ اللحمِ كُومِ

والكُومُ العظامُ الأسنمة واحدتها كَوماءُ ويقال عفا الربعُ اذا درس ومن ذلك

• على آثارِ مَنْ ذَهَبَ العَفاءُ • أى الدروسُ وقال مَسْلَمةُ بن عبد الملك انى لأعجبُ من ثلاثة

من رجل قصّر شعره ثم عاد فأطاله أو شمّر ثوبه ثم عاد فأسبله أو تمتّع بالسَّرارِيّ ثم عاد الى المَهيرات

واحدة المهيرات مَهيرةٌ وهى الحُرّةُ الممهورة ومفعولٌ يخرجُ الى فَعيلٍ كمقتول وقتيل ومجروح

وجريح قال الأعشى ومنكوحة غير ممهورة • وأخرى يقالُ لها فادها

(فادها من فَدَيْتُ الأسير وهو يصفُ سَبْياً أخذ فيه إماءً وحرائر) فهذا المعروف فى كلام العرب

مَهَرْتُ المرأةَ فهى ممهورةٌ ويقال وليس بالكثير أمهرتُها فهى مُمْهَرةٌ أنشدنى المازنى

أُخِذْنَ اغتصاباً خِطْبةً عَجْرَفِيّةً • وأُمْهِرْنَ أرماحاً من الخطّ ذُبَّلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) وأهل الحجاز يَرَوْنَ النكاحَ العَقْدَ دون الفعل ولا ينكرونه

فى الفعل ويحتجون بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من

قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا الأشيعُ فى كلام العرب قال الأعشى

وأمنعتُ نفسى من الغانيا • ت إمّا نِكاحاً وإمّا أُزَنْ

ومن كل بيضاءَ رُعْبُوبةٍ • لها بَشَرٌ ناصعٌ كاللَّبَنْ

(قوله أُزَنْ أراد أُزَنّى ثم حذف الياء وخفف النون فقال أُزَنْ) ويكون النكاحُ الجماع وهو فى الأصل

كناية قال الراجز اذا زنيتَ فأجِدْ نكاحا • وأعمل الغُدُوّ والرَّواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيراً والأصل ما ذكرنا لك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من

نكاحٍ لا من سفاح ومن خُطَبِ المسلمين ان الله عز وجل أحلّ النكاحَ وحرّم السفاحَ والكناية

تقع عن الجماع قال الله عز وجل أُحلّ لكم ليلةَ الصيام الرفثُ الى نسائكم فهذه كناية عن الجماع

قال أكثر الفقهاء فى قوله تبارك وتعالى أو لامستم النساءَ قالوا كناية عن الجماع وليس الأمر

عندنا كذلك وما أصِفُ مذهبُ أهل المدينة قد فُرِغَ من النكاح تصريحاً وانما الملامسة أن

يلمسها الرجل بيدٍ أو بإدناءِ جسدٍ من جسدٍ فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة لانه قال

أعاف عادة العجز فهذه كانت علل الترك فى حب الرجوع والحنين الى الوطن ومن أعظم ما كان يدعوهم الى الشرود ويبعثهم على الرجوع ويكره عندهم المقام ما كانوا فيه من جهل قوادهم بأقدارهم وقلة معرفتهم بأخطارهم واغفالهم موضع الرد عليهم والانتفاع بهم ولانهم حين جعلوهم أسوة أجنادهم لم يقنعوا أن يكونوا فى الحاشية والحشوة وفى غمارة

تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب أو لامستم النساء وقوله عز وجل كانا يأكلان الطعام كناية بإجماع عن قضاء الحاجة لان كل من أكل الطعام فى الدنيا أنجى يقال نجا وأنجى اذا قام لحاجة الانسان وكذلك وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا كناية عن الفروج ومثله أو جاء أحد منكم من الغائط فانما الغائط كالوادى وقال عمرو بن معدى كرب

وكم من غائط من دون سلمى • قليل الانس ليس به كتيع

يقال وهم الرجل توهم اذا شك وهو الاجود ويجوز يوهم ويهم وياهم لعلل وكذلك ما كان مثله نحو وجل يوجل ووحل يوحل ووجع يوجع ويجوز فى وهم أن تقول يهم فان المعتل من هذا يجىء على مثال حسب يحسب مثل ولى الامير يلى وورم الجرح يرم فهذا جميع ما فى هذا الباب وقال رجل أحسبه من بنى تميم

لا تسألن الخيل يا سعد مالها • وكن أخريات الخيل عنك تجرح
لعلك تحمى عن صحاب بطعنة • لها عاند تنفى الحصا حين ينفح
وأكرم كريما ان أتاك لحاجة • لعاقبة ان العضاه تروح
(بذا فامدحينى واندبينى فاننى • فتى تعتريه هزة حين يمدح

اذا أدبر القيظ وبرد الليل تحرك الشجر ورق رطب فيقال أخلف الشجر وتروح) قوله لا تسألن الخيل يا سعد مالها يقول لا تتخلف عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ولكن كن فيهم كما قال مهلهل

ليس مثلى يخبر القوم عن آ • بائهم قتلوا وينسى القتالا
لم أرم حومة الكتيبة حتى • حذى الورد من دماء نعالا

يقول كنت فى حومة القتال وصليت الحرب أكثر مما صليها غيرى ويروى عن رجل من بنى أسد بن عبد العزى يقال له فلان (ش هو عبد الله) بن السائب انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان فلما نصت عليه طلقها على المنصة فجاء أبوها الى عبد الله بن الزبير فقال ان عمرو بن عثمان طلق ابنتى على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لعاهة وأنت عمها فقم فادخل اليها فقال عبد الله أو خيرا من ذلك جيئونى بالمصعب فخطب عبد الله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها فى ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين فى ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة

العامة ومن عرض العساكر وأنفوا لأنفسهم وذكروا ما يجب لهم ورأوا ان الضيم لا يليق بهم وان الخمول لا يجوز عليهم وانهم فى المقام على من لم يعرف حقهم ألوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا ملكا حكيما وبأقدار الناس عليما لا يميل الى سوء عادة ولا يجنح الى هوى ولا يتعصب لبلد على بلد يدور مع التدبير ما دار ويقيم مع الحزم حيث ما أقام أقاموا اقامة من منع الحظ ودار

فلما كان يوم مسكن وهرب أكثر الناس عن المصعب دخل الى سكينة ابنة الحسين بن على بن أبي طالب وكانت له شديدة المحبة وكانت تخفى ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع فصاحت من ورائه واحرباه فالتفت اليها فقال أوهذا الى في قلبك فقالت اى والله وأكثر من هذا فقال أما لو علمت لكان لى ولك شأن ثم خرج فقال لابنه عيسى يا بنى انج الى نجائك فان القوم لا حاجة بهم الى غيرى وستفلت بحيلة أو بقيا فقال يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبدا فقال أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم فى أسرارك وأنت تقلب فى مهدك (ش الاسرار جمع سر وهى الطرائق فى الجبهة) فقتل بين يدى أبيه ففى ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية

نحن قتلنا مصعبا وعيسى • وابن الزبير البطل الرئيسا • عمدا أذقنا مضر التبئيسا

وقال رجل يعاتب رجلا

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة • رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبد الله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا أن يكون مدحه ميتا)

مدّ الزبير عليك اذ يبنى العلا • كنفيه حتى نالتا العيوقا

(ويروى كفيه وهو أظهر لقوله حتى نالتا)

ولو ان عبد الله فاخر من ترى • فات البرية عزة وسموقا

قرم اذا ما كان يوم نفورة • جمع الزبير عليك والصديقا

لو شئت ما فاتوك اذ جاريتهم • ولكنت بالسبق المبر حقيقا

لكن أتيت مصليا بترابهم • ولقد ترى وترى لديك طريقا

عاد الحديث الى تفسير الابيات المتقدمة قوله لعلك تحمى عن صحاب بطعنة يقال حميت الناحية أحميها حميا وحماية كما قال الفرزدق

واذا النفوس جشأن طامن جأشها • ثقة لها بحماية الادبار

ومعنى ذلك منعت ودفعت ويقال أحميت الارض اى جعلتها حمى لا تقرب وأحميت الحديد أحميه احماء وحميت أنفى حمية يا فتى اذا أنفت أبيت الضيم وصحاب جمع صاحب وقد يقال هو جمع صحب

بالحق ونبذ العادة وآثر الحقيقة ووصل نفسه بقطيعة وطنه وآثر الامامة على ملك الجبرية واختار الصواب على الالف ثم اعلم بعد ذلك كله ان كل أمة وقرن وجيل وبنى أب وجدتهم قد برعوا فى الصناعات وفضلوا الناس فى البيان وفاقوهم فى الآداب أوفى تأسيس الملك أوفى النصر بالحرب فانك لا تجدهم فى الغاية وفى أقصى النهاية الا ان يكون الله تعالى قد سخرهم لذلك

كما تقول تاجر وتجرٌ وراكب وركبٌ ونحو ذلك ثم يجمع صحباً على صحاب كقولك كلبٌ وكلابٌ وفرخٌ وفراخٌ فهذا مذهب حسنٌ ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقيام وتاجر وتجارٌ وقوله لها عاند ينفي الحصا يعني الدم يقال عند العرق اذا خرج الدم منه بحدّة وينفي الحصا يعني الدم بشدة جريه كما قال

مُنفسحة تنفي الحصا عن طريقها • (يُقطّعُ أحشاء الرعيب انتشارُها)

يعني طعنة وقال آخر في صفة طعنة

ومُشتنّة كاستنان الخرو • فِ قد قطع الحبل بالمرود

والخروف ههنا المهر والقلوُّ الصغير وقوله

وأكرم كريماً ان أتاك لحاجة • لعاقبة ان العضاه تروّحُ

يقول الشجر يصيبه الندى في آخر الصيف فينشأ له ورق فيقول لعلك تحتاج الى هذا الكريم وقد قدر ومثله ولا تُهين الكريم علّك ان • تركع يوماً والدهرُ قد رفعه

أراد ولا تهينن بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين وهذا الحكم فيها ومثله في المعنى قول عبّاد بن عبّاد بن حبيب بن المهلّب

اذا خلّة نابت صديقك فاغتنم • مرمّتها فالدهر بالناس قُلّب

وبادر بمعروف اذا كنت قادراً • زوال اقتدار أو غنى عنك يعقب

(زوال مفعول لبادر قاله ش) ومثل هذا كثير وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله اني لاسارع الى حاجة عدوي خوفاً من أن أردّه فيستغني عني وقال رجل من العرب ما رددت رجلا عن حاجة فولّى عني الا رأيت الغنى في قفاه وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ما رأيت أحدا أسعفته في حاجة الا أضاء ما بيني وبينه ولا رأيت رجلا رددته عن حاجة الا أظلم ما بيني وبينه وقال عمر بن الخطاب رحمه الله من يئس من شئ استغنى عنه وقال عبد الله بن همّام السلولي

فاخلف وأتلف انما المال عارةٌ • فكله مع الدهر الذي هو آكله

فاهون مفقود وأيسر هالك • على الحي من لا يبلغ الحي نائله

عارة أي معار ووزنه فعلة وقال أحد المحدثين (هو محمود الوراق) وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه

في

المعنى بالاسباب وقصرهم عليه بالعلل التي تقابل تلك الأمور وتصلح لتلك المعاني لان من كان منقسم الهوى مشترك الرأي متشعب النفس غير موفر على ذلك الشئ ولا مهيأ له لم يحذق من تلك الاشياء شيأ بأسره ولم يبلغ فيه غايته كاهل الصين في الصناعات واليونانيين في الحكم والآداب والعرب فيما نحن ذاكروه في موضعه والساسان في الملك والاتراك في الحروب ألا ترى ان اليونانيين

في الاعارة أعارك ماله لتقوم فيه • بطاعته وتعرف فضل حقه
فلم تشكره نعمته ولكن • قويت على معاصيه برزقه
تجاهره به عودا وبدأ • وتستخفي بها من شر خلقه

وقال جرير وانى لأستحيي أخي ان أرى له • على من الحق الذى لا يرى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه وانما تأويله انى لاستحيي أخي أن يكون له علىّ فضل ولا يكون لى عليه فضل ومنى اليه مكافأة فاستحيي أن أرى له علىّ حقا لما فعل الىّ ولا أفعل اليه ما يكون لى به عليه حق وهذا من مذاهب الكرام ومما تأخذ به أنفسها فاما قول عائذ الكلاب الزبيرى (اسمه عبد الله بن مصعب الزبيرى وسمى عائذ الكلاب بقوله

مالى مرضت فلم يعدنى عائد • منكم ويمرض كلبكم فأعود
وأشد من مرضى علىّ صدودكم • وصدود كلبكم علىّ شديد)

لعبد الله بن حسن بن حسن

له حق وليس عليه حق • ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا • عليه لغيره وهو الرسول

فانه ذكره بقلة الانصاف فقال يرى له حقا على الناس ولا يرى لهم عليه حقا من أجل نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك بقوله

وقد كان الرسول يرى حقوقا • عليه لغيره وهو الرسول

فالذى يفتخر به عبد الله يرى الناس عليه حقا فالمفتخر به أجدر وقد قيل لعلى بن الحسين وكان بين الفضل رحمه الله ما بالك اذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة فقال أكره ان آخذ برسول الله صلى الله عليه وسلم مالا أعطى مثله وانما يعترى هذا الباب من الظلم وقلة الانصاف والبعد من الرقة عليهم الجهلة من أهل هذا النسب والله جل ذكره يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال تعالى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم فاذا كان هو صلى الله عليه وسلم يخاف من المعصية فكيف يأمنها غيره به وأما قول جرير لهشام بن عبد الملك فهو المدح الصحيح على خلاف هذا المعنى قال

الذين نظروا فى العلل لم يكونوا تجارا ولا صناعا بأكفهم ولا أصحاب زرع وفلاحة وبناء وغرس ولا أصحاب جمع ومنع وكد وكانت الملوك تفرغهم وتجرى عليهم كفاياتهم فنظروا حين نظروا بأنفس مجتمعة وقوة وافرة وأذهان فارغة حتى استخرجوا الآلات والأدوات والملاهى التى تكون جماما للنفس وراحة بعد الكد وسرورا يداوى قرح الهموم فصنعوا من المرافق

وأنتَ اذا نظرتَ الى هشامٍ • عرفتَ نجارَ مُنتَخَبٍ كريمِ

ولىُّ الحقِّ حين يؤمّ حَجًّا • صُفوفًا بين زمزمَ والحطيمِ

يرى للمسلمين عليه حقًّا • كفعل الوالدِ الرؤُفِ الرحيمِ

اذا بعضُ السنين تعرّقتنا • كفَى الأيتامَ فقدَ أبى اليتيمِ

وفى هذا الشعر

أميرُ المؤمنين على صراطٍ • اذا اعوجَّ المواردُ مستقيمِ

أميرَ المؤمنين جمعتَ دينًا • وحلمًا فاضلًا لذوى الحلومِ

لكَ المتخيَّران أبًا وخالًا • فأكرِمْ بالخؤولة والعمومِ

فيا ابنَ المطعمين اذا شتونا • ويا ابنَ الذائدين عن الحريمِ

سما بكَ خالدٌ وبنو هشامٍ • الى العلياء فى الحسبِ الجسيمِ

(وهم أبو العباس فى قوله وبنو هشام وانما وقع فى شعره وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قبل أمه)

وتنزل من أميةَ حيث تلقى • شئونُ الرأسِ مجتمعَ الصميمِ

تواصتْ من تكرُّمها قريشٌ • بردّ الخيلِ داميةَ الكلومِ

فما الأمُّ التى ولدتْ قريشًا • بمقرفةِ النجارِ ولا عقيمِ

وما فحلٌ بأنجبَ من أبيكم • ولا خالٌ بأكرمَ من تميمِ

سما أولادُ برّةَ بنتِ مرٍّ • الى العلياء فى الحسبِ العظيمِ

لكَ الغرُّ السوابقُ من قريشٍ • فقد عُرِفَ الأغرُّ من البهيمِ

قوله حين يؤم حجا فيكون الحج جمع حاج كما يقال تاجر وتَجْر وراكب ورَكْب قال العجاج

بواسطٍ أكرمَ دارٍ دارا • والله سمّى نصرَكَ الأنصارا

فاخرجه على ناصر ونَصْر قال ويجوز أن يكون حجّ أصحاب حج كما قال الله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم يقال رؤُفٌ على فعُل مثل يقُظ وحذِر ورؤوفٌ على وزن ضروب وقال الانصارى (هو كعب بن مالك)

نُطيعُ نبيَّنا ونُطيعُ ربًّا • هو الرحمنُ كان بنا رؤُوفا

وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكرنيا والكبيران والبوكار وكأصناف المزامير والمعازف والطب والحساب والهندسة واللحون وآلات الحرب وكالمجانيق والقرادات والرتيلات والدبابات وآلة النفاطين وغير ذلك مما يطول ذكره وكانوا أصحاب حكمة ولم يكونوا فعلة يصورون الآلة ويخرطون الاداة ويصوغون المثل ولا

وقد قرئ ان الله رؤف بالعباد ورؤوف أكثر وانما هو من الرأفة وهي أشد الرحمة ويقال رآفة وقرئ ولا تأخذكم بهما رآفة في دين الله على وزن الصرامة والسفاهة وقوله اذا بعض السنين تعرقتنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى ان بعض السنين سنون كما قال الاعشى

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر القناة قناة ومن كلام العرب ذهبت بعض أصابعه لان بعض الاصابع اصبع فهذا قول والاجود ان يكون الخبر في المعنى عن المضاف اليه فأقحم المضاف اليه توكيدا لانه غير خارج من المعنى وفي كتاب الله عز وجل فظلت أعناقهم لها خاضعين انما المعنى فظلوا لها خاضعين والخضوع بين في الاعناق فأخبر عنهم فأقحم الاعناق توكيدا وكان أبو زيد الانصاري يقول أعناقهم جماعاتهم تقول أتاني عنق من الناس والاول قول عامة النحويين وقال جرير

لما أتى خبر الزبير تواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وقال أيضا رأت مر السنين أخذن مني * كما أخذ السرار من الهلال

وقال ذو الرمة مشين كما اهتزت رماح تسفهت * أعاليها مر الرياح النواسم

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مرضى الرياح النواسم والمرضى التي تهب بلين) ومثل هذا كثير وعلى مثل هذا القول الثاني تقول يا تيم تيم عدي لانك أردت يا تيم عدي وأقحمت الاول توكيدا (كذا وقع وأقحمت الاول توكيدا وانما الصحيح وأقحمت الثاني توكيدا) وكذلك لا أبا لك لان الالف لا تثبت في الاب في النصب الا في الاضافة أو بدلا من التنوين فانما أراد لا أباك ثم أقحم اللام توكيدا للاضافة وأنشد المازني

وقد مات شماخ ومات مزرد * وأي كريم لا أباك يخلد

وقال آخر أبالموت الذي لا بد أني * ملاق لا أباك تخوفيني

وقوله على صراط فالصراط المنهاج الواضح وكذلك قالت العلماء في قول الله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله سما بن خالد يريد خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب لان أم هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان هشام بن المغيرة أجل قرشي حلما وجودا وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرخ

يحسنون العمل به ويشيرون اليها ولا يمسونها يرغبون في التعليم ويرغبون عن العمل فاما سكان الصين فانهم أصحاب السبك والصياغة والافراغ والاذابة والاصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنجر والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف في كل شيء يتولونه ويعانونه وان اختلف جوهره وتباينت صنعته وتفاوت ثمنه فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل

بعام الفيل وعُلِّق فلان قال الشاعر • زمانَ تَنَاعَى الناسُ موتَ هشام • ومن أجله يقول القائل

فَأَصبح بطنُ مكةَ مُقشَعِرًّا • كأنَّ الارضَ ليس بها هشامُ

يقول هو وان كان مات فهو مدفون فى الارض فقد كان يجب من أجله ان لا ينالها جَدْبٌ وقال الآخر

ذَرِيني أَصطَبِحْ يا سَلمَ انّى • رأيتُ الموتَ نَقَّبَ عن هشام

قوله نَقَّبَ أى طَوَّفَ حتى أصاب هشاما قال الله عز وجل فَنَقَّبُوا فى البلاد أى طَوَّفُوا ومثله قول امرئ القيس

وقد نَقَّبتُ فى الآفاق حتى • رَضِيتُ من الغنيمة بالاياب

فأما التاريخ الذى يُؤَرَّخُ به اليومَ فاوّل من فعله فى الاسلام عُمر بن الخَطَّاب رحمه الله حين دَوَّنَ الدَّواوينَ فقيل له لو أرخت يا أمير المؤمنين لكنت تَعْرِفُ الامور فى أوقاتها فقال وما التاريخ فَأُعْلِمَ ما كانت العجم تفعله فقال أَرِّخُوا فقالوا مُذ أَىِّ سنة فاجمعوا على سنة الهجرة لانه الوقتُ الذى حَكَمَ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على غير تَقِيَّة ثم قالوا فى أى شهر فقالوا نستقبل بالناس أمورهم فى شهر المحرم اذا انقضى حَجُّهُم وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الآخر (الذى اتُّفِقَ عليه أن هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول وفيه مات صلى الله عليه وسلم) فَقَدَّمَ التاريخَ على الهجرة هذه الاشهر وجاء فى تصحيح هذا الوقت أعنى المحرم ما رُوِىَ لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال فى قول الله عز وجل والفَجْرِ ولَيالٍ عَشْرٍ قال فَأَقسم بفجر السَّنة وهو المحرمُ وقوله فالام التى وَلَدَتْ قريشا يعنى بَرَّةَ بنت مُرٍّ كانت أمَّ النَّضر بن كنانة وهو أبو قُرَيْش ومن لم يكن من وَلَده فليس بقرشى وتَمِيمُ بن مُرٍّ خالُهُ وكان يقال مَن عَرَفَ حقَّ أخيه دام له اخاؤُهُ ومَن تكبر على الناس ورجا ان يكون له صديقٌ فقد غَرَّ نفسه وقيل ليس لِلَّجُوجِ تَدبيرٌ ولا لسيِّئِ الخُلُقِ عَيشٌ ولا لمتكبرٍ صديقٌ وقيل مَن بَسَطَ بالخير لسانه انبسطت فى القلوب محبتُهُ والمِنَّةُ تُفسِدُ الصَّنيعة وروى ان شاعرا أتى أبا البَخْتَرِىّ (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وَهْبَ بن وَهْب وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مَدحَ المادح ضحك وسَرى السرورُ فى جوانحه وأعطى وزاد فاتاه هذا الشاعر فانشده

لِكُلِّ أخى فَضلٍ نَصيبٌ من العُلا • ورأسُ العُلا طُرًّا عقيدُ النَّدى وَهْبُ

وما ضَرَّ وهبًا قولُ مَن غَمَطَ العُلا • كما لا يَضُرُّ البَدرَ يَنبَحُهُ الكَلْبُ

وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لان أوائلنا حكماء. وهؤلاء فعلة وكذلك العرب لم يكونوا تجارا ولا صناعا ولا اطباء ولا حسابا ولا أصحاب فلاحة فيكونوا مهنة ولا أصحاب زرع لخوفهم صغار الجزية ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما فى أيديهم وطلب لما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط

(غمط كفر النعمة وغمط و يقال أيضا انتقص) فثنى له الوسادة وهش اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أن أراد الرجل الرحلة لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقد له ولا حل معه فانكر ذلك مع جميل ما فعل به وأنه قد تجاوز به أمله فعاتب بعضهم فقال له الغلام انا انما نعين النازل على الاقامة ولا نعين الراحل على الفراق فبلغ هذا الكلام جليلا من القرشيين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد على هذا القصد أحسن من رفد سيدهم

﴿ باب ﴾

قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه وكان يجتنب غير الأدباء أى المناديل أفضل فقال قائل منهم مناديل مصر كأنها غرقئ البيض (الغرقئ يهمز ولا يهمز وكذلك فعله) وقال آخر مناديل اليمن كأنها أنوار الربيع فقال عبد الملك ما صنعتما شيأ أفضل المناديل ما قال أخو تميم يعنى عبدة بن الطبيب (عبدة باسكان الباء)

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية ٭ وفار للقوم باللحم المراجيل
وردوأشقر ما يؤنيه طابخه ٭ ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جرد مسومة ٭ أعرافهن لايدينا مناديل

قوله غرقئ البيض يعنى القشرة الرقيقة التى تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرها الاعلى يقال له القيض وقوله المراجيل انما حده المراجل ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال ٭ نفى الدراهيم تنقاد الصياريف ٭ (الجمة فى الصياريف) وقد مر تفسير هذا وقوله وردوأشقر ما يؤنيه طابخه يقول ما تغير من اللحم قبل نضجه وقوله ما يؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لانه لو آناه لأنضجه لان معنى آناه بلغ به اناه أى ادراكه قال الله عز وجل الى طعام غير ناظرين اناه وتقول انى يأنى انى اذا أدرك وآن يئين مثله وقوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن أى قد بلغ اناه وقوله ماغير الغلى منه فهو مأكول يقول نحن أصحاب صيد وهذا من فعلهم (العرب لا تنضج اللحم اما لاستعجالها الضيف واما لان ذلك مستحب عندها فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القرى) وقوله مسومة تكون على ضربين أحدهما ان تكون معلمة والثانى ان تكون قد أسيمت فى المرعى وهى ههنا معلمة وقد مضى هذا التفسير وانما أخذ ما فى

ولم يفتقروا الفقر المدقع الذى يشغل عن المعرفة ولم يستغنوا الغنى الذى يورث البلادة والثروة التى تحدث الغرة ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم ويصغر عندهم أنفسهم وكانوا سكان فياف وتربية العراء لا يعرفون الغمق ولا اللثق ولا البخار ولا الغلظ ولا العفن ولا التخم أذهان حديدة ونفوس منكرة فحين حملوا حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغة المنطق وتثقيف

هذه الابيات من بيت امرئ القيس فانه جمع ما فى هذه الابيات فى بيت واحد مع فضل التقدم

نَمُشُّ بأعرافِ الجيادِ أكُفَّنا ٭ اذا نحنُ قُمنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذى لم يُدرَكْ ونمش نمسح ويقال للمنديل المَشوش وكانت العرب تألف الطيب وتطرح ذلك فى حالتين فى الحرب والصيد قال النابغة

سَهِكِينَ من صَدَأ الحديدِ كأنّهم ٭ تحتَ السَّنَوّرِ جِنَّةُ البَقّارِ

وقال آخر وأسيافُكم مسكٌ تَحِلُّ أكُفَّكم ٭ على أنّها ريحُ الدماءِ تَضُوعُ

(تَضَوَّعُ رواية) معنى تَضُوعُ تفوح وروى عن ابنة هانئ بن قَبيصة (ذكر يعقوب انها ابنة قيس بن خالد الشيبانى ش) انه لما قُتِلَ عنها لقيطُ بن زُرارةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حَنظلةَ فتزوجها رجل من أهلها فكان لا يزال يراها تذكر لقيطا فقال لها ذات مرة ما استحسنت من لقيط فقالت كل أموره كانت حسنةً ولكنى أحدثك انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشى فرجع وبقميصه نَضْحٌ من دم صيده والمسكُ يَضُوعُ من أعطافه ورائحةُ الشراب من فيه فضمّنى ضَمَّةً وشمّنى شَمَّةً فليتنى كنت متُّ ثَمَّهْ قال ففعل زوجها مثل ذلك ثم ضمها اليه وقال أين انا من لقيط فقالت ماءٌ ولا كصَدّاء مثل حمراء ووزنها فعلاء وموضع اللام همزة وهى بئر مقدمة واسمها ماذكرنا عن الاصمعى وأبى عبيدة وكذلك سمعنا العرب تقوله ومن ثقّل فقد أخطأ ومثل ذلك رجل ولا كمالك (فما يقال فتى ولا كمالك وقد تقدم لابى العباس فتى وهو الصواب) يعنون مالك بن نُوَيرة ومَرعى ولا كالسَّعدان وحدثنى على بن عبد الله عن ابن عائشة قال كان ذو الاصبع العَدوانى رجلا غَيُورا وكانت له بناتٌ أربعٌ وكان لا يزوجهن غَيرةً فاستمع عليهن يوما وقد خَلَون يتحدثن فقالت قائلة منهن لتقل كلُّ واحدة منكن ما فى نفسها ولنَصدُقْ جميعا قال فقالت كُبراهن

ألا ليتَ زوجى من أُناسٍ ذوى غِنًى ٭ حديثُ الشبابِ طيّبُ النشرِ والذِّكرِ

لَصوقٌ بأكبادِ النساءِ كأنّه ٭ خليفةُ جانٍ لا يُقيمُ على هَجرِ

قال وقالت الثانية ألا ليتَه يُعطى الجمالَ بَديئةً ٭ له جَفنةٌ تَشقى بها النِّيبُ والجُزرُ

له حَكَماتُ الدهرِ من غيرِ كَبرةٍ ٭ تَشينُ فلا فانٍ ولا ضَرَعٌ غُمرُ

(آخُذُ الضَّوارِبِ وهو مأخوذ من حَكَمة اللجام ش) فقلن لها أنت تريدين سيدا فقالت الثالثة

اللغة وتصاريف الكلام وقيافة البشر بعد قيافة الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وتعرف الانواء والبصر بالخيل والسلاح وآلة الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس واحكام شأن المناقب والمثالب بلغوا فى ذلك الغاية وحازوا كل أمنية وببعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر وهممهم أرفع وهم من جميع الأمم أفخر ولأيامهم

ألا هل تراها مرةً وحليلها • أشم كنصل السيف عين المهند

عليما بأدواء النساء ورهطه • اذا ما انتمى من أهل بيتي ومحتدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم واشم مثله) فقلن لها أنت تريدين ابن عمك فقد عرفته وقلن للصغرى ما تقولين فقالت لا أقول شيأ فقلن لا ندعك وذاك انك اطلعت على أسرارنا وتكتمين سرك فقالت زوج من عود خير من قعود قال فخطبن فزوجهن جمع ثم أمهلهن حولا ثم زار الكبرى فقال لها كيف رأيت زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال لها فما مالكم قالت الابل قال وما هي قالت نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعفتنا معا فقال زوج كريم ومال عميم ثم زار الثانية فقال لها كيف رأيت زوجك قالت يكرم الحليلة ويقرب الوسيلة قال فما مالكم قالت البقر قال وما هي قالت تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال لها رضيت وحظيت ثم زار الثالثة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما مالكم قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال لها جذوة مغنية ثم زار الرابعة فقال لها كيف رأيت زوجك فقالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال لها فما مالكم قالت شر مال الضأن قال لها وما هن قالت جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن فقال أشبه امرؤ بعض بزه (أشبه امرأ بعض بزه رواية) فأرسلها مثلا قال علي بن عبد الله قلت لابن عائشة ما قولها وأمر مغويتهن يتبعن فقال اما تراهن يعبرن فيسقط الواحدة منهن في ماء أو وحل وما أشبه ذلك فيتبعنها اليه قول الثانية له جفنة تشقى بها النيب والجزر فالنيب جمع ناب وهي المسنة وانما قيل لها ناب لطول نابها قال أوس ابن حجر • تشبه نابا وهي في السن بكرة • وتقدير نيب من الفعل فعل ولكن ما كان من ذوات الياء كسر له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء لان الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واوا في الاصل نحو موقن وموسر وان فارقتها الضمة عادت الى أصلها نحو قولك مياسير ومثل ذلك أبيض وبيض وانما بيض فعل كأحمر وحمر وأصفر وصفر ولكن كسرت النون لتصح الياء ولو كانت واوا في الاصل لم تغير نحو أسود وسود وقوله ناب تقديرها فعل متحركة العين ولا تنقلب الياء ولا الواو ألفا الا وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو باع وقال ورمى وغزا لان التقدير فعل ولو كان

أذكر وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم اعراب العجم كما ان هذيلا أكراد العرب لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحة والهندسة ولا غراس ولا بنيان ولا شق أنهار ولا جباية غلات ولم تكن هممهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلاد وكانت هممهم الى ذلك مصروفة وكانت لهذه

على فَعْل لصحت الياء والواو كما تقول بيعٌ وقولٌ وفَعَلٌ قد يجمعونه على فُعْل كقولهم أسَدٌ وأُسْدٌ ووَثَنٌ ووُثْنٌ وقولها نشقى بها النيب والجزر فانما عطفت أحدهما على الآخر لان من الابل ما يكون جزورا للنحر لا غير وأما قولها ولا ضرع غمرا فالضَرَعُ الضعيف والغُمْرُ الذي لم يجرب الامور ويروى ان الحجاج لما ورد عليه ظَفَرُ المُهَلَّب بن أبي صُفْرة وقتله عبدَ ربّه الصغير وهَرَبُ قَطَرِيّ عنه تمثّل فقال لله دَرُّ المهلب والله لكأنه ما وصف لَقِيطٌ الايادِيُّ حيث يقول

وقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُمُ ۞ رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْب مُضْطَلِعا
لا مُتْرَفًا ان رخاءُ العيش ساعدَهُ ۞ ولا اذا عَضّ مكروهٌ به خَشَعا
ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ ۞ يكون مُتَّبِعًا طَوْرًا ومُتَّبَعا
حتى استمرت على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ۞ مُرَّ العَزِيمةِ لا رَتًّا ولا ضَرَعا

فقام اليه رجل فقال أيها الامير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قَطَرِيّ في المهلب فَسُرَّ الحجاج بذلك سرورا تبين في وجهه وقولها كنصل السيف عين المُهَنَّد فالمهند المنسوب الى الهند وقولها من أهل بيتي ومَحْتِدي فالمحتد الاصل قال الشاعر

وفي السِّرِّ من قحطانَ أولادُ حُرَّةٍ ۞ عظامُ اللُّها بِيضٌ كرامُ المَحاتِدِ

وقوله مال عميم يقول جامع أخذه من عمّ يعمّ وقوله جِذْوٌ مُغْنِيةٌ فالجذو جمع جَذْوة وهي القطعة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار قال الله عز وجل أو جَذْوة من النار وتجمع أيضا جِذًا قال ابن مُقْبِل باتت حَواطِبُ سَلْمَى يَلْتَمِسْنَ لها ۞ جَزْلَ الجِذا غَيْرَ خَوّارٍ ولا دَعِرِ الخوار الضعيف والدعِرُ الكثير الثقب يقال عود دَعِرٌ وقولها جوف لا يشبعن تقول عظام الاجواف وهيم لا ينقعن الهيم العطاش يكون الواحد من هيم أهيم ويقال في هذا المعنى هَيْمانُ وقال بعض المفسرين في قول الله عز وجل فشاربون شُرْبَ الهِيم قال هي الابل العطاش وقال ذو الرُّمَّة (يصف حميرا) فراحت الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صَرائرَها ۞ وقد نَشَحْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيمُ (الحقب البيض الأعجاز من الحمير) ويقال قَصَعَ صارَّتَه اذا روِيَ والصارّة شدة العطش والنُّشوح ان تشرب دون الري يقال نَشَحَ يَنْشَحُ ومثله تَغَمَّرَ اذا لم يَرْوَ ويقال للقدح الصغير الغُمَرُ من هذا وقال بعض المفسرين الهيم رمال بعينها واحدتها هَيْماءُ يا فتى وقولها لا ينقعن أي لا يَرْوِينَ يقال

المعاني والأسباب مسطرة ومحصورة عليها وموصولة بها أحكموا ذلك الأمر بأسره وأتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم في الحرب وفخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة وأهل الصين في الصناعات والاعراب فيما عددنا ونوعنا وكالساسان في الملك والسياسة ومما يستدل به على انهم قد استقصوا هذا الباب واستفرغوه

نقعت ماشية بنى فلان بِرِىٍّ اذا لم تبلغ من الماء حقها ويقال للماء النَّقْعُ ويقال النقع فى غير هذا الموضع الغبار يقال أثاروا النَّقْعَ بينهم والنقع اسم موضع بعينه قال الشاعر

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ الينا بوجهها * مَساكِنَ ما بين الوَتائر والنَّقْعِ

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنَّقْعُ الصراخُ قال لَبيدٌ

فمتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادقٌ * يُجْلبوهُ ذاتَ جَرْسٍ وزَجَلْ

وقولها وصم لا يسمعن طريف من كلام العرب وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يُعْمِلُ بصره أعمى وانما يراد به انه قد حَلّ محلّ مَنْ لا يُبْصِرُ البَتَّةَ اذا لم يُعْمِلْ بصره وكذلك يقال للسميع الذى لا يقبل أَصَمّ قال الله جل ذكره صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ كما قال جل ثناؤه أم على قلوبٍ أقفالها وكذلك انك لا تُسْمِعُ الموتى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدعاءَ وقوله عز وجل كَمَثَلِ الذى يَنْعِقُ بما لا يسمع الا دعاءً ونداءً وتقول العرب أَبْلَدُ ما يَرْعَى الضَّأْنُ ويقال أَحْمَقُ من راعى ضَأْنٍ ثمانين (قوله أحمق من راعى ضأن ثمانين المَثَلُ لكِسْرى فى أعرابى خَيَّرَهُ فاختار ذلك ذكره أبو عبيد وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) وتحدث عمرو بن بَحْرٍ قال كان يقال لا ينبغى لعاقل ان يشاور واحدا من خمسة القَطّان والغَزّال والمُعَلِّم وراعى ضأن ولا الرجل الكثيرُ المحادثةِ للنساء وقيل فى مثل هذا لا تَدَعْ أُمَّ صبيك تضرِبه فانه أعقل منها وان كان طفلا وقال الاحنفُ بن قيس انى لأجالسُ الاحمقَ الساعةَ فأتَبَيَّنُ ذلك فى عقلى وقال جل ثناؤه فى صفة النساء أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الحِلْيةِ وهو فى الخصام غيرُ مبينٍ وحُدِّثْتُ ان عمر بن عبد الله بن أبى رَبيعةَ أتى المدينة فأقام بها فى ذلك يقول

يا خليلىَّ قد مَلِلْتُ ثَوائى * بالمُصَلَّى وقد شَنِئْتُ البَقيعا

فلما أراد الشُّخوصَ شَخَصَ معه الاَحْوَصُ بن محمد فلما نزلا وَدَّانَ صارا اليهما نُصَيْبٌ فمضى الاحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال انى رأيت كُثَيِّرًا بموضع كذا فقال عمر فابعثوا اليه ليصير الينا فقال الاَحْوَصُ أهو يصير اليكم هو والله أعظم كبرا من ذلك قال فاذًا نصيرُ اليه فصاروا اليه وهو جالس على جلد كبش فوالله ما رفع منهم أحدا ولا القُرَشِىَّ ثم أقبل على القرشى فقال يا أخا قُرَيْشٍ والله لقد قلتَ فأحسنتَ فى كثير من شعرك ولكن خَبِّرْنى عن قولك

قالت لها أختُها تُعاتبها * لا تُفْسِدَنَّ الطَّوافَ فى عُمَرِ

وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ان السيف الى ان يتقلده متقلد ويضرب به ضارب قد مر على أيد كثيرة وعلى طبقات من الصناع كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يتكلفه لان الذى يذيب حديد السيف ويميعه ويصفيه ويهذبه غير الذى يمده ويمطه والذى يمده ويمطه غير الذى يطبعه ويسوى متنه ويقيم خشيبته والذى يطبعه ويسوى متنه سوى الذى

(كذا وقعت الرواية لاتفسدن على النهى والصحيح لتفسدن على القسم كأنها قالت والله لتفسدن)

قومى تصدّى له ليبصرنا ● ثم اغمزيه يا أخت فى خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ● ثم اسبطرت تشتد فى أثرى

والله لو قدقلت هذا فى هرة أهلك ما عدا أردت ان تقسب بها فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة انما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممتنعة هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولولا ان أرى أم جعفر ● بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زوّارا ولكن ذا الهوى ● اذا لم يزر لابد أن سيزور

لقد منعت معروفها أم جعفر ● وانى الى معروفها لفقير

قال فامتلأ الاحوص سرورا ثم أقبل عليه فقال يا أحوص خبرنى عن قولك

فان تصلى أصلك وان تعودى ● لهجر بعد وصلك لا أبالى

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب ● وقل ان تملينا فما ملك القلب

قال فانتفخ نصيب ثم أقبل عليه فقال له ولكن اخبرنى عن قولك يا أسود

أهيم بدعد ما حييت وان أمت ● فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

كأنك اغتممت ان لا يفعل بها بعدك ولا يكنى فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة وهى لعبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها (قال أبو الحسن الطبين هى السدر فاذا زيد فى خطوطه سمته العرب الفرقة وتسمية العامة السدر) قال وحدثت ان كثيرا دخل على عبد الملك ابن مروان وعنده الاخطل فانشده فالتفت عبد الملك الى الاخطل فقال كيف ترى فقال حجازى مجوع مقرور دعنى أضغمه يا أمير المؤمنين فقال كثير من هذا يا أمير المؤمنين فقال له هذا الاخطل فقال له كثير مهلا فهلا ضغمت الذى يقول

لا تطلبن خؤولة فى تغلب ● فالزنج أكرم منهم أخوالا

والتغلبى اذا تنحنح للقرى ● حك استه وتمثل الامثالا

(أخوالا منصوب على الحال ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ) فسكت الاخطل فما أجابه بحرف

يسقيه ويرهفه والذى يسقيه ويرهفه غير الذى يركب قبيعته ويستوثق من سيلانه والذى يعمل مسامير السيلان وشاذى القبيعة ونعل السيف غير الذى ينحت خشب غمده والذى ينحت خشب غمده غير الذى يدبغ جلده والذى يدبغ جلده غير الذى يحليه والذى يحليه ويركب نصله غير الذى يخرز حمائله وكذلك السرج وحالات السهم والجعبة والرمح وجميع السلاح مما هو خارج

قال أبو العباس سمعت من ينشد هذا الشعر * والتغلبي اذا تنحنح للقرى * وهو أبلغ قال وخبرت ان نصيبا نزل بامرأة تكنى أم حبيب من أهل ملل وكانت تضيف فى ذلك الموضع وتقرى ولا يزال الشريف قد نزل بها فافضل عليها الفضل الكثير ولا يزال الشريف ممن لم يحلل بها يقنا ولها بالبر ليعينها على مروتها فنزل بها نصيب ومعه رجلان من قريش فلما أرادوا الرحلة عنها وصلها القرشيان وكان نصيب لا مال معه فى ذلك الوقت فقال لها ان شئت فلك أن أوجه اليك بمثل ما أعطاك أحدهما وان شئت قلت فيك شعرا فغزلت أم حبيب (أى مالت الى أن يتغزل بها) فقالت بل الشعر فقال

ألا حي قبل البين أم حبيب * وان لم تكن منا غدا بقريب

وان لم يكن انى أحبك صادقا * فما أحد عندى اذا بحبيب

تهام أصابت قلبه ملية * غريب الهوى واها لكل غريب

وحدثت أن نصيبا أتى عبد الملك فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره ووصله ثم دعا بالغداء فطعم معه فقال له عبد الملك يا نصيب هل لك فيما يتنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين تأملنى قال قد أراك فقال يا أمير المؤمنين جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولست فى منصب وانما بلغ بى مجالستك ومؤاكلتك عقلى وأنا أكره يا أمير المؤمنين أن أدخل عليه ما ينقصه فاعجبه كلامه فاعفاه وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج فى وفدة وفدها عليه وقد أكلا هل لك فى الشراب فقال يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما أحللته ولكنى أمنع أهل عملى منه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فاعفاه وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لنصيب أمدحت فلانا لرجل من أهله فقال قد فعلت قال أو حرمك قال قد فعل قال فهلا هجوته قال لم أفعل قال ولم قال لانى كنت أحق بالهجاء منه اذ رأيته موضعا للمدح فأعجب به مسلمة فقال اسألنى قال لا أفعل قال ولم فقال لان كفك بالعطية أجود من لسانى بالمسألة فوهب له ألف دينار وحدثت أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده

وقد رأينا بها حورا منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فثنى نصيب خنصره فقال له الكميت ما تصنع فقال أحصى خطاك تباعدت فى قولك تكامل فيها الدل والشنب هلا قلت كما قال ذو الرمة

أو جنة والترك يعمل هذا كله بنفسه من ابتدائه الى غايته ولا يستعين برفيق ولا يفزع الى رأى صديق ولا يختلف الى صائغ ولا يشغل قلبه بمطله وتسويفه واكاذيب مواعيده ويغرم كراءه وليس فى الارض كل تركى كما وصفنا كما انه ليس كل يونانى حكيما ولا كل صينى حاذقا ولا كل اعرابى شاعرا فائقا ولكن هذه الأمور فى هؤلاء أعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر قد قلنا فى السبب الذى تكاملت به

لمياء في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي أنيابها شنب

ثم أنشده في أخرى كأن الغطامط من جريها • أراجيز أسلم تهجو غفارا

(وقعت الرواية من جريها وصوابه من غليها لانه يصف قدرا فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذى يرتفع) فقال له نصيب ما هجت أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت فسكت

قال أبو العباس والذى عابه نصيب من قوله تكامل فيها الدل والشنب قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها وأول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة وخبرت أن عمر بن لجأ قال لابن عم له انا أشعر منك قال له وكيف قال لانى أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد عمرو بن بحر

وشعر كبعر الكبش فرق بينه • لسان دعى فى القريض دخيل

وبعر الكبش يقع متفرقا فمن ذلك قول ابنة الحطيئة لما نزل فى بنى كليب بن يربوع وتركت الثروة والعدد ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش يقال بعر وبعر وشعر وشعر وشمع وشمع ويقال الصدر قص وقصص وكذلك نهر ونهر وزعم الاصمعى أنه سأل أعرابيا وهو بالموضع الذى ذكره زهير

ثم استمروا وقالوا ان مشربكم • ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك

قال الاصمعى فقلت لاعرابى أتعرف ركك فقال لا ولكن قد كان ههنا ماء يسمى ركا فهذا ليست فيه لغتان ولكن الشاعر اذا احتاج الى الحركة أتبع الحرف المتحرك الذى يليه الساكن ما يشاكله فحرك الساكن بتلك الحركة قال عبد مناف بن ربع (ش ربعى) الهذلى

اذا تجاوب نوح قامتا معه • ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

يريد الجلد فهذا مطرد (قال ابن القوطية لعج الحب قلبه والضرب جسده أحرقه) ومن مذاهبهم المطردة فى الشعر أن يلقوا على الساكن الذى يسكن ما بعده للتقييد حركة الاعراب كما قال الراجز (قال ابن السيد أحسبه لعبيد بن ماوية) • أنا ابن ماوية اذ جد النقر • يريد النقر يا فتى وهو النقر بالخيل فلما أسكن الراء ألقى حركتها على الساكن الذى قبلها (النقير صويت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس

أخفضه بالنقر لما علوته • ويرفع طرفا غير جاف غضيض)

النجدة والفروسية فى الترك دون جميع الامم فى العلل التى من أجلها نظموا جميع معانى الحرب وهى معان تشتمل على مذاهب غريبة وخصال عجيبة فنها ما يقضى لأهله بالكرم وببعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على الادب الشديد والرأى الأصيل والفطنة الثاقبة والبصيرة النافذة ألا ترى انه ليس بد لصاحب الحرب من الحلم والعلم والحزم والعزم والصبر

وشبيه

وشبيه بهذا قوله عجبت والدهر كثير عجبه * من عنزى سبنى لم أضربه

أراد لم أضربه يا فتى فلما أسكن الهاء ألقى حركتها على الباء وكان ذلك فى الباء أحسن لخفاء الهاء

وقال أبو النجم * أقول قرب ذا وهذا أزحله * يريد أزحله يا فتى (أقول قرب ذا وهذاك ازحله

كذا عن ش) وقال طرفة حابسى ربع وقفت به * لو أطيع النفس لم أرمه

ولم يلزمه رد الياء لما تحركت الميم لان تحركها ليس لها على الحقيقة وانما هى حركة الهاء وأما قول

الشاعر حديث بنى بدر اذا ما لقيتهم * كنز والدبى فى العرفج المتقارب

فليس كقوله وشعر كبعر الكبش ولكنه وصفهم بضؤولة الاصوات وسرعة الكلام وادخال

بعضه فى بعض والذى يحمد الجهارة والفخامة وأنشدت لرجل قال يمدح الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النغم

ويخطو على الأين خطو الظليم * ويعلو الرجال بخلق عمم

(الرجل هو العمانى الشاعر وقوله عمم أى جسيم والاين الاعياء ويكون الاين الحية وهى الأيم)

ويروى ان الرشيد كان يأتزر فى الطواف فيذنب ازاره ويباعد بين خطاه فاذا رجع بيده كاد يفتن

من يراه فعند ذلك مدح بهذا الشعر ويروى ان عائشة رحمها الله نظرت الى رجل متماوت فقالت

ما هذا فقالوا أحد القراء فقالت قد كان عمر بن الخطاب قارئا فكان اذا قال أسمع واذا مشى أسرع

واذا ضرب أوجع ويروى ان عمر بن الخطاب رحمه الله نظر الى رجل مظهر للنسك متماوت فخفقه

بالدرة وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ويروى ان عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس

أتته وفود من الروم وقام السماطان فأتى برجل منهم وعطس أحد من فى السماطين فأخفى عطسته

فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوفد هلا اذ كنت لئيم العطاس أتبعت عطستك صيحة حتى

تخلع بها قلب العلج وكان العباس بن عبد المطلب رحمه الله أجهر الناس صوتا ولذلك قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما انهزم الناس يوم حنين يا عباس اصرخ بالناس ويروى ان غارة أتتهم يوما

فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وقد طعن فى قول النابغة الجعدى

(وأزجر الكاشح العدو اذا اغتابك عندى زجرا على أضم)

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق ان يختلطن بالغنم

والكتمان ومن الثقافة وقلة الغفلة وكثرة التجربة ولا بد من البصر بالخيل والسلاح والخبرة بالرجال وبالبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكايد وبعاقبه صلاح الامور كلها اوالملك يحتاج الى أواخ شداد وأسباب متان ومن أمتنها سبباوأعمها نفعا ما ثبته فى نصابه وسكنه فى قراره وزاد فى تمكينه وبهائه وقطع أسباب المطمعة فيه ومنع أيدى البغاة من الاشارة اليه فضلا عن البسط عليه قد قلنا

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئاب ونحوها مما يغير على الغنم فينفتق مرارة السبع في جوفه (يروى زجر أبي عروة السباع بخفض السباع كما قيل قنس الرقبات فصار على هذا يعرف بأبي عروة السباع مثل ذلك) فقال من يطعن في هذا السبع أشد أبدا من الغنم فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله فقال من يحتج له ان الغنم كانت قد آنست بهذا منه والصوت الرائع أنس لمن آنس به كالرعد القاصف الذي لولا خشية صاعقته لم يفزع كبير فزع ولو جاء أقل منه من جوف الارض لذعر ولم يبعد أن يقتل اذا أتى من حيث لم يعتد وجملة هذا البيت انه وصف شدة صوت المذكور وتأويله انه من تكاذيب الاعراب وحدثت ان الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لجدير بان يزهد في أوله وان أمرا هذا أوله لجدير بأن يخاف آخره وقيل لرجل من أشراف العجم في علته التي مات فيها ما بك قال فكر عجيب وحسرة طويلة فقيل مم ذاك فقال ما ظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس ويقدم على حكم عادل بلا حجة وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

باي اعتذار أم بأية حجة * يقول الذي يدري من الامر لا أدري

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

واعتذر رجل الى سلم بن قتيبة من أمر بلغه عنه فعذره ثم قال له يا هذا لا يحملنك الخروج من أمر تخلصت منه على الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه وقيل لخالد بن صفوان أي اخوانك أحب اليك فقال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقا له من مجلسه ثم جاءه فقال له أين كانت غيبتك فقال خرجت الى عرض من أعراض المدينة مع صديق لي فقال له ان لم تجد من صحبة الرجال بدا فعليك بصحبة من ان صحبته زانك وان خففت له صانك وان احتجت اليه مانك وان رأى منك خلة سدها أو حسنة عدها وان وعدك لم يحرضك وان كثرت عليه لم يرفضك وان سألته أعطاك وان أمسكت عنه ابتداك قال أبو العباس وامتدح نصيب عبد الله بن جعفر فامر له بخيل وابل وأثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل أمثل هذا الاسود يعطى مثل هذا المال فقال له عبد الله بن جعفر ان كان اسود فان شعره لأبيض وان ثناءه لعربي ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وهل أعطيناه الا ثيابا تبلى ومالا يفنى ومطايا تنضى

في مناقب جميع الاصناف مجمل ما انتهى الينا وبلغه علمنا فان وقع بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه عز ذكره وان قصر دون ذلك فالذي قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا واسماعنا وبما حسنه الذي نضمر من المحبة والاجتهاد في القربة فلا نرجع في ذلك الى أنفسنا بلائمة وبين التقصير من جهة العجز وضعف القوة فرق ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسائل

واعطانا

وأعطانا مدحا يَرْوَى وثناءً يَبْقَى وقيل لعبد الله بن جعفر انك لتبذل الكثير اذا سئلت وتضيّق في القليل اذا توجرت فقال اني أبذل مالي وأضنّ بعقلي وقيل ليزيد بن معاوية ما الجود فقال اعطاء المال من لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يتخطّى من تعرف وخُبّرت عن رجل من الانصار قال لابن عبد الرحمن بن عوف ما ترك لك أبوك قال ترك لي مالا كثيرا فقال ألا أُعلمك شيأ هو خير لك مما ترك أبوك انه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم والرفيق جمال وليس بمال فعليك من المال بما يعولك ولا تعوله وقال معاوية الخفض والدعة سعة المنزل وكثرة الخدم وقيل لخريم المرّي وهو المنبز بخريم الناعم ما النعمة فقال الامن فانه ليس لخائف عيش والغنى فانه ليس لفقير عيش والصحة فانه ليس لسقيم عيش قيل ثم ماذا قال لا مزيد بعد هذا وقال سلم بن قتيبة الشباب الصحة والسلطان الغنى والمروءة الصبر على الرجال وقال المهلب بن أبي صفرة العجب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه وكان يقول لبنيه اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال خالد بن عبد الله القسري محض الجود ما لم تسبقه مسئلة وما لم يتبعه منّ ولم يزر به قصر ووافق موضع الحاجة وقال بعض المحدثين وهو (حبيب) الطائي

أسائل نصر لا تسله فانه • أحنّ الى الارفاد منك الى الرفد

وقال آخر وهو أبو العتاهية

لا تسألنّ المرء ذات يديه • فلعمرُ قلّ من رغبت اليه

المرء مالم ترزه لك مكرم • فاذا رزأت المرء هنت عليه

وكما يكون لديك من عاشرته • فكذاك فارض بأن تكون لديه

ودخل النخّار العذري على معاوية في عباءة فاحتقره فرأى ذلك النخار في وجهه فقال له يا أمير المؤمنين ليست العباءة تكلمك انما يكلمك من فيها ثم تكلم فملأ سمعه ثم نهض ولم يسأله فقال معاوية ما رأيت رجلا أحقر أولا ولا أجلّ آخرا منه ودخل محمد بن كعب القرظي على سليمان بن عبد الملك في ثياب رثّة فقال له سليمان ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب فقال أكره أن أقول الزهد فأطري نفسي أو أقول الفقر فأشكو ربي وحدثني التوزي قال دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك في ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام كأن العمامة

والجوابات وكان كل صنف من هذه الاصناف يريد الاستقصاء على صاحبه ويكون غايته اظهار نفسه وان لم يصل الى ذلك الا باظهار نقص أخيه ووليه لكان كتابنا كبيرا كثير الورق عظيما ولكن القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسأله العون والتسديد انه سميع قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه في جمع النبوة)

لبست من الثياب قال انها مستعارة فقال له كم سنك قال ستون سنة قال ما رأيت ابن ستين أبقى كدنة منك (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية في الافعال كدن الشفة كدونا اسودت وأكدن البعير كثر لحمه وشحمه) ما طعامك قال الخبز والزيت قال أما تأجمهما قال اذا أجمتهما تركتهما حتى أشتهيهما ثم خرج من عنده وقد صدع فقال أترون الاحول لقعني بعينه فبات من تلك العلة (قال ابن الاعرابي لقع فلان فلانا بعينه وزلقه وزلّقه وأزلقه وشقذه وشوّهه ويقول الرجل اذا أجاد في عمله لا تشوّه على أي لا تقل لي أجدت فتصيبني بالعين ورجل معين اذا أصيب بالعين وشاه وشائه وشقذ وشقذان) ونظر اعرابي الى رجل جيد الكدنة فقال يا هذا اني لا أرى عليك قطيفة محكمة من نسج أضراسك ودخل أبو الاسود الدؤلي (اسم أبي الاسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل ابن عمرو بن جندل بن سفيان وأمه من بني عبد الدار بصري تابعي ثقة من أصحاب علي من كتّابه) على عبيد الله بن زياد في ثياب رثة فكساه ثيابا حسانا فخرج وهو يقول

كساك ولم تستكسه فشكرته * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وان أحق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من أعطاك والعرض وافر

وحدثني الرياشي قال دخل أبو الاسود الدؤلي على عبيد الله بن زياد وقد أسن فقال له عبيد الله يهزأ به يا أبا الاسود انك لجميل فلو تعلقت تميمة تردّ عنك بعض العيون فقال أبو الاسود

أفنى الشباب الذي أفنيت جدّته * كرّ الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما * شيأ أخاف عليه لذعة الحدق

قوله فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل قال ابن قيس الرقيات

صدروا ليلة انقضى الحج فيهم * طفلة زانها أغر وسيم
يتقي أهلها العيون عليها * فعلى جيدها الرقى والتميم

وقال أبو ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقوله لذعة الحدق فهو من قولك لذعته النار اذا لفحته ويقال لذع فلان فلانا بأدب اذا أدبه أدبا يسيرا كأنه كالمقدار الذي وصفناه من النار وقول ابن قيس الرقيات زانها أغر وسيم فالاغر الابيض يعني الوجه والوسيم الجميل والمصدر الوسامة والوسام وقال بعض المحدثين ذكرناه يقول

الحمد لله الذي عرفنا نفسه وعلمنا دينه وجعلنا من الدعاة اليه والمحتجين له فنحن نسأله تمام النعمة والعون على أداء شكره وان يوفقنا الحق برحمته انه ولي ذلك والقادر عليه والمرغوب اليه فيه وصلى الله على محمد وآله وسلم ثم انا قائلون في الاخبار ومخبرون عن الآثار ومفرقون بين أسباب الشبهة وأسباب الحجة ثم مفرقون بين الحجة التي تلزم الخاصة دون العامة ومخبرون عن الضرب الذي

أبي الاسود قد كنتُ أرتاعُ للبيضاء في خلقى * فصرتُ أرتاع للسوداء في يقق

من لم يَشِبْ ليس عذلا قاحليلته * وصاحبُ الشيب للنسوان ذو مَلَق

قد كُنَّ يفرقن منه في شبيبته * فصار يَفْرَقُ ممن كان ذا فرق

ان الخضاب لتدليسٌ يُغَشُّ به * كالثوب في السوق مطويا على حَرَق

ويروى يُطْوَى لتدليس على حَرَق وشبيهٌ بهذا المعنى قول أبي تمّام

طال انكاري البياض وان عُمّرتُ شيأ أنكرتُ لونَ السّواد

وحدثني الزيادي قال قيل لاعرابي ألا تخضب بالوسمة فقال لم ذاك فقال لتصبو اليك النساء فقال أما نساؤنا فما يردن بنا بديلا وأما غيرهن فما نلتمس صَبْوتهنّ وقال العتبي

وقائلة تبيّضْ والغواني * نوافرُ عن معالجة القتير

(ويروى معالجة بكسر اللام فمن فتح اللام جعله مصدرا ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء) عليكَ الخطرَ علّك أن تَدَنّى * الى بيض ترائبهنّ حُور

فقلتُ لها المشيبُ نذير عُمْري * ولستُ مسوّدا وجه النذير

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المهلّبي

صبغتُ الرأس ختلا للغواني * كما غطّى على الريب المريبُ

أعلّلُ مرّةً وأساء أخرى * ولا تخفى من الكبر العيوبُ

أسوّفُ توبتي خمسين عاما * وظنّي أن مثلي لا يتوب

يُقوّمُ بالثقاف العودُ لدْنًا * ولا يتقوّمُ العودُ الصّليبُ

وقال مالك بن دينار جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وكان يقول ما أشدّ فطام الكبير وقال آخر دعي لومي ومعتبتي أماما * فاني لم أعوّد أن ألاما

وكيف ملامتي اذ شاب رأسي * على خلق نشأت به غلاما

وقيل لاعرابي ألا تغيّر شيبك بالخضاب فقال بلى ففعل ذلك مرة ثم لم يعاود فقيل له لم لا تعاود الخضاب فقال يا هناه لقد شدّ لحيائي فجعلت انا الى ميتا وقال بعض المحدثين وهو محمود الوراق

يا خاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود ان النصول اذا بدا * فكأنه شيب جديد

يكون الخاصة فيه حجة على العامة وعن الموضع الذي يكون القليل فيه أحق بالحجة من الكثير ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ولم خفي وأصله قوي وما الذي يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره وكثرة الطاعنين فيه وعن الحاجة الى رواية الآثار والى سماع الاخبار وعن أخلاق الناس وآبائهم ومذاهب أسلافهم وعن سير الملوك قبلهم وما صنعت الايام بهم وعن شرائع أنبيائهم

وله بديهة لوعة • مكروهها أبدا عتيد فدع المشيب لما أرا • د فلن يعود كما تريد

وقال محمود أيضا أليس عجيبا بأن الفتى • يصاب ببعض الذى فى يديه

فمن بين باك له موجع • وبين معز مغذ اليه

ويسلبه الشيب شرخ الشباب • فليس يعزيه خلق عليه

وقال أيضا يا خاضب الشيبة ثم فقدها • فانما تقدر جهاى كفن

اما تراها منذ حاينتها • تزيد فى الرأس بنقص البدن

وقال أيضا اغتنم غفلة المنية واعلم • أنما الشيب للمنية جسر

كم كبير يوم القيامة يقصى • وصغير له هنالك قدر

(قال أبو الحسن يقال جسر وجسر وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجسر) وقال أعرابى (هو أبو النجم)

قالت سليمى أنت شيخ أنزع • فقلت ماذاك وانى أصلع • ثم حسرت عن صفاة تلمع

فاقبلت قائلة تسترجع • ما رأس ذا الا جبين أجمع

وقال آخر وهو رؤبة قد ترك الدهر صفاتى صفصفا • فصار رأسى جبهة الى القفا

كأنه قد كان ربعا فعفا • يمسى ويضحى للمنايا هدفا

وكان نصر بن حجاج بن علاط السلمى ثم البهزى جميلا فسيّره عليه عمر بن الخطاب رحمه الله فى أمر الله أعلم به فحلق رأسه وكان عمر أصلع لم يبق من شعره الا حفاف كذلك قال الاصمعى فقال نصر بن حجاج

لضن ابن خطاب على بجمة • اذا رجلت تهتز هز السلاسل

فصلع رأسا لم يصلعه ربه • يرف رفيفا بعد اسود جاثل

لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن • اذا ما مشى بالفرع بالمتخايل

قوله بالفرع المتخايل ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذى يختال بالفرع فيكون قد قدم الصلة على الموصول ولكنه جعل قوله بالفرع تبيينا فصار بمنزلة بك التى تقع بعد مرحبا للتبيين وقد مر تفسير هذا مستقصى فى الكتاب المقتضب وقال آخر

تغطى غير بالعمائم لؤمها • وكيف يغطى اللؤم طى العمائم

فان

واعلام رسلهم وعن أدب حكمائهم وأقاويل أئمتهم وفقهائهم وعن حالات من غاب عن أبصارهم فى دهرهم ولم كان الاخبار على الناس أخف من الكتمان ولم كان الصمت أثقل عليهم من الكلام وما الضرب الذى يقدرون على كتمانه وطيه والضرب الذى لا يقدرون الا على اذاعته ونشره ولم اجتمعت الأمم على الصدق فى أمور واختلفت فى غيرها ولم حفظت أمورا ونسيت

فان تضربونا بالسياط فاننا ● ضربناكم بالمرهفات الصوارم

وان تحلقوا منا الرؤس فاننا ● حلقنا رؤسا باللها والغلاصم

وان تمنعوا منا السلاح فعندنا ● سلاح لنا لا يشترى بالدراهم

جلاميد املاء الاكف كانها ● رؤس رجال حلقت بالمواسم

وكان يزيد بن الطثرية غزلا وكان أخوه ثور ذا مال فكان يزيد يأتي العطار فيقول ادهني دهنة بناقة من ابل ثور فيفعل ذلك وكان ذا جمة حسنة فاذا كثر عليه الدين هرب فتبدى فاذا ذكر حوشية وهي امرأة كان يشبب بها (حوشية بنت أبي فديك بن قرة ولها مع يزيد حديث طريف) قدم فاقتطع من ابل أخيه ما يقضي به دينه وفي ذلك يقول

قضى غرماني حب أسماء بعدما ● تخوفني ظلم لهم وفجور

فذلك دأبي ما حييت وما مشى ● لثور على ظهر الفلاة بعير

فاستعدى عليه ثور السلطان فامر بحلق رأسه فقال

أقول لثور وهو يحلق لمتي ● بعقفاء مردود عليها انصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابها ● بهذا ولكن عند ربي ثوابها

ألا ربما يا ثور فرق بينها ● أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مدرى العاج في مدلهمة ● اذا لم تفرج مات غما صوابها

فجاء بها ثور ترف كأنها ● سلاسل برق لينها وانسكابها

ورحت برأس كالصخيرة أشرفت ● عليها عقاب ثم طارت عقابها

خدارية كالشرية الفرد جادها ● من الصيف أنواء مطير سحابها

سواها ولم كان الصدق أكثر من الكذب ولم كان الصمت أثقل والقول أفضل والعجب من ترك الفقهاء تمييز الآثار وترك المتكلمين القول في تصحيح الأخبار وبالأخبار يعرف الناس النبي من المتنبي والصادق من الكاذب وبها يعرفون الشريعة من السنة والفريضة من النافلة والحظر من الاباحة والاجماع من الفرقة والشذوذ من الاستفاضة والرد من

(باب)

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المنقري

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ● ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد

اذا ما أصبت الزاد فالتمسي له ● أكيلا فاني لست آكله وحدي

قصيا كريما أو قريبا فانني ● أخاف مذمات الأحاديث من بعدي

وانى لَعَبْدُ الضَّيفِ مادام ثاوِياً * وما من خلالى غيرَها شيمةُ العبد

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيره وقوله قصيا كريما من طريف المَعانى وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط فى نسبته الكَرَم لانه قد ضَمِنَ ذلك واشترط فى القَصِيّ ان يكون كريما لانه كره ان يكون مُواكله غير كريم وهذا ليس من الباب الذى ذكره جرير حيث يقول فى هجائه بنى هِزّان

ضَيفُكُمْ جائع ان لم يَبِتْ غَزِلاً * وجارُكُم يا بنى هِزّانَ مسروقُ

رأيتُ هِزّانَ فى أحراحِ نسوتها * رَحْبٌ وهِزّانُ فى أخلاقها ضيقُ

وقال آخر من المُحْدَثين وهو يحيى بن نوفل أنشده دعبل

كنتُ ضيفا بِبَرْمَنايا العبيد الله والضيفُ حقُّه معلوم

فانبرى يَمدح الصيامَ الاانه * صُمْتُ يوما ما كنتُ فيه أصومُ

ثم أنشا بَستام يُرَذْوِنى الوَرْ * دَ مُلحّا كما يُلِحّ الغريم

(قال الاخفش يروى يُرَذْوِنى الزَرْدَ وهو الاصفر)

ولَعَمْرى انّ ابنَ قَيْلَةَ اذ بَسْتامُ يُرَذْوِنُ ضيفه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السِجِسْتانى يقوله لابن دَعْلَجٍ وكان ابن دعلج يتوالى بنى تميم

اذا جئتَ الامير فقل سلامٌ * عليكَ ورحمةُ الله الرحيم

وأمّا بعدَ ذاكَ فلى غريمٌ * من الاعراب قُبِّحَ من غريم

لَزُومٌ ما علمتُ بباب دارى * لزومَ الكهفِ أصحابُ الرقيم

له مائة علىّ ونصفُ أخرى * ونصفُ النصفِ فى صَكٍّ قديم

دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن * حَبَوْتُ بها شيوخَ بنى تميم

(زاد أبو الحسن أتَوْنى فى العشيرة يسألونى * ولم آلُ فى العشيرة بالمُليم

قال أبو الحسن لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) وجاوَرَ قيسُ بن عاصم بن سنان ابن خالد بن مِنقر بن عبيد تاجرا خمّارا فشرب شرابه وأخذ متاعه ثم أوثقه فقال افد نفسك وقال فى ذلك

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الالهُ به * كأنّ عُثْنونَهُ أذنابُ أجمال

(قال ذلك لان ذَنَبَ البعير يضربُ الى الصُهْبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية) وقال النَمِرُ بن تولب

المعارضة والنار من الجنة وعامة المفسدة والمصلحة فاذا نزلت الاخبار منازلها وقسمتها ذكرت حجج الرسول صلى الله عليه وسلم ودلائله وشرائعه وسننه ثم جنست الآثار على أقدارها ورتبتها فى مراتبها وقربت ذلك واختصرته وأوضحت عنه وبينته حتى يستوى فى معرفتها من قل سماعه وساء حفظه ومن كثر سماعه وجاد حفظه بالوجوه الجليلة والأدلة الاضطرارية ولم أردف

اذا كنتَ فى سعدٍ وأُمّكَ منهمُ • غريبا فلا يغررْكَ خالُكَ من سعد

فان ابن أخت القوم مُصْغًى اناؤُهُ • اذا لم يُزاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قَيْسَ بن عاصم على صدقات بنى سعد فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها قيس بعدُ فى بنى مِنْقَرٍ وقال

مَنْ مُبْلِغٌ عنى قريشا رسالةً • اذا ما أتتها مُحْكَماتُ الوَدائعِ

حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ فى العام مِنْقَرًا • وأَيْأَسْتُ منها كلَّ أَطْلَسَ طامعِ

وجاور عُرْوةُ بن مُرّةَ أخو أبى خراش الهُذلى ثُمالةَ من الأَزْد فجلس يوما بفناء بيته آمنا لا يخاف شيأ فاستدبره رجل منهم من بنى بِلَال بسهم فقصم صُلْبَهُ ففى ذلك يقول أبو خراش

لَعَنَ الالهُ وُجوهَ قومٍ رُضَّعٍ • غَدَروا بعُرْوةَ من بنى بِلَالِ

وأُسر خراشُ بن أبى خراش أسرته ثُمالة فكان فيهم مقيما فدخلها آسرُهُ يوما رجلا منهم للمنادمة فرأى ابنَ أبى خراش موثَقا فى القِدّ فأمهلَ حتى قام الآسر لحاجة فقال المَدْعُوّ لابن أبى خراش مَنْ أنت قال أنا ابن أبى خراش فقال كيف دليلاكَ قال قَطاةٌ قال فقم فاجلس ورائى وأَلْقَى عليه رداءَهُ ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أَصْلَتَ بالسيف وقال أسيرى فنثل المجير كنانته وقال والله لأرمينّكَ ان رُمْتَه فانى قد أجرته فخَلَّى عنه فجاء الى أبيه فقال له من أجارك فقال والله ما أعرفه فقال أبو خراش وقال الرواة لا نعرف أحدا مدح مَنْ لا يعرفُ غيرَ أبى خراش

حَمِدْتُ الهى بعد عُرْوةَ اذ نجا • خراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعض

فوالله لا أنسى قتيلا رُزِئْتُه • بجانب قُوسَى ما مَشَيْتُ على الارض

بَلَى انها تعفو الكُلومُ وانما • نُوَكَّلُ بالأدنى وان جَلَّ ما يَمْضى

ولم أدرِ مَنْ أَلْقَى عليه رداءَهُ • على انه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْضِ

(ولم يكُ مثلوجَ الفؤاد مُهَبَّجًا • أضاع الشبابَ فى الرَّبيلة والخَفْضِ

ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخامِصٌ • على أنه ذو مِرّةٍ صادقُ النَّهْضِ)

كأنهمُ يَسْعَوْنَ فى إثْر طائرٍ • خفيفِ المُشاشِ عظمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يبادرُ جُنْحَ الليل فهو مُهابِذٌ • يَحُثُّ الجناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ

هذا الكتاب جمع حجج الرسول عليه السلام وتفصيلها والقول فيها لبغض مسها أو لوهن كان فى أصلها من ناقليها والمخبرين عنها أو لان طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ونقض قواها ولكن لامور سأذكرها واحتج وكيف تقصر الحجة عن بلوغ الغاية وتنقص عن التمام والله تعالى المتوكل بها ومسخر أصناف البرية ومهيج النفوس على ابلاغها وقد أخبر بذلك عن نفسه

قوله قبح الاله وجوه قوم رُضّع فهو جماعة راضع وقوم يقولون هو توكيد اللئيم كما يقولون جائع
نائع وحسن بسن وعطشان نطشان وأجمع أكتع وقوم يقولون الراضع هو الذي يرتضع من
الضرع لئلا يسمع الضيف أو الجار صوت الحلب فيطلب منه وتصديق ذلك ما أنشدناه أبو عثمان
عمرو بن بحر لرجل من الاعراب ينسب ابن عم الى اللؤم والتوحش

أحب شيء اليه أن يكون له • حلقوم واد له في جوفه غار
لا تعرف الريح ممساه ومصبحه • ولا يشب اذا أمسى له نار
لا يحلب الضرع لؤما في الاناء ولا • يرى له في نواحي الصحن آثار

وقوله كيف دليلاك فهي كثرة الدلالة والفعيلى انما تستعمل في الكثرة يقال القتيتى لكثرة النميمة ويقال الهجيرى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل يقال ذلك هجيراى أى هو الذي يجرى على لساني وفي الحديث كان هجيرى أبي بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله ويقال كان بينهم رميا لكثرة الرمي وكذلك كل ما أشبه هذا وقوله بجانب قوسى فهو بلد تحله غسانة بالسراة وقوله بلى انها تعفو الكلوم فهي الجراح والآثار التي تشبهها قال جرير

تلقى السليطى والابطال قد كلموا • وسط الرجال سليما غير مكلوم

وينشد وسط الرجال وتعفو تدرس وقوله عظمه غير ذي نحض النحض اللحم يقال يأكل نحضا ويروى الرجال نحضا وقوله فهو مهابذ يقول مجتهد وهذيل فيها سعى شديد وفي جماعة من القبائل التي تحل بأكناف الحجاز ولقي الزبرقان بن بدر وهو قاصد بصدقات قومه الى أبي بكر الصديق رحمه الله الحطيئة في طريقه فقال له الزبرقان من أنت فقال انا أبو مليكة أنا حسب موضوع فقال له الزبرقان اني أريد هذا الوجه ومالك منزل فامض الى منزلي بهذا السهم فسل عن القمر بن القمر وكن هنالك حتى أعود اليك ففعل فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بنى قريع وذلك أن الزبرقان من بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وحاسده بنو قريع بن عوف بن كعب بن سعد ولم يكن لعوف الا قريع وعطارد وبهدلة وكان الذين حسدوه منهم بنو لأي بن شماس بن أنف الناقة بن قريع فدسوا الى الحطيئة أن تحول الينا نعطك مائة ناقة ونشد كل طنب من أطناب بيتك بجلة هجرية قال فأنى لي بذلك قالوا انهم يريدون النجعة فاذا احتملوا

في محكم كتابه عز ذكره حيث قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأدنى منازل الاظهار اظهار الحجة على من ضاره وخالف عليه وقال عز ذكره يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون وأخبر انه أمر الاحمر والاسود ولم يكن ليأمر الاقصى كما يأمر الادنى ويأمر الغائب على الحاضر قال الله تعالى لنبيه عليه السلام

فَتَخَلَّفَ عنهم ثم دَسُّوا الى امرأة الزبرقان مَنْ خَبَّرَ بأن الزبرقان انما اقدَمَ هذا الشيخ ليتزوج ابنته فَقَدَحَ ذلك فى قلبها فلما تحمل القوم تخلف الحطيئةُ فاحملها القُرَيعِيُّون فبنوا له ووفوا له فلما جاء الزبرقانُ صار اليهم فقال رُدُّوا علىّ جارى فقالوا ليس لك بجار وقد طرحته فذلك حيث يقول الحطيئة

وانَّ التى نَكَّبتُها عن مَعاشرٍ • عَلَىَّ غِضابٍ انْ صَدَدتُ كما صَدُّوا

أَتَتْ آلَ شَمَّاس بن لَأْيٍ وانما • أتاهم بها الأَحلامُ والحَسَبُ العِدُّ

فان الشَّقِيَّ مَنْ تُعادى صُدورُهُمْ • وذا الجَدِّ من لانوا اليه ومَنْ وَدُّوا

يَسوسونَ أحلامًا بَعيدًا أَناتُها • وان غضبوا جاء الحَفيظةُ والجِدُّ

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لابيكم • من اللَّوم أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا

أولئك قوم ان بَنَوْا أحسنوا البُنَى • وان عاهدوا أَوْفَوْا وان عقدوا اشَدُّوا

وان كانتْ النعماءُ فيهم جَزَوْا بها • وان أَنْعموا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا

وان قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ • من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

وتَعْذُلُنى أفناءُ سعدٍ عليهمُ • وما قلتُ الا بالذى علمتْ سعدُ

قوله جلة بحونة أى ضخمة يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلت وطالت وقوله نَكَّبتها يقول عدلت بها وقوله والحسب العِدُّ معناه الجليل الكثير وأصل ذلك فى الماء يقال بئر عِدٌّ اذا كانت ذات مادة من العيون لا تنقطع وكل ماء ثابت فهو عِدٌّ وقوله يسوسون احلاما بعيدا أناتها يقول ثقالٌ لا يُبْلَغُ آخرها وأصل الاناة من التأنى والانتظار فيقول لا يُبْلَغُ آخرها فتُسَفَّه وقوله أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البُنى وان شئت قلت البنا فهما مقصوران يقال بُنَى بنْيَةٌ وبُنْيَةٌ فجمع بِنْيَة بِنًى وجمع بُنْيَة بُنًى فبِنْيَة وبِنًى كَكِسْرة وكِسَر وبُنْيَة وبُنًى كظُلْمَة وظُلَم فأما المصدر من بنيت فممدود يقال بنيته بناء حسنا وما أحسن بناءك وقوله وان عاهدوا أوفوا أوفى أحسن اللغتين يقال وَفَى وأَوْفَى قال الشاعر فجمع اللغتين

أما ابن بِيضٍ فقد أَوْفَى بذمته • كما وَفَى بقِلاصِ النجم حاديها

وفى القرآن بَلَى مَنْ أَوْفَى بعَهْده وقال الله تبارك وتعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال عز وجل والموفونَ بعهدهم اذا عاهدوا فهذا كله على أَوْفَى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى

وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا فاقول ان كل منطيق محجوج والحجة حجتان عيان ظاهر وخبر قاهر فاذا تكلمنا فى العيان وما يفرع منه فلا بد من التعارف فى أصله وفرعه منه ولا بد من التصادق فى أصله والتعارف فى فرعه فالعقل هو المستدل والعيان والخبر هما علة الاستدلال وأصله ومحال كون الفرع مع عدم الأصل وكون الاستدلال مع عدم

من انه قتل مسلما بمعاهد وقال انا أولى من أوفى بذمته وقال السموأل فى اللغة الاخرى

وفيتُ بأدرع الكندىّ انى * اذا ماعاهدتُ أقوام وفيتُ

وقال المكعبر الضبى (قال أبو الحسن حفظى المكعبر)

وفيتُ وفاءً لم يرَ الناسُ مثله * بتعشار اذ تحبوا الى الاكابرُ

وقوله وان كانت النعماء فيهم جزوا بها * وان أنعموا الا كدّروها ولا كدّوا

يقول ماقال بجوبر ومثله وانى لأستحيى أخى أن أرى له * علىّ من الحق الذى لا يرى ليا

يقول أستحيى ان أرى نعمته علىّ ولا يرى على نفسه لى مثلها وقوله على جلّ حادث فهو الجليل من الامر يقال فلان يدعى الجلّى قال طرفة * وان أدع للجلّى أكن من حماتها وفيهم يقول الحطيئة

لقد مريتكم لو ان درتكم * يوما يجىء بها مسحى وابساسى

لما بدالى منكم غيب أنفسكم * ولم يكن لجراحى فيكم آسى

أزمعت يأسا مبينا من نوالكم * ولا ترى طاردا للحر كالياس

ماكان ذنب بغيض لا أبا لكم * فى بائس جاء يحدو آخر الناس

جارلقوم أطالوا هونَ منزله * وغادروه مقيما بين أرماس

ملّوا قراه وهرته كلابهم * وجرحوه بأنياب وأضراس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

قوله لقد مريتكم أصل المرى المسح يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها التدرّ ويقال مرى الفرس والناقة اذا قام أحدهما على ثلاث ومسح الأرض بيده الاخرى قال الشاعر

اذا حطّ عنها الرحل ألقت برأسها * الى شذب العيدان أو صفنت تمرى

وهذا من أحسن أوصافها وقال بعض المحدثين يصف برذونا بحسن الأدب (الشعر لمحمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله

عوّدته فيما أزور حبائبى * اهماله وكذاك كل مخاطر)

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

العقل مضمن بالدليل والدليل مضمن بالعقل ولا بد لكل واحد منها من صاحب وليس لابطال أحدهما وجه مع ايجاب الآخر والعقل نوع واحد والدليل نوعان أحدهما شاهد عيان يدل على غائب والآخر مجىء خبر يدل على صدق ثم رجع الكلام الى الاخبار عن دلائل النبى صلى الله عليه وسلم وأعلامه والاحتجاج لشواهده وبرهانه فأقول ان السلف الذين جمعوا

ويقال مراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ولمراه موضع آخر ومعناه مراه حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه وقد قرئ أفتمرونه على ما يرى أى تدفعونه وعلى فى موضع عن قال العامرى (هو القحيف العقيلى) اذا رضيت على بنو قشير • لعمر الله أعجبنى رضاها

وبنو كعب بن ربيعة بن عامر يقولون رضى الله عليك وأما الابساس فان تدعو الناقة باسمها أو تلين لها الطريق الى الحلب بقول أو مسح أوما أشبه ذلك فاذا كانت الناقة تدر على الدعاء والملق قيل ناقة بسوس وذلك من صفاتها فى حسن الخلق وقوله ولم يكن لجراحى فيكم آسى يقول مداو والآسى الطبيب قال الفرزدق يصف شجة

اذا نظر الآسون فيها تقلبت • حماليقهم من هول أنيابها العصل

والاساء الدواء ممدود قال الحطيئة

هم الآسون أم الرأس لما • تواكلها الأطبة والاساء

وأما الأسى فمقصور وهو الحزن من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تأس على القوم الكافرين وقال العجاج ياصاح هل تعرف رسما مكرسا • قال نعم أعرفه وأبلسا

• وانحلبت عيناه من فرط الأسى •

فاذا قلت الأسى قصرت أيضا وهو جمع أسوة يقال فلان أسوتى وقدوتى قال الله جل وعز لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والرمس التراب يقال رمس فلان فى قبره وأشعار الحطيئة فى هذا الباب كثيرة ولولا أنها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ولكنا نذكر منها شيأ مختارا فمن ذلك قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه • على خير ما يجزى الرجال بغيضا

فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم • وصادف منا فى البلاد عريضا

(كذا وقعت الرواية منا والصواب منأ أى بعدا مأخوذ من نأيت اذا بعدت ومنه النأى) يقول كثرت محاسنه حتى كذب ذامه فاستغنى عن أن يكثر مادحه ثقة بأن هاجيه غير مصدق فاعتبر هذا الكلام فانك تجده رأسا فى بابه ومن ذلك قوله

وانى قد علقت بحبل قوم • أعانهم على الحسب الثراء

اذا نزل الشتاء بجار قوم • تجنب جار بيتهم الشتاء

القرآن فى المصاحف بعد ان كان متفرقا فى الصدور والذين جمعوا الناس على قراءة زيد بعد أن كان غيرها مطلقا غير محظور والذين حصنوه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبى صلى الله عليه وسلم وبرهانه ودلائله وآياته وصنوف بدائعه وأنواع عجائبه فى مقامه وظعنه وعند دعائه واحتجاجه فى الجمع العظيم وبحضرة العدد الكثير الذين لا يستطيع الشك فى خبرهم الا الغبى

هُمُ الآسونَ أُمَّ الرأسِ لمَّا • تَوَاكَلها الأطبَّةُ والإساءُ

ثم قال يخاطب الزبرقان ورهطه

ألم أكُ نائياً فدعوتموني • فجاءَ بيَ المواعدُ والدعاءُ

فلما كنتُ جارَكُمُ أبيتم • وشرُّ مواطنِ الحسبِ الإباءُ

ولما كنتُ جارَهُمُ حبَوْني • وفيكم كانَ لو شئتم حِباءُ

فلما أن مدحتُ القومَ قلتم • هجوتَ وهل يحلُّ لي الهجاءُ

ولم أشتم لكم حسباً ولكن • حدوتُ بحيثُ يُستمعُ الحُداءُ

ويروى ان الحطيئة واسمه جرول بن أوس ويكنى أبا مليكة مرّ بحسان بن ثابت وهو ينشد (ش أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفنات من الجمع الكثير)

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى • وأسيافُنا يقطُرنَ من نجدةٍ دما

فالتفت اليه فقال كيف ترى فقال ما أرى بأساً فقال حسان انظروا الى الأعرابي يقول ما أرى بأساً أبو من قال أبو مليكة قال حسان ما كنتَ عليَّ أهونَ منكَ حيث اكتنيتَ بامرأة ما اسمك قال الحطيئة قال امض بسلام وكان الحطيئة في حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستعداء الزبرقان عليه في هذه القصة ولعمر يقول

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مرخٍ • حُمرِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

ألقيتَ كاسبَهم في قعرِ مظلمةٍ • فاغفر عليكَ سلامُ الله يا عمرُ

أنتَ الامامُ الذي من بعدِ صاحبه • ألقتْ اليكَ مقاليدَ النُّهى البشرُ

ما آثروكَ بها اذ قدَّموكَ لها • لكن بكَ استأثروا اذ كانت الأثرُ

ويروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال ويروى الأثرُ والواحدة أُثرةٌ وإثرةٌ ومعناه الاستئثار فرقَّ له عمر فأخرجه فيروى أن عمر رحمه الله دعا بكرسيٍّ فجلس عليه ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه ودعا باشفى وشفرة يوهمه أنه على قطعِ لسانه حتى ضجَّ من ذلك فكان فيما قال له الحطيئة يا أمير المؤمنين اني والله قد هجوتُ أبي وأمي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسم عمر رحمه الله ثم قال فما الذي قلتَ قال قلتُ لأبي وأمي والمخاطبة للام

الجاهل والعدو المائل لما استطاع اليوم ان يدفع كونها وصحة مجيئها لا زنديق جاحد ولا دهري معاند ولا متطرف ماجن ولا ضعيف مخدوع ولا حدث مغرور ولكان مشهورا في عوامنا كشهرته في خواصنا ولكان استبصار جميع أعياننا في حقهم كاستبصارهم في باطل نصاراهم ومجوسهم ولما وجد الملحد موضع طمع في غبي يستمليه وفي حدث يموه له ولولا كثرة ضعفائنا مع كثرة الدخلاء

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني • وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لها تنحي فاجلسي مني بعيداً • أراح الله منك العالمينا

أغربالاً اذا استودعت سراً • وكانوناً على المتحدثينا

(قوله كانونا قيل الكانون النمام وقيل الثقيل وقيل الذى اذا دخل على القوم كنوا حديثهم منه وقيل هو المصطلي وقيل انه هو كانون النار لانه يؤذي ويحرق) وقلت لامرأتي

أطوف ما أطوف ثم آوي • الى بيت قعيدته لكاع

فقال له عمر رحمه الله فكيف هجوت نفسك فقال اطلعت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت

أبت شفتاي اليوم الا تكلما • بسوء فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً قبح الله خلقه • فقبح من وجه وقبح حامله

ونزل أعرابي من طيئ يقال له المثنى بن معروف بأبي جبير الفزاري فسمعه يوما يقول والله لوددت أني أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان فقال له المثنى أحلالاً أم حراماً فقال ما أبالي فوثب عليه فضرب رأسه برحالة ثم انتقل وهو يقول

أبلغ أمير المؤمنين رسالة • على النأي أني قد وترت أبا جبر

كسرت على اليافوخ منه رحالة • لنصر أمير المؤمنين وما يدري

على غير شئ غير أني سمعته • بني بنساء المسلمين بلا مهر

وروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقام رجل منهم فقال أصلح الله الامير ان لي عليك حقا قال وما حقك قال سبك عبد الرحمن يوما فرددت عليه قال من يعلم ذلك قال أنشد الله رجلا سمع ذلك الا شهد به فقام رجل من الأسراء فقال قد كان ذلك أيها الامير قال خلوا عنه ثم قال للشاهد فما منعك أن تنكر كما أنكر قال لقديم بغضي اياك قال ويخلى عنه لصدقه وقال عمر بن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السلولي والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم قال أفتمنعني حقا قال لا قال فلا بأس انما يأسف على الحب النساء (وهم أبو العباس رحمه الله في قوله أبو مريم السلولي انما هو أبو مريم الحنفي وكان سبب بغضه اياه أنه قتل أخاه زيد بن الخطاب وكان أبو مريم صاحب مسيلمة الكذاب واسم أبي مريم اياس بن صبيح ثقة كوفي واسم أبي مريم السلولي

فينا الذين نطقوا بألسنتنا واستعانوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا لما تكلفنا كشف الظاهر واظهار البارز والاحتجاج الواضح الآن الذى دعا سلفنا الى ذلك الاتكال على ظهورها واستفاضة أمرها واذ كان ذلك كذلك فلم يؤت من أتى من جهالنا وأحداثنا وسفهائنا وخلفائنا الا من قبل ضعف العناية وقلة المبالاة ومن قبل الحداثة والغرارة ومن قبل انهم حملوا على عقولهم

مالك بن ربيعة من الصحابة روى عنه ابنه يزيد وغيره) وقال الحجاج لرجل من الخوارج والله انى لابغضكم فقال له الخارجى أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وأتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه وكان يزيد بن أبى مسلم يرى رأى الخوارج ويكتم ذلك فأقبل على المرأة فقال انظرى الى الامير فقالت لا أنظر الى من لا ينظر الله اليه فكلمها الحجاج وهى كالساهية فقال لها يزيد اسمعى ويلك من الامير فقالت بل الويل لك أيها الكافر الردى والردى عند الخوارج الذى له عقدهم ويظهر خلافه رغبة فى الدنيا وكان صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وصاحب دواوين العراق والذى قلب الدواوين الى العربية ثم كان على خراج العراق أيام ولى يزيد بن المهلب فأشجى يزيد وقد كان يرى رأى الخوارج فكايده يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل جواب الضبى وهو رأس من رؤس الخوارج وقال يزيد ان فعل برئت منه الخوارج وقتلته وان أمسك قتله الحجاج فقتله وخبرت أنه قال والله ما قتلته رغبة فى الحياة ولكنى خفت يسى الحجاج بناتى وكان يقول انى حين أقتل جوابا لحريص على الدنيا فلما عذبه عمر بن هبيرة فى خلافة يزيد بن عاتكة رمى به على قمامة وهو لما به فسمع بحكم عليها وحكم مالك بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رمق فى سجن هشام بن عبد الملك ودخل يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال له يزيد يا أمير المؤمنين رأيتنى والامر لك وهو عنى مدبر ولو رأيتنى والامر على مقبل لاستكبرت منى ما استصغرت واستعظمت منى ما استحقرت فقال أترى الحجاج استقر فى قعر جهنم بعد فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذاك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابر وهو يجىء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان

من دقيق الكلام قبل العلم بجليله ما لم تبلغه قواهم وتتسع له صدورهم وتحمله أقدارهم فذهبوا عن الحق يمينا وشمالا لان من لم يلزم الجادة تخبط ومن تناول الفروع قبل احكام الأصل سقط ومن خرق بنفسه وكلفها فوق طاقتها ولم ينل ما لا يقدر عليه تفلت منه ما كان يقدر عليه فاذا كانوا كذلك فانما أتوا من قبل أنفسهم ولم يؤتوا من سلفهم أولان الله تبارك وتعالى صرف

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وهذا باب من تكاذيب الاعراب حدثنى أبو عمر الجرمى قال سألت أبا عبيدة عن قول الراجز

أهدموا بيتك لا أبا لكا • وأنا أمشى الدألى حوالكا

فقلت لمن هذا الشعر فقال هذا يقوله الضب للحسل أيام كانت الاشياء تتكلم الدألى مشى كمشى الذئب يقال هو يدألى مشيه اذا مشى كمشية الذئب من ذلك قول امرئ القيس

أقبّ حنيتَ الركْضِ والدَّألانِ • ومن قال في بيت ابن عمَّة الضبى

(حقيبةُ رحلها بدنٌ وسرج) • تعارضه مُرَبّبةٌ دَؤُولُ

فانما أراد هذا ومن قال ذَؤُول فانما أراد السرعة يقال مر يذأل اذا مر بسُرعٍ وقوله حوالكا يقال هو يطوف حوالَهُ وحوله وحَوَالَيْه ومن قال حواليه بالكسر فقد أخطأ وفي القرآن نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ في النار ومن حولها وحواليه تثنية حوال كما تقول حنانيه الواحد حنان قال الشاعر

فقالت حنانٌ ما أتى بك ههنا • أذو نسب أم أنت بالحي عارفُ

والحنان الرحمة قال الله عز وجل وحنانا من لدنا وقال الشاعر (وهو الحطيئة) لعمر بن الخطاب رحمه الله

تحنن على هداك المليكُ • فان لكل مقام مقالا

وقال طرفة

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا • حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال قيل لرؤبة ما قولك

لو أنني عمرت سن الحسل • أو عمر نوح زمن الفطحل • والصخر مبتل كطين الوحل

ما زمن الفطحل قال أيام كانت السلام رطابا قوله سن الحسل مثل تضرب به العرب في طول العمر (ذكر ابن جني أن الحسل يعيش ثلثمائة سنة) وأنشدني رجل من بني العنبر أعرابي فصيح لعبيد بن أيوب العنبري

كأني وليلى لم يكن حل أهلنا • بواد خصيب والسلام رطابُ

وحدثني سليمان بن عبد الله عن أبي العميثل مولى العباس بن محمد قال تكاذب أعرابيان فقال أحدهما آخر خرجت مرة على فرس لي فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تنتبه فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فانجابت فقال الآخر لقد رميت ظبيا مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه وتزعم الرواة أن عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب قال لابني الجون الكنديين يوم جبلة ان لي عليكما حق الرحم ووفادتي فدعوني أنذر قومي من موضعي هذا فقالا وما شأنك فصرخ بقومه بعد أن قالا له شأنك فأسمعهم على مسيرة ليلة ويروى عن حماد الراوية قال قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها أرأيت قول أبيك

بني عامر هل تعرفون اذا غدا • أبو مكنف قد شد عقد الدوابر

أسلافنا بنسيان أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم في آخر الزمان وليعرضهم لطاعته بالذب عن دينه والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم وليجري هذا الخير على أيديهم كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم لئلا يبخس أحد خليقته من العلماء والفقهاء ولان يجعل فضله مقسما بين جميع الأولياء وان كان الأول أحق بالتقديم والآخر أحق بالتأخير الذي قدموا من الاحتمال وأعطوا من المجهود ولانهم أصل هذا الأمر ونحن فرعه والأصل أحق بالقوة من الفرع وهم السابقون ونحن التابعون وهم الذين وطؤا لنا

بجيش تضل البلق في حجراته • ترى الأكم منه سجدا للحوافر
وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى • كثير تواليه سريع البوادر
ابت عادة للورد ان يكره الوغى • وحاجة رمحي في نمير بن عامر

فقلت لأبي أحضرت هذه الوقعة فقال نعم قلت فكم كانت خيلكم قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه قال فذكرت هذا الابن أبي بكر الهذلي فحدثني عن أبيه قال حضرت يوم جبلة قال وكان قد بلغ مائة سنة وكان قد أدرك أيام الحجاج قال فكانت الخيل في الفريقين مع ما كان مع ابني الجون ثلاثين فرسا قال فحدثت بهذا الحديث الخثعمي وكان راوية أهل الكوفة فحدثني أن خثعم قتلت رجلا من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترثيه

لعمري وما عمري علي بهين • لنعم الفتى غادرتم آل خثعما
وكان اذا ما أورد الخيل بيشة • الى جنب أشراج أناخ فألجما
فأرسلها رهوا رعالا كأنها • جراد زهته ريح نجد فأتهما

فقيل لها كم كانت خيل أخيك فقالت اللهم اني لا أعرف الا فرسه قوله قد شد عقد الدوابر يريد عقد دوابر الدرع فان الفارس اذا حمي فعل ذلك وقوله تضل البلق في حجراته يقول لكثرته لا يرى فيه الأبلق والابلق مشهور المنظر لاختلاف لونه من ذلك قوله

فلئن وقفت لتخطفنك رماحنا • ولئن هربت ليعرفن الابلق

وحجراته نواحيه وقوله ترى الأكم منه سجدا للحوافر يقول لكثرة الجيش تطحن الأكم حتى تلصقها بالارض وقوله كمثل الليل يقول كثرة فيكاد يسد سواده الأفق ولذلك يقال كتيبة خضراء أي سوداء وكانت كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هو فيها والمهاجرون والانصار يقال لها الخضراء والمرتجس الذي يسمع صوته ولا يبين كلامه يقال ارتجس الرعد من هذا والوغى الاصوات والتوالي والتواحق يقال تلاه يتلوه اذا اتبعه وتلوت القرآن أتبعت بعضه بعضا والمتلية التي معها أولادها وقوله فأرسلها رهوا يقول ساكنة قال الله جل وعز واترك البحر رهوا ويقال عيش راه يا فتى أي ساكن ورعال جمع رعيل وهو ما تقدم من الخيل يقال جاء في الرعيل الاول قال عنترة

اذ لا أبادر في المضيق فوارسي • ولا أوكل بالرعيل الأول

وكلفونا ما لم نكن لنكلفه أنفسنا فتجرعوا دوننا المرار ومنحونا روح الكفاية ولان الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ولان القرآن نطق بفضيلتهم والله تعالى أعلم بمن بعدهم والذي جمع أسلافنا الذين جمعوا الناس على قراءة زيد دون أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود والذين رأوا من قول عبد الله في المعوذتين وقول أبي في سورتي ... العرب ومن تعلق الناس بالاختلاف فكانوا لا يزالون قد رأوا الرجل يروي الحرف الشاذ ويقرأ بالحرف الذي لا يعرفونه فرأوا ان تحصينه لا يتم الا بحمل الناس على المقروء

وقوله زهته ريح نجد فأتهم ما يقول رفعته واستخفته قال ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا وسلمت أشرقت • وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ومعنى أتهم أتى تهامة وزعم أبو عبيدة عمن حدثه أن بكر بن وائل أرادت الغارة على قبائل بنى تميم فقالوا ان علم بنا السليك أنذرهم فبعثوا فارسين على جوادين يربئان السليك فبصرا به فقصداه وخرج يمحص كأنه ظبي فطارداه سحابة يومهما فقالا هذا النهار ولو جن عليه الليل لقد فتر فجدا في طلبه فاذا بأثره قد بال فرغا في الارض وخدها فقالا قاتله الله ما أشد متنيه ولعل هذا كان من أول الليل فلما امتد به الليل فتر فاتبعناه فاذا به قد عثر بأصل شجرة فندر منها كمكان نبله وانكسرت قوسه فارتزت قصدة منها في الأرض فنشبت فقالا قاتله الله والله لا نتبعه بعد هذا فرجعا عنه وأتم الى قومه (ش يروى أتم بألف وتم بغير ألف ونم بالنون ومعنى تم الى قومه أى نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية ففي ذلك يقول

يكذبنى العمران عمرو بن جندب • وعمرو بن كعب والمكذب أكذب

ثكلتكما ان لم أكن قد رأيتها • كراديس يهديها الى الحى موكب

كراديس فيها الحوفزان وحوله • فوارس همام متى يدع يركبوا

فصدقه قوم فنجوا وكذبه قوم فورد عليهم الجيش فاكتسحهم وحدثنى التوزى قال سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من أخبار العرب فقال لى ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رصاص وثلثه من ثلج فتعارضها العرب بهذا وما أشبهه ومن ذلك قول مهلهل ابن ربيعة

فلو نشر المقابر عن كليب • فتخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعثمين لقر عينا • وكيف لقاء من تحت القبور

كأنا غدوة وبنى أبينا • بجنب عنيزة رحيا مدير

كأن رماحهم أشطان بئر • بعيد بين جاليها جرور

فلولا الريح أسمع من بحجر • صليل البيض تقرع بالذكور

(قال أبو الحسن يقال فلان زير نساء وطلب نساء وتبع نساء وخلب نساء اذا كان صاحب نساء وذلك أن مهلهلا كان صاحب نساء فكان كليب يقول ان مهلهلا زير نساء ولا يدرك بثار فلما أدرك

عندهم المشهور فيما بينهم وانهم ان لم يشددوا فى ذلك لم ينقطع الطمع ولم يتزجر الطير لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة لتبين له فى نظامها ومخرجها وفى لفظها وطبعها انه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنها وليس ذلك فى الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ فى طبائعهم ويجرى على ألسنتهم ان يقول رجل منهم الحمد لله وانا لله وعلى الله توكلنا وربنا الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله فى القرآن غير

مهلهل بثأر كليب قال أىُّ زير فرفع أبا بالابتداء والخبر محذوف فكأنه قال أىُّ زيرٍ أتانى هذا اليوم)

قال أبو العباس وحدثنى عمرو بن بحر قال أتيت أبا الربيع الغَنَوِىَّ وكان من أفصح الناس وأبلغهم ومعى رجل من بنى هاشم فقلت أأبو الربيع ههنا فخرج الىّ وهو يقول خرج اليك رجل كريم فلما رأى الهاشمىَّ استحيا من فخره بحضرته فقال أكرمُ الناس رديفا وأشرفهم حليفا فتحدثنا مليًّا ثم نهض الهاشمى فقلت لابى الربيع يا أبا الربيع مَنْ خيرُ الخلق فقال الناس والله فقلت مَنْ خيرُ الناس قال العرب والله قلت فمَنْ خيرُ العرب قال مُضَرُ والله قلت فمَنْ خير مُضَرَ قال قَيْسٌ والله قلت فمن خير قيس قال يَعْصُرُ والله قلت فمن خير يَعْصُرَ قال غَنِىٌّ والله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك والله قلت أفأنت خير الناس قال نعم اى والله قلت أيَسُرُّكَ ان تحتك بنت يزيد بن المُهَلَّب قال لا والله قلت ولك ألفُ دينار قال لا والله قلت فألفا دينار قال لا والله قلت ولك الجنةُ فأطرق ثم قال على ان لا تلدَ منى وأنشد

تأبى لاعصرَ أعراقٌ مهذّبةٌ • من ان تُناسبَ قوما غيرا أكفاء

فان يكنْ ذاكَ حتما لامَرَدَّ له • فاذكرْ حُذَيفَ فانى غيرُ أبّاء

قوله أكرم الناس رديفا فان أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِىَّ كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأشرفهم حليفا كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب وقوله فاذكر حذيف أراد حُذَيفةَ بن بَدر الفَزارِىَّ وانما ذكره من بين الاشراف لانه أقربهم اليه نسبا وذلك ان يَعْصُرَ ابن سعد بن قيس وهؤلاء بنو رَيْث بن غطفان بن سعد بن قيس وقد قال عُيَيْنةُ بن حصن يهجو ولد يعصر وهم غَنِىٌّ وباهِلةُ والطُفاوةُ

أباهلَ ما أدرى أمن لُؤْمِ مَنْصِبى • أُحِبُّكُمُ أم بى جنونٌ وأَوْلَقُ

أُسَيِّدُ أخوالى ويَعْصُرُ اخوتى • فمَنْ ذا الذى منى مع اللؤم أحمق

فقال الباهلى يجيبه

وكيف تُحِبُّ الدهرَ قوما هُمُ الأُولى • نَواصيكُمُ فى سالف الدهر حَلَّقوا

أَلَسْتَ فَزاريًّا عليك غَضاضةٌ • وان كنتَ كنديًّا فانكَ مُلصَقُ

وتحدثَ الرواةُ بأن الحجاج رأى محمد بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثقفى وكان يَنْسِبُ بزينب بنت يوسف فارتاع من نظر الحجاج فدعا به فلما عرفه قال مبتدئا

هاكَ يدى ضاقتْ بىَ الارضُ رَحْبُها • وان كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكان

ولو كنتُ بالعَنْقاء أو بِبَسُومها • لَخِلْتُكَ الا أن تَصُدَّ ترانى

انه متفرق غير مجتمع ولو أراد أنطق الناس ان يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان ورأوا بفهمهم وبتوفيق الله تعالى لهم ان يحصنوه مما يشكل ويمكن ان يفتعل مثله من الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير على البلغاء والشعراء وخافوا ان هم لم يتقدموا فى ذلك أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية لانهم حين رأوا كثرة الرواية فى غير ذوى السابقة ورأوا كثرة

ثم قال والله ان قلتُ الاخبرا انما قلتُ

يُخْبِئْنَ أطرافَ البَنانِ من التُقَى • ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليلِ مُعْتَجِراتِ

قال أجَلْ ولكن أخبرني عن قولك

ولما رأتْ رَكْبَ النُمَيْرِيِّ أعرضتْ • وكُنَّ من ان يلقَيْنَه حَذِراتِ

فى كَمْ كنتَ قال والله ان كنتُ الا على حمارٍ هَزِيلٍ ومعي رفيقي على أتانٍ مثله ومن ذلك ما يحكون في خبر لُقمان بن عاد فانهم يصفون أن جارية له سُئلت عما بقى من بصره لدخوله في السن فقالت والله لقد ضَعُفَ بصره ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيَّةٌ أنه ليَفْصِلُ بين أثر الانثى والذكر من الذَرّ اذا دَبَّ على الصَفا في أشياء تُشاكلُ هذا من الكذب وحُدِّثْتُ أن امرأة عِمْران بن حِطّان السَدُوسيّ قالت له أما حلفت أنك لا تكذب في شعر فقال لها أوَكان ذاك قالت نعم قلتَ

فكذاك مَجْزَأةُ بن ثَوْ • رٍ كان أشجعَ من أُسامَه

أيكون رجل أشجع من أسد فقال لها ما رأيت أسدا افتتح مدينة قطُّ ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رئاسة بكر فلما أسنَّ فَعَلَ عثمان بن عفان رضى الله عنه ذلك مع ابنه شَقيق بن مجزأة وقتل رحمه الله على شُشْتَرَ هو والبراء بن مالك وكانا من أبطال المسلمين) ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو يُنْشِدُ فوقف عليه فقال

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطَى • انَّ لله ما بأيدي العبادِ

فاسألِ الله ما طلبتَ اليهم • وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوّادِ

لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه • وتُسَمِّ البَخيلَ باسم الجَوادِ

وأنشدني الحسن بن رجاء لرجل من المحدَثين لم يُسَمِّه (وهو بكر بن النَطّاح في أبي دُلَف)

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كلِّهم • سوايَ فاني في مديحك أكذبُ

وأنشدني آخر لرجل من المحدَثين (أيضا قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح)

اني امتَدَحْتُكَ كاذبا فأثَبْتَني • لما امتدحتُكَ ما يُثابُ الكاذبُ

قال الاصمعي قلت لاعرابي كنت أعرفه بالكذب أصَدَقْتَ قطُّ قال لولا اني أخاف أن أصْدُقَ في هذا القلتُ لك وتحدثوا من غير وجه أن عمرو بن معدي كرب كان معروفا بالكذب وقيل لخلف

اختلافهما والغرائب التي لا يعرفونها لم يكن لهم الا تحصين الشئ الذي عليه مدار الأمر وان كانوا يعلمون ان الله بالغ أمره فعلى الأئمة ان تحوط هذه الأمة كما حاط السلف أولها وان يعملوا بظاهر الحيطة اذ كان على الناس الاجتهاد وليس عليهم علم الغيوب وانما ذلك كمثل رجل أبصر نبيا يحيي الموتى فعرف صدقه فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنده فعليه ان لا يكتمه وان كان يعلم ان الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره وانه عز ذكره سيسمعه حجته على حبه وكرهه ورأوا ان قراءة زيد أحق بذلك اذ كانت آخر العرض

الاحمر وكان شديد التعصب لليمن أكان عمرو بن معدى كرب يكذب فقال كان يكذب فى المقال ويصدق فى الفعال وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الاشراف كانوا يظهرون بالكناسة فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس فوقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصقعب النهدى فأقبل عمرو يحدثه فقال أغرت مرة على بنى نهد فخرجوا مسترعفين بخالد بن الصقعب فحملت عليه فطعنته فأذريته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال له خالد حلا أبا ثور ان قتيلك هو المحدث فقال يا هذا اذا حدثت فاسمع فانما نتحدث بمثل ما تسمع لنرهب به هذه المعدية قوله مسترعفين يقول متقدمين له يقال جاء فلان يرعف الجيش ويؤم الجيش اذا جاء متقدما لهم ويقال فى الرعاف رعف يرعف لا يقال غير رعف ويجوز يرعف من أجل العين وليس من الوجه وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الاخبار ان شاء الله وقوله حلا أبا ثور يقول استثن يقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن وخبرت أن قاصا كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب يقال انه فى الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج قال الشاعر * كما أكب على ذى بطنه الهرم * قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين ولذلك سمى هرما) فاتفق هرم معه فى مسجد وهو يقول حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم فقال له يا هذا أتعرفنى أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشئ قط فقال له القاص وهذا أيضا من عجائبك انه ليصلى معنا فى مسجدنا خمسة عشر رجلا اسم كل رجل منهم هرم بن حيان كيف توهمت أنه ليس فى الدنيا هرم بن حيان غيرك وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بنى اسرائيل فيظن به الكذب فقال له يوما الحجاج بن خنثمة ما كان اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل من ولد أبى موسى الاشعرى فى أى الكتب وجدت هذا قال فى كتاب عمرو بن العاص وقال القينى أنا أصدق فى صغير ما يضرنى ليجوز كذبى فى كبير ما ينفعنى وأنشد المازنى للاعشى وليس مما روت الرواة متصلا بقصيدة

فصدقتهم وكذبتهم * والمرء ينفعه كذابه

وروى أن رجلا وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فكذبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أسألك فتكذبنى لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم معنى ومقك أحبك يقال ومقته أمقه وهو على فعلت أفعل ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولى يلى وكذلك

ولان الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله فحملوا الناس على قراءة زيد دون أبى وعبد الله وان كان الكل حقا اذ كان رب حق فى بعض الزمان أقطع للقيل والقال وأجدر أن يميت الخلاف ويحسم الطمع فتركوا حقا الى حق العمل به أحق ولو أن فقيها رأى اطباق العلماء على صوم يوم عرفة واستنكارهم الافطار فيه فافطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة أو خاف ان يلحق الفرض على تطاول الايام ما ليس فيه كان مصيبا ولكان قد ترك حقا الى أحق منه وللحق درجات وللخلاف

وسع

وَسِعَ يَسَعُ كانت السين مكسورة وانما فتحت العين ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو ونحو وَجِلَ يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ والمصدر مِقَةٌ كقولك وعد يعد عدة ووجد يجد جدة وروى أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم قال يا رسول الله انما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أستسر بخلال أربع الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب فأيهن أحببت تركت لك سرا فقال رسول الله دع الكذب فلما ولى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هم بالزنا فقال يسألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حدثت فلم يزن ثم هم بالسرق ثم هم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد تركتهن جمع وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له معاوية كذبت فقال له الاعرابي الكاذب مُتَزَمِّلٌ في ثيابك فقال معاوية هذا جزاء من عجل وقال معاوية يوما للأحنف وحدثه حديثا أتكذب فقال والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين أهله ودخل عبد الله بن الزبير يوما على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتهن وكان واجدا عليه فقال معاوية هات فأنشده

اذا أنت لم تُنْصِفْ أخاك وجدته • على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه • اذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه معن بن أوس المزني فقال له أقلت بعدنا شيأ قال نعم يا أمير المؤمنين فأنشده

لعمرك ما أدري واني لأوجل • على أينا تعدو المنية أول

حتى صار الى الابيات التي أنشدها ابن الزبير فقال له معاوية يا أبا بكر أما ذكرت آنفا ان هذا الشعر لك قال أنا أصلحت معانيه وهو ألف الشعر وهو بعد ظئري فما قال من شئ فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعا في مزينة وحدثت ان عمر بن عبد العزيز كتب في اشخاص اياس بن معاوية المزني وعدي بن أرطاة الفزاري أمير البصرة وقاضيها يومئذ فصار اليه عدي فقرب ان يعزنه عند الخليفة فقال يا أبا واثلة ان لنا حقا ورحما فقال اياس أعلى الكذب تريدني والله ما يسرني أني كذبت كذبة يغفرها الله لي ولا يطلع عليها الا هذا وأومأ الى أبيه ولي ما طلعت عليه الشمس (قال أبو الحسن التمزز المدح ولم أسمع هذه اللفظة الا من أبي العباس وهي عندي مشتقة من

درجات وللحرام درجات ألا ترى ان لولي المقتول أن يقتل أو يصفح وانه ان قتل قتل بحق وان صفح صفح بحق والصفح أفضل من القتل ولو ان رجلا أخرج سا كنا بيتا له أو اقتضى دينا له عند حلول أجله أو طلق زوجته وما دخل بها لكان ذلك له والحق فعل وغير ذلك الحق أولى به وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن والثواب فيه أعظم والى سلامة الصدور أقرب وقد يكون الامران حسنين وأحدهما أحسن وقد يكون الامران قبيحين وأحدهما أقبح وبعد فعلى الناس طاعة الائمة في كل ما أمروا به الا فيما تبين أنه معصية فأما غير ذلك فانه

واجب مفروض ولازم غير مدفوع وعلموا أيضا انهم لا يبقون الى آخر الزمان وان من يجيء بعدهم لا يقوم مقامهم ولا يفصل الامور تفصيلهم ولو عرفوا كمعرفتهم وأرادوا ذلك كارادتهم لما أطيعوا كطاعتهم وعلموا أن الاكاذيب والبدع ستكثر وان الفتن ستفتح وان الفساد سيفشو فكرهوا أن يجعلوا للمتطرقين علة ولأهل الزيغ حجة بل لاشك انهم لو تركوا الناس عامة يقرؤن على حرف فلان وكلما أجاز فيه فلان عن فلان لألحق قوم في آخر الزمان بهم من ليس منهم ولا يجرى مجراهم ولا يجوز مجازهم

المازن وهو النمل وبهذا سميت مازن كأنه أراد منه أن يكبره وروى يكثره قال القتبي المازن بيض النمل قال الشيخ قوله ان يمزنه عند الخليفة أى كأنه يجعله سيد مزينة لأنه كان مزنيا والصواب يمزره قال الموصلي • وإني مع ذا الشيب حلو مزير • ولم يكن في القضاة وانما كان أميرا على البصرة الى ان مات عمر وكتب عمر الى عدي اجمع ناسا من قبلك وشاورهم في اياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة واستقض أحدهما فولى عدي ایاسا) ويروى أن أخا اياس صار الى ابن هبيرة فقال طرقني اللصوص فخار بهم فهزمتهم وظفرت منهم بهذا المغول فجعله ابن هبيرة تحت مصلاه ثم بعث الى الصياقلة فاحضرهم فقال أيعرف منكم الرجل عمله قالوا نعم فاخرج المغول فقال من عمل أيكم هذا فقال قائل منهم أنا عملت هذا واشتراه مني هذا أمس (المغول سيف صغير)

(تم الجزء الأول من كتاب الكامل ويليه الجزء الثاني)

(وأوله باب ما يجوز فيه يفعل الخ)

الجزء الثاني

من كتاب الكامل
في اللغة والادب تأليف العلامة
الهمام علم الائمة الاعلام أبي العباس محمد
ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفى سنة ٢٨٥
هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

﴿ في مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه ﴾
وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وماسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري المتوفى بالبصرة في المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين

﴿ محل مبيعه ﴾
(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبي وأخيه)
((بجوار المسجد الحسيني بمصر))

﴿ الطبعة الأولى ﴾
﴿ بمطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه ﴾
﴿ سنة ١٣٢٤ هجريه ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(باب ما يجوز فيه يَفْعَلُ فيما ماضيه فَعَلَ مفتوح العين)

اعلم ان كل فعل على فَعُلَ فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل فى نفسه وتأويله الانتقال وذلك قولك كَرُمَ عبدُ الله وظَرُفَ عبد الله وتأويل قولى الانتقال انما هو انتقال من حال الى حال تقول ما كان كريما ولقد كَرُمَ وما كان شريفا ولقد شَرُفَ فهذا تأويله فاما قولهم كُدْتُ أكَادُ فانما كُدْتُ معترضة على أكاد وما كان من فَعِلَ الصحيح فانه يَفْعَلُ نحو شَرِبَ يَشْرَبُ وعَلِمَ وفَرِقَ ويكون متعديا وغير متعد تقول حَذِرْتُ زيدا وعَلِمْتُ عبد الله ويكون فيه مثل سَمِنْتُ وبَخِلْتُ غير متعد وكله على يَفْعَلُ نحو يَسْمَنُ ويَبْخَلُ ويَعْلَمُ ويَطْرَبُ فاما قولهم فى الاربعة من الافعال يَحْسِبُ ويَيْئِسُ ويَنْعِمُ ويَبْئِسُ فهى معترضة على يَفْعَلُ تقول فى جميعها يَحْسَبُ ويَنْعَمُ ويَيْأَسُ ويَبْأَسُ وما كان على فَعَلَ فبابه يَفْعُلُ ويَفْعِلُ نحو قتل يقتُل وضرب يضرِب وقعد يقعُد وجلس يجلِس فقد أنبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فاما يَأْبَى ويَقْلَى فلهما علة تَبَيَّنُ عند ما أذكرها لك ان شاء الله ولا يكون فَعَلَ يَفْعَلُ الا أن يكون يعرض له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عينا افتَحَ نفسه وان كان لاما فتح العينَ وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ قَرْآ يا فتى وقراءة وسأل يسأل

(فصل منه فى الاحتجاج للجمع على قراءة زيد)
ولو كان زيد من آل أبى العاص أو من عرض بنى أمية لوجد ابن مسعود متعلقا ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد الى القول سبيلا ولو كان ابن مسعود رجلا من بنى هاشم لوجد للطعن موضعا ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبد بذلك الرأى على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله وجميع

وجبه

وجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع وظعن يظعن وضبع يضبع وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز ان يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزأر وفرغ يفرغ وصبغ يصبغ الا ان الفتح لا يكون فيهما ماضيه فعل الا وأحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب في يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة في موضع فائه والقول عندي على ما شرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالف وهي من حروف الحلق ولكن لم نذكرها لانها لا تكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هي حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذي ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فعل يفعل في المعتل كحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلغ والاصل يلغ لحرف الحلق فتحه

﴿باب﴾

روى عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه انه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال مابال أبي العباس لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى علي رحمه الله قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ما سميته قال أويجوز لي ان أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذه اليك أبا الأملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه وكان علي سيدا شريفا بليغا وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات وضرب بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما في تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ما تصنعين به قالت أميط عنها الأذى فطلقها فتزوجها علي بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لان مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال علي بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لاكون لها محرما وأما ضربه اياه في المرة الثانية فانا نرويه من غير وجه ومن أتم ذلك ما حدثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخي (هو محمد بن شجاع الثلجي كذا صوابه) في اسناد له متصل لست أحفظه

المهاجرين والانصار لوجد للتهمة مساغا فاما والامر كما وصفنا وبينا فالطاعن على عثمان الا رجل أخطأ خطة الحق وعجل على صاحبه ولكل بني آدم من الخطأ نصيب والله عز ذكره يغفر له ويرحمه والذي يخطئ عثمان في ذلك فقد خطأ عليا وعبد الرحمن وسعدا والزبير وطلحة وما عليه الصحابة ولو لم يكن ذلك رأى علي لغيره ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ولو لم يمكنه في زمن عثمان لامكنه في

يقول فى آخر ذلك الاسناد رأيت عليا بمصر وبابا السوط يدار به على بعير ووجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلت ما هذا الذى نسبوك فيه الى الكذب قال بلغهم قولى ان هذا الأمر سيكون فى ولدى والله ليكونن فيهم حتى تملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر فى شبيه باسناده أن على بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما اذكره لك انما ينبغى أن يكون دخل على هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال له وتستوصى بابنى هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى على قال الخليفة لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع ذلك على فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان قال أبو العباس أما قولى ان الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان فلان محمد بن على بن عبد الله كان يمتنع من تزوج الحارثية للحديث المروى فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له انى أردت أن أتزوج بنت خالى من بنى الحرث ابن كعب أفتأذن لى فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغى أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (ش كذا وقع فى الأم والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثل هذا الا فى أيام هشام وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثنى التوزى قال قال على بن عبد الله سايرت يوما عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج قادما عليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فغضب عبد الملك فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال حضر على عبد الملك وقد أهدى له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهى من سبى الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابنى على وذكر جعفر بن عيسى أنه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه فرض سليمان من جدرى خرج عليه فانصرف على من مصلاه

زمن نفسه وكان لا أقل من اظهار الحجة ان لم يملك تحويل الأمة وكان لا أقل من التعريض ان لم يكن من النصح على ثقة بل لم يكن لعثمان فى ذلك مالم يكن لجميع الصحابة وأهل القدم والقدوة ومع ان الوجه فيما صنعوا واضح بل لا نجد لما صنعوا وجها غير الاصابة والاحتياط والاشفاق والنظر للعواقب وحسم طعن الطاعن ولو لم يكن ماصنعوا لله تعالى فيه رضا لما اجتمع عليه أول هذه

فاذا بها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعد فسأله عن
ذلك فقالت خفت أن يموت سليمان فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالآن اذ ولدت صالحا فبالحرى ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخر وليس مثلي اليوم من وطئه
الرجال وزعم جعفر أنه كانت فيها رتة فالرتة تعذر الكلام اذا أراده الرجل فهي الآن معروفة في
ولد سليمان وولد صالح وكان علي يقول أكره أن أوصي الى محمد وكان سيد ولده خوفا من أن أشينه
بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دفن علي جاء محمد الى سعدى فقال أخرجي الي وصية أبي فقالت
ان أباك أجل من أن تخرج وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمان فقال
يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنت لأثرب على أبي بعد
موته كما لم أثرب عليه في حياته قال أبو العباس التمتمة التردد في التاء والفأفأة التردد في الفاء والعقلة
التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف في حرف
والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شيء اتصل والغمغمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك
تقطيع الحروف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم واللكنة أن تعترض على
الكلام اللغة الاعجمية وسنفسر هذا بحججه حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللثغة أن يعدل
بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام
يقال رجل فأفاء يا فتى تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام قال الراجز

يا مي ذات الجورب المنشق • أخذت خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الالف الاولى والصحيح أنه بالهمز على فعلال مثل خضخاض
وقمقام فالذي حكى أبو العباس غلط لان سيبويه رحمه الله قال ليس في الصفات فاعال قال
أبو الحسن يقال خاتم على وزن دانق وخاتم على وزن ضارب وخيتام على وزن ديار وخاتام على وزن
ساباط) وقال ربيعة الرقي في مدحه يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب وربيعة احتج به الاصمعي
وذمه يزيد بن أسيد السلمي

لشتان ما بين اليزيدين في الندى • يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي اتلاف ماله • وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

الأمة وآخرها وان أمرا
اجتمعت عليه المعتزلة
والشيعة والخوارج
والمرجئة لظاهر الصواب
واضح البرهان على اختلاف
أهوائهم وبغيتهم لكل
ما ورد عليهم فان قال قائل
هذه الروافض بأسرها
تأبى ذلك وتنكره وتطعن
فيه وترى تغييره قلنا ان
الروافض ليست منا
بسبيل لان من كان أذانه
غير أذاننا وصلاته غير
صلاتنا وطلاقه غير طلاقنا
وعتقه غير عتقنا وحجه
غير حجنا وفقهاؤه غير

فلا يحسب القمقام أني هجوته • ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا   ليس بفأفاء ولا تمتام • ولا محب سقط الكلام

وقال الشاعر   وقد تعتريه عقلة في لسانه • اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر في أيام محاربة الزط فاعترتني حبسة في لساني وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرن على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرن على العمل والرجل الى التمرن على المشي وكما يعانيه موتر القوس ورافع الحجر ليصلب وينشد قال الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق • من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبته وقال العتابي اذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف واما الرتة فانها تكون غريزة قال الراجز

• يا أيها المخلط الارت •

ويقال انها تكثر في الاشراف ولم توجد تختص واحدا دون واحد واما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثني من لا أحصي من أصحابنا عن الاصمعي عن شعبة عن قتادة قال قال معاوية يوما من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعي وجرم من فصحاء الناس قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف في المخرج وأنها مهموسة مثلها فأرادوا البيان في الوقف لأن في الشين تفشيا فيقولون للمرأة جعل الله البركة في دارش ويحك مالش والتي يدرجونها يدعونها كافا والتي يقفون عليها يبدلونها شينا وأما بكر فتختلف في الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس واما الغمغمة فما ذكرت لك وقال الهارب لامرأته يوم الخندمة وذلك أنها نظرت اليه يحد حربة في يوم فتح مكة فقالت ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال لها اني لأرجو أن أخدمك بعضهم

وأنشأ

فقهائنا وامامه غير امامنا وقراءته غير قراءتنا وحلاله غير حلالنا وحرامه غير حرامنا فلا نحن منه ولا هو منا ولأي شيء جانب عن قراءة ابن مسعود فوالله ما كان أحد أفرط في العمرية منه ولا أشد على الشيعة منه ولقد بلغ من حبه لعمر رضي الله عنه ان قال لقد خشيت الله تعالى في حبي لعمر فلم يحامون عنه وهو كان شجاهم لو أدركهم

(فصل منه) فأمن الله رجلا فارقهم ولزم الجماعة

وأنشأ يقول (الحارب هو أبو عثمان الهذلي ويقال له الرقاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخي بني بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشي فيه اسراع فأضيف الى اليوم لما كثر فيه)

ان تقبلوا اليوم فما بي علة • هذا سلاح كامل وألة • وذو غرارين سريع السلة

الألة الحربة والغرار ههنا الحد يعني بذي غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخندمة • اذ فر صفوان وفر عكرمة • ولحقتنا بالسيوف المسلمة
يفلقن كل ساعد وجمجمة • ضربا ولا تسمع الا غمغمة • لهم نهيت حولنا وحمحمة
• لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة •

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبري له حول النعام كأنها • حزق يمانية لاعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيى صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرتضخ لكنة رومية ويذكرون أن نسبه في النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب في قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع علي سباء وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب

عميرة ودع ان تجهزت غاديا • كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك فقال ما سعرت يريد ما شعرت وكان عبيد الله ابن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسواري ويقال ان عليا عليه السلام عاد زيادا في منزل شيرويه فقال عبيد الله يوما لرجل كلمه فظن به رأي الخوارج (الرجل الذي كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هاني بن قبيصة) أهروري منذ اليوم يريد أحروري وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصناف من العجم وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المهلب بن

فان فيها الأنس والجنة وترك الفرقة فان فيها الوحشة والشبهة والحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أئمتنا كما جعلنا لا نفرق بين أنبيائنا

(فصل منه) والذي دعانا الى تأليف حجج الرسول ونظمها وجمع وجوهها وتدوينها انها متى كانت مجموعة منظومة نشط لحفظها وتفهمها من كان عسى ان لا ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها وجمع متفرقها وعلى الفظ المؤثر عنها

أبي صُفْرَةَ في مدحه اياه فتىً زاده السُلْطانُ في المدح رغبةً ● اذا غيَّرَ السُلْطانُ كلَّ خليلِ

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال

السلتان واما الغُنَّة فتُسْتَحْسَنُ من الجارية الحديثة السن لانها امالم تُفرط تميل الى ضرب من

النغمة قال ابن الرقاع العاملي يصف الظبية وولدها

تُزْجي أغَنَّ كأنَّ ابرةَ رَوْقِه ● قَلَمٌ أصابَ من الدَواة مدادَها

ومن كان عسى ان لا يعرف وجه مطالبها والوقوع عليها ولعل بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها ولعل بعضهم وان كان قد عرفها بحقها وصدقها فلم يعرفها من أسهل طرقها وأقرب وجوهها ولعل بعضهم ان يكون قد كان عرف فنسي أو تهاون بها فعمي بل لا نشك انها اذا كانت مجموعة محبرة مستقصاة مفصلة انها استزيد في بصيرة العالم ويجمع الكل لمن كان لا يعرف الا البعض

﴿ باب ﴾

قال محمد بن عبد الله بن غير الثقفي

لم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيتُه ● خَرَجنَ من التنعيم مُعتَجِراتِ

مَرَرنَ بفخٍّ ثم رُحنَ عشيّةً ● يُلبّينَ للرحمن مؤتجِراتِ

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نُعمانَ أن مشتْ ● به زينبٌ في نسوةٍ عطِراتِ

وقامت تَراآى يومَ جَمعٍ فأفتنتْ ● برؤيتها مَن راحَ من عرفاتِ

ولمّا رأتْ رَكْبَ النُمَيري أعرضتْ ● وكُنَّ مِنَ ان يَلقينَه حذِراتِ

دعتْ نسوةً شُمَّ العرانين بُدَّناً ● نواعمَ لا شُعثاً ولا غبِراتِ

(ويروى ولا غَفِرات بالفاء أخت القاف من الغَفَر وهو الشعر الذي ينبت في الجبين يقال غَفِرَتِ المرأةُ اذا نبت لها ذاك الشعر)

فأدنَيْنَ لما قُمنَ يحجُبنَ دونها ● حجاباً من القَسّيّ والحِبَراتِ

أُحِلّ الذي فوقَ السموات عرشُه ● أوانسَ بالبطحاء مُعْتَمِراتِ

يُخَبِّئنَ أطرافَ البنان من التُقَى ● ويخرجنَ جُنحَ الليل مُعتَجِراتِ

قوله مثلَ سِرب رأيته هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من الطير كما قال

لم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيتُه ● خرجنَ علينا من زُقاق ابن واقف

فهذا يعني نساء (القطيعُ من السباع يقال له سِربٌ قاله ابن جني وكذلك من الماشية كلها) ويقال

مرّت بنا سُربةٌ من الطير في هذا المعنى قال ذو الرمّة

سوى ما أصابَ الذئبُ منه وسُربةٌ ● أطافتْ به من أُمّهاتِ الجوازلِ

ويقال

ويقال فلان واسع السَّرْب يعني بذلك الصدر ويقال خَلِّ لفلان سَرْبه أي طريقه الذي يسرب فيه ويقال للابل كذلك بالفتح لأذعرنّ سربكَ ويقال حَذِرات وحَذُرات ويقظ ويقُظ قال ابن أحمر

هل ينسأنْ يومي الى غيره • أنّي حوالِيٌّ وأني حذُر

وقوله وكن من ان يلقينه حذرات الاصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تُلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول مَن ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومَن اخوانك ومَن أم زيد فتضم النون وتكسرها وتفتحها على ما ذكرتُ لك وتقول الذي يُخرج الخَب في السموات وفلان له هيئة وهذه مَرَة اذا خففت الهمزة في الخَبء والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سَلْ بني اسرائيل لانها كانت اسئل فلما حركت السين بحركة الهمزة سقطت ألف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف في هذا الموضع بحذف الهمزة لان الهمزة اذا خففت قربت من الساكن والدليل على ذلك أنها لا تبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجرى مجرى الساكن حذفت المعتلّ منها كما تحذف لالتقاء الساكنين وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشمّاء السابغة الانف والمصدر الشَّمَم وقال أحد الشعراء يمدح قُثَم بن العباس

نجوتِ من حَلّ ومن رحلةٍ • يا ناقَ ان قرّبتِني من قُثَمْ

انك ان قرّبتنيه غدا • عاش لنا اليُسْر ومات العَدَمْ

في باعه طولٌ وفي وجهه • نور وفي العرنين منه شَمَمْ

لم يدر ما لا وبلى قد درى • فعافها واعتاض منها نَعَمْ

(قال أبو الحسن أنشدنيه أبي لسليمان بن قتّة وزادني

أصمّ عن ذكر الخنا سمعه • وما عن الخير به من صَمَمْ)

والعرنين والمرسن والانف واحد لما يحيط بالجميع والبُدّن واحدها بادن كقولك شاهد وشُهّد وضامر وضُمّر وهو العظيم البدن يقال بدُن فلان اذا كثر لحمه وبدّن اذا أسن وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد بدّنتُ فلا تسبقوني بالركوع والسجود (من رواه بدُنتُ بضم الدال فقد أخطأ لان بدُن بمعنى ضخُم ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين

ويذكر الناس ويكون عدة على الطاعن ولعل بعض من ألحد في دينه وعمى عن رشده وأخطأ موضع حظه ان يدعوه العجب بنفسه والثقة بما عنده الى ان يلتمس قراءته التقدم في نقضها وافسادها فاذا قرأها فهمها واذا فهمها انتبه من رقدته وأفاق من سكرته لعز الحق وذل الباطل ولاشراف الحجة على الشبهة ولان من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجاذاه لان

الرجلين ومعنى بدّن بالتشديد أسنّ) والأشعث والشعثاء الخاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

مَن كان حين تمسّ الشمس جبهته • أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته • فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا

(قال أبو الحسن وزادني أبي

في بطن مظلمة غبراء مقفرة • كيما يطيل بها في بطنها اللبثا
تجهّزي بجهاز تبلغين به • يا نفس واقتصدي لم تخلقي عبثا)

وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر الى أم عمرو بنت مروان بن الحكم وكانت صارت اليه متنكرة فرآته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها فعلمت ذلك فبعثت اليه لا ترفع بي صوتا وأهدت له ألف دينار فاشترى بها عطرا وبزّا وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال اذا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول

وكم من قتيل لا يباء به دم • ومن غلق رهنا اذا ضمّه منى
وكم مالئ عينيه من شئ غيره • اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يجررن أذيال المروط بأسوق • خدال اذا ولّين أعجازها روى
أوانس يسلبن الحليم فؤاده • فيا طول ما حزن ويا حسن مجتلى
فلم أر كالتجمير منظر ناظر • ولا كليالي الحج أفتن ذا هوى

وفيها أيضا يقول

أيها الرائح المجدّ ابتكارا • قد قضى من تهامة الاوطارا
ليت ذا الحج كان حتما علينا • كل شهرين حجة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا انه يقال أباءت فلانا بفلان فباء به اذا قتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثاني كفء للاول فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحرث بن عباد فقيل للحرث ولم يكن دخل في حربهم ان ابنك قد قتل فقال ان ابني لأعظم قتيل بركة اذا أصلح الله به بين ابني وائل فقيل له انه لما قتل قال مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال

قربا مربط النعامة مني • لقحت حرب وائل عن حيال

الانسان لا يباهي بنفسه والحق بعد قاهر له ومع التلاقي يحدث التباهي وفي المحافل يقل الخضوع ويشتد النزوع ثم رجع الكلام الى حاجة الناس الى استماع الاخبار والتفقه في تصحيح الآثار فأقول ان الناس قد استغنوا عن التكرير وكفوا مؤنة البحث والتنقير لقلة اعتبارهم ومن قل اعتباره قل علمه ومن قل علمه قل فضله ومن قل فضله كثر نقصه ومن قل علمه وفضله

لا بُجَيرُ أغنى فتيلا ولا رهـ ـطُ كُلَيبٍ تَزاجَروا عن ضلال
لم أكن من جُناتها علم الله واني بحرّها اليوم صالي

وقالت ليلى الأخيلية   فان تكن القتلى بَواءً فانكم • فتى ما قتلتم آلَ عوف بن عامر

وقال عمرو بن حُيَيّ التغلبي   ألا تنتهي عنّا ملوكٌ وتتّقي • محارمَنا لا يَبُوءُ الدمُ بالدم

ويقال باء فلانٌ بذنبه أي بخع به وأقرّ قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكمُ في غير مُلككم • لَبُؤتُ به أو غَصّ بالماء شاربُهْ

ويقال باء فلانٌ بالشيء من قول أو فعل أي احتمله فصار عليه وقال المفسرون في قول الله جل وعز اني أريد أن تَبوء باثمي واثمك أي يجتمعا عليك فتحملهما او أماقوله ومن غلق رهن فن جرفهو من قولهم رهنٌ غَلِقٌ فلما قدّمَ النعت اضطرارا أبدل منه المنعوت ولو قال ومن غَلِقٍ رهنًا فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غَلِق وقوله اذا ضمه مِنًى فانما سميت مِنًى لما يُمْنَى فيها من الدم يقال في المَنِيّ وهي النُطفة مَنَى الرجلُ وأمْنَى والقراءة أفرأيتم ما تُمْنُونَ ويقال مَذَى الرجلُ وأمْذَى ووَدَى وأوْدَى فقولهم وَدَى يعني البِلّةَ (بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التي تكون في عَقِب البول كالمَذْيِ واما المذي فيعتري من الشهوة والحركة وقال علي بن أبي طالب رحمه الله كلُّ فحلٍ مَذّاءٌ ومن كلام العرب كل فحل يَمْذِي وكل أنثى تَقْذِي وهو أن يكون منها مثل المذي ولِمَنًى موضع آخر يقال مَنَى الله لك خيرا أي قدّر لك خيرا ويقال مَنَى الله أنْ ألقى فلانا أي قَدّرَ والمَنِيّةُ من ذا يقال لقي فلان منيته أي ما قُدِّرَ له من الموت فاما المَنِيئةُ بالهمز فهي المَدْبَغةُ وهي المكان الذي يُدْبَغُ فيه وقوله اذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُمَى الجمرة انما سميت لاجتماع الحصى فيها ومن ثم قيل لا تُجَمِّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أي لا تجمعوهم في المَغازي والتجمير التجميع وكذلك قيل في جَمَرات العرب وهم بنو نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عُلَةَ بن جَلْدٍ وبنو ضَبّةَ بن أُدِّ بن طابخة وبنو عَبْسِ بن بَغِيضِ بن رَيْثٍ لانهم تجمعوا في أنفسهم ولم يُدْخِلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة لم يَعْدُدْ فيهم عَبْسًا في كتاب الديباج ولكنه قال فَطَفِئَتْ جمرتان وهما بنو ضَبّةَ لانها صارت الى الرِباب فحالفت وبنو الحرث لانها صارت الى مَذْحِج وبقيت بنو نُمَيْرٍ الى الساعة لانهم لم تُحالف وقال النميريّ يُجيبُ جريرا

وكثر نقصه لم يحمد على خير أتاه ولم يذم على شر جناه ولم يجد طعم العز ولا سرور الظفر ولا روح الرجا ولا برد اليقين ولا راحة الأمن وكيف يشكر من لا يقصد وكيف يلام من لا يتعمد وكيف يقصد من لا يعلم وما عسى ان يبلغ قدر سرور من لا يحس من السرور الا بما مرت به حواسه ومسه جلده وكيف يأتي أرجح الأفعال وأبعد الشرين من ركب شراسة السباع وغباوة البهائم

غَمْزُ جمرةُ العرب التى لم * تزلْ فى الحروب تَلتهبُ التهابا

وانى اذ أُسَبُّ بها كُلَيْبًا * فتحتُ عليهمُ للخسف بابا

وقال فى هذا الشعر ولولا أن يقال هَجا نُمَيرا * ولم نسمع لشاعرها جوابا

رَغِبْنا عن هجاء بنى كُلَيْب * وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكلابا

وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

لَيتَ شعرى هل أقولن لركب * بفلاةٍ هُمُ لديها هُجوعُ

طالما عَرَّسْتُمُ فاستقلوا * حان من نجم الثُرَيّا طلوعُ

ان هَمّى قد نفى النوم عنى * وحديثُ النفس شئٌ وَلوعُ

قال لى فيها عَتيقٌ مَقالًا * فجَرَتْ مما يقولُ الدموعُ

قال لى ودِّعْ سُلَيْمَى ودَعْها * فأجابَ القلبُ لا أستطيعُ

لا تَلُمْنى فى اشتياقى اليها * وابكِ لى مما تُجِنُّ الضُلوعُ

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وانما يريد الثريا بنت على بن عبد الله بن الحرث بن أُمَيَّةَ الاصغر وهم العَبَلاتُ وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريضَ المُغَنّى واسمه عبد الملك ويُكنى أبا يزيد ويقول اسحق بن ابراهيم الموصلى انما سمى الغريضَ بالطَلْعِ لان الطلع يقال له الاغريضُ وليس هو عندى كما قال انما سمى الغريضَ لِطَراءته يقال لحم غريضٌ وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى فنقلها الى مصر فقال عمر يَضرِبُ لهما المثل بالكوكبين

أيها المُنكِحُ الثُرَيّا سُهيلًا * عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان

هى شاميّةٌ اذا ما استقلّتْ * وسُهَيلٌ اذا استقلَّ يمانى

وقوله قال لى فيها عتيق مقالا يزعم الرواة أن كل شئ ذَكرَ فيه عتيقا أو بَكْرًا فانما يعنى ابن أبى عتيق (ابن أبى عتيق هو عبد الله بن أبى عتيق بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بن أبى قُحافةَ وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابى وأبوه عبد الرحمن صحابى وجده أبو بكر صحابى وجد أبيه أبو قحافة صحابى ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبى عتيق غلبت عليه الدُعابةُ وشُهِرَ بها) وكان ابن أبى عتيق من نُسّاكِ قريش وظُرَفائهم بل كان قد بَذَّهُم ظَرْفًا وله أخبار كثيرة سيمر بعضها فى

ثم لم يعط الآلة التى بها يستطيع التفرقة بين ما عليه وله والعلم بمصالحه ومفاسده فيقوى بها على عصيان طبائعه ومخالفة شهواته وبها يعرف عواقب الأمور وما تأتى به الدهور وفضل لذة القلب على لذة البدن وان سرور الجاهل لا يحسن فى جنب سرور العالم وان لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم وأى سرور كسرور العز والرياسة واتساع المعرفة وكثرة صواب الرأى

الكتاب ان شاء الله فمن ظريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة

فنائلت منها محرماً غير أننا • كلانا من الثوب المطرّف لابس

فقال أبنا يلعب ابن أبي ربيعة فأي محرم بقي فركب بغلته متوجها الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم قال ان ذا الحاجة لا يحرم فلقي ابن أبي ربيعة فقال أما زعمت أنك لم تركب حراماً قط قال بلى قال فما قولك • كلانا من الثوب المطرف لابس • فقال له اذاً أخبرك خرجت بغلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان به لئلا يروا أبهائلة فيقولوا اهلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة

من رسولي الى الثريّا بأني • ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنا زوّارا فقال أجل ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر ومن ظريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق عجّل المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها للمصعب فقالت والله ما عزمي ان أكلمه أبدا فلما رأى جدّها قال لها يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عودك الله ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما اني لمشغوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش فقال له مروان ألا تذكر أوليّة أبي محمد وله في هذا ما ليس لاحد فقال انما كنا في ذكر الاشراف ولو كنا في ذكر الانبياء لقدمنا ما لابي محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه ومن ظريف أخباره أن عثمان بن حيان المرّي لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل

والنجح الذي لا سبب له الا حسن النظر والتقديم في التدبير ثم العلم بالله وحده وانك بعرض ولايته والجاه عنده وانه الذي يرعاك ويكفيك وانك اذا أهملت اليسير أعطاك الكثير ومتى تركت له الفاني أعطاك الباقي ومتى أدبرت عنه دعاك ومتى رجعت اليه اجتباك ويحمدك على حقك ويعطيك على نظرك لنفسك ولا يغنيك الا ليقبلك ولا يميتك الا ليحييك ولا يعنتك الا ليعطيك

عملاً أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا. ففعل وأجّلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحطّ رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي فقالت أوما تدري ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمي الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف أن لا تغني شيأ وننكظ (تعني تنالنا شدة) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحد ما أقدمه عليه حب التسليم عليه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزنا. قال ان أهلك أشاروا علي بذلك قال فانك قد وفقت ولكني رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتي فتبت الى الله منها وانا أسألك أيها الامير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لا يدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فامرها ابن أبي عتيق فتقشفت وأخذت سبحة في يدها وصارت اليه وحدثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئي للامير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدي للامير فحركه حداؤها ثم قال لها غني للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال قل لها فلتقل فأمرها فتغنت

سددن خصاص الخيم لما دخلنه • بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذا يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعا وقال ابن نمير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا • بذي الزي الجميل من الاثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقى • تحث اذا ونت أي احتثاث

كأن على الظعائن يوم بانوا • نعاجا ترتعي بقل البراث

يهيجني الحمام اذا تغنى • كما هيج النوائح بالمراثي

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل في معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذي الزي الجميل من الاثاث هي الرواية الصحيحة وقد قيل بذي الرئي الجميل واشتهوا هم اليه قول الله جل ثناؤه هم أحسن

وانه المبتدئ بالنعمة قبل السؤال والناظر لك في كل حال وهذا كله لا ينال الا بغريزة العقل على ان الغريزة لا تنال ذلك بنفسها اما باشرته حواسها دون النظر والتفكر والبحث والتصفح وان ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التي تبعث على الفكر وعلى طلب الحيلة ولذلك وضع الله تعالى في الانسان طبيعة الغضب وطبيعة الرضا والبخل والسخاء والجزع والصبر والرياء والاخلاص

أثاثا ورئيا فالاثاث متاع البيت والرئى ما ظهر من الزينة وانما أخذ من قولك رأيت فالرئى غير الاثاث والزى من الاثاث فمن ههنا غلطوا وقوله أسلكت نقب المنقى فالمنقى موضع بعينه والنقب الطريق فى الجبل والخل الطريق فى الرمل فان اتسع الطريق فى الجبل وعلا فهو ثنية قال ابن الايهم التغلبى

وتراهن شزبا كالسعالى • يتطلعن من ثنايا النقاب

وقوله نعاجا ترتعى بقل البراث فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة والعرب تكنى بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك وتعالى ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة وقال الاعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته • فأصبت حبة قلبها وطحالها

يريد المرأة وأما البراث فهى الاماكن السهلة من الرمل واحدها برث مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كلب وكلاب والسجع من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافى وهو فى البهائم موالاة الصوت قال ابن الدمينة

أأن سجعت ورقاء فى رونق الضحى • على فنن غض النبات من الرند

(الرند صغار الآس) وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة

قال لى صاحبى ليعلم ما بى • أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما • ء اذا ما منعت برد الشراب
من رسولى الى الثريا بأنى • ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
سلبتنى مجاجة المسك عقلى • فسلوها بما تحل اغتصابى
أزهقت أم نوفل اذ دعتها • مهجتى ما لقاتلى من متاب
حين قالت لها أجيبى فقالت • من دعانى قالت أبو الخطاب
فاستجابت عند الدعاء كما يا • بى رجال يرجون حسن الثواب
أبرزوها مثل المهاة تهادى • بين خمس كواعب أتراب
وهى مكنونة تحير منها • فى أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا • عدد النجم والحصى والتراب

والكبر والتواضع والسخط والقناعة فجعلها عروقا ولن تفى قوة غريزة العقل لجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك دون النظر الطويل الذى يشدها والبحث الشديد الذى يشحذها والتجارب التى تحنكها والفوائد التى تزيد فيها ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج ولن تبعد الروية الا لبعد الغاية وشدة الحاجة ولوان

دُمْيَةٌ عندراهبِ ذى اجتهاد • صَوَّرُوها فى جانب المحراب

قوله قلت وجدى بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ وكلهم أجاد فيه وقوله اذا ما منعت برد الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن على بن أبى طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أَحَبَّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمَا وقال آخر وأحسبه قَيْسَ بن ذَرِيحٍ

حَلَفْتُ لها بالمَشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ • وذو العرش فوق المُقْسِمِينَ رَقِيبُ

(قال أبو الحسن ويروى والله فَوْقَ المقسمين وهو أحب الىَّ)

لئن كان بَرْدُ الماءِ حَرَّانَ صاديًا • الىَّ حبيبا انها لَحَبِيبُ

وقال القُطامىُّ يَقْتُلْنَنا بحديث ليس يَعْلَمُهُ • مَنْ يَتَّقِينَ ولا مَكْنُونُهُ بادى

فهنَّ يَنْبِذْنَ من قول يُصِبْنَ به • مواقعَ الماء من ذى الغُلَّة الصادى

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب قوله والكتاب قَسَمٌ وقوله أزهقت أُمُّ نوفل اذدعتها مهجتى تأويله أبطلت وأذهبت قال الله جل وعز فيَدْمَغُهُ فاذا هو زاهق وللزاهق موضع آخر وهو السمين المُفْرِطُ قال زُهَيْرٌ

القائدُ الخيلَ مَنْكُوبًا دَوابِرُها • منها الشَّنُونُ ومنها الزاهِقُ الزَّهِمُ

وقوله مالقائلى من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فَعَلَ يَفْعُلُ فهو على مَفْعَلٍ قال الله جل وعز فانه يتوب الى الله مَتابًا وأما قوله جل ذكره غافرِ الذَّنْبِ وقابلِ التَّوْبِ فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب تَوْبًا كقولك قال يقول قولا والجمع تَوْبَةٌ وتَوْبٌ مثل تَمْرَةٍ وتَمْرٍ وجَمْرَةٍ وجَمْرٍ وقوله أبرز وهامثل المهاة تهادى المَهاةُ البقرة فى هذا الموضع وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيها والبقرة يقال لها العَيْناء والجماعُ العِينُ وكذلك يقال للمرأة وتكون المَهاةُ البِلَّوْرَةَ فى غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد تهدى بعضها بعضا فى مشيتها ومشية البقرة تستحسن قال ابن أبى ربيعة

أَبْصَرْتُها ليلةً ونِسْوَتَها • يمشين بين المَقام والحَجَرِ

يمشين فى الرَّيْطِ والمُرُوطِ كما • يمشى الهُوَيْنا سواكنُ البقرِ

(في الهامش:) الناس تركوا وقد قوى غرائزهم ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر فى معاشهم وعواقب أمورهم والجئوا الى قدر خواطرهم التى تولدها مباشرة حواسهم دون ان يسمعهم الله تعالى خواطر الاولين وأدب السلف المتقدمين وكتب رب العالمين لما أدركوا من العلم الا اليسير ولما ميزوا من الامور الا القليل ولولا ان الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته وتسويد العاقل

وقوله كواعب الواحدة كاعب وهى التى قد كعب ثدياها النهود واتراب أقران يقال ترب فلان والمكورة المكتنزة وقوله ثم قالوا تحبها قلت بهرا قال قوم أراد بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس • أحار ترى برقا أريك وميضه • فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الالف اذا كان فى الكلام دليل عليها وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله تحبها يجاب عليه بغير استفهام انما قالوا أنت تحبها أى قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيح لاضرورة فيه وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعل الالف التى تكون للاستفهام تنبيها للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفا منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظيره قول امرئ القيس أحار ترى برقا فاكتفى بالالف عن أن يعيدها فى ترى قول ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة • تظهر لى قرحة وتنكؤها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمى وهو اللعين المنقرى

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا • شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقال ابن أبى ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا • بسبع رمين الجمر أم بثمان

مثل ذلك وبيت الاخطل فيه قولان وهو

كذبتك عينك أم رأيت بواسط • غلس الظلام من الرباب خيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالاجود ولكنه ابتدأ متيقنا ثم شك فأدخل أم كقولك انها لابل ثم تشك فتقول أم شاء يا قوم وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدهما حبا يبهرنى بهرا أى يعلونى ويقال للقمر ليلة البدر باهر أى يبهر النجوم أى يعلوها كما قال ذو الرمة • كما يبهر البدر النجوم السواريا • وقال الاعشى

حكمتموه فقضى بينكم • أبلج مثل القمر الباهر

والوجه الآخر أن يكون أراد بهرا لكم أى تبا لكم حيث تلوموننى على هذا كما قال ابن مفرغ

تفاقد قومى اذ يبيعون مهجتى • بجارية بهرا لهم بعدها بهرا

وقوله عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد فى

ورفع قدره وان يجعله حكيما بالعواقب عليما لما حضر له كل شئ ولم يحضره لشئ ولما طبعه الطبع الذى يجئ منه أريب حكيم وعالم حليم كما انه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلا والمجنون عالما لطبعهم طبع العالم ولسواهم تسوية العالم كما أراد أن يكون السبع وثابا والحديد قاطعا والسم قاتلا والغذاء مقيما فكذلك أراد ان يكون المطبوع على المعرفة عالما والمهيأ للحكمة حكيما

موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيرة ● سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعني بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انفسح على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث بن ظالم للاسود بن المنذر بن ماء السماء

أخصيي حمار بات يكدم نجمة ● أتؤكل جيراني وجارك سالم

ومن طريف شعره قوله

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت ● مصابيح شبت بالعشاء وأنؤر

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ● وروح رعيان ونوم سمر

ونفضت عني العين أقبلت مشية الـ ● حباب وركني خيفة القوم أزور

فحييت اذ فاجأتها فتولهت ● وكادت بمكنون التحية تجهر

وقالت وعضت بالبنان فضحتني ● وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر

أريتك اذ هنا عليك ألم تخف ● رقيبا وحولي من عدوك حضر

فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ● سرت بك أم قد نام من كنت تحذر

فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ● اليك وما عين من الناس تنظر

فيالك من ليل تقاصر طوله ● وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

ويالك من ملهى هناك ومجلس ● لنا لم يكدره علينا مكدر

يمج ذكي المسك منها مفلج ● رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر

يرف اذا يفتر عنه كأنه ● حصى برد أو أقحوان منور

وترنو بعينيها الي كما رنا ● الى ربرب وسط الخميلة جؤذر

فلما تقضى الليل الا أقله ● وكادت توالي نجمه تتغور

اشارت بان الحي قد حان منهم ● هبوب ولكن موعد لك عزور

وذو الدليل متسدلا وذو النعمة مستنعما فلما علم الله تبارك وتعالى ان الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وكتب الأولين والأخبار عن القرون والجبابرة الماضين طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ووضع القرن الثاني دليلا يعلم به صدق خبر الأول لان كثرة السماع للأخبار العجيبة والمعاني الغريبة

فما راعني الا مناد برحلة • وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم • وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فاما أفوتهم • واما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح • علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان ما لا بد منه فغيره • من الامر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا • ومالي من ان تعلما متأخر

لعلهما ان تبغيا لك مخرجا • وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم • من الحزن تذري عبرة تتحدر

فقالت لاختيها أعينا على فتى • اتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا • أقلي عليك اللوم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا • فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي • ألم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا • اما تستحي أو ترعوي أو تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أي أوقدتهما وقوله وانؤر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد مضى تفسير هذا وقوله قمير انما صغره لانه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد قال عمر

وقمير بدا ابن خمس وعشرين له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان يريد جمع الراعي ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حية بعينه وقوله ونفضت عني العين يقول احترست منها وامنتها والنفضة امام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعني متجافيا يقال زار وزور فلان اذا ذهب في شق وقوله ذو غروب غرب كل شيء حده وانما يعني الاسنان وقوله مؤشر يعني له أشر وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعا يقال لاسنانه أشر فهذا الشائع الذائع

مشحذة للاذهان ومادة للقلوب وسبب للتفكير وعلة للتنقير عن الامور وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما وأكثرهم علما أرجحهم عملا كما ان أكثر البصراء رؤية للاعاجيب أكثرهم تجاربا ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الاعمى وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الأصم وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة

واما الشَّنَبُ فهو عندهم جميعا بَرْدٌ في الاسنان وحدثني الرياشي عن ابن عائشة قال أخذ أبي حَبَّة رُمّان بين اصبعيه فاذا هي تَرِفُّ فقال هذا الشَّنَبُ وقوله وكادت توالي نجمه تتغور التوالي التوابع وتتغور تغورُ فتذهب وهو مأخوذ من الغَوْرِ وقوله أشارت بان الحي قد حان منهم هبوب يقول انتباه يقال هَبَّ من نومه يَهُبُّ قال عمرو بن كلثوم

الَاهُبِّي بصحنكِ فاصبحينا * (ولا تُبقي خمورَ الأندرينا)

وقال الآخر هَبَّتْ تلوم وليست ساعةَ اللاحي * هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي

وعزور موضع بعينه وقوله وأيقاظهم جمع يَقُظٍ وقوله فقالت أتحقيقا أي أتفعل هذا تحقيقا ومن كلام العرب أكُلَّ هذا بخلا وذلك انه رآه يفعل شيأ أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أباديهم أظهر لهم غير مهموز يقال بدا يبدو غير مهموز اذا ظهر وبدأت بهذا مهموزا اذا أردت به معنى الاول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبا يريد أن تتسعا أي تتسع صدورهما من قولهم فلان رَحيبُ الصدر وقوله أحصَرُ أضيق به ذرعا وقد مضى تفسيره وقوله مجنّي يريد تُرسي وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشخص ولكنه لما قصد الى النساء أنث على المعنى وابان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر

فانّ كلابا هذه عشرُ أبطُنٍ * وأنت بريءٌ من قبائلها العشرِ

فقال عشر أبطن لان البطن قبيلة وابان ذلك في قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها لان المعنى حسنات ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عُقْبَة المُرّيّ الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيح فقال له يا أخا أهل الشام مِجَنُّ ابن أبي ربيعة أحسنُ من مجنّك يريد قول ابن أبي ربيعة

فكان مجنّي دون مَنْ كنت أتقي * ثلاث شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

وقوله اما تستحي يريد تستحيي وله تفسير يبعد في العربية قليلا وسنذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى

وعلى قد ضعف الحاجة بكون السكون كما ان الراجي والخائف دائبان والآيس والآمن وادعان واذا كان الله تعالى لم يخلق عباده في طبع عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وآدم أبي البشر صلوات الله عليهم أجمعين وخلقهم ناقصين وعن درك مصالحهم عاجزين وأراد منهم العبادة وكلفهم الطاقة وترك العيان للأمل البعيد وأرسل اليهم رسله وبعث فيهم أنبياءه وقال

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وحُدّثت ان عمرا الوادي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في صَرْدٍ من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلتُ والله لأتوصّلنّ اليه ولو بذهاب نفسي

فانحدرت

فانحدرتُ اليه فاذا عبد أسود فقلت له أعد عليَّ ما سمعت فقال لي والله لو كان عندي قِرَى أقريك ما فعلتُ ولكني أجعله قراك فاني ربما غنّيتُ هذا الصوتَ وانا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلان فانشط وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم انبرى يغنيني

وكنتُ اذا ما زرتُ سُعدى بأرضها • أرى الارضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفرات البيض ودَّ جليسُها • اذا ما قضت أحدوثة لو تعيدُها

(وبعده
تُحلّل أحقادي اذا ما لقيتُها • وتَبقى بلا ذنب عليَّ حقودُها
وكيف يحبُّ القلبُ مَن لا يحبُّهُ • بلى قد تريد النفسُ مَن لا يريدها)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كما ذكر وتحدث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمتُ على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا فألقيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كامل غُزيّل الدمشقي فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة الى فغنيته

سَرى همّي وهمُّ المرء يَسري • وغارَ النجمُ الا قيدَ فتر
أراقبُ في المجرّة كلَّ نجم • تعرّضَ أو على المجراة يجري
لهمٍّ ما أزالُ له قرينا • كأنّ القلبَ أبطنَ حرَّ جمر
على بكرٍ أخي فارقتُ بكرًا • وأيُّ العيشِ يصلحُ بعد بكر

فقال لي أعد يا صام ففعلتُ فقال لي مَن يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي الوليد • وأي العيش يصلح بعد بكر • هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تحجّر واسعا على رغم أنفه وحُدثت أن سكينة بنت الحسين أنشدت هذا الشعر فقالت ومن بكر فوُصف لها فقالت أذاك الأُسيد الذي كان عر بنا والله لقد طاب كلُّ شيء بعد ذاك حتى الخبز والزيت وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب قال يوما يقال ان الدنيا لم تصف لاحد قط يوما فاذا خلوتُ يومي هذا فاطووا عني الاخبار ودعوني ولذتي وما خلوتُ له ثم دعا بحبابة فقال اسقيني وغنيني تعالوا في أطيب عيش فتناولت حبابة حبة رمان فوضعتها في فيها فغصت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله عليهم السلام ولا أحضرهم عجائب أنبيائه ولا أسمعهم احتجاجهم ولا أراهم تدبيرهم لم يكن بد من ان يطلع المعاينين على أخبار الغائبين وان يحضر اسماع الغائبين لأخبار المعاندين وان يخالف بين طبائع المخبرين وعلل الناقلين ليدل السامعين ومن يحجب من الناس على ان العدد الكثير المختلف العلل

بنى أُمَيَّةَ ان هـذا عيب لا يُستقال وانما هذه جيفة فأُذن فى دفنها وتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيتُ والله فيك كما قال كُثَيِّر

فان تسلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهوى • فباليأس تَسْلُو عنكِ لا بالتَّجَلُّد
وكلُّ خليلٍ راءنى فهو قائلٌ • منَ اجلك هذا هامةُ اليوم أو غد

فعُدَّ بينهما خمسة عشر يوما وقوله راءنى يريد رآنى ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قسِيٌّ فى جمع قَوس وانما الاصل قُوُوسٌ ولما أخّر الواو ين أبدل منهما يا ين كما يجب فى الجمع تقول دَلْوٌ ودُلِيٌّ وعات وعُتِيٌّ وان شئت قلت عِتِيٌّ ودِلِيٌّ من أجل اليا. فان كان فُعول لواحد قلت عُتُوٌّ ويجوز القلبُ والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مَغْزُوٌّ ومَدْعُوٌّ ويجوز مَغْزِيٌّ ومَدْعِيٌّ وفى القرآن وعَتَوا عُتُوًّا كبيرا وقال أَيُّهم أَشَدُّ على الرحمن عِتِيًّا وقال ارجعى الى ربك راضيةً مَرْضيَّةً والاصل مَرْضُوَّةً لانه من الواو ومن الرضوان ومن القلب قولهم طَأْمَنَ ثم قالوا اطْمأَنَّ فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامةُ اليوم أو غد يقول ميِّتٌ فى يومه أو فى غده يقال انما فلان هامة أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله قد مضى تفسيره وحدثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل قال سمعتُ اسحق بن ابراهيم المَوْصلى يحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قفلنا فنزلنا المدينة آخيتُ بها رجلا كان له سنٌّ ومعرفة وأدبٌ فكان يَتَعَنَّى فأتى ذات ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن علىّ فظننت أمرا قد فدحه ففزع فيه الىّ فاسرعت نحو الباب فقلت ما جاءبك فقال اذن أخبرك دعانى صديق لى الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشواء رشراش وحديث مُمتع وغناء مُطرب فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حُمَيَّا الكأس مأخذها ثم غنيت بقول نُصَيب

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركبُ • وقل ان تَمَلِّينا فما ملك القلبُ

فكدتُ أطير طربا ثم وجدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى وضرب نعليه موليا عنى فقلت قف أكلمك فقال ما بى الى الوقوف اليك من حاجة وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الانصارى يُسنده قال كانت وليمة فى أخوالنا وهم حىّ يقال لهم بنو زُبَيْط من الانصار قال فحضر الناس وجاء

المتصادى الاسباب المتفاوتى الهمم لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد وكما لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد على غير التلاقى والتراسل الا وهو حق فكذلك لا يمكن مثلهم فى مثل عللهم التلاقى عليه والتراسل فيه ولو كان تلاقيهم ممكنا وتراسلهم جائزا لظهر ذلك وفشا واستفاض وبدا ولو كان ذلك أيضا ممكنا وكان قولا متوهما لبطلت الحجة ولنقضت العادة

حَسّان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده فلما وُضِعَ الطعام وجيء بالثَّريد قال حسان لابنه يا بنيّ أطعام يَدٍ أم طعام يَدَيْن فقال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال طعام يدين فأمسك وفي المجلس قَيْنَتان تغنيان بشعر حسان

انظُرْ خَليلي بباب جِلِّقَ هل • تُؤْنِسُ دون البَلْقاءِ من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فَلا أدري ما أعجبه من أن تُبَكّيا أباه يقول عجبتُ ما الذي اشتهى من أن تبكيا اباه فقوله أعجبني أي تركني أَعْجَبُ ومثله قول ابن قَيْسِ الرُّقَيَّات

ألا هَزِئَتْ بنا قُرَشِيَّةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُها • رأتْ بي شَيْبَةً في الرأ
سِ عني ما أُغَيِّبُها • فقالتْ أَبْنُ قيسٍ ذا • وبعضُ الشيبِ يُعْجِبُها

أي تتعجب منه وحدثني عبد الصمد بن المُعَذَّل قال كان خَليلانُ الأُمَوِيُّ يتغنى ويرى ذلك زائدا في الفُتُوَّة وكان خَليلانُ شريفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عُقْبَة بن سَلْم الهُنَائي وهو أمير البصرة وكان ماتيا جبارا فلما طَعِمَا وخَلَوَا نظر خليلانُ الى عودٍ موضوع في جانب البيت فعَلِمَ أنه عُرِضَ له به فأخذه فتغنّى

يابنةَ الأزديّ قلبي كَئيبُ • مُسْتَهامٌ عندها ما يؤوب
ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني • انّ مَنْ تَلْحَوْنَ فيه حبيبُ

فَجَعَلَ وجهُ عقبة يتغير وخليلانُ في سَهْوٍ عما فيه عقبةُ يُرَى انه محسن ثم فَطَنَ لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تَغَنَّى به فقَطَعَ الصوت وجعل مكانه ألا هزئت بنا قرشيةٌ يهتز موكبها فَسُرِّيَ عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلانُ العودَ وكَّدَ على نفسه الحلف ألا يُغَنِّيَ عند من يجوز أمره عليه أبدا وحُدِّثْتُ أن رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مُدِحَ به عليُّ بن رَيْطَة وهو عليّ بن أمير المؤمنين المَهْدي وتَغَنّاه المُغَنّي على جهل وهو

قُلْ لِعَلِيٍّ أيا فَتَى العربِ • وخيرَ نامٍ وخيرَ مُنْتَسِبِ
أَعْلاكَ جَدّاكَ يا عليُّ اذا • قَصَّرَ جَدٌّ في ذِرْوَةِ الحَسَبِ

ففتش عن المغني فوجده لم يَدْرِ فيمن الشعرُ فبَحَثَ عن أول مَنْ تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرَّقّاص

ولفسدت العبرة ولعادت النفس بعلة الاخبار جاهلة ولكان الناس على الله أعظم الحجة وقد قال الله جل وعز لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل اذا كلفهم طاعة رسله وتصديق أنبيائه ورسله وكتبه والايمان بجنته وناره ولم يضع لهم دليلا على صدق الاخبار وامتناع الغلط في الآثار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان الله تعالى انما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ولم

فأمر به فضرب أربعمائة سوط * وحدثت أن معاوية اسمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان ملهيك البارحة فقال له يزيد ذاك سائب خاثر قال اذا فأكثر له من العطاء وحدثت أن معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروءته حتى ننعى عليه أى نعيب عليه فعله يريد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يلقى على جوار لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ما كنت فيه فأمر بالكراسى فألقيت وأخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم ديارا التى كادت ونحن على منى * تحل بنا لولا نجاء الركائب
ومثلك قد أصبيت ليست بكنة * ولا جارة ولا حليلة صاحب
وردده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مد رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اتئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية اسكت لا أبالك فان كل كريم طروب * وحدثت من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السهمى قد أثرى وانفسحت له نعمة وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا الى الخلفاء فيم ذاك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان فيقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوف نهارى مع الطائفين * وأرفع من مئزرى المسبل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهر ليلى مع العاكفين * وأتلو من المحكم المنزل

قال حسن والله جميل قال ان بعد هذا شيأ قال سفيان وما هو قال

عسى فارج الكرب عن يوسف * يسخر لى ربة المحمل

فزوى سفيان وجهه وأومأ بيده أن كف وقال حلالا حلالا وانى ابن أبجر عطاء بن أبى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيث أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البنية لتسمعنه خفية أو لأشيدن به فوقف له فتغنى

يجب ان يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم لان الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة وكانوا مجبرين فى الامور المتفقة والمختلفة لجاز ان يختار وا باجمعهم الملك والسياسة وفى هذا ذهاب العيش وبطلان المصلحة والبوار والتواء ولو لم يكونوا مسخرين بالاسباب مرتهنين بالعلل لرغبوا عن الحجامة أجمعين والبيطرة والقصابة والدباغة ولكن لكل صنف من الناس مزين

عُوجى علينا رَبَّةَ الهَودَجِ • انَّكِ ان لاتَفعَلى تُحرِجى

أَنّى أُتِيحت لى يَمانيـةٌ • احدى بنى الحرث من مَذْحِجِ

نَلبَثُ حولا كامـلا كلَّه • لا نَلتَقِى الا عـلى مَنْهَجِ

فى الحجِّ ان حَجَّت وماذا مِنًى • وأهـلُه ان هى لم تَحجُجِ

فقال له عطاء الكثير الطَيِّبُ ياخبيثُ وسمِعَ سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أَعِدْ ما تغنيتَ فتغنى واحتَفَلَ وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَةِ فقال لاصحابه والله لكأنَّها جَرْجَرةُ الفحل فى الشَّوْل وما أحسب أنثى تسمع هذا الاصَبَّت ثم أمر به فخُصِىَ وحُدِّثتُ أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الاَحْوصِ بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقال له الاحوص ألا أُسمِعُكَ غناءً من غناء القُرى فأتاه بعُقَيلٍ يغنيه فكان مما غناه

أتَنْسَى اذ تُوَدِّعُنا سُلَيمى • بفَرعِ بَشامةٍ سُقِىَ البَشامُ

ولو وجَدَ الحَمامُ كما وجَدْنا • بسُلمانَينِ لاكتَأَبَ الحَمامُ

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أَسْرَى لخالدةَ الخيالُ ولا أرى • شيأ أَلَذَّ من الخيال الطارق

ان البلية مَن تُمَلُّ حديثه • فانقَعْ فؤادَكَ من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادروا • وَشَلًا بعينك ما يَزالُ مَعينا

غَيَّضْنَ من عَبَراتِهِنَّ وقُلْنَ لى • ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فقال لمن هذا فقالوا لجرير فقال الفرزدق ما أحوجَهُ مع عَفافه الى خُشونة شِعْرِى وأَحْوَجَنى مع فُسوقى الى رِقَّة شعره وقال الاَحْوَصُ يومًا لمَعْبَدٍ امض بنا الى عَقيلةَ حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها مُعاذًا الانصارىَّ ثم الزُرَقىَّ وابنَ صائد النجارى فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن غِضابٌ على الاحوص فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضَنَّتْ عَقيلةُ لما جئت بالزاد • وآثرت حاجةَ الثاوى على الغادى

عندهم ماهم فيه وسهل ذلك عليهم فالحائك اذا رأى تقصيرا من صاحبه أو سوء حذق أو خرقا قال له ياحجام والحجام اذا رأى تقصيرا من صاحبه قال له ياحائك ولذلك لم يجمعوا على اسلام أبنائهم فى غير الحياكة والحجامة والبيطرة والقصابة ولولا ان الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سببا للاتفاق والائتلاف لما جعل واحدا قصيرا وآخر طويلا وواحدا حسنا والآخر قبيحا

فقلتُ واللهِ لولا أن تقولَ له • قد باح بالسرّ أعدائي وحُسّادي
قلنا لمنزلها حُيّيتَ من طَلَلٍ • وللعقيق ألا حُيّيتَ من وادي
اني جعلتُ نصيبي من مودتها • لمعبدٍ ومُعاذٍ وابن صَيّادِ
لابن اللعين الذي يُخبا الدخانُ له • وللمغنّي رسولِ الزُور قوّادِ
أما معاذٌ فاني لستُ ذاكرَهُ • كذاك أجدادُهُ كانوا لاجدادي

قال الزبيري وكان مُعاذٌ جَلْداً فخاف الاحوصُ أن يضربه فحلف مَعبدٌ أن لا يكلم الاحوص ولا يتغنى في شعره فشق ذلك على الاحوص فلما طالت هجرته اياه رحل نجيبا له وجعل طلاء في مِذْرَعٍ (والمذرع زِقٌّ سُلخ حين سُلخ مما يلي الذراع) في حقيبة رحله وأعدّ دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الاحوص فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عبّاد أتهجرني فخرجت اليه امرأته أم كَرْدَم فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الاحوص فأدخله البيت وقال والله لا رمتُ هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء واسمع الغناء فقال له معبد قد أخزى الله الا بعدَ هذا الشواء اكلتَه والغناء سمعته فأنّى لك بالطلاء قال قم الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا ففعل كل ما قال فقالت أم كردم لمعبد أتهجر من ان زارنا أغدر قينا فضلا ونيلا وان فارقنا خلّف فينا عقلا ونُبلا فانصرف الاحوص مع العصر فر بين الدارين وهو يميل بين شُعبتي رحله وحُدّثت ان سعد بن مُصعب بن الزبير اتّهم بامرأة في ليلة مَناحة أو عُرس وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الاحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسعد النار من تذكرونه • ولكن سعدَ النار سعدُ بن مُصعب
ألم تر أنّ القوم ليلة جمعهم • بغَوه فألفوه لدى شرّ مركب
فما يبتغي بالشر لا درّ درّه • وفي بيته مثلُ الغزال المربّب

فأمر سعد بن مصعب بطعام فصنع ثم حمل الى قباب العرب وقال للاحوص وكان له صديقا تعال غض فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأوثق وأراد ضربه فقال له الاحوص دعني فلا والله لا أهجو زُبيريا أبدا فخلاه ثم قال اني والله ما ألمتُ على من حلّ ولكني أنكرت قولك

واحدا غنيا وآخر فقيرا وواحدا عاقلا وآخر مجنونا وواحدا زكيا وآخر غبيا ولكن خالف بينهم ليختبرهم وبالاختبار يطيعون وبالطاعة يسعدون ففرق بينهم ليجمعهم وأحب ان يجمعهم على الطاعة ليجمعهم على المثوبة فسبحانه وتعالى ما أحسن ما أبلى وأولى وأحكم ما صنع وأتقن ما دبر لان الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة ولو رغبوا بأجمعهم

• وفي بيته مثل الغزال المربب • وحدثت ان ابن أبي عتيق ذُكِرَ له ان المخنثين بالمدينة خُصوا وانه خُصِيَ الدلال فيهم فقال انا لله أما والله لئن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحسن

لمن ربعٌ بذات الجيش أمسى دارسا خَلَقا

ثم استقبل ابن أبي عتيق القبلة يصلي فلما كبر سلّم ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يُحسن خفيفَهُ فاما ثقيله فلا الله أكبر وحُدثت ان مَدَنيا كان يصلي مذ طلعت الشمس الى أن قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يتغنى وهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشُرَط قد قبض على المغني فقال اترفع عقيرتك بالغناء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فانفتل المدني من صلاته فلم يزل يطلب اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدري لم شفعت فيك قال لا ولكني اخالك رحمتني قال اذاً فلا رحمني الله قال فأحسبك عرفت قرابة بيننا قال اذاً فقطعها الله قال فلِيَدٍ تقدمت مني اليك قال لا والله ولا عرفتك قبلها قال فخبرني قال لاني سمعتك غنيت آنفا فأقمت واوات معبد أما والله لو أسأت التأدية لكنت أحد الاعوان عليك والصوت الذي ينسب الى واوات معبد شعر الاعشى الذي يعاتب فيه يزيد بن مسهر الشيباني وهو قوله

هريرة ودِّعها وان لام لائمُ • غداة غدٍ أم أنت للبين واجمُ

لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثويته • تُقضَّى لُبانات ويسأم سائمُ

قوله هريرة ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره ودَّعها كأنه قال ودِّع هريرة فلما اختزل الفعل أظهر ما يدل عليه وكان ذلك أجود من أن لا يضمر لان الامر لا يكون الا بفعل فأضمر الفعل اذ كان الامر أحق به وكذلك زيدا اضرب به وزيدا فأكرمه وان لم تضمر ورفعت جاز وليس في حُسن الاول ترفعه على الابتداء وتصيّر الامر في موضع خبره فأما قول الله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وكذلك الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فليس على هذا الرفع الوجه لان معناه الجزاء كقوله الزانية أي التي تزني فانما وجب القطع للسَرَق والجلد للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذي يأتيني فله درهم فدخلت الفاء لانه استحق الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذي يأتيني له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على ان زيدا خبر وليس بابتداء

عن كدّ البنا البقينا بالعراء ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الاقوات ولبطل أصل المعاش فسخرهم على غير اكراه ورغبهم من غير دعاء ولولا اختلاف طبائع الناس وعللهم لما اختاروا من الاشياء الا أحسنها ومن البلاد الا أعدلها ومن الامصار الا أوسطها ولو كان كذلك لتناجزوا على طلب الواسط وتشاجروا على البلاد العليا ولما وسعهم بلد ولما تم بينهم صلح فقد صار بهم التسخير الى غاية

والاشارة دخلت الفاء وفى القرآن الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيةً فلهم أجرهم عند ربهم ودخلت الفاء لان الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القرّاء الزانيةَ والزانى فاجلدوا والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن فى هاتين الآيتين ومالم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه ويروى ان مَعْبَدًا بلغه ان قُتَيْبَةَ بن مسلم فتح خمس مَدائن فقال لقد غَنَّيْتُ خمسة أصواتٍ هُنَّ أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة بن مسلم

والاصوات وَدِّعْ هُرَيْرَةَ انَّ الركبَ مرتحل • وهل تُطيقُ وداعا أيها الرجلُ

وقوله هريرةَ وَدِّعْها وان لامَ لائم • غداةَ غدٍ أم أنت للبَيْنِ واجمُ

وقوله رأيتُ عَرابةَ الأوسىَّ يَسْمو • الى الخيرات مُنْقَطِعَ القَرِين

وقوله ودِّعْ لُبابةَ قبل انْ تَتَرَحَّلا • واسألْ فان قَلِيلةً انْ تَسألا

وقوله لَعَمْرى لئن شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دارُها • لقد كنتُ من خوفِ الفراقِ أليحُ

اما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وقوله هريرة ودعها وان لام لائم فللأعشى يعاتب فيهما يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشَّيْبانى يقول

أَبلِغْ يَزيدَ بنى شَيْبانَ مَأْلُكَةً • أبا ثُبَيْتٍ أما تنفكُّ تأتكِلُ

أَلَسْتَ منتهيا عن نحتِ أَثْلَتِنا • ولستَ ضائرَها ما أَطَّتِ الابلُ

كناطحٍ صخرةً يوما ليَفْلِقَها • فلم يَضِرْها وأوهى قَرْنَه الوَعِلُ

ويقول فى الأخرى يعاتبه أيضا

يزيد يَغُضُّ الطرفَ دونى كأنَّما • زَوَى بين عَيْنَيْه علىَّ المحاجمُ

فلا ينبسطْ من بين عينيك ما انْزَوَى • ولا تَلْقَنى الا وأنفُكَ راغمُ

فأُقسمُ ان جَدَّ التقاطُعُ بيننا • لَتَصْطَفِقَنْ يوما عليكَ المآتمُ

وتُلْقَى حصانٌ تَنْصُفُ ابنةَ عمِّها • كما كانَ يُلْقَى الناصفاتُ الخوادمُ

اذا اتصلتْ قالت أبَكْرَ بن وائل • وبَكْرٌ سَبَتْها والأنوفُ رَواغمُ

فأما الشعر الثالث فللشَّمّاخ بن ضرار بن مُرَّةَ بن غَطَفانَ يقوله لعَرابةَ بن أَوْس بن قَيْظِىٍّ الانصارى

رأيتُ عَرابةَ الأوسىَّ يَسْمو • الى الخيراتِ منقطعَ القَرِين

القناعة وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكنى الآجام الى الفيافى وساكنى السهول الى الجبال وساكنى الجبال الى البحار وساكنى الوبر الى المدر لأذاب قلوبهم الهم ولاقى عليهم فرط النزاع وقد قيل عمر الله البلدان بحب الأوطان وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد ان

اذا ما راية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين

اذا بلغتني وحملت رحلي ٭ عرابة فاشرقي بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقوله في بعض الروايات

ودع لبابة قبل ان تترحلا ٭ واسأل فان قليله ان تسألا

امكث لعمرك ساعة فتأنها ٭ فعسى الذي بخلت به ان يبذلا

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ٭ ان بات أو ظل المطي معقلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله ولم يتغن معبد في مدح قط الا في ثلاثة أشعار منها ما ذكرنا في عرابة

ومنها قول عبد الله بن قيس الرقيات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر ٭ سواء عليها ليلها ونهارها

والثالث قول موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير

حمزة المبتاع بالمال الثنا ٭ ويرى في بيعه ان قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا ٭ ذا انامل يكدره بمن

ونحن ذاكرون قصص هذه الاشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى قال أبو العباس

كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مصعب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه

وفيه يقول انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك قوة ليس فيه ٭ جبروت منه ولا كبرياء

يتقي الله في الامور وقد أفلح من كان همه الاتقاء

قال أبو العباس وله فيه اشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس

فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فشفع فيه الى عبد الملك فشفعه في ان ترك دمه فقال ويدخل اليك

يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناك نثني بالذي أنت أهله ٭ عليك كما أثنى على الارض جارها

تقدت بي الشهباء نحو ابن جعفر ٭ سواء عليها ليلها ونهارها

تزور فتى قد يعلم الناس أنه ٭ تجود له كف قليل غرارها

أنزلهم من الشأم منزلا خصيبا وفرض لهم في شؤون العطاء يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم وقال الله جل وعز ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقرن الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس وليس على ظهرها انسان الا وهو معجب بعقله لا يسره ان له بجميع ماله ما لغيره ولولا ذلك لماتوا كمدا ولذابوا حسدا ولكن كل انسان وان كان يرى انه

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر • لكان قليلاً فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

مادله من كثيرة الطرب • فعينه بالدموع تنسكب

كوفية نازح محلتها • لاأمم دارها ولا صقب

والله ما ان صبت الى ولا • يعلم بينى وبينها نسب

الا الذى أورثت كثيرة فى الـقلب وللحب سورة عجب

وفيها يقول ما نقموا من بنى أمية الا انهم يحلمون ان غضبوا

وانهم سادة الملوك فلا • تصلح الا عليهم العرب

ان الفنيق الذى أبوه أبو العاصى عليه الوقار والحجب

خليفة الله فى رعيته • جفت بذاك الاقلام والكتب

يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

وتقول لى يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

واما شعر الشماخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما أعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر حمزة المبتاع بالمال الثنا • ويرى فى بيعه أن قد غبن

وهو ان أعطى عطاء كاملا • ذا انا لم يكدره بمن

واذا ما سنة مجحفة • برت المال كبرى بالسفن

حسرت عنه نقيا لونه • طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس قال عتبة بن شماس

حاسد فى شئ فهو يرى انه محسود فى شئ ولولا اختلاف الاسباب لتنازعوا بلدة واحدة واسما واحدا وكنية واحدة فقد صاروا كما ترى مع اختيار الاشياء المختلفة الى الأسماء القبيحة والألقاب السمجة والأسماء مبذولة والصناعات مباحة والمتاجر مطلقة ووجوه الطرق مخلاة ولكنها مطلقة فى الظاهر مقسمة فى الباطن وان كانوا لا يشعرون بالذى دبره

إنّ أولى بالحق فى كل حقّ • ثم أحرى بأن يكون حقيقا

مَن أبوه عبدُ العزيز بن مروا • ن ومَن كان جدُّه الفاروقا

ردّ أموالَنا علينا وكانت • فى ذُرَا شاهق يفوت الأنُوقا

يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمُّ عمر أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والأَنوقُ الرَّخَمَةُ ولا يقال الانوق الا للرخمة الانثى ومن أمثال العرب هو أعزّ من بيض الانوق وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الامر العسير سألتنى بيض الأنُوق وذلك انها تبيض فى رؤس الجبال فلا يكاد يوجد بيضها البعد مطلبه وعسره فان سأله محالاً قال سألتنى الأَبلَقَ العَقوقَ وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عَقوقٌ اذا حملت فامتلأ بطنها فالأبلقُ العقوق محال ويروى ان رجلا سأل معاوية أمرا لا يوجد فأعلمه ذلك فسأل أمرا أعسر ابعده فقال معاوية

طَلَبَ الأَبلَقَ العَقُوقَ فلما • لم يَنَلْه أراد بيض الانوق

وانما الابلق الذكر من الخيل يقال فرس عَقوقٌ اذا حَمَلَتْ فامتلأ بطنها فالابلق العقوق محال وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

ما عُدَّ قوم كأجداد تُعدُّهُمُ • مروانُ ذو النور والفاروقُ والحَكَمُ

أشبهتَ من عُمَرَ الفاروق سيرتَهُ • قادَ البريّةَ وائتمّتْ به الامم

تدعو قُرَيشٌ وانصار الرسول له • أن عِشْتَ وابا حفص وما ظَلَموا

وفيه يقول جرير أيضا

يعود الحلمُ منك على قريش • وتَفرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشدادا

وقد آمنتَ وحشَهُمُ برفق • ويُعيِي الناسَ وحشُكَ ان يُصادا

(وتبنى المجدَ يا عمرَ ابن ليلى • وتكفى المُمحِلَ السنةَ الجمادا)

وتدعو الله مجتهدًا ليَرضَى • وتذكر فى رعيّتك المعادا

(فما كعبُ بن مامةَ وابن سُعدَى • بأجود منك يا عمرُ الجوادا)

وكان ابن سعد الازدى قد تولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

الحكيم من ذلك ولا بالمصلحة فيه فسبحان من حبب الى واحد ان يسمى ابنه محمدا وحبب الى آخر ان يسميه شيطانا وحبب الى آخر ان يسميه عبد الله وحبب الى آخر ان يسميه حمارا لان الناس لو لم يخالف بين عللهم فى اختيار الأسماء وجاز ان يجتمعوا على شئ واحد كان فى ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات وأنت اذا رأيت ألوانهم وشمائلهم واختلاف

انّ عيالى لاقوا كه عندهم • وعندابن سعد سكّرو زبيب
وقد كان ظنّى بابن سعد سعادة • وماالظنّ الامخطئ ومصيب
فان ترجعوا رزقى الىّ فانه • متاع ليال والاداء قريب
تحنّى العظام الراجفات من البلى • وليس لداء الركبتين طبيب

وفيه يقول أيضا المانعى

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا • ياخير من حجّ بيت الله واعتمرا
حملت أمرا جسيما فاصطبرت له • وقمت فيه بحق الله ياعمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفة • تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

قوله ياعمرا ندبة أراد ياعمراه وانما الالف للندبة وحدها والهاء تزاد فى الوقف لخفاء الالف فاذا وصلت لم تزدها تقول ياعمراذا الفضل فاذا وقفت قلت ياعمراه فحذف الهاء فى القافية لاستغنائه عنها فاما قوله نجوم الليل والقمرا ففيه أقاويل كلها جيد فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة يقول الشمس طالعة ليست بكاسفة نجوم الليل والقمر يقول انما تكسف النجوم والقمر بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذى سار فيه المنذر بن المنذر بعرب العراق الى الحرث الأعرج الغسّانى وهو الاكبر والحرث فى عرب الشام وهو أشهر أيام العرب ومن أمثالهم فى الامر المتعالم ماليوم حليمة بسرّ وفيه يقول النابغة

تخيّرن من أزمان يوم حليمة • الى اليوم قد جرّبن كل التجارب

وأظن قول القائل من العرب لاُرينّك الكواكب ظهرا انما أخذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تنوّله فقد تمنعه • وتريه النجم يجرى بالظهر

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسرى

لعمرى لقد سار ابن شيبة سيرة • أرتك نجوم الليل مظهرة تجرى

ويجوز ان يكون نجوم الليل والقمر أراد بهما الظرف يقول تبكى الشمس عليك مدة نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهر والشهر وتبكى عليك الليل والنهار يافتى ويكون تبكى عليك

صورهم وسمعت لغاتهم ونغمهم علمت ان طبائعهم وعللهم المحجوبة الباطنة على حسب أمورهم الظاهرة وبعض الناس وان كانوا مسخرين للحياكة فليس بمسخر للفسق والخيانة والاحكام والصدق والأمانة وقد يسخر الملك لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة فلا يزال ذلك الملك مقصورا عليهم مادامت تلك الأسباب قائمة فليس اذا كانوا للملك مسخرين وكان الناس لهم مسخرين

الشمس

الشمس النجومَ كقولك بكيتُ زيداً على فلان لما رأيتُ به وقد قال في هذا المعنى أحدُ المحْدَثين شيأ مليحاً وهو أحمد أخو أشجع السُّلَمي يقوله لنصر بن شبث العُقَيلي وكان أوقع بقوم من بني تغلب بموضع يعرف بالسواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيفٌ في يدَيْ نصرٍ • في حَدِّه ماءُ الردى يجري

أوقعَ نصرٌ بالسواجيرِ ما • لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ

أبكى بني بكرٍ على تغلبٍ • وتغلباً أبكى على بكرِ

ويكون تبكي عليك نجومَ الليل والقمرَ على أن تكون الواو في معنى مع وإذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعده فعل انتصب لأنه في المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه ونظير ذلك استوى الماءُ والخشبةَ لأنك لم ترد استوى الماءُ واستوت الخشبةُ ولو أردت ذلك لم يكن الا الرفع ولكنَّ التقدير ساوى الماءُ الخشبةَ وكذلك مازلتُ أسيرُ والنيلَ يا فتى لأنك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد أن سيرك بحذائه ومعه فوصل الفعلُ وهذا باب يطول شرحه فإن قلت عبدُ الله وزيدٌ أخواك وأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لأن قبلها اسماً مبتدأ فهي على موضعه وأجود التفسيرين عندنا في قول الله عز وجل فأجمعوا أمركم وشركاءكم أن تكون الواو في معنى مع لأنك تقول أجمعتُ رأيي وأمري وجمعتُ القومَ فهذا هو الوجه وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام في معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

يا ليتَ زوجَكِ قد غدا • متقلّداً سيفاً ورمحا

والرمح لا يُتقلَّد ولكن أدخله مع ما يُتقلَّد فتقديره متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً ويكون تقدير الآية فأجمعوا أمركم وأعدُّوا شركاءكم والمعنى يؤول الى أمر واحد ومن ذلك قوله

• شرّابُ ألبانٍ وتمرٍ وأقِطْ • فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل والله خَلَقَ كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم مَن يمشي على بطنه ومنهم مَن يمشي على رجلين ومنهم مَن يمشي على أربع فأدخل مَن ههنا لأن الناس مع هذه الأشياء فجُرِتْ على لفظ واحد ولا تكون مَن الا لمن يعقل اذا أفردتها وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عمّاله

إنّ الذين أمرتَهم أن يعدلوا • نبذوا كتابَكَ واستُحِلَّ المحرمُ

بالجبرية والعنوة والفظاظة والقسوة والطول الاحتجاب والاستتار وسوء اللقا والتضييع وقد يكون الانسان مسخرا لامر ومخيرا في آخر ولولا الأمر والنهي لجاز التسخير في دقيق الأمور وجليلها وخفيها وظاهرها لان بني الانسان انما سخروا له ارادة العائدة عليهم ولم يسخروا للمعصية كما لم يسخروا للمفسدة وقد تستوي الأسباب في مواضع وتتفاوت في مواضع كل ذلك ليجمع الله

وأردتَ أن يَلِيَ الامانةَ منهم • بَرٌّ وهيهاتَ الأبرُّ المسلم

طُلْسُ الثيابِ على منابرِ أرضنا • كلٌّ بنقصِ نصيبنا يتكلّم

أنشدنيه الرياشي عن الاصمعي ونظيرُ هذا قول ابن هَمّام السلولي

اذا نَصَبوا القولَ قالوا فأحسنوا • ولكنّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفعلُ

وذَمّوا لنا الدنيا وهم يَرْضَعونها • أفاويقَ حتى ما يَدِرُّ لها ثُعْلُ

وقد مرَّ تفسيرُ هذا الشعر والأطْلَسُ الاغبر وربما اشتدت غُبْرَتُهُ حتى يخفى في الغبار وانما أراد بقوله طلس الثياب انهم يُظهرون تَقَشُّفًا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو أحسن ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَلّى رجلا بلدا فوفد عليه فجاءه مُدَّهِنًا حسن الحال في جسمه عليه بُرْدان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا وَلَّيْناك ثم عزله ودفع اليه غُنَيْمات يرعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعثَ في ثوبين أطلسين وذُكر عند عمر بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا وادَّهِنوا فانكم تعلمون الذي تُنْهَوْن عنه ويروى عن الحسن انه قال اقْرِبوا من هذه الاعواد فانهم اذا رَقوها اقتنوا الحكمةَ لتكون عليهم حجةً يومَ القيامة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشي

قد غَيَّبَ الدافنونَ اللَّحْدَ اذ دفنوا • بديرِ سمعانَ قِسْطاسَ الموازين

مَن لم يكن همُّه عينا يُفَجِّرُها • ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البراذين

أقول لما أتاني ثَمَّ مَهْلَكُهُ • لا يَبْعَدَنَّ قِوامُ المُلْكِ والدين

يقال هذا قِوامُ الامر ومِلاكُهُ لاغير وتقول فلان حسن القَوام مفتوح تريد بذلك الشطاط لا يكون الا ذاك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لانها متحركة الا ان يكون جمعا فقد كانت الواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لان حركتها العلة تقول سوط وسياط وثوب وثياب وحَوْض وحياض فان كانت الواو في الواحد متحركة ثبتت في الجمع نحو طويل وطِوال وكذلك فِعال اذا كان مصدرا صح اذا صح فعله واعتل اذا اعتل فعله فما كان مصدرا لفاعلتُ فهو فِعال صحيح نحو قاولته قِوالا ولاوذته لِواذا كقول الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذا أي مُلاوذة واذا كان مصدر فَعَلْتُ اعتل لاعتلال الفعل فعلت قمت قياما وعذت نياما

تعالى لهم مصالح الدنيا ومن اشد الدين ألا ترى ان أمة قد اجتمعت على ان عيسى عليه السلام هو الله وأمة قد اجتمعت على انه ابن الله وأمة اجتمعت على ان الالهة ثلاثة عيسى أحدها ومنهم من يتذبذب ومنهم من يتدهر ومنهم من يقول نسطوريا بعد ان كان يعقوبيا ومنهم من أسلم بعد ان كان نصرانيا ولست واجدا هذه الأمة مع اختلاف مذاهبها وكثرة تنقلها انتقلت مرة

ولُذْتُ لِياذًا وعُذْتُ عِياذًا وقال عُوَيْفُ القوافى شعرا يَرْثِى سليمانَ بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا ما اخترنا منه

لاحَ سحابٌ فرأينا بَرْقَهُ • ثم تَدانَى فسمعنا صَعْقَهُ
وراحت الريح تُزَجِّى بُلْقَهُ • ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّى وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقُهُ • قبرَ امرئٍ أعظمَ ربى حقَّه
قبرَ سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ • وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بَقَّهُ
فى العالمين جِلَّهُ ودِقَّهُ • لما ابتلى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادت النفسُ تُساوِى حَلْقَهُ • أَلْقَى الى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخيرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ • سُمِّيتَ بالفاروقِ فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيالَ المسلمين رَزْقَهُ • واقصد الى الخيرِ ولا تُوَقِّهْ
بحرُكَ عذبُ الماءِ ما أَعَقَّهُ • ربُّكَ والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقال لاحَ البرق اذا بدا وألاحَ اذا تلألأ وهذا البيت يُنْشَدُ • من هاجه الليلةَ برقٌ الاح • ويقال شرقت الشمسُ اذا بَدَتْ وأشرقت اذا أضاءت وصَفَتْ ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصَّعْقُ شدةُ الرَّعْدِ ويُعْنَى به فى أكثر ذلك ما يَعْتَرِى مَنْ يسمع صوتَ الصاعقة وقوله تزجى يقول تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفى الخيل كلُّ لونٍ يخالطه بياض فهو بَلَقٌ والأَوْرَقُ الذى بين الخُضرة والسواد وهو الأَمُّ ألوانِ الابل ويقال ان لحم البعير الأَوْرَقِ أطيبُ لُحْمانِ الابل والوَدْقُ المطر يقال وَدَقَتِ السماءُ يا فتى تَدِقُ وَدْقًا قال الله جل وعز فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ من خلاله وقال عامر بن جُوَيْنٍ الطائىّ

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها • ولا أرضَ أَبْقَلَ ابقالَها

وأصلُ العَقِّ القَطْعُ فى هذا الموضع وللعَقِّ مواضعُ كثيرة يقال عَقَّ والديه يَعُقُّهما اذا قطعهما وعَقَقْتُ عن الصبى من هذا وقالوا ابل هو من العقيقة وهى الشَّعَرُ الذى يُولَدُ الصبىُّ به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشَعَرِ الصبا لم يحلقه ويقال سيف كأنَّه عقيقةٌ أى كأنه لَمْعَةُ برقٍ يقال رأيت عقيقة البرق يا فتى أى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عُقَّتْ تميمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك

واختلفت مرة متعمدة أو ناسية فى يوم واحد فجعلته وهو الجمعة يوم السبت ولم تخطب فى يوم جمعة بخطبة يوم خميس ولا غلطت فى كانون الأول فجعلته كانون الآخر ولا بين الصوم والافطار لان الباب الأول فى باب الامكان وتعديل الأسباب والامتحان والباب الثانى داخل فى باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان وقد زعم ناس من الجهال ونفر من

الموضع قال الشاعر ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني • اذا أخصبت أو كان جدباً جنابها

أحبُّ بلاد الله ما بين مشرف • اليَّ وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عقَّ الشباب تميمتي • وأوّل أرض مسَّ جلدي ترابها

وقوله وجد الخير الذي قد بقه يقال بق فلانٌ في الناس خيرا كثيرا وبق ولدا كثيرا وأبق كلاما كثيرا وقوله ألقي الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلّده أمره والوسق الحمل وقوله الملقى وفقه يقال لُقِّيَ فلانٌ خيرا أي جعل يلقاه والوسق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله ليس في أقلّ من خمسة أوسق صدقةٌ انما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصري والوفق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فتأويل الفاروق هو الذي يفرّق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون في الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رزقه يقال رزقه يرزقه رزقا والاسم الرزق وقوله بحرك عذب الماء ما أعقه مقلوب انما هو ما أقعه وبك يقال ماء قعاع وماء حراق فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربك والحراق الذي يحرق كل شيء بملوحته والماء العذب يقال له النقاخ وما دون ذلك شيأ يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا • عذب المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فرات وهو أعذب العذب ويقال ماء ملح ولا يقال مالح وسمك مملوح ومليح ولا يقال مالح وأشد الماء ملوحة الأجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلا مصفّى • بماء النيل أو ماء الفرات

لقالوا انه ملح أجاج • أراد به لنا احدى الهنات

وقوله ذاك سقي ودقا فروّى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروّى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر عمل الفعل والآخر كقولك روّيت زيدا ماء وروّى أكثر من أروى لان روّى لا يكون الا مرة بعد مرة يقول فروّى الله ودقه أي جعله رواء فأضمر لعلم المخاطب لأن قوله لاح سحاب انما معناه ألاحه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله جل وعز اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ولم يذكر الشمس وكذلك ما ترك على ظهرها

الشكال ممن يزعم ان الشد واجب في كل شيء الا في العيان ان أهل المنصورة وافوا مصلاهم يوم خميس على انه يوم الجمعة في زمن منصوري وان أهل البصرين جلسوا عن مصلاهم يوم الجمعة على انه يوم خميس في زمن أبي جعفر فبعث اليهم وقومهم وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الامصار ولا في العدد الكثير من أهل القرى لان الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة

من دابة ولم يذكر الارض وقال قوم وذقه يريد وذقة واحدة وهذا ردى في المعنى ليس بمبالغ قال ابن

الموصلى لعمري لئن حلئت عن منهل الصبا • لقد كنت ورّاد المناهل العذب

ليالى أمشى بين بردىّ لاهيا • أميس كغصن البانة الناعم الرطب

سلام على سير القلاص مع الركب • ووصل الغوانى والمدامة والشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية • سوى نظر العينين أو شهوة القلب

قوله والشرب يريد جمع شارب يقال شارب وشرب وراكب وركب وتاجر وتجر وزائر وزور قال

الطرماح حب بالزور الذى لا يرى • منه الا صفحة عن لمام

وهذا باب متصل كثير قال العجاج

بواسط أكرم دارا دارا • والله سمى نصرك الانصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونصر وقوله سلام امرئ على البدل من قوله سلام على سير

القلاص وان شئت نصبت بفعل مضمر كانك قلت أسلم سلام امرئ لانك ذكرت سلاما أولا

ومثل ذلك له صوت صوت حمار لانك لما قلت له صوت دللت على أنه يصوت كانك قلت يصوت

صوت حمار وكذلك له حنين حنين ثكلى وله صريف صريف القعو بالمسد اى يصرف صريفا

فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يصرف صريفا مثل صريف جمل

وان شئت جعلته حالا وتقديره يخرجه فى هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر

فان كان الاول فى غير معنى الفعل لم يكن النصب ألبتة ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأس

رأس ثور وله كف كف أسد فالمرتفع الثانى اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتا واذا كان معرفة كان

بدلا ولم يكن نعتا لان النكرة لا تنعت بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان

الكلام غير مستغن وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوته صوت الحمار وغناؤه غناء

المجيدين وكذلك ان خبرت بامر مستقر فيه اختير الرفع تقول له علم علم الفقهاء وله رأى رأى

القضاة لانك انما تمدحه بان هذا قد استقر له وليس الابلغ فى مدحه ان تخبر بانك رأيته فى حال تعلم

ويجوز النصب على انك رأيته فى حال تعلم فاستدللت بذلك على علمه فهذا يصلح والاجود الرفع

فاذا قلت له صوت صوت حمار فانما خبرت أنه يصوت فهذا سوى ذلك المعنى ومما يختار فيه الرفع

له دون الجمعة وبين تجار قد اعتادوا الدعة فى الجمع والجلوس عن الاسواق ومن معلم كتاب لا يصرف غلمانه الا فى الجمع وبين معنى بالجمع يتلاقى هناك مع المعارف والاخوان والجلساء وبين معنى بالجمع حرصا على الصلاة ورغبة فى الثواب ومن رجل عليه موعد ينتظره ومن صيرفى يصرف ذلك اليوم سفاتجه وكتب أصحابه ومن جندى فهو يعرف بذلك نوبته وبعض

قولك عليه نوحٌ نوحُ الحَمام وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه نائحا فكانك قلت ينوحون نوح الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخيَّاط المدينيُّ يعني مالك بن أنس

يأبى الجوابَ فما يُراجَع هيبةً * والسائلون نواكسُ الأذقانِ
هَدْيُ التقيّ وعزُّ سلطانِ النُّهى * فهو العزيزُ وليس ذا سلطانِ

أراد له هديُ التقيّ أو معه هديُ التقيّ

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئٍ شيأ لتكون فيه استراحةٌ للقارئ وانتقالٌ ينفي المَلَلَ لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجدّ بشئٍ يسير من الهزل ليستريحَ اليه القلبُ وتسكنَ اليه النفسُ قال أبو الدرداء رحمه الله انى لأستجمّ نفسي بالشئ من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال علي بن أبي طالب رحمه الله القلبُ اذا أُكرِه عمِيَ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تملّ كما تملّ الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة وقال ابن عباس رضى الله عنه العلمُ أكثر من أن يؤتى على آخره فخذوا من كل شئ أحسنه وليس هذا الحديث من الباب الذى ذكرنا ولكن نذكر الشئ بالشئ اما لاجتماعهما فى لفظ واما لاشتراكهما فى معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثوا هذه القلوب فانها سريعةُ الدُّثور واقدَعوا هذه الانفس فانها طُلَعَةٌ وانكم الا تزَعوها تنزِعْ بكم الى شرّ غاية وقد مضى تفسير هذا الكلام وقال أردشير بن بابك ان للآذان مجّةً وللقلوب مللا ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنوشروان يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أُصيبَ فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يُخلِيَ نفسه من واحدة من أربع من عُدّةٍ لمَعاد أو اصلاحٍ لمَعاش أو فكرٍ يقف به على ما يُصلحه مما يفسده أو لذّةٍ فى غير محرَّم يستعين بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبتِ انك تنام نومَ القائلة وذو الحاجة على بابك غير نائم فقال له يا بُنيّ ان نفسي مَطيّتي فان حملتُ عليها فى التعب حسرتُها [illegible] قوله حسرتها بلغتُ بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلبْ اليك البصرُ خاسئا وهو حسيرٌ وأنشد أبو عبيدة

كالسؤال والمساكين والقصاص الذين يعدون أعناقهم للجمعة انتظارا للصدقة والفائدة فى أمور كثيرة وأسباب مشهورة ولو جاز ذلك فى فى أهل المصرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة ولو جاز ذلك فى الايام لكان فى الشهور أجوز ولو جاز ذلك فى الشهور لكان فى السنين أجوز وفى ذلك فساد الحج والصوم والصلاة والزكاة والاعياد ولو كان ذلك جائزا لجاز ان

ان العَسيرَ بها داءٌ مُخامِرُها • فَشَطْرَها نظرُ العينين مَحسور

قوله فشطرها يريد قَصْدَها ونحوَها قال الله جل وعز فوَلِّ وَجهَكَ شَطْرَ المسجد الحرام قال الشاعر

لَهُنَّ الوَجَا لِمْ كُنَّ عَوْناً على النوى • ولازالَ منها ظالِعٌ وحَسِيرُ

يعني الابل يقول هي المفرّقة كما قال الآخر

مافَرَّقَ الأُلَّافَ بعد الله إلَّا الابلُ • ولا اذا صاحَ غرا • بٌ في الديار احتَمَلوا

وما غُرابُ البين الا ناقةٌ أو جَمَلُ

(قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس

والناسُ يَلْحَوْنَ غُرا • بَ البَيْنِ لماجَهِلوا

والبائسُ المسكينُ ما • تُطْوَى عليه الرحلُ

(ويقال انه لأبي الشيص) قال أبو العباس فمن قال آلفٌ للواحد قال للجميع أُلَّافٌ كعامِل وعُمّال وشارِب وشُرّاب وجاهل وجُهّال ومن قال ألفٌ قال للجميع آلافٌ وتقديره عِدْلٌ وأَعدال وحِمْلٌ وأحمالٌ ونِقْلٌ وانقال وقد أنصف الابل الذي يقول

ألَا فَرعَى اللهُ الرَّواحِلَ انما • مَطَايا قلوبِ العاشقينَ الرواحلُ

على انهنَّ الواصلاتُ عُرَى النَّوَى • اذا ما نَأَى بالآلفينَ التَّواصُلُ

وقال الآخر أقول والهَوجاءُ تَمْشِي والفُضُلْ • قَطَّعتَ الاحداجُ أعناقَ الابِلْ

الهوجاء التي تُجِدُّ في السير وتَرْكَبُ رأسَها كأنّ بها هَوَجاً كما قال • لله دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوجِ •

وكما قال الاعشى وفيها اذا ما هَجَّرتْ عَجْرَفِيَّةٌ • اذا خلتَ حِرْباءَ الوديقةِ أصيَدا

والفضل مِشْيةٌ فيها اختيال كأنّ مشيتها تخرج عن خطامها فتَفْضُلُ عليه والاصل في ذلك ان يمشي الرجل وقد أفضَلَ من ازاره وتمشي المرأة وقد أفضلتْ من ذَيْلها وانما يفعل ذلك من الخُيَلاء ولذلك جاء في الحديث فَضْلُ الازار في النار وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبي تَميمة الهُجَيْمي وإيّاكَ والمَخيلةَ فقال يا رسول الله نحن قوم عَرَبٌ فما المَخيلةُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْلُ الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس ابن الخطيم)

ولا يُنْسِينِيَ الحَدَثانُ عِرضي • ولا أُرخي من المَرَحِ الازارا

يتفق الشعراء على قصيدة واحدة والخطباء على خطبة واحدة والكتاب على رسالة واحدة بل جميع الناس على لفظة واحدة وانما زلت لك حالات الناس وخبرتك عن طبائعهم وفسرت لك عللهم لتعلم ان العدد الكثير لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد في المعنى الواحد في الزمن الواحد على غير التشاعر فيكون باطلا وسأبين لك موضع اختلافهم واتفاقهم وانه لم يخالف بينهم في

وقال أبو قيس بن الاسلت الانصارى

تمشى الهوينا اذا مشت فضلا • كأنها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن على بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصارى أعنى تمشى الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا • أنعم بالى وأتبع الغزلا

أنقل رجلى الى مجالسها • ولا أبالى مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها • تمشى الهوينا اذا مشت فضلا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعنى ابله أو ناقته

ان لها لسائقا خدلجا • لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

الخدلج المدمج الساقين وانما عنى المرأة التى ساقه حبه اليها والكلام يجرى على ضروب فمنه ما يكون فى الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ فى الوصف والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدى

أكنى بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحب المكان القفر من أجل أننى • به أتغنى باسمها غير معجم

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نمير الثقفى

وقد أرسلت فى السر أن قد فضحتنى • وقد بحت باسمى فى النسيب وما تكنى

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبى عتيق الى امرأة مخزومية وهو

ألما بذات الخال فاستطلعا لنا • على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها ان النوى أجنبية • بنا وبكم قد خفت ان تتيمما

قال فقال له ابن أبى عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مديدة قال له ابن أبى ربيعة أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان فقال له ما هو فقال كتبت

أضحى قريضك بالهوى نماما • فاقصد هديت وكن له كتاما

بعض الوجوه الا أرهاصا لمصلحتهم ولتصح أخبارهم ألا ترى ان أحدا لم يبع قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان ذلك الدرهم خير له من سلعته ولم يشتر أحد قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان تلك السلعة خير له من درهمه ولو كان صاحب السلعة يرى فى سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم وكان صاحب الدرهم يرى فى الدرهم ما يرى فيه صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراء أبدا ولا بيع أبدا وفى هذا

واعلم بان الخالَ حين ذكرتَهُ • قعدا العدوُّ به عليك وقاما

ويكون من الكناية وذلك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المُفحِش الى مايدل على معناه من غيره قال الله وله المَثَل الاعلى أُحِلّ لكم ليلةَ الصيام الرَّفَثُ الى نسائكم وقال أولامَسْتُمُ النساءَ والملامسةُ فى قول أهل المدينة مالكٍ وأصحابه غيرُ كناية انما هو اللَّمْسُ بعينه يقولون فى الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم فى قضاء الحاجة جاء فلانٌ من الغائط وانما الغائط الوادى وكذلك المرأة قال عمرو بن معدى كرب الزُّبَيدىّ

فكم من غائطٍ من دون سَلْمَى • قليلِ الأُنسِ ليس به كَتيعُ

وقال الله جل وعز فى المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شَهِدتُم علينا وانما هى كناية عن الفروج وهذا كثير

والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكُنْيةُ وهو ان يُعَظَّمَ الرجلُ انْ يُدْعَى باسمه ووقعت فى الكلام على ضربين وقعت فى الصبى على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويُدعَى بولده كنايةً عن اسمه وفى الكبير انْ يُنادَى باسم ولده صيانةً لاسمه وانما يقال كُنّيَ عن كذا بكذا أى تُرِكَ كذا الى كذا لبعض ماذكرنا وكان خالد بن عبد الله القَسْرىُّ لعنه الله يلعن علىّ بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على على بن أبى طالب بن عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبى الحسن والحسين ثم يُقبِلُ على الناس فيقول أكْنَيتُ فهذا تأويل هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذى قصدنا له قال اعرابى

وحُقّةِ مِسْكٍ من نساءٍ لَبِسْتُها • شبابى وكأسٍ باكرَتْنى شَمولُها

جديدةِ سِرْبالِ الشبابِ كأنها • اباءةُ بَرْدِيٍّ سَقَتْها غُيولُها

مُخَمَّلةٍ باللحم من دون خصرها • تطولُ القصارَ والطوالَ تَطولُها

قوله باكرتنى شمولها زعم الاصمعى ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عَصْفةً كعصفة الريح الشمال وقوله اباءة بَرْدِيّ الأباءةُ القَصَبةُ وجمعها الأَباءُ قال كعب بن مالك الانصارى

من سَرَّه ضربٌ يُرَعْبِلُ بعضُه • بعضًا كمَعْمَعةِ الأَباءِ المُحْرَقِ

جميع المفسدة وغاية الهلكة فسبحان الذى حبب الينا مافى أيدى غيرنا وحبب الى غيرنا مافى أيدينا ليقع التبايع واذا وقع التبايع وقع التراجع واذا وقع التراجع وقع التعايش ويدلك أيضا على اختلاف طباعهم وأسبابهم انك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب فلا تجد يدين تلتقيان على رطبة بعينها وكل واحد من الجميع يرى ماحواه الطبق غير ان شهوته

المعمعةُ صوت احراقه يقال سمعت معمعةَ القَصَبِ والقَوْصَرّة في النار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماء الاصول ورقته قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهلالي

لم أرَ في عَمْرةَ بعد اذ هي ناشئٌ • خرجت مُعَطَّفَةً عليها مِئزرُ

(العطافُ الوشاحُ من النساء)

برزَتْ عقيلةَ أربعٍ هادَيْنَها • بيض الوجوه كأنّهنّ العُنْقُرُ

(العُنْقُرُ أصول القصب يقال عُنْقُرٌ وعُنْقُرٌ) وفي هذا الشعر

ذهبتْ بعقلك رَيْطةٌ مَطْوِيَّةٌ • وهي التي تُهدَى بها لو تُنْشَرُ

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب في قوله لو تنشر تُشْعَرُ)

فهَمَمْتُ أنْ أَغْشَى اليها مَحْجِراً • ولَمِثْلُها يُغْشَى اليه المَحْجِرُ

وقوله سقتها الغيول الغيلُ ههنا الأجمة ومن هذا قولهم أُسْدُ غِيلٍ قال طَرَفَةُ

أُسْدُ غِيلٍ فاذا ما شربوا • وهبوا كلَّ أَمُونٍ وطِمِرّ

وقد أملينا جميع ما في الغَيْلِ والغِيلِ وقوله تطول القصارَ والطوالُ تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فَعُلَ وهو ما يقع في نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكَرُمَ وما كان وضيعا او لقد وَضُعَ وما كان شريفا او لقد شَرُفَ وكان الشيءُ صغيرا فكَبُرَ وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طَوُلَ وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما وهما متحركتان وعلى ذلك يقال في الفاعل فَعِيلٌ نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولني فطُلْتُه أي فعلوته طولا فتقديره فَعَلَ نحو خاصمني فخَصَمْتُه وضاربني فضربته وفاعلُه طائل كقولك ضارب وخاصم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الرَّبْعة واذا مشى مع الطوال طالهم وقال رِياحُ ابن سُنَيْحٍ الزِّنجيُّ مولى بني ناجية وكان فصيحا يُجيب جريرا لما قال جرير

لا تَطْلُبَنَّ خُؤولةً في تَغْلِبٍ • فالزِّنجُ أكرمُ منهمُ أخوالا

فضرك رياح فذكر أكثر من وَلَدَتْه الزنج من أشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزِّنجُ لولاقيتَهُم في صفهم • لاقيتَ ثَمَّ جحاجحاً أبطالا

ما بالُ كَلْبِ بني كُلَيْبٍ سَبَّهم • ان لم يُوازِنْ حاجباً وعِقالا

وقعت على واحدة غير التي آثرها صاحبه ولربما سبق الرجل الى الواحدة وقد كان صاحبه يريدها في نفسه غير ان ذلك لا يكون الا في الفرط ولو كانت شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدة بعينها لكان في ذلك التمانع والتجاذب والمبادرة وسوء المخالطة والمؤاكلة وكذلك هو في شهوة النساء والاماء والمراكب والكسى وهذا كثير والعلم به قليل وبأقل مما قلنا يعرف العاقل صواب

ان الفرزدق صخرة عادية • طالت فليس تنالها الاجبالا

يريد طالت الاجبالَ فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن أبي حفصة وهو مروان ابن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يزيد

انّ الغوانيَ طالما قتّلننا • بعيونهنّ ولايدين قتيلا

من كل آنسة كانّ جمالها • ضُمِّنَ أحورَ في الكناس كحيلا

أردين عروة والمرقّش قبله • كلٌّ أصيب وماأطاق ذهولا

ولقد تركن أباذؤيب هائما • ولقد تبلن كثيرا وجميلا

وتركن لابن أبي ربيعة منطقا • فيهن أصبح سائرا محمولا

الا أكن ممن قتلن فانني • ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولايدين قتيلا يقال ودى يدي وكل ما كان من فَعَلَ مما فاؤه واو ومضارعه يفعِل فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فَعِلَ يفعِلُ لان العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن في يدين علة أخرى وهي ان الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة فهي تعتل اعتلال آخر يرمي وأوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وعى يعي ووقى يقي ووفى يفي ووشى يشي وونى في أمره يني وماأشبه ذلك ويقع في فعل نحو ولي الاميرُ الآن يلي فاذا أمرت كان الفعلُ على حرف واحد في الوصل لاتصاله بما بعده تقول يازيدُ ع كلامًا وش ثوبا وتقول لِ عمرا يازيدُ من وليت فاذا وقفت قلت لِه وشِه وقِه لايكون الا ذلك لان الواو تسقط فنبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فأدخلت الهاء لبيان الحركة في الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال الفظ لي بحرف واحد غير موصول فقد سأل محالا لانك لاتبتدئ الا بمتحرك ولاتقف الا على ساكن فقد قال الفظ لي بساكن متحرك في حال وقوله ضُمِّنَ يقول ضُمِّنَ القبرُ زيدًا وضُمِّنَ القبرَ زيدٌ كل صحيح فمن قال ضُمِّنَ القبرُ زيدًا فانما أراد جُعِلَ القبرُ ضمين زيد ومن قال ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ فانما أراد جُعِلَ زيد في ضمن القبر ويُنشَدُ هذا البيت على وجهين (لأبي حَيّةَ النُّمَيْرِيّ)

وماغائبٌ مَنْ غاب يُرجى ايابُهُ • ولكنّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللحدَ غائبُ

مذهبنا والله تعالى نسأل التوفيق وهو الذي خالف بين طبائعهم وأسبابهم حتى لايتفق على تخرص خبر واحد لان في اتفاق طبائعهم وأسبابهم في جهة الاخبار فساد أمورهم وقلة فوائدهم واعتبارهم وفي فساد أخبارهم فساد متاجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم وبطلان المعرفة بانبيائهم ورسلهم عليهم السلام ووعدهم ووعيدهم وأمرهم ونهيهم وزجرهم ورغبتهم

ومن روى مَنْ ضُمِّنَ الحدُ فانّه يريد من ضُمِّنَهُ الحدُ وحذف الهاء من صلة مَنْ وهذا من الواضح الذى لا يحتاج الى تفسير وقوله أحورَ يعنى ظَبيًا وأهلُ الغريب يذهبون الى أن الحَوَرَ فى العين شدةُ سَوادِ سَوادها وشدةُ بياضِ بَياضها والذى عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحَوَرَ والحَوارِىَّ والكِناس حيث تَكنُسُ البقرةُ والظبيةُ وهو أن تتخذ فى الشجرة العاديّة كالبيت تأوى اليه وتَتَعَرُّفيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما تَرتَعى قال ذو الرمة

اذا استَهَلَّت عليه غَبيةٌ أَرِجَت • مَرابِضُ العينِ حتى يأرَجَ الخشبُ

كأنه بيتُ عَطّارٍ يُضَمِّنُهُ • لَطائمَ المِسكِ يحويها وتُنتَهَبُ

قوله غبية هى الدُفعةُ من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة والأرَجُ تَوَهُّجُ الريح وانما يستعمل فى الريح الطيبة والعِينُ جمع عَيناءَ يعنى البقرة الوحشية وبها شُبِّهت المرأة فقيل حورٌ عِينٌ واللطيمةُ الابل التى تحمل العطر والبزَّ لا تكون لغير ذلك فيقول ضُمِّنَ ظَبيًا أحورَ العينِ أكحَلَ وجعل الجمالَ كالكِناس وقال ابن عباس فى قول الله جل وعز فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ الجوارِ الكُنَّسِ قال أُقسِمُ ببقر الوحش لانها خُنسُ الأُنوفِ والكُنَّسُ التى تلزم الكِناس وقال غيره أُقسِمُ بالنجوم التى تجرى بالليل وتَخنُسُ بالنهار وهو الاكثر وقوله أردَيْنَ يقول أهلَكْنَ والرَدَى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذَهَلَ عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم تَرَونَها تَذهَلُ كلُّ مُرضعةٍ عما أرضعت أى تَسلَى وتَنسَى عنه الى غيره) قال كُثَيِّرٌ

صحا قلبُه يا عزَّ أو كاد يَذهَلُ • وأضحى يريد الصرمَ أو يتدَلَّلُ

وقوله ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّرًا وجميلًا أصل التَبْلِ التِرَةُ يقال تَبْلى عند فلان قال حسّان بن ثابت

تَبَلَت فؤادكَ فى المنامِ خَريدةٌ • تَشفى الضَجيعَ ببارِدٍ بَسّامِ

والخَريدةُ الحَيِيّةُ وقوله ممن ترك فؤاده مخبولا يريد الخَبَلَ وهو الجنون ولو قال مختبولا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا فى الحِبالة كما قال الاعشى

فكلُّنا هائمٌ فى اثرِ صاحبه • دانٍ وناءٍ ومخبولٌ ومختَبَلُ

وخُبِّرتُ أن رجلا جافيا عشق قَينةً حَضَرِيّةً فكلمها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خَريدةُ قد كنتُ أحسِبُكِ عَروبًا انما أنا عَقْدُ وتَشنَيْنَا فقالت يا ابن الخبيثة

وحدودهم وقصاصهم الذى هو حياتهم والذى يعدل طبائعهم ويسوى أخلاقهم ويقوى أسبابهم والذى به يتمانعون من نوائب السباع ولولا احتراس البهائم واضاعة الاعمار وبه تكثر خواطرهم وتفكيرهم ويحسن معرفتهم ولم نقل ان العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل كالتكذيب والتصديق ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية وعباد المبدرة

أتجمشني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قول عربا أترابا فقيل هن المحبات لازواجهن قال أوس بن حجر (ويقال عبيد بن الابرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة) • تصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الهيثمي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيأ الا أنه كان يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فأخلفته تحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحينها في أخرى فقال ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ● وذكروا أن أبا القمقام بن بحر السقاء عشق جارية مدينية فبعث اليها ان اخوانا لي زاروني فابعثي الي برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثاني بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثي الى بقلية جزورية وبقرية قديمة حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان في اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثي الى بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله انى رأيت الحب يحل في القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدى الى أمير المؤمنين المهدي في النيروز والمهرجان فأهدى في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب في حواشيه

نفسي بشيء من الدنيا معلقة • الله والقائم المهدي يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني • فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالا فقال للكتاب أمر لي بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما زعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكري صفحا ودعت أبا الحرث جمين واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلني الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا قالت أما تستحيي أما في وجهي ما يشغلك

يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون آياته وأعلامه ويقولون لم يأت بشيء ولا بان بشيء وانما قلنا ان العدد الكثير لا يتفقون على نفي مثل أخبارهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب التهامي الابطحي عليه السلام خرج بمكة ودعا الى كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وأباح كذا وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه وانه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه

عن ذا قال لها جعلنى الله فداك لو أن جميلا و بثينة قعدا ساعة لابا كالان شيأ البزق كل واحد منهما فى وجه صاحبه وافترقا و أنشدت لاعرابى

وقد رابنى من زهدم أن زهدما ٭ يشد على خبزى و يبكى على جملى
فلو كنت عذرى العلاقة لم تكن ٭ سمينا وأنسال الهوى كثرة الاكل

وقال أعرابى
ذكرتك ذكرة فاصطدت ضبا ٭ وكنت اذا ذكرتك لا أخيب

وقال ذو الرمة
ألم تعلمى يا مى أنا و بيننا ٭ مهاو لطرف العين فيهن مطرح
ذكرتك ان مرت بنا أم شادن ٭ أمام المطايا تشرئب وتسنح
من المؤلفات الرمل أدماء حرة ٭ شعاع الضحى فى لونها يتوضح
هى الشبه أعطافا و جيدا ومقلة ٭ ومية أبهى بعد منها وأملح
كأن البرى والعاج عيجت متونه ٭ على عشر نهى به السيل أبطح
لئن كانت الدنيا على كما أرى ٭ تباريح من ذكراك للموت أروح

قوله مها و واحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين و يقال لفلان فى داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة و كذا مرة وأنشد سيبويه

نظارة حين تعلو الشمس راكبها ٭ طرحا بعينى لياح فيه تحديد

اللياح من البياض واللوح العطش واللوح الهواء والشادن الذى قد شدن أى تحرك وقوله تشرئب يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأب نحوى و يقال هو يسرح فى المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفت المكان أولفه ايلافا و يقال ألفته الفا وفى القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرؤا الفهم على القصر وقوله الرمل النصب فيه أجود بالفعل و يجوز الخفض على شئ نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثانى عطفه و يقال للاردية العطف لانها تقع على ذلك الموضع وفى الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفا ليثبتهم فى قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العطف واحدها عطاف ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها فاعطاهم فهم منه والجيد العنق والبرى

وتأليفه فى المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ولا ادعى انه قد فعل فيكون ذلك الخبر باطلا وليس قول جمعهم انه كان كاذبا معارضة لهذا الخبر الا ان يسموا الانكار معارضة وانما المعارضة مثل الموازنة والمكايلة فتى قابلونا باخبار فى وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها فقد عارضونا و وازنونا وقابلونا وقد تكافينا وتدافعنا فاما الانكار

الخلاخيل واحدتها بُرَةٌ وهي من الناقة التي تقع في مارن الانف والذي يقع في العظم يقال له الخشاشُ والعاج كان يتخذ مكان الأسورة قال جرير

تَرى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بكوعها • لها مَسَكاً من غير عاجٍ ولا ذَبْلِ

العبس ما يتعلق من الأبعار والبول باذناب الابل والوذَحُ الذي يتعلق باطراف آلاء الشاء ويكون العبس في أذناب الابل من البول اذا خَثُر والجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزند الذي يلي الابهام والكرسوع رأسه الذي يلي الخنصر والمَسَكة السوار والذَّبْل شيءٌ يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سِوارٌ وسُوارٌ واسْوارٌ قالت الخنساءُ • كانه تحت طَيّ البُرْد اسْوارُ • والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادي يقال أبْطَح وبَطْحاء يافتى وأبْرَقٌ وبَرْقاء وأمْعَزُ ومَعْزاءُ وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال بَرَّح به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرْحاً والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير

ما كنتُ أوَّلَ مشغوفٍ أضَرَّ به • بَرْحُ الهوى وعذابٌ غير تفتير

(قال أبو الحسن وقد سمعناه من غير أبي العباس يقال لقيت منك بَرَحاً بالفتح ويقال لقي منه البُرَحِينَ أي الدواهيَ الشدادَ التي تُبَرِّحُ) قال أبو العباس في المثل السائر قيل لرجل ما خَفِي قال مالم يكن وفي تفسير هذه الآية يعلم السرَّ وأخفى قال ما حدَّثت به نفسك كما قال أو إن كنتم في أنفسكم وتقديره في العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظمَ وانه لكالبقّة أو أصغرُ ولو قال رأيت زيدا أو شبيهاً لجاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيتُ الجمل أو راكباً وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والاول انما قرّب شيأ من شيءٍ وههنا انما ذكر شيأ ليس من شكل ما قبله فاما قوله جل ثناؤه وهو أهْوَنُ عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضي عندنا انما هو وهو عليه هَيِّنٌ لان الله جل وعزّ لا يكون عليه شيءٌ أهْوَنَ من شيءٍ آخر وقد قال مَعْنُ بن أوس

لَعَمْرُكَ ما أدري واني لأوْجَلُ • على أيّنا تَعْدو المنيّةُ أوّلُ

أراد واني لَوَجِلٌ وكذلك يَتَأوَّلُ ما في الاذان الله أكبر الله أكبر أي الله كبير لانه انما يُفاضَلُ بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكله في بابٍ فأما الله أجْوَدُ من فلان والله أعلم بذلك منك فوجهه بَيِّنٌ لانه من طريق العلم والمعرفة والبَذْلِ والاعطاء وقوم يقولون الله

فليس بحجة كما ان الاقرار ليس بحجة ولا تصديقنا النبي صلى الله عليه وسلم حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرنا له حجة علينا وانما الحجة في المجيء الذي لا يمكن في الباطل مثله فان قلت وأي مجيء أثبت خبرا النصارى عن عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك انك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك عن أسلافهم ان عيسى قد قال اني اله قلنا قد علمنا ان نصارى عصرنا لم

أكبر من كل شئ وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شئ وكذلك قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال الذى يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرى من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا • ألأم قوم أصغروا أكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة فى ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بنى أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد • صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ماقلنا فى بيته الثانى بقوله

فخروا بمقتله ولا يوفى به • مثنى سراتهم الذين نقتل

والقول الثانى فى الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشئ عند الناس أهون من ابتدائه حتى يحتمل شيأ من لاشئ ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة • ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذى ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سرى الى صديقى فأذاعه فهو فى حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه • فليس على شئ سواه بخزان

وأحسن ماسمع فى هذا ما يعزى الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقائل يقول هوله ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف فى أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا

وانى رأيت غواة الرجا • ل لايتركون أديما صحيحا

وذكر العتبى أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبى فقلت ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أويدخل هذا بين الرجل

يكذبوا على القرن الذى كان قبلهم والذين كانوا يلونهم ولكن الدليل على ان أصل خبرهم ليس كفرعه ان عيسى عليه السلام لو قال انى اله لما أعطاه الله تعالى احياء الموتى والمشى على الماء على ان فى عيسى عليه السلام دلالة فى نفسه انه ليس باله وانه عبد مدبر ومقهور ميسر وليس خبرهم هذا الا كاخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذى يليهم ان بولس قد كان جاء بالآيات

وأبيه فقال لا ولكنى أكره أن تذلّل لسانك بإفشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتقك أخى من رقّ الخطأ وقال معاوية أُعنتُ على علىّ رحمه الله بأربع كنتُ رجلاً أكتم سرّى وكان رجلاً ظَهِرَةً وكنتُ فى أطوعِ جُنْدٍ وأصلحه وكان فى أخبث جند وأعصاه وتركته وأصحابَ الجَمَل وقلت ان ظفروا به كانوا أهْوَنَ علىّ منه وان ظَفِرَ بهم اعتددتُ بها عليه فى دينه وكنتُ أحَبَّ الى قُرَيْش منه فيالك من جامعٍ الىّ ومفرِّقٍ عنه وعَوْنٍ لى وعونٍ عليه وقال أرْدَشيرُ الداءُ فى كل مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قَدُمَتْ • كالعُرّ يَكْمُنُ حيناثم يَنْتَشِرُ

وقال جَميلٌ

ولا يَسْمَعَنْ سِرّى وسِرَّكِ ثالثٌ • ألا كلُّ سرٍّ جاوزَ اثنين شائعُ

وقال آخر وهو مِسْكِينٌ الدارِمىّ

وفِتْيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم • على سرّ بعضٍ غيرَ أنى جِماعُها

يَظَلُّونَ فى الارض الفضاءِ وسرُّهُمْ • الى صخرةٍ أعيا الرجالَ انصداعُها

(لكل امرئٍ شِعْبٌ من القلب فارغٌ • وموضعُ نَجْوَى لا يُرامُ اطّلاعُها)

وقال آخر

سأكتمه سرّى وأحفظ سرَّهُ • ولا غرّنى أنى عليه كريمُ

حليمٌ فينسى أو جهولٌ يُضيعُهُ • ولا الناسُ الا جاهلٌ وحليمُ

وكان يقال أصبرُ الناس مَنْ صبر على كتمان سرّه ولم يُبْدِه لصديقه فيوشك أن يصير عدوًّا فيُذيعه

وقال آخر

ولى صاحبُ سرّى المُكَتَّمُ عنده • مَخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تُحَرَّقُ

عَطَفْتُ على أسراره فكسوتها • ثيابا من الكتمان لا تتخرّق

فمَنْ تكن الاسرارُ تَطْفو بصدره • فأسرارُ صدرى بالاحاديث تَغْرَقُ

فلا تُودِعَنَّ الدهرَ سرّكَ أحمقا • فانك ان أودعتَهُ منه أحمقُ

وحَسْبُكَ فى سَتْر الاحاديث واعظًا • من القول ما قال الاريبُ المُوَفَّقُ

اذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرّ نفسه • فصدرُ الذى يَسْتَودِعُ السرَّ أضيقُ

وقال كَعْبُ بنُ سَعْدٍ الغَنَوِىّ

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سريرتى • وما أنا عن أسرارهم بسَؤُولِ

والعلامات وكالاخبار المأثورة عن القرن الذى كان يليهم منهم أن مانى قد كان جاءهم بالآيات والعلامات وكالاخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم ان زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات وقد علمنا ان هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذى كان يليهم ولا الزنادقة ولا المجوس ولكن الدليل على أصل خبرهم ليس كفرعه لأن الله تعالى جل وعز لا يعطى العلامات من

(ولا آنا بوما الحديث سمعته ● الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تفشين له سرا ولا تغتبن عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيله ● من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطي دونه خبري ● وليس لي حيلة في مفتري الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به ● بوادر من دمع تسيل على خدي

وشاع الذي أضمرت من غير منطق ● كأن ضمير القلب يرشح من جلدي

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذري

اذا جاوز الاثنين سر فانه ● بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أي قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمين في معنى قال الحرث بن خالد المخزومي

من كان يسأل عنا أين منزلنا ● فالأقحوانة منا منزل قمن

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يرد ثمنه في مثله فذلك مال قمن الا يبارك فيه وقال الرقاشي

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق ● كلاما تكلمنا بأعيننا سرا

فنقضي ولم يعلم بنا كل حاجة ● ولا نكشف النجوى ولا نهتك السترا

وقال معاوية لعياش بن صحار العبدي ما أقرب الاختصار قال لمحة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الاسرار لكن أنمها ● ولا أدع الاسرار تغلي على قلبي

لا يعرفه لان بولس ان كان عنده أن عيسى عليه السلام اله فهو لا يعرف الله تعالى بل لا يعرف الربوبية من العبودية والبشرية من الالهية (فصل منه) والنصارى خاصة رياء عجيب وظاهر زهد والناس أبطأ شيء عن التصفح وأسرع شيء الى تقليد صاحب السن والسمت وظاهر العمل أدعى لهم من العلم (فصل منه على ذكرهم) وكل قوم بنوا على حب الاشكال وشد الرحال

وان أحقَّ الناس بالسخف لامرؤٌ • تقلّبه الاسرار جنبًا الى جنب

وقال آخر وأمنعُ جارتي من كل خير • وامشي بالنميمة بين صحبي

ويقال للنمام القتّات وفي الحديث لا يُراح القتّات رائحة الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلّث فقيل يا رسول الله ومن المثلّث فقال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلّغ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا • شرًّا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلّب بن أبي صفرة أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ اليه ويقال النكاح السرّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يذكر الشيء بالشيء وهذا حرف يُغلط فيه لان قوما يجعلون السرّ الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن سرًّا الا ان تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سرّ جارتهم عليهم • ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الاعشى لسلامة ذي فائش الحميري

وقوم ان يضمنوا جارة • وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرّها للغنى • ولن يسلموها لازهادها

في هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون في ذوات الاموال وانما يرغبون في ذوات الاحساب اختيارا للاولاد وصيانة للاصهار ان يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة • ويأكل جارهم أنف القصاع • انما يريد المستأنف الذي لم يؤكل قبل منه شيء يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شيء قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرُّغُف • والقينة الحسناء والكأس الأنف

• للطاعنين الخيل والخيل خنف •

يشتد وجدهم به وحبهم له حتى ينقلب الحب عشقا والوجد صبابة للشاكلة التي بين الطبائع والمناسبة التي بين النفوس وعلى قدر ذلك يكون البغض والحقد لان النصارى حين جعلوا ربهم انسانا مثلهم بخعت نفوسهم بالاهيته لتوهمهم الربوبية وسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية فلذلك قدروا من العبادة على مالم يقدر عليه سواهم وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع من مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح فيها مالك بن علي الخزاعي

عرضت عليها ما أرادت من المنى • لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله • كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
فلو انني أصبحت في جود مالك • وعزته ما نال ذلك مطلبي
فتى شقيت أمواله بسماحه • كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع فى كلمة له يمدح بها عاصما الغساني

أقول ونفسي بين شوق وحسرة • وقد شخصت عيني ودمعي على خدي
أتريحي بقتل من تركت فؤاده • بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب في الهوى قبل ميتة • وموت اذا أقرحت قلبك من بعدي
لقد فطنت للجور فطنة عاصم • لصنع الايادي الغر في طلب الحمد
سأشكوك في الاشعار غير مقصر • الى عاصم ذي المكرمات وذي المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا • فتأمن نفسي منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل • في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني
هذا زمان ألح الناس فيه على • زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة • عني وزادك خيرا يا ابن يقطين
أني أريدك للدنيا وعاجلها • ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبي فى كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر اني • لابن بيت تهدى له الاشعار
غير أني أراك من أهل بيت • ما على الخزان يسود ومعار

وقال أيضا فى كلمة أخرى وإذا جدت فكل شيء نافع • وإذا حدت فكل شيء ضائر

ممن ينفي التشبيه حتى رءا رأيته يتنفس من الشوق اليه ويشهق عند ذكر الزيارة ويبكي عند ذكر الرؤية ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب وما ظنك بشوق من طمع في مجالسة ربه جل جلاله ومحادثة خالقه عز ذكره ولقد قالت القوم غول ودهاهم أمر فانظر ما هو وان سألتني عنه خبرتك انما هو نتيجة أحد أمرين اما تقليد الرجال واما طلب تعظيمهم ولذلك السبب لم ترض اليهود

وإذا أتاكَ مُهَلَّبِيٌّ في الوغى • والسيفُ في يدهِ فنعمَ الناصرُ

وقال عبد الله بن الزُّبَيْر لما أتاه قتلُ مُصْعَب بن الزبير أشهدَهُ المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ قالوا لا كان المهلب في وجوه الخوارج قال أفشهدَهُ عَبَّادُ بن الحُصَيْن الحَبَطِيُّ قالوا لا قال أفشهده عبد الله بن خازم السُّلَمِيُّ قالوا لا فتمثَّل عبدُ الله بن الزُّبَيْر فقال

فقلتُ لها عيثي جَعارِ وجَرِّري • بلحمِ امرئٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصرُهْ

جَعارِ اسم من أسماء الضَّبُع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفَساقِ ولَكاعِ وحَلاقِ للمنية وقد فسرناه هذا الباب مُسْتَقْصًى على وجوهه الاربعة وروي ان ابنة جارية لهَمَّام بن مُرَّةَ بن ذُهْل بن شَيْبان قالت له يوما

أهمامَ بن مُرَّةَ حَنَّ قلبي • الى اللَّاتي يَكُنَّ مع الرجال

فقال يا فَساقِ أردتِ صَفيحةً ماضيةً فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي • الى صَلْعاءَ مُشْرِفَةِ القَذالِ

فقال يا خَبارِ أردتِ بَيْضةً حصينةً فقالت

أهمام بن مرة حن قلبي • الى أَيْرٍ أُسَدُّ به مَبالي

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشَّمَقْمَق وهو مَرْوانُ بن محمد وزعم التَّوَّزِيُّ عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سُلَيْم الكاتبُ من أهل خُراسانَ من بُخاريّة عبيد الله ابن زياد (وبُخاريةُ اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لَحَنَ ويَهْزِلُ كثيرا ويُجِدُّ فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن عليّ الخزاعيّ ويذمّ سعيد بن سَلْم الباهليّ

قد مَرَرْنا بمالكٍ فوجدنا • ه جوادًا الى المكارم يَنْمي

ما يبالي أتاه ضَيْفٌ مُخِفٌّ • أم أتته يأجوجُ من خلف رَدْمِ

فانتهينا الى سعيد بن سَلْمٍ • فاذا ضيفُه من الجوع يَرْمي

واذا خُبْزُه عليه سَيَكْفيـ • ـكَهُمُ الله ما بدا ضوءُ نجمِ

واذا خاتَمُ النبيِّ سُلَيْما • نَ بن داود قد علاه بخَتْمِ

فارتحلنا من عند هذا بحَمْدٍ • وارتحلنا من عند هذا بذَمِّ

من انكار حقه بتكذيبه حتى طلبت قتله وصلبه والمثلة به ثم لم ترض بذلك حتى زعمت انه لغير رشدة فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صبابة وتحرقا وأفرط غضبا وأدوم حقدا وأحسن تواصلا من غيرهم أيضا ورب خبر قد كان فاشيا فدخل عليه

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثى سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم ⁂ وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضت الحوادث نادى ⁂ رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لى اعرابى فمدحنى فبلغ فقال

الا قل لسارى الليل لا تخش ضلة ⁂ سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد ⁂ جواد حثا فى وجه كل جواد

قال فتأخرت عن بره قليلا فهجانى فبلغ فقال

لكل أخى مدح ثواب يعده ⁂ وليس لمدح الباهلى ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة ⁂ فكان كصفوان عليه تراب

وقال أبو الشمقمق قال لى الناس زر سعيد بن سلم ⁂ قلت للناس لا أزور سعيدا

وأميرى فتى خزاعة بالبصرة قد عمها سماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن ⁂ مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرنى مع مالك وانه أخذ منى أمنيته وقال أبو الشمقمق أيضا

هيهات تضرب فى حديد بارد ⁂ ان كنت تطمع فى نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها ⁂ وأتاه سلم فى زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره ⁂ لأبى وقال تيممن بصعيد

(ومثله قول الآخر لو ان قصرك يا ابن يوسف كله ⁂ ابر يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة ⁂ ليخيط قد قميصه لم تفعل)

وقال مسلم بن الوليد دينك لا يقضى الزمان غريمها ⁂ وبخلك بخل الباهلى سعيد

سعيد بن سلم ألأم الناس كلهم ⁂ وما قومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا ⁂ تدارك منا مجده بيزيد

خزيمة لا بأس به غير انه ⁂ لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثى عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعيد سعيد بيسير

من العلل ما منعه من الشهرة ورب خبر ضعيف الأصل واهن المخرج قد تهيأ له من الاسباب ما يوجب الشهرة

(فصل منه) واعلم ان لاكثر الشعر طعنا وحظوظا كالبيت يحظى ويسير حتى يحظى صاحبه بحظه وغيره من الشعر أجود منه وكالمثل يحظى ويسير وغيره من الامثال أجود وما ضاع من كلام الناس وضل أكثر مما حفظ وحكى واعتبر ذلك من نفسك وصد بقك

رُزِينَا أبا عمرو فقلنا الناعمرو • سيَكفيكَ ضوءُ البدرِ غيبوبةَ البدرِ

وكان أبو عمرو مُعارًا حياتُهُ • بعمرو فلما مات مات أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيدُ يوما لسعيد بن سَلْم يا سعيدُ مَن بيتُ قيس فى الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم فى الاسلام قال يا أمير المؤمنين مَن شرَّفتموه قال صدقتَ أنت وقومُكَ

وحدثنى على بن القاسم بن على بن سليمان الهاشمى قال حدثنى رجل من أهل مكة قال رأيت فى منامى سعيد بن سَلْم فى حياته وفى نعمته وكثرة عدد ولده وحُسن مذهبه وكمال مروءته قال فقلتُ فى نفسى ما أجلّ ما أُعطيه سعيدُ بن سَلْم فقال لى قائل وما ذخره الله له فى الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم اذا استقبل السنةَ التى يستأنف فيها عدد سنيه أعتق نَسَمةً وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لمدينىّ ان سعيد بن سلم يشترى نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال اذا لا يبيعه وقال أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد بن سلم

أبنى سعيد انكم من معشرٍ • لا يعرفون كرامةَ الأضياف

قوم لباهلةَ بن يَعصُرَ انهم • نسبوا حسيبَهُمُ لعبد مناف

قرنوا الغداء الى العشاء وقرّبوا • زادًا لعمرُ أبيك ليس بكاف

وكأنّنى لما حططتُ اليهمُ • رحلى نزلتُ بأبرق العزّاف

بينا كذاك أتاهم كبراؤُهُم • يلحون فى التبذير والاسراف

وأنشدنى المازنى

سَلِ اللهَ ذا المَنّ من فضله • ولا تسألنّ أبا وائلَهْ

فما سأل اللهَ عبدٌ له • فخابَ ولو كان من باهلَهْ

(قال أبو الحسن وزادنى بعض أصحابنا

ترى الباهلىّ على خبزه • اذا رامه آكلٌ آكلَهْ)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهلَ ينبحنى كلبكم • وأُسْدُكُمُ ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهلىّ • عوى الكلبُ من لؤم هذا النسب

وحدثنى على بن القاسم قال حدثنى أبو قلابة الجرمىّ قال جئنا مرةً مع أبى حَوْن بن عمرو بن سعيد

وجليسك وأمر الأسباب عجيب ومن ذلك قتل على بن أبى طالب من السادة والقادة والحماة ما صى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته فاضرب الناس عن ذكرهم وجهلت العوام مواضعهم وأخذوا فى ذكر عمرو بن عبد ود فرفعوه فوق كل فارس مشهور وقائد مذكور وقد قرأت على العلماء كتاب الفجار الأول والثانى والثالث وأمر المطيبين والأحلاف ومقبل أبى أزيهر وهجى •

قال وكنا في ذراه وهو اذ ذاك جهي وضي فجلسنا في المسجد الحرام الى أقوام من بني الحرث بن كعب لم نر أفصح منهم فرأوا هيئة أبي جزء واعظامنا اياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صرالي فصيلتك التي تؤويك قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بني يعصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثي فقلت أتعرف هذا قال ذكرت انه باهلي فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو جزء أمير ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثي الامير أعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة قال أفا الخليفة أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عددت له في النبوة أضعاف ما عددت له في الامارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبي جزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس آدابا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أي أبدى غير ما يراد منه) وحدثت أن أعرابيا لقي رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلي قال أعيذك بالله من ذلك قال اي والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابي يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لاني أثق بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا في الدنيا الا وأنت من أهل الجنة وزعم الرقاشي أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فاراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور ترتقى بالسلالم فاذا بالحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول

الفيل وكل يوم جمع كان لقريش فاسمعت لعمرو هذا في شئ من ذلك ذكرا فان قلت ان نبل القاتل زيادة في نبل المقتول فكل من قتله علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه أنبل منه وأحق بالشهرة ولكن أشعار ابن ود ومناقلة الصبيان في الكتاب هما اللتان أورثتاه ماترى وتسمع

(فصل منه في أمر الاخبار)

وانما ذكرت هذا لتعلم ان الخبر قد يكون أصله

عَزَلْنا وأَمَّرْنا وبَكْرُ بن وائل ◆ تَجُرُّ خُصاها تَبْتَغِى من تُحالِفُ

قال أعرفه وأعرف الذى يقول

وخَيْبَة مَن يَخِيبُ على غَنِيٍّ ◆ وباهِلَةَ بنِ يَعْصُرَ والرِّكابِ

(يريد ياخيبة من يخيب) قال أفتعرف الذى يقول

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حَوْلَ ابنِ مِسْمَعٍ ◆ وقد عَرِقَتْ أفواهُ بَكْرِ بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذى يقول

قومٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُمْ وأبوهُمُ ◆ لولا قُتَيْبَةُ أصبحوا فى مَجْهَلِ

قال أما الشعرُ فأراكَ ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الاكثر الأَطْيَبَ هل أَتَى على الانسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فاغضبه فقال والله لقد بلغنى أن امرأة الحُضَيْنِ حُمِلَتْ اليه وهى حُبْلَى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رِسْله وما يكون تَلِدُ غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبةُ على عبد الله فقال لا يُبْعِدُ اللهُ غيرَكَ هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواءُ علىّ بن أبى طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لِمَنْ رايةٌ سوداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها ◆ اذا قيل قَدِّمْها حُضَيْنُ تَقَدَّما

والحرث بن وعلة يقول الأعشى وكان قصده فلم يحمده وعَرَّجَ عنه الى هَوْذَةَ بن على ذى التاج وهوذةُ من بنى حنيفة بن لُجَيْم بن صَعْب بن على بن بكر بن وائل والحرثُ بن وَعْلَةَ من بنى رَقاش وهى امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذُهْل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن على

أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرا عن جَنابةٍ ◆ فكان حُرَيْثٌ عن عَطائى جامدا

اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما ◆ يَرَى أَسَدًا فى بيته وأَساودا

لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فى النَّدَى ◆ شمائلَه ولا أباه مُجالدا

وانَّ امرأً قد زُرْتُه قبل هذه ◆ بِجَوٍّ لخيرٌ منك نفسا ووالدا

تَضَيَّفْتُه يوما فقرب مجلسى ◆ وأَصْفَدَنى على الزَّمانة قائدا

ضعيفا ثم يعود قويا ويكون أصله قويا فيعود ضعيفا للذى يعتريه من الأسباب ويحل به من الاعراض من لدن مخرجه وفصوله الى أن يبلغ مدته ومنتهى أجله وغاية التدبير فيه والمصلحة عليه فلما كان هذا مخوفا وكان غير مأمون على المتقادم منه وضع الله تعالى لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة أمارة ليعيد قوة الخبر ويجدد ما فقدهم بالدروس من أنباء

وامتنعني على العشا بوليدة • فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فتى لو يبارى الشمس ألقت قناعها • أو القمر السارى لألقى المقالدا

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة • ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهي كلمة قوله أتيت حويرثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول في تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفي الحرث حريث لانه من الحرث وفي غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول في تصغير قنديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل فعلى هذا مجرى الباب وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحي لجارهم جار الجنابة أي الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أي غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا • في آل لأي بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة فلا تحرمني نائلا عن جنابة • فاني امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

ابكي أخاك لايتام وأرملة • وابكي أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التي تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا في بيته وأساودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا أردت القيد لانه نعت غالب يجري مجرى الاسماء وان أردت أدهم الذي هو نعت محض قلت دهم قال الأشهب بن رميلة

أسود شرى لاقت أسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود

فاجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والاكابر والاحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة في الندى

المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين لان نوحا عليه السلام هو الذي جدد الاخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليهما السلام حتى منعها الخلل وحماها النقصان بالشواهد الصادقة والامارات القائمة وليس ان أخبارهم وحججهم قد كانت درست وأخلت بل حين همت بذلك وكادت بعثه الله عز وجل بآياته لئلا تخلو الارض من حججه ولذلك سموا آخر الدهر الفترة وبين

شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائلَ وعلةٍ والبدل على أربعة
أضرب فواحد منها أن يُبدَلَ أحدُ الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تبالى أمعرفتين كانا
أم معرفة ونكرة وتقول مررتُ بأخيك زيدٍ لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله
فهذا واحد وآخر أن يُبدَلَ بعضُ الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لمّا قلت ضربت زيدا أردت
أن تُبين موضع الضرب منه فمثلُ الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراطَ المستقيم صراطَ
الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنسفعا بالناصية ناصية
كاذبة خاطئة ومثلُ البدل الثانى قوله ولله على الناس حجُّ البيت مَنْ استطاع اليه سبيلا مَن
فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثله الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا
للذين استُضْعفوا لمن آمن منهم والبدلُ الثالث مثلُ ما ذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى
غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألُكَ عن زيد أمره لان السؤال عن الامر وتقول على
هذا سُلِبَ زيدٌ ثوبُه فالثوب غيره ولكن به وقعَ السلْبُ كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك
من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون
فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الاخطل)

ان السيوفَ غدوُّها ورواحها * تركتْ هوازنَ مثلَ قرنِ الاعضبِ

وبدلٌ رابع لا يكون مثله فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يغلطَ المتكلم فيستدركَ غلطه أو ينسى
فيذكرَ فيرجع الى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررتُ بالمسجد دار زيد أراد أن يقول مررت
بدار زيد فامّا نسى واما غلط فاستدركَ فوضع الذى قصدَ له فى موضع الذى غلط فيه وقوله بجوّ
فهى قصبةُ اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعّلته من الضيافة يقال ضفتُ الرجل أى
نزلتُ به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطانى وهو الاصفادُ والصفدُ الاسم
والاصفادُ المصدر قال النابغة * فلم أعرض أبيتَ اللعنَ بالصفد * ويقال صفدتُ الرجل
فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفدُ
قال الله جل وعز مقرنين فى الاصفاد كقولك جملٌ وأجمالٌ وصنمٌ وأصنام وقوله فتى لو يبارى
الشمس يقول يعارضُ يقال انبرى لى فلان أى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يُبارى الريح من

الفترة والقطعة فرق
فاعرف ذلك ثم بعث الله
جل وعز ابراهيم عليه
السلام على رأس الفترة
الثانية التى كانت بينه
وبين دهر نوح وانما جعلها
الله تعالى أطول فترة
كانت فى الارض لان نوحا
كان لبث فى قومه يحتج
ويخبر ويؤكد بين
ألف سنة الا خمسين عاما
ولان آخر آياته كانت
أعظم الآيات وهى
الطوفان الذى أغرق الله
تعالى به جميع أهل الأرض
غيره وغير شيعته وانما

هذا أي يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فاما بارأت الكرى فهو مهموز لانه من أبرأني وأبرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يافتى والمصدر منهما البُرْء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصور ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البرية أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصي وأوصياء وتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ومن همز الواحد قال في الجميع نبآء لانه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمي

يا خاتم النبآء انك مرسل ● بالحق كل هدى السبيل هداكا

وقوله أو القمر الساري لالقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة وانما جاز ذلك لان هذه الياء تسكن في الرفع والخفض فاذا احتاج الشاعر الى اسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالالف التي في مثنى التي هي على هيئة واحدة في جميع الاعراب قال النابغة ردت عليه أقاصيه ولبده ● ضرب الوليدة بالمسحاة في الثأد

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رؤبة

كأن أيديهن بالقاع القرق ● (أيدي جوار يتعاطين الورق)

وقال ● سوى مساحيهن تقطيط الحقق ● (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لان بعده

● تقليل ما قارعن سمر الطرق ● والطرق جمع طرقة) وقال آخر

كفى بالنأي من أسماء كاف ● وليس لحبها ما عشت شاف

وأما قوله وأمنعني على العشا بوليدة ● فابت بخير منك يا هوذ حامدا

فانه كان يحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب الى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد الى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت الى النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا عنهم وقال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت ● عسرا علي طلابك ابنة مخرم

فكان يحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

فار الماء من جوف تنور ليكون أعجب للآية وأشهر للقصة وأثبت الحجة ثم مازالت الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعضهم على أثر بعض في الدهر الذي بين ابراهيم وبين عيسى عليهما السلام فلترادف حججهم وتظاهر أعلامهم وكثرة أخبارهم واستفاضة أمورهم ولشدة ما تأكد ذلك في القلوب ورسخ في النفوس وظهر على الألسنة لم يدخلها الخلل والنقص والفساد في

وترى

وترى العواذل يبتدرن ملامتي • فإذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر فدى لك والدي وسراة قومي • ومالي إنه منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله يرى جمع مادون الثلاثين قصرة أي قليلا من الاقتصار ويروى ويغدو ويغدو جميعا وكان هوذة بن علي ذا قدر ومال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثني التوزي عن أبي عبيدة قال ماتتوج معدي قط انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الأعشى

من يرهوذة يسجد غير متئب • اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهي صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه في الأرض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يجدونه حتى فكروا وأعدوا له السلالم فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنتجعهم لموضع التمر فيجاورون العز بزمنهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هنالك كانت لطسم وجديس والخبر في ذلك مشهور وبزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها • حقا كما نطق الذئبي اذ سجعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف • أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم • ذو آل غسان يزجي الموت والشرعا

وحدثني التوزي عن أبي عبيدة والأصمعي عن أبي عمرو قال قال لي رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس فخفت السلطان فأخفيتها وقد ذكر ذلك زهير في قوله

عهدي بها يوم باب القريتين وقد • زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية • ترعى الخريف فأدنى دارها ظلم

الدهر الذي كان بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قد بين همت بالضعف وكادت تنقص عن التمام وانتهت قوتها بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فجدد أقاصيص آدم ونوح وموسى وهارون وعيسى ويحيى عليهم السلام وأمورا بين ذلك وهو الصادق بالشواهد الصادقة وأنها الساعة آتية وانه ختم الرسل عليهم السلام به فعلن

وقال جرير يهجو بنى حنيفة   هجانى الناسُ ملْ أحياء كلهم • حتى حنيفة تَفسو فى مَناحيها

(تُعَيَّرُ بنو حنيفة بالفسولان بلادهم بلاد نخل فيأ كلونه ويُحْدِثُ فى أجوافهم الرياح والقراقير)

أصحابُ نخلٍ وحيطانٍ ومَزرعة • سُيوفهم خُشُبٌ فيها مَساحيها

ذَلَّتْ وأعطتْ يَداً للسلم صاغرة • من بعدما كاد سيفُ الله يُفنيها

صارتْ حنيفةُ أثلاثاً فثلثهم • أضحَوا عبيداً وثُلْثٌ من مَواليها

قوله مناحيها النَّحاةُ مَقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعنى خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فى وقعته بمُسَيْلِمَة الكذاب والنسابين بعد هذا قولٌ مُنكَر وقال جرير

أبَنى حَنيفةَ نَهْنِهوا سُفَهاءكُمْ • انى أخاف عليكم أن أغضبا

أبنى حنيفة اننى ان أهجكم • أدَعِ اليمامة لا توارى أرنبا

وقال عُمارةُ بن عقيل

بل أيها الراكبُ الماضى لطِيَّته • بَلِّغْ حنيفة وانْشُر فيهم الخبرا

أكان مسلمة الكذابُ قال لكم • لن تُدركوا المجد حتى تغضبوا مُضرا

مَهلاً حنيفة ان الحرب ان طَرَحتْ • عليكم بَرْكها أمْرَعتُمُ الفَجَرا

البَرْكُ الصدر اذا فتحتَ الباء ذَكَّرتَ وان أردتَ التأنيث كسرتَ الباء قلت بِرْكة قال الجعدى

ولو حاذراً عينى فى بِركة • الى جُؤجُؤ رَهِل المَنْكِب

وزعم الاصمعى أن زياداً كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعى يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عُقبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُمَيَّة وذكروا أن عَدِىَّ بن حاتم بن عبد الله الطائىَّ قال يوماً ألا تعجبون لهذا أشعر بركا يولَّى مثلَ هذا المصر والله ما يُحسِنُ أن يقضى فى تمرتين فبلغَ ذلك الوليدَ فقال على المنبر أنشدُ الله رجلاً سمّانى أشعر بركا الا قام فقام عدىُّ بن حاتم فقال أيها الامير ان الذى يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجرىء فقال اجلس يا أبا طريف فقد برّأكَ الله منها فجلس وهو يقول والله ما برّأنى الله منها وكانت أم الوليد بن عقبة أمَّ عثمان بن عفّانَ رحمهما الله وهى أروى بنت كُرَيز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَناف وأُمُّها البيضاء

عنـد ذلك ان جثته ستتم الى مدتها وبلوغ امر الله عز وجل فيها
(فصل منه) ثم رجع الكلام الى القول فى الأخبار فأقول ان الناس موكلون بحكاية كل عجيب ومبسرون للاخبار عن كل عظيم وليسوا للحسن أحكى منهم للقبيح ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر وعلى قدر كبر الشئ تكون حكايتهم له واستماعهم ألا ترى ان رجلا من الخلفاء لو ضرب عنق رجل من العظماء

بنت عبد المطّلب بن هاشم ومن ثَمّ قال الوليد لعلي بن أبي طالب رحمه الله أنا أتقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأمي من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال البيضاء بنت عبد المطلب قبة الديباج واسمها أم حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني هاشم لهذا السبب حين قُتل عثمان رحمه الله

بني هاشم رُدّوا سلاح ابن أختكم • ولا تنهبوه لا تحلّ مناهبه
بني هاشم كيف الهوادة بيننا • وعند عليّ درعه ونجائبه
هُم قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرت يوما بكسرى مرازبه

وهذا القول باطل وكان عُروة بن الزبير اذا ذكر مقتل عثمان يقول كان عليّ أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان وكان عثمان أتقى لله من أن يعين في قتل عليّ وقال الوليد بن عقبة

ألا انّ خير الناس بعد ثلاثة • قتيل التجوبي الذي جاء من مصر
ومالي لا أبكي وتبكي أقاربي • وقد حُجبت عنا فضول أبي عمرو

وقالت ليلى الأخيلية أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي

أبعد عثمان ترجو الخير أمته • وكان آمن من يمشي على ساق
خليفة الله أعطاهم وخوّلهم • ما كان من ذهب جمّ وأوراق
فلا تكذّب بوعد الله وارض به • ولا توكّل على شيء بإشفاق
ولا تقولن لشيء سوف أفعله • قد قدّر الله ما كلّ امرئ لاق

وقال آخر

ألا قل لقوم شاربي كأس علقم • بقتل امام بالمدينة محرم
قتلتم أمين الله في غير ردّة • ولا حدّ احصان ولا قتل مسلم
تعالوا افقأوا عينا فان كان قتله • لواحدة منها فحلّ لكم دمي
والّا فاعظم بالذي قد أتيتم • ومن يأت ما لم يرضه الله يظلم
فلا تهنئنّ الشامتين مصابه • فحظهم من قتله حوب جرمهم

وأنشدني الرياشي عن الأصمعي (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريزة الضبي)

لعمر أبيك فلا تذهلن • لقد ذهب الخير الا قليلا

لما أمسى وفي عسكره وبلدته جاهل ولا عالم الا وقد استقر ذلك عنده وثبت في قلبه لان الناس بين حاسد فهو يحكي ذلك الذي دخل عليه من الثكل وقلة العدد وبين واجد يعجب الناس وبين واعظ معتبر وبين قوم شأنهم الأراجيف بالفاسد والصالح ولو كان ضرب عنقه في يوم عيد أو حلبة أو استمطار أو موسم لكان أشد لاستفاضته وأسرع لظهوره ولو جاز ان يكتم الناس هذا

وقد فتن الناس فى دينهم • وخلّى ابن عفان شرًّا طويلا

ومثله قول الراعى   قتلوا ابن عفان الخليفة محرمًا • ودعا فلم أر مثله مخذولا

فتفرّقت من بعد ذاك عصاهم • شققًا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرمًا يريد فى الشهر الحرام وكان قتل فى أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية • أىّ قتيل حرام ذبّحوا ذبحوا

ضحّوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم • يخشوا على مطمح الكف الذى طمحوا

فأىّ سنّة جور سنّ أوّلهم • وباب جور على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضلّ الله سعيهم • من سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا

فاستوردتهم سيوف المسلمين على • تمام ظمء كما يستورد النضح

ان الذين تولّوا قتله سفهًا • لاقوا أثامًا وخسرانًا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحّوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضحّوا قليلا على كثبان أسنمة • ومنهم بالقسوميات معترك

أى نزلوه ضحى ويقال بيّتوا ذاك أى فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول

وأنشد أبو عبيدة   أتونى فلم أرض ما بيّتوا • وكانوا أتونى بأمر نكر

لأنكح أيّمهم منذرًا • وهل ينكح العبد حرٌّ لحرّ

وقوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا أى فى صب ذاك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا وقوله على تمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء أن تشرب الابل يومًا ثم تغب يومًا لا ترد الماء فما بين الشربتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحمى لانهم يعتدّون بيومى شربها والخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والأثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثامًا ثم فسر فقال يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا فجزم يضاعف لانه بدل من قوله يلق أثامًا اذ كان اياه فى المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

وشبهه على الايثار للكتمان وعلى جهة النسيان لكنا لا ندرى لعله قد كان فى زمن صفين والجمل والنهروان حرب مثلها أو أشد منها ولكن الناس آثروا الكتمان واتفقوا على النسيان فاذا كان قتل الملك الرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ومن قلوب الحكماء والغوغاء فما ظنك بهم لو أبصروا رجلا قد أحياه بعد أن ضرب عنقه وأبان رأسه من جسده أليس يكون

جَزَى اللهُ ابنَ عُرْوَةَ اذ لَحِقْنا • عُقوقًا والعُقوقُ من الاثام

وقوله على مَطَامح الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طَمَحَ بصرُه اذا ارتفع فابعد النظر

قال امرؤ القيس لقد طَمَحَ الطَمّاحُ من بُعْدِ أرضه • ليُلْبِسَني من دائه ما تَلَبَّسا

(باب)

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسن ذلك ما جاء باجماع الرواة ما مر لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شئ فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأنّ قلوبَ الطير رطبًا ويابسا • لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كانه رطبا العناب وكانه يابسا الحشف قيل له العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الأعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله كأنّ عيونَ الوحشِ حولَ خِبائنا • وأرحُلِنا الجَزْعُ الذى لم يُثَقَّبِ

ومن ذلك قوله اذا ما الثُرَيّا فى السماء تعرَّضتْ • تعرُّضَ أثناء الوِشاح المُفَصَّلِ

وقد أكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مُدرِكى • وان خلتُ أنّ المُنتأَى عنك واسعُ

وقوله خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حبالٍ متينةٍ • تَمُدُّ بها أيدٍ اليك نَوازِعُ

وقوله فانك شمسٌ والملوكُ كواكبُ • اذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ومن عجيب التشبيه قول ذى الرُّمّة

وردتُ اعتسافًا والثُرَيّا كأنها • على قِمّة الرأس ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

وقوله يُجانِبُ نَسْجَ العنكبوت كأنه • على عصَوَيها سابِرِىٌّ مُشَبْرَقُ

وتأويل هذا أنه يصف ماء قديما لا عهد له بالواردة فقد اصفرّ واسودّ فقال

يكون تعجبهم من احيائه أشد من تعجبهم من قتله وكان يكون اخبارهم من خلفوا فى منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل ليكون سببا للاخبار عن الاحياء اذ كان الأول صغيرا فى جنب الثانى فهذا يدل على ان اعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام وآياتهم أحق بالظهور والشهرة والقهر للقلوب والاسماع من مخارجهم وشرائعهم بل قد نعلم ان موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر

وماء قديم العهد بالانس آجن • كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماء كأن جمامه • من الآجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها • شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد نجم فيه فجاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كانه على عصو بها سابرى مشبرق والسابرى الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة • فأصبح سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذى الرمة فى صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره • من المسوح خدب شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مد جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه • بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التى لا تحسن شيأ فهى تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا الجارهم وليست • يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس بلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة قرحاء حواء أشراطية وكفت • فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصد له ولكنه مما يجرى فيفسر ومعناه أنها مطرت بنوء الشرطين وحدثنى الزيادى قال سمعت الاصمعى وسئل بحضرتى أو سألته عن قوله أشراطية فقال بأسته واست عرسه وذاك أن الاصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله صلى الله

الا لأعاجيبه ولآياته وكذلك عيسى عليه السلام ولولا ذلك لما كانا الا كغيرهما ممن لا يشعر بموته ولا مولده وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة باعلامهما وأعاجيبهما وأنت لم تسمع بذكرهما فقط دون ما ذكر من اعلامهما فاذا كان شأن الناس الاخبار عن كل عجيب وحكاية كل عظيم والاطراف بكل طريف وايراد كل غريب من أمور دنياهم فالا يمتنع فى طبائعهم ولا

عليه وسلم اذا ذُكِرَت النُّجومُ فَأَمْسِكوا الان الخبر فى هذا بعينه مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاء وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه وسُئِلَ عن قول الشَّمَّاخ

طَوَى ظِمْأَها فى بَيْضَةِ الصَّيْفِ بعدما • جَرَى فى عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزُ

فابى أن يفسر فى عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهى الأمطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجع المطر فى النبت وكذلك العهاد وأنشد الاصمعى

أَمِيرٌ عَمَّ بالنَّعماء حتى • كَأَنَّ الارضَ جَلَّلَها العِهادُ

والبراعيم واحدتها بُرْعومة وهى أكِمَّة الروض قبل أن تتفتق يقال لواحدها كُمٌّ وكِمامٌ فمن قال كمام فجمعه أكِمَّة مثل صمام وأصِمَّة وزمام وأزِمَّة ومن قال كم فالجماع أكمام قال الله عز وجل والنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ ومن ذلك قول الآخر أحسبه تَوْبَة بن الحُمَيِّر (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بنى عامر وهو الصواب)

كَأَنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى • بِلَيْلَى العامِرِيَّةِ أو يُراحُ

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ • تُعالِجُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

(لها فَرْخانِ قد غَلِقا بِوَكْرٍ • فَعُشُّهما تُصَفِّقُه الرِّياحُ

فلا بالليل نالَتْ ما تُرَجّى • ولا بالصبح كان لها بَراحُ)

ويروى تجاذبه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيبانى للحجاج

هَلّا بَرَزْتَ الى غَزالَةَ فى الوَغَى • بل كان قَلْبُكَ فى جَناحَيْ طائِرِ

فهذا يجوز أن يكون فى الخفقان وفى الذهاب البتة ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طَلِيقُ اللهِ لم يَمْنُنْ عليه • أبو داودَ وابنُ أبي كَثِيرِ

ولا الحَجّاجُ عَيْنَيْ بِنْتِ ماءٍ • تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقورِ

وهذا غاية فى صفة الجبان ونَصَبَ عينى بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءنى عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ فليس يقول الا وقد عرفه بالخبث والفسق فنصبه بأعنى وما أشبهه من الافعال نحو أذكر وهذا أبلغ فى الذم أن يقيم الصفة مقام الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمُقِيمِينَ الصلاةَ بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم انما هو على هذا ومن زعم أنه أراد ومن

يخرج من قوى الخليقة فى البطش والحيلة أحق بالاخبار والاذاعة وبالاظهار والافاضة هذا على ان يترك الطباع وما تولد عليه والنفوس وما تنتج والعلل وما يحضر فكيف ان كان الله عز وجل قد خص اعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السلام من تهييج الناس على الاخبار عنها ومن تسخير الاسماع لحفظها بخاصة لم يجعلها لغيرها

(فصل منه) فان قال

المقيمين الصلاةَ فخطئ فى قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذى تسّاءلون به والأرحامِ وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا • فاذهب فما بكَ والايامِ من عجبِ

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالةَ الحطب أراد وامرأته فى جيدها حبل من مسد فنصب حمالةَ على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فاما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعنى ذهبتُ وزيدٌ وأذهبُ وعمرٌو قال جرير

ورجا الأخيطلُ من سفاهة رأيه • ما لم يكن وأبٌ له لينالا

وقال ابن أبي ربيعة قلتُ اذ أقبلت وزهرٌ تهادى • كنعاج الملا تعسّفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لعمرى وما عمرى علىَّ بهيّنٍ • لقد نطقت بُطلاً علىَّ الاقارعُ

أقارعَ عوفٍ لا أحاول غيرها • وجوهُ قرودٍ تبتغى من تخادعُ

وقال عروة بن الورد العبسى سقونى الخمر ثم تكنفونى • عداةَ الله من كذبٍ وزورِ

والعرب تنشد قول حاتم الطائى رفعا ونصبا

ان كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلّى فى بنى بدرِ

الضاربين لدى أعنتهم • والطاعنين وخيلهم تجرى

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء. وكذلك قول الخرنق بنت هفّان القيسية من بنى قيس بن ثعلبة

لا يبعدن قومى الذين هُمُ • سمُّ العداة وآفة الجزرِ

النازلين بكل معترك • والطيبين معاقد الأزرِ

وكل ما كان من هذا فعلى هذا أكثر انشاده وان لم يرد مدحا ولا ذما قد استقر له فوجهه النعت

قائل ان الجنة لا تكون جنة حتى تعجز الخليقة وتخرج من حد الطاقة كاحياء الموتى والمشى على الماء وكفلق البحر وكاطعام الثمار فى غير أوان الثمار وكانطاق السباع واشباع الكثير من القليل وكلما كان جسما مخترعا وجرما مبتدعا وكالذى لا يجوز ان يتولاه الا الخالق ولا يقدر عليه الا الله عز وجل ذكره فاما الاخبار التى هى أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت وبقولهم حدثت

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسن الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيت ذى الرمة نصبا لانه لما ذكر ما يحن اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكره فقال كان ينبغى فقال

ديار مية اذ مى تساعفنا • ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وفى هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بيضاء فى دعج صفراء فى نعج • كأنها فضة قد مسها ذهب

وفيها من التشبيه المصيب

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما • أن المريض الى عواده الوصب

الخشاش ما كان فى عظم الانف وما كان فى المارن فهو برة يقال أبريت الناقة فهى مبراة قال الشماخ وهذا من التشبيه العجيب

فقربت مبراة تخال ضلوعها • من الماسخيات القسى الموترا

وماسخة من بنى نصر من الأزد واليهم نسبت القسى الماسخية وأحسن ما قيل فى صفة الضلوع واشتباكها قول الراعى وكأنما انتطحت على أثباجها • فدر بشابة قد تممن وعولا

الفادر المسن من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقب العبدى

اذا ما قمت أرحلها بليل • تأوه آهة الرجل الحزين

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبدة

كأن ابريقهم ظبى على شرف • مفدم بسبا الكتان ملثوم

فهذا حسن جدا وقال أبو الهندى وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى الرياحى من بنى رياح بن يربوع وكان شبث سيد بنى يربوع بالكوفة

مفدمة قزا كأن رقابها • رقاب بنات الماء أفزعها الرعد

وكان أبو الهندى قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يعرف ببرزين المناقير وكان أبوه صلب فى خرابة والخرابة عندهم سرق الابل خاصة فأقبل يعرض لأبى الهندى بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندى أحدهم يرى القذاة فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى است أبيه وفى الخرابة يقول الراجز

فلا يجوز ان يكون حجة اذ كان لا حجة الا ما لا يقدر عليه الخليقة وما لا يتوهم من جميع البرية قلنا انا لم نزعم ان الاخبار حجة فيحتجوا علينا بها وانما زعمنا ان مجيئها حجة والمجىء ليس هو أمر يتكلفه الناس ويختارونه على غيره ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيؤا له ولفعلوه فى الباطل كما يجىء لهم فى الحق والمجىء أيضا ليس هو فعلا قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه وانما

والخاربُ اللصُّ يُحِبُّ الخاربا • وتلكَ قُربَى مثلَ أن تُناسبا • ان تُشبِهَ الضرائبُ الضرائبا

وقال الآخر

انْبُ الطريقَ واجتنبْ أرماما • انَّ بها أكتَلَ أو رِزاما • خُوَيْرِبَيْنِ ينْقُفانِ الهاما

(زاد أبو الحسن • لم يتركا لمسلم طعاما •) نَصَبَ خويربين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أنبث أحدهما بقوله أو ومر نصر بن سيار الليثي بأبي الهندي وهو يميل سُكرا فقال له أفسدتَ شرفك فقال أبو الهندي لولم أُفسِدْ شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحجّ به نصر بن سيار مرة فلما وردا الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحل وفوده فدع الشراب حتى ينفر الناس واحتكم على ففعل فلما كان يومُ النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول

رَضيعُ مُدامٍ فارقَ الراحَ روحُهُ • فظلَّ عليها مُستَهِلَّ المَدامعِ

أديرا عليَّ الكاسَ اني فقدتُها • كما فقدَ المفطومُ دَرَّ المَراضعِ

وكان يشربُ مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندي قل للسَّرِيِّ أبي قيس أتوعدنا • ودارنا أصبحتْ من داركم صَدَدا

أبا الوليد أما والله لو عملتْ • فيكَ الشمولُ لما حرَّمتَها أبدا

ولا نسيتَ حُميّاها ولذَّتها • ولا عدلتَ بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عَرَضَ الشيءُ والمقصودُ غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عُروةُ بن حزام العُذريّ

كأنَّ قطاةً علِقَتْ بجناحها • على كبدي من شدةِ الخفقانِ

ويقال ان المرأة اذا كانت مُبغضةً لزوجها فآيةُ ذلك أن تكون عند قربه منها مُرتدّةَ النظر عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبةً له لا تُقلِعُ عن النظر اليه واذا نهض نظرتْ من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردتُ أن أعلم كيف حالي عندَ امرأتي فالتفتُّ وقد نهضتُ من بين يديها فاذا هي تُكايِحُ في قفاي وقال الفرزدق في هذا المعنى والنوارُ تخاصمه عند عبد الله بن الزبير فدونَكها يا ابنَ الزبير فانها • مُولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قيلُها

اذا جلست عند الامام كأنها • ترى رُفقةً من خلفها تستحيلها

هو ان الانسان يعلم انه اذا اتى البصريين فأخبروه انهم قد عاينوا عجائب شيأ ثم اتى الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك انهم قد صدقوا اذ كان مثلهم لا يتواطؤ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم فليس بين هذا وبين احياء الموتى والمشي على الماء فرق اذ كان الناس لا يقدرون عليه ولا يطمعون فيه والمجيء انما هو معنى معقول

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رِفقة ورُفقة ومعنى تستغيلها انتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستغيل الشخوص • من الخوف تسمع مالا ترى

(قوله مروعة يقول كل شئ يدنيني من الظفر بها يروعها ويبعدها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصبيان عاكفة عليها • كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أُنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن التشبيه الحسن قول جرير في صفة الخيل

يشتفن للنظر البعيد كأنما • ارنانها ببوائن الأشطان

قوله يشتفن ويتشوفن في معنى واحد وقوله كأنما ارنانها ببوائن الأشطان أراد شدة صهيلها يقول كأنما يصهلن في آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدي

ويصهل في مثل جوف الطوي • صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرن نضلة في معرك • يجر الأسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كأنه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم في رأسه نار

فجعلت المهتدي يأتم به وجعلته كنار في رأس علم والعلم الجبل قال جرير • اذا قطعن علما بدا علم • وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج • تقضي البازي اذا البازي كسر • والتقضي الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضيت من الانقضاض أي تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار كأن فؤاده كرة تنزى • حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر • مخافة أن يكون به السرار)

وشئ موهوم اذا كان كيف يكون ومعلوم ان الناس لا يمكنهم ان يقدروا عليه ولا يستطيعون فعله وانما مدار أمر الحجة على عجز الخليقة فتى وجدت أمرا وجدت الخليقة عاجزة عنه فهي حجة ثم لا عليك جوهرا كان أو عرضا أو موجودا أو متوهما معقولا ألا ترى أن فلق البحر ليس هو من جنس اختراع الثمار لان الفلق هو انفراج أجزاء والثمار أجرام حادثة وكذلك لو ادعى رجل ان

وفى هذه القصيدة جفت عينى عن التغميض حتى • كأن جفونها عنها قصار
أقول وليلتى تزداد طولا • أما لليل بعدهم نهار

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر

فاذا ما لمستها فهباء • تمنع اللمس ما تبيح العيونا
درس الدهر ما تجسم منها • وتبقى لبابها المكنونا
فهى بكر كأنها كل شئ • يتمنى مخير أن يكونا
فى كؤوس كأنهن نجوم • جاريات بروجها أيدينا
طالعات مع السقاة علينا • فاذا ما غربن يغربن فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على تعسف كلام المحدثين وقال الحنفى وهو اسحق بن خلف فى صفة السيف

ألقى بجانب خصره • أمضى من الأجل المتاح
فكأنما ذر الهبا • ء عليه أنفاس الرياح

وقال مسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تمضى المنايا كما تمضى أسنته • كأن فى سرجه بدرا وضرغاما

وقال دعبل بن على فى صفة مصلوب

لم أر صفا مثل صف الزط • تسعين منهم صلبوا فى خط
من كل عال جذعه بالشط • كأنه فى جذعه المشتط
أخو نعاس جد فى التمطى • قد خامر النوم ولم يغط

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المهلبى

قام ولما يستعن بساقه • ألف مثواه على فراقه • كأنما يضحك فى أشداقه

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل محدث من أهل البصرة ويعرف بالأخيطل ويلقب ببرقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يدلس به)

كأنه عاشق قد مد صفحته • يوم الفراق الى توديع مرتحل

الله عز وجل أرسله فجعل حجته علينا الاخبار بما أكلنا وادخرنا وأضمرنا لكان قد احتج علينا فان قلت ان المنجمين ربما أخبروا بالضمير وبالأمر المستور وببعض ما يكون قلنا هنالك فرق فان خطأ المنجمين كثير وصوابهم قليل بل هو أقل من القليل وأنتم لا تقدرون ان تقفون من أخبار المرسلين عليهم السلام فى كثير أخبارهم على خطأ واحد والذى سهل قليل المنجمين

أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لوثتُهُ • مواصلٌ لتمطّيه من الكسلِ

(وقال مسلم بن الوليد) وضعتْهُ حيث ترتابُ الرياحُ به • ويحسُدُ الطيرَ فيه أضبُعُ البلدِ

وقال حبيب بن أوس (قال أبو الحسن يعني به اسحق بن ابراهيم الطاهري)

قد قلّصت شفتاه من حفيظته • فخيلَ من شدّة التعبيس مبتسما

وقال أيضا في رجل ينسبه الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهري)

وتنقّلُ من معشرٍ في معشرٍ • فكأنّ أمّك أو أباك الزئبقُ

يقال زئبق وزئبر مهموزان ودرهم ضُرْ أبق وثوب ضُرْ أبر ومن افراط التشبيه قول أبي خراش الهذلي يصف سرعة ابنه في العدو

كأنّهم يشعون في إثر طائر • خفيفِ المُشاش عظمُهُ غيرُ ذي نحضِ

يبادرُ جُنحَ الليل فهو مُهابِذٌ • يحثُّ الجناحَ بالتبسّط والقبضِ

وقال أوس بن حجر (قال أبو الحسن أهل الكوفة يرونها لعبيد بن الأبرص)

كأنّ ريقتها بعد الكرى اغتُبِقت • من ماء أدكنَ في الحانوت نضّاحِ

أو من معتّقةٍ ورهاءَ نشوتُها • أو من أنابيب رُمّانٍ وتفّاحِ

وقال ابن عبدل يهجو رجلا بالبخر

نكهتَ على نكهة أخذري • شتيم شابك الأنياب وردِ

وفي هذا الشعر فـايذنوا الى فيه ذبابٌ • ولو طُليت مشافره بقندِ

يرينَ حلاوةً ويخفنَ موتا • وشيكا ان هممنَ له بوردِ

الذُبابُ الواحد من الذِّبّان وأدنى العدد فيه أذِبّةٌ والكثير الذِّبّان ولكنه ذكر واحدا ثم خبّر عن سائر الجنس والاسد أنتنُ السباع فما كان الصقرُ أنتن الطير فما قال بعض المحدثين في رجل يهجوه والمهجوّ داود بن بكر وكان ولي الأهواز وفارس والشعر لابي الشمقمق

وله لحيةُ تيسٍ • وله منقارُ نسرِ

وله نكهةُ ليثٍ • خالطتْ نكهةَ صقرِ

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة

من يكن ابطُهُ كآباط ذا الخلـ ـق فابطاي في عداد الفقاحِ

ظرافة ذلك منهم لانهم لو قالوا فأخطأوا أبدا لما كان عجبا لانه ليس بعجب ان يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل ان يكون ومن أعجب العجب ان يوافق قولهم بعض ما يكون وقد نجد المنجمين يختلفون في القضية الواحدة ويخطئون في أكثرها وقد نجد الرسول يخبرونهم عما يأكلون ويشربون ويدخرون ويضمرون في الامور الكثيرة المعاني والمختلفة في

لِيَ ابطانِ يَرمِيانِ جليسي • بشَبيهِ السِّلاحِ أو بالسِّلاحِ

فكأني من ذا وهذا • جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصَباحِ

يعني مُصْعَبَ بن عبد الله الزُّبَيري وصَباحَ بن خاقانَ المنقَري وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحُدِّثتُ أن أحمد بن هشام لقيهما يوما فقال أما سمعتما ما قال فيكما هذا يعني اسحق بن الموصلي فقالا ما قال فينا الا خيرا قال قال

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصَباحٌ • فعَصَينا مُصْعَبا وصَباحا

وأبينا غير سَعي اليها • فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال الا خيرا والمكروه ما قال فيك اذ يقول

وصافية تَعشي العيونَ رقيقة • رَهينة عام في الدِّنان وعامِ

أدرنا بها الكأسَ الرَّوِيَّة موهنا • من الليل حتى انجاب كلُّ ظلامِ

فما ذَرَّ قَرنُ الشمس حتى كأننا • من العِيّ نحكي أحمدَ بن هشامِ

واعلم أن التشبيه حدّ فالاشياء تَشابَهُ من وجوه وتباين من وجوه فانما يُنظَرُ الى التشبيه من حيث وَقَعَ فاذا شُبِّهَ الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرَّونَق ولا يراد العِظَمُ والاحراق قال الله جل وعز كأنهن بيضٌ مكنونٌ والعرب تشبه النساء ببَيض النعام تريد نقاءه ونَعمة لونه قال الراعي

كأن بيض نَعامٍ في مَلاحفها • اذا اجتلاهن قيظ ليله ومدُ

وقيل للدوسية وهي امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أيّ منظر أحسن فقالت قُصورٌ بيضٌ في حدائق خُضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدي بن زيد

كدُمى العاج في المحاريب أو كالـ • ـبَيض في الرَّوض زَهرهُ مستنيرُ

وقال الآخر كالبَيض في الأُدحيّ يلمع بالضحى • فالحُسنُ حَسَنٌ والنعيم نعيمُ

وقال جرير ما استوصَفَ الناسُ عن شيء يروقُهمُ • الا رأوا أمَّ نوح فوق ما وصفوا

كأنها مُزنة غَرّاءُ واضحةٌ • أو دُرَّة لا يواري لونها الصَّدَفُ

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مُزَنٌ قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المُزنِ فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مَرِّها قال الأعشى

الوجوه حتى لا يخطئ في شيء من ذلك وليس في الارض منجم ذكر شيئا أو وافق ضميرا الا رأيت واجد بعض ما زجر قد يجيء بمثله وأكثر منه فان قلت ان الناس يكذبون في الأخبار عن الاعراب والكهان من كل جيل قلنا فهم في أخبارهم عن المنجمين أكذب وبعد فالناس غير مستعظمين لكثرة كذب المنجمين وخطئهم وخدعهم والناس يستقطعون اليسير من المرسلين عليهم

كأنَّ مِشيتَها من بيت جارتها • مَرُّ السحابةِ لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

الرَّيْثُ الابطاء. فهذا ما تلحقه العين منها فاما الخفّة فهي كاسرع مارّ وان خفي ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب والعرب تُشَبِّهُ المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدُّرَّة والبيضة وانما تقصد من كل شيء الى شيء قال ذو الرُّمَّة

وميّة أحسنُ الثقلين جيدًا • وسالفةً وأحسنهم قَذالا

فلم أرَ مثلها نظرا وعينًا • ولا أُمَّ الغزال ولا الغزالا

تُريك بياضَ غُرَّتها ووجهًا • كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصةً فبدا كليلًا • كلا وانغلَّ سائرُه انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذالان ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فُرْجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا اذا نُظر الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشدّه استنارة وقوله كلا يريد في سرعة ما بدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كامثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننتُ الشيء اذا صُنْته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم في أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك وأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

الحزمُ والجودُ والايمانُ قد نزلوا • على يزيدَ أمينِ الله فاحتلفوا

ضخمُ الدسيعة والايمانُ غرّتُه • كالبدر ليلةَ كاد الشهرُ ينتصفُ

وقال ذو الرُّمَّة فيا ظبيةَ الوعساء بين جُلاجِلٍ • وبين النقا آأنتِ امْ أُمُّ سالمِ

وقال ابن أبي ربيعة أبصرتُها ليلةً ونسوتَها • يمشين بين المقام والحجرِ

يرفُلْن في الرَّيط والمروط كما • تمشي الهُوَيْنا سواكنُ البقرِ

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطويّ

قد رأينا الغزالَ والغصنَ والنجـ • ـمين شمسَ الضحى وبدرَ الظلامِ

السلام وكلما كان الرجل في عينك أعظم وكان عن الكذب أزجر كان كذبه عندك أعظم وانما المنجم عند العوام كالطبيب الذي ان قتل المريض علاجه كان عندهم ان القضاء هو الذي قتله وان رأى كان هو أبرأه على ان صوابهم أكثر ودليلهم أظهر وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم دون ان يولدوا لهم ويضعوا الاعاجيب عن

فوحق البيان يعضده البر * هان في مأقط ألد الخصام

مارأينا سوى المليحة شيئا * جمع الحسن كله في نظام

فهي تجري مجرى الاصالة في الرأ * ي ومجرى الارواح في الاجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أي حججكم والمأقط موضع الحرب فضربه مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الأخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الألد ويملأ الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحبذا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان أحيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعي فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الأعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء

ألسنتهم وكل ملحد في الارض للرسول طاعن عليه عائب له يرى ان يصدق عليه كل كذاب يريد ذمه وان يكذب كل صادق يريد مدحه وبعد فلو كان خبر المنجمين في الصواب كخبر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذي هو حجة لما كان خبر المنجمين حجة فان قلت ولم ذلك قلت لان من كثر صوابه على غير استدلال ومقايسة وعلى غير حساب وتجربة أو على نظر

وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك فى عقب هذا الباب ان شاء الله
يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوا وسمت سموما وحرت حرورا
مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جنوب وشمول وسموم ودبور وحرور
ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وضوأ حسنا وتطهرت
طهورا وأولعت بالشئ ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت النار وقودا وأكثرهم يجعل الوقود
الحطب والوقود المصدر ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمل
وشمل وشامل غير مهموز ويقال الشمال الجربياء قال ابن أحمر

بهجو من قسا ذفر الخزامى • تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال الجنوب الأزيب ويقال الصبا القبول وبعضهم يجعله الجنوب وهو فى الصبا أشهر بل
هو القول الصحيح والاير والهير والأير والهير قال الشاعر • مطاعيم أيسار اذا الهير هبت •
فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يمتدحون بالاطعام فى المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدبة ومأدبة للدعوة وفى
الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الادب وأكثر المفسرين
قالوا القول الاول وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم أما الجفنة الغراء أى التى يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال فى الدعوة أدبه يأدبه أدبا
اذا دعاه قال الشاعر

وما أصبح الضحاك الا كثالج • عصانا فأرسلنا المنية تأدبه

وقولنا فى الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جنوب
وريح شمال وريح دبور فيجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا • د صادف بالليل ريحا دبورا

وقال زهير

مكلل بأصول النبت تنسجه • ريح شمال لضاحى مائه حبك

وقال جرير • ريح خريق شمال أو يمانية • فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية
ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهى الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

ومعاينته لم يكن الأمر من قبل الوحى لانك لو قلت قصيدة فى نفسك لحدثك بها رجل وأنت تعلم انه ليس بمنجم وأنشدكها كلها لعلمت ان ذلك لا يكون الا بوحى ومثل ذلك رجل اشتد وجع عينيه فعالجه طبيب فبرئ فلو جعل الطبيب ذلك حجة على نبوته لوجب علينا تكذيبه ولو قال رجل من غير ان يمسه أو يدنو اليه اللهم ان كنت صادقا عليك فاشفه الساعة فبرئ من

يثوى سوام والمطى كانه ◉ قنا مسند هبت لهن خريق

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بنى مجاشع بخذلانهم الزبير ابن العوام فى كلمة يقول فيها

انى تذكرنى الزبير حمامة • تدعو بأعلى الأيكتين هديلا
يالهف نفسى اذ يغرك حبلهم • هلا اتخذت على القيون كفيلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا • جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
أفبعد متركم خليل محمد • ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفتى الندى وفتى الطعان غررتم • وأخا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصارى وكان يقول اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هبى هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد على منها ثلاثا أى لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا فى الجاهلية والاسلام فقد نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضى فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبى عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه • اذا هبت رياح أبى عقيل
طويل الباع أبيض جعفرى • كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بما لديه • على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الأمير خيرا قد عرف الأمير أنى لا أقول شعرا ولكن اخرجى يا بنية فخرجت خماسية فقال لها أجيبى الأمير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس نقضى نذره ففى ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبى عقيل • دعونا عند هبتها الوليدا

طويل

ساعته لعلمنا انه صادق فان قالوا وما علمنا ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن منجما قلنا ان علمنا بذلك كعلمنا بان العباس وحمزة وعليا وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا منجمين ولا أطباء متكهنين وكيف يجوز ان يصير انسان عالما بالنجوم من غير ان يختلف الى المنجمين أو يختلفوا اليه أو يكون علم النجوم فاشيا فى أهل بلاده أو يكون فى أهله واحد معروف به

(طويل الباع أبيض عبشميا ٭ أمان على حرونه لبيدا

بامثال الهضاب كأن ركبا ٭ عليها من بنى حام قعودا

أبا وهب جزاك الله خيرا ٭ نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد ٭ وظنى بابن أروى أن يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتى لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يستحى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتى وأنت فى هذا أشعر) ومن جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سمى بشئ منها رجل لانك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدا لا علامة للتأنيث فيه لم تصرفه فى المعرفة وصرفته فى النكرة نحو عناق وأتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميت رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لانه مذكر نعت به المؤنث نحو حائض وطالق ومتئم ومرضع واذا ذكرنا من الباب شيأ فلم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ماوصفنا أسماء

حالت وحيل بها وغير آيها ٭ طول البلى تجرى به الريحان

ريح الشمال مع الجنوب وتارة ٭ رهم الربيع وصائب التهتان

وقد أنشدوا بيت زهير ٭ ريح الجنوب لضاحى مائه حبك ٭ وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتعرف كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف فى معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حبلى وسكرى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر فى المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلى نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقوباء يافتى ومن قال قوباء يافتى أنث ولم يصرف لان الاولى ملحقة وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التى لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت فى المذكر نحو ملهى ومغزى ومشترى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت فى النكرة ولم تنصرف فى المعرفة نحو أرطى وعلقى فيمن جعل الواحدة علقاة وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف فى النكرة وغير منصرف فى المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه فى الكتاب المقتضب وتقول فى أكثر

ولو بلغ انسان فى علم النجوم وليست معه علة من هذه العلل وكان ذلك يخفى لكان ذلك كبعض الآيات والعلامات ومتى رأينا حاذقا بالكلام أو بالطب أو بالحساب أو بالغناء أو بالنجوم أو بالعروض خفى على الناس موضعه وسببه وجميع ماذكرنا فعناية الناس به وعداوتهم له وشهرته فى نفسه دون محمد صلى الله عليه وسلم وهل نسب أحد قط لأحد الادون مانسبه

الكلام هبّت جنوبا وهبت شمالا فتستغني عن ذكر الريح وهذا انما يؤكد أنها نعوت لأن الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبّت شمالا فذكرى ما ذكرتكمُ * عند الصفاة التي شرقيّ حورانا

وقال الآخر

فأيّ حيّ اذا هبّت شآمية * واستدفأ الكلبُ بالمأسور ذي الذئب

المأسور يعني قتبا وانما الأسْر الشد بالقدّ حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يُشدّ بالقدّ ثم قالت العرب لكل محكَم شديد الأسْر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسْرهم وقوله ذي الذئب يعني الفضول التي وسّعته وأسبغته يقال غبيط مذأب أي ذو ذئب أي موسّع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر في شدة البرد وغلبة الشمال يرثي فضالة بن كلدة الأسديّ

والحافظ الناسَ في قَحوطَ اذا * لم يرسلوا تحت عائذ رُبعا

وعزّت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميعُ الفتاة مُلتفعا

وكانت الكاعبُ المنعّمةُ الـ * حسناء في زاد أهلها سبُعا

تحوط وقحوط وكحل وبحرة أسماء السنة الجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتُنحر أولادها في السنة الجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذي يُنتج في الربيع والهُبَع الذي ينتج في الصيف يقال ماله هُبَع ولا رُبَع وانما سمي هبعا لان الربع أسن منه فيمشي مع أمهاته ولا يلحقهنّ الهبعُ الا باجتهاد فيستعين بعنقه في المشي يقال اذا فعل ذلك هبَع يهبَع ويقال للريح الشمال نسْع ومسْع قال الهذليّ

قد حال دون دريسيه مؤوّبةٌ * نسْعٌ لها بعضاه الارض تهزيزُ

الدريسان ثوبان خلقان ومؤوّبة مُفعّلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مُقامات وأندية * ويوم سيرٍ الى الاعداء تأويب

وانما يعني ريحا وقوله نسع أي شمال والعضاه شجر ضخمة فبعض العرب يقول الواحدة عضاهةٌ والجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول الواحدة عضةٌ فيقول في الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزِم المآزما * وعضوات تقطع اللهازما

له رهطه وأدنى أهله ومن معه في بيته وربه وما أعرف برحمة الله المعاند والمسترشد والمصدق والمكذب بنكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن منجما ولا طبيبا واذا قال الجاهل انه قد كان يعلم الخط نخفى له ذلك وتعلم الاسباب والقضاء في النجوم نخفى له ذلك وتعلم البيان وقد رمنه على ما يعجز أمثاله عنه وخفي ذلك أليس مع قوله ما يعلم خلافه يعلم انه قد سلم له

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضربين فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنيهة ومن جعله من الواو قال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال أسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ما هبت الريح الجنوب الا أسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لانها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتى على الزروع وقال رجل يهجو رجلا لو كنت ريحا كانت الدبورا * أو كنت غيما لم تكن مطيرا

أو كنت ماء لم تكن طهورا * أو كنت مخا كنت مخا ريرا

* أو كنت بردا كنت زمهريرا *

الرير المخ الرقيق يقال مخ رير ورار فى معنى واحد وقال السليك

* يصيدك قافلا والمخ رار * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب * أو كنت سيفا كنت غير عضب

أو كنت لحما كنت لحم كلب * أو كنت عيرا كنت غير ندب

فأما قول السليك فانه يرثى فرسه وكان يقال له النحام فقال

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتى أصلا محار

على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار

أعجوبة كأعجوبة ابراء الاكمه والابرص والمشى على الماء اذ كان ذلك لا يجوز ولا يمكن فى الطبائع والعقل والتجربة وافهم رحمك الله ما أنا واصفه لك هل يجد التارك لصديقه انه لا يدرى بزعمه لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ناظرا لنفسه غير معاند لحجة عقله وهو لم يجد أحدا قط برع فى صناعة واحدة تخفى على الناس موضعه بكل ما حكيناه وفسرنا وأنت كيف تعلم انه ليس فى

وما يدري بنا مافقري اليه * اذاما القوم ولّوا أو أغاروا

ويحضر فوق جهد الحضر نصّا * بصيدك قافلا والمخّ رار

قوله كان قوائم النعام محار المحارة الصدفة يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والأُصُل جمع أصيل والاصيل العشي يقال أصيل وأُصُل مثل قضيب وقُضُب وجمع أُصُل آصال وهو جمع الجمع وتقديره عُنُق وأعناق وطُنُب وأطناب ويقال في جمع أصيلة أصائل مثل خليفة وخلائف قال الأعشى * ولا بأحسن منها اذ دنا الأُصُل * وقال أبو ذؤيب

لعمري لأنت البيت أُكرم أهله * وأقعد في أفيائه بالأصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواة قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طلبوا أو هربوا وقوله بصيدك أي بصيدك يقال صدتك ظبيا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كلتك ووزنتك لانه قد قال تعالى أولا اذا اكتالوا على الناس يستوفون فاما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فان العرب تقول لا تلقح السحاب الا من رياح وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هبت بحرية ثم تذاءبت قال الشاعر * تنسمّ اذا تذاءبت الرياح * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتناوحت أي تقابلت وتناوح الشجر اذا قابل بعضه بعضا وانما سميت النائحة نائحة لانها تقابل صاحبتها فاذا خلصت الريح عندهم دبورا فهي من جنس البوار واذا خلصت شمالا شتوية فهي من آيات الجدب ومن ثم تقول العرب فلان يطعم في الشمال كما تقول يطعم في المحل قال أوس بن حجر * وعزّت الشمال الرياح * أي غلبتها فكانت أقوى منها فلم تدع لها موضعا وقوله تعالى وعزني في الخطاب أي غلبني في المخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عزّ بزّ وتأويله من غلب سلب قالت الخنساء

كأن لم يكونوا حمى يتّقى * اذ الناس اذ ذاك من عزّ بزّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال رأيت رجلا من غني يفاخر رجلا من بني فزارة ثم أحد بني بدر بن عمرو وكان الغنوي متمكنا من لسانه وكان الفزاري بكيئا فقال الغنوي

اخوانك من ليس بمنجم وان فيهم من ليس بطبيب الاعتل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وسلم وآله منه وكيف لم يشتهر ذلك ولم يحتج به عليه ولقد بلغ من اسرافهم في شتمه وافراطهم عليه ان نافقوا وأحالوا الا انهم كانوا يقولون له أنت ساحر وأنت مجنون وانما يقال للرجل ساحر لخلابته وحسن بيانه ولطف مكائده وجودة مداراته وتحبيبه ويقال مجنون

ماؤنا ما بين الرقم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رشاء وأعذب منهم ماء أنا ريف السهول ومعاقل الجبال وأرضهم سبخة ومياههم أملاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك من عز بز فيعزنا ما تخيرنا عليهم ويذلهم ما رضوا وأعنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحلب يقال ناقة غزيرة وناقة بكى وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ودهين وصمرد فى معنى يقال بكأت الشاة والناقة وبكؤت قال الشاعر

فاذا ما حاردت أو بكؤت * فض عن خاتم أخرى طينها

وقال سلامة بن جندل الطهوى

يقول محبسها أدنى لمرتعها * وان تداعى ببكء كل محلوب

يقول ان تحبس الابل على ضر ونقاتل عنها فهو أدنى بأن نعز فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الا انا ان طردناها وهربنا طمع فينا واستذللنا ويقال فى الكلام رجل عى بكى قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفرية وبلغ فى البهت وأسمعت العدو بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الأخطل

وقد سرنى من قيس عيلان أننى * رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زياد يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أوتى بوضيع سب شريفا أو شاب وثب بشيخ أو جاهل امتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عمارة لبنى أسد بن خزيمة

يا أيها السائلى عمدا لأخبره * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تستقم أسد ترشد وان شغبت * فلا يلم لائم الا بنى أسد

انى رأيتكم يعصى كبيركم * وتكنعون الى ذى الفجرة النكد

فباعد الله كل البعد داركم * ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدله على ضغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مقاولته فخرا والاجتراء عليه ربحا كما أن مقاولة الشريف اللئيم ذل وضعة وقال الشاعر

اذ أنت قاولت اللئيم فانما * يكون عليك العتب حين تقاوله

اضد ذلك كله

(فصل منه) وليس ينتفع الناس بالكلام فى الاخبار الا مع التصادق ولا تصادق الا مع كثرة السماع والعلم بالاصول لان رجلا لو نازع فى الاخبار وفى الوعد والوعيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والفريضة والنافلة والسنة والشريعة والاجماع والفرقة ثم حسنت نيته وناصح عن نفسه لما عرف حقائق باطل دون ان يكون قد

ولستَ كمن يَرضى بما غيرُه الرضا * ويمسح رأسَ الذئب والذئبُ آكلُه

وسنُشبع في هذا المعنى ان شاء الله وفي هذا الشعر بيت يقدَّم في باب القتل وهو

فلا تقربنّ أمرَ الصريمة بامرئ * اذا رام أمراً عوّقته عواذله

(وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبّلا ومواضعهم تنبئ عن ذلك وامتنع قوم عيًّا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتلٌّ برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبّه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسبّ سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلّما هجاني * ملتُ على الأغطش او أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلتُ من أعراضهم كفاني * وان سكتُّ عرفوا احساني

وقال أحد المحدثين انى اذا هر كلاب الحى قلت له * اسلم وربّك مخنوق على الجرر

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر في الشتاء وليدنا * القدرَ ينزلها بغير جعال

الجعال الذي يوضع فيه البرمة وربما توقيت به حرارتها قال الراجز

لا نسبَ اليوم ولا خلّة * اتّسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفي مثل اختيار النبيل لتتكافأ الأعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غنيٍّ ولا جسر

ولا جُشم شرّ القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حُمر

ولو ببني ذبيان بلّت رماحنا * لقرّت بهم عيني وباء بهم وتري

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي

أليس من الكبائر أن وغدا * لآل معذّل يهجو سدوسا

هجاعرضا لهم غضّا جديدا * وأهدف عرض والده اللبيسا

عرف الوجوه وسمع الجل وعرف الموازنة وما كان في الطبائع وما يمتنع فيها وكيف أيضا يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق واعلم ان من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف والنفس عزوف لما عودتها من شيء جرت عليه والمخبر الى تقوية قلبه وردفوته عليه وافهامه موضع رأيه وتوفيقه على الأمر الذي أشغل صدره

وقال

وقال آخر اللؤم أكرم من وبر ووالده * واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم اذا جر جاني قومهم أمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

اللؤم داء لو بر يقتلون به * لا يقتلون بداء غيره أبدا

قال أحد المحدثين (هو دعبل)

أما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت عتيق عرضك انه * عرض عززت به وأنت ذليل

وقال آخر نبئت كلبا هاب رميي له * ينبحني من موضع نائي

لو كنت من شيء هجوناك أو * لو نلت للشاتم والرائي

فعد عن شتمي فاني امرؤ * حلمني قلة أكفائي

وقال آخر (هو دعبل) فلو أني بليت بهاشمي * خؤلته بنو عبد المدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالي فانظري بمن ابتلاني

أحوج منه الى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله والمجيء الذي لا يكذب مثله وسنتكلف من علاج دائه وترتيب افهامه ان أعان على نفسه بما لا يبقى سببا للشك ولا علة للضعف والله تعالى المعين على ذلك والمحمود عليه (فصل منه) ومتى سمعنا نبي الله عليه السلام اتكل على عدالته وعلى معرفة قومه بقديم طهارته وقلة كذبه دون ان جاءهم بالعلامات

ووقف رجل عليه مقطعات على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الاهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يغضب والاحنف مطرق صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض ابهاميه ويقول يا سوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه وفعل ذلك آخر فأمسك عنه الأحنف فأكثر الرجل الى أن أراد الأحنف القيام للغداء فأقبل على الرجل فقال له يا هذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مذ اليوم تحدو بجمل ثقال والثقال من الابل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث وعدت على الاحنف سقطة في هذا الباب وهو أن عمرو بن الأهتم دس اليه رجلا ليسفه فقال أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان من أوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففطن الاحنف انه من قبل عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صرمة يمنح منها ويقري ولم يك أهتم سلاحا وجعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه ولم تكن في موضع مرضي فأتاه الرجل وهو بمصر أميرا عليها فقال أردت أن أعرف أم الأمير فقال نعم كانت من عنزة ثم من بني جلان تسمى ليلى وتلقب النابغة اذهب وخذ ما جعل لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أي رجل أنت لولا أمك

قال فاني أحمد الله اليك انى فكرت فى هذا البارحة فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب فأخطرت لى عبد القيس على بال ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى قالوا أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وامى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه وانما نذكر من الشئ وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيرى ما يمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجل وقد روى قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر ولقد أمر على اللئيم يسبنى . فأجوز ثم أقول لا يعنينى

وقال رجل لرجل وسبه فلم يلتفت اليه اياك أعنى فقال له الرجل وعنك أعرض فأما قول الشعبى للرجل ما قال فى غير هذا الباب وانما مخرجه الديانة وذلك أن رجلا سب الشعبى بأمور قبيحة نسبها اليه فقال الشعبى ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال أبو العباس قال رجل لابى بكر الصديق رحمه الله لاسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لى الحسن بن على بن أبى طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسى منه فانطلقت وما أجد على وجه الأرض أحب الى منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها أن تبدلت . هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وما هى الا كالعروس تنقلت . على رغمها من هاشم فى محارب

وقال الفرزدق حين ولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى يعقب مسلمة بن عبد الملك

والبرهانات ولعمرى لولم يجد الحافظ بنسى والصادق بكذب والمؤمن يبدل لقد كان ما ذهبوا اليه وجها

(فصل منه فى ذكر دلائل النبى صلى الله عليه وسلم)

وباب آخر يعرف به صدقه وهو اخباره عما يكون واخباره عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ولدعائه المستجاب الذى لا نأخير فيه ولا خاف له وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين لقى من قريش

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لا هناك المرتع

ولقد علمت اذا فزارة أمرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع

فأرى الأمور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع

عزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولى خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع

فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت بر * أمين لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريا أحذ يد القميص

تفهق بالعراق أبو المثنى * وعلم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى يغطي عليه والمثل من هذا في الذي طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

والعرب ما لقي من شدة أذاهم له وتكذيبهم اياه واستعانتهم عليه بالاموال والرجال دعا الله عز وجل ان يجدب بلادهم وان يدخل الفقر في بيوتهم فقال صلى الله عليه وآله اللهم سنين كسني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مضر فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع وماتت المواشي وحتى اشتووا القد والعلهز فعند ذلك وفد حاجب بن

وقال بعضهم أراد في التغاف من الظلمة وقال آخرون أراد في يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون في الغنة كما يقال الحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون في القوافي لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنة قال الراجز

بُنَيَّ ان البرَّ شيءٌ هَيِّنْ ● المَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطُّعَيِّمْ

وقال آخر ما تنقِمُ الحربُ العَوانُ مني ● بازِلُ عامَيْنِ حديثٌ سِنِّي

● لِمِثْلِ هذا ولدتني أُمّي ●

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلةُ والفُراتُ وقوله أحذ يد القميص الأحذ الخفيف قال طرفة ● وأتلعَ نهَّاضٍ أحذَّ مُلَملَمُ ● وانما نسبه بالخفة في يده الى السَرِق وقوله تفهق أي امتلاء ما يقال بئر تفهق وغدير يفهق اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا دَنْبَ لي قد قلتُ للقوم استقوا ● والقومُ في عُرْضِ غديرٍ يَفْهَقُ

وقال الاعشى في مدحه المحلّق بن حنتم أحد بني أبي بكر بن كلاب

نَفَى الذمَّ عن رَهْطِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ● كجابيةِ الشيخِ العراقيِّ تَفْهَقُ

هكذا رواية أبي عبيدة وقوله

ولم يكُ قبلها راعي مَخاضٍ ● ليأمنه على وركَيْ قَلُوصِ

كانت بنو فزارة تُرمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمننَّ فزاريًّا خلوتَ به ● على قلوصك واكتُبها باسيار

فلما عُزِل ابن هُبَيْرة وحبسه خالد بن عبد الله القسريُّ قال الفرزدق

لعمري لئن نابت فَزارةَ نَوبةٌ ● لمن حدث الايام تحسبها قسْر

لقد حبس القسريُّ في سجن واسط ● فتًى شيظميًّا ما ينهنهه الزجْر

فتًى لم تُرَبِّبْه النصارى ولم يكن ● غذاءً له لحمُ الخنازير والخمْر

الشيظميُّ الطويل قال ذو الرمة

اذا مار مينا رمية في مفازة ● عراقيبها بالشيظميّ المواشكْ

يريد حاديًا يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يحركه وقوله فتى لم تربّبه النصارى يُقَبِّبُه به على

أم

زرارة على كسرى يشكو اليه الجهد والأزل ويستأذنه في رعي السواد وهو حين ضمنه عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مضر خاصة الجهد ونهكهم الازل وبلغت الجهد مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها عاد بفضله صلى الله عليه وسلم على الذي بدأهم به فسأله ربه الخصب وادرار الغيث فأتاهم منه ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه في ذلك فقال اللهم حوالينا

أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها فى يوم عيد للروم فاولدها خالدا وأسدا ولذلك
يقول الفرزدق ألا قطع الرحمن ظهر مطية * أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بان الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها النصارى لأمه * ويهدم من كفر منار المساجد
وقال عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهر الله خالدا
بنى بيعة فيها الصليب لأمه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا
وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى
الانصار وهو ليتنى فى المؤذنين حياتى * انهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير اليهم * بالهوى كل ذات دل مليح
فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روى من عتوه أنه استعفى من بيعة بناها لامه فقال للامن
المسلمين قبح الله دينهم ان كان شرا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نقب له السجن وهرب
وسار تحت الأرض هو وابنه حتى نفذا
لما رأيت الأرض قد سد ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذى ناداه يونس بعدما * ثوى فى ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا
خرجت ولم تمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا
فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجانى أميرا ومدحنى أسيرا قوله حيث أدلجا تقول
أدلجت اذا سرت من أول الليل وادلجت اذا سرت من آخره فى السحر قال زهير
بكرن بكورا وادلجن بسحرة * فهن لوادى الرس كاليد للفم
وأعوج فرس كان لغنى وقالوا كان لبنى كلاب ولا ينكر هذا لان حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت
بنى جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بنى جعفر بن كلاب من غنى والعرب تنسب الخيل
الجياد الى أعوج والى الوجيه ولاحق والغراب والصموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال
زيد الخيل جلبنا الخيل من أجإ وسلمى * تخب نزائعا خبب الذئاب

ولا علينا فأمطر الله عز وجل ماحولهم وأمسك عنهم وكتب الى كسرى يدعوه الى نجاته وتخليصه من كفره فبدأ باسمه على اسمه فأنف من ذلك كسرى لشقوته وأمر بتمزيق الكتاب فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال اللهم مزق ملكه كل ممزق فمزق الله جل وعز ملكه وجذ أصله وقطع دابره لان كل ملك فى الأرض وان كان قد أخرج من معظم ملكه فهو مقيم على بقية منه

جلبنا كلَّ طِرفٍ أعوجيّ * وسلهبةٍ تكافيه العُقاب

ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس فى طول الليل

كأن الثريّا علّقت فى مَصامها * بأمراس كتّان الى صُمّ جندل

فهذا فى ثبات الليل واقامته والمصام المَقام وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فَدَعْها وسَلِّ الهمَّ عنك بجسرةٍ * ذمولٍ اذا صام النهارُ وهجّرا

وقال النابغة خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غير صائمةٍ * تحت العجاج وخيلٌ تعلُكُ اللُّجما

والأمراس جمع مَرَس وهو الحبل قال أبو زبيد يرثى غلامه وتعرض للحرب فقتل

أمّا تعلّق بك الرماحُ فلا * أبكيك الا للدلو والمَرَس

وقال فى ثبات الليل فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَهُ * بكلّ مُغار الفتل شُدّت بيذبل

المغار الشديد الفتل يقال أغرتُ الحبلَ اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأنّ أباناً فى أفانين وَدْقه * كبيرُ أُناسٍ فى بجادٍ مزمَّل

أبانٌ جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الأبيض قال مُهلهلٌ وكان نزل فى آخر حربهم حرب البسوس فى جنب بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك وهو مَذحِج وجَنْبٌ حى من أحيائهم وضيعٌ فخطبت ابنته ومُهِرت أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدُها الاراقمُ فى * جنبٍ وكان الحباء من أَدَم

لو بأبانين جاء يخطبها * ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدم

وقوله فى أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والوَدْقُ المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودقَ يخرج من خلاله وقال عامر بن جُوَين الطائى

فلا مزنةٌ ودقَتْ ودقَها * ولا أرضَ أبقل ابقالها

وقوله كبير أناس فى بجاد مزمل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا أيها المُزّمّل قُم الليل الا قليلا وهو المتزمّل والتاء مدغمة فى الزاى وانما وصف امرؤ القيس الغيثَ فقال قوم أراد أن المطر قد خنّق الجبل فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطرُ

وذلك ان الاسلام لم يترك ملكا بحيث تناله الحوافر والاخفاف والاقدام الا أزاله عنه وأخرجه منه الى عقاب يعتصم بها ومعاقل يأوى اليها أو طرده الى خليج منيع لا يقطعه الا السفن فهم من بين هارب قد دخل فى وجار واختفى فى غيضة أو مقيم على فم شعب ورأس مضيق قد سخت نفسه عن كل سهل وأسلم كل مرج أو ملك لا قرار له وليس بذى مدر فيوتى وانما أصحابه اكراد

من خضرة النبت وكلاهما حسن وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيما

أقبل فى المستن من ربابه * أسنمة الآبال فى سحابه

أراد أن ذلك السحاب ينبت ما تأكله الابل فتصير شحومها فى أسنمتها والرباب سحاب دون المعظم من السحاب قال المازنى كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلق بالأرجل

وقوله جل وعز انى أرانى أعصر خمرا أى أعصر عنبا فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأن فتات العهن فى كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

الفنا شجر بعينه يثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق فى هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهن الصوف الملون فى قول أكثر أهل اللغة وأما الأصمعى فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحنتم الخزف الاخضر وقال الأصمعى كل خزف حنتم قال القرشى من مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم

وقال جرير ما فى مقام ديار تغلب مسجد * وبها كنائس حنتم ودنان

والتشبيه جار كثير فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد قال الله عز وجل وله المثل الأعلى فى الزجاجة كأنها كوكب درى وقال طلعها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء فى هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهذه الآية قد جاء تفسيرها فى ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الأستن منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذى ذكره النابغة فى قوله * تحيد من أستن سود أسافله * وزعم الأصمعى أن هذا الشجر يسمى الصوم والقول الآخر وهو الذى يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنع صورة الشياطين فى قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحدثت فى اسناد متصل أن أبا النجم العجلى أنشد هشام بن عبد الملك

* والشمس قد صارت كعين الأحول * لما ذهب به الروى عن الفكر فى عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمل أبو النجم رجعته وكان يأوى المساجد فأرق هشام ليلة فقال لحاجبه ابغنى رجلا عربيا فصيحا يحادثنى وينشدنى فطلب له ما طلب فوقف على أبى النجم فأتى فلما دخل به اليه قال

يطلبون الضيعة أو كالخوارج يطلبون الغرة فاما ان يكون ملك يصهرهم ويقيم بازائهم ويغاديهم الحرب ويسيهم ويساجلهم الظفر ويناهضهم كما كانت ملوك الطوائف وكالذى كان بين فارس والروم فلا وذلك لقوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الى قوله عز ذكره ولو كره المشركون فلم يرض ان أظهره دينه حتى جعل أهله الغالبين

أين تكون منذ أوصيناك قال بحيث ألقتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلان كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له ما لك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها

* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قلت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحي عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بنتي كولده قال فما حال الاخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان

* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ما هي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال

* فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتهم اذ لتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس أتوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبي الحماة وابهتي عليها

بالقدرة والظاهرين بالمنعة والاخذين الاتاوة وكتب كسرى الى فيروز ابن الديلمي وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن ان احمل الى هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي واجترأ علي ودعاني الى غير ديني فأتاه فيروز فقال ان ربي أمرني ان أحملك اليه فقال صلى الله عليه وآله ان ربي خبرني انه قد قتل ربك البارحة فأمسك علي ريث ما يأتيك الخبر فان تبين لك صدقي والا فأنت على

انما

انما يريد ابهتيها فوضع ابهتي في موضع ا كذبي فمن ثم وصلها بعلى والذى يستعمل في صلة الفعل اللام لانه الام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقديره اكرامى لعمرو وضربي لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجئ وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربي حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لى ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع قال الله جل ذكره ولأصلبنكم في جذوع النخل أى على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت في لانها الوعاء يقال فلان في النخل أى قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه تنفض الطل بعدما * رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر غدت من عليه بعدما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أى من عنده وقال العامرى

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبنى رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفي اليها يقول تقربي ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الاين مما وجفا * طى الليالى زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكتاب خيرا والحماة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا في الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف

أمرك فراع ذلك فيروز وهاله وكره الاقدام عليه والاستخفاف به فاذا الخبر قد أتاه ان شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله فأسلم وأخلص ودعا من معه من بقية الفرس الى الله عز ذكره فأسلموا

((فصل منه في ذكر النبى صلى الله عليه وسلم))

ثم ان الذى تقدمه صلى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة في الازمان المتباعدة والبلدان

على أنّ وعلى في وقال عدي بن زيد

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً * ونارٍ توقَّدُ بالليلِ نارا

فعطف على كل وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعد ما تم خمسها فالخِمْسُ ظِمْءٌ من أظمائها وهو أن تردَ ثم تغبَّ ثلاثاً ثم ترد فيعتدُّ بيومي وردها مع ظمئها فيقال خِمْسٌ والربع كحُمّى الربع وقوله تَصِلُّ أي تسمع لأجوافها صليلاً من يبس العطش يقال المسمار يَصِلُّ في الباب إذا أكره فيه قال جرير يخاطب الزبير عم زبيته في هجائه الفرزدق

لو كنت حين غُررتَ بين بيوتنا * لسمعتَ من وقع الحديد صليلا

ويقال الحمار المُصلصلُ إذا أخرج صوته من جوفه حاداً خفيا قال الأعشى

عنتريسٌ تعدو إذا حُرِّكَ السو * طُ كعدوِ المُصلصلِ الجوّالِ

وقال المفسرون في قول الله عز وجل من صلصال من حمأ مسنون قالوا هو الطين الذي قد جفّ فإذا قرعه شيء كان له صليلٌ وتفسيره ذلك عند العرب النقْنُ الذي يذهب عنه الماء في الغدران فينشقّ ثم ييبس والقَيْضُ قشر البيضة الأعلى والذي يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الغِرْقِئُ يقال ثوب كأنه غرقئ بيض والزيزاء ما ارتفع من الأرض وهو ممدود منصرف في المعرفة والنكرة إذا كان لمذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مفسّراً إن شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه في الكتاب المقتضب والمجهل الصحراء التي يُجهل فيها فلا يُهتدى لسبيلها ويقال الشيء إذا غاب وتغيرت رائحته صَلَّ وأصَلَّ فهو صالٌّ ومُصِلٌّ ويقال نتنَ وأنتنَ ويقال خمّ وأخمّ وذلك إذا كان مستوراً حتى يفسد ويقال إذا عتق اللحمُ فتغير خَنِزَ وخَزِنَ وبيت طرفة أحسن ما يُنشد عليه

ثم لا يخنَزُ فينا لحمُها * إنما يخنزُ لحمُ المدّخرْ

ويقال لرب البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيف هي أم مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أمِّ مثوى كريمٍ قد نزلتُ بها * إنّ الكريم على علاّته يسعُ

وفي كتاب الله جل وعز أكرمي مثواه معناه عند العرب إضافته ومن التشبيه المطّرد على ألسنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

الموجودة بكل مكان على شدة عداوة أهلها وتعصب حامليها ومع قوة حسدهم وشدة بغيهم وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم على أنهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم وكل الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم وآباؤهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام وتعنتوا رسلهم صلى الله عليهم حتى خلاهم الله عز وجل من يده وأفقدهم عصمته وتوفيقه ولم استدل على ذكره في التوراة

كأنها ليلة غب الازرق * وقد مددنا باعها للسوق * خرقاء بين السلمين ترتقي

قوله ليلة غب الازرق انما يعني موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهي الصافية قال زهير

فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال آخر

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها للسوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا مدت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقي يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود وقال الآخر

كأنها نائحة تفجع * تبكي لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتي ومنصبي أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذي به تدل ومنصبها المتصل بعن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيئا عن الناظر لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ أكل فأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تستطع نفعا فتنفعا)

قوله

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

والانجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به في الكتب الا لأنك متى وجدت النصراني واليهودي يسلم بارض الشام وجدته يعتل بأمور ويحتج بأشياء مثل الامور التي يحتج بها من أسلم بالعراق وكذلك من أسلم بالحجاز ومن أسلم من اليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر وكيف يتلاقون ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ولو كانوا كذلك لظهر

كأنَّ كُحَيلاً مُعْقَدا أو عَنِيَّةً * على رَجْعِ ذِفراها من الليتِ واكِفُ

(الكحيل القَطِرانُ والعنيةُ ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى فى أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأنَّ كُحَيلاً مُعْقَدًا أو عنيةً واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك كموضع دجلة من بغداد انما هو للحد بينهما الا أنه وكف من شئ على شئ وأما قوله

كأنَّ ابن آوى موثَقٌ تحت غَرْضِها * اذا هولم يَكْلِم بنابيه ظَفَّرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهى لا تستقر وقال أوس ابن حجر كأنَّ هِرًّا جَنيبًا تحت غُرْضَتِها * والتفَّ دِيكٌ بحَقْوَيْها وخنزير

والغَرْضُ والغُرْضةُ واحد وهو حزام الرَّحْلِ وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بَذِيَّةٍ * مُفَجَّعَةٍ لاقتْ حلائلَ عن عُفْرِ

سَمِعْنَ لها واستفرغتْ فى حديثها * فلا شئَ يَفرِى باليدين كما تَفْرِى

(قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المُعَذَّل وأنشدنيهما سعيد بن سَلْم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيدا وصفها بأنها بذية وقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ونيل منها ولقيت حلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأَصْغَيْنَ اليها يسمعن والفرى الشق يقال فَرَى أوداجه أى قطع وفَرَيْتُ الأديم واذا قلت أفريتُ فمعناه أصلحتُ وقول الحجاج انى والله ما أَهُمّ الا مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ الا فَرَيْتُ يقول اذا قَدَّرتُ قطعت يقال فريت القِربةَ والمَزادةَ فهما مَفْرِيَّتان قال ذو الرمة * كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ * وقال امرؤ القيس

كأن الحَصَى من خلفها وأمامها * اذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذْفُ أَعْسَرا

كأن صَلِيلَ المَرْوِ حين تُشِذُّهُ * صَلِيلُ زُيوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعَبْقَرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزَّيْفَ شديد الصوت صافيه وقال آخر كأن يَدَيْها يَدَا ماتحٍ * أتى يوم وِرْدٍ لغِبٍّ زَرُودَا

يخاف العقابَ وفى نفسه * اذا هو أَنْهَلَ ألا يعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قصّر ولا عودة له اليه ثانيةً فهى تُسْقَى سَقْيَةً فى مرة واحدة

ذلك ولم ينكتم كما حكينا قبل هذا ولو قابلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الالفاظ واختلاف المعانى لوجدتها متساوية

(فصل منه) فان قال قائل لم كانت اعلام موسى عليه السلام فى كثرتها مع غبى بنى اسرائيل ونقصان أحلام القبط فى وزن أعلام محمد صلى الله عليه وسلم وفى قدرها مع أحلام قريش وعقول العرب ومتى أحببت أن تعرف

وقد أكثروا في هذا فن الافراط في السرعة قول ذي الرمة

كأنه كوكب في إثر عفرية * مسوّم في سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية في معنى واحد والتاء في عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال) عفرية نفرية على التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفارية ولم يتبع بنفارية) ومن الافراط قول الحطيئة   وان نظرت يوماً بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله   بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطني والرحل من صوت هدهد

وقال آخر   مروح برجليها اذا هي هجّرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ   مروح تغتلي في البيد حرف * تكاد تطير من رأي القطيع

وكذلك الاعرابي الذي يقول * لو ترسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح ما قيل في هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

جعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له أعرابي أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص في أثرها فجدّت وجدّ حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول

وهي على البعد تلوي خدّها * تريغ شدي وأريغ شدها * كيف ترى عدو غلام ردها

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيدها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ في صفة الفرس   مفج الحوامي عن نسور كأنها * نوى القسب ترّت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامي يريد مفرّق الحوامي فالحوامي نواحي الحافر والنسور واحدها نسر وهي نكتة

غي بني اسرائيل ونقص أحلام القبط ورجحان عقول العرب وأحلام كنانة فانظر بواديهم ورباعهم وانظر الى بنيهم وبقاياهم كما نظرت الى بني اسرائيل من اليهود وغي بني من مضى من القبط تعتبر ذلك وتعرف ما أقول ثم أنظر في الاشعار الصحيحة والخطب المعروفة والامثال المضروبة والالفاظ المشهورة والمعاني المذكورة مما نقلته الجماعات عن الجماعات وكلام العرب ومعانيهم في الجاهلية ثم تفقد وسل أهل العلم والخبرة عن بني اسرائيل فان

في داخل الحافر ويُحمَدُ الفرس اذا صَلُبَ ذلك منه ولذلك شُبِّهَ بنوى القسب وتَرَّتْ سقطت والجَريم المصروم والملجاج الذي قد لُجلِجَ مَضْغًا في الفم ثم قُذِفَ لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النَّسْر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرَّحَحُ وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصَغُرَ قيل له مُصْطَرٌّ وكان عيبا قبيحا قال حُمَيْدٌ الأرقط

لا رَحَحٌ فيها ولا اصطرارُ * ولم يُقَلِّمْ أرضَها البَيْطار

(* ولا لحَبْلَيهِ بها حَبارُ *

الحَبار الأثر) ويروى ولم يُقلِّبْ وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شئ بعد شئ فحفيها وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَة

لا في شَظاها ولا أرساغها عَنَتٌ * ولا السنابكُ أفناهنّ تقليمُ

وانما يُحمَدُ الحافر المُقَعَّبُ وهو الذي هيئته كهيئة القَعْب وان كان كذلك قيل حافر وَأْبٌ قال ابن الخرع   لها حافر مثل قَعب الوليد * يتخذُ الفأرُ فيه مغارا

يريد لو دخل الفأرُ فيه لَصَلُحَ كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرةٌ أي لو قعد عليها عشرة لَصَلُحَ وقال الراجز * وَأْبٌ حَمَتْ نُسورُه الأوقارا * (يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرَّهصة) وفي كل حافر حاميتان وهما حوفاه عن يمين وشمال ومُقَدَّمُه السُّنْبُكُ ومؤخَّرُه الدابرةُ ومثل قوله عن جريم ملجلج قولُ علقمةَ بن عبدة

سُلَّاءةٌ كعصا النَّهديِّ غُلَّ بها * ذو فَيئةٍ من نوى قُرّانَ مَعجومُ

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يُحمَدُ منها أن يدِقَّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحصان يحمد منهن أن يَعرُضَ الصدرُ ثم ينخرط الى ذَنَبه ضُمورا فيقال في صفته كأنه جَلَمٌ وقوله كعصا النهدي يريد في الصلابة كما قال * وكلُّ كُمَيْتٍ كالهراوة صِلْدِمِ * وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رَجْعة يقول مَضَغَتْه الابل فلم تكسره ثم بعرته صِحاحًا ومعجوم ممضوغ يقال عَجَمْتُه أعجُمُه اذا مضغته فالعَجْمُ المَضْغُ ويقال للنوى من كل شئ العَجَمُ متحرك العين قال الاعشى

* وجُذعانها كلقيط العَجَم * وقال النابغة

وظلَّ يَعجُمُ أعلى الرَّوقِ مُنقبضا * في حالك اللون صَدْقٍ غيرِ ذي أَوَدِ

وجدت لهم مثلا سائرا كما تسمع للقبط والفرس فضلا عن العرب فقد أبطلنا فيما قلنا وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف وينشئ عدة أمثال كل واحد منها ركن يبنى عليه وأصل يتفرع منه أو هل تسمع لهم بكلام شريف أو معنى يستحسنه أهل التجربة وأصحاب التدبير والسياسة أو حكم أو حكمة أو حذق في صناعة مع ترادف الملك فيهم وتظاهر الرسالة في رجالهم وكيف لا تقضى عليهم بالغي والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان في المبدأ ولا ممن كان في

ومثل

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبري

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشماخ)

كأن المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمى به فأنفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شئ حده فأراد شرخي الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفي الحديث اقتلوا مسان المشركين واستبقوا شرخهم أي الشباب لان الشرخ الحد قال حسان

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب في هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيـ * ـض وشيب القذال شئ زهيد

فأما قول الشنفرى كأن لها في الأرض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيأ في الأرض والنسي على ضربين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لاخته قصيه أي اتبعي أثره والأم القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الاعمى قول كثير

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال فقال لله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا الا قال كما قلت وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأن عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتصما * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

المحضر ولا من قاطن السواد ولا من نازل الشام ثم انظر الى أولادهم مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا هل غير ذلك من أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم فقد صلح بذا كثير من أمور النصارى وغيرهم وليس النصارى كاليهود لان اليهود كلهم من بني اسرائيل الا القليل وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم لان مناكحهم مقصورة فيهم ومحبوسة عليهم قصورا ولهم موداة الى آخره وعقول أسلافهم مردودة على أخلافهم ثم اعتبر بقولهم لنبيهم

الا بن الاعياء والجهد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضةٌ بالحزن طيبةُ الثرى * يمجُّ الندى جثجاثها وعرارُها

بمنخرقٍ من بطن وادٍ كأنما * تلاقت به عطارةٌ وتجارُها

بأطيبَ من أردان عزةَ موهناً * وقد أُوقدت بالمندل الرطب نارُها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترَ أني كلما جئت طارقاً * وجدتُ بها طيباً وان لم تطيَّب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو خالد عينين العبدي كم عمةٍ لك يا خُليد وخالة * خُضرٍ نواجذها من الكراث

نبتت عُيينته فطاب لريحها * ونأت عن القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الأحساء وطيبُ ترابها * وركالُها غادٍ علينا ورائحُ

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البري وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالعرارة

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أي بعد دخولنا في الليل وأنشد أبو زيد هبت تلومك بعد وهن في الندى * بسلٌ عليك ملامتي وعتابي

والمندل العود يقال له المندل والمندلي قال الشاعر

أمن زينب ذي النارُ * قبيل الصبح ما تخبو

اذا ما خمدت يُلقى * عليها المندل الرطبُ

قال أبو العباس ذي معناه ذه يقال ذا عبد الله وذي أمةُ الله وذه أمةُ الله وته أمةُ الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذي أمة الله وان شئت أسكنت في الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهي أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت في لفظ

عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها وكقولهم أرنا الله جهرة وكعكوفهم على عجل صنع من حليهم يعبدونه من دون الله بعد ان أراهم من الآيات ما أراهم وكقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فكان الذي جاء به موسى عليه السلام مع نقص بني اسرائيل والقبط مثل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع رجحان قريش والعرب وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبد كوعيد موسى

المضمر شبهوه به في زيادة الياء نحو مررت بهي يافتى لا يجوز أن تضم الهاء في هذه على قول من قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يافتى ورأيتهم يافتى وهذه الهاء ليست من هذه انما هي مشبهة وتقول هاته هند وهاتي هند وهاتا هند على زيادة ها التنبيه قال جرير

هذي التي جدعت تيما معاطسها * ثم اقعدي بعدها يا تيم أو قومي

وقال عمران بن حطان وليس لعيشنا هذا مهاه * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء في الوصل فيقولون مهاه وتقديره فعال ومعناه اللمع والبهاء يقال وجه له مهاه يافتى والأصمعي يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة وتقديرها في قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام رب رحيم * بمهاة ضياؤها منشور)

فاذا صغرت ذه قلت تيا كأنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لانك اذا صغرت ذا قلت ذيا فلو صغرت ذي فقلت ذيا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك في باب نفرده له ان شاء الله تعالى ❊ عاد القول الى التشبيه أنشدتني أم الهيثم في صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطاف على كلابه

أرادت الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ما تدور عليه البكرة والكلاب ماوليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدرك وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذي قد ركب بعضه بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب قال ذو الرمة

كأن على أنيابها كل سدفة * صياح البوازي من صريف اللوائك

يقول عماتلوكه ويقال في الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرق ورأيته يعض

بني اسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم والهم على أنفسهم وتسليط الموتان على ماشيتهم وباخراجهم من ديارهم وان يظفر بهم عدوهم فكان تعجيل العذاب الأدنى في استدعائهم واستمالتهم وردعهم عما يريدهم وتعديل طبائعهم كتأخير العذاب الشديد على غيرهم لان الشديد المؤخر لا يزجر الا أصحاب النظر في العواقب وأصحاب العقول التي تذهب في المذاهب فسبحان من خالف بين طبائعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم

عليك الأُرَّم قال زهير فى مدحه حصن بن حذيفة (بن بدر الفزارى)

أبى الضيم والنعمانُ يحرُق نابه * عليه فأفضى والسيوف معاقله

وقال آخر نُبئت احماء سُليمى أنما * ظلوا غضابا يعلكون الأُرَّما

وقال بعض النحويين يعنى الشفاه وقال بعضهم يعنى الأصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك و بلغ والآخران يكون للاطراق والتشدد وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضوا على النواجذ فان ذلك ينبى السيوف عن الهام ● ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباس * جنية فى رأسها أمراس

بها سكون وبها شماس * يخرج منها الحجر الكباس

يمر لا يحبسه حباس * لا نافذ الطعن ولا ترّاس

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مرسة والكُباس الضخم يقال هامة كبساء يا فتى ورأس أكبس والحبّاس الذى من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذى يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضرّاب وقتّال فانما يكثر الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أخضر من معدن ذى قُساس * كأنه فى الحيد ذى الأضراس

* يرمى به فى البلد الدهاس *

يصف معولا وذو قُساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بنى أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطنف حيد وهو الذى يسميه أهل الحضر الافريز يقال طنف حائطك ويقال للناتئ وسط الكتف حيد وعير وكذا الناتئ فى القدم وقوله ذى الأضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعول لحدّته يقع فى الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاس والدهاس ما لان من الرمل قال دريد بن الصمة فى يوم حنين ابن مجتلدا القوم فقالوا بأوطاس فقال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا لين دهس وقال العجاج يصف حمارا

كأن فيه اذا ما شحجا * عودا دُوَين اللهوات مولجا

فى دنياهم ومن اشدهم فى دينهم مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها فى العقل موقع كموقع فلق الصبح من العين وذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والحلماء وأصحاب الرأى والمكيدة والتجارب والنظر فى العاقبة ان عارضتمونى بسورة واحدة فقد كذبت فى دعواى وصدقتم فى تكذيبى ولا يجوز ان يكون مثل العرب فى كثرة عددهم واختلاف عللهم والكلام كلامهم وهو سيد عملهم قد فاض بيانهم وجاشت

هذا

هذا يوصف به العَيْرُ الوحشي اذا أسَنَّ تراه لا يشتد نهيقه وكأنه يعالجه علاجا قال الشَّمَّاخُ

اذا رَجَّعَ التعشيرَ عَجّا كأنه * بناجذه من خَلْفِ قارحه شَجِي

فأما قول عنترة بَرَكَتْ على ماءِ الرِداعِ كأنما * بَرَكَتْ على قَصَبٍ أجشَّ مُهضَّمِ

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فانما شبهه بالزَّمير وأراد القصب الذي يُزمَّرُ به قال الأصمعي هو الذي يقال له بالفارسية ناىٌ قال الراعي يصف الحادي

زَجِلُ الحُداء كأنَّ في حَيْزومِهِ * قَصَبًا ومُقْنِعَةَ الحَنينِ عَجولا

المُقْنِعُ الرافع رأسه في هذا الموضع ويقال في غيره الذي يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مُقْنِعي رؤسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بَعْدُ يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كأشد الحنين الى الأُلَّافِ اذا أُخِذَ من القطيع قالوا وأكثر ما يحنُّ عند العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بين الجميع لنيَّة * لابُدَّ أن يتفرق الجيرانُ)

لا تصبرُ الابلُ الجلادُ تفرقتْ * بين الجميع ويصبر الانسانُ

وقال آخر وهل رِيبةٌ في أن تحنَّ نجيبةٌ * الى الفِها أو أن يحنَّ نجيبُ

واذا رَجَّعَت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتياح البروق وقال عوفُ بن مُحَلِّمٍ وسمع نوح حمامة

ألا يا حمامَ الأيكِ الفُكَ حاضرٌ * وغصنك مَيَّالٌ ففيم تنوح

أَفِقْ لاتَنُحْ من غير شئٍ فانني * بكيتُ زمانا والفؤادُ صحيح

وَلوعًا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دارُ زينب * فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ

وكل مُطوَّقة عند العرب حمامة كالدُّبْسيّ والقُمْرِيّ والوَرَشان وما أشبه ذلك قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ

وما هاج هذا الشوقَ الا حمامةٌ * دعَتْ ساقَ حُرٍ تَرْحَةً وترَنُّما

اذا شئتُ غَنَّتْني بأجزاع بِيشةٍ * أو النَخْلِ من تَثْليثَ أو بيَلَمْلَما

مُطَوَّقةٌ خطباءُ تسجع كلما * دنا الصيفُ وانجال الربيعُ فأنجما

مُحَلَّاةُ طَوْقٍ لم يكن من تميمةٍ * ولا ضَرْبِ صَوّاغٍ بكفَّيه درهما

به صدورهم وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم حتى قالوا في الحيات والعقارب والذئاب والكلاب والخنافس والجعلان والجن والحمام وكلما دب ودرج ولاح لعين وخطر على قلب ولهم بعد أصناف النظم وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والاسماع والمنثور وبعد فقد هجوه من كل جانب وهاجى أصحابه شعراءهم ونازعوا خطباءهم وحاجوه في المواقف وخاصموه في المواسم وبادروه العداوة وناصبوه الحرب فقتل

تغنّت على غصن عشاءً فلم تدع ٭ لنائحة في شجوها متلوّما
اذا حركته الريح أومال ميلة ٭ تغنت عليه مائلا ومقوّما
عجبت لها أنّى يكون غناؤها ٭ فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها ٭ ولا عربيا شاقه صوت أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجاني أنني كنت نائما ٭ أعلّل من برد الكرى بالتنسم
الى أن بكت ورقاء في غصن أيكة ٭ تردد مبكاها بحسن الترنم)
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ٭ بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهاج لي البكا ٭ بكاها فقلت الفضل للمتقدم

اما قول حميد دعت ساق حر فانما حكى صوتها ويقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحمام والحمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطة وهذه بطة ويقال بقرة للذكر والأنثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثورا أو ديك بيّنت الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير ويقال للحمامة تغنّت وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيشبّه مرة بهذا ومرة بهذا قال قيس بن معاذ

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني ٭ حمائم ورق في الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى ٭ نوائح ما تجري لهن دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أي أقلع ومثل ذلك أنجم عنا وان قلت أنجم فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشقّ يقال المجوب للحديدة التي يثقب بها العسيب ويقال جبت البلاد أي دخلتها وطوفتها وفي القرآن وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أي شقوه وقوله لم يكن من تميمة التميمة المعاذة وقد مضى هذا وقوله ولم تفغر بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فغر فاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغر فاه وفغر نفسه وكذلك شحا فاه وشحا نفسه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكني استحسنت صوتها واستفزتني فحننت له ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدري ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير

منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا واذكرهم لخير او لشر وأنفاهم له وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة ثم لا يعارضه معارض ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر ومحال في التعارف ومستنكر في التصادق ان يكون الكلام أخصر عندهم وأيسر مؤنة عليهم وهو أبلغ في تكذيبهم وأنقض لقوله وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به وهم يبذلون مهجهم وأموالهم ويخرجون من ديارهم في اطفاء أمره

ما قصدت له وحُدِّثْتُ أن بعض المحدّثين سمع غناءً بخراسان بالفارسية فلم يدرِ ما هو غير أنه شوّقه لشجاه وحسنه فقال فى ذلك حمدتُ لِليلةٍ شرُفَتْ وطابَتْ ● أقام سُهادُها ومضى كَراها

سمعتُ بها غناءً كان أولَى ● بأن يقتادَ نفسى من غناها

الغناء الأول الممدود من الصوت والذى ذكره بعد فى القافية من المال مقصور

ومُسْمِعَةٍ يحارُ السمعُ فيها ● ولا تُصممُهُ لا يَصْمَمْ صَداها

مرتْ أوتارَها فشفَتْ وشاقتْ ● فلو يَسطيعُ حاسدُها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن ● ورتْ كبدى فلم أجهلْ شجاها

فكنتُ كأننى أعمى مُعَنًّى ● بحب الغانيات وما يراها

(وقال عبدُ بنى الحسحاس

وراهنَّ ربى مثلَ ما قد وَرَيْنَنى ● وأحمَى على أكبادهنَّ المكاويا)

قال أبو العباس والشىءُ يذكر بالشىءِ وان كان دونه فجرى لاحتواء الباب والمعنى عليهما وفى شعر حُمَيْدٍ هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأحرى ان يتمثل به الأشراف وتُسوَّد به الصحف وهو قوله

أرى بصرى قد رابنى بعد صحة ● وحسبُكَ داءً أن تصحَّ وتَسْلَما

ولا يلبثُ العصران يومٌ وليلة ● اذا طلبا أن يُدركا ما تيمّما

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داءً ● ثم نرجع الى التشبيه والعرب تُشَبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مُفرِطٌ وتشبيه مُصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشنُ الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخىِّ هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قولُ بعضهم (وهو بكرُ بن النطّاح يقوله لابى دُلَف القاسم بن عيسى)

له هِمَمٌ لا مُنتهى لكِبارها ● وهمّتُهُ الصُغرى أجلُّ من الدهر

له راحةٌ لو أن مِعشارَ جودها ● على البرِّ صار البرُّ أندى من البحر

ولو أنَّ خلقَ الله فى مسكِ فارسٍ ● وبارزه كان الخلىَّ من العمر

وقد قيل ان امرأة عمران بن حطّانَ قالت له أما زعمتَ أنك لم تكذب فى شعر قطُّ قال أوَ فعلتُ قالت

وفى توهين ما جاء به ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم وتخرجون من دياركم والحيلة فى أمره يسيرة والمأخذ فى أمره قريب ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما فى نظم كلامه كأقصر سورة يتحداكم بها وكأصغر آية دعاكم الى معارضتها بل لو نسوا ما تركهم حتى يذكرهم ولو تغافلوا ما تركه ان ينبههم بل لم يرض بالتنبيه دون التوقيف فدل ذلك العاقل على ان أمرهم فى ذلك لا يخلو من أحد

أنت القائل فهنالك مجزأة بن ثور * وكان أشجع من أسامه

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه فى افراط غير أنه خرج فى كلام جيد وعنى به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه فى غاية ما يستحسن قول النابغة يعنى حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزارى)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والاديم صحيح

فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندى الحى وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبى الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

ويروى عن الأصمعى أنه رأى رجلا يختال فى أزر فى يوم قر فى مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشى الخيزلى ويدفئنى حسبى وقيل لآخر فى هذه الحال أما يوجعك البرد فقال بلى والله ولكنى أذكر حسبى فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذى سئل فى يوم قر عما يجد فقال ما علىّ منه كبير مؤنة وقيل وكيف فقال دام بى العرى فاعتاد بدنى ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة

وعيد أبى قابوس فى غير كنهه * أتانى ودونى راكس فالضواجع

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلى النساء فى يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدننى * كما تعترى الأوصاب رأس المطلق

والمطلق هو الذى ذكره النابغة فى قوله • تطلقه طورا وطورا تراجع • وذلك أن المنهوش اذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه وانما ذكر خوفه من النعمان

أمرين اما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الاضراب عن ذكره والتغافل عنه فى هذا الباب وان قرعهم به أمثل لهم فى التدبير واجدر ان لا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف واجدر ان يجدوا الى الدعوى سبيلا والى اختداع الانبياء سببا فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه وهو قوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهل يذعن الاعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز والتوقيف على

وما

وما يعتريه من لوعة فى اثر لوعة والفترة بينهما والخائف لاينام الا غرارا فلذلك شبهه بالملدوغ المسهد وقوله لحلى النساء فى يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حلى النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تقعقعها فيمنعه النوم فلا ينام فيدب فيه السم ويسهد لذلك وقال الآخر

كأن فجاج الأرض وهى عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤدّى اليه أن كل ثنية • تيمّمها ترمى اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كفة يقال كفة الثوب لحاشيته وكفة الحابل اذا كانت مستطيلة ويقال لكل شئ مستدير كفة ويقال ضعه فى كفة الميزان فهذه جملة هذا وكفة الحابل يعنى صاحب الحبالة التى ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذى لا يقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتنى أخت جيراننا • اذ أنا فى الدار كأنى حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كمثل الحمار يحمل أسفارا والسفر الكتاب وقال مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار فى أنهم قد تعاموا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته فقال

زوامل للاشعار لا علم عندهم • بجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا • بأوساقه أو راح ما فى الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على ألسن الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية والأنف بحد السيف والفم بالخاتم والشعر بالعناقيد والعنق بابريق فضة والساق بالجمار فهذا كلام جار على الألسن وقد قال سراقة بن مالك بن جعشم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان فى غرزه كأنهما جمارتان فأردته فوقعت فى مقنب من خيل الانصار فقرعونى بالرماح وقالوا أين تريد وقال كعب بن مالك الانصارى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر تبلج وجهه فصار كأنه البدر وعين الانسان مشبهة بعين الظبى والبقرة فى كلامهم المنثور

النقص ثم لا يبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وأطلبه بطائلة وقد سمعوه فى كل منهل وموقف والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغات فمن كان شاهدا فقد سمعه ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده واما ان يكون غير ذلك ولا يجوز ان يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها الا انه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم و بعد هممهم وشدة عداوتهم الاطباق على بذل الكثير وصون

وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها قال

فَعيناكِ عَيناها وجيدُكِ جيدُها • ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيقُ

(وقال ذو الرمة

أرى فيكِ من خرقاءَ يا ظبيةَ اللوى • مشابهَ جُنّبتِ اعتلاقَ الحبائلِ

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها • ولونُكِ الا انها غيرُ عاطلِ)

وقال الآخر فلم تَرَ عيني مثلَ سربٍ رأيتُه • خَرجنَ علينا من زُقاقِ ابن واقفِ

طَلَعنَ بأعناقِ الظباءِ وأعينِ الـ • ـجآذرِ وامتدَّت بهنَّ الروادفُ

ويقال للخطيب كأن لسانه مِبْرَدٌ فهذا الجاري في الكلام كما يقال للطويل كأنه رُمحٌ ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارحٍ ومن مليح التشبيه قول القائل

لعينيكَ يومَ البينِ أسرعُ واكفاً • من الفَنَنِ الممطورِ وهو مَروحُ

وذلك أن الغصن يقع المطر في وَرَقِه فيصير منها في مثل المداهن فاذا هبّت به الريح لم تلبثه ان تُقَطِّره ❊ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المحدثين ومَلاحاتهم فقد شرطناه في أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيهاً الاتساعه في القول وكثرة تَفَنُّنِه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال في مَديحه الفضلَ بن يحيى بن خالد بن برمك

وكنا اذا ما الحائنُ الجَدُّ غرَّه • سَنى بَرقِ غاوٍ أو ضَجيجُ رعادِ

تَردَّى له الفضلُ بن يحيى بن خالد • بماضي الظُبى أزهاه طولُ نجادِ

أمامَ خميسٍ أرجوانٍ كأنه • قميصٌ محوكٌ من قَنًا وجيادِ

فما هو الا الدهرُ يأتي بصَرفِه • على كلّ مَن يشقى به ويُعادي

قوله الحائن الجد يقال حانَ الرجل اذا دنا موته ويقال رجل حائنٌ والمصدر الحَيْنُ والجَدُّ الحظ والجَدُّ والجِدَّةُ مفتوحان فاذا أردتَ المصدر من جَدَدتُ في الأمر قلت أجِدُّ جِدًّا مكسور الجيم ويقال جَدَدتُ النخل أجُدُّه جَدًّا اذا صرمته ويقال جَذَذتُه جَذًّا وتركت الشئ جُذاذًا اذا قطعته قطعًا ويُروى هذا البيت لجرير على وجهين

آلُ المُهلَّبِ جَدَّ اللهُ دابرَهم • أضحَوا رماداً فلا أصلٌ ولا طرفُ

البسير وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف فكيف على الاعداء لان تحبير الكلام أهون من القتال ومن اخراج المال ولم يقل ان القوم قد تركوا مسائلته في القرآن والطعن فيه بعد ان كثرت خصومتهم في غيره ويدلك على ذلك قوله عز وجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا

ويروى

ويروى جَدَّ وقرأ بعض القراء عطاءً غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جِذاذُ نخلك أى كم تَصْرِمُ منها ويروى فى قول الله جل وعز وأنه تعالى جَدُّ ربنا عن أنس بن مالك غِنَى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جَدًّا ربُّنا ولو قرأ قارئ جِدًّا ربِّنا على معنى جِدِّ ربِّنا لم يُقرأ به لتغيير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفةُ الخطّ وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ ليلةً • فتَرْقُدَها مع رُقَّادِها

ومثله (قول الأعشى) أَجِدَّكَ لم تَسْمَعْ وَصاةَ محمدٍ • رسولِ الاله حين أَوْصَى وأشهدا

لان معناه أَجِدًّا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتَجِدُّ جِدًّا ويقال امرأة جدّاءُ اذا كانت لا ثَدْيَ لها فكأنه قُطِعَ منها لان أصل الجَدِّ القطع ويقال بلدة جَدّاءُ اذا لم تكن بها مياهٌ قال الشاعر

وجَدّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوادةٍ • لعُرْفٍ ولا يَخْشَى السُّماةَ رَبيبُها

(القرابةُ والهَوادةُ فى المعنى واحد قال أبو الحسن السُّماةُ هم الصادةُ نصفَ النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال اغاسُمِّى ساميًا بالسَّماة وهو خف يَلْبَسُهُ لئلا يسمع الوحشُ وطأه وهو عندى من سَمَا للصيد) ويُنْشَدُ هذا البيت

أبى حُبِّي سُلَيْمَى أن يَبِيدا • وأصبحَ حبلُها خَلَقًا جديدا

يقول أصبح خَلَقًا مقطوعا لان جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريحٌ ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدودٌ اذا كان ذا خَطَرٍ أى حظ وفى الدعاء ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ أى مَنْ كان له حظ فى دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجِدِّ منك الجِدُّ يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برق غار والسنى من الضياء مقصور وقال الله جل وعز يكاد سَنَى بَرْقِهِ يذهب بالابصار والسَّناءُ من المجد ممدود وقال الشاعر

وهم قوم كِرامُ الحَيِّ طُرًّا • لهم خَوَلٌ اذا ذُكِرَ السَّناءُ

وضرب الحسن ههنا مَثَلًا وجمع الرَّعْد فقال رِعادٌ كقولك كَلْبٌ وكِلابٌ وكَعْبٌ وكِعاب وقوله بماضى الظُّبَى ظُبَةُ كل شئ حَدُّهُ يقال وَخَزَهُ بظبة السيف يراد بذلك حَدُّ طَرَفِهِ وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حمائلُ السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يُمْدَحُ بالطول فلذلك يُذْكَرُ طولُ حمائله قال مَرْوانُ بن أبى حَفْصةَ يمدح المَهْدِىَّ

أو بدله وقوله تعالى ذكره وقال الذين كفروا ان هذا الا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وبذلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على ان التقريع لهم بالعجز كان فاشيا وان عجزهم كان ظاهرا ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تحداهم بالنظر والتألف ولم يكن أيضا أزاح عللهم حتى قال تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وعارضونى بالكذب لقد كان فى تفصيله وتركيبه وتقديمه واحتجاجه ما يدعو الى معارضته ومغالبته وطلب مساويه

قَصُرَتْ حمائله عليه فقلصت • ولقد تأنّق قينها فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمدا الأمين

سَبِطُ البنان اذا احتبى بنجاده • غَمَرَ الجماجم والسماطُ قيامُ

وقال جرير للفرزدق تعالوا فغافونا فى الحكم مقنعٌ • الى الغُرّ من أهل البطاح الأكارم

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من أهل هاشم

وقال الآخر لما التقى الصفّان واختلف القنا • نهالاً وأسباب المنايا نهالها

تبيّن لى أن القماءة ذلّةٌ • وأن أشدّاء الرجال طوالها

وقوله أمام خميس الخميسُ ههنا الجيش وكذلك قال ربيعة أهل خيبر لما أطلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمدٌ والخميسُ أى والجيشُ وقال الشاعر وهو طرفة

وأىُّ خميس لا أفأنا نهابه • وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أفأنا رددنا يقال أفاء يفيء اذا ردّ والأرجوانُ الاحمر قال الشاعر

عشيّة غادرتُ خيلى حميدا • كأنّ عليه حلّة أرجوانِ

والجياد الخيلُ وفى القرآن اذ عُرِض عليه بالعشىّ الصافنات الجيادُ ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

ترى الناس أفواجا الى باب داره • كأنهم رِجْلا دَبًى وجراد

فيومٌ لالحاق الفقير بذى الغنى • ويومُ رقاب بُوكرتْ لحصاد

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نُوَاس الحسن بن هانئ)

فكأنى بما أزيّن منها • قَعَدِىٌّ يزيّن التحكيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تشدّد عليه فى شرب الخمر وحبسه من اجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الرائحان باللوم لوما • لا أذوق المدام الا شميما

نالنى بالملام فيها امامٌ • لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواى فانى • لستُ الّا على الحديث نديما

كبرُ حظّى منها اذا هى دارتْ • أن أراها وأن أشمّ النسيما

ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا الا تمدحه له واكثاره فيه لكان ذلك سببا موجبا لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه اذ كان كلامهم وهو سيد عملهم والمؤنة فيه أخف عليهم وقد بذلوا النفوس والأموال وكيف ضاع منهم وسقط على جماعتهم نيفا وعشرين سنة مع كثرة عددهم وشدة عقولهم واجتماع كلمتهم وهذا أمر جليل الرأى ظاهر التدبير

《 فصل منه فى كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها 》

فكأني بما أزين منها • قعدي يزين التحكيما

لم يطق حمله السلاح الى الحر • ب فأوصى المطيق الا يقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحدثت ان العماني الراجز أنشد الرشيد في صفة فرس

كأن أذنيه اذا تشوفا • قادمة أو قلما محرفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل • تخال أذنيه اذا تشوفا • والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه ويروى أن جريرا دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المساميح الوليد سماحة • وكفى قريش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية • تزجي أغن كأن ابرة روقه • قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال • قلم أصاب من الدواة مدادها • قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله

تعاطيكها كف كأن بنانها • اذا اعترضتها العين صف مدارى

ومن التشبيه المليح قوله

وكأن سعدى اذ تودعنا • وقد اشرأب الدمع أن يكفا

رشأ تواصين القيان به • حتى عقدن بأذنه شنفا

(يقال اشرأب لان يكلمني اذا تهيأ للكلام واشرأب الدمع اذا تهيأ للوكف) وفي هذا الشعر من التشبيه

خبر فؤادك أو سنخبره • قسما لينتهين أو حلفا

الحب ظهر أنت راكبه • فاذا صرفت عنانه انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله

البذرمت بالقوم خوص كأنما • جماجمها فوق الحجاج قبور

وله أيضا

سأرحل من قود المهاري شملة • مسخرة ما تستحث بحادي

مع اربع مارا حث فان هي أعصفت • تهوز برأس كالعلاة وهادي

العلاة السندان قال جرير

أيفخر بالمحمم قين ليلى • وبالكير المرقع والعلاة

وقال الحسن بن هانئ في صفة السفينة

بنيت على قدر ولاءم بينها • طبقان من قير ومن ألواح

والذي منعهم من ذلك هو الذي منع ابن أبي العوجاء واسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الارجاس الذين استبدلوا بالعز ذلا وبالايمان كفرا وبالسعادة شقوة وبالحجة شبهة بل لا شبهة في الزندقة خاصة فقد كانوا يصنعون الآثار ويولدون الاخبار ويبثونها في الامصار ويطعنون في القرآن ويسألون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله وليس شئ مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبي ولا معاند ذكي

(فصل منه) ولما كان

فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة في يد الملاح
جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوى بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله بنينا على كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه * اذاً لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى في الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوق به من الزبد

وقد قال في أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلفوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبي فألفت شملهم * واني على أمثال تلك لحابس)
أقمنا بها يوما ويوما وليلة * ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقب العبدي

قالت ألا لا تشترى ذا كم * الا بما شئنا ولم يوجد
الا بسدرى ذهب خالص * كل صباح آخر المسند
من مال من يجبي ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدريها أي تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتني اذ رميتني * بسهميك والرامي يصيد وما يدري

وقال الحسن بن هانئ ما حطك الواشون من رتبة * عندي ولا ضرك ما اغتابوا
كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

أعجب الامور عند قوم فرعون السحر ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استعلاء كما فيه منهم في زمانه بعث الله موسى عليه السلام على ابطاله وتوهينه وكشف ضعفه واظهاره ونقض أصله لردع الاغنياء من القوم ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام لانه لو كان أتاهم بكل شئ ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة لكانت نفوسهم الى ذلك منطلعة ولا عتل به أصحاب الاشغال واشتغلوا به بال الضعيف ولكن الله تعالى جده أراد حسم الداء وقطع المادة وان

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لجُلّ بن نَضْلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أَبَيْتَ اللعن انه لَقَعْوُ الأَلْيَتَيْنِ مُقْبَلُ النعلين أَفْحَجُ الفَخِذَيْنِ مَشَّاءٌ بأقراء تَبَّاعُ اماء قَتَّالُ ظِباء فقال النعمان ان أردت أن تَذِيمه فقد هِتَه قوله مقبل النعلين يقول لنعله قبالان ينسبه الى التَّرَفُّه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البَكَرة اذا كان من خشب وقوله تذيمه معناه تذُمّه يقال ذَمَّه يذُمّه ذمًّا وذامه يذيمه ذَيْمًا وذأمه يذأمه ذأمًا والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخْرُجْ منها مَذْءُومًا مَدْحُورًا وقال الحرث بن خالد المخزومي لعبد الملك

صحبتُكَ اذ عيني عليها غشاوةٌ * فلما انجلت قطّعتُ نفسي أذيمها

وقوله فقد هِتَه يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مَناة بن تميم كذلك تقول ونحوٌ من قاربها قال رُؤْبة

لله درُّ الغانيات المُدَّه * سبّحن واسترجعن من تألُّهي

يريد المُدَّح وفي هذه الأرجوزة * برّاقُ أصلادِ الجبين الأجْلَه * يريد الأجلح والعرب تقول جَلِحَ الرجل يجلَح جَلَحًا وجَلِه يجلَه جَلَهًا وجَلِيَ يجلَى جَلًى والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائحِ القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأنّ مُحرِّشًا في بيت سُعْدَى * يُعَلُّ بعيبها عندي شَفِيعُ

وفي قصيدة الحسن هذه
ان جئتُ لم تأتِ وان لم أجئ * جئتَ فهذا منك لي دابُ
كأنما أنتَ وان كنتَ لا * تكذبُ في الميعاد كذّابُ

وهذا كلام طريف ومن حَسَن تشبيه المُحْدَثين قول بشّار

وكأنّ تحت لسانها * هاروتَ ينفث فيه سحرا
وتخالُ ما جمعت عليـ * ـه ثيابها ذهبًا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنّ في سرجه بدرًا وضرغاما * ومن حَسَن التشبيه من قول المحدثين قول عباس بن الاحنف

أُحرَمُ منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صرتُ كأني ذُبالةٌ نُصبت * تضيء للناس وهي تحترق

لا يجد المبطلون متعلقا ولا الى اختداع الضعفاء سبيلا مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات وضروب العلامات وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله وعلى خاصة علمائه الطب وكانت عوامهم تعظم على خواصهم فأرسله الله عز وجل باحياء الموتى اذ كانت غايتهم علاج المرضى وابراء الاكمه اذ كانت غايتهم علاج الرمد مع ما أعطاه الله تعالى عز وجل من سائر العلامات وضروب الآيات لان الخاصة اذا نجمت بالطاعة وقهرتها الحجة

فهذا حسن في هذا جدا ومن حسن ما قالوا في التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبي العتاهية للرشيد

أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تساس
كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جبلة فقال في مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد في الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسي
فالناس جسم وإمام الهدى * رأس وأنت العين في الراس

والعرب تختصر في التشبيه وربما أومأت به إيماء قال أحد الرجاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * ما زلت أسعى بينهم وألتبط
حتى إذا كان الظلام يختلط * جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول في لون الذئب واللبن إذا جهد وخلط بالماء ضرب إلى الغبرة وأنشد الأصمعي

وتشرب به محضا وتسقي عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقرب بالجنبان والواحد قرب ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور في رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يا رسول الله أرى أن توجع قربيه فقال القوم يا رسول الله إنك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يا محمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والأورق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الإبل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل في صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترحله مرا ومرا ترجعه
في مثل صدر السبت خلق تقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه
أسود كالسبجة فيه مبضعه * لا تصنع الرقشاء ما لا يصنعه

وفي هذه الارجوزة أيضا

وعرفت موضع العجز والقوة وفصل ما بين الآية والحيلة كان أنجع للعامة وأجدر أن لا يبقى في أنفسهم بقية وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم

باتَ بها حين حُبيش بقبعة • وبات جذلان وثيرا مضجعه

داسنة آمن ما يروعه • حتى دنت منه لحتف ترمعه

فاظت تجمهما وتجمعه • يا بؤس للمودعه ما تودعه

فشرعت أم الحمام اصبعه * أنحت عليه كالشهاب تلذعه

عطل سربال حرير تخلعه • فكل خلق ظاهر تفجعه

يزداد من بغت الحمام جزعه • واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجم قال أبو الحسن شك أبو العباس فى أنه لاحدهما أعنى هذا البيت) ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة • وأفظع شئ حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه وملحه قول رجل يحور رجلا برثاثة الحال

يا أيها الذى فى جبة مخرقة * أطول أعمار مثلها يوم

وطيلسان كالآل يلبسه • على قميص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيأ لئلا يخلو هذا الكتاب من شئ من المعانى ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ فى غير هذا الباب ان شاء الله قال طفيل تقريبه المرطى والجون معتدل • كأنه سبد بالماء مغسول

السبد طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التى توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العرق فى هذا الوقت وخير الخيل ما لم يسرع عرقه ولم يبطئ فاذا جاء فى وقته شمله قال الراجز

كأنه والطرف منه سام • مشتمل جاء من الحمام

وقال الأعشى يعادى النحوص ومسحلها • وعفوهما قبل أن يستحم

النحوص جاءها المحص وهى التى لم تحمل فى عامها والمسحل العير والعفو الولد وجمعه عفاء فاعلم وهو أسعى له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفى حديث أم زرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا تمدح به العرب وتستحسنه فأما قول متمم بن نويرة

• فتى غير مبطان العشيات أورعا • فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره • وعان ثناه الوفد حتى تكنعا

ويتنقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لاقويائهم وخواصهم وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبيا قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات ولكل شئ باب ومأتى واختصار وتقريب فمن أحكم الحكمة ارسال كل نبى بما يفحم أعجب الأمور عندهم ويبطل أقوى الأشياء فى ظنهم

(فصل منه فى ذكر أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام)

وآية أخرى لا يعرفها الا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة فى ذلك

وقالوا فى قول الخنساء يذكرنى طلوع الشمس صخرا • واذكره لكل غروب شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقت الغارة وبغروب الشمس وقت الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ماأفتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان فهذه كلها نعوت قد عرفت لقوم حتى كأنها سمات لهم ينبغى للفارس أن يكون مهفهف الخصر بن متوقد العينين خمش الذراعين وأنشد الاصمعى • كأنما ساعداه ساعدا ذيب • قالوا ومن نعت السيد أن يكون لحيما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تومل ملأ العين لان حقه أن يكون فى صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد ملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السودد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صدرته • وتنحيت له فى الحاشيه

واذا سايرته قدمته • وتأخرت مع المستأنيه

واذا ياسرته صادفته • سلس الخلق سليم الناحيه

واذا عاسرته صادفته • شرس الرأى أبيا داهيه

فاحمد الله على صحبته • واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجله جرير فى قوله

بشر أبو مروان ان عاسرته • عسر وعند يساره ميسور

﴿ باب ﴾

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار ان شاء الله

• كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات فى معاتبته المهلب بن أبى صفرة

أبلغا جارى المهلب عنى • كل جار مفارق لا محاله

مثل الخاصة وهى الاخلاق والافعال التى لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك انا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته وكرم عشيرته ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته اذا صمت ولا كقوله اذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كقلة تلونه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه ولم نجد شجاعا قط الا وقد جال جولة وفر فرة وانحاز مرة من معدودى شجعان

انّ جاراتك اللواتى بتكرو * ت لتنبذ رحلهنّ مقاله

لو تعلّقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن حباله

غلبت أمّه أباه عليه * فهو كالكابلى أشبه خاله

ولقد غالنى يزيد وكانت * فى يزيد خيانة ومغاله

عتكىّ كأنه ضوء بدر * يحمد الناس قوله وفعاله

وقال أسماء بن خارجة الفزارىّ لا أشاتم رجلا ولا أردّ سائلا فانما هو كريم أسدّ خلّته أو لئيم أشترى عرضى منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودّعه فقال له شعبة أما انك ان لم ترا الحلم ذلّا والسفه أنفا سلم لك حجّك وقال أويس القرنىّ ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دعبل ابن علىّ الخزاعىّ يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه * وخبز أبى عمران فى أحرز الحرز

يحنّ الى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحنّ الى الخبز

وقال آخر قوم اذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكفّ يد عن حرمة الجار

أظن تمامه) حتى اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمّهم بولى على النار

قامت بأجرها تندى مشافره * كأنه رئة فى كفّ جزّار)

وقال رجل من طيئ وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مصقول الغرار يمان

فان تقتلوا زيدا بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

الاسلام مشهورى فرسان الجاهلية كفلان وفلان وبعد فقد نصر النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر معه قوم ولم نر كنجدتهم نجدة ولا كصبرهم صبرا وقد كانت لهم الجولة والفرة كما قد بلغك عن يوم أحد وعن يوم حنين وغير ذلك من الوقائع والايام فلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهرى ان يحدث أن محمدا صلى الله عليه وسلم جال جولة قط ولا فر فرة قط ولا حام عن غزوة ولا هاب حرب من كاثره ثبتك الله بالحجة وحصن دينك من كل شبهة

قال كلم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز فخدش وهشم فقال شمعل

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت * عداتى فلا عيب على ولا سخر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع في ذم قط وقال آخر

ألا ترين وقد قطعتنى عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فانى لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذى قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفى يده عصا فقال الضيف يا راعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال الحطيئة للضيفان أعددتها

وقال دعبل

وابن عمران يبتغى عربيا * ليس يرضى البنات للأكفاء

ان بدت حاجة له ذكر الضيف * وينساه عند وقت الغداء

وقال أيضا

أضياف سالم فى خفض وفى دعة * وفى شراب ولحم غير ممنوع

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل

ما رحل الضيف عنى بعد تكرمة * الا برفد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان

صوت مضغ الضيوف أحسن عندى * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشى من بنى أمية

اذا ما ورثنا لم نتم عن تراثنا * ولم نك أوغالا نقيم البواكيا

ولكننا نمضى الجياد شوازبا * فنرمى بهم نحو الترات المراميا

ولو قال مسلما وجعلك من الشاكرين فقد أعجبنى حفظك الله استهدا ولك العلم وفهمك له وشغفك بالانصاف وميلك الى الحق وتعظيمك الحق وموالاتك فيه ورغبتك عن التقليد ودرايتك عليه ومؤاثرة كتبك على بعد دارك وتقطع أسبابك وصبرك الى أوان الامكان واتساعك عند تضايق العذر وفهمت حفظك الله كتابك الأول وما حثثت عليه من تبادل العلم والتعاون على البحث والتعاب فى الدين والنصيحة لجميع المسلمين وقلت اكتب الى كتابا تقصد فيه لى حاجات النفوس

وقال جرير

ان الذى حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كابينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا
ان الفرزدق اذ تحنف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقى الصليب من العذاب مهينا
هل تشهدون من المشاعر مشعرا * أو تسمعون من الاذان أذينا

قال أبو العباس حدثنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الى قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذاك به ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطياله ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره * مرمى القصية ما يذقن بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أشعر من ذاك هلما فاختصما وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا * كدار بين تلعة والنظيم
عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدا الجثوم

وقال آخر

لقد تبلت فؤادك اذ تولت * ولم تخش العقوبة فى التولى
عرفت الدار يوم وقفت فيها * بريح المسك تنفح فى المحل

(باب من أخبار الخوارج)

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصفرية ان الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى من الأزد تكرَّه ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى قوله استبيتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأتى عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيّت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيتون ما لا يرضى من القول أى أداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

والى صلاح القلوب والى معتلجات الشكوك وخواطر الشبهات دون الذى عليه أكثر المتكلمين من التطويل ومن التعمق والتعقيد ومن تكلف ما لا يجب واضاعة ما يجب وقلت كن كالمعلم الرفيق والمعالج الشفيق الذى يعرف الداء وسببه والدواء وموقعه ويصبر على طول العلاج ولا يسأم كثرة الترداد وقلت اجعل تجارتك التى اباها تؤمل وصناعتك التى اياها تعتمد اصلاح الفاسد ورد الشارد وقلت ولابد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع ومن حسم كل خاطر وقع

أتوني فلم أرضَ ما بيّتوا * وكانوا أتوني بأمرٍ نُكُر

لأنكِحَ أيِّمهم منذرا * وهل يُنكِحُ العبدَ حُرٌّ لحُر

والرأي الدبري الذي يعرض من بعد وقوع الشيء كما قال جرير

ولا يعرفون الشرَّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمرَ الا تدبُّرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة وانما لجؤوا اليه وخلعوا معدانَ الايادي لقول معدان

سلامٌ على مَن بايعَ اللهَ شاريا * وليس على الحزبِ المقيمِ سلامُ

فتبرّأت منه الصفرية وقالوا خالفت لانك برئت من القَعَد قال أبو العباس والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة وحُدِّثتُ ان واصلَ بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رفقة فأحسّوا الخوارج فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني واياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنَك فخرج اليهم فقالوا ما أنت وأصحابُك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلّمونا فجعلوا يعلّمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلتُ أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحبين فانكم اخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وان أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرهُ حتى يسمعَ كلامَ الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن وذكر أهلُ العلم من غير وجه ان عليا رضي الله تعالى عنه لما وجّه اليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حَكَّم في دين الله خرج من الايمان فليتُب بعد اقراره بالكفر نعُد له فقال ابن عباس لا ينبغي لمؤمن لم يشُب ايمانه شكٌّ أن يقر على نفسه بالكفر قالوا انه قد حكّم قال ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل يحكُم به ذوا عدلٍ منكم فكيف في امامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا انه قد حُكِم عليه فلم يرضَ فقال ان الحكومة كالامامة ومتى فسَق الامام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نُبِذَت أقاويلُهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجةً عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خَصِمون وقال عز وجل وتُنذر به قوما لُدّا والشيء يذكر بالشيء وجاء في الحديث ان رجلا اعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

كل ناجم وصرف كل هاجس ودفع كل شاغل حتى تتمكن من الجنة وتهنأ بالنعمة وتجد رائحة الكفاية وتثلج ببرد اليقين وتفضي الى حقيقة الأمر وان كان لابد من عوارض العجز ولواحق التقصير فالبر لها أجل والضرر علينا في ذلك أيسر وقلت ابدأ بالأخوف فالأخوف وبكل ما كان آنق في السمع وأحلى في الصدور وبالباب الذي منه يؤتى المريض المتكلف والجسور المتعجرف وبكلما كان أكثر علما وأنفذ كيدا وسألتني بتفتيح الاستداد والعجلة

عنه فقال انى أصبت ظبيا وأنا مُحْرِمٌ فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يُهْدِى شاةً فقال عمر أَهْدِ شاةً فقال الاعرابى والله مادرى أمير المؤمنين مافيها حتى استفتى غيرهُ فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدِّرَّة وقال أتقتل فى الحَرَم وتغمص الفُتْيا ان الله عز وجل قال يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أَوَلا يكون قولُ الامام حُكْمًا قاطعا ومنها انه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فجزاء مثلُ ما قتل من النعم وانه لم يسأله أخطأ قتلته أم عمدا وجعل الأمرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلتَ صيدا قبله وأنت مُحْرِمٌ لان قوما يقولون اذا أصاب ثانية لم يُحْكَم عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى ومن عاد فينتقم الله منه قال أبو العباس من طريف أخبار الخوارج قول قَطَرِىّ ابن الفُجاءة المازنى لابى خالد القَنانىّ وكان من قَعَد الخوارج

أبا خالد يا انفِرْ فلَسْتَ بخالد * وما جعل الرحمنُ عُذْرًا لقاعد
أتزعُم ان الخارجىَّ على الهدى * وأنتَ مقيم بين لِصٍّ وجاحد

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياةَ الىَّ حُبًّا * بناتى انهنّ من الضعاف
احاذر أن يرين الفقرَ بعدى * وأن يشربن رَنْقًا بعد صاف
وان يعرين ان كُسىَ الجوارى * فتنبو العينُ عن كَرَمٍ عِجاف
ولولا ذاك قد سَوَّمْتُ مُهْرِى * وفى الرحمن للضعفاء كاف
(أبانا مَنْ لنا ان غبتَ عنا * وصار الحىُّ بعدكَ فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عمران بن حِطّانَ أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعب ابن على بن بكر بن وائل وقد كان رأس القَعَد من الصُفْرِيَّة وخطيبهم وشاعرهم قال لما قُتِلَ أبو بلال وهو مِرْداس ابن أُدَيَّة وهى جدته وأبوه حُدَيْر وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياةَ الىَّ بُغْضًا * وحُبًّا للخروج أبو بلال
أحاذرُ أن أموتَ على فراشى * وأرجو الموتَ تحت ذُرا العوالى
ولوانى عَلِمْتُ بأن حتفى * كحتف أبى بلال لم أُبال

الى الاعتقاد وصفة الاناة ومقدارها ومقدمات العلوم ومنتهاها وزعمت أن من اللفظ ما لا يفهم معناه دون الاشارة ودون معرفة السبب والهيئة دون اعارته وركته وتحديده واحتيازه وقلت فان أنت لم تصور ذلك كله صورة تغنى عن المشافهة وتكتفى بظاهرها عن المرسلة أحوجتنا الى لقائك على بعد دارك وكثرة أشغالك وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسى وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن والرد على كل طعان

فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قال

وفيه يقول أيضا

يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلنى كمرداس

تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس

أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس وزد بعد أنفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن خطاب فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى عك وعامر عوبثان

وفى لخم وفى أدد بن عمرو * وفى بكر وحى بنى الغدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامرا لعبد الملك ابن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحا فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لأحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران ابن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

يا ضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

انى لاذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

يا ضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا

انى لاذكره يوما فألعنه * ايها وألعن عمران بن حطانا

فلم أدع فيه مسألة لرافضى ولا لحديثى ولا لحشوى ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة فلما ظننت انى قد بلغت أقصى محبتك وأتيت على معنى صفتك أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن وانما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ولم آل أن أحدث لك فيها تأليفه فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلهما وأغمضهما معنى وأطولهما

قال محمد بن أحمد الطبيب يَرُدُّ على عمران بن حطان

ياضربةً من غدورٍ صار ضاربها * أشقى البريّة عنـد الله انسانا
اذا تفكّرتُ فيـه ظلْتُ ألعنهُ * وألعنُ الكلب عمران بن حطانا)

فلم يدرِ عبدُ الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران ابن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضيفك عمران بن حطان اذهبْ فجئني به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منك فامضِ فاني بالأثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبدُ الملك أما انك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلّف رقعة فيها

يا روحُ كم من أخي مثوًى نزلتُ به * قد ظنّ ظنّك من لخم وغسّان
حتى اذا خفتُه فارقتُ منزلَه * من بعد ما قيل عمرانُ بن حطان
قد كنتُ جارك حولًا ماتروّعني * فيه روائع من انسٍ ومن جان
حتى أردتَ بيَ العظمى فأدركني * ما أدرك الناس من خوف ابن مروان
فاعذرْ أخاك ابنَ زنباعٍ فانّ له * في النائبات خطوبًا ذاتَ ألوان
يومًا يمانٍ اذا لاقيتُ ذا يمنٍ * وان لقيتُ معديًّا فعدناني
لو كنتُ مستغفرًا يومًا لطاغيةٍ * كنتَ المقدَّمَ في سرّي واعلاني
لكن أبت لي آياتٌ مطهَّرةٌ * عند الولاية في طه وعمران

ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحرث الكلابيّ أحد بني عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يُطيل الصلاة وكان غلمان من بني عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوما ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زفر فقال من هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديًّا مرةً وأوزاعيًّا مرةً ان كنت خائفا آمنّاك وان كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى هرب وخلّف في منزله رقعة فيها

ان التي أصبحت يَعْيَى بها زُفَرٌ * أعيتْ عياءً على روحِ بن زنباعِ

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعيا عياها على روحِ بن زنباعِ * وأنكروه كما أنكرناه

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر وأبي كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجاز دون الحقيقة وان متكلمي الحشوية والنابتة قد صار لهم بمناظرة أصحابنا وبقراءة كتبنا بعض الفطنة لما كتبت لك رغبة بك عن أقدارهم وضنا بالحكمة عن اعشارهم وانما يكتب على الخصوم والاكفاء وللاولياء على الأعداء ولمن يرى للنظر حقا وللعلم قدرا وله في الانصاف مذهب والى المعرفة سبب

لانه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مدّ المقصور

مازال يسألنى حولا لأخبره * والناس من بين مخدوع وخدّاع
حتى اذا انقطعت عنى وسائله * كف السؤال ولم يولع باهلاع
فاكفف كما كف عنى اننى رجل * اما صميم واما فقعة القاع
واكفف لسانك عن لومى ومسئلتى * ماذا تريد الى شيخ لاوزاع
اما الصلاة فانى غير تاركها * كل امرئ للذى يعنى به ساع
أكرم بروح بن زنباع وأسرته * قوم دعا أوليهم للعلى داع
جاورتهم سنة فيما أسر به * عرضى صحيح ونومى غير تهجاع
فاعمل فانك منعيّ بواحدة * حسب اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبى بلال ويظهرونه فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عمان فارتحل عمران هاربا حتى أتى قوما من الازد فلم يزل فيهم حتى مات وفى نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله فى خير منزل * نسرّ بما فيه من الانس والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الازد ان الازد أكرم معشر * يمانية طابوا اذا نسب البشر
فأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر * أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر
أم الحى قحطان فتلكم سفاهة * كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسرّ بنسبة * تقربنى منه وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخى مثوى نزلت به قد مر تفسيره يقال هذا أبو مثواى وللانثى هذه أم مثواى ومنزل الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثويا كقولك مضى يمضى مضيا ويقال ثواء ومضاء كما قال

طال الثواء على رسم بيمؤود * أودى وكل جديد مرة مودى

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعا أى أفزعنى قال الله

وزعمت أنك لم تر فى كتب أصحابنا الا كتابا لا تفهمه أو كتابا وجدت الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت وقلت واياك أن تتكل على مقدار ما عندهم دون أن تقتصر قوى باطلهم وتوفيهم جميع حقوقهم واذا تقلدت الأخبار عن خصمك خطه كما تلك لنفسك فان ذلك أبلغ فى التعليم وآيس للخصوم وقلت وزعموا انه يلزمك أن تزعم ان القرآن ليس بمخلوق الا على المجاز كما ألزم ذلك لنفسه معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من ذهب مذهبهم وقاس قياسهم

تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك فى الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالابصار للافراط فى ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة سا كنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين فى الفعل صحت فى اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيداء بأخذ فى الرأس والعينين والشؤن وانما صحت فى عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا فى الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أتنقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفى الولائم أولادا لواحدة * وفى المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى أى يختلفون ويتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تتنقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أزديا مرة وأوزاعيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله * لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولى وفى القرآن العظيم ما لكم من ولايتهم من شئ والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولاية واصله من الاصلاح يقال آله يؤله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

فتفهم فهمك الله تعالى ما أنا واصفه لك ومورده عليك اعلم ان القوم يلزمهم ما ألزموه أنفسهم وليس ذلك الا لعجزهم عن التخلص بحقهم والا لذهابهم عن قواعد قولهم وفروع أصولهم فليس لك ان تضيف العجز الذى كان منهم الى أصل مقالتهم وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم فرب قول شريف الحسب جيد المركب وافر العرض برىء من العيوب سليم من الآفن قد ضيعه أهله وهجنه المفترون عليه وألزموه ما لا يلزمه وأضافوا اليه ما لا يجوز عليه ولو زعم القوم على

قد أُلنا وإيلَ علينا أى ولى ذلك قد وَلِينا ووُلِيَ علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد وَلِينا فعلمنا ما يُصلِحُ الوالِيَ ووُلِيَ علينا فعلمنا ما يصلح الرعيّة وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسّلت الى فلان قال رؤبة بن العجّاج

والناسُ ان فصّلتهم فصائلا * كلٌّ الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يواخ باهلاعى أى بافزاعى وتروبى والهلاع من الجُبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع ويقال رجل هَلوعٌ اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خُلِقَ هلوعًا اذا مسه الشر جزوعًا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلبٌ سقيمٌ ليس يَصحو * ونفسٌ ما تُفيقُ من الهلاع

وقوله • اما صميم واما فقعة القاع * الصميمُ الخالص من كل شئ يقال فلان من صميم قومه أى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتبزلُ من أُميّةَ حيث تلقى * شؤونُ الرأسِ مُجتمعَ الصميمِ

وقوله واما فقعة القاع يقال لمن لا أصل له هو فَقْعةٌ بقاعٍ وذلك لان الفقعة لا عروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمامٌ فقيعٌ لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قومٌ اذا نُسبوا يكون أبوهُمُ * عند المناسبِ فقعةً فى قرقرِ

وقال بعض القرشيين اذا ما كنتَ متخذًا خليلا • فلا تجعل خليلك من تميم

بلوتُ صميمهم والعبدَ منهم * فما أدنى العبيدَ من الصميمِ

وقوله نُسَرُّ بما فيه من الأُنس والخَفَر فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خَفِرةٌ اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفى

تضوّعَ مسكًا بطنُ نعمانَ أن مشت * به زينبٌ فى نسوةٍ خفراتِ

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى أُسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسورٌ وقد مضى تفسيره وينشد * يمانية قُرْبوا اذا نُسبَ البشر • يريد قَرُبوا وهذا جائز فى كل شئ مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فَخِذٍ فَخْذ وفى عَضُد عَضْد وتقول فى الافعال كَرْمَ عبدُ الله أى كَرُمَ وقد عَلْمَ الله أى عَلِمَ الله قال

أصل مقالتهم أن القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع والنظم والتأليف وأنه ليس بصوت ولا تقطيع ولا تأليف اذ كان الصوت عندهم لا يخترع كاختراع الأجسام المصورة ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الأجرام المتجسدة والصوت عرض لا يحدث من جوهر الا بدخول جوهر آخر عليه ومحال ان يحدث الا وهناك جسمان قد صك أحدهما صاحبه ولا بد من مكانين مكان زال عنه ومكان زال اليه ولا بد من هواء بين المصطكين والجسم قد يحدث وحده ولا شئ غيره

الاخطل

الاخطل   فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر   عجبت لمولود وليس له أب * وذي ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز في ضرب ولا في جمل أن يسكن لخفة الفتحة وقوله أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التي جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبي ربيعة   لعمرك ما أدري وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمي

لعمرك ما أدري وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحي قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحي قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحي قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك ويروى وحدثنيه المازني أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت هاهو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فرجع اليها مغلولا فقالت صفية   كيف رأيت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم قرشيا صقرا أي أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أي وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله   فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فباعد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح

وقال نهار بن توسعة اليشكري   دعي القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذي الحسب الصميم

أبي الاسلام لا أب لي سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

والصوت على خلاف ذلك والعرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم بغيره والاعراض من أعمال الأجسام لا تكون الا منها ولا توجد الا بها وفيها والجسم لا يكون الا من جسم ولا يكون الا من مخترع الأجسام وليست ليكون الجسم له علة توجبه ولا يحدث اذا حدث الا اختيارا والا ابتداعا واختراعا والصوت لا يكون الا عن علة موجبة ولا يكون الا تولدا ونتيجة ولا يحدث الا من جرمين كاصطكاك الحجرين وكقرع اللسان باطن الاسنان والا من هواء بتضاغط وريح تختنق

و يقال فيما روى من الأخبار أن أول من حكم عروة بن أدية وأدية جدة له جاهلية وهو عروة
ابن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكم رجل يقال له سعيد من بنى محارب بن
خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا فى اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبى وأنه
امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأى فأما أول سيف
سل من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك انه أقبل على الأشعث فقال ماهذه الدنية
يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والأشعث
مول فضرب به عجز البغلة فشبت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جل أصحاب على صلوات الله عليه
فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكى بن أعبد وشبث بن ربعى
الرياحى الى الأشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا
مدة من خلافة معاوية ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال
ما تقول فى أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبى تراب على بن أبى طالب فتولى عثمان ست سنين من
خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على مثل ذلك الى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله
عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص
لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال
بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم
الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون
أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم
المصاحف لم يأتونى ثم سألونى التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك منى قالوا اللهم نعم
قال فهل علمتم انكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما
بحكم الله عز وجل فان خالفاه فانا وأنتم من ذلك برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدونى قالوا
اللهم نعم وفيهم فى ذلك الوقت ابن الكواء وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خباب فانما ذبحوه
بكسكر فى الفرقة الثالثة فقالوا حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بانا قد كفرنا ونحن تائبون
فأقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر

ونار تلتهب والريح عندهم
هواء تحرك والنار عندهم
ريح حارة هكذا الأمر
عندهم فلو قالوا لا يكون
الشئ مخلوقا فى الحقيقة
دون المجاز وعلى مجازى
اللغة الا وقد دان الله
عز وجل باختراعه
وتولاه بابتداعه وكان منه
على الاختيار والابتداع
الذى يمكن تركه وانشاء
عقيبه بدلا منه على
ما كان يولده ونتيجته من
أجسام يستحيل أن يخلق
من أفعالها ويحلها الله
منها والقرآن على غير ذلك
جسم وصوت وذو تأليف
وذو نظم وتقطيع وخلق
قائم بنفسه مستغن عن
غيره ومسموع فى الهوى

بالتحكيم

بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وفى صيد أصيب فى الحرم كأرنب يساوى ربع دينار فقال عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم فقالوا ان عمرا أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت على بن أبى طالب فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكنى أقدمك لفضلك ثم قال اكتب محمد بن عبد الله فقال لى يا على امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام فقفنى عليه فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الى فقال يا على أما انك ستسام مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء والنسب الى مثل حروراء حرورى وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نسب الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرورى وقال الصلتان العبدى فى كلمة له

أرى أمة شهرت سيفها * وقد زيد فى سوطها الأصبحى

بنجدية وحرورية * وأزرق يدعو الى أزرقى

فملتنا أننا المسلمون * على دين صديقنا والنبى

وفى هذا الشعر محاسن قوله

أشاب الصغير وأفنى الكبير * مرور الليالى وكر العشى

اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى

تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الأصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الأصبحية وتنسب الى ذى أصبح الحميرى وكان ملكا من ملوك حمير وهو أول من اتخذها وهو جد مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفى وكان رأسا ذا مقالة

ومرئى فى الورق ومفصل وموصل ذو اجتماع وافتراق ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء وكلما احتملته الأجسام ووصفت به الاجرام كل ما كان كذلك فمخلوق فى الحقيقة دون المجاز وتوسع أهل اللغة فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا فى القياس ووافقوا أهل الحق وكانوا مع الجماعة ولم يضاهوا أهل الخلاف والفرقة ولم يفهموا أنفسهم بقول المشبهة اذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل وبه أشبه ولا يجوز أن أذكر موضع موافقتى لهم ومخالفتى عليهم فى صدر

منفردة من مقالات الخوارج وقد بقي من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله ابن الزبير في جمعه في كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعي يخاطب عبد الملك

اني حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتي تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغي الهدى فيزيدني تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتي * اني أعده له علي فضولا

وفي هذه القصيدة

أخذوا العريف فقطعوا حيزومه * بالأصبحية قائما مغلولا

قوله وأزرقي يدعو الى أزرقي يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكان نافع شجاعا مقدما في فقه الخوارج وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبي فالعرب تفعل هذا وهو في الواو جائز أن تبدأ بالشيء وغيره المقدم قال الله عز اسمه هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدي واركعي مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

يعني بني هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع بن الازرق هم ذوو الحد والجد وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلد المهلب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفي ذلك يقول شاعر منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثي البلد ويذكر المنقبة التي كانت لهم (قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبي لنفسه)

سقى الله مصرا أخف أهلوه من مصر * وما الذي يبقى على عقب الدهر
ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمت كريما أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة * تهيب بها أن ماردت لوعة الصدر

هذا الكتاب لان التدبير في وضع الكتاب والسياسة في تعليم الجهال أن يبدأ بالأوضح فالأوضح والأقرب فالأقرب وبالأصول قبل الفروع حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس وآخر الكلام لا يفهم أرشدك الله تعالى ولا يتوهم الا على ترتيب الأمور وتقديم الأصول فاذا رتبنا الأمور وقدمنا الأصول صارت أواخر المعاني في الفهم كأوائلها ورقيقها كجليلها وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الاسلام أعظم فرية وأشد بلية

ونحن

ونحن رددنا أهلها اذ ترحلوا * وقد نظمت خيل الأزارق بالجسر
ومن يخش أطراف المنايا فاننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر
فان كريه الموت عذب مذاقه * اذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الانسان مثل منية * أراحت من الدنيا ولم تخز فى القبر

وفى هذا الشعر

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم * فسلت على الاسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

الا طرقت من أهل بيبة طارقة * على أنها معشوقة الدل عاشقة
تبيت وأرض السوس بينى وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقة
اذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقة

وكان مقدار من أصاب على صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثمانى مائة فى أصح الأقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال على رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك فى دمه ثم حمل منهم رجل على صف على وقد قال على لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب على ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج اليه على صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة فقال عبد الله ابن وهب ما أدرى أالى الجنة أم الى النار فقال رجل من سعد انما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف الى ناحية أبى أيوب الانصارى وكان رحمه الله على ميمنة على وجعل الناس يتسللون وقد قال على وقيل له انهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له فى ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت

وأشنع كفرا وأكبر اثما من كثير مما أجمعوا على أنه كفر وبعد فنحن لم نكفر الا من أوسعناه حجة ولم نمتحن الا أهل التهمة وليس كشف المتهم من التجسس ولا امتحان الظنين من هتك الاستار ولو كان كل كشف هتكا وكل امتحان تجسسا لكان القاضى أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفا لعورة والذين خالفوا فى العرش انما أرادوا نفى التشبيه فغلطوا والذين أنكروا أمر الميزان انما كرهوا أن تكون الأعمال اجساما واجراما غلاظا فان كانوا قد أصابوا فلا سبيل

ولا كُذِبْتُ ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال لهم انه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ۞ قال أبو العباس وقيل أول من حكّم ولفظ بالحكومة ولم يشد بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مرّ من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأول من حكّم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكّم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان

ماكان أغنى اليشكرىّ عن التى * تصلّى بها جمرا من النار حاميا
غداة ينادى والرماح تنوشه * خلعت عليّا باديا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال علىّ أهل حروراء منهم وروى عن علىّ صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمرّ بجماعة تتحدث فسلّم وسلّموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لمّا ساموه أن يقرّ بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين أرجع كافرا يا شاهدا الله علىّ فاشهد * أنى على دين النبى أحمد * من شكّ فى الله فانى مهتدى *

ويروى * أنى توليت ولىّ أحمد * ويروى أن رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رُؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يا رسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولاصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن

عليهم وان كانوا قد أخطؤا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه الخالق بالمخلوق فبين المذهبين أبين الفرق وقد قال صاحبكم الخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخاصمين اعذارا وانذارا امتحنتنى وأنت تعرف ما فى المحنة وما فيها من الفتنة ثم امتحنتنى من بين جميع هذه الأمة قال المعتصم أخطأت بل كذبت وجدت الخليفة قبلى قد حبسك وقيدك ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ولو لم يخف عليك

بعدل اذا لم أعدل ثم قال لابى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يارسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله قال أبو العباس وحدثنى ابراهيم ابن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهيبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا الاقرع بن حابس المجاشعى وربعا لزيد الخيل الطائى وربعا لعيينة بن حصن الفزارى وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردت خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيأ وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى فى الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أى من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفى مركب صدق وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم ابن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عامله على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم * على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم * فى ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندى

وقد أختلس الضربة لا يدمى لها نصلى

فاما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعى أن الشعر لاسحق ابن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وبن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

الاسلام ما عرض لك فسؤالى اياك عن نفسك ليس من المحنة ولا من طريق الاعتساف ولا من طريق كشف العورة اذ كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل وقيل للمعتصم فى ذلك المجلس ألا تبعث الى أصحابه حتى يشهدوا اقراره ويعاينوا انقطاعه فينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقر به عندهم فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال لا أريد أن أوتى بقوم أن اتهمتهم ميزت فيهم بسيرتى فيهم وان بان لى أمرهم أنفذت حكم الله فيهم وهم مالم أرتبهم

ولكني أُحبّ بكل قلبي * وأعلم أن ذاك من الصواب

رسولَ الله والصدّيقَ حبًّا * به أرجو غدًا حسنَ الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعني واصل بن عطاء وكان يكنى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يلزم الغزّالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن وكان طويل العنق ويروى عن عمرو بن عبيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشار بن برد يهجو واصل بن عطاء

ماذا منيتُ بغزّالٍ له عنقٌ * كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالي وبالكم * تكفرون رجالا أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يشك فيه ان بشارا كان يتعصب للنار على الأرض ويصوّب رأي ابليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويروى له

الأرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

فهذا ما يرويه المتكلمون وقتله المهدي على الالحاد وقد روى قوم أن كتبه فتشت فلم يصب فيها شيء مما كان يرمى به وأصيب له كتاب فيه اني أردت هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسكت منهم (الا أني قلت

دينار آل سليمان ودرهمهم * كالبابليين حفّا بالعفاريت

لا يرجيان ولا يرجى نوالهما * كما سمعت بهاروت وماروت)

وحدثني المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لديانتك يذهب الى أنه ثنوي فقال بشار ليسوا يدرون أن اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة وكان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة يمدحه باطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها في الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليمٌ بابدال الحروف وقامعٌ * لكل خطيب يغلب الحقَّ باطلُه

وقال آخر ويجعل البرّ قمحا في تصرّفه * وخالف الراء حتى احتال للشعر

كسائر الرعية وكغيرهم من عوام الأمة وما شيء أحب الي من الستر ولا شيء أولى بي من الاناة والرفق وما زال به رفيقا وعليه رقيقا ويقول لان أستعمل بحق أحب الي من أن أقتلك بحق حتى رآه يعاند الحجة ويكذب صراحا عند الجواب وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه أن أحمد بن أبي داود قال له أليس لا شيء الا قديم أو حديث قال نعم أوليس القرآن شيأ قال نعم قال أوليس لا قديم الا الله قال نعم قال فالقرآن اذا حديث قال ليس انا متكلم وكذلك كان يصنع في

ولم يطق مطراً والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقاً من المطر

ومما يحكى عنه قوله وذكر بشاراً أما لهذا الأعمى المكتنى بأبي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسياً أو عقيلياً فقال هذا الأعمى ولم يقل بشاراً ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بني عقيل لانه بشاراً كان يتوالى اليهم وذكر بني سدوس لانه كان نازلاً فيهم واجتناب الحروف شديد قال ولما سقطت ثناياً عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بما قال وخطب الجمحي وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت النكاح فرد عليه زيد بن علي بن الحسين كلاماً جيداً الا أنه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذلك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة وأما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بني العدوية من بني مالك ابن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا علياً * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب * ثم رجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل علي أهل النهروان كان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن الى أبي أيوب الانصاري فتجمعوا وأمروا عليهم رجلاً من طيئ فوجه اليهم علي صلوات الله عليه رجلاً وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعاً فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلي بالناس رجل من بني شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج في أمرها فقالوا ان علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو

جميع مسائله حتى كان يجيبه في كل ما سأل عنه حتى اذا بلغ المخنق والموضع الذي ان قال فيه كلمة واحدة برئ منه أصحابه قال ليس انا متكلم فلا هو وقال في أول الأمر لا علم لي بالكلام ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة خضع للحق فقتله الخليفة وقال عند ذلك أف لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة وأما الموضع الذي فيه واجه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاكتراث وشدة التصميم فهو حين قال له أحمد بن أبي داود أتزعم ان الله تعالى رب القرآن قال

دينهما وانه لأصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن مُلجَم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البُرَك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر ابن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان فخرج كل واحد منهم الى ناحية فأتى ابن مُلجَم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والأحاديث تختلف وانما يؤثر صحيحها ويُروى في بعض الأحاديث أنها قالت لا أقنع منك الا بصداق أسميه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأمة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لي به قالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أصبت سرت الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثة آلاف وعبد وقينة ❊ وضرب علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وان غلا ❊ ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن أباهم نهاهم فلما اعصوه قال استعدوا الموت وأن أمهم حضتهم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تمضي لما قصدت لشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبي وقتا بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن ويروى أن الأشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا سيفا في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تقلدك السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتكه فقال علي ما قتلني بعد ويروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخاطب مرة ويذكر أصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لأريحنهم منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أتي به ملببا فأشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه ويروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة وانما سمي بذلك لانه ضرب على كشحه

لو سمعت أحدا يقول ذلك لقلت قال أنا سمعت ذلك قط من خالف ولا سائل ولا من قاص ولا في شعر ولا في حديث قال فعرف الخليفة كذبه عند المسألة كما عرف عناده عند الحجة وأحمد بن أبي داود حفظك الله تعالى أعلم بهذا الكلام وبغيره من أجناس العلم من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته على الكذب كما كشف لهم جرأته في المعاندة وعند ذلك ضربه الخليفة وأية حجة لكم في امتحاننا ايا كم وفي اكفارنا لكم وزعم

أُرِيدُ حِبَاءَه ويُرِيدُ قَتْلِي * عَذِيرَكَ مِن خَلِيلِكَ مِن مُرَادِ

فينتفي من ذلك حتى أُكْثِرَ عليه فقال له المرادي إن قُضِي شيءٌ كان فقيل لعلي كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن مُلْجِم وشَبِيبٌ الأشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مُغَلِّسًا ويُوقِظُ الناسَ للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شَبِيبٌ فأخطأه وأصاب سيفُه الباب وضربه ابن ملجم على صلعته فقال علي فزتُ وربِّ الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعت كلمة علي ورأيت بريق السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتَلَقَّاه المغيرةُ بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أيدا فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد على صدره وكثر الناس فجعلوا يصيحون عليكم صاحبَ السيف فخاف الحضرمي أن يكبّوا عليه ولا يسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسلّ شبيبٌ بين الناس فدُخِلَ على علي رضوان الله عليه فأومر فيه فاختلف الناس في جوابه فقال علي ان أعش فالامر اليّ وان أُصبْ فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصوا فضربة بضربة وان تعفوا أقربُ للتقوى وقال قوم بل قال وان أصبتُ فاضربوه ضربة في مقتله فأقام علي يومين فسمع ابن ملجم الرَّنَّة من الدار فقال له من حضره أي عدو الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أعلى من تبكي أم كلثوم أعلَيَّ أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألف درهم ومازلتُ أعرضُه فما يعيبه أحد الا أصلحتُ ذلك العيب ولقد أسقيته السمَّ حتى لفظه ولقد ضربتُه ضربة لو قُسِمَتْ على من بالمشرق لأتت عليهم ومات علي صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضي الله عنه فقال ان لك عندي سرًّا فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يقرب من وجهي فيعضّ أذني فيقطعها فقال أما والله لو أمكنني منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأضربنّك ضربة تؤدّيك الى النار فقال لو علمتُ أن هذا في يديك ما اتخذتُ الها غيرك فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه اليّ أشف نفسي منه فاختلفوا في قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكحّله بهما فجعل يقول انك يا ابن أخي لتكحل عمك بملمولين مضاضين وقال قوم بل قطع يديه ورجليه

يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا ومحدثا فقال له أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية وينسخ آية بآية وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره وكل ذلك في الكتاب مسطور قال نعم قال فهل كان يجوز هذا في العلم وهل كان جائزا أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره قال لا وقال له رويناقي تثبيت ماتقول الآثار وتلونا عليك الآية من الكتاب وأريناك الشاهد من

وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك وتراك قد جزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا تأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال على رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون من من الوزن علما بان المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصليا فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستونى به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يتهظهم الناس وأما زاذويه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصى فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أوما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا والله أراد خارجة وقال أبو زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب صلوات الله عليه

ان الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار

طب بصير بأضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار

وقطرة قطرت اذ حان موعدها * وكل شىء له وقت ومقدار

المعقول التى بها الزم الناس الفرائض وبها يفصلون بين الحق والباطل فعارضنا أنت الآن بواحدة من الثلاث فلم يكن ذلك عنده ولا استجزى من الكذب فى هذا المجلس لان عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحد أن يكون الكذب يجوز عليه وقد كان صاحبكم هذا يقول لا تقية الا فى دار الشرك فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها فى دار الاسلام وقد أكذب نفسه وان كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم على

حتى تنصّلها فى مسجد طهر * على امام هدى ان معشر جاروا

حمّت ليدخل جنات أبو حسن * وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهى أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودى يسأل مسلما عن شئ من أمر الدين فقال له على اسألنى ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أى عالم قال على أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت

والوصى الذى أمال التجوبى به عرش أمة لانهدام

قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكما لا كغابر الحكام

الامام الزكى والفارس المعلم تحت العجاج غير الكهام

راعيا كان مسجحا ففقدنا * وفقد المسيم هلك السوام

قوله الوصى فهذا شئ كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرقيات

نحن منا النبى أحمد والصديق منا التقى والحكماء

وعلى وجعفر ذو الجناحين هناك الوصى والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المحبوس فى سجن عارم

وصى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك أعناق وقاضى مغارم

أراد ابن وصى النبى والعرب تقيم المضاف اليه فى هذا الباب مقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخص الخرب * يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس رضى الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهى لبوسكم * عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابنى عبد مناف وقال أبو الأسود

أحب محمدا حبا شديدا * وعباسا وحمزة والوصيا

أنه لم يرو سيفا مشهورا ولا ضرب ضربا كثيرا ولا ضرب الابثلاثين سوطا مقطوعة الثمار مشعبة الاطراف حتى أفصح بالاقرار مرارا ولا كان فى مجلس ضيق ولا كانت حاله حال مؤيسة ولا كان مثقلا بالحديد ولا خلع قلبه بشدة الوعيد ولقد كان ينازع بألين الكلام ويجيب باغلظ الجواب ويرزنون ويخف ويخف ويحلمون ويطيش وعبتم علينا اكفارنا اياكم واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث وقلتم تكفروننا على انكار شئ يحتمل التأويل ويثبت بالأحاديث فقد

أحبهم لحب الله حتى ✱ أجيء اذا بعثت على هويا
هوى أعطيته منذ استدارت ✱ رحى الاسلام لم يعدل سويا

(السوى والسواء الذى قد سوى الله خلقه لا زمانة به ولا داء وفى القرآن بشرا سويا وتقول ساويت ذاك بهذا الامر أى جعلته مثلا له)

يقول الارذلون بنو قشير ✱ طوال الدهر ما تنسى عليا
بنو عم النبى وأقربوه ✱ أحب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا أصبه ✱ وليس بمخطئ ان كان غيا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا اما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا غالبي حسبك من غالب ✱ ارحم على بن أبى طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا ✱ وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذى يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شئ من الماشية فجعل الراعى للناس كصاحب الماشية الذى يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهى فناء قريش ✱ بيد الله عمرها والفناء
ان تودع من البلاد قريش ✱ لا يكن بعدهم لحى بقاء
لو تقفى ويترك الناس كانوا ✱ غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميرى يعنى عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن ✱ لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع على صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا لله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة ورووا أن عليا رضى الله عنه لما أوصى الى الحسن فى وقف أمواله

ينبغى لكم أن لا تحتجوا فى شئ من القدر والتوحيد بشئ من القرآن والحديث وان لا تكفروا واحدا خالفكم فى شئ وأنتم أسرع الناس الى اكفارنا والى عداوتنا والنصب لنا

(فصل) وأصحابنا حفظك الله اذا قاسوا خطأهم ومروا على غلطهم فانما ينقضون به شيأ من العرض والجوهر وشيأ من قولهم فى المعلوم والمجهول فقط وهم قوم يكفيهم من التنبيه أقله ومن القول أيسره وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح فليس هذا الجنس من ذلك الجنس والحمد

وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لأن وقفه لهذين الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الاسلام صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لامير المؤمنين قرع من قرع الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان الاكف أنظف الانية ثم مسح ندى ذلك الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله أنها صدقة علي بدواة وصحيفة قال فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما قال محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الالفة من صلاح ذات البين واجتماع الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني الى أن يقدم

الله وأما أخبارهم عن عيينا اياهم حين لم يقولوا ان الله تبارك وتعالى رب القرآن وفينا من لا يقول ان الله تعالى رب الكفر والايمان فانا لم نسألهم عن ذلك من جهة ما يتوهمون وانما سألناهم عنه بجحدهم ما يرون بأبصارهم ويسمعون بآذانهم في الاشعار المعروفة وفي الخطب المشهورة وفي الابتهال عند الدعاء وعلى ألسنة العوام وعند العهود والايمان وعند تعظيم القرآن وما يسمعون من السؤال في الطرقات ومن القصاص في المساجد

وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله ابن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية أن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للاملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدراً يا حسين فقال أنت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله ابن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الأرحبي فركب علي اليهم الى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعد لك فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب علي الناس فقال من زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه

اليهم

لا يرون غائبا ولا يسمعون زائرا وليس انا جعلنا هذا مسألة على من أنكر خلق القرآن ولكنا أردنا أن نبين للضعفاء معاندتهم وفرارهم من البهت ومكابرتهم اذا سمعوا أنهم لم يسمعوا الناس يقولون ورب القرآن ورب يس ورب طه وأشباه ذلك ولعمري أن لو سمعوا الناس يقولون عند ايمانهم وابتهالهم الى ربهم على غير قصد الى خلاف ولا وفاق ورب الزنا والسرقة ورب الكفر والكذب كما سمعوهم وهم يقولون ورب القرآن ورب يس ورب طه ثم ألزمناهم خلق القرآن بمثل ما لهم علينا

اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحّبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك عزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ على على الحكمين أن لا يجورا وان يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم شبث بن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي قال ومضى القوم الى النهروان وكانوا أرادوا المضي الى المداين (قال الاخفش كذا كان يقول المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح

* قل في شط نهروان * قاضي) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن خباب ما علي منكم بأس اني لمسلم قالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما

في خلق الزنا لقد كان ذلك معارضة صحيحة وموازنة معروفة وأما قولهم ان معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث وليس معهم الأصحاب الأهواء ومن يأخذ دينه من أول الرجال فأي صاحب تقوى يرحمك الله أبعد من الجماعة من الرافضة وهم في هذا المعنى أشقياؤهم وأولياؤهم لان ما خالفوهم فيه صغير في جنب ما وافقوهم عليه والذين هم هم أصحاب أهوائهم المتكلمون والمصلحون والمستصلحون وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون

بياض بالاصل

تقول فى على قبل التحكيم وفى عثمان ست سنين فأثنى خيرا قالوا فما تقول فى الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه فامذقر دمه أى جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هى لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبى سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغنى ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أنى ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الاهواء لتقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا الجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسىء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصى ثم خرج فى عقب هذا اليوم والشيعة تنتحله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن على صلوات الله عليه انى لست أرى رأى الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأى قد استهوى جماعة من الاشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأى الخوارج وكان يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذلك فى مالك بن أنس ويروى الزبيريون أن مالك بن أنس المدينى كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصرى فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن فى مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا

ولا يحصلون ولا يتخيرون والتقليد مرغوب عنه فى جهة العقل منهى عنه فى القرآن فقد عكسوا الأمور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك أن من نظر وبحث وقابل ووزن أحق بالتبيين وأولى بالحجة وأما قولهم منا النساك والعباد فعباد الخوارج وحدهم أكثر عددا من عبادهم على قلة عدد الخوارج فى جنب عددهم على أنهم أصحاب نية وأطيب طعمة وأبعد من التكسب وأصدق ورعا وأقل زيا وأدوم طريقة وأبذل للمهجة وأقل جماعا ومنعا وأظهر زهدا وجهدا

ويقول لولم نلعنهم للعنّا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرّفه النصرُ ويساعده الظفر حتى حكّم فلم تحكّموا والحقّ معك الاغضى قُدُماً لا أبالك وأنت على الحق ۞ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاء والعربُ تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملها الجفاةُ من الأعراب عند المسئلة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر في أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب في سنة جدبة يقول

رَبَّ العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيثَ لا أبا لكا

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بني عامر بن صعصعة أبعد من هذا الكلمة لبعض قومه

أبني عُقَيلٍ لا أبا لأبيكمُ * أيّي وأيُّ بني كلاب أكرمُ

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصارى

يا قُرطَ قُرطَ حُييّ لا أبا لكمُ * يا قُرطُ اني عليكم خائفٌ حَذِرُ

أآن روى مرفش واصطاف أعنزه * من التلاع التي قد جادها المطرُ

قلتم له اهج تميماً لا أبا لكمُ * في كف عبدكم عن ذاكم قِصَرُ

فانّ بيت تميم ذو سمعتَ به * فيه تنمّت وأرست عزّها مُضَرُ

قوله يا قرط قرط حيي نصبهما معا أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيي فأقحموا قرطا الثاني توكيدا وكذلك لجرير

يا تيمَ تيمَ عديّ لا أبا لكمُ * لا يُلقينّكمُ في سوأة عمرُ

ومثله لعمر بن لجأ   يا زيدَ زيدَ اليعملات الذُّبَّل * تطاول الليلُ عليك فانزلِ

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيدُ زيدَ اليعملات ويا تيمُ تيمَ عدي كما تقول يا زيدُ أخا عمرو على النعت ومثل الاول في التوكيد يا بؤس للحرب أراد يا بؤس الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبالك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت الألف في الأب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أبالك كما قال الشاعر

أبالموت الذي لابد أني * ملاقٍ لا أباكِ تخوفيني

واصل عبادة عمرو بن عبيد نفي بعبادة عامة عمادهم واما قولهم ان للقرآن قلبا وسناما ولسانا وشفتين وانه يقدس ويشفع ويمحل فان هذا كله قد يجوز ان يكون مثلا ويجوز ان يجعله الله كذلك اذا كان جسما والله على ذلك قادر وهوله غير معجز ومنه غير مستحيل وكل فعل لا يكون عيبا ولا ظلما ولا بخلا ولا كذبا ولا خطأ في التدبير فهو جائز والتعجب منه غير جائز

(فصل منه) وما أكثر من يعجب في المسائل ويؤلف الكتب على

وقال آخر وقدمات شماخ ومات مزرد * وأي كريم لا أباك يخلد

وقوله الآن روى مرقش مرقش رجل وروى استقى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقي لاهله والتي على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهي المثلثة وأصغر منها السطيحة وأصغرهن الطبع وقوله واصطاف أعنزه يريد افتعلت من الصيف أي أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الأرض في مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذي وكذلك تفعل طيئ تجعل ذو في معنى الذي قال زيد الخيل لبني فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال * اني أرى في عامر ذو ترون * وقال عارق الطائي

فان لم يغير بعض ما قد فعلتم * لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه

يريد الذي ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادا الايثار لغة قومه قال الحسن بن هانئ الحكمي

حب المدامة ذو سمعت به * لم يبق فيّ لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائي

أنا ذو عرفت فان عرتك جهالة * فأنا المقيم قيامة العذال

وقال الحسن بن وهب الحارثي

علاني بذكرها علاني * واسقياني أولا فلا تسقياني

أنا ذو لم يزل يهون على النفـ * ـس ان عزّ جانب الندمان

ويكون العزيز في ساعة الرو * ع بصدق الطعان يوم الطعان

ثم عاد الحديث الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان في جملة الخوارج لددا واحتجاج على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فنهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مخدج اليد وفي حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له ثدية أو ذو الخويصرة أو الخنيصرة ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبي عليه السلام فقال ألا رجل يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل

قد درما يسنح له في وهمه وعلى قدر ما يتصور له في حاله تلك لا يعمل على أصله ولا يشعر بالذي انبنى عليه ذلك الأصل وان كان ممن يعمل على أصل وانما صار علما أو نائلا الى ما صار وا اليه لانهم لا يقفون من القول في خلق القرآن على جواب مهذب ومذهب مصفى وعلى قول مفروغ منه وعلى جوابات بأعيانها وقد رددوا فيها النظر وامتحنوها بأغلظ المحن وقلبوها وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير وتعرفوا كل ما فيها واعتصروا جميع قواها وسهلوا سبلها وذللوا العناد عنها

رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قُتل لكان أول فتنة وآخرها ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا في المسجد كان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لانظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسل علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم النهر قال علي اطلبوا المخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علي والله ما كذبت ولا كذبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علي ساجدا وكان اذا أتاه ما يسر به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السنور ايتوني بيد المخدجة فأتوه بها فنصبها ويروى عن أبي الجلد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتوغله وتعمقه فقال اني لاجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق ينتجع عبد الله بن العباس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوة ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وسق فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال ابن عباس أما سمعت قول الراجز

انّ لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ويعرض القول فيحتاج المبتدئ الى أن

احتقارا منهم لمن خالفهم واتكالا على طول السلامة منهم وثقة بطول الظفر بهم ومن تمام أمر صاحب الحق ان لا يتكل على عجز الخصم وان لا يعجب بظهوره على من لا حظ له في العلم وعلى العلماء ان يخافوا دول العلم كما يخاف الملوك دول الملوك وقد رأيت البكرية والجبرية والفضلية والشمرية وانهم لأحقر عند المعتزلة من جعل وما زالوا يستقون من علمائهم ويستمدون من كبرائهم ويدرسون كتبهم ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم حتى رأيت شيبهم

يزداد في التفسير قوله حقائقها يعني الحقة من الابل وهي التي قد استحقت أن يُحمَل عليها على فَعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال استوسق القومُ اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة في هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سَرِيًّا فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فأنشده

سَهْلًا ترى الدالج منها أزورا * اذا يعجّ في السري هرهرا

السَّلْمُ الدلو الذي له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذي ذكره طرفة فقال

لها مرفقان أفتلان كأنما * أمرا بسلمي دالج متشدد

والدالج الذي يمشي بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالي منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعيّ الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الاديم الاكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التي بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل في قوم ليس منهم زعنفة (الام زِعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زَعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاي وهو الوجه) ويروى عن غير أبي عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساقُ بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحربُ عضها * وان شمرت عن ساقها الحربُ شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التي يهجو فيها آل المهلب ابن أبي صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازني ويذكر الوقعة التي كانت لهم عليهم بالسند في سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها * كطول الليالي ليت صبحك نوّرا

أخاف على نفس ابن أحوز انه * جلا حُمَمًا فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذي رويت في شعر جرير

ونابتيهم يدعون انهم اكفاء ويجمع بينهم في البلاء والنابتة اليوم في التشبيه مع الرافضة وهم دائبون في التألم من المعتزلة عددهم كثير ونصبهم شديد والعوام معهم والحشو يطيعهم الآن معهن أمراء السلطان وميلهم اليه وخوفهم منه والعاقبة للمتقين

(فصل من صدر كتابه في الرد على النصارى)

الحمد لله الذي من علينا بتوحيده وجعلنا ممن ينفي شبهة خلقه وسياسة عباده وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ولا نجحد كتابا أوجب

حذاراً على نفس ابن أحوزانه * جلا كلّ وجه من معدّ فأسفرا

وقوله عدي يعني عدي بن أرطاة الفزاري قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله) جعلت لقبر للخيار ومالك * وقبر عدي في المقابر أقبرا

(ويروى للخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سبرة المجاشعي وواسط بها قبر عدي ابن أرطاة الفزاري) وأطفأت نيران المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنة أن تسعرا

(المزون عمان بالفارسية)

فلم تبق منهم راية يعرفونها * ولم تبق من آل المهلب عسكرا

ألا رب سامي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

فهذا نظير ذلك والمزون عمان قال الكميت

فأما الأزد أزد أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال آخر يعني الحرب فان شمرت لك عن ساقها * فويها حذيف ولا تسأم

(تقول ويها لزيد اذا زجرته عن الشيء فأغريته به وواهاً له اذا تعجبت منه وحذيف يريد حذيفة فرخم) ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيت نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوّله الله وأعطاه كيف عني بالهدهد على قلته وضؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قناء الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قف يا وقاف كيف يبصر ما تحت الارض والفخ يغطى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمت أنه اذا جاء القدر عشي البصر وهما سأله عنه الم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وعدوا كتاباً هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به يعني بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه وبيت خفاف ابن ندبة على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساء مرة وفزارة فعمد ابنا حرملة دريد وهاشم المريان عمداً معاوية فاستطرد له

علينا الاقرار به ولا نضيف اليه ما ليس منه انه حميد مجيد فقال لما يريد أما بعد فقد قرأت كتابكم وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم وما دخل على قلوب أحداثكم وضعفائكم من اللبس والذى خفتموه على جواباتهم من العجز وما سألتم من اقرارهم بالمسائل ومن حسن معونتهم بالجواب وذكرتم انهم قالوا ان الدليل على ان كتابنا باطل وأمرنا فاسد أننا ندعي عليهم مالا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم لانا نزعم ان الله جل وعز

أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا قُتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور فقال الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد انا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجع * منينا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني * وسلم الساقي الذي يليني * ولم تخن عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزي في كتاب الاضداد أن المنين يكون القوي يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لا يمن عليهم فيكدر عندهم ويروى من غير وجه أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيأ من شعرك فأنشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

بحاجة نفس لم تقل في جوابها * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع * ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

قال في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وانهم زعموا انهم لم يدينوا قط بان مريم اله في سرهم ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم وانهم زعموا انا ادعينا عليهم مالا يعرفون كما ادعينا على اليهود مالا يعرفون حين نطق كتابنا وشهد نبينا ان اليهود قالوا ان عزير بن الله وان يد الله مغلولة وان الله فقير وهم أغنياء وهذا مالا يتكلم به انسان ولا يعرف في شيء من الاديان ولو كانوا

ولاقُربُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لك نافعٌ * ولانأيُها يُسلي ولاأنت تصبرُ

وأُخرى أتَتْ من دون نُعْمٍ ومثلُها * نَهى ذا النُّهى لو يَرْعوي أو يُفكِّرُ

اذا زُرتُ نُعْمًا لم يَزَل ذو قرابةٍ * لها كُلَّما لاقيتُه يَتَنَمَّرُ

عَزيزٌ عليه أن أُمُرَّ ببابها * مُسِرٌّ لي الشحناءَ والبُغضَ مُظهرُ

ألِكْني اليها بالسلام فانه * يُشَهَّرُ المامي بها ويُنَكَّرُ

بآيةِ ما قالتْ غَداةَ لقيتُها * بمَدفَعِ أكنانٍ أهذا المُشَهَّرُ

قِفي فانظُري يا أسْمَ هل تعرفينه * أهذا المُغيريُّ الذي كان يُذكَرُ

أهذا الذي أطْرَيتِ نعتًا فلم أكُنْ * وعيشِكِ أنساه الى يومِ أُقبَرُ

فقالتْ نَعَمْ لاشكَّ غَيَّرَ لونَه * سُرَى الليلِ يُحْيي نَصَّه والتَّهَجُّرُ

لَئِنْ كان إيّاه لقد حال بَعْدَنا * عن العَهد والانسانُ قد يتغيَّرُ

رأتْ رجلاً أمّا اذا الشمسُ عارضتْ * فيَضْحَى وأما بالعشيِّ فيَخْصَرُ

حتى أتمها وهي ثمانون بيتا فقال له ابن الازرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتُعرِض ويأتيك غلام من قريش فيُنشدُك سَفَهًا فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الأزرق أما أنشدك

رأتْ رجلاً أمّا اذا الشمسُ عارضتْ * فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال انما قال فيَضحى وأما بالعشي فيَخصَر قال أوَ تَحفَظُ الذي قال قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولو شئت أن أردها الردتها قال فارددها فأنشده اياها وروى الزبيريون أن نافعا قال له ما رأيتُ أرْوَى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عُمَرَ ولا أعْلَمَ من عليٍّ وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول في البَرْدَيْن فاذا ذكر العشي فقد دل على عقيب العشي قال الله تبارك وتعالى وأنّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحَى والضِّحُّ الشمس وليس من ضَحيتُ يقال جاء فلان بالضِّحِّ والريح يراد به الكثرة قال علقمة

أغَرُّ أبرَزَه للضِّحِّ راقبُه * مُقَلَّدٌ قُضُبَ الريحانِ مَفْغومُ

له فَغْمةٌ أي رائحة طيبة يعني ابريقا فيه شراب وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوكَ جاء أبو خَيْثَمةَ وكانت له امرأتان وقد أعدَّتْ كلُّ واحدة منهما من طَيِّبِ تمرِ بستانه

يقولون في عزير ما نحلتموه وادعيتموه لما جحدوه من دينهم ولما أنكروا ان يكون من قولهم ولما كانوا بانكار نبوة عزير أحق منا بانكار نبوة المسيح ولما كان علينا منهم بأس بعد عقد الذمة وأخذ الجزية وذكرتم انهم قالوا ومما يدل على غلطكم في الاخبار وأخذكم العلم عن غير الثقات ان كتابكم ينطق ان فرعون قال لهامان ابن لي صرحا وهامان لم يكن الا في زمن الفرس وبعد زمن فرعون بدهر طويل وان ذلك معروف عند أصحاب الكتب مشهور عند أهل العلم

ومَهَّدَتْ له فى ظل فقال أظل ممدود وتمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ماهذا بخير فركب ناقته ومضى فى اثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يذكره أحد منهم الا قال دعوه فان يرد الله به خيرا يلحقه بكم فقيل ذات يوم يارسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فكان هو واذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار و بينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاء ممدود مفتوح الاول وذكرت الرواة أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج و بحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسر برأى الخوارج فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبى مسلم الأمير ويلك يكلمك فقالت بل الويل والله لك يافاسق الردىء والردىء عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم و يكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ماشاء أربا ودهيا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الاولى عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وأنى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت الى ماثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لى فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لأقتلنك ان لم تطع فانا فى ذلك اذ دخل على بابنى مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أمهما عاتكة بنت يزيد بن معاوية وكان أبيا عزيز النفس فدخل به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجى فقال له دعه يبك فانه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى أن لا تأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فأعجب ذلك من قوله عبد الملك فقال له متعجبا أما يشغلك ماأنت فيه ويعرضه عن هذا فقال ماينبغى أن يشغل المؤمن عن قول الحق شىء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعد يعتذر اليه لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حبستك ثم قال عبد الملك من شككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى وكان عبد

واعما اتخذ صرحا ليكون اذا علاه أشرف على الله وفرعون لايخلو من ان يكون جاحدا الله تعالى أو مقرا به فان كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحده فما وجه اتخاذ الصرح وطلب الاشراف وليس هناك شىء ولا اله وان كان مقرا بالله عارفا به فلا يخلو من ان يكون مشبها أو نافيا للتشبيه فان كان ممن ينفى الطول والعرض والعمق والحدود والجهات فما وجه طلبه له فى مكان بعينه وهو عنده بكل مكان وان كان مشبها فقد علم انه ليس فى طاقة بنى آدم ان يبنوا بنيانا

الملك

الملك من الرأي والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجد نعتي في شيء من كتب الله قال أي والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم قال فكيف تجدني قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها الغفور رحيم قال معاوية فسري عنى ثم قال لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضي الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا المخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأراه من بالشام من بني أمية فقال ما أراه هو فاوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا في يده طائر فقال للرسل ها هو ذا ثم صاح به الي أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال ما لي من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمته أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ويجعلها يدا عنده يجازيه بها في مخلفيه في وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم في شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك قال أبو العباس وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا واني لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال

أو رفعوا صرحا يخرق سبع سموات بأعمالهن والاجزاء التي بينهن حتى يحاذي العرش ثم يعلوه وفرعون وان كان كافرا فلم يكن مجنونا ولا كان الى نقص العقل من بين الملوك منسوبا على ان الحكم قد يقوم بعقول الملوك بالفضيلة على عقول الرعية وذكرتم انهم قالوا تزعمون ان الله تعالى ذكر يحيى بن زكريا يخبر انه لم يجعل له من قبل سميا وانهم يجدون في كتبهم رفعها الا يختلف فيه خاصتهم وعامتهم انه كان من قبل يحيى بن زكريا غير واحد يقال له يحيى منهم يوحنا بن فرح

كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن
قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك
حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده بن عبد الله بن علي فانا كذلك اذ نظر الى الاعلام
السود من بعد فقال ماهذه الخرق المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن علي
ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروف الطويل الخفيف العارضين الذي
رأيته في وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتني عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته
والله لوددت أن علي بن أبي طالب مكانه قال فقال لي المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد
قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ۞ قال أبو العباس وكان أهل النخيلة جماعة
بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبي أيوب وممن كان أقام بالكوفة
فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم
فقام منهم قائم يقال له المستورد من بني سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته
حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله
عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل
الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس في
اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا محكما في دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله
المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم علي بن أبي طالب عبد الله
ابن العباس داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة
فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأي كل متكهن أنت
تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا
هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة
منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الاشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري
فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا

وزعمتم انهم قالوا لكم انكم ذكرتم ان الله قال في كتابه لنبيكم وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما عنى بقوله أهل الذكر أهل التوراة وأصحاب الكتب يقولون ان الله قد بعث من النساء نبيات منهم مريم بنت عمران وبعث منهن حنة وسارى ورفقى وذكرتم انهم قالوا زعمتم ان عيسى تكلم في المهد ونحن على تقدمنا له وتقربنا لأمره وافراطنا بزعمكم فيه على كثرة عددنا وتفاوت بلادنا واختلافنا فيما بيننا لا نعرف ذلك

فساروا اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذى دان يوم النهر دنت به * وشاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يارب فى عنقى * ومثلها فاسقنى آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان على على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه كان يقول اذا أفضيت بسرى الى صديقى فأفشاه لم ألمه لانى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار فأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الاسدى فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن على صلوات الله عليه بعد

ولا ندعيه وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلف ولا ادعاه منا مدع ثم هذه اليهود لا تعرف ذلك وتزعم انها لم تسمع به الا منكم ولا تعرفه المجوس ولا الصابئون ولا عباد المدرة من الهند وغيرهم ولا الترك والخزر ولا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السالفة والقرون الماضية ولا فى الانجيل ولا فى ذكر صفات المسيح فى الكتب والبشارات به على ألسنة الرسل ومثل هذا لا يجوز ان يجهله الولى والعدو وغير الولى وغير العدو ولا يضرب به مثل ولا يروح به الناس ثم يجمع

أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز في طريقه يسأله أن يكون المتولى لحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعني أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبي حوثرة اكفني أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بني أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابني فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما انظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك في غيرى مندوحة ولى في غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرر على هذي الجموع حوثره * فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذوو العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الاحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتبت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وماذا يضرك من شهرتى * اذا كان سرك لا يشهر

أمني تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر

ولو لم تكن فى بقيا عليك * نظرت لنفسي كما تنظر

وروى من حديث محمد بن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلى بن أبي طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله

النصارى على رده مع حبهم لتقوية أمره ولم يكونوا البضاد وهم فيما يرجع عليهم نفعه وكيف لم يكذبوكم فى احيائه الموتى ومشيه على الماء وابراء الاكمه والأبرص بل لم يكونوا ليتفقوا على اظهار خلاف دينهم وانكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ومثل هذا لا ينكتم ولا ينفلت ممن يخالف دينهم والكلام فى المهد أعجب من كل عجب وأغرب من كل غريب وأبدع من كل بديع لان احياء الموتى والمشى على الماء واقامة المقعد وابراء الاعمى وابراء الاكمه قد

صلى الله عليه وسلم فقال لعلي يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرني يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذي عقر الناقة وأشقاها الذي يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال تلقاني علي صلوات الله عليه في الغلس فقال لي من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعي فقال ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه ويروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا ويروى عن رجل من ثقيف انه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمدائن وأراد علي المسير الى الشام فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم اليه وكان ابن عمي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر من خرج فقال تغد وعلينا والكتاب مختوم ان شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن واذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني اني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى علي كرم الله وجهه قالت أم العريان

وكنا قبل مهلكه زمانا * نرى نجوى رسول الله فينا
قتلتم خير من ركب المطايا * وأكرمهم ومن ركب السفينا
ألا أبلغ معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا

أتت به الانبياء وعرفه الرسل ودار في اسماعهم ولم يتكلم صبي قط ولا مولود في المهد وكيف ضاعت هذه الآية وسقطت حجة هذه العلامة من بين كل علامة وبعد فكل أعجوبة يأتي بها الرجال والمعروفون بالبيان والمنسوبون الى صواب الرأي تكون الحيلة في الظن اليها أقرب وخوف الخدعة عليها أغلب والصبي المولود عاجز في الفطرة ممتنع من كل حيلة وهذا لا يحتاج فيه الى نظر ولا ايشبهه من شاهده بدخل (فصل منه) وسنقول في جميع ما ورد علينا من

ويروى أن عبد الرحمن بن ملجم بات تلك الليلة عند الأشعث بن قيس بن معدي كرب وأن حجر ابن عدي سمع الأشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدي للأشعث أنت قتلته يا أعور ويروى أن الذي سمع ذلك أخو الأشعث عفيف بن قيس وأنه قال لأخيه عن أمرك كان هذا يا أعور ❁ وأخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ❁ خرج قريب بن مرة الأزدي وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد واختلف الناس في أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضبعي وتنادى الناس فخرج رجل من بني قطيعة من الأزد وفي يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشرط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قريب لا قربه الله من الخير وزحاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة إلا قتلا من وجدا حتى مرا ببني علي بن سود من الأزد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بني علي البقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بني علي

لا شيء للقوم سوى السهام * مشحوذة في غلس الظلام

فعرد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بني يشكر حتى نفذوا إلى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت إليهم بنو طاحية بن سود وقبائل مزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس إلى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم يا معشر الأزد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلت إنكم أرثثموها فكانت القبائل إذا أحست بخارجية فيهم شدتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى في الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكن إذا دعين إلى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الأنصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج غاية الإنكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر نساء المشركين

مسائلكم وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والأدلة الاضطرارية ثم نسئلهم بعد جوابنا إياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم وانتشار مذهبهم وتهافت دينهم ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال ما لا نحسن ونسئله القصد في القول والعمل وأن يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه إنه قريب مجيب فأنا مبتدئ في ذكر الأسباب التي لها صارت النصارى أحب إلى العوام من المجوس وأسلم صدورا عندهم من اليهود

المشركين والخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

انّ من أعظم الكبائر عندي * قتلَ حسناء غادة عُطبول

قُتِلَتْ باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا * وعلى المُحصنات جرُّ الذيول

﴿ قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحَيلةُ والاخرى قَطام فجعل أصحابُ ابن عامر يُعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يُعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والرّدع ويقول قائلهم لا تقفُ ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس في هذه الآية والذين لا يشهدون الزُور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المشركين وقال ابن مسعود الزور والغناء فقيل لابن عباس أَوَما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤلا ﴿ عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قلتَ من المجتهدين وأنت تعني امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هي احداهم كما قال الله عز وجل وصدّقتْ بكلمات ربها وكتبه وكانتْ من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا في الغابرين منهم البلجاءُ وهي امرأة من بني حرام ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سَجاحِ التي كانت تنبّأت وسنذكر خبرها في موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حُدَير أبو بلال وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تُعظّمه الخوارج وكان مجتهدا كثير الصواب في لفظه فلقيه غَيلان بن خَرَشَة الضبّي فقال يا أبا بلال اني سمعت الامير البارحة عُبيدَ الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين في التقيّة فاستتري فان هذا المُسرفَ على نفسه الجبارَ العنيد قد ذكرك قالت ان يأخذني فهو أشقى بي فأما أنا فما أحبّ أن يُعنَتَ انسانٌ بسببي فوجه اليها عبيدُ الله بن زياد فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمرّ أبو بلال والناسُ مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرّج اليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيبُ نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداسُ ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحبُ السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له اني أرى لك مذهبا حسنا واني لأحبّ أن أُوليك معروفا أفرأيتَ

وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفرا وأهون عذابا ولذلك أسباب كثيرة ووجوه واضحة يعرفها من نظر ويجهلها من لم ينظر أول ذلك أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحقد وانما يعادي الانسان من يعرف ويميل على من يرى ويناقض من يشاكل ويبدو له عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام من سائر

ان تركتني تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج الي قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله في حبس
الخوارج وقتلهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء
أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من
الشرط فقال ابن زياد ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله
لأقتلن من في حبسي منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما
كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال اني ما كنت
لألقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال اني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت
ورجعت وروي أن مرداسا مر باعرابي يهنأ بعيرا له فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه
فظن الاعرابي انه قد صرع فقرأ في أذنه فلما أفاق قال له الاعرابي قرأت في أذنك فقال له مرداس
ليس بي ما خفته علي ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني
ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد
في طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري
علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف
واخافة السبيل لعظيم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه
زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فارادوا أن يولوا أمرهم حريثا
فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا
فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم
أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف علي مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فاني لا أجرد
سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان
فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فأخذ منه عطاءه وأعطيات
أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام
ندع الباقي فقال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولأبي بلال أشعار في الخروج

الناس وسائر العرب
أطول وعداوتهم أشد
فلما صار المهاجرون لليهود
جيرانا وقد كانت الانصار
متقدمة الجوار مشاركة
في الدار حسدتهم اليهود
على نعمة الدين والاجتماع
بعد الافتراق والتواصل
بعد التقاطع وشبهوا
على العوام واستمالوا
الضعفة ومالؤا الاعداء
والحسدة ثم جاوزوا
الطعن وادخال الشبهة
الى المناجزة والمنابذة
بالعداوة فجمعوا كيدهم
وبذلوا أنفسهم وأموالهم
في قتالهم واخراجهم من
ديارهم وطال ذلك
واستفاض فيهم وظهر
وترادف لذلك الغيظ

اخترتُ منها قوله

أَبعْدَ ابن وهب ذي النزاهة والتُقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أُحبُّ بقاء أو أُرجّي سلامةً * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيا ربِّ سلّم نيتي وبصيرتي * وهَبْ لي التُقى حتى ألاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحداً فانما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وانما يحتاج الضمير الى ذكر قبله ليُعرف فلو قال رجل ضربته لم يجز لانه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوماً يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لان المطلوب معلوم وعلى هذا قال عَلْقَمةُ بن عَبَدَة في افتتاح قصيدته هل ما علمتَ وما استُودعتَ مكتومُ * أم حبلُها اذ نأتك اليومَ مصرومُ لانه قد علم أنه يريد حبيبة له وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسَكَ فاذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زَرْباً فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لأخي أجئتم لقتالنا فقال له لا انما نريد خُراسانَ قال فابلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنُفسِدَ في الارض ولا لنُرَوِّعَ أحدا ولكن هرَباً من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ثم قال أنُدِبَ الينا أحدٌ قلنا نعم أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكلابي قال فتى تَرَوْنَهُ يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عبيدُ الله أسلمَ بن زُرْعَةَ في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تَتامّ أصحابُ مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجِنُ فيئاً فما الذي تريدُ قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس اذاً يقتُلَنا قال وان قتلكم قال تَشْرَكُهُ في دمائنا قال اني أَدِينُ بأنه مُحِقٌّ وانكم مبطلون فصاح به حُرَيْثُ بن حَجَلٍ أهو محق وهو يطيع الفَجَرةَ وهو أحدهم ويقتل بالظِنَّة ويَخُصّ بالفيء ويجور في الحكم أما علمتَ انه قتل بابن سُعادَ أربعة بُرَآءَ وانا أحد قتلته ولقد وضعتُ في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان مَعْبَدٌ أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أسلم يقول لأن

وتضاعف البغض وتمكن الحقد وكانت النصارى ابعد ديارهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره لا يتكلفون طعنا ولا يثيرون كيدا ولا يجمعون على حرب فكان هذا أول أسباب ما غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى ثم كان من أمر المهاجرين الى الحبشة واعتقادهم على تلك الجهة ما حببهم الى عوام المسلمين وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود ومن شأن الناس حب من اصطنع اليهم خيرا أو جرى على يديه وأمر آخر وهو من امتن أسبابهم وأقوى أمورهم وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة وحفظتها

يذمّنى ابن زياد حيا أحبّ الى من أن يمدحنى ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فامر ابن زياد الشرط أن يكفّوا الناس عنه ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم اللات بن ثعلبة فى كلمة له

فلما أصبحوا صلّوا وقاموا * الى الجرد العتاق مسوّمينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظلّ ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم * بأن القوم ولّوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عبّاد بن اخضر وليس بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازنى وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه فى أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحّوا عن درابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج الىّ يا عباد فانى أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذى تبغى قال ان آخذ بأقفائكم فاردّكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبى الا ما حمينا فقال له عبّاد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول ان تردّ فئة من المسلمين الى جبّار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بدّ وقدم القعقاع بن عطيّة الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأخذ القعقاع أسيرا فأتى به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فاصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس علىّ بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكرّ على الحروريين مهرى * لأحملهم على وضح الصراط

النصارى واحتجت واستمالت قلوب الرعاع والسفلة وهو قول الله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الى قوله وذلك جزاء المحسنين وفى نفس الآية أعظم الدليل على ان الله تعالى لم يعن لا النصارى ولا أشباههم الملكانية واليعقوبية وانما عنى ضرب بحيرا وضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان وبين حمل قوله الذين قالوا انا نصارى على الغلط منهم فى الأسماء وبين أن نجرى عليهم لأنهم نصارى فرق كما ذكر اليهود أنه جاء الاسلام وملوك العرب رجلان غسانى ولخمى وهما نصرانيان وقد كانت

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا الصلاة فاسرع عباد ومن معه والحرورية مبطؤن فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتي برأس أبي بلال وتروي الشراة أن مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحي يعجبه من الآية ويرغبه في مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود ابن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النصري من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لي حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت في بناتي فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان في جوف الليل استسقت بنية لي فقالت يا أبت اسقني فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت أن الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمي وكان في القوم كهمس وكان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بني قد وهبتك لله ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطي

ألا في الله لا في الناس شالت * بداود وإخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكي لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائما أبكي لمرزئتي * في منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

العرب تدين لهما وتؤدي الاتاوة اليهما فكان تعظيم قلوبهم لهما راجع الى تعظيم دينهما وكانت تهامة وان كانت لقاحا لا تدين ولا تؤدي الاتاوة ولا تدين للملوك لانها كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس وتصغير ما صغروا ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة في العرب معروفة عند أهل النسب ولولا ذلك لدللت عليها بالاشعار المعروفة والأخبار الصحيحة وقد كانت تتجر الى الشام وتنفذ رجالها الى ملوك الروم ولها رحلة في الشتاء والصيف في تجارة مرة الى اليمن ومرة قبل الشام ومصيفها بالطائف فكانوا أصحاب نعمة وذلك مشهور مذكور في القرآن وعند أهل المعرفة وقد كانت

أمّا شربت بكاس دار أوّلها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلاً * منها بانفاس ورد بعد أنفاس

ثم ان عباد بن أخضر المازنى لبث دهرا فى المصر محمودا موصوفا بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فذمّر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلة له وابنه رديفه فقام اليه رجل منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان ألولى ذلك المقتول أن يقتله به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتله به قتله به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكّم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنه فنجا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق وكان مقتل عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب فجاء معبد بن أخضر اخو عباد وهو معبد بن علقمة وأخضر زوج أمهما فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد الا عبيدة بن هلال فانه خرق خصا ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة * اذا ذمّ طلّاب الترات الأخاضر

هم جرّدوا الأسياف يوم ابن أخضر * فنالوا التى ما فوقها نال ثائر

أقادوا به أسد الها فى اقتحامها * اذا برزت نحو الحروب بصائر

ثم ذكر بنى كليب لانه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال فى كلمته هذه

كفعل كليب اذ أخلّت بجارها * ونصر اللئيم معتم وهو حاضر

وما الكليب حين تذكر أول * وما الكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر سأحمى دماء الأخضر بن انه * أبى الناس الا أن يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجدّ فى طلبه من تغيّب منهم فجعل عبيد الله بن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى أن يقدم ابن زياد حتى

ثم هاجر الى الحبشة وتأتى باب النجاشى وافدة فيحبيهم بالجزيل ويعرف لهم الاقدار ولم يكن يعرف ذلك كسرى ولا تأنس بهم وقيصر والنجاشى نصرانيان فكان ذلك أيضا للنصارى دون اليهود والآخر من الناس تبع للأول فى تعظيم من عظم وتصغير من صغر وأخرى وهى أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية وعليها غالبة الا مضر فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم تفش فيها النصرانية الا من كان قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العباد فانهم كانوا نصارى وهم مغمورون مع نبذ يسير فى بعض القبائل ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام وغلبت النصرانية على ملوك

أُتِيَ بعروة بن أُدَيَّةَ فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجيَّ ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة هات عروة بن أُدَيَّةَ قال لا أقدر عليه قال اذاً والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دُلَّ عليه في سَرَبِ العلاء بن سُوَيَّةَ المنقريِّ فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه في شَرَبٍ فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا للكلام الجيد مستحسنا للصواب منه لا يزال يبحث عن عُذْرِهِ فاذا سمع الكلمة الجيدة عَرَّجَ عليها ويُروى انه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى وكانت أسنَّ مَنْ حُمِل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج اهروري منذ اليوم ۞ رجع الحديث فقال للكاتب صحّفت والله ولؤمت انما هو في سَرَبِ العلاء بن سُوَيَّةَ ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أُدَيَّةَ بين يديه حاوره وقد اختلف الناس في خبره وأصحه عندنا انه قال له جَهَّزْتَ أخاك عليَّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لي عزًّا ولقد أردت له ما أريد لنفسي فعزم عزما فمضى عليه وما أُحِبُّ لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأُمَثِّلَنَّ بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت عليَّ دنياي وأفسدتُ عليك آخرتك ثم أمر به فقُتِل ثم صُلِب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره

قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرَّتْ ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تُبصرنني * عَمْرَكُنَّ الله أم لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها * حَسَنٌ في كل عين من تَوَدّ
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يُلَبِّثُ الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن

العرب وقبائلها على لخم وغسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطي في قبائل كثيرة وأحياء معروفة ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس واحياء بكر ثم في آل ذي الجدين خاصة وجاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ومعظم اليهودية انما كان بيثرب وحمير وتيماء ووادي القرى في ولد هارون دون العرب ومطف قلوب دهما العرب على النصارى الملك الذي كان فيهم والقرابة التي كانت لهم ثم رأت عوامنا أن فيها ملكا قائما وان فيهم عربا كثيرة وان بنات الروم ولدن لملوك الاسلام

أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعده فخرجوا عليه فأما زياد فكان يقتل المعلن ويستصلح المسر ولا يجرد السيف حتى تزول التهمة ووجه يوما بجعينة بن كبيش الاعرجي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاءه بجعينة فأخذه فقال اني أريد أن أحدث وضوأ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوأ ثم خرج فأتى به بجعينة زيادا فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال فعدت عني فأنكرت ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فأمر له بصلة وكسوة وحملان فخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسب الذي يمنعكم من اتياني الا الرجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشوني الآن واسمروا عندي فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زيادا جمع لهم كما تجمع الذرة وحاطهم كما تحوط الأم البرة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشام في شامهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف قال أبو العباس وبلغ زيادا عن رجل يكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جندي سابور وما يليها ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر وجعل عمالته في كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمر له زياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرهين وكان رجلا من مراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمران بن حطان وكان عمران بن حطان في وقته شاعر قعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم والرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر نذكر منها طرفا ان شاء الله قال المرادي

يا نفس قد طال في الدنيا مراوغتي * لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا

وان في النصارى متكلمين واطباء ومنجمين فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ولم يروا ذلك في اليهود وانما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لان اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر والكلام في الدين بدعة وانه مجلبة لكل شبهة وانه لا علم الا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء وان الايمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج الى الدهرية والخلاف على الاسلاف وأهل القدوة حتى انهم ليبهرجون المشهور بذلك ويحرمون كلام سالك سبيل أولئك ولو علمت العوام أن النصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان ولا بعد روية الا حكمة الكف من

انى لبائعُ مايَفْنى لباقيةٍ * ان لم يُعَقِّنى رجاءُ العيش تَرَبُّصا

وأسالُ الله بَيْعَ النفس محتسبا * حتى ألاقىَ فى الفِرْدَوْسِ حُرْقُوصا

(قال الاخفش حرقوصُ ذو الثُّدَيَّة)

وابنَ المَنيحِ ومن داسَاوا اخوتَهُ * اذفارقوا زَهْرَةَ الدنيا مَخاميصا

قال أبو العباس وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم وكان زياد ولّى شيبان بن عبد الله الاشعرى صاحب مَقْبُرة بنى شيبان بابَ عثمان وما يليه فجَدَّ فى طلب الخوارج وأخافهم وكانوا كثروا فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلةً وهو متكئ بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنون له للاغاثة فقُتِلوا ثم قتلهما الناس فأُتى زيادٌ بعد ذلك برجل من الخوارج فقال اقتلوه متكئا كما قُتِلَ شيبانُ متكئا فصاح الخارجى يا عَدْلاه يَهْزأُ به فأما قول جرير

ومنا فتى الفتيانِ والباسِ مَعْقِلٌ * ومنا الذى لاقَى بدِجْلةَ مَعْقِلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحى ورياحُ ابن يربوع وجريرٌ من كُلَيْب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمى وهو من تَيْم بن عبد مناة بن أُدّ وتميمُ ابنُ مُرّ بن أدّ وأما قول ابن الرُّقَيَّات

والذى نَغَّصَ ابنَ دَوْمةَ ماتو * حى الشياطينُ والسيوفُ ظِماءُ

فأباح العراقَ يضربهم بالسيف صَلْتًا وفى الضِّرابِ غَلاءُ

فانما يريد بابن دَوْمةَ المختارَ بن أبى عبيد الثقفىَّ والذى نَغَّصه مُصْعَبُ بن الزبير وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا فى ظاهره وقوله ماتوحى الشياطين فان المختار كان يدعى أنه يُلْهَمُ ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل فمن ذلك قوله ذات يوم لتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْماءُ فلَتُحْرِقَنَّ دار أسماء فذُكِرَ ذلك لاسماء بن خارجة فقال أقد سَجَعَ بى أبو اسحق هو والله مُحْرِقٌ دارى فتركه والدارَ وهربَ من الكوفة وقال فى بعض سَجْعِه أما والذى شَرَعَ الاديانَ وجَنَّبَ الاوثانَ وكَرَّهَ العِصْيانَ لاقتلن أَزْدَ عُمانَ وجُلَّ قيسِ عَيْلانَ وتميما أولياءَ الشيطان حاشا النجيبَ ظَبْيانَ فكان ظبيان النجيبُ يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمنا وروى ان المختار بن أبى عبيد حيث كان واليا لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير فولَّى رجلا من قريش الكوفة فلما أطَلَّ قال

الخرط والحجر والتصوير وحياكة البريون لاخرجتهم من حدود الأدباء ولمحتهم من ديوان الفلاسفة والحكماء لان كتاب المنطق والكون والفساد وكتاب العدوى وغير ذلك لارسطاطاليس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب المجسطى لبطليموس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب اقليدس لاقليدس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب الطب لجالينوس ولم يكن روميا ولا نصرانيا وكذلك كتب ديمقراط وبقراط وافلاطون وفلان وفلان وهؤلاء اناس من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم وهم اليونانيون ودينهم غير دينهم وأدبهم غير أدبهم أولئك علماء وهؤلاء صناع أخذوا كتبهم لقرب

لجماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدري ما الذي رده فغضب ابن الزبير على القرشي وعجّزه ورده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشي فلما كان في الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بني هاشم فقال لتبايعنّ أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففي ذلك يقول كثيّر

تخبّر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم في سجن عارم

ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم

سميّ النبي المصطفى وابن عمه * وفكّاك أغلال وقاضي مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففي ذلك يقول ابن الرقيّات يذكر مصعبا

بلدٌ تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحلّ لاحلاله القتال في الحرم وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنّى غزل * بذكر المحلّة أخت المحلّ

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك في وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدسّ الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم ومذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجّه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

الجوار وتداني الدار فنها ما أضافوه الى أنفسهم ومنها ما حولوه الى ملتهم الا ما كان من مشهور كتبهم ومعروف حكمهم فانهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا ان اليونانيين قبيل من قبائل الروم ففخروا بأديانهم على اليهود واستطالوا بها على العرب وبذخوا بها على الهند حتى زعموا أن حكماءنا اتباع حكمائهم وان فلاسفتنا احتذوا على مثالهم فهذا هو دينهم هذا ودينهم يرحمك الله يضاهي الزندقة ويناسب في بعض وجوهه قول الدهرية وهم من أسباب كل حيرة وشبهة والدليل على ذلك انا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى ولا أكثر متحيرا أو مترنحا منهم وكذلك شأن

الخروجَ الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيمُ الا أن يستأذن محمدَ بن
على بن أبى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمدأن المختارلا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن
الاشتر انه مايسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يدَى مَنْ يشاء من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر
فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يشيّعه ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال انى
أحب أن تغبرّ قدماى فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيّعه فرسخين ودفع الى قوم من
خاصته حماما بيضا ضخاما وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال
للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حصتم حيصة فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب
ان الله مؤيدكم بملائكة غضاب تأتى فى صُوَر الحمام دُوَيْنَ السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازر وبها
عُبَيْدُ الله بن زياد قال مَنْ صاحبُ الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ
بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشئ وعلى ميمنته ابن زياد حُصَين بن نُمَير السكونىّ من كندة ويقال
السَّكونىّ والسُّكونىّ والسَّدوسىّ والسُّدوسىّ كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن
السَّكونىّ أكثر) وعلى ميسرته عُمَير بن الحُباب فارس الاسلام فقال حُصَين بن نمير لابن زياد ان
عمير بن الحُباب غيرُ ناصٍ قتلى المَرْج وانى لا أثق لك به فقال ابن زياد أنت لى عدوّ وقال حصين ستعلم
قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبيحتها خرجت اليه وكان لى
صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى ومُلاءة وهو مُتَوَشِّحٌ
السيفَ يجوس عسكره فيأمر فيه ويَنْهَى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الىّ ولكن قال مَنْ
هذا فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبى المُغَلِّس كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت
لصاحبى أرأيت أشجعَ من هذا قطُّ يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوه ولا يدرى من هو فلا يلتفت
اليه ثم عاد الىّ وهو فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى أن تناجزهم فانه لا صبر
بهذه العصابة القليلة على مُطاولة هذا الجمع الكثير فقال نُصبِحُ ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُبات
السيوف وأطراف القنا فقلت انا مُنْخَزِلٌ عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب
ابراهيم فى أول النهار فأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونكّس
عمير بن الحباب رايتَه ونادى يا لثارات المَرْجِ وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل

كل من نظر فى الأمور
الغامضة بالعقول
الضعيفة ألا ترى ان أكثر
من قتل فى الزندقة ممن
كان ينتحل الاسلام
ويظهره هم الذين آباؤهم
وأمهاتهم نصارى على
انك لو عددت اليوم أهل
الظنة ومواضع التهمة
لم تجد أكثرهم الا كذلك
ومما عظمهم فى قلوب
العوام وحببهم الى الطغام
أن منهم كتاب السلاطين
وفراشى الملوك واطباء
الاشراف والعطارين
والصيارفة ولا تجد
اليهودى الا صباغا أو دباغا
أو حجاما أو قصابا أو شعابا
فلما رأت العوام اليهود
والنصارى كذلك توهمت
أن دين اليهود فى الأديان
كصناعاتهم فى الصناعات
وان كفرهم أقذر الكفر
اذ كانوا هم أقذر الأمم
وانما صارت النصارى
أقل مسافحة من اليهود
على شدة مسافحة
النصارى لان الاسرائيلى
لا يزوج الا الاسرائيلى
وكل مناحهم مردودة فيهم

الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتل فى أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووُضعَ السيف فيهم حتى أُفنُوا فقال ابن الاشتر لقد ضربت رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الىّ سيفى ومنه رائحةُ المسك ورأيتُ اقداما وجُرأةً فصرعته فذهبت يداه قِبَلَ المشرق ورجلاه قِبَلَ المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسىٌّ قديمُ العهد فغشّاه بالديباج وقال هذا الكرسىّ من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محلُّ السكينة فى بنى اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسى بدرهمين من نجار وقوله فى براكاء القتال يقال بَراكاءُ وبَرَوكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر وليس يُنقذك منه الا * براكاءُ القتال أو الفرارُ

(هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة)

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول ياللرجال ويا للقوم ويا لزيد اذا كنت تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فكُسرت مع المُظهر ليُفصَلَ بينها وبين لام التوكيد تقول انّ هذا لَزيدًا اذا أردت انه هذا زيدٌ وتقول انّ هذا لِزيد اذا أردت انه فى ملكه ولو فتحت لالتبستا فان وقعت اللامُ على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لكَ وان هذا لأنتَ اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لَبْسٌ وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثة تَرُدُّها الى أصلها من أجل اللبس والمدعوُّ له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يالَلرجالِ لِلماء ويالَلرجالِ لِلعَجَب ويالَزيدٍ لِلخَطبِ الجليل قال الشاعر

يالَلرجال ليومِ الأربعاء أمَا * ينفكُّ يبعثُ لى بعدَ النهى طَرَبا

وقال آخر

تكنّفنى الوُشاةُ فأزعجونى * فيالَلناس للواشى المُطاع

وفى الحديث لما طُعِنَ العِلجُ أو العبدُ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح ياللهِ يالَلمسلمين وتقول يالَلعجبِ اذا كنت تدعو اليه ويالَلماء ويا لَلعَجَب كأنك قلت يالَلناس لِلعجب وينشد هذا البيت

يالعنةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهم * والصالحين على سِمعانَ من جار

فيالَغيرِ اللعنة كأنه قال ياقوم لعنةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التى للاستغاثة

دليل

ومقصورة عليهم وكانت الغرائب لا تشوبهم وبخرولة الأجناس لا تضرب ولا تضرب فيهم لم يحبوا فى عقل ولا أمر ولا ملح وانك لتعرف ذلك فى الخيل والابل والحمير والحمام ونحن رحمك الله تعالى لم نخالف العوام فى كثرة أموال النصارى وأن فيهم ملكا وتمارا أن ما هم أنظف وأن صناعتهم أحسن وانما خالفناهم فى فرق ما بين الكفرين والفرقتين فى شدة المعاندة واللجاجة والارصاد لأهل الاسلام بكل مكيدة مع لؤم الأصول وخبث الاعراق فأما الملك والصناعة والهيئة فقد علمنا أنهم اتخذوا البرازين الشهرية والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحذقوا المدينى ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى واكتنوا بذلك أجمع ولم

دليل أنها بمنزلة الالف التي تُبيّن بالهاء في الوقف اذا أردتَ أن تُسمع بعيدا فانما هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومد الصوت والقول كما قال محلّهما عند العرب محلّ واحد فان وصلت حذفت الهاء لانها زيدت في الوقف لخفاء الالف كما تُزاد لبيان الحركة فاذا وصلت أغنى ما بعدها عنها تقول يا قوما تعالوا و يا زيدا لا تفعل ولا يجوز أن تقول يا زيداه وهو مقبل عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو يُنبّه به النائم فان قلت يا لزيد ولعمرو كسرت اللام في عمرو وهو مدعوّ لانك انما فتحت اللام في زيد لتفصل بين المدعوّ والمدعوّ اليه فلما عطفت على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفت عليه شيأ صار في مثل حاله ونظير ذلك الحكاية يقول الرجل رأيت زيدا فتقول مَن زيدا وانما حكيت قوله ليعلم أنك انما تستفهمه عن الذي ذكر بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومَن زيد أو فمن زيد لم يكن الا رفعا لانك عاطف على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذي ذكرت لك في اللام قول الشاعر

يبكيك ناءٍ بعيد الدار مغترب * يا للكهول وللشبان للعجب

فقد أحكمت لك كل ما في هذا الباب ۞ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذُكر لعبيد الله بن زياد رجل من بني سدوس يقال له خالد بن عبّاد أو ابن عُبادة وكان من نُسّاكهم فوجّه اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذّب عنه وقال هو صهري وهو في ضمني فخلّى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيّب فأتى ابن زياد فأخبره فبعث الى خالد بن عباد فأُخذ فقال عبيد الله بن زياد أين كنت في غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجور فيتبرؤن منهم قال دُلّني عليهم قال اذن يسعدوا وتشقى ولم أكن لأروّعهم قال فما تقول في أبي بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول في أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليّين لله فلست أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رحبة تعرف برحبة الزينبي فجعل الشُرَط يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلّم بن مسروح الباهلي وكان من الشُرَط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مُغرما باللقاح يتتبعها فيشتريها من مظانّها وهم في تفقّده فدسّوا اليه رجلا في هيئة الفتيان عليه ردع

يبقى الآن بنسمو ابحمد ويكتنوا بأبي القاسم فرغب اليهم المسلمون وترك كثير منهم عقد الزنانير وعقدها آخرون دون ثيابهم وامتنع كثير من كبرائهم من اعطاء الجزية وأنفوا مع اقتدارهم من دفعها وسبوا من سبهم وضربوا من ضربهم ومالهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه وقضاتنا وعامتهم يرون أن دم الجاثليق والمطران والأسقف وفا بدم جعفر وعلي والعباس وحمزة ويرون أن النصراني اذا قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم بالغواية أنه ليس عليه الا التعزير والتأديب ثم يحتجون أنهم انما قالوا ذلك لان أم النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة فسبحان الله العظيم ما أعجب هذا القول وأبين انتشاره ومن حكم النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يساوونا في المجالس ومن قوله وان سبوكم

زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندى ما يغنيك عن غيره فامض معى فضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن جحل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب من الغد فى المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بنى سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدرى ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابى صاح بهم حريث بن جحل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه فى بطنه وهو فى موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ففى ذلك يقول أبو الاسود الدؤلى

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يعود المثلم

ثم خرجت خوارج لا ذكرهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا فى تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبى بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى وكانوا قبل على رأى واحد لا يختلفون الا فى الشئ الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة انى كرهت قتال على بن أبى طالب رضى الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعنى الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فقتلته الخوارج بامتناعه من قتال على فكان أول أمرهم الذى نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفى عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونمنحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبى وكان من مجتهدى الخوارج كان يذم نفسه ويلومها على القعود

فاضربوهم وان ضربوكم فاقتلوهم وهم اذا قذفوا أم النبى عليه السلام بالفاحشة لم يكن لهم عند أمته الا التعزير والتأديب وزعموا أن افتراءهم على النبى صلى الله عليه وسلم ليس بنكث للعهد ولا بنقض للعقد وقد أمر النبى عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد منا طالبة فى قبولنا منهم وعقدنا لذمتهم دون اراقة دمهم وقد حكم الله تعالى عليهم بالذلة والمسكنة وما ينبغى للجاهل أن يعلم أن الائمة الراشدين والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية وعقد الذمة عدم الافتراء على النبى صلى الله عليه وسلم وأمته الا لأن ذلك عندهم أعظم فى العيون وأجل فى الصدور من أن يحتاجوا الى تخليده فى الكتب والى اظهار ذكره بالشرط وتثبيته بالبينات بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم

وكان شاعرا وكان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يانافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان لسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى أن تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسى ألوم ولأغدون غدوة لا أنثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج فى ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صار والى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبابكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول فى الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيأ وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة

والمطمعة فيهم وظنوا أنهم فى القدر الذى يحتاج فيه الى هذا وشبهه وانما يتوانق الناس فى شروطهم ويفسرون فى عهودهم ما يمكن فيه الشبهة أو يقع فيه الغلط أو يعيا عنه الحاكم وينساه الشاهد ويتعلق به الخصم فاما الواضح الجلى والظاهر الذى لا يخيل غيره فما وجه اشتراطه والتشاغل بذكره وأما ما احتاجوا الى ذكره فى الشروط وكان مما يجوز أن يظهر فى العهد فقد فعلوه وهو كالذلة والصغارة واعطاء الجزية ومقاسمة الكنائس وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض وأشباه ذلك فأما أن يقولوا المن هو أذل من الذليل وأقل من القليل وهو الطالب الراغب فى أخذ فديته والانعام عليه بقبض جزيته وحقن دمه نعاهدك على أن لا نفترى على أمة رسول رب العالمين وخاتم النبيين وسيد الأولين

تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت الا نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي أحلت دمه ونقضت أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بايدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التوقيف والتصريح ولعمري ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشي راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكر واسيرته فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة

وان

والآخرين فهذا مالا يجوز في تدبير أوساط الناس فكيف بالجلة والعلية وائمة الخليقة ومصابيح الدجى ومنار الهدى مع انفة العرب وشأو السلطان وغلبة الدولة وعز الاسلام وظهور الحجة والوعد بالنصرة على أن هذه الأمة لم تبتل باليهود ولا المجوس ولا الصابئين كما ابتلت بالنصارى وذلك أنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا والضعيف بالاسناد من رواياتنا والمتشابه من آي كتابنا ثم يخلون بضعفائنا ويسألون عنها عوامنا مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين والزنادقة الملاعين وحتى مع ذلك ربما تبرؤا الى علمائنا وأهل الاقدار منا ويشغبون على القوي ويلبسون على الضعيف ومن البلاء ان كل انسان من المسلمين يرى أنه متكلم وأنه ليس أحد أحق بمحاجة الملحدين من أحد وبعد فلولا متكلموا

وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف عليها
لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله
فليصدق ومن حلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه وأنا ولي وليه وعدو عدوه
وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما
قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك
يوم كله أو جله لطلحة والزبير حواري رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما في الجنة وقال جل وعز لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سعوا
فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم
صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضي الله عنها فان أبى آب أن تكون
له أما نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير
وبين أهل الشام بعد ان كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية
فتوادع الناس وكان أهل الشام ضجروا من المقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج في قتالهم
ففي ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبي ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا لدى الحصين محبسا * ان لدى الاركان ناسا بؤسا

(قال الاخفش حفظي بأسا أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوما كلسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أي حمل وجد ولما سمع ابن الزبير الخوارج في القول
وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلما أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية * ما أعظم الحرمة العظمى التي انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعتني الترك والديلم على قتال أهل الشام لشايعتها الشكك جمع شكة
وهي السلاح قال الشاعر ومدججا يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

النصارى واطباؤهم ومنجموهم ماصار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا وأخذ ا فنا شيء من كتب المنانية والديصانية والمرقونية والفلاقية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخلاة في أيدي ورثتها فكل سخنة عين رأيناها في احداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها وأنت اذا سمعت كلامهم في العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل الحمان ورغبتهم في أكل الحبوب وترك الحيوان وترهيبهم في النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم الجاثليق والمطران والاسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا وأنهم يحنون الى ذلك المذهب والعجب ان كل جاثليق لا ينكح ولا

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة وكان رجاء النميرى هو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الازرق الحنفى وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمروا عليهم نافعا ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعد للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الاهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ما هم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الازد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للاحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الامرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفىء ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروان داساو من خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم

يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين فى الديورات والبيوت من النسطورية وكل راهب فى الارض وراهبة مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبه أكثر القسيسين بهم فى ذلك ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون فى الناس من المرأة العاقر والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ولا على أن يتزوج أخرى معها ولا على التسرى عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملؤا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد وذلك مما زاد فى مصائبنا وعظمت به محنتنا ومما زاد فيهم وأنمى عددهم أنهم يأخذون من سائر الأمم ولا يعطونهم لان كل دين جاء بعد دين أخذ منه الكثير وأعطاه القليل

ولا تَنا كحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقَعَدُ بمنزلتهم والتقيَّة لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقَعَدُ منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقوله جل وعز وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة وتفرقوا فى البلدان فلما تتابع نافع فى رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم فى جماعة قد بايعوه فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالوت وصاروا الى نجدة فبايعوه ولقى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفى القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدى

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الاطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب الى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أنى أعلم أن للامام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مُرَّه تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوى القاعدون من المؤمنين

(فصل منه) ومما يدل على قلة رحمتهم وفساد قلوبهم انهم أصحاب الخصاء من بين جميع الامم والخصاء أشد المثلة وأعظم ماركبه انسان ثم يفعلون ذلك باطفال لا ذنب لهم ولا دفع عندهم ولا نعرف قوما يعرفون بخصاء الناس حيث ما كانوا الا ببلاد الروم والحبشة وهم فى غيرهما قليل وأقل قليل على أنهم لم يتعلموا الا منهم ولا كان السبب فى ذلك غيرهم ثم خصوا أبناءهم وأسلموهم فى بيعهم وليس الخصاء الا فى دين الصابئين فان العابد ربما خصا نفسه ولا يستحل خصاء ابنه فلو تمت ارادتهم فى خصاء أولادهم فى ترك النكاح وطلب النسل كما حكيت لك قبل هذا لانقطع النسل وذهب الدين وفنى الخلق والنصرانى وان كان أنظف ثوبا وأحسن صناعة وأقل مساخة فان باطنه ألأم وأقذر

غير أولي الضرر فجعلهم الله من المؤمنين وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدي
الامانة الى من خالفك والله يأمر أن تؤدي الامانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا فان الله عز ذكره بالمرصاد وحكمه العدل
وقوله الفصل والسلام فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تعظني
فيه وتذكرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت أوثره من الصواب
وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وعبت علي ما دنت
به من اكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك لم ذلك ان شاء الله أما هؤلاء
القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين
محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا في الدين
وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا
كنا مستضعفين في الأرض فقيل لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فخبر بتعذيرهم وأنهم
كذبوا الله ورسوله وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فانظر الى أسمائهم وسماتهم
وأما أمر الاطفال فان نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله يا نجدة مني ومنك فقال رب لا تذر
على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم
بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله
يقول أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزية
وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحل
لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فيء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك
فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك ما نهجناه لك من طريقتنا
ومقالتنا والسلام على من أقر بالحق وعمل به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره
أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن
بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتول الظالمين فان الله يقول لا يتخذ

وأسمع لانه أقلف ولا
يغتسل من الجنابة ويأكل
لحم الخنزير وامرأته جنب
لا تطهر من الحيض ولا
من النفاس ويغشاها في
الطمث وهي مع ذلك
غير مختونة وهم مع شرار
طبائعهم وغلبة شهواتهم
ليس في دينهم مزاجر كنار
الأبد في الآخرة وكالحدود
والقود والقصاص في
الدنيا فكيف يجانب
ما يفسده ويؤثر ما يصلحه
من كانت حاله كذلك وهل
يصلح الدنيا من هو كما قلنا
وهل يهيج على الفساد
الا من وصفنا ولو جهدت
بكل جهدك وجمعت كل
عقلك أن تفهم قولهم في
المسيح لما قدرت عليه
حتى تعرف به حد
النصرانية وخاصة قولهم
في الالهية وكيف تقدر
على ذلك وأنت لو خلوت
ونصراني نسطوري
فسألته عن قولهم في
المسيح لقال قولا ثم ان
خلوت بأخيه لأمه وأبيه
وهو نسطوري مثله
فسألته عن قولهم في المسيح

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ وقد حضرت
عثمان يوم قتل فلعمرى لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين
وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا
أشد الناس عليه وكانوا فى أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف
ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ولقد ملك على بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى
الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له
وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان
مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائرا لقد
بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد
موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم
لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا
وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من
الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن
كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير
أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها
نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة
تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله
دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا
الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفى القوم
يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبد الله بن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل
أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا
ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم

لأن ذلك بخلاف قول أخيه وضده وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان على أنهم يزعمون أن الدين لا يخرج فى القياس ولا يقوم على المسائل ولا يثبت فى الامتحان وانما هو بالتسليم لما فى الكتب والتقليد للأسلاف ولعمرى من كان دينه دينهم ليجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور ما لم يتعمد الباطل ويعاند الحق فاذا صاروا الى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة

(فصل منه) فأما مسألتهم فى كلام عيسى فى المهد فهى أن النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه وقولهم انا

ومَوارثهم والاقامةَ فيهم حلٌّ طلقٌ وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامةُ فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة وأحكامُ المشركين تجرى فيها وأزعم أن مَناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكمُ المشركين فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس الذى ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السُّنَّة من أقاويل الضُّلّال والصُّفرِيَّةُ والنَّجدِيَّةُ فى ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قال ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أُحرِمُ مناكحتهم ومَواريثهم لان معهم التوحيدَ والاقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دَعوَةَ المسلمين تجمعهم وأراهم كُفّارَ النِّعَمِ وقالت الصفرية أَلْيَنَ من هذا القول فى أمر القَعَد حتى صار عامتهم قَعَدًا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سُمُّوا صُفرِيَّةً لانهم أصحابُ ابن صَفّار وقال قوم انما سُمُّوا بصُفرة علَتهُم وتصديقُ ذلك قولُ ابن عاصمٍ الليثيِّ وكان يرى رأى الخوارجِ فتركه وصار مُرجِئًا

فارقتُ نجدةَ والذين تَزَرَّقوا * وابنَ الزبير وشيعةَ الكَذّاب

والصُّفرَ الاذانِ الذين تخَيَّروا * دينا بلا ثقةٍ ولا بكتاب

خَفَّفَ الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشعرُ وقال أبو بيهس الدارُ دارُ كفرٍ والاستعراضُ فيها جائز وان أُصيبَ من الاطفال فلا حَرَجَ الى ههنا انتهت المقالة ۞ وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فاذا أُجيبَ الى المقالة جَبَا الخراجَ وفَشَا عُمّالُهُ فى السواد فارتاع لذلك أهلُ البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ما ترى فقال الاحنفُ ان فعلهم فى مصركم ان ظَفِروا به كَفِعلِهم فى سَوادكم فجِدُّوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرةُ آلاف فأتَى عبدَ الله بن الحَرِثِ بن نَوفَلِ بن الحرث بن عبد المُطَّلِب وهو بَبَّةُ فسأله أن يُؤَمِّرَ عليهم فاختار لهم ابن عُبَيسِ بن كُرَيزٍ وكان دَيِّنًا شجاعا فأمَّره عليهم وشَيَّعَهُ فلما نفذ من جِسرِ البصرة أقبل على الناس فقال انى ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة وانى لاحارب قوما ان ظفرتُ بهم فما وراءهم الا

تقولناه ورويناه عن غير الثقاة وان الدليل على أن عيسى لم يتكلم فى المهد أن اليهود لا يعرفونه وكذلك المجوس وكذلك الهند والخزر والديلم فنقول فى جواب مسألتهم عند انكارهم كلام المسيح فى المهد مولودا يقال لهم انكم حين سويتم المسألة وموهتموها ونظمتم ألفاظها ظننتم انكم قد نجحتم وبلغتم غايتكم ولعمرى لئن حسن ظاهرها وراع الاسماع مخرجها انها لقبيحة المفتش سيئة المغزى ولعمرى لو كانت اليهود تقر لكم باحياء الأربعة الذين تزعمون واقامة المقعد الذى تدعون واطعام الجمع الكثير من الارغفة اليسيرة وتصيير الماء جدا والمشى على الماء ثم أنكرت الكلام فى المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم فى ذلك مقال والى الطعن سبيل فأما وهم يجحدون ذلك أجمع

سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صار وابدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا وادعى قتل نافع سلامة الباهلى وقال لما قتلته وكنت على برذون ورد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى ياصاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها على وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتول لامحالة قالوا وكيف قال لانى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤمة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى وذلك بعد ان اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

الله أيد عمرانا وطهره * وكان عمران يدعو الله فى السحر
يدعوه سرا واعلانا ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غدر
ولى صحابته عن حر ملحمة * وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن على *

فمرة يضحكون ومرة يغتاظون ويقولون انه صاحب رقى ونيرنجات ومداوى مجانين ومتطبب وصاحب حيل وصاحب خدع وقراءة كتب وكان انسانا مسكينا ومقبولا مرحوما ولقد كان قبل ذلك صياد سمك وصاحب شبك وكذلك أصحابه وأنه خرج على مواطأة منهم له وأنه لم يكن له شدة وأخسهم قولا وألأمهم مذهبا من زعم أنه ابن يوسف النجار وأنه قد كان واطأ ذلك المقعد قبل اقامته بسنين حتى اذا شهره بالقعدة وعرف موضعه فى الزمنى مر به فى جمع من الناس كانه يريده فشكا اليه الزمانة وقلة الحيلة وشدة الحاجة فقال ناولنى يدك فناوله يده فاجتذبه فأقامه فكان تجلده اطول القعود حتى استمر بعد ذلك وأنه لم يحى ميتا قط وانما كان داوى رجلا يقال له لاعار اذا غمى عليه يوما وليلة وكانت أمه ضعيفة العقل

وقول الناس أشليت كلبي أي أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوته وقولها بمدي ملحاذة مفعال من الالحاذ كما تقول رجل معطاء يا فتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء للمبالغة كما تدخل في راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب نذكره في عقب هذه القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذي يهصر كل شيء أي يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى أبي بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل النسب الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فعل ❁ ومما قيل من الشعر في يوم دولاب قول قطري

لعمرك اني في الحياة لزاهد * وفي العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك اني يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم
ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت * طعان فتى في الحرب غير ذميم
غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم
وظلت شيوخ الازد في حومة الوغى * تعوم وظلنا في الجلاد نعوم
فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم
وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتني يوم دولاب فلم ينصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمي معرب وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار

معربا

قليلة المعرفة فربما فاذا هي تصرخ وتبكي فدخل اليها ليسكنها ويعزيها وجس عرقه فرأى فيه علامة الحياة فداواه حتى أقامه فكانت لقلة معرفتها لا تشك أنه قد مات ولفرحها بحياته تثني عليه بذلك وتحدث به فكيف تستشهدون قوما هذا قولهم في صاحبكم حين قالوا كيف يجوز أن يتكلم صبي في المهد مولودا فجهله الأولياء والأعداء ولو كانت المجوس تقر لعيسى بعلامة واحدة وبأدنى أعجوبة لكان لكم أن تنكروا علينا بهم وتستعينوا بانكارهم فأما وحال عيسى في جميع أمره عند المجوس كحال زرادشت في جميع أمره عند النصارى فما اعتلالكم بهم وتعلقكم في انكارهم وأما قولكم فكيف لم يعرف الهند والخزر والترك ذلك فمتى أقرت الهند لموسى بأعجوبة واحدة فضلا عن عيسى ومتى أقرت لنبي بآية أو روت له سيرة حتى

مُعَرَّبًا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربيَّ فدولاب فُوعالٌ مثل طُومار وسُولاف وكلُّ شئٍ لا يَخُصُّ واحدًا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيَتِه وكذلك جَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك فان وقع الاسمُ فى كلام العجم معرفةً فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماء بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقتْ فى مثل هذا الموضع لامانِ استجازوا حذف احداهما استثقالا التضعيف لان ما بقى دليلٌ على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سُبِقَ القَيْسىُّ من ضَعْفِ حيلةٍ * ولكن طَفَتْ عَلْماءِ قُلْفَةُ خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التى فى قولك بنو العرب لخروج النون من اللام وذلك قولك فلان من بَلْحرث وبَلْعَنْبَرِ وبَلْهُجَيْمِ وقال آخر من الخوارج

يرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شيوخَ الأَزْدِ طافيةً لِحاها

وقال رجل منهم

شَمِتَ ابنُ بَدْرٍ والحوادثُ جَمَّةٌ * والجائرونَ بنافعِ بنِ الأَزْرَقِ
والموتُ حَتْمٌ لامحالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نهارا يَطْرُقِ
فلئنْ أميرَ المؤمنينَ أصابه * رَيْبُ المَنونِ فمَنْ يُصِبْهُ يَغْلَقِ

نصب بعد انْ لان حرف الجزاء الفعل فانما أراد فلئن أصاب أميرَ المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النَّمِر بن تَوْلَب

لا تَجْزَعِى انْ مُنْفِسًا أَهْلَكْتُه * واذا هَلَكْتُ فعند ذلكِ فاجْزَعِى

وقال ذو الرُّمَّة

اذا ابنَ أبى موسى بلالًا بَلَغْتِهِ * فقامَ بفأسٍ بين وِصْلَيْكِ جازِرُ

لان اذا لا يليها الا الفعل وهى به أَوْلَى

(هذا باب فُعَلٍ)

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَلٍ فهو مصروف فى المعرفة والنكرة اذا كان اسما أصليا أو نعتا فالاسماء نحو صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ وكذلك ان كان جمعا نحو ظُلَمٍ وغُرَفٍ وان سميت بشئ من هذا رجلا انصرف فى المعرفة والنكرة وأما النعتُ فنحو رجلٍ حُطَمٍ كما قال * قد لَفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ *

تستشهدوا الهند على كلام عيسى فى المهد ومتى كانت الترك والديلم والخزر والتتر والطيلسان مذكورة فى شئ من هذا الجنس محتجا بها على هذا الضرب فان سألونا عن أنفسهم فقالوا ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحد بتة اجتنابهم بعد اسقاط تكثيرهم وتشنيعهم وتزوير شهودهم فجوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس اثنان منهم من الحواريين بزعمهم يوحنا ومتى واثنان من المستجيبة وهما مارقس ولوقس وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على الأمور والاصطلاح على اقتسام الرياسة وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التى شرطها له فان قالوا انهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا وأحفظ من أن ينسوا شيأ وأعلى من أن يغلطوا فى دين الله

وكذلك مال لُبَدٍ وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكتُ مالاً لُبَداً فان كان الاسم على فُعَل معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل فى المعرفة وينصرف فى النكرة وذلك نحو عُمَر وقُثَم لانه معدول عن عامر وهو الاسم الجارى على الفعل فهذا علامة معرفته قبل نكرته فاذا أريد به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه فى النداء من كل فعل لان المنادى مشارا اليه وذلك قولك يا فُسَق ويا خُبَث تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غُدَر فى غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتت به ملحادة كما قال الحُطَيْئة

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوى * الى بيت قَعيدته لَكَاعِ

وهذا لا يقع الا فى النداء ولكن الشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حد ما كان له فى النداء فيلحق قولهم غُدَر بقوله رجل حُطَم ومال لُبَد وما أشبهه وفَعال فى المؤنث بمنزلة فُعَل فى المذكر ولو سميت رجلا حُطَماً لصرفته من قولك هذا سائق حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو فى النعوت بمنزلة صُرَد فى الاسماء

(هذا باب النسب الى المضاف)

اعلم انك اذا نسبت الى علم مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك فى عبد القيس عَبدىٌّ وكذلك فى عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع فى النسب التباس من اسم باسم وذلك قولك فى النسب الى عبد مناف مَنافىٌّ والى أبى بكر بن كلاب بَكْرىٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسب وذلك قولك فى النسب الى عبد الدار بن قُصَىّ عَبْدَرىٌّ وفى النسب الى عبد القيس عَبْقَسىٌّ فان كان المضاف غير علم فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك فى النسب الى ابن الزبير زُبَيرىٌّ لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رألان رألانىٌّ فلذلك قالوا فى النسب الى ابن الأزرق أزرقى والى أبى بيهس بيهسى فأما قولهم صُفْرىٌّ فانما أرادوا الصُفْرَ الالوان فنسبوا الى الجماعة وحق الجماعة اذا نُسب اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك مُهَلَّبىٌّ ومِسْمَعىٌّ ولكن جعلوا صُفْراً اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أصفرىٌّ فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصُفْرَ اسما للجماعة كما تسمى القبيلة بالاسم الواحد ألا ترى أن النسب الى الانصار

انصارى

تعالى أو يضيعوا عهدا قلنا ان اختلاف رواياتهم فى الانجيل وتضادها فى كتبهم واختلافهم فى نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم بالكبر المتعدى به طوره والجهل لقدره وانتحاله مالا يجوز الا لربه وقال النبى صلى الله عليه وسلم العظمة رداء الله فمن نازعه رداءه قصمه

(فصل منه) والنبيل لا يتنبل كما ان الفصيح لا يتفصح لان النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح ولم يتزيد أحد قط الا لنقص يجده فى نفسه ولا تطاول متطاول الا لوهن قد أحس به قوته والكبر من جميع الناس قبيح مسقوط الا انه عند الناس من عظماء الاعراب وأشباه الاعراب أجود وهو لهم أسرع لجفائهم وبعدهم من الجاعة ولقلة مخالطتهم لأهل العفة والدعة والأدب والصنعة

أنصاريٌّ لانه كان علماً القبيلة وكذلك مَدائنيٌّ وتقول في النسب الى الأبناء من بني سَعْد أبناويٌّ لانه اسم للجماعة فأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النَّسَب آخرُ وهو أن يُسمَّى كلُّ واحد منهم باسم الاب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المَهالبةُ والمَسامعةُ والمَناذرةُ ويقولون جاء في النُّمَيْرون والأشعرون جعَلَ كل واحد منهم نُمَيْرا وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرتُ لك وقد تُنْسَب الجماعةُ الى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقيٌّ لمن كان على رأي ابن الازرق كما تقول تميميٌّ وقيسيٌّ لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياسَ عليه السلام ومَنْ كان على دينه كما قال * قَدْنيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي * يريد أبا خُبَيْب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازُهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العُمَران لابي بكر وعُمَرَ رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخُبَيْبان لعبد الله ومُصْعَب وقد مضى تفسيره ۞ عاد القول في الخوارج قال والازارقة لا تُكَفِّر أحدا من أهل مَقالتها في دار الهجرة الا القاتلَ رجلا مسلما فانهم يقولون المسلمُ حجةُ الله والقاتلُ قَصَدَ لقطع الحجة ويروى أن نافعا مَرَّ بمالك بن مِسْمَع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبني تميم ونافعٌ متقلدٌ سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرُنا في حربنا هذه فقال لا يحلُّ لي قال فما بالُ مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهواز فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممن بحاز من الخوارج في أيام ابن الماحوز كرهتْ القتالَ وأقام حارثةُ بن بدر الغُدانيُّ بإزاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عُذْرُنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصَلَ اليهم الخوارجُ ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعوديتّه ويسألونه أن يُوَلّيَ واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عُبَيْد الله بن مَعْمَر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارقة فخرج اليهم في اثني عشر ألفا ولقيه حارثةُ فيمن كان معه وعبيدُ الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز فلما عبَرَوا اليهم دُجَيْلا نهض اليهم الخوارجُ وذلك قُبَيْلَ الظهر فقال عثمانُ بن عبيد الله لحارثةَ بن بدر أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثةُ حَسْبُكَ بهؤلاء فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزَهم فقال له حارثةُ ان

(فصل منه) ولم تر الكبر يسوغ عندهم ويستحسن الا في ثلاثة مواضع من ذلك أن يكون المتكبر صعيبا بدويا وذا غطرسة وحشيا ولا يكون حضريا ولا مدريا فيحمل ذلك منه على جهة الصعوبة ومذهب الجاهلية وعلى الهمجية والاعرابية أو يكون ذلك على جهة الانتقام والمعارضة والمكافأة والمقابلة أو على ان لا يكون تكبره الا على الملوك والجبابرة والفراعنة وأشباه الفراعنة وصاحب هذا خارج من هذه الخصال مجانب لهذه الخلال ان أصاب صديقا تعظم عليه وان أتاه ضيف تغافل عنه وان أتاه ضعيف من عليه وان صادف حلما اعتمل به وينبغي أن يكون خضوعه لمن فوقه على حسب تكبره على من دونه ومن صفة اللئيم أن يظلم الضعيف ويظلم

هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ فل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة المعروف بالقباع أحد بني مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلي وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك في البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فاقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز * وأعقبنا هذا الحجازي عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليماني خوان

فضحت قريشا غثها وسمينها * وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامي الحقيقة أومأت * اليه معد بالأنوف وقحطان

قوله فأرعد زعم الأصمعي أنه خطأ وأن الكميت أخطأ في قوله

أرعد وأبرق يا يزيد * فما وعيدك لي بضائر

وزعم أن هذا البيت الذي يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسي وأبرقنا كما توعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا في الرعد والبرق قال الشاعر * فقل لأبي قابوس ما شئت فارعد *

نفسه للقوي ويقتل الصريع ويجهز على الجريح ويطلب الهارب ويهرب من الطالب ولا يطلب من الطوائل الا ما لا خطر فيه ولا يتكبر الا حيث لا يرجع معرته عليه ولا يقفو التقية ولا المروءة ولا يعمل على حقيقة ومن أراد أن يسمع قوله ساء خلقه اذ كان لا يحفل ببغض الناس له ووحشة قلوبهم منه واحتيالهم في مباعدته وقلة مساعدته وليس يأمن اللئيم على اتيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللؤم الا حاسدا فاذا رأيته يعق أباه ويحسد أخاه ويظلم الضعيف ويستخف بالأديب فلا تبعده من الخيانة اذ كانت الخيانة لؤما ولا من الكذب اذ كان الكذب لؤما ولا من النميمة اذ كانت النميمة لؤما ولا تأمنه على الكفر فانه ألأم اللؤم وأقبح الغدر ومن رأيته منصرفا عن بعض

وروى غير الاصمعي أرعَدَ وأبرقَ على ضَعف وقوله والبرق اليماني خوّان يريد والبرق اليماني يخونُ واجود النسب الى اليمن يَمَني ويجوز يَمان بتخفيف الياء وهو حسن وهو في أكثر الكلام تكون الالف عوضا من احدى الياءين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكون الالف زائدة وتُشدَّدُ الياء قال العباس بن عبد المطّلب

ضربناهم ضَربَ الاحامسِ غُدوةً * بكل يمانيّ اذا هُزَّ صمّما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركُضون حتى أتى دجيلا فجلس في سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارج وراءه وقد توسّطَ حارثةُ فصاح به يا حارثَ ليس مثلي ضُيّع فقال للملاح قرِّب فقرَّب الى جُرُف ولا فُرضةَ هناك فطفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كُوَرَ الاهواز ثلاثة أشهر ثم وجّه الزبير بن عليّ نحو البصرة فضجّ الناسُ الى الاحنف فأتى القُباعَ فقال أصلح الله الامير ان هذا العدوّ قد غلبنا على سَوادنا وفيئنا فلم يبق الا ان يحصُرَنا في بلدنا حتى نموت هَزلا قال فسمّوا رجلا فقال الاحنف الرأيُ لا يخيلُ ما أرى لها الا المهلّبَ بن أبي صُفرةَ فقال أوَهذا رأيُ جميع أهل البصرة اجتمعوا الى في غد وجاء الزبير حتى نزل الفُراتَ وعقدَ الجسر ليعبُرَ الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهل البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهلُ الاهواز وكُوَرِها رغبةً ورهبةً فأتاه البصريون في السُّفُن وعلى الدواب ورجّالةً فاسودّت بهم الارضُ فقال الزبير لما رآهم أبَى قومُنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بازائهم واجتمع الناس عند القُباع وخافوا الخوارجَ خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق فسمّى قومٌ المهلبَ وسمّى قومٌ مالك بن مِسْمَع وسمى قوم زيادَ بن عمرو بن الاشرف العَتَكيّ فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذلك وعاد اليه مَنْ أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نرى لها الا المهلبَ فوجّه الحرثُ اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رهِقنا من هذا العدوّ وقد اجتمع أهلُ مصرِكَ عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نرَ مَنْ يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يُسمِّكَ الا ايثارا للدين وكل مَنْ في مصرك مادٌّ عينَه اليك راجٍ أن يكشف الله عز وجل هذه الغُمّة بك فقال المهلب لا حول ولا قوة

اللؤم تاركا للبعض القبيح فاياك أن توجه ذلك منه على التجنب له والرغبة عنه والايثار لخلافه ولكن على أنه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه أو يخاف من مرارة العاقبة أمرا يعني على حلاوة العاجل لان اللؤم كله أصل واحد وان تفرقت فروعه وجنس واحد وان اختلفت صوره والفعل محمول على غلبته تابع لسمته والشكل ذاهب على شكله منقطع الى أصله صائر اليه وان أبطأ عنه ونازع اليه وان حيل دونه وكذلك تناسب الكرم وحنين بعضه الى بعض ولم تر العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملا اجتباه ذو عقل أو اختاره ذو علم بأوبأ ولا أفسد لعرض ولا أوجب لسخط الله ولا أدعى الى مقت الناس ولا أبعد من الفلاح ولا أظهر نفورا عن التوبة ولا أقل دركا عند الحقيقة ولا أنقص

الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبيا ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن انتخب من أحببت قال ذاك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذاك لك قال ولى فى كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذاك لك ولا لنا انما هو فى المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطى أصحابك من فى كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتاجروه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الازد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلموا
أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الاجود

وقال الشاعر وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما

به هزم الله الازارق بعدما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس

للطبيعة ولا أمنع من العلم ولا أشد خلافا على الحلم من التكبر فى غير موضعه والتقبل فى غير كنهه وما ظنك بشئ العجب شقيقه والبذخ صديقه والنفج أليفه والصلف عقيده والبذاخ متزيد والنفاج كذاب والمتكبر ظالم والمعجب صغير النفس واذا اجتمعت هذه الخلال وانتظمت هذه الخصال فى قلب طال خرابه واستغلق بابه وشر العيوب ما كان متضمنا بعيوب وشر الذنوب ما كان علة الذنوب والكبر أول ذنب كان فى السموات والأرض وأعظم جرم كان من الجن والانس وأشهر تعصب كان فى الثقلين وعنه لج ابليس فى الطغيان وعتا على رب العالمين وخطأ به فى التدبير وتلقى قوله بالرد ومن أجله استوجب السخطة وأخرج من الجنة وقيل له ما يكون لك أن تتكبر فيها ولا فراطه فى التعظيم خرج الى غاية

رغبة في مجاهدة الخوارج ولما في الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدي وعبد الله بن رباح ومعاوية بن قرة المزني وكان يقول يعني معاوية لو جاء الديلم من ههنا والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجوني وكان يقول كان كعب يقول قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيرى فتنحوا عنه الى الاهواز وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان في عسكره وتتام اليه زهاء عشرين ألفا ثم مضى يؤم سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى وفي مقدمته المغيرة بن المهلب حتى قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران في ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤم هذا العدو في نعم من الله متصلة علينا ونقمة من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا سوق الاهواز والحمد لله رب العالمين الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه الحرث هنيأ لك أخا الازد الشرف في الدنيا والذخر في الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمي واسم أبي وكنيتي وكان المهلب يبث الاحراس في الامن كما يبثهم في الخوف ويذكي العيون في الامصار كما يذكيها في الصحاري ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصي المخالف حارثة بن بدر فقتلوا

القسوة والشدة قسوته اعتزم على الاصرار وتتابع في غاية الافساد ودعا الى كل قبيح وزين كل شر وعن معصية أخرج آدم من الجنة وشهر في كل افق وأمة ومن أجله نصبت العداوة لذريته وتفرغ من كل شئ الا من اهلاك نسله فعادى من لا يرجوه ولا يخافه ولا يضاهيه في نسب ولا يشاكله في صناعة ومن ذلك قتل الناس بعضهم بعضا وظلم القوى الضعيف ومن أجله أهلك الله الأمم بالمسخ والرجف وبالخسف وبالطوفان وبالريح العقيم وأدخلهم النار وأقنطهم من الخروج والكبر هو الذي زين لابليس ترك السجود وأوهمه شر الألفة وصور له الامتعاض وحبب اليه المخالفة وآنسه بالوحدة والوحشة وهون عليه سخط الرب وسهل عليه عقاب الأبد ووعده الظفر ومناه السلامة ولقنه الاحتجاج

جميعا وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله ابن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتى الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه يا معشر المهاجرين هل لكم فى فتكة فيها أريحية فحمل جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب فى وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبرى أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالى ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج باجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم فقال رجل من بنى منقر ابن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومى * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مار مينا رمية فى مفازة * عراقيبها بالشيظمى المواشك

ودرور فعول من در الشئ اذا تتابع وقال رجل من بنى تميم آخر

تبعنا الأعور الكذاب طوعا * يزجى كل أربعة حمارا

فيا ندمى على تركى عطائى * معاينة وأطلبه ضمارا

بالباطل وزين له قول الزور وزهده فى جوار الملائكة وجمع له خلال السوء ونظم له خلال الشر لانه حسد والحسد ظلم وكذب والكذب ذل وخدع والخديعة لوم وحلف على الزور وذلك فجور وخطأ به وتخطئة الله جهل وأخطأ فى جلى القياس وذلك غى ولج واللجاج ضعف وفرق بين التكبر والتبدى وجمع بين الرغبة عن صنيع الملائكة وبين الدخول فى اعمال السفلة واحتج بان النار خير من الطين ومنافع العالم نتيج أربعة أركان نار يابسة حارة وماء بارد سيال وأرض باردة يابسة وهوى حار رطب ليس منها شئ مع جزاوجته لخلافه الا وهو محيى مبق على أن النار نقمة الله من بين جميع الأصناف وهى أسرعهن اتلافا لما صار فيها واحقهن لما دنا منها هذا كله ثمرة الكبر ونتاج التيه

اذا الرحمن يسّر لي قفولاً * تحرّق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يكتب كذبا الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب بتوعد وتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذّل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والأوس ائتيا بني قريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا الى لحنا أعرفه ولا تفتّا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الأمر ما تحبون (قال الأخفش سألت المبرد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرادا انهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ويضعّف من أمر الخوارج فكان حيّ من الأزد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب في ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الامير أن لا تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدلّ عاشقه

تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقه

والتكبر شر من القسوة كما ان القسوة شر المعاصي والتواضع خير الرحمة كما ان الرحمة خير الطاعات والكبر معنى ينتظم به جماع الشر والتواضع معنى ينتظم فيه جماع الخير والتواضع عقيب الكبر والرحمة عقيب القسوة فاذا كان الطاعة قدر من الثواب فلتركها وعقيبها ولما يوازيها ويكايلها مثل ذلك القدر من العقاب ومواضع الطاعة من طبقات الرضا لموضع تركها من طبقات السخط اذ كانت الطاعة واجبة والترك معصية والكبر من أسباب القسوة ولو كان الكبر لا يعتري الا الشريف والجميل أو الجواد أو الوفي أو الصدوق كان أهون لأمره وأقل لشينه أو كان يعرض لأهل الخير كان لا يغلط فيه الا أهل الفضل ولكنا نجده في السفلة كما نجده في العلية ونجده في القبيح كما نجده في الحسن وفي

اذا نحن شسْنا صادفتنا عصابةٌ * حروريةٌ أضحتْ من الدين مارقه

أجازتْ الينا العسكرين كليهما * فباتتْ لنا دون اللحاف مُعانقه

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائب وأصله من قولك أضمرتُ الشيء أى أخفيتُه عنك ويقال مالٌ عيْنٌ للحاضر ومال ضمارٌ للغائب قال الأعشى

ومن لا تضيع له ذمّةٌ * فيجعلها بعد عيْنٍ ضمارا

وقال أيضا ترانا اذا أضمرتكَ البلا * دُ نُجفى وتُقطع منا الرحمْ

والفعل من هذا أضمر يُضمر والمفعول به مُضمر والفاعل مُضمر والضمار اسم الفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تَشركُ المصادر فى معانيها تقول أعطيته عطاء فيَشركُ العطاءُ الاعطاءَ فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلّمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر يُنعتُ به الفاعل فى قولك رجل عدْلٌ ورجل كرْمٌ ورجل نوْمٌ ويوم غمٌّ وغمّ وينعت به المفعول فى قولك رجل رضًا وهذا درهم ضَرْبُ الامير وجاء فى الخلْق تعنى المخلوقين وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تركنا يوم سولاف منهمُ * أسارى وقتلى فى الجحيم مصيرها

قوله وكائن معناه كمْ وأصله كاف التشبيه دخلت على أىّ فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما انما هى ذا دخلت عليها الكاف والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأىّ فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأىّ من قرية أمليتُ لها وهى ظالمة وكأىّ من نبى قاتل معه ربّيّون كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مُدجّج * يجيء أمامَ الالف يردى مقنّعا

وقال آخر وكائن ترى يوم الغُميصاء من فتى * أُصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كَىْءٍ يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكَىْءٍ فى بنى دودانَ منهم * غداةَ الروع معروفا كمىّ

الذميم كما تجده فى الجيل وفى الدنى الناقص كما تجده فى الوفى الكامل وفى الجبان كما تجده فى الشجاع وفى الكذوب كما تجده فى الصدوق وفى العبد كما تجده فى الحر وفى الذمى ذى الجزية والصغار والذلة كما تجده فى قابض جزيته والمسلط على اذلاله ولو كان فى الكبر خير لما كان فى دهر الجاهلية أظهر منه فى دهر الاسلام ولما كان فى العبد أفشا منه فى الحر ولما كان فى السند أعم منه فى الروم والفرس وليس الذى كان فيه عن آل ساسان وأنوشروان وجميع ولد ازدشير بن بابك من الكبر فى شئ تلك سياسة للعوام وتفخيم لأمر السلطان وتشديد للملك ولم يكن فى الخلفاء أشد نخوة من الوليد من عبد الملك وكان أجهلهم وألحنهم وما كان فى ولاة العراق أعظم كبرا من يوسف بن عمر وما كان أشجعهم ولا أبصرهم

فأقام المهلب فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلّى وسلّبرى (قال الاخفش سَلّى وسَلّبْرى بفتح السين فيهما موضعان بالاهواز وسِلّى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت

كأنّ غديرهم بجنوب سِلّى * نعام قاق فى بلد قفار)

فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لاصحابه ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم حدّهم فقال له واقد مولى أبى صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيا لانى أراهم لا يصابون حتى يصيبوا فان غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا لكم ثم توجه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلّى وسلبرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يريمون الا الصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة فى جمع أكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفاه فى الدم وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزّا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد كان وجّه بالامس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الازد يردّ المنهزمين فمرّ به عامر بن مسمع فرده فقال ان الامير أذن لى فبعث الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لاصحابه ما بكم من قلة أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عيّاش وقال المهلب لاصحابه أعدوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصدّ الفارس وتصرع الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل

ولا أتمهم قواما ولا أحسنهم كلاما ولم يدع الربوبية ملك قط الا فرعون ولم يك مقدما فى موكبه ولا فى شرف حسبه ولا فى نبل منظره وكمال خلقه ولا فى سعة سلطانه وشرف رعيته وكرم ناحيته ولا كان فوق الملوك الأعاظم والجلة الأكابر بل دون كثير منهم فى الحسب وشرف الملك وكرم الرعية ومنعة السلطان والسطوة على الملوك ولو كان الكبر فضيلة وفى التيه رفعة لما رغب عنه بنو هاشم ولكان عبد المطلب أولى الناس منه بالغاية وأحقهم بأقصى النهاية ولو كان محمودا العاجل ومرجوا الآجل وكان من أسباب السادة أو من حقوق الرياسة لبدر اليه سيد بنى تميم وهو الأحنف ابن قيس ولشمخ عليه سيد بكر بن وائل وهو ملك ولا استولى عليه سيد الازد وهو المهلب ولقد ذكر أبو عمرو بن العلاء جميع عيوب السادة وما كان

حتى مر ببني العدوية من بني مالك بن حنظلة فصر بوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف في الازد فقال أصلح الله الامير أعفني من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم الا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفي القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يابني تميم أآمركم فتعصونني فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغوني رجلا جلدا يطوف في القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا لم نر رجلا قط أشد منه فطوف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب في عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والحليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود في الاصل الحمل فان نسبت الى الحي قلت فراهيدي وان نسبت الى الحملان قلت فرهودي لاغير) في عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أنا لهم الساعة أشد خوفا فاحذروا البيات قال أبو العباس ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم ففي ذلك يقول رجل من الخوارج

بسلى وسلبرى مصارع فتية * كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر بسلى وسلبرى مصارع فتية * كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال رجل من موالي المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل

فيهم من الخلال المذمومة حيث قال ما رأينا شيأ يمنع من السودد الا وقد وجدناه في سيد وجدنا البخل يمنع من السودد وكان أبو سفيان بن حرب بخيلا والعهار يمنع من السودد وكان عامر بن الطفيل سيدا وكان عاهرا والظلم يمنع من السودد وكان حذيفة بن بدر ظلوما وكان سيد غطفان والحمق يمنع من السودد وكان عيينة بن حصن محمقا وكان سيدا والاملاق يمنع من السودد وكان عتبة بن ربيعة مملقا وقلة العدد تمنع من السودد وكان شبل بن معبد سيدا ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلان والحداثة تمنع من السودد وساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة واستوت لحيته فذكر الظلم والحمق والبخل والفقر والعهر وذكر العيوب ولم يذكر الكبر لان هذه الاخلاق وان كانت داء فان في فضول احلامهم

أذنه فصرعته ثم أخذتُ الحجر فضربت به آخر على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب فى يوم سلى وسلبرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسلبرى أحاط بهم * مناصواعق ماتبقى ولاتذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا * كما تجدّل جذع مال منقعر

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثّر الله منك المسلمين فضحك الخارجى وقال

أمّك خير لك منى صاحبا * تسقيك محضا وتعلّ رائبا

وكان المغيرة بن المهلب اذا نظر الى الرماح قد تشاجرت فى وجهه نكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثّر فى أصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشدّ ما تكون الحرب أشدّ ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ماشهد معى حربا قط الا رأيت البشرى فى وجهه وقال رجل من الخوارج فى هذا اليوم

فان تك قتلى يوم سلى تتابعت * فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة نكرّ المشرفية فيهم * بسولاف يوم المأزق المتلاحم

المأزق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مؤتة الذى قتل به جعفر بن أبى طالب وأصحابه (قال الاخفش كان المبرد لا يهمز مؤتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب الى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة القُباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا لقينا الازارقة المارقة بحدّ وجدّ فكانت فى الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا درئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها

وفى سائر أمورهم مايداوى به ذلك الداء ويعالج به ذلك السقم وليس الداء الممكن كالداء المعضل وليس الباب المغلق كالمبهم والاخلاق التى يمكن معها السودد مثل الكبر والكذب والسخف مثل الجهل بالسياسة وخرجت خارجة بخراسان فقيل لقتيبة ابن مسلم لو وجهت اليهم وكيع بن أبى سود لكفاهم فقال وكيع رجل عظيم الكبر فى أنفه خنزوانة وفى رأسه نعرة وانما أنف فى اسلوب ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة وان كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب ومن تكبر على عدوه حقره واذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بخصمه ووثق

والسلام فكتب اليه القباع قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهادّ أركان المشركين وأخا السياسة وذا الرياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليك نعمه والسلام وكتب اليه أهل البصرة يهنئونه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه أما كتب الينا فقال له الرسول حملني اليك رسالة وأبلغه فقال هذه أحب الي من هذه الكتب واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن علي وهو من بني سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بينا فقال لهم اجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر وهو على الكافرين عقوبة وخزي وان يصب منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خير مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعا الأجذم والحجاج بن باب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك والله يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس فيوم سلي كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا فلا تغلبن على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمل لمحاربة المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا فأكمن للمهلب في غمض من غموض الارض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمنت في سفح هذا الجبل كمينا فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وكسفت الشمس فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجددنا في جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهان ثم كر راجعا الى أرجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير وقد جمع جموعا فلا ترهبوهم فتجبن قلوبكم ولا تغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من ارجان فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رياح بن يربوع

بفضل قوته قل احتراسه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رأيت عظيم الكبر صاحب حرب الا كان منكوبا ومهزوما ومخدوعا ولا يشعر حتى يكون عدوه عنده وخصمه فيما يغلب عليه أسمع من فرس وأبصر من عقاب وأهدى من قطاة وأحذر من عقعق وأشد اقداما من الأسد وأوثب من فهد وأحقد من جمل وأروغ من ثعلب وأغدر من ذئب وأسخى من لافظة وأشح من صبي وأجمع من ذرة وأحرس من كلب وأصبر من ضب فان النفس انما تسمح بالعناية على قدر الحاجة وتتحفظ على قدر الخوف وتطلب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب (فصل منه) وأقول بعد هذا كله ان الناس قد ظلموا أهل الحلم والعزم حين زعموا أن الذي يسهل عليهم الاحتمال معرفة الناس بقدرتهم على الانتقام فكيف

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غيثٍ * من الوسْمِىّ ينتحرُ انتحارا

فما وَهَنَ المهلبُ يومَ جاءت * عوابسُ خيلهم تبغى الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعتُ فى أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامى رجالا من بنى الهُجَيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأنّ لحاهم أذنابُ العقاعق وكانوا صبروا معه فى غير موطن وقال رجل من بنى تميم من بنى عبشمس بن سعد

ألا يا مَنْ لصَبٍّ مُستَهَنٍ * قريحِ القلبِ قد صحبَ المزونا

لهانَ على المهلب ما لقينا * اذا ما راح مسرورا بطينا

يجرّ السابرىَّ ونحن شُعْثٌ * كأنّ جلودنا كُسِيَتْ طحينا

المزونُ عُمانُ وهو اسم من أسمائها قال الكميتُ

فأما الأزدُ أزدُ أبى سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير وأطفأتَ نيرانَ المزون وأهلها * وقد حاولوها فتنةً أن تُسعَّرا

وحمل يومئذ الحريشُ بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدقّ صُلبَه وقال قيسُ الاكاف غداةَ الرَوع يعلمُنى * ثبْتَ المقام اذا لاقيتُ أقرانى

وقد كان قُتلَ المهلبِ يوم سلى وسليرى صار والى البصرة فذكر وا أن المهلب أصيب فهمَّ أهل البصرة بالنُقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناسُ وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنفُ بن قيس البصرةُ بصرةُ المهلب وقدم رجل من كندةَ يقال له فلان ابن أرقم فنَعَى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكّن رمحه من صلبه فقدم المنعى فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسستُ برمحه بين كتفىّ صحتُ البقيّةَ فرفعه عنى وتلا بقيةُ الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين ووجّه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس عُبَيدالله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبدالله بن أبى ربيعة القُباع فلما صار بكُرْبُج دينار لقيه حبيبُ وعبد الملك وعلى بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارقَ ابن الماحوز وهذا رأسُه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولىَ الحجاجُ دخل عليه علىُّ بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخُبّر فقتله ووهب ابنه الازهرَ وابنتَه لاهل الأزدىّ المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية

والمذكور بالحلم والمشهور بالاحتمال يقيض له من السفهاء ويُتاح له من أهل البذاء ما لا يقوم له صبر ولا ينهض به عزم بل على قدر حلمه يتعرض له وعلى قدر عزمه يمتحن صبره ولأن الذى سهل عليه الحلم ومكّنه من العزم معرفة الناس بقدرته على الانتقام واقتداره على شفاء الغيظ فان منعه لنفسه ومجاذبته لطبعه مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشد عليه فى المزاولة وأبلغ فى المشقة والمكابدة من صبر الشكل على أذى شكله واحتمال المظلوم عن مثله وان خاف الطمس وتوقع العيب

(فصل منه) ومن بعد هذا فمن شأن الايام أن يظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تابعا فاذا عاد متبوعا عادت عليه من محاسن غيره باضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف اليه ومن شوارد الأفعال ومن شواذ

الحرث البقاع حتى عزل الحرث وولى مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم علي واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم اني قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقني اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد وقال للمهلب أشر علي برجل أجعله بيني وبين عبد الملك فقال أذكرك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي أو زياد ابن عمرو بن الاشرف العتكي أو داود بن قحذم فقال أو تكفيني قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفي أمر الخوارج ويفد الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبي بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني ان جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها الا حد فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فولى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن علي السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الازدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هنالك فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشيء

المكارم ان كان سيدا ومن غريب الامثال ان كان منطيقا ومن خيار القصائد ان كان شاعرا فما الأمارات لها ولا سمات عليها فكم من يد بيضاء وصنيعة غراء ضلت فلم يقم بها ناشد وخفيت فلم يظهرها شاكر والذي ضاع للتابع قبل أن يكون متبوعا أكثر مما حفظ والذي كتم أكثر مما ذكر وما ظنك بشيء مذكوره يهب السيادة ومشكوره يهب الرياسة على قلة الشكر وكثرة الكفر وقد يكون الرجل تام النفس ناقص الاداة فلا يستبان فضله ولا يعظم قدره كالمفرج الذي لا عشيرة له والاتاوي الذي لا قوم له وقد يعظم المفرج الذي لا ولاء له ولا عقد جوار ولا عهد حلف اذا برع في الفقه وبلغ في الزهد باكثر من تعظيم السيد بجهة تعظيم الديان كان طاعة السلطان غير طاعة السادة والسلطان انما يملك أبدان الناس وهم

فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلّم الله عز وجل ولم يكونوا يطعمون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدوّ ولكنكم تقولون قرشيٌّ حجازي بعيدُ الدار خيرُه لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرًا ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيدُ الله بن عمر وأمّه من بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب فقاتلهم حتى قُتل فقال قطريٌّ لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمانُ بن عبّاد فصاح به يا نعمانُ أين ابني فقال احتسِبْه فقد استُشهد رحمه الله صابرا مُقبِلاً غير مُدبِر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم يُرَ مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطري فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارجُ وانتهبها فلما استقروا قال لهم قطريٌّ أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوا وُجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم في ذلك الوقت الفزرُ بن مهزم العبديُّ فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففي ذلك يقول في كلمة له

وشدُّوا وِثاقي ثم ألجَوْا خصومتي * الى قَطَريٍّ ذي الجَبين المُفلَّقِ

وحاججتُهم في دينهم وحججتُهم * وما دينُهم غيرُ الهوى والتخلُّقِ

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش تكانفوا أعان بعضُهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كَنَف بعض) وعادوا الى ناحية أرّجان فسار اليهم عمر وكتب الى مُصعَب أما بعد فاني قد لقيت الأزارقة فرزق الله عُبيدَ الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظَفَر فتفرقوا شَذَرَ مَذَرَ وبلغتني عنهم عودةٌ فيمّمتُهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجّاعةُ بن سعيد فالتقوا فألحّ عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمَد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشجعانهم وفي يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركَض اليه قطريٌّ على فرس طِمِرّ وعمر على مُهْر فاستعلاه قطريٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصُر به مُجّاعةُ فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطري يا أبا نعامة ان عدوّ الله قد رهقك فانحط قطريٌّ

الخيار في عقولهم وكذلك الموالي والعبيد وطاعة الناس للسيد وطاعة الديان طاعة محبة وديونية والقلوب أطوع لهما من الابدان الا أن يكون السلطان مرضيا فان كان كذلك فهو أعظم خطرا من السيد وأوجه عند الله من ذلك الديان وربما ساد الاتاوي لانه عزى على حال والمفرج لا يسود أبدا لانه عجمي لا حلف له ولا عقد جوار ولا ولاء معروف ولا نسب ثابت وليس التسويد الا في العرب والعجم لا تطيع الا للملوك والذي أحوج العرب في الجاهلية الى تسويد الرجال وطاعة الأكابر بعد دورهم من الملوك والحكام والقضاة وأصحاب الأرباع والمسالح والعمال فكان السيد في منعهم من غيرهم ومنع غيرهم منهم وونوب بعضهم على بعض في كثير من معاني السلطان

(فصل من رسالته الى أبي الفرج الكاتب في

عن فرسه فطعنه مجاعة وعلى قطري درعان فهتكهما وأسرع السنان في رأس قطري فكشط عنه جلدة ونجا وارتحل القوم الى أصفهان فأقاموا برهة ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر ابن عبيد الله الى اصطخر فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هي لك فقال يزيد بن الحكم الثقفي لمجاعة

ودعاك دعوة مرهق فأجبته * عمرو وقد نسي الحياة وضاعا

فرددت عادية الكتيبة عن فتى * قد كاد يترك لحمه أوزاعا

وعزل مصعب بن الزبير وولي حمزة بن عبد الله بن الزبير فوجه المهلب اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رد مصعب والمهلب بالبصرة والخوارج بأطراف أصبهان والوالي عليها عتاب ابن ورقاء الرياحي فأقام الخوارج هناك شيأ يجبون القرى ثم اقبلوا الى الاهواز من ناحية فارس فكتب مصعب الى عمر بن عبيد الله ما أنصفتنا أقمت بفارس تجبي الخراج ومثل هذا العدو يحاربك والله لو قاتلت ثم هربت لكان أعذر لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر ابن عبيد الله يريدهم فتنحى الخوارج الى السوس ثم أتوا المدائن فقتلوا أحمر طيئ وكان شجاعا وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ففي ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحمر طيئ * بساباط لم يعطف عليه خليل

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحرث بن عبد الله القباع فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمه ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النخيلة ففي ذلك يقول الشاعر

ان القباع سار سيرا نكرا * يسير يوما ويقيم شهرا

وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين فقال قائل منهم دعوها فقالوا قد فتنتك ثم قدموها فقتلوها ثم قربوا أخرى وهم بحذاء القباع والجسر معقود بينهما فقطعه القباع وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علام تقتلونني فوالله ما فسقت ولا كفرت ولا ارتددت والناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دباها ودبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول

الناس

المودة والخلطة) أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمه عليك زعم أبقاك الله كثير ممن يقرض الشعر ويروي معانيه ويتكلف الأدب ويجتبيه أنه قد يمدح المرجو المأمون والمفتي المزور بأن يكون مخدوعا وهي الطرف مغفلا وسليم الصدر للراغبين وحسن الظن بالطالبين قليل الفطنة لأبواب الاعتذار ما جزا عن التخلص الى معاني الاعتدال قليل الحذق برد الشفعاء شديد الخوف من مباسم الشعراء حصور عند الاحتجاج للمنع سلس القياد اذا نبهته نبهته للبذل واحتجوا بقول الشاعر

أبت الخليفة فاخدعه بمسئلة
ان الخليفة للسؤال ينخدع

فانتحال المأمول الغفلة التي تعتري الكرام وخداع الجواد لخدع الطالبين ومخاريق المستميحين باب من التكرم ومن استدعاء الراغب

الناس في كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب الترامي ثم اشراعُ الرماح ثم السلة فثكلت رجلا أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فتى يقع الفعل وقال الراجز ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيري خمسا فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن علي أنا ابن عمك ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء وانما سمي الحرث بن عبد الله القباع لانه ولي البصرة فغير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير في مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقباع والقباع الذي يخفي أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال للقنفذ القبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطري ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع في أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاما له واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن علي خرج الى الري وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكان علي بن أبي طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال له عندي جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ ففي ذلك يقول الشاعر

مواقفنا في كل يوم كريهة * أسر وأشفى من مواقف حوشب
دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ تروا غ ثعلب
ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى في الموت عيسى بن مصعب

والتعرض للمجتدى والتلطف لاستخراج الأموال والاحتيال لحل عقد الأشحاء وتهييج طبائع الكرام وأنا أزعم أبقاك الله تعالى ان اقرار المسئول عما يحظى من ذلك نول واضماره لؤم حتى تصح القيمة ويعتدل الوزن وأنا أعوذ بالله من تذكر يناسب الاقتضاء ومن اقتضاء يضارع الالحاح ومن حرص يعود الى الحرمان ومن رسالة ظاهرها زهد وباطنها رغبة فان أسقط الكلام وأوغده وأبعده من السعادة وأنكده ما أظهر النزاهة وأضمر الحرص وتحلى للعيون بحسن القناعة واستشعر ذلة الافتقار وأشنع من ذلك وأقبح منه وأفحش أن يظن صاحبه أن معناه خفي وهو ظاهر وتأويله بعيد الغور وهو قريب القعر فنسأل الله تعالى السلامة فانها أصل النعمة عليكم ونحمده على اتصال نعمتنا بنعمتكم وما ألهمنا الله تعالى من وصف محاسنكم والحمد لله الذي جعل الحمد مستفتح كتابه وآخر دعوى أهل جنته ولو ان رجلا اجتهد في عبادة ربه واستفرغ مجهوده في

وقد مرّ خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نَجّى حَليلتَه وأسلَمَ شيخه * نَصْبَ الأَسِنّة حَوْشَبُ بن يَزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبى بُرْدَة يعيره بأمه وبلالٌ مَشْدود عند يوسف بن عمر يا ابن حَوْراءَ فقال بلال وكان جلدًا ان الأَمَةَ تسمى حَوْراءَ وجَيْداءَ ولَطيفةَ وزعم الكلبى أن بلالا كان جلدا حيث ابْتُلِىَ قال الكلبى ويُعجبنى أن أرى الاسير جلدًا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذى أزال سُلطانَكَ وهَدَّ ركنكَ وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعَصَبِيَّة فقال له بلال انما طال لسانك يا خالدُ لثلاث معك هُنَّ علىَّ الامرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عنى مُدْبِرٌ وأنت مُطْلَقٌ وأنا مأسور وأنت فى طينتكَ وأنا فى هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الاهتم من الحيرة وأنهم أُشابةٌ دخلت فى بنى مِنْقَر من الروم ثم انحط الزبير بن على على أصفهان فحصر بها عَتّابَ بن وَرْقاء الرياحىَّ سبعة أشهر وعتّابٌ يحاربه فى بعضهن فلما طال به الحصار قال لاصحابه ما تنتظرون والله ما تُؤْتَوْنَ من قِلّة وانكم لفُرسانُ عَشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقى مع هذا الحصار الا أن تَفْنَى ذخائركم فيموتَ أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشى الى قِرْنِه فلما أصبح الغدَ صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارّون وقد نَصَبَ لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمينَ ومن أراد الجهادَ فليخرج معى فخرج فى ألفين وسبعمائة فارس فلم يَشْعُرْ بهم الخوارج حتى غَشوهُمْ فقاتلوهم بجدّ لم يرَ الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خَلْقا وقتلوا الزبير بن علىّ وانهزمت الخوارج فلم يَتَّبِعْهُمْ عَتّابٌ ففى ذلك يقول الشاعر

ويَوْمُ يَجِىّ تلافيتَه * ولولاكَ لاصْطُلِمَ العَسْكَرُ

قال أبو العباس نُفَسِّرُ قوله ولولاكَ فى آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بنى ضَبَّةَ فى تلك الوقعة

خَرَجْتُ من المدينة مُسْتَمِيتا * ولم آلُ فى كَتيبة ياسمينا

أليس من الفضائل أنّ قومى * غَدَوْا مُسْتَلْئمين مُجاهدينا

وتزعم الرُّواةُ أنهم فى أيام حصارهم كانوا يتوافقون ويَحْمِلُ بعضُهم على بعض وربما كانت مُواقفةٌ بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح

طاعة سيده ليهب له الاخلاص فى الدعاء لمن أنعم عليه وأحسن اليه لكان حريا بذلك أن يدرك أقصى غاية الكرم فى العاجل وأرفع درجات الكرامة فى الآجل وعلى انى لا أعرف معنى أجمع لخصال الشكر ولا أدل على جماع الفضل من سخاوة النفس باداء الواجب ونحن وان لم نكن أعطينا الخلاص جميع حقه فان المرء مع من أحب وله ما احتسب ولا أعلم شيأ أزيد فى السيئة من استصغارها ولا أحبط للحسنة من العجب بها ومما يستديم الخطأ التقصير واهمال النفس وترك التوقف وقلة المحاسبة وبعد العهد بالتثبت وبهما رجعنا اليه من ضعف فى عزم وهان ما نفقد من مناقل الحلم فانا لا نجمع بين التقصير والانكار ونعوذ بالله ان نقصر فى ثناء على محسن أودعاء لمنعم ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر فما بعدلكم من تحقق الآمال والنهوض بالاثقال أكثر على انكم لم تحملونا الا الخف وقد حلنا كم الثقل ولم تسألونا الجزاء على احسانكم وقد

ويكنى

ويكنى أبا هريرة اذا تحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزبير بن علي

يا ابن أبي الماحوز والأشرار * كيف ترون يا كلاب النار
شد أبي هريرة الهرار * يهركم بالليل والنهار
ألم تروا جيًّا على المضمار * تمسي من الرحمن في جوار

فغاظهم ذلك منه فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا وتنادوهم ما فعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبلّ من علته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى أنك لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية ۞ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه قوله ألم تروا جيًّا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلت لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولاي ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رماني وأعطاني قال يزيد بن الحكم الثقفي

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * بأجرامه من قلة النيق منهوي

النيق أعلى الجبل وجرم الانسان خلقه فيقال له الضمير في موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلم لا يكون في الفعل وما أشبهه نحو انّ وما كان معها في الباب وزعم الاخفش سعيد أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوي الخفض والنصب فيقال فهل هذا في غير هذا الموضع قال أبو العباس والذي أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنت كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذي قلناه أجود ويدعي الوجه الآخر فيجيزه على بعده وأما جيٌّ فالاجود فيها أن تقول * ألم تروا جيَّ على المضمار *
فلا تنون لانها مدينة والاسم أعجمي والمؤنث اذا سمي باسم أعجمي على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جور وحمص وما كان مثل ذلك ولو كان اسما لمذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما للبلد وان لم تصرفه جعلته اسما للبلدة أو للمدينة ألا ترى أنك تصرف نوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف

سألناكم الجزاء على ما سألناكم ولم تكلفونا ما يجب لكم وكلفنا كم ما لا يجب ومن افراط الجهل أن تتذكر حقنا في تصديق ذلك الظن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس وأنا أسأل الله الذي ألزمكم المؤن الثقال ووصل بكم آمال الرجال وامتحنكم بالصبر على تجرع المرار وكلفكم مفارقة المحبوب من الأموال أن يسهلها عليكم ويحببها اليكم حتى يكون شغفكم بالاحسان الداعي اليه وصبابتكم بالمعروف الحامل عليه وحتى يكون حب التفضل والمحبة لاعتياد المنن الغاية التي تستدعي المدبر والنهاية التي تعذر المقصر وحتى تشكروا على الخير من أخطأ حظه وتفتحوا باب الطلب لمن قصر به العجز ثم اعلم أصلحك الله تعالى ان الذي وجد في العبرة وجرت عليه التجربة واتسق به النظم وقام عليه وزن الحكم واطرد منه القياس وأبانه الفحص وشهدت له العقول أن من أول أسباب الخلطة والدواعي الى المحبة ما أوجبه على

قَدَماً لو سميت به رجلا فالاعجمي بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحد وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يفعُل نحو شَدَّه يَشُدُّه وزَرَّه يَزُرُّه ورَدَّه يَرُدُّه وحَلَّه يَحُلُّه وجاء منه حرفان على يَفعِل ويَفعُل فيهما جميعا هَرَّه يَهِرُّه اذا كرهه ويَهُرُّه أجود وعَلَّه بالحناء يَعِلُّه ويَعُلُّه أجود ومن قال حَبَبْتُه قال يَحِبُّه لاغير وقرأ أبو رجاء العُطاردي فاتبعوني يَحِبَّكُم الله وذلك أن بني تميم تدغم في موضع الجزم وتحرك أواخره لالتقاء الساكنين ۞ رجع الحديث ثم ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عُبَيْدة بن هلال فقال أدلكم على من هو خير لكم مني من يطاعن في قُبُل ويحمي في دُبُر عليكم قَطَري بن الفُجاءة المازني فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا الى فارس فقال ان بفارس عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مُصْعَب بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم ترفعوا عنها الى ايذج وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجُمَيْرا فقال لاصحابه ان قطريا قد أطل علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فبعث الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطري يَمَّمَ نحو كَرْمان فأقام المهلب بالاهواز ثم كر قَطَري عليه وقد استعد فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عُدَّة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجُنَن فحاربهم المهلب فنفاهم الى رامَهُرْمُز وكان الحرث بن عَمِيرة الهَمْداني قد صار الى المهلب مراغما لعتّاب بن وَرْقاء يقال انه لم يرضه عن قتله الزبير بن علي وكان الحرث بن عَمِيرة هو الذي تولى قتله وحاص اليه أصحابه ففي ذلك يقول أعشى هَمْدان

ان المكارم أكملت أسبابها * لابن الليوث الغُرّ من قحطان
للفارس الحامي الحقيقة مُعْلِما * زاد الرفاق الى قُرَى نَجْران
الحرث بن عَمِيرة الليث الذي * يحمي العراق الى قُرَى كَرْمان
ودَّ الازارق لو يصاب بطعنة * ويموت من فُرْسانهم مائتان

(ويروى زاد الرفاق وفارس الفُرْسان) وتأويله أن الرفقة اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابن له سفرا وفي ذلك السفر يحيى بن أبي حفصة فقال لابيه زَوِّدْني فقال جرير

أزادا سوى يحيى تريد وصاحبا * ألا ان يحيى نعم زاد المسافر

بعض الناس من القبول عند أول وهلة وقلة انقباض النفوس مع أول المخالطة ثم اتفاق الأسباب التي تقع بالموافقة عند أول المجالسة وتلاقي النفوس بالمشاكلة عند أول المخالطة والأدب أدبان أدب خلق وأدب رواية ولا تكمل أمور صاحب الأدب الا بهما ولا يجتمع له أسباب التمام الامن أجلهما ولا يعد في الرؤساء ولا يثنى به الخنصر في الادباء حتى يكون عقله المتأمر عليهما والسائس له

(فصل منها) فان تمت بعد ذلك أسباب الملاقاة تمت المصافاة وحسن الألف الى سكنه والشأن قبل ذلك مما يسبق الى القلب ويخف على النفس ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه من السابق الى قلب الحاكم عليه ولذلك التمسوا الرفق والتوفيق والايجاز وحسن الاختصار وانخفاض الصوت وان يخرج الظالم كلامه مخرج لفظ المظلوم حتى يترك اللحن بحجته بعد وتخلف الداهية كثيرا من أدبه ويغض من محاسن

فما تنكروا الكوماء ضربة سيفه * اذا أرملوا أو خفّ ما فى الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل فى النفى والنصب على الشرط والخروج من العطف وفى مصحف ابن مسعود ودّوا لو تدهن فيدهنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفى الكلام ودّ لو تأتيه فتحدّثه وان شئت نصبت الثانى وخرج مصعب بن الزبير الى باجميراء ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن ولم يأت المهلب وأصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارج ما تقولون فى المصعب قالوا امام هدى قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ضالّ مضلّ فلما كان بعد يومين أتى المهلب قتل مصعب وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا امام هدى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالّ مضلّ واليوم امام هدى يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله وولى خالد بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أمن أهل هذا المصر بأن المهلب بالاهواز وعمر بن عبيد الله بفارس فقد تنحّى عمر وان نحّيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى الا عزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأشخصه فلما صار بكربج دينار لقيه قطرى فمنعه حطّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطرى بازائه وخندق على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شق نهر تيرى واتبعه قطرى فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فانى لا آمن عليه البيات فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلب لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندق علينا فخندق المهلب وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا فقال يا أبا سعيد الحزم ما تقول غير أنى أكره أن أفارق أصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبد الملك كتب الى بشر بن مروان يأمره أن يمدّ خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فقدم عليه عبد الرحمن فأقام قطرى يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى لابى عيينة انتقد الى ذلك الناوس فبت عليه فى كل ليلة فمتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيل خيل فاعجل

منطقه التماسا للمواساة خصمه فى ضعف الحيلة والتشبه به فى قلة الفطنة نعم ومتى يكتب كتاب سعاية ومحل واغراق فيلحن فى اعرابه ويتسخف فى ألفاظه ويتجنب القصد ويهرب من اللفظ المعجب ليخفى مكان حذقه ويستر موضع رفقه حتى لا يحترس منه الخصم ولا يتحفظ منه صاحب الحكم بعد أن لا يضر بعين معناه ولا يقصر فى الافصاح عن تفسير مغزاه وهذا هو الذى يكون العى فيه أبين وذو الغباوة أفطن والردئ أجود والانوك أحزم والمضيع أحكم اذ كان غرضه الذى اياه يرمى وغايته التى اليها يجرى الانتفاع بالمعنى المتخير دون المباهاة باللفظ وانما كان غايته ايصال المعنى الى القلب دون نصيب السمع من اللفظ المونق والمعنى المتخير بل ربما يرض باللفظ السليم حتى يسقمه ليقع العجز موقع القوة ويعرض العى فى محل البلاغة اذ كان حق ذلك المكان اللفظ المدون والمعنى الغفل هذا اذا كان صاحب القصة ومؤلف لفظ المحل

الينا الجاءه ليلة فقال قد تحركت القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعدّ قطرى سفنا فيها حطب
فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الا قتله
ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى
يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم
يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن
فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى الخندق فأخذ بيده رجل من الازد
فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل
لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لا تفعل
عادوا اليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الاخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم
الخوارج والله لولا هذا الساحر المزونى لكان الله قد دمر عليكم وكانت الخوارج تسمى المهلب
الساحر لانهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن
الاشعث فى كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا فى قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغنى عن اعادته ۞ ونذكر فيروز حصين
لما مر من ذكره كان فيروز حصين رجلا جيد البيت فى العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم
والى حصينا وهو حصين بن عبد الله العنبرى من بنى العنبر بن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم
وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروى الرواة أن رجلا من العرب
كانت أمه فتاة فقاول بنى عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال هذا خالى فمن منكم له
خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا
وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الاشعث
برستقاباذ نادى منادى الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ففصل فيروز من الصف
فصاح بالناس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالى ووفائى من
أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركنى أكثر التلفت وانى لبين خاصتى فأتى
به الحجاج فقال له أأنت الجاعل فى رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك

والسماية ممن يتصرف فيه ويعلل لسانه ويلتزق فى مذاهبه ويكون فى وسعه وصل لان يحط نفسه فى طبقة الذل وهو عزيز ويحكى العى وهو بليغ ويتحول فى هيئة المظلوم وهو ظالم ويمكنه تصوير الباطل فى صورة الحق وسترا لعيوب بزخرف القول واذا شاء طفا واذا شاء رسب واذا شاء أخرجه صقلا صحيحا وما أكثر من لا يحسن الا الجيد فان طلب الردى جاوزه كأنه ما أكثر من لا يستطيع الا الردئ فان طلب الجيد قصر عنه وليس كل بليغ يكون بتلك الطباع وميسر الاداة وموسعا عليه فى تصريف اللسان ومعونا عليه فى تحويل القلم وما أكثر من البصراء من يحكى العميان ويحول لسانه الى صورة لفظ الفأفأ بما لا يبلغه الفأفأ ولا يحسنه التمتام وقد نجد من هو أبسط لسانا وأبلغ قلما لا يستطيع مجاوزة ما يشركه والخروج عما قصر عنه

(فصل منها) ولولا الحدود المحصلة والاقسام المعتدلة لكانت الأمور سدى والتدابير مهملة ولكانت صورة الحكيم

ثم لاحملنك أين المال قال عندى فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجنى الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلبك يرق على ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحل الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدق بماله ثم رد الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فشد فى القصب الفارسى ثم سل حتى شرح ثم نضح بالخل والملح فما تأوه حتى مات ۞ ومضى قطرى الى كرمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطرى بكرمان أشهرا ثم عمد لفارس وخرج خالد الى الاهواز وندب الناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر انى قد وليت أخى قتال الازارقة فولى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلب على الاهواز فى ثلثمائة ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفا والخوارج بدراب جرد فجعل عبد العزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة أن هذا الامر لا يتم الا بالمهلب فسيعلمون قال صعب بن زيد فلما خرج عبد العزيز عن الاهواز جاءنى كردوس حاجب المهلب فقال أجب الامير فجئت الى المهلب وهو فى سطح وعليه ثياب هروية فقال يا صعب أنا ضائع كأنى أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافينى الازارقة ولا جند معى فابعث رجلا من قبلك يأتينى بخبرهم سابقا به الى فوجهت رجلا يقال له عمران بن فلان فقلت اصحب عسكر عبد العزيز واكتب الى بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغى أن تتركه أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الا الامر قريب فنزل الناس على غير أمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليهم سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم والناس ينهونه ويأبى وكان قد جعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمى الملقب عبس الطعان وعلى بكر بن وائل مقاتل بن مسمع القيسى وعلى شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود وامرأته فسبوا

بادية ولا اختلطت السافلة بالعالية

(فصل منها) وأنا أقول بعد هذا كله لو لم أضمر لكم محبة قديمة ولم أضر بكم بشفيع من المشاكلة ولا بسبب الأديب الى الأديب ولم يكن على قبول ولا على حلاوة عند المحصول ولم أكن الا رجلا من عرض المعارف ومن جمهور الاتباع لكان فى احسانكم الينا وانعامكم علينا دليل على انا قد أخلصنا المحبة وأصفينا لكم المودة واذا عرفتم ذلك بالدليل النير الذى أنتم سببه والبرهان الواضح الذى اليكم مرجعه لم يكن لنا عند الناس الا توقع ثمرة الحب ونتيجة جميل الرأى وانتظار ما عليه مجازاة القلوب وبقدر الانعام تجود النفوس بالمودة وبقدر المودة تنطلق الألسن بالمدحة وهذه الوسيلة أكثر الوسائل وأقواها فى نفسى انى لم أصل سببى بحرم وخمر ولا بفضل غفل ولا بضيق العطن حديث الغنى ولا برم المروءة مستنبط الثرى بل وصلته وصلة لحمال أثقال ومقارع أبطال وبمن ولد فى اليسر وربى فيه وجرى منه على عرق ونزع اليه

النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تُحصَى فقذفوهم فى غار بعد أن شدّوهم وثاقا ثم سدّوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل حضر ذلك اليوم رأيتُ عبدَ العزيز وان ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تَحِيك فى جسده يقال ما أحاكَ فيه السيف وما يَحيك فيه وما حكَّ ذا الامرُ فى صدرى وما حَكَى فى صدرى وما احتَكَى فى صدرى ويقال حاكَ الرجلُ فى مشيته يَحِيك اذا تبختر ونُودِى على السَّبِي يومئذ فغُولِيَ بأم حفص فبلغ بها رجلٌ سبعين ألفا وذلك الرجلُ من مَجوسَ كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج فَفَرَضَ لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قَطَرِى وقال ما ينبغى لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوَثَبَ اليها أبو الحَديد العبدىّ فقتلها فأُتِيَ به قطرىٌّ فقال يا أبا الحديد مَهْيَمْ فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبتَ وأحسنتَ فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنةً عَظُمَتْ وجَلَّتْ * بحمد الله سيفُ أبى الحَديد

أهابَ المسلمونَ بها وقالوا * على فَرْطِ الهوَى هل من مَزيدِ

فزاد أبو الحديد بنَصْلِ سيف * رَقيقِ الحدِّ فِعْلَ فَتًى رَشيدِ

قوله أهاب يريد أعلن يقال أَهَبْتُ به اذا دعوتَه مثل صوّتَ قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مُهيبُ * وماتَتْ نفوسٌ للهوى وقلوبُ

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبرُ وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عَوْف رَدْعَ خَلُوق فقال مَهْيَمْ فقال تزوجتُ يا رسولَ الله فقال أَوْلِمْ ولو بشاة وكان تزوج على نَوَاة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نَوَاةً فتَعْنِي بها خمسة دراهم كما تقول النَّشّ لعشرين درهما والأُوقِيَّةُ لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العَلاءُ بن مُطَرِّف السَعْدىّ ابنَ عمِّ عَمْرٍو القَنَا وكان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزةً فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فضحكْ عمرو وقال متمثلا

تَمَنَّانِى لِيَلْقانِى لَقيطٌ * أُعامِ لَكَ ابنَ صَعْصَعَةَ بنَ سَعْدِ

ثم صاح به انجُ أبا المُصَدِّى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدى وهذا البيت الذى تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصَعِقِ الكِلابىّ يقوله يعنى لَقيطَ بن زُرارَةَ وكان يطلبه وقوله أعامِ لك

يريد

(فصل منها) ولا خير فى سمين لا يحتمل هزال أخيه وصحيح لا يجبر كسر صاحبه
(فصل منها) وقد تنقسم المودة الى ثلاث منازل منها ما يكون على اهتزاز الأريحية وطبع الحرية ومنها ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة ومنها ما يحسن موقعه على قدر طباع الحرص وجشع النفس فارفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة وهو الذى يدوم شكره ويبقى على الأيام وده والثانى هو الذى انما استدعيه على قدر موقع المال من قلب الحريص الجشع واللئيم الطمع فهذا الذى لا يشكر وان شكر لم يشكر الا ليستزيد ولم يمدح الا ليستمد وعلى أنه لا يأتى الحمد الا زحفا ولا يفعله الا تكلفا وأنا أسأل الله الذى قسم له أفضل الحظوظ فى الانعام أن يقسم لنا أفضل الحظوظ فى الشكر وما غاية قولنا هذا ومدار أمرنا الا على طاعة توجب الدعاء وحرية توجب الثناء شاكرين كنا أو منعمين وراجين كنا أو مرجوين ومن صرف الله حاجته الى الكرام وعدل به عن

يريد يا عامر فرخَّم وانما يريد الحىّ تعجبا أى لكم أعجب من غنيه للفاتى فدعا بنى عامر بن صعصعة
وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة
ابن تميم لا ابن معاوية وانهم ناقلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة
ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب
وشبيه به قول الصلتان العبدى

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه * جريرٌ ولكن فى كليبٍ تواضعُ

على معنى قوله فلله درُّه شاعرا وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له احداهما من بنى
ضبّة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما
يومئذ وحمل الضبية أوّلا ففى ذلك يقول

ألستُ كريماً اذ أقولُ لفتيتى * قفوا فاحملوا قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضاراً لاصبحت * تجرُّ على المتنين أمُّ جميل

قال الصعب بن يزيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرتُ الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة
آلاف درهم فلم أحسس خبرا فسرتُ مهجّرا الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعتُ كلام رجل
عرفته من الجهاضم فقلت ماوراءك فقال الشر قلتُ فأين عبدُ العزيز قال أمامك فلما كان من
آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلتُ من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز
فتقدمت اليه فسلمتُ وقلتُ أصلح الله الامير لا يكبرنّ عليك ما كان فانك كنت فى شرّ جند
وأخبثه فقال لى أو كنتَ معنا قلت لا ولكن كأنى شاهدٌ أمرك قال كأنك كنت معنا قلت
أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلتُ الى المهلب فقال لى ماوراءك قلت ما يسرك قد
هُزم وقُتل جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وقتل جيش من المسلمين قلت
قد كان ذلك ساءك أو سرّك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرتُ خالدا قال كذبتَ
ولؤمتَ ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله هممت أن أضرب عنقك قلتُ أصلح
الله الامير ان كنتُ كاذبا فاقتلنى وان كنتُ صادقا فأعطنى مُطرَف هذا المتكلّف فقال خالد
لبئسما أخطرتَ به دمك فما برحتُ حتى دخل بعضُ الفَلّ وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فأكرمه

اللئام فلا يعدن نفسه فى
الراغبين ولا فى الطالبين
المؤملين لان من لم يجرع
مرارة المطال ولم يعد
للرجل التسويف
ويقطع عنقه بطول
الانتظار ويحمل مكروه
ذل السؤال ويحمل على
طمع بحثه يأس كان
خارجا من حدود المؤملين
ومن استولى على طمعه
الثقة بالانجاز وعلى طلبته
اليقين بسرعة الظفر
وعلى ظفره الجزيل من
الأفضال وعلى افضاله
العلم بقلة التثريب
وبالسلامة من التنقيص
بالتماس الشكر وبالغدو
وبالرواح وبالخضوع اذا
دخل والاستكانة اذا جلس
ثم مع ذلك لم يكن ما أنعم به
عليه ثوابا لسالف يد ولا
تعويضا من كد النعمة
كانت محضة خالصة
ومهذبة صافية وهى
نعمتكم التى ابتدأتمونا
بها ولا تكون النعمة
سابغة ولا الايدى شاملة
ولا الستر كثيفا ذيالا
وكثير العرض مطبقا
ودون الفقر حاجزا وعلى
الغنى ملتفا حتى يخرج
من عندكم ثم يحتسب
الى شاكر هو
(فصل منها) وأنتم قوم
تقدمتم بابتناء المكارم
فى حال المهلة وأخذتم

المهلبُ وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تَحَسَّسْ عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حَبيبٌ مقيما والازارقة تَدنو منه حتى بلغوا قنطرة أرْبُكَ فانصرف الى البصرة على نهر تِيرَى فلما دخلها أُعْلِمَ خالدٌ فغضب عليه واستتر حبيب فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هنالك فى استتاره الهلالِيَّةَ أمّ عَبَّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يُفَيِّل رأيه أى يخطئه

بعثْتَ غلاما من قريش فروقةً * وتترك ذا الرأى الاصيل المُهَلَّبا

أبَى الذمَّ واختار الوفاء وأُحْكِمَتْ * قُواه وقد ساسَ الامورَ وجرَّبا

وقال الحرث بن خالد المخزومى فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الابـ * ـطال بالسَّفح نازلوا قطريّا

ويروى فرعبدُ العزيز اذراءَ عيسى * وابن داود نازلا قطريا

عاهدَ الله ان نجا مِلْمَنايا * لَيَعودَنَّ بعدها حُرَميّا

يسكنُ الخلَّ والصفاحَ فَغَوْ * رَا وسَلْعا وتارةً نجديّا

حيث لا يشهدُ القتالَ ولا يسـ * ـمع يوما لكَرِّ خيل دويّاً

قوله اذراء عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف وأخر الهمزة كما قال كُثَيِّر

وكُلُّ خليل راءنى فهو قائلٌ * من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غد

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء الله وقوله مِلمنايا يريد من المنايا ولكنه حَذَفَ النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذ لقيت لام المعرفة ظاهرةً فيقولون فى بنى الحرث وبنى العنبر وما أشبه ذلك بَلْحرث وبَلْعنبر وبَلْهُجَيم كما يقولون عَلْما بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تَنْسُبُ الى الحرم فيقولون حِرْمِيٌّ وحُرْمِيٌّ على قولهم حُرْمةُ البيت وحِرْمةُ البيت وقال النابغة الذُّبْيانىُّ

من قول حِرْمِيَّةٍ قالت وقد رحلوا * هل فى مُخَفِّيكُمُ مَنْ يشترى أدَما

والخلّ ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعذر عبد العزيز وقال للمهلب ما ترى عبد الملك صانعا بى قال يعزلك قال أتُراه قاطعا رحمى قال نعم أتته هزيمةُ أُمَيَّةَ أخيكَ

لأنفسكم فيها بالثقة على مقادير ما مكنتم الأواخى ومددتم الاطناب وثبتم القواعد ولذلك قال الأول
عزمت على اقامة ذى صباح
لأمر ما يسود من يسود
وأبو الفرج أعزه الله فتى العسكرين وأديب المصرين جمع أريحية الشباب ونخابة الكهول ومجد السادة وبهاء القادة وأخلاق الأدباء ورشاقة عقول الكتاب والتغلغل الى دقائق الصواب والحلاوة فى الصدور والمهابة فى العيون والتقدم فى الصناعة والسبق عند المحاورة شقيق أبيه وشبه جده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لم يتأخر عنهما الا فيما لا يجوز أن يتقدمهما فيه ولم يقصر عن شأوهما الا بقدر ما قصرا من سنهما وهم وان قصروا عن مدى آبائهم وعن غايات أوائلهم فلم يقصروا عن جلة الرؤساء وأهل السوابق من الكبراء واستوى تاليهم الاسابقا ومصليهم الا اللغاية مجاوزا ليس فيهم سكيت ولا مبهور ولا منقطع قد نفحت اعراقهم من الاقراف والهجنة ومن الشوب ولؤم العجلة

من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد أما بعد فانى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الحروب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى مالا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالدا لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظا وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما اقرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولى المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى شهار طاق فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الامير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للامير اذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شئ وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا

ومتى عاينت أبا الفرج وكماله ورأيت ديباجته وجماله علمت أنه لم يكن فى ضرائبهم وقديم نحلهم خارجى النسب ولا مجهول المركب ولا بهيم مصمت ولا كثير الاوضاح مغرب بل لا ترى الا كل أغر محجل وكل ضخم المخرج هيكل انى لست أخبر عن الموتى ولا استشهد بالغيب ولا استدل بالمختلف فيه ولا الغامض الذى تعظم المؤنة فى تعرفه والشاهد لقولى يلوح فى وجوههم والبرهان على دعواى فى شمائلهم والأخبار مستفيضة والشهود متعاونة وأنت حين ترى عتق تلك الديباجة ورونق ذلك المنظر علمت أن التالد هو قياد هذا الطارف اما أنا فلم أر لأبى الفرج أدام الله كرامته ذاما ولا شانئا ولا عائبا ولا هاجيا بل لم أجد مادحا قط الا ومن مع سابق الى تلك المعانى ولا رأيت واصفا له قط الا وكل من حضر يهش له ويرتاح لقوله قال الطرماح

هل المجد الا السودد المعود الندى
ورب الجدى والصدر عند الواطن
ولكن هل المجد الا كرم الارومة والحسب وبعد

فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال نصيحة للامير والمسلمين ولا أعود الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الازدي فعقد له واختار له من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن ابن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا من مشايخ أهلي وسيدا من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الازارقة بدنوهم منهم انكشفوا عن الفرات فاتبعهم المهلب الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبح أيها الامير ليس برأي قتل هذه الاكلب ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى محمد بن اسحق بن الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا فحلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الاهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه الى من بالاهواز يحلف فيه بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لا أرى وجوها ما القبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدري ما في أنفسنا وجعلوا يستحثونه في قراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه

ان

الهمة وكثرة الأدب والثبات على العهد اذا زلت الاقدام وتوكيد العقد اذا انحلت معاقد الكرام والاالتواضع عند حدوث النعمة واحتمال كل العثرة والنقد في الكتابة والاشراف على الصناعة والكتاب وهي القطب الذي عليه مدار علم ما في العالم وآداب الملوك وتلخيص الألفاظ والغوص على المعاني السديدة والتخلص الى اظهار ما في الضمائر بأسهل القول والتمييز بين الحجة والشبهة وبين المفرد والمشترك وبين المقصور والمبسوط وبين ما يحتمل التأويل عما لا يحتمله وبين السليم والمعتل فبارك الله لهم فيما أعطاهم ورزقهم الشكر على ما خولهم وجعل ذلك موصولا بالسلامة وبما خطهم من السعادة انه سميع قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه في استحقاق الامامة)

بعون الله تعالى نقول واليه نقصد واياه ندعو وعلى الله قصد السبيل اعلم أن الشيعة رجلان زيدي ورافضي وبقيتهم نزر كأجاء لا زمام لهم وفي الأخبار عنهما غنى عمن سواهما قالت علماء

أن يأذن لهم فى الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف فى عدد قليل فلم يلبثوا أن ولى الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك فى سنة خمس وسبعين فخطبهم وتهددهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندى الا السيف ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لاهلها ما قوتل عدو ولا جبى فى ولا عز دين ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة أيام فاتخذ سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمى بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع لكم منى هو أشد بنى تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس على وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه ففى ذلك يقول ابن الزبير الاسدى

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا

تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا

هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

فان أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هى أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدى من الحجاج وقال

أقاتلى الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقد مرت هذه الابيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بنى يشكر وكان شيخا كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله الامير ان بى فتقا وقد عذرنى بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندى لصادق ثم أمر به فضربت

الزيدية وجدنا الفضل فى الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله على أربعة أقسام أولها القدم فى الاسلام حيث لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد فى الدنيا فان أزهد الناس فى الدنيا أرغبهم فى الآخرة وآمنهم على نفيس المال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذى به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشى بالسيف كفاحا فى الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس وراء بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب ويرتجيها راغب ولم نجد فعلا خامسا فنذكره فتى رأينا هذه الخصال مجتمعة فى رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الاخبار وحمال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم على وقال فريق منهم أبو بكر وقال آخرون زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد كل واحد من هذه الفرق قاطعا لعذر صاحبه ولا نافلا له عن

عنقه ففى ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن منبرة قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ماقبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزكم ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجير لهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فان بشر ارحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عنك فأعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا للقتال وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحاربهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء

مذهبه وان كانت الرواية فى تقدم على أكثر واللفظ به أظهر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفرا ومن قائل يقول أبو دجانة ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على أن لعلى رضى الله عنه من قتل الاقران والفرسان والاكفاء ماليس لهم فلا أقل من أن يكون فى طبقتهم وان نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا على وعمر وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على أن عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكأحدهم وان نحن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على أن عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس

الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جلة العسكري حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يعد هؤلاء الا البيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فينسل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثل

ان لها لسائقا عشنزرا * اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو واني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي واخترتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه في الجواب فكتب اليه المهلب ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن وزعمت أني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت الي صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة اني أخاف البيات على بني تميم فانهض اليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ما قبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدهم الى ناحية بني تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

اني لمذك للشراة نارها * ومانع ممن أتاها دارها * وغاسل بالطعن عنها عارها *

فوجد بني تميم أيقاظا متحارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وقرا أنجادا * لا كشفا ميلا ولا أوغادا

وخشونة المأكل والرضا بالسير والتبلغ بالحقير وخلاف النفس عن الفضول ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله بأدم وقطع ما فضل من كمه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع أن زهده هو أفضل من زهدهم لأنه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما أن زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن يعد في طبقتهم ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب عن الاسلام بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء وأهل القدم في الاسلام ولم نجدهم ذكروا لابن عفراء والزبير وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة عمرو وابن مسعود وأبي بن كعب كما ذكروا عليا في طبقتهم ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة معاذ وأبي الدرداء

هيهات لا تلقوننا رقادا * لابل اذا اصبح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى أين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لي حر ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسي فيما بين سفوان وخراسان قوله وجدتم وقرا جمع وقور والنجد ضد البليد وهو المتيقظ الذي لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان قالوا الذي لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذي لا سيف معه والاكشف الذي لا ترس معه والأجم الذي لا رمح معه والحاسر الذي لا درع عليه والأعزل الذي لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتي عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم في عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى ارتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت أصحابنا تدمى نحورهم * وجئت تسعى الينا خضفة الجمل

قوله خضفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضف البعير وأنشدني الرياشي لأعرابي يذم رجلا الخذولية

انا وجدنا خلفا بئس الخلف * أغلق عنا بابه ثم حلف
لا يدخل البواب الا من عرف * عبدا اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء بحمله اذا حمله في ثقل وتكلف وفي القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبج الرجل وحبق وخضف وردم كل ذلك اذا ضرط) فلامهم المهلب وقال بئسما فعلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا

اميرهم

وأبي وعمار وبلال وعثمان ابن مظعون كما ذكروا عليا في طبقتهم فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وأهل هذه الطبقات الذين هم الغايات علمنا أنه أفضل وان كل واحد منهم وان كان قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي رضوان الله عليه وتقديمه على غيره وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة الا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقل طعنا وخلافا وذلك أن العرب وقريشا كانوا في أمره على طبقات من رجل قد قتل علي أباه وابنه أو أخاه أو ابن عمه أو حميمه أو صفيه أو سيده أو فارسه فهو بين مضطغن قد دام على حقده ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة قد كشف قناعه وأبدى عداوته ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضغنه يرى أن سترهما في نفسه ومداراة عدوه أبلغ في التدبير وأقرب من الظفر فانما يحجزه أدنى علة تحدث وأول تأويل يعرض أو فتنة تهيج فهو

أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دولاب وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عني ووجه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه في مناجزة القوم وكتب اليه انك تحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لأصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمع فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملون فقالوا الا حتى تملوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارج ونحن بنو تميم فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراء بن قبيصة الى الحجاج فقال له مه قال رأيت قوما لا يعين عليهم الا الله وكتب اليه المهلب اني منتظر بهم احدى ثلاث موت ذريع أو جوع مضر أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلب لا يتكل في الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحل محلهم في الثقة عنده وقال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب

عدمتك يا مهلب من أمير * أما تندى يمينك للفقير

بدولاب أضعت دماء قوم * وطرت على مواشكة درور

فقال المهلب ويحك والله اني لأقيكم بنفسي وولدي قال جعلني الله فداء الأمير فذاك الذي نكره منك ما كلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تقدم عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكلحبة اليربوعي

فقلت لكأس ألجميها فانما * نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولي أحب الي منه

فلما وقفتم غدوة وعدوكم * الى مهجتي وليت أعداءكم ظهري

وطرت ولم أحفل مقالة عاجز * يسائق المنايا بالردينية السمر

فقال المهلب بئس حشو الكتيبة والله أنت فان شئت أذنت لك فانصرفت الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الأمير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه

يرى حتما عليه أبو سعيد * جلاد القوم في أولى النفير

وصد الفرقة ويترقب الفتنة حتى يصول صولة الأسد ويروغ روغان الثعلب فيشفي غليله ويبرد ناره واذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب وان يموه له الشيطان الوثوب ويزين له الطلب لانه قد عرف ما أتاه وكيف يختله من طريق هواه فاذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقوا احتراسه وكان بعرض هلكة على جناح تغرير لانه منقسم الرأي متفرق النفس قد اعتلج على قلبه غيظ الثار على قرب عهده باخلاق الجاهلية وعادة العرب من الثار وتذكر الأحقاد والأمر القديم وشدة التصميم ومن رجل همته حداثته وأنف أن يلي عليه أصغر منه ومن رجل عرف شدته في أمره وقلة اعتقاده في دينه وخشونة مذهبه ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان في نصاب واحد وينبيان في مغرس واحد لان ذلك أقطع لاطماع قريش أن يعود الملك دولة في قبائلها ومن قريش خاصة في بني عبد مناف الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى لان الرحم كلما كانت امس

اذا نادى الشراةُ أبا سعيد * مشى فى رفْلِ مُحْكَمةِ القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صُهيب فيقال له أيها الامير بيهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأى مُحْكَمُ العقل وذو الرأى حذِر سؤول فأنا آمَنُ أن يُغتفَل فلو كان مكانه ألفُ شجاع قلت انهم ينشامون حتى يُحتاجَ اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور وبين المهلب وبين الشُراة عقبةٌ فقال المهلب من يكفينا هذه العقبةَ الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلبُ سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحَظُّ فى ذلك لنا فلم نُطِعْهُ فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمُغيرةُ لا ثالثَ لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشُراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عُمانَ على فرس فجعل يَحْمِلُ وفرسه يَزْلَقُ وتلقاه مُدْرِكُ بن المهلب فى جماعة معه حتى ردَّهم فلما كان يومُ النَّحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألَّبُوا فقال المهلب سبحانَ الله أفى مثل هذا اليوم يا مُغيرةُ اكفنيهم فخرج اليهم المغيرةُ بن المهلب وأمامه سَعْدُ بن نَجْدٍ القُرْدوسىُّ وكان سعد شجاعا متقدما فى شجاعته وكان المهلبُ اذا ظَنَّ برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنتَ سعد بن نجد القُرْدوسىَّ ما عَدَا (وقُرْدوسٌ من الأَزْدِ) فخرج أمامَ المغيرة وتبع المغيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلب فالتقوا وأمامَ الخوارج غلامٌ جامعُ السلاح مَديدُ القامة كريهُ الوجه شديد الحَمْلة صحيح الفُروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صَبَحْنا كُمْ غَداةَ النحر * بالخيل أمثالِ الوَشِيجِ تَجْرِى

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسى من الازد ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناسُ فصُرِعَ يومئذ المغيرةُ فحامى عليه سعدُ بن نجد وذُبيانُ السخْتيانىُّ وجماعة من الفُرسانِ حتى ركب وانكشف الناس عند سَقْطة المُغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلبِ فقالوا قُتِلَ المغيرة ثم أتاه ذُبيانُ السختيانى فأخبره بسلامته فأعتَقَ كلَّ مملوك كان بحضرته ووجه الحجاجُ الجَرَّاحَ بن عبد الله الى المهلب يستبطئه فى مُناجزة القوم وكتبَ اليه أما بعد فانك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ وتحصنت بالخنادق وطاولْتَ القومَ وأنت أعزُّ ناصرًا وأكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جُبْنًا

ولكنك

والجوار أقرب والصناعة أشكل كان الحسد أشد والغيظ أفرط فكان أقرب الأمور الى محبتهم اخراج الخلافة من ذلك المعدن ترفيها عن أنفسهم من ألم الغيظ وكذا الحسد

﴿فصل منها﴾ وضرب من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم وأعراب أجلاف وأشباه الأعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن تهيجهم اذا سكنوا ان اخصبوا طغوا فى البلاد وان أجدبوا آثروا العناد وهم موكلون ببغض القادة وأهل الثراء والنعمة يتمنون له الغلبة ويشمتون بالعشيرة ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة فلما كان الناس عند على وأبى بكر على الطبقات التى ذكرنا والمراتب التى رتبنا أشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافى عن الأمر فاغتفر المجهول ضنا بالدين وايثار الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه

ولكنك اتخذت أكلاً وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتني والسلام فقال
المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من
ابطاء النصر وتراخي الظفر ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم
ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج
قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم
على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا وقد عاتبتني معاتبة الجبان وأوعدتني وعيد العاصي فاسأل
الجراح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط
ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم
ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون
كأن لم يصنعوا شيئا رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته يا أبا عقبة قال الحق
أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد
الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر
بطبعها ففي ذلك يقول عمران بن عصام العنزي

ضربوا الدراهم في امارتهم * وضربت للحدثان والحرب
حلقا ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والي أصبهان يأمره
بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل
البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا افتتحه لأهل الكوفة
فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب في احدى جماديين من سنة ست
وسبعين على المهلب وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس
وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج في أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من
جميع النواحي فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد
ابن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زيادا الى ابنه

وعلم أن هلكتهم لا تقوم
بأزاء فرق ما بين حاله وحال
أبي بكر في مصلحتهم وقد
علم بعد ذلك أن مسيلمة
قد أطبق عليه أهل
اليمامة ومن حولها من
أهل البادية وهم القوم
الذين يصطلي بنارهم
ولا يطمع في ضعفهم وقلة
عددهم فكان الصواب
ما رآه علي من الكف عن
تحريك الهرج اذ أبصر
أسباب الفتن شارعة
وشواكل الفساد بادية
ولو هرج القوم هرجة
وحدثت بينهم فرقة كان
حوب بوارهم أغلب من
الطمع في سلامتهم وقد كان
أبو بكر وعمر وأبو عبيدة
وفضلاء أصحابه يعرفون
من ذلك الآراء شبيها بما
يعرفه علي فعلموا أن أول
احكام الدين المبادرة الى
اقامة امام المسلمين لئلا
يكونوا نشرا ولئلا يجعلوا
للمفسدين علة وسببا فكان
أبو بكر أصلح الناس لها
بعد علي فأصاب في قيامه
والمسلمون في اقامته
وعلي في تسويغه
والرضا بولايته منة على
الاسلام وأهله فلما قمع
الله تعالى أهل الردة بسيف
النقمة وأباد النفاق وقتل
مسيلمة وأسر طلحة
ومات أصحاب الأوتاد
ونفيث الضغائن راح

حبيب وضم الثقفي الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفي ثم باكروهم في اليوم الثاني وقد وجد الثقفي فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفي يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدي

ألا يا اصطحابي قبل عوق العوائق * وقبل اخترام القوم مثل العقائق

غداة حبيب في الحديد يقودنا * تخوض المنايا في ظلال الخوافق

حرون اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق

فمن مبلغ الحجاج أن أمينه * زيادا أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اخترام القوم مثل العقائق يعني السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أي كأنه لمعة برق ويقال انعق البرق اذا تبسم والعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبي أي بالشعر الذي ولد به لم يحلقه ويقال عققت الشيء أي قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبي اذا ذبحت عنه وقال أعرابي

ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني * اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها

أحب بلاد الله ما بين مشرف * الي وسلمى أن يصوب سحابها

بلاد بها عق الشباب تميمتي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب بن نعيم بن هبيرة بن أبي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها الحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر

فكانت

الحق الى أهله وعاد الأمر الى صاحبه قالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله طاعته وتقديمه اما للاصلحة والاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما التغليظ في المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر والملائكة أفضل من آدم ولأن جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بني اسرائيل وفيهم يومئذ داود نبي صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذي أخبر الله عنه في القرآن بقوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا الى آخر الآية

(فصل من صدر رسالة في استنجاز الوعد) قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه فان كان الوجه انما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع والشام والذائق اذا كان حسنا جميلا وعتيقا

فكانت تميم قاطبة وعتّاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بنى اياد بن سود

ألا أبلغ بنى ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * للاقت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم فشخص عتّاب بن ورقاء الى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيب وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الى وقد وجهت اليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب والدراهم الى قطرى فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتاب قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلم علمها فأمر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبيّن فقال له ما حال هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطرى قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكّر له عبد ربه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدسّ اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدت لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلب فوجّه اليهم رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة

بها فوجهك الذى لا يحيل على أحد كماله ولا يخطى حواله وان كان ذكر الوجه انما يقع على حسن وجه المطلب وجماله على جهة الرغبة وان كان ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ والفرع المأخوذ من الأصل فوجه المطالب البدل أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها وأرضاها وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيح وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره غامر الا ان الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن وسهله باليسر وحببه بالبشر الحسن ودعا اليه بلين الحجاب وأظهر فى أسمائكم وأسماء آبائكم وفى كناكم وكنى اخوانكم من برهان الفال الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الأمل وضرب اليكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشرة عند اللقاء ولين الخطاب والكنف للخلطاء وقلة البذخ بالمرتبة الرفيعة والزيادة فى الانصاف عند النعمة الحادثة تجعل الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد واطماعكم من أصح الانجاز واعلموا انكم

مائة ولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فؤمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلّون هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلة * قريب وأعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار في وسط الازارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئا واستنقذه فرسان من الازد بعد أن صرع وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال وهو يقول

أنا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبي بلال * وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تنجو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح ابن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا أليه بنفسي فهو ضائع وتذمّر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحدنا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فبادر بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشل السرح أي يطرده وهو يقول

نحن قمعناكم بشل السرح * وقد نكأنا القرح بعد القرح

الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدو غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة

ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لي قرحة وتنكؤها

ولحقه المفضل ومدرك فصاح برجل من طيئ اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلّى سبيله وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك

فقال

توسوسون في مواضع اليأس وتطمعون في مواضع الضمان وان الأمور عندكم موزونة معدلة والاسباب مقدرة محصلة هذا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم والتقية أحزم والصفح اذا كان الصفح أكرم والرحمة لمن استرحم والعقاب لمن صمم ثم المعرفة تفرق ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر وفضل ما بين اعتزام الشجاع والبطل وبين اقدام الجاهل المتهور وقد علم الناس بما شاهدوه منكم وعاينوه من تدبير وعرفوه من تصرف حالاتكم اني لم أتزيد لكم ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم وخير المديح ما وافق حال الممدوح وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف وشهد له أهل العيان الظاهر والخبر المتظاهر ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة ضار المادح ولم ينفع الممدوح هذا الى الثبات على العهد واحكام العقد مع الوفاء العجيب والرأي المصيب وتمام ذلك وكماله وسناء ذلك وبهاؤه كثرة الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم ومن قبل لنفسه

فقال المهلب لا وأَلَتْ نفسُ الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما يَنْقُصُ منهم يَزِيدُ فيهم ووجه الحجاجُ الى المهلب رجلين أحدهما من كَلْب والآخر من سُلَيْم يستحثانه بالقتال فقال المهلبُ متمثلا

ومُسْتَعْجِبٍ مما يرى من أناتنا * ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرَمْرَمِ

الشعر لأوس بن حَجَر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى اصطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشكَّ فخذه بالسرج فقال المهلب للسُّلَمِيّ والكلبي كيف نقاتل قوما هذا طعنهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُّقَادُ وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني مالك بن ربيعة على فرس له أدهم وبه نيف وعشرون جراحة وقد وضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولّى الجمعُ وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخُشَنِيّ مولى العتيك من لهذين قال أنا فحمل عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقُه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارزتَها على أنها رجل فقال أرأيت لو قُتِلْتُ أما كان يقال قَتَلَتْهُ امرأة وأَبْلَى يومئذ ابن المُنْتَجِب السدوسيّ فقال له غلام له يقال له خلاجٌ والله لوددنا أنا فضضنا عسكرهم حتى أصير الى مُستقرهم فأستلب مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف تمنيت اثنتين قال لاعطيك احداهما وآخذ الاخرى فقال ابن المنتجب

أخلاجُ انك لن تعانق طَفْلَةً * شَرِقًا بها الجاديُّ كالتمثال

حتى تُلاقيَ في الكتيبة مُعْلِمًا * عمرو القنا وعَبيدةَ بن هلال

وترى المُقَطَّرَ في الكتيبة مقدما * في عُصبة قسطوا مع الضُّلَّال

أو أن يُعَلِّمَكَ المهلبُ غزوةً * وترى جبالا قد دَنَتْ لجبال

قوله طَفْلَةً يقول ناعمة واذا كسرت الطاء فقلت طِفلة فهي الصغيرة والجاديُّ الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمي الكتابُ ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقة وكَتَبْتُ القِربة اذا خرزت ذلك الموضع منها والمُعْلِم الذي قد شهر نفسه بعلامة اما بعمامة صَبيغ واما بشهرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه

مدحها الا بما يعرف به كان كمادح نفسه ومن أناب الكذابين على كذبهم كان شريكهم في اثمهم وشقيقهم في سفههم بل كان المحتمل لكبره المحتمل لوزره اذا كان المثيب عليه والداعي اليه معاذ الله أن نقول الا معروفا غير مجهول ونصف الا صحيحا غير مدخول أو نكون ممن يتودد بالملق ويتقحم على أهل الاقدار شرها الى مال أو حرصا على تقريب وأبعد الله الحرص وأخزى الشره والطمع فان شك شاك أو توقف مرتاب فليعترض العامة وليتصفح ما عند الخاصة حتى يتبين الصبح وقالوا في تأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة اذا أبردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم فكيف اذا قارن حسن الوجه وحسن الاسم وكرم الضريبة وشرف العرق وأعيان الأعراق الكريمة والأخلاق الشريفة اذا اجتمعت هذا الاجتماع واقترنت هذا الاقتران كانت أتم للنعمة وأبدع للفضيلة وكانت الوسيلة اليها أسهل والمأخذ نحوها أقرب والأسباب أمتن فاذا انتظمت في هذا

مُعْلِمًا يوم بدر بريشة نَعامة فى صدره وكان أبو دُجانة وهو سماك بن خَرَشَة الانصارىُّ يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفى هذا بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن يُضْرَب به فى العدو حتى يَنْحَنِىَ فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مُشَهَّرةً فأَعْلَمَ بها وكان قومه يعلمون لما بَلَوْا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يُبْقِ فى نفسه غايةً ففعل وخرج يمشى بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُها الله عز وجل الا فى مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حَمِيدًا فاغسلى عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنتَ صدقتَ القتالَ اليوم لقد صَدَقَهُ معك سماك بن خَرَشَةَ وسَهْلُ بن حُنَيْف والحرث بن الصِّمَّة وفى بعض الحديث وقَيْس ابن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ۞ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعَمْرٌو القَنَا من بنى سعد ابن زيد مَناة بن تميم وعَبِيدةُ بن هلال من بنى يَشْكُرَ بن بكر بن وائل والذى طعن صاحبَ المهلب فى فخذه فشكها مع السرج من بنى تميم قال ولا أدرى أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أى جاروا يقال قَسَطَ يَقْسِطُ فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حَطَبًا ويقال أَقْسَطَ يُقْسِطُ فهو مُقْسِطٌ اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المُقْسِطِينَ وكان بَدْرُ بن الهُذَيْل شجاعا وكان لَحَّانَةً فكان اذا أحس بالخوارج نادى يا خَيْل الله اركبى وله يقول القائل

واذا طَلَبْتَ الى المهلب حاجةً ۞ عَرَضَتْ تَوابِعُ دونه وعَبِيدُ

العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدُ مِثْلُهُ ۞ وعِلاجُ باب الأحمر بن شديدُ

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمر بن شديد العرب تسمى العجم الحمراء وقد مر تفسير ذا وقوله توابع أراد به الرجال لجازفى الشعر وإنما رده الى أصله الضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التى هى نعت وقد قلنا فى هذا ولم قالوا فوارسُ وهالك فى الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عُرِفَ مكانُهُ فيه وكانت بينه وبين بنى المهلب جَفْوةٌ فقال لهم يا بنى عمى انى قد قَصَّرت عن شكاة العاتب وجاوزتُ شكاة المستعتِب حتى كأنى لا مَوْصولٌ ولا مَحْرومٌ فاجعلوا الى فَرْجةً أَعِشْ بها وهَبُونى امرأً رجوتم نصره

او

السلك وجمعها هذا النظم كان الذى يبرد البريد أولى بها من البريد وكان مقوم البلاد أحق بها من حاشية الكفاة اذ التأميل لا يجمع وجه الصواب ولا يحصى مخارج الأسباب ولا يظهر برهانه ويقوم سلطانه حتى يصيب المعدن وان يكون موضع الرغبة معدنا الا بعد اشتماله على ترادف خصال الشرف وبعد ان تتوافى اليه معانى الكرم بالاعراق الكريمة والعادات الحسنة عن حادث يشهد لقادم وطارف يدل على تالد فاذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثاقب والمجد راسخ وان كان الشأن فى صناعة الكلام وفى القدم والرياسة وفى خلف يأثره عن سالف وآخر يتلقاه عن أول قبلكم ما لا يذهب عنه جاحد ولا يستطيع جحده معاند

(فصل منها) وأسماؤكم وكناكم بين فرج ونجح وبين سلامة وفضل وروح وجوهكم وفق أسمائكم واخلاقكم وفق اعراقكم فلطم يضرب التفاوت فيكم بنصيب وبعد هذا فانى استغفر الله تعالى من تفريطى فى حقوقكم واستوهبه طول رقدتى

أو خفتم لسانه فرجعوا له ووصلوه وكما وافيه المهلب فوصله وولى الحجاج كردم مافارس فوجهها الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كردم لكردما * كردمة العير أحس الضيغما

الضيغم الاسد والكردمة النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخر ودرا بجرد لارزاق الجند ففعل وكان قطرى هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فسا فاشتراها منه آزاذمرد بن الهربذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلب فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجه به الحجاج الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة بعد ما تقلده به فرجع به المغيرة اليه وقد دماه فسر المهلب بذلك وقال ما يسرني أن أكون كنت دفعته الى غيرك من ولدى اكفنى جباية خراج هاتين الكورتين وضم اليه الرقاد فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجند شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بني تميم في كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نلاقى * من الآفات والكرب الشداد
لفاضت عينه جزعا علينا * وأصلح ما استطاع من الفساد
ألا قل للامير جزيت خيرا * أرحنا من مغيرة والرقاد
فما رزقا الجنود بها قفيزا * وقد ساست مطامير الحصاد

يقال ساس الطعام وأساس اذا وقع فيه السوس وداد وأداد من الدود وروى أبو زيد ديد فهو مدود في هذا المعنى فحاربهم المهلب بالسيرجان حتى نفاهم عنها الى جيرفت واتبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال اليشكرى اتهم بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عبيدة من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نقاره على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعث الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نقار على الفاحشة فقال بهتونى يا أمير المؤمنين فما ترى قال انى جامع بينك وبينهم فلا تخضع خضوع المذنب ولا تتطاول تطاول البرىء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم

مما افترضته لكم ولا ضير ان كان هذا الذى قلنا على اخلاص وصحة عهد وعلى صدق سيرة وثبات عقد ينبو السيف وهو حسام ويكبو الطرف وهو جواد وينسى الذكور ويغفل الفطن ونعوذ بالله تعالى من العمى بعد البصيرة والحيرة بعد لزوم الجادة كان أبو الفضل أعزه الله على ما قد بلغنى من التبرع من الوعد وسرعة الانجاز وتمام الضمان وعلى الله تمام النعمة والعافية وكان أيده الله في حاجتى كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول وموعدتى حق كأن قد فعلتها
متى ما أعد شيأ فانى لعازم
وتقول العرب من أشبه أباه فما ظلم تقول لم يضع الشبه الا في موضعه لانه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفى نجله من الشبه القائم فيه الظاهر عليه وقد تقبلت أبقى الله شبهك خلقه وخلقه وفعله وعزمه ومن الشهامة والنفس التامة ومرجع الافعال الى الطبائع ومدار الطبائع على جودة اليقين وقوة المنة وبه ما تتم العزيمة وتنفذ البصيرة هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومنحك من المقة

الآيات فبكيا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبدربه الصغير مولى بني قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبدربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة في اقامة الحد ثبتا وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطري اني استعملته وله ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم مني وقالوا لقطري ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتدفا تبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دارا مع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدي كفارا فقالوا أولست دابة قال الله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدي كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المقعطر العبدي فكرهها القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطري أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا القاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان ابن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصي ففعل ويجب على الامام أن يعفي الرعية مما كرهت فأبى قطري أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبدربه الصغير فانفصل الى عبدربه أكثر من الشطر وجلهم الموالي والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطري هذه نفحة من نفحات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطري الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحي * وفي البجلي معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفي قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبدربه بها وصار قطري خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال

وسلمك من المذمة والله لو لم يكن فيكم من خصال الحرية وخلال النفوس الأبية الا انكم لا تدينون بالنفاق ولا تعتدون بالكذب ولا تستعملون المواربة في موضع الاستنابة وحيث تجب الثقة ولا يكون حظ الأحرار بالمواعيد صرفا ولا تتكلون على ملامة الطالب ولا عجز الراغب اذا استنفدت أيامه وعجزت نفقته وماتت أسبابه بل تعجلون لهم الراحة عند تعذر الأمور اليكم بالاياس وتحققون اطماعهم عند امكان الامور لكم بالانجاح (فصل منها) وانك والله أيها الكريم المأمول والمستعطف المسؤل لا تزرع المحبة الا وتحصد الشكر ولا تكثر المودات الا اذا كثر الناس الأموال ولا يشبع لك طلب الأحدوثة وجمال الحال في العشيرة الا بتجرع مرار المكروه ولن تنهض بأعباء المكارم التي توجبها النعمة وتفرضها المرتبة حتى تستشعر التفكر في التخلص الى اغنائهم والقيام بحسن ظنهم وحتى تجمهم من طول الانتظار وترق عليهم من موت الأمل واحياء القنوط

له عبيدة يا أمير المؤمنين ان أقمت لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تخندق خندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطري فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أيقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنما الكلام الى قطري فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لأهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطري وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم ابن عدى بن أبى طحمة المجاشعي انى لا آمن ان يكون قطري كاذبا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الا عبدا وعلجا فسألهما عن قطري وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطري فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذى الأجبال

فنكحن أهل الجزء من فرساننا * والضاربين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطري وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه فى أثر قطري رجلا جلدا فى جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفى الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلى فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل

وحتى تتغلغل ذلك بالحيل اللطيفة والعناية الشديدة الشريفة وحتى تتوخى الساعات وتنتهز الفرص فى الحالات وتتخير من الألفاظ أرقها مسلكا وأحسنها قبولا وأجودها وقوعا

(فصل من صدر رسالته فى تفضيل النطق على الصمت) أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك وجعلك ممن اذا عرف الحق انقاد له واذا رأى الباطل أنكره وتزحزح عنه قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت وشرحت من مناقب السكوت ولخصت من وضوح أسبابهما وأحدث من منفعة عاقبتهما وجريت فى مجرى فنون الأقاويل فيهما وذكرت أنك وجدت الصمت أفضل من الكلام فى مواطن كثيرة وان كان صوابا وألفيت السكوت أحمد من المنطق فى مواضع جمة وان كان حقا وزعمت أن اللسان من مسالك الخناء الجالب على صاحبه البلاء وقلت ان حفظ اللسان أمثل من التورط فى الكلام وسميت الغبى عاقلا والصامت حليما والساكت لبيبا والمطرق مفكرا وسميت البليغ

منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حسم والقرن قد قصم ولعمرى ما أنت والقوم سواء لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس للقوم الا ما معهم ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطرى بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه فى خشار من خشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قد بان عذرك وأنا مخبر الامير فكتب المهلب اليه أما بعد فانى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تلقين ذكرت أنى أجم القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال فيها المغلوب وذكرت أن فى ذلك الجمام ما ينسى القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن ينسى ما بيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرف ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات ان طمعوا حاربوا وان ملوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتنى والرأى كان القرن مقصوما والداء باذن الله محسوما وان أعجلتنى لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهى الى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس ولما اشتد الحصار على عبد ربه قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عز بربه وقد أراحكم الله من غلظة قطرى وعجلة صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدة بن هلال ووكلكم الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا من قتل منكم قتل شهيدا ومن سلم من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عبيد بن أبى ربيعة بن أبى الصلت الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفت وصية الأمير وآثرت المدافعة والمطاولة فقال له المهلب ما تركت جهدا فلما كان العشى خرج الأزارقة وقد حملوا حرمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيد هذا السمرى أيسر عليك فقال للناس ردوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد

فخذه

مكثارا والخطيب مهذارا والفصيح مفرطا والمنطيق مطنبا وقلت انك لم تندم على الصمت قط وان كان منك عيا وانك ندمت على الكلام مرارا وان كان صوابا واحتججت فى ذلك بقول كسرى أنوشروان واعتصامك فيها باسمار من أقاويل الشعراء والمتسوق من كلام الأدباء وافراطهم فى مذمة الكلام واطنابهم فى محمدة السكوت وأتيت حفظك الله على جميع ما ذكرت من ذلك ووصفت ولخصت وشرحت وأطنبت فيها وفرطت بالفهم وتصفحتها بالعلم وبحثت بالحزم وعنيت بالعزم فوجدتها كلام امرئ قد أعجب برأيه وارتطم فى هواه وظن أنه قد نسج فيها كلاما وألف ألفاظا ونسق له معانى على نحو ما أخذه ومقصده أن لا يلفى له ناقضا فى دهره بعد أن أبرمها ولا يجد فيها مناويا فى عصره بعد ان أحكمها وان حجته قد لزمت جميع الأنام ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان لما شرح فيها من البرهان وأوضح من البيان وحتى كان القول من القائل نقصا ورفع الوصف من الواصف

نفذه بالمحاربة أشد الأخذ وقال لأحد الأمينين كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الدواب وصرع الفرسان وقتلت الرجال فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوط والعلق الخسيس أشد قتال وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادي يقول

الليل ليل فيه ويل وويل * وسال بالقوم الشراة السيل * ان جاز للاعداء فينا قول

فلما عظم الخطب فيه بعث المهلب الى المغيرة خل عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جيرفت ودخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من دقيق وختم عليه هو والثقفي والأمينان ثم اتبعهم فاذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الاقوى يأتي الرجل بالدلو قد شدها في طرف رمحه فيستقي بها وهناك قرية فيها أهلها فغاداهم القتال وضم الثقفي الى يزيد وأحد الأمينين الى المغيرة واقتتل القوم الى نصف النهار فقال المهلب لابي علقمة العبدي وكان شجاعا ماتيا أمدد بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفخار فتعار وليست أعناقهم كرادي فتنبت (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعذاق النخل كرادي وهو فارسي أعرب) وقال لحبيب بن أوس كر على القوم فلم يفعل وقال

يقول لي الامير بغير علم * تقدم حين جد بك المراس

فمالي ان أطعتك من حياة * ومالي غير هذا الرأس راس

نصب غير لانه استثناء مقدم وقد مضى تفسيره وقال للمعن بن المغيرة بن أبي صفرة احمل فقال لا الا أن تزوجني أم مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليت من يشترى الغداة بمال * هلكه اليوم عندنا فيرانا

نصل الكر عند ذاك بطعن * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناس جولة عند حملة حملها عليهم الخوارج فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الامين الذي كان معك قال قتل وكان الثقفي قد هرب وقال ليزيد ما فعل عبيد بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبي فلما كان العشي رجع الثقفي فقال رجل من بني عامر بن صعصعة

تغلبا وكان في موضع لا ينازعه فيه أحد وقلما يجد من يخاصمه ولا يلقى أبدا من يناضله وصار فلجا بحجته أوحديا في هجته اذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة وكان مثله في ذلك مثل من تخاصم الى الحاكم وحده فلج بحجته واني سأوضح لك ذلك بالبرهان القاطع والبيان الساطع وأشرح فيه من الحجج ما يظهر ومن الحق ما يقهر بقدر ما أتت عليه معرفتي و بلغته قوتي وملكته طاقتي بما لا يستطيع أحد رده ولا يمكنه انكاره وجحده ولا قوة الا بالله وبه أستعين وعليه أتوكل واليه أنيب اني وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنقبة المنطق ظاهرة في خلال كثيرة وخصال معروفة منها انك لا تؤدي شكر الله ولا تقدر على اظهاره الا بالكلام ومنها انك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والابانة عن مأربك الا باللسان وهذان في العاجل والآجل مع أشياء كثيرة لو يحوها الانسان لوجدها في المعقول موجودة وفي المحصول معلومة وعند الحقائق مشتهرة وفي التدبير ظاهرة ولم أجد

مازلتَ بالتقى تخطبُ بيننا * وتعمُّنا بوصية الحجّاج

حتى اذا ما الموتُ أقبل زاخراً * وعمّ الناسَ رقاً بغير مزاج

ولّيتَ بالتقى غيرَ مناظرٍ * تنساب بين أحزّةٍ وفجاج

ليست مقارعةُ الكماة لدى الوغى * شربَ المدامة فى اناء زجاج

قوله بين أحزّة هو جمع حزيز وهو متن ينقاد من الارض ويغلظ والفجاج الطرق واحدها فجّ وقال المهلب للامين الآخر ينبغى أن تتوجه مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتى تبيّتوا عسكرهم فقال ما تريد أيها الامير الا أن تقتلنى كما قتلت صاحبى قال ذاك اليك وضحك المهلب ولم تكن للقوم خنادق فكان كلٌّ حذراً من صاحبه غير أن الطعام والعُدّة مع المهلب وهم فى زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزانى دوائى ذو الخمار وصنعتى * اذا بات أطواء بنىّ الأصاغرُ

أخادعهم عنه ليغبق دونهم * وأعلم غير الظن أنى مُغاورُ

كأنى وأبدان السلاح عشيةً * يمرّ بنا فى بطن فيحان طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمىّ أنت قال نعم قال أحنظلىّ قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أثعلبى قال نعم قال أمن آل نُويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الامير أيكون مثلى فى عسكرك لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعنى فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير يهجو الفرزدق

يربوعٌ نخرتُ وآلِ سعدٍ * فلا مجدى بلغتَ ولا افتخارى

يربوع فوارسُ كلّ يوم * يوارى شمسَه رهجُ الغبار

عُتيبةُ والأُحيمرُ وابن عمرو * وعتّاب وفارسُ ذى الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوىّ البطن أى منطوٍ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا شئ تفتخر به العرب قال الاسعر الجعفى

لكن قعيدة بيتنا مجفوّةٌ * باد جناجن صدرها ولها غنى

تقفى بعيشة أهلها وثّابةً * أو جرشعاً نهد المراكل والشوى

الصمت فضلا على الكلام مما يحتمله القياس لانك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام به ولو كان الصمت أفضل والسكوت أمثل لما عرف للآدميين فضل على غيرهم ولا فرق بينهم وبين شئ من أنواع الحيوان واصناف الخلق فى أصناف جواهرها واختلاف طبائعها وافتراق حالاتها واجناس أبدانها فى أعيانها وألوانها بل لم يمكن أن يميز بينهم وبين الأصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة وكان لكل قائم وقاعد ومتحرك وساكن ومنصوب وثابت فى شرع سواء ومنزلة واحدة وقسمة مشاكلة اذ كانوا فى معنى الصمت بالجثة واحدا وفى معنى الكلام بالمنطق متباينا ولذلك صارت الأشياء مختلفة فى المعانى موتلفة الأشكال اذ كانت فى اشكال خلقتها متفقة بتركيب جواهرها وتأليف اجزائها وكمال أبدانها وفى معنى الكلام متباينة عند مفهوم نغماتها ومنظوم ألفاظها وبيان معالمها وعدل شواهدها مع انى لم أنكر فضيلة الصمت ولم أهجن ذكره الا أن فضله خاص دون عام وفضل الكلام خاص وعام

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يامعشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسى به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعني على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابي مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الارض الارض وقال لبنيه تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بني اني أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذي ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولوني درعي فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الأشقري ومرة بن تليد الأزدي من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

يا حفص اني عداني عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومي السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرني

وان الاثنين اذا اشتمل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق وخلاص أمة ومن أكثر ما يذكر للساكت من الفضل ويوصف له من من المنقبة أن يسكت ليتوقى به عن الأثم وذلك فضل خاص دون عام ومن أقل ما يحتكم عليه أن يقال غبي أو جاهل فيكون في ذلك لازم ذنب على التوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورط فيه صاحبه من الوزر والذي ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن وجاءت فيه الروايات عن الثقات في الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها ويدرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهداية ولم نر الصمت أسعدك الله أحمد في موضع الا وكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علته ووضوح جليته ومغبة نفعه وقد

عن بنى المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارسا شجاعا وجوادهم وسخيهم قبيصة ولا يستحيى الشجاع أن يفر من مُدرك وعبد الملك سم ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أملوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهارا فاذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا اذا أخذنا عفونا واذا أخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا آثر من الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة فى وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيرا وأراحهم من حد الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابى هذا فاقسم فى المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدك ولا ترخص لاحد فى اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم على وعجل القدوم ان شاء الله فولى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بنى انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيأ

ذكر الله جل وعز فى قصة ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام وجعلها جذاذا فقال حكاية عنهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فكان كلامه سببا لنجاته وعلة لخلاصه وكان كلامه عند ذلك أجدى من صمت غيره فى مثل ذلك الموضع لانه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم اياه لم يكن سكوته الا على بصر وعلم وانما تكلم لانه رأى الكلام أفضل وان من تكلم فأحسن قدر ان يسكت فيحسن وليس من سكت فأحسن قدر ان يتكلم فيحسن واعلم حفظك أن الكلام سبب لايجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول فى معانى كثيرة لقول الله عز وجل فى بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر لما كلمه فقال انك اليوم لدينا مكين أمين فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام والافصاح بالبيان مع محاسنه المونقة وأخلاقه الطاهرة وطبائعه الشريفة لما

فوجهه الى وتفضل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا
مازال يحلب هذا الدهر أشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمرت على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير والله لكأني أسمع الساعة قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط الايادي ثم أنشده هذا الشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا قوله نفل أى اقسم بينهم والنفل العطية التي تفضل كذا كان الاصل وانما تنفل الله عز وجل بالغنائم على عباده قال لبيد

ان تقوى ربنا خير نفل * (وباذن الله ريثي وعجل)

وقال جل جلاله يسألونك عن الانفال ويقال نفلتك كذا وكذا أى أعطيتك ثم صار النفل لازما واجبا وقول الايادي رحب الذراع فالرحب الواسع وانما هذا مثل يريد واسع الصدر متباعد ما بين المنكبين والذراعين وليس المعنى على تباعد الخلق ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رحيب الذراع بالتي لا تشينه * وان قيلت العوراء ضاق بها ذرعا

وكذلك قوله جل وعز يجعل صدره ضيقا حرجا وقوله مضطلعا انما هو مفتعل من الضليع وهو الشديد يريد أنه قوى على أمر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبعا طورا ومتبعا أى قد اتبع الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتبع فعلم ما يصلح الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أدلنا وأديل علينا أى قد أصلحنا أمور الناس وأصلحت أمورنا وقوله على شزر مريرته فهذا مثل يقال شزرت الحبل اذا كررت فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمريرة الحبل والضرع الصغير الضعيف والقحم آخر سن الشيخ قال العجاج

رأين قحما شاب واقلحما * طال عليه الدهر فاسلهما

والمقلحم مثل القحم وهو الجاف ويقال للصبي مقلحم اذا كان سيئ الغذاء أو ابن هرمين ويقال

عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولا حل ذلك المحل منه ولا صار عنده بموضع الامانة ولكان في عداد غيره ومنزلة سواء عند العزيز ولكن الله جعل كلامه سببا لرفع منزلته وعلو مرتبته وعلة لمعرفة فضيلته ووسيلة لتفضيل العزيز اياه ولم أر للصمت فضيلة في معنى ولا للسكوت منقبة في شئ الا وفضيلة الكلام فيها أكثر ونصيب المنطق عندها أوفر واللفظ بها أشهر وكفى بالكلام فضلا وبالمنطق منقبة ان جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده والدال على معالم دينه وشرائع ايمانه والدليل الى رضوانه ولم يرض من أحد من خلقه ايمانا الا بالاقرار وجعل مسلكه اللسان ومجراه فيه البيان وصيره المعبر عن ما يضمره والمبين عن ما يخبره والمنبئ عن ما يستطيع بيانه وهو ترجمان القلب والقلب وعاء واع ولم يحمد الصمت من أحد الا توقيا لعجزه عن ادراك الحق والصواب في اصابة المعنى وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وانكارهم

رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسنّ حتى ييبس والمسلهمّ الضامر قال الشاعر

* لما رأتني خلقا انقحلا * ويقال في معنى قحم قحر ويقال بعير قحارية في هذا المعنى وقوله

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه همّ قريب وعوض مما يضاف الى الافعال وتأويله أنه لا يطعم النوم

الا يسيرا حتى يبعثه الهمّ فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره

هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج

زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر

فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك في المستقبل وذلك لان الماضي في معنى اذ وأنت تقول

جئتك اذ زيد أمير والمستقبل في معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز

أجيئك يوم زيد أمير فأما الافعال في اذا واذ فهي بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا

قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو في قولك افعل ذاك بذي تسلم وافعلاه بذي تسلمان

معناه بالذي يسلمكما ومن ذلك آية في قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأن على سنابكها مداما

والصور يتصل ويكثر واغا تركنا الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا

أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للتقوى وكان

ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذ كر لي القوم الذين أبلوا

وصف لي بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من

عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم في الغناء وقدم بنيه

المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد

في البلاء لقدمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم مني وان

حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة والرقاد وأشباههما

فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها

الامير اني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر

ويجعلني اسوة نفسه وولده ويجازيني على البلاء صرت أنا وأصحابي فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل

قوم

اياه ليقروا به فاذا فعلوه حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم ورعيت ذممهم ولو انهم سكتوا ضنا بدينهم لم يكن سبيلهم الا العطب فاعلم أن الكلام من أسباب الخير لا من الشر والكلام أبقاك الله سبيل التمييز بين الناس والبهائم وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان قال الله عز وجل ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر كرمهم باللسان وحملهم بالتدبير ولو لم يكن الكلام لما استوجب أحد النعمة ولا أقام على اداء ما وجب عليه من الشكر سببا للزيادة وعلة لامتحان قلوب العباد والشكر بالاظهار في القول والابانة باللسان ولا يعرف الشكر الا بهما والله تعالى يقول لئن شكرتم لازيدنكم فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة عند اظهاره بالقول والحمد مفتاحا للنعمة وقد جاء في بعض الآثار لو أن رجلا ذكر الله الله تعالى وآخر يسمع له كان المعدود للسمع من الاجر والمذكور له من الثواب واحدا وللمتكلم بعشرة أو أكثر فهل ترى أبقاك الله أنه وجب لصاحب العشر ذلك

قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك قال يزيد بن حبناء من الأزارقة

دعى اللوم ان العيش ليس بدائم * ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم
فإن عجلت منك الملامة فاسمعى * مقالة معنى بحقك عالم
ولا تعذلينا فى الهدية انما * تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره * جلادا ويمسى ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوما بطعنة * غموس كشدق العنبرى بن سالم
أبيت وسربالى دلاص حصينة * ومغفرها والسيف فوق الحيازم
حلفت برب الواقفين عشية * لدى عرفات حلفة غير آثم
لقد كان فى القوم الذين لقيتهم * بسابور شغل عن بزوز اللطائم
تؤقد فى أيديهم زاعبية * ومرهفة تفرى شئون الجماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مكر الليل والنهار والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البحرين من اللصوص

أما النهار ففى قيد وسلسلة * والليل فى جوف منحوت من الساج

وقال آخر لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى * ونمت وما ليل المطى بنائم

ولو قال من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سيرا وانما أنت ضربا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المجالد على قوله أنت سير أى أنت سائر كما قالت الخنساء * فانما هى اقبال وادبار * وفى القرآن قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا أى غائرا وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال ويمسى ليله غير نائم لجاز يضمر اسمه فى يمسى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا وقوله غموس يريد واسعة محيطة والعنبرى بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشدق واللطائم واحدتها لطيمة

وفضل به على صاحبه الا عند استعماله بالنطق به لسانه ولم يلزم الصمت أحد الا على حسب وقوع الجهل عليه فأما اذا كان الرجل نبيها مميزا عالما مفوها فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضله كالقداحة لم يستبن نفعها دون تزنيدها ولذلك قيل من جهل علما عاداه

(فصل منها) ولم أجد الصامت مستعانا به فى شئ من المعانى ولا مذكورا فى المحافل ولم يذكر الخطباء ولا قدمتهم الوفود عند الخلفاء الا لما عرفوه من فضل لسانهم وفضيلة بيانهم وان أصح ما يوجد فى المعقول وأوضح ما يعد فى المحصول للعرب من الفضل فصاحتها وحسن منطقها بعد فضائلها المذكورة وأيامها المشهورة ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيا وأنزل عليه قرآنه عربيا كما قال الله تعالى بلسان عربى مبين فلم يخص اللسان بالبيان ولم يحمد بالبرهان الا عند وجود الفضل فى الكلام وحسن العبارة عند النطق وحلاوة اللفظ

وهى الابل التى تحمل البَزَّ والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للأسنة والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقدُّ يقال فرى اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قُوّاد المهلب

أباسعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد

داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال عَبيدة بن هلال فى هربهم مع قطرى

مازالت الاقدار حتى قذفننى * بقومس بين الفرخان وصول

وروى أن قاضى قطرى وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قول عَبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الآن تأتى بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت وقال يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشب فى مخالب ضارى

فثوى صريعا والرماح تنوشه * ان الشراة قصيرة الأعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شيء بهذا المعنى

ان يتصل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن

فالماء ليس عجيبا ان أعذبه * يفنى ويمتد عمرا الآجن الأسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى * مكان الروح من بدن الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى * لخفت عليك بادرة الزمان

لاقدامى اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حر الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

عند السمع واعلم ان الله تعالى لم يرسل رسولا ولا بعث نبيا الا من كان فضله فى كلامه وبيانه كفضله على المبعوث اليه فكان النبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا وأسهلهم مخارج الكلام وأكثرهم فوائد من المعانى لانه كان من جماهير العرب مولده فى بنى هاشم وأخواله من بنى زهرة ورضاعه فى بنى سعد بن بكر ومنشؤه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد بن عبد العزى ومهاجرته الى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد انى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر ولو لم يكن عمن عددنا من هؤلاء الأحياء الا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها وكفاية من سواها لان قريشا أفصح العرب لسانا وأفضلها بيانا وأحضرها جوابا وأحسنها بديهة وأجمعها عند الكلام قلبا ثم للعرب أيضا خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما يشاكل هذا الباب ويضارع هذا المثال حذفت ذكرها خوف التطويل فيها

أكان الجبانُ يرى أنه * يُدافِعُ عنه الفرارُ الأجلْ

فقد تُدرِكُ الحادثاتُ الجبان * ويَسلَمُ منها الشجاعُ البطلْ

رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائل بنا عَمْرَ والقنا وجُنودَهُ * وأبا نَعامةَ سيدَ الكُفّارِ

أبو نعامة قطري وقال المُغيرة بن حَبْناءَ الحَنظَلِيّ من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفّنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رَعْيِها وَخَمُ

وانما أنا انسانٌ أعيش كما * عاشَتْ رجالٌ وعاشتْ قبلَها أمم

ماعاقنى عن قُفول الجُنْدِ اذ قَفَلوا * عِىٌّ بما صنعوا عجز ولا بَكَمُ

ولو أردتُ قُفولًا ما تَجَهَّمنى * اذْنُ الامير ولا الكُتّابُ اذ رقموا

ان المهلب ان أَشْتَقْ لرؤيته * أو أَمْتَدِحْهُ فان الناس قد علموا

أَنَّ الأَريبَ الذى تُرْجَى نوافلُهُ * والمُستعانَ الذى تُجْلَى به الظُّلَمُ

القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُهُ * أبو سعيد اذا ما عُدَّتِ النِّعَمُ

أزمانَ أزمانَ اذ عَضَّ الحديدُ بهم * والأعمى رجال انهم هُزِموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لنتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شُجونٍ ويَقْتَرِحُ المُقْتَرِحُ ما يَفْسَخُ به عزمَ صاحب الكتاب ويصدّه عن سَنَنِه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأناه هذا الكتاب فان مَرَّ من أخبار الخوارج شئ مَرَّ كما يمر غيره ولو نَسَقْناه على ما يجرى من ذكرهم لكان الذى يَلِي هذا خبر نَجْدَةَ وأبى فُدَيْكٍ وعُمارةَ الرجلِ الطويلِ وشَبيبٍ ولكان يكون الكتاب للخوارج مُخَلَّصًا

(باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ)

كان الحسن يقول الحمد لله الذى كَلَّفنا ما لو كلفنا غيرَه لَصِرْنا فيه الى معصيته وآجرنا على ما لا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجَزَعَ لم يمكنّا أن نُقيم عليه وآجَرَنا على الصبر ولا بُدَّ لنا من الرجوع اليه وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازمُ واليه يعود الجازعُ وقال الأشعث بن قيس ان صبرتَ جَرَى عليك القدر وأنت مأجورٌ وان جزعتَ

(فصل منها) فهذه كلها دليل على دحض حجتك ونقض قضيتك وانما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم وأمرهم بالابلاغ ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت اذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا للعلة ظهور الا بالنطق

(فصل منه فى صفة من يقدر على الابانة) وليس يقوى على ذلك الا امرؤ فى طبيعته فضل عن احتمال غيرته وفى قريحته زيادة من القوة على صناعته ويكون حظه من الاقتدار فى المنطق فوق قسطه من التغلب فى الكلام حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل الاعلى مثله من المعنى ولا اللفظ الشريف الفخم الاعلى مثله من المعنى نعم وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ويوفر على الحديث قسمًا من الصواب ويعرك الكلام حظه من المعنى ويضع جميعها مواضعها ويصفها بصفتها ويوفر عليها حقوقها من الاعراب والافصاح

(فصل منها) وبعد فأى شئ أشهر منقبة وأرفع درجة وأكمل فضلا وأظهر نفعا وأعظم حرمة من شئ لولا مكانه

جرى عليك القدر وأنت مأزور وقال الخريمي

ولو شئت أن أبكي دماً لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر وإن لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخراً لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح عليه براً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية ومن جميل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة علينا النابغة الجعدي فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في العدل فاستووا * فعاد صباحاً حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترفع منه جانباً ذعذعت به * صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبني أسد وأما عفوتها فلآل الصديق ولك في بيت المال حقان حق لصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك في المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حباً وتمراً فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين قوله أقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقحم اذا دخل قاصداً وأكثر ما يقال من غير أن

يدخل

لم يثبت لله ربوبية ولا لنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتجلى في صورة الدليل ثم به يعرف فضل الجماعة من الفرقة والسنة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة والكلام سبب لتعرف حقائق الأديان والقياس واثبات الربوبية وتصديق الرسالة والامتحان للتعديل والتجوير للاضطرار والاختيار

(فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام)

ذكرت حفظك الله تفضيلك صناعة الكلام والذي خصصت به مذهب النظام وشغفك بالمبالغة في النظر وصيانتك بتهذيب الفضل مع أنسك بالجماعة ووحشتك من الفرقة والذي تم عليه عزمك من ادامة البحث والتنقير ومن حمل النفس على مكروهها من التفكير ومن الانتساب اليهم والتعرف بهم والذي تهيأ لك من الاحتساب في الأجر والرغبة في صالح الذكر والذي رأيت من النصب للرافضة والمارقة وطول مفارقة المرجئة والنابتة ولكل من اعترض عليهم وانحرف عنهم والذي يخص به الجبرية ويعم به

يدخل و يكون من القحمة وهي السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أي جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بالجدب وقوله صفوة فهي في معنى الصفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب في المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجلسة والركبة والمشية والنيمة كأنها خلقة والعفو إنما هو ما عفا أي ما فضل وخذ العفو قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله عثمثم يريد الموثق الخلق الشديد وذعذعت أي أذهبت ماله وفرقت حاله وقوله راحلة رحيل أي قوية على الرحلة معودة لها ويقال فحل فحيل أي مستحكم في الفحلة وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لي كبشا للأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذي يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يردوا ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال بكغيلة من قريش أنها أقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيع الكعبة وذلك أنها كانت تفيء عليها الكعبة صباحا وتفيء على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شسع نعله فيرمي بنعله في منزله فتصلح له فاذا عاد في الطواف رمي بها اليه وفي ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضل مكرمة * بحيث حلت نجوم الكبش والاسد

مجاورا البيت ذي الاركان بيتهما * ما دونهم في جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغث قريش حيث كان سمين

وقال آخر

واذا ما أصبته من قريش * هاشميا أصبت قصدا الطريق

وقال حرب بن أمية لأبي مطر الحضرمي يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلم الى صلاح * فتكفك الندامى من قريش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هديت بخير عيش

وتسكن بلدة عزت قديما * وتأمن أن يزورك رب جيش

المشبهة فيا أيها المتكلم الجاهي والمتفقه السني والنظار المعتزلي الذي سمت همته الى صناعة الكلام مع ادبار الدنيا عنها واحتمل ما في التعرض للعوام من الثواب عليها ولم يقنعه من الأديان الا الخالص الممتحن ولا من الفضل الا الابريز المهذب ولا من التمييز الا المحض المصفى والذي رغب بنفسه عن تقليد الاغمار والحشوية كما رغب عن ادعاء الالهام والضرورة ورغب عن ظلم القياس بقدر رغبته في شرب اليقين ان صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين وهو الكنز الذي لا يفنى ولا يبلى والصاحب الذي لا يمل ولا يقل وهو العيار على كل صناعة والزمام على كل عبارة والقسطاس الذي به يستبان نقصان كل شيء ورجحانه والراووق الذي به يعرف صفاء كل شيء وكدره والذي أهل كل علم عليه عيال وهو لكل تحصيل آلة ومثال الآية ثغر والثغر محروس وحمى والحمى ممنوع والحرم مصون ولن تصونه الا بابتذال نفسك دونه ولن تمنعه الا بأن تجود بمهجتك ومجهودك ولن تحرسه الا بالمخاطرة فيه

صلاح امم من أممها مكة وكانت مكة بلداً لقاحاً واللقاح الذي ليس في سلطان ملك وكانت لا تغزى تعظيماً لها حتى كان أمر الفجار وإنما سمي الفجار لفجورهم إذ قاتلوا في الحرم وكانت قريش تعزّ الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم ودخل سديف مولى أبي العباس السفاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبي العباس وقال

لا يغرنك ما ترى من أناس * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتني أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد أُلقي في عنق سليمان ثم جُرّ فقُتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وقد أجلس ثمانين رجلاً من بني أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل رقلة وأواسي
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي * قربهم من نمارق وكراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً * وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى * ثاوياً بين غربة وتناس
نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لاغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم قوله الآساس واحدها أُس وتقديرها فُعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أُسس والبهلول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيه

والثواب على قدر المشقة والتوفيق على مقدار حسن النية وكيف لا يكون حرماً وبه عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل والحرام المفصل وكيف لا يكون ثغراً وكل الناس لأهله عدو وكل الأمم له مطالب وأحق الشئ بالتعظيم وأولاه بأن يحتمل فيه كل عظيم ما كان سلماً الى معرفة الصغير والكبير والحقير والخطير وأداة لاظهار الغامض وآلة لتخليص الفاشية وسبباً للايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب وبه يستدل على ضرب ما بين الشرين من النقصان وعلى فصل ما بين الخيرين من الرجحان والذي يصنع في المعقول من العبارة واعطاء الآلة مثل صنيع العقل في الروح ومثل صنيع الروح في البدن وأي شئ أعظم من شئ لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية ولا لنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يخيل في صورة الدليل وبه يعرف الجماعة من الفرقة والسنة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة

(فصل منه) واعلم أن

مَيْلٌ علينا وفى الحائط مَيَلٌ وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رَقْلة والاواسى بإزه مشددة فى الاصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز فى الكلام لجاز فى الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه فى القوافى جائز كقوله

أصحوتَ اليوم أم شاقتكَ هِرْ * (ومن الحُبِّ جُنونٌ مُستَعِرْ)

وواحدها آسِيَةٌ وهى أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وغاظ سَوائى تقول ماعندى رجل سوى زيد فتقصرُ اذا كسرتَ أوله فاذا فتحتَ أوله على هذا المعنى مددتَ قال الاعشى

تجانَفُ عن جوّ اليمامة ناقتى * وماقصدتْ من أهلها لسَوائكا

والسَواءُ ممدود فى كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه فى سَواء الجحيم وقال حسّان

ياويحَ أنصارِ النبى ورَهْطِه * بعد المُغيَّب فى سَواء المَلحد

والسَواءُ العدل والاستواءُ ومنه قوله عز وجل الى كلمة سواء بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سَواءٌ والسَواءُ التمام يقال هذا درهم سَواءٌ وأصله من الاول وقوله عز وجل فى أربعة أيام سَواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مُستويات والنمارق واحدتها نُمرُقة وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لَنَجْرى الكأسَ بين شُرُوبنا * وبين أبى قابوسَ فوقَ النَمارق

وقال نُصَيبٌ اذا ما بساطُ اللهو مُدَّ وقُرِّبتْ * للذّاته أنماطُه ونمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعنى زيد بن علىّ بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسفُ بن عمر الثقفىُّ وصلبه بالكناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويَروى الزُبَيريُّون أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل احنةٌ فكان يطلب عليه علّةً فلما ظفر بزيد بن على وأصحابه أحسوا بالصلب فأصلوا من أبدانهم راسْتَحَدُّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فقتله أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه عَقْدُه التشيّع فكان يجىء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقد جاهدتَ فى الله حقّ جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقبل عليهم رجلا رجلا فيقول

لصناعة الكلام آفات كثيرة وضروب من المكروه عجيبة منها ماهو ظاهر للعيون والعقول ومنها مايدرك بالعقول ولا يظهر للعيون وبعضها وان لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فانه لا يظهر الا لكل عقل سليم جيد التركيب وذهن صحيح خالص ثم لا يدركه أيضا الا بعد ادمان الفكر والا بعد دراسة الكتب والا بعد مناظرة الشكل الباهر والمعلم الصابر فان أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية فلا بد من شهوة قوية ومن تفضيله كل صناعة مع اليقين بانه متى اجتهد انجح ومتى أدمن قرع الباب ولج فاذا أعطى العلم حقه من الرغبة أعطاه العلم حقه من الثواب عليه

(فصل منه) ومن آفات صناعة الكلام أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه حتى يرى المبتدئ أنه كالمنتهى ويخيل الى الغبى أنه فوق الزكى أيضا أن يعرض عن أهله وينصب لأصحابه من لم ينظر فى علم قط ولم يخض فى أدب منذ كان ولم يدر ما التمثيل

وأنتَ يا فلانُ فجزاكَ اللهُ خيرا فقد جاهدتَ في الله حق جهاده وأنكرتَ الجورَ ونصرتَ ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدوّ يوسف فيقول فأما أنت يا فلانُ فوفورها انتسل تدل على أنك بريء مما قُرفتَ به وقال حبيبُ بن جـدرةَ ويقال جُـدرة وهى السلمة الهلالي (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خذرة بالخاء وكسرها وقال المبرد أسمعه الاجدرة ويقال جُذرة) وهو من الخوارج يعني زيد بن علي

يا با حُسين لو شُراةُ عصابة * صَحِبوكَ كان لوردهم إصدار

يا با حسين والجديدُ إلى بلىً * أولادُ درزةَ أسلموكَ وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد درزة وتقول لمن تسبّه ابن فرتنى وأولاد فرتنى وتقول اللصوص بنو غبراء. وفي هذا باب ويروى أن شاعرا لبني أمية قال معارضا للشيعة في تسميتهم زيداً المهديّ والشاعر هو الأعور الكلبي

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يُصلبُ

ونظر بعد زمنين إلى رأس زيد ملقى في دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديكَ عن ذؤابة زيد * طالما كان لا تطاهُ الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعني حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأُحُد ويروى في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاءه علي في درقة بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزبعرى في يوم أُحُد

ليتَ أشياخي ببدر شهدوا * جزعَ الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراسَ من ساكنه * بعد أبدانٍ وهامٍ كالحجل

وإنما نسب شبلٌ قتل حمزة إلى بني أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذي بحرّان هو إبراهيم بن محمد بن علي وهو الذي يقال له الإمام وكان يقال ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قُتل يزيد بن المهلب وأصحابه وإنما ذكرنا هذا لتقدم قريش في إكرام مواليها وولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال إن قُتل فأميركم جعفر وأمّر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا في إمارته وكان أمّره على جيش فيه جلّة المهاجرين

والانصار

ولا التحصيل ولا فرق ما بين الإهمال والتفكر وهذه الآفات لا تعتري الحساب ولا الكتاب ولا أصحاب النحو والعروض ولا أصحاب الخبر وحمال السير ولا حفاظ الآثار ولا رواة الأشعار ولا أصحاب الفرائض ولا الخطباء ولا الشعراء ولا أصحاب الأحكام ومن يفتي في الحلال والحرام ولا أصحاب التأويل ولا الأطباء ولا المنجمين ولا المهندسين ولا لذي صناعة ولا لذي تجارة ولا لذي حيلة ولا لذي مسألة فهم بهذه البلية مخصوصون وعليها مقصورون فالصابر منهم من الأجر حسبما خص به من الصبر وهي الصناعة لا يكاد يظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها الا مع حضور الخصم ولا يكاد الخصم يبلغ محبته منها الا برفع الصوت وحركة اليد ولا يكاد اجتماعهما يكون الا في المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ولا تجتمع قوتها ولا تجود القوة بمكنونها وتعطي أقصى ذخيرتها التي أعدتها ليوم فقرها وحاجتها الا يوم جمع وساعة حفل وهذه الحال داعية الى حب الغلبة وليس شيء

والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم في امارته لقد طعنتم في امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا
وان أسامة لها لأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر
لابيه لم فضلت أسامة علي وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان أحب
الى رسول الله منك وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى
من مخاط أو لعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما
ولم يكن أسامة من أجمل الناس لو كنت جارية لنحلتك وحليتك حتى يرغب الرجال فيك وفي
بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس الي وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بني قريظة
مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن أبي طالب عليه
السلام سلمان منا أهل البيت وروى أن المهدي نظر اليه ويد عمارة بن حمزة في يده فقال له
رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدي
كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول ومولاي فانفض والله يدك من يدي فتبسم
أمير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن
سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له يهاوروا ولسن فوجه جعفر الى
مسمع مولى له ليناز عه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفني والله جعفر أنصفته وان حضر
حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه الى مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر
فقال مولى مثل هذا اخاصما يكره وجهت اليه وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجلس من وضعه
مولاه ذلك الذي تبهى بمثله العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه وفي بعض الاحاديث
ان المعتق من فضل طينة المعتق وروى ان سلمان أخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا
عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا وروى ان رجلا من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن
سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازني وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة
فظهر عليه المولى حتى أذن له في هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما اقتلع من سطحه سافا كف
عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان في قريش من فيه جفوة ونبوة كان

أدعى الى التغلب من حب الغلبة وطول رفع الصوت مع التغلب وافساد التغلب طباع المفسد بوجبان فساد النية ويمنعان من درك الحقيقة ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطأ جهة القصد وعلم الكلام بعد ملقى من الظلم متاح له الهضم فهو أبدا محمول عليه ومغموس حقه وباب الظلم اليه مفتوح لا مانع له دونه والعلم بعافيته من الضرر يخفى على أكثر العقلاء وبعض على جمهور الأدباء واذا كان ملقى من أكثر العقلاء ومخذولا عند أكثر الأدباء فما ظنك بمن كان عقله ضعيفا ونظره قصيرا بل ما ظنك بالظلوم الغادر والغمر الجاسر فهذا سبيل العوام فيه وجهل عوام الخاص به وانحرافهم عنه وميل الملوك عنه وعداوة بعض لبعض فيه وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والأدعياء قليلة الخلص والاصفياء والنهاية فيها غريبة والشروط التي تستحكم بها الصناعة بعيدة سخيفة ولدى القوم من العجز ما لبس لصميمهم ولردئ الطباع في صناعة الكلام من ادعاء المعرفة

نافع بن جبير أحد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشى قال واقوماه وان قيل عربى قال وامادّتاه وان قيل مولى أو عجمى قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت ويروى أن ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا فى الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأناه ولكن الحديث يجر بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ❁ ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجميل المواعظ والزهد فى الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا فى صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فما نذكره من ذلك أمر التعازى والمراثى فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل فى شئ قط كما قيل فى هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يعدم نفيسا كان هو المعدوم دون النفيس وحق الانسان الصبر على النوائب واستشعار ما صدرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة فى الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلى وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل

فلا تحسبى أنى تناسيت عهده * ولكن صبرى يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدى كرب

كم من أخ لى حازم * بوأته بيدى لحدا

أعرضت عن تذكاره * وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأى وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدى يذكر ابنه

وانى وان قدمت قبلى لعالم * بانى وان أبطأت منك قريب

وان صباحا نلتقى فى مسائه * صباح الى قلبى الغداة حبيب

مالبس المطبوع عليها منهم بل لا تكاد تجده الامغمورا بالحسدة مقصودا بمخاتل السفلة ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات ان أصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأى وسبيل صواب الحدس وفى طريق التقريب والتمويه وانه ليس العلم الا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويل له ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة ويزعمون انه ليس بين علمهم بالشئ الواحد انه شئ واحد وانه غير صاحبه فرق فى معنى الاتفاق والاستبانة وثلج الصدور والحكم بغاية الثقة

(فصل منه) فلو كان هذا المهندس الذى قد أبرم قضيته وهذا الحاسب الذى قد شهر حكومته نظر فى الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة وطبيعة مناسبة وعناية تامة واعوان صدق وقلة شواغل وشهوة للعلم ويقين بالاصابة لكان تهيب الحكم أزين به والتوقى أولى به فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام

وكفى باليأس معزيا وبانقطاع الطمع زاجرا كما قال الشاعر

أبا عمرو لم أصبر ولى فيك حيلة * ولكن دعانى اليأس منك الى الصبر
تصبرت مغلوبا وانى لموجع * كما صبر العطشان فى البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائى) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبرى بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دما وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذى جعل الموت حتما واجبا على عباده فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون

وله يقول القائل تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل ابنك الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثى ابنه (قال أبو الحسن هو العتبى)

بأبى وأمى من عبأت حنوطه * بيدى وودعنى بماء شبابه
كيف السلو وكيف صبرى بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثى عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرع غصة * أمارا تجيعا من دم الجوف منقعا
تجرعته فى عاصم واحتسبته * لاعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثى ابنة أخته وكان تبناها وكان حدبا عليها كلفا بها

أمست أميمة معمورا بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم
يا شقة النفس ان النفس والهة * حرى عليك ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن تقدمنى * الى الحمام فيبدى وجهها العدم

ما يعرفه المقتصد فيه والمتوسط له على انا ما وجدنا مهندسا فقط ولا رأينا حاسبا يقول ذلك الا وهو ممن لا يتوقى سرف القول ولا يشفق من لائمة المحصلين واقصاء من قد عرف الحقائق واستبان العواقب ووزن الأمور كلها وعجم المعانى بأسرها وعلم من أين وثق كل واثق ومن أين غر كل مغرور وعلى أنهم يقرون ان فى الحساب ما لا يعلم وان فى الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز فى صناعتهم وبذلك النقص فى غرائزهم

(فصل منه) وأقول انه لو لم يكن فى المتكلمين من الفضل الا أنهم قد رأوا أدبار الدنيا عن علم الكلام واقبالها الى الفتيا والاحكام واجماع الرعية والراعى على اغناء المفتى وعلم الفتوى فرع واطباقهم على حرمان المتكلم وعلم الكلام أصل فلم يتركوا مع ذلك تكلفه وشحت نفوسهم على ذلك الحظ مخافة ادخال الضيم على علم الأصل واشفاقا من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع فكان الفقر والقلة

فالآن نمت فلا هم يؤرقني * يهدا الغيور اذا ما أودت الحرم

للموت عندي أياد لست أنكرها * أحيا سرورا وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب المراثي يجمع افراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزي وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل

وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه

تحل رزيات وتعرو مصائب * ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر

لقد عركتنا الزمان ملمة * أذمت بمحمود الجلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرزء كان جليلا باجماع فللقائل أن يتفسح في القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله سنا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن في حبس الخليفة وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة

بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين عن الآم الكسر

فيا ابن النبي المصطفى وابن بنته * ويا ابن علي والفواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدي الى طهر

ويا ابن سليمان الذي كان ملجأ * لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر

ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا * وروى حجيجا بالملمعة القفر

لعز علينا قد دنا لنا من رزية * بموتك محبوسا على صاحب القبر

فان تقض في حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطي الذليل على القسر

لكم من عدو للخليفة قد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر

فواحزنا لو في الوغى كان موته * بكينا عليه بالردينية السمر

وكنا وقيناه القنا بنحورنا * وفات كذا في غير هيج ولا نفر

وحدثت

آثر عندهم مع أحكام الأصول من الغنى والكثرة مع حفظ الفروع فتركوا أن يكونوا قضاة وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا حكاما وقنعوا بأن يحكم عليهم مع معرفتهم بأن آلتهم أتم وآدابهم أكمل وألسنتهم أحد ونظرهم أثقب وحفظهم أحضر وموضع حفظهم أحصن والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الازرقي والغالي وعلى ما دونهما من الخارجي والرافضي بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة

(فصل من صدر رسالته في مدح التجارة وذم عمل السلطان) أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وختم لك بالسعادة وجعلك من الفائزين فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على تعدي القول وحيف في الحكم وسمعت قوله وهو على كل حال جائر وطريقه طريقهم وكتبهم تشاكل كتبهم وألفاظه تطابق ألفاظهم وكذلك حالنا وحال صاحب كتابك فيما يسخطه من أمرنا اني لا أعتذر منه واستنكف من الانتساب اليه بل

وحدثت أن عمر بن الخطاب لما ولى كعب بن سور الازدى قضاء البصرة أقام ما ملا له عليها الى أن استشهد على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمان بن عفان أقره فلما كان يوم الجمل خرج مع اخوة له قالوا ثلاثة وقالوا أربعة وفى عنقه مصحف فقتلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عين جودى بدمع سرب * على فتية من خيار العرب
وما لهم غير حين النفو * س أى أميرى قريش غلب

هذه الرواية سرب وقالوا معناه جار فى طريقه من قولهم انسرب فى حاجته وبيت ذى الرمة يختار فيه الفتح * كأنه من كلى مفرية سرب * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقع وضع النعت فى موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتى بعد المنعوت ولا يقع فى موقعه حتى يدل عليه فيكون خاصا له دون غيره تقول جاءنى انسان طويل فان قلت جاءنى طويل لم يجز لان طويلا أعم من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءنى انسان متكلم ثم قلت بعد جاءنى متكلم جاز لانك تدل به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرناه مشروحا والمراثى كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختار والنادر والمتمثل به السائر فمن مليح ما قيل قول رجل يرثى أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابن لابى العتاهية)

قلب يا قلب أوجعك * ما تعدى فضعضعك
يا أبى ضمك الثرى * وطوى الموت أجمعك
ليتنى يوم مت صر * ت الى تربة معك
رحم الله مصرعك * بردا الله مضجعك

وقال ابراهيم بن المهدى يرثى ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخر الايام عنك حبيب * فللعين سح دائم وغروب
دعته نوى لا يرتجى أوبة لها * فقلبك مسلوب وأنت كئيب
يؤوب الى أوطانه كل غائب * وأحمد فى الغياب ليس يؤوب
تبدل دارا غير دارى وجيرة * سواى وأحداث الزمان تنوب
أقام بها مستوطنا غير انه * على طول أيام المقام غريب
كأن لم يكن كالغصن فى ميعة الضحى * سقاه الندى فاهتز وهو رطيب

أستحى من الكتابة واستنكف بان أنسب اليها من البلاغة ان أعرف بها فى غير موضعها ومن السطحى أن تظهر منى ومن الضيعة أن تعرف فى كتبى ومن العجب بكثير ما يكون منى وقد عاب كره ذلك أهل المروءة والانفة وأهل الاختيار للصواب والصد عن الخطأ حتى أن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتابا الى رجل فقال فيه لهو أهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ثم قال امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب كانه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ورأى أنه ليس فى موضعه

(فصل منه) وهذا الكلام لا يزال ينجم من حشوية أتباع السلطان فأما عليتهم ومصاصهم وذوو البصائر والتمييز منهم ومن فوقته الفطنة وأرهفه التأديب وأرهفه طول التفكير وجرى فيه الحياء وأحكمته التجارب فعرف العواقب وأحكم التفصيل ونطق بغوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة الكبار ويقنون ما لهم ويحكمون

كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب
كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ * ـنساء اذا يوم يكون عصيب
وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب
وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب
قليلا من الايام لم يرو ناظري * بها منه حتى أعلقته شعوب
كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته فطاح جنوب
أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب
سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب
وما فار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب
حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب
وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب
دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب
ولم يملك الآسون دفعا لمهجة * عليها لأشراك المنون رقيب
فقصت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب
وأصبحت في الهلاك الا حشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب
تولتهما في حقبة فتركتها * صدى يتولى تارة ويثوب
فلا ميت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب
واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب
وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كل لساني عن وصف ما أجد * وذقت ثكلا ما ذاقه أحد
وأوطنت حرقة حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد
ما طالح الحزن والحرارة في الـ * أحشاء من لم يمت له ولد

لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أودع الناس بدنا وأهناهم عيشا وآمنهم سربا لانهم في أفنيتهم كالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات وينزع اليهم ملتمسوا البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم عن همهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدر وتنغيص خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيرا ما تحل فناهيك بهم من حوم بين رقهم الأعداء فضلا عن الأولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الوفاء عنه والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الأثر أو قضاء اللذات من غير منة لأحد ولا منة يعتدي بها ومن هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه

فجعت باثنين ليس بينهما * الا الليالي ليست لها عدد

فكل حزن يبلى على قدم الـ * ـدهر وحزني يجده الابد

وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلي بن أبي طالب على اليمن فشخص الى علي واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفي فوجه معاوية الى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بني عامر بن لؤي فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا فقال أبوه

لعمري لئن أتبعت عينيك ما مضى * به الدهر أوساق الحمام الى القبر

لتستنفدن ماء الشؤون بأسره * ولو كنت تمريهن من ثبج البحر

لعمري لقد أردى ابن أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبي أجر

وقلت لعبد الله اذ حن باكيا * تعز وماء العين منهمر يجري

تبين فان كان البكا رد هالكا * على أهله فاشدد بكاك على عمرو

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه * علي وعباس وآل أبي بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شيء وسطه ويروى في الحديث كنت اذا فاتحت الزهري فتحت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر فانما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلي الارض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بني الحرث بن كعب فوارثهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففي ذلك تقول الحارثية

الا من بين الاخو * ين أمهما هي الثكلى

تسائل من رأى ابنيها * وتستبغي فما تبغى

وفي ذلك تقول أيضا

يا من أحس بني اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بني اللذين هما * سمعي وطرفي فطرفي اليوم مختطف

يا من أحس بني اللذين هما * مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر

(فصل منها) وقد علم المسلمون ان خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة وهي معولهم وعليها معقدهم وهي صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ولقد بلغتك بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ونعتت لك أحلامهم وتقدرلك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم وبالتجارة كانوا يعرفون ولذلك قالت كاهنة اليمن لله در الديار لقريش التجار وليس قولهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وتيمي لانه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون اليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وتنزيله فجعله قرآنا عربيا يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وحظوه على الحبيب والخالص ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبو

نُبِّئْتُ بِشْراً وما صدَّقْتُ ما زعموا * من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا

أنحى على ودجى طفلى مرهفة * مشحوذة وعظيم الافك يقترف

من ذل والهة حرى مفجعة * على صبيين ذابا اذ مضى السلف

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عتبة تمثل

اذا سار من خلف امرئ وأمامه * وأوحش من أصحابه فهو سائر

فلما أتاه موت زياد تمثل   وأفردت سهما فى الكنانة واحدا * سيرمى به أو يكسر السهم كاسر

وماتت امرأة الفرزدق بجمع ومعنى جمع ولدها فى بطنها (وان شئت قلت جمع بالفتح) فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

وفى جوفه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنسأته لياليا

وهذا من البغى فى الحكم والتقدم وقال رجل من المحدثين فى ابنين لعبد الله بن طاهر أصيبا فى يوم واحد وهما طفلان شبيها بهذا ولكنه اعتذر فحسن قوله وصح معناه باعتذاره وهو الطائى

لهفى على تلك الشواهد فيهما * لو أمهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثى حدراء الشيبانية

يقول ابن صفوان بكيت ولم تكن * على امرأة عينى اخال لتدمعا

يقولون زر حدراء والترب دونها * وكيف بشىء عهده قد تقطعا

ولست وان عزت على بزائر * ترابا على مرموسة قد تضعضعا

وأهون مفقود اذا الموت ناله * على المرء من أصحابه من تقنعا

وما مات عند ابن المراغة مثلها * ولا تبعته ظاعنا يوم ودعا

وقال جرير يرثى امرأته   لولا الحياء لهاجنى استعبار * ولزرت قبرك والحبيب يزار

نعم الخليل وكنت علق مضنة * ولدى منك سكينة ووقار

لن يلبث القرناء أن يتفرقوا * ليل يكر عليهم ونهار

صلى الملائكة الذين تخيروا * والصالحون عليك والأبرار

انام

ذويب

اذا ضربوا القباب على عكاظ
وقام البيع واجتمع الألوف

وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم وآله برهة من دهره تاجرا وشخص فيه مسافرا وباع واشترى حاضرا والله أعلم حيث يجعل رسالته ولم يقسم الله مذهبا رضيا ولا خلقا زكيا ولا عملا مرضيا الا وحظه منه أوفر الحظوظ وقسمه فيه أجزل الأقسام ولشهرة أمره فى البيع والشراء قال المشركون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فأوحى الله اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فأخبر أن الأنبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات (فصل منه) والذى دعا صاحبك الى ذم التجارة توهمه بقلة تحصيله انها تنقص من العلم والأدب وتقتطع دونهما وتمنع منهما فأى صنف من العلم لم تبلغ التجار فيه غاية أو يأخذوا منه بنصيب أو يكونوا رؤساء أهله وعليتهم هل كان فى التابعين أعلم من سعيد بن المسيب

أفأم حزرة يافرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة ويقال كثير يرثى عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذى صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوى

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور

جلت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * فى كل دار رنة وزفير

يثنى عليك لسان من لم توله * خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم افضت اليه صنائعه

وان يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه فى عدوه * وخصت وعمت فى الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذ الطائى فى مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤن لفقده * لعهدى به حيا يحب به الدهر

لئن عظمت فيه مصيبة طيئ * لما عريت منها تميم ولا بكر

وقال القرشى قد كنت أبكى على من فات من سلفى * وأهل ودى جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بينى و بينهم * نوى بكيت على أهل المروآت

ومابقاء امرئ كانت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

و يروى أن على بن أبى طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذى دون الفراق قليل)

وان افتقادى واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن علفة المرى من غطفان

لعمرى لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا على ثقيل

أو أنبل وقد كان تاجرا يبيع و يشترى وهو الذى يقول ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على رضوان الله عليهم قضاء الا وقد علمته وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بانساب قريش وهو من كان يفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وهم متوافرون وله بعد علم بأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته فى أعين الخلفاء وتقدمه على الجبارين ومحمد بن سيرين فى فقهه وورعه وطهارته ومسلم بن يسار فى علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربه وأيوب السختيانى و يوسف بن عبيد فى فضلهما وورعهما

(فصل منه فى الشارب والمشروب) سألت أكرم الله وجهك وأدام رشدك ولطاعته توفيقك حتى تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوى الألباب ودرجات أهل الثواب ان أكتب لك صفات الشارب والمشروب ومافيهما من المدح والعيوب وان أميز لك بين الانبذة والخمر

وقالوا ألا تبكي لمصرع مالك * أصاب سبيل الله خير سبيل
كأن المنايا تبتغي في خيارنا * لها ترة أو تهتدي بدليل
أتأتي المنايا حيث شاءت فإنما * مجللة بعد الفتى بن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالي بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول متمم بن نويرة

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدي عن شراحيل أنني * اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابي ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصي
لعمرك ما خشيت على قصي * متالف بين حجر والسلي
ولكني خشيت على قصي * جريرة رمحه في كل حي
فتى الفتيان محاول ممر * وأمار بإرشاد وغي

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب بنى صاحبه أن تقديره في المرثي أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول في مدحه * وأمار بإرشاد وغي * وشبيه بهذا قول لبيد في أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامرا الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لاربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم مني ولكن ان شئت فلك المدر ولي الوبر أولي المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لي هذا الامر بعدك فأعلمه النبي أن ذلك ليس بكائن قال فأنشر بخيل أولها عندك وآخرها عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعني الأوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يارسول الله

وان أوقفك على حد السكر وان أعرفك السبب الذي رغب في شرب الأنبذة ومافيها من اجتلاب المنفعة ومايكره من نبيذ الأوعية وقلت ومافرق مابين الجرار والسقاء والمزفت والحنتم والدباء وما القول في المحتل والمكسوب ومافرق مابين النقيع والذاذي وما المطبوخ والباذق وما الغربي والمروق وما الذي يحل من الطبيخ وما القول في شرب الفضيخ رهل يكره نبيذ العكر وما القول في عتيق السكر وأنبذة الجرار ومايعمل من السكر ولم كره النقير والمقير وسألت عن نبيذ العسل والقرطبات وعن رز بن سوق الاهواز وعن نبيذ أبي يوسف والجهور والمعاق والمسعوم والحلو وترس شيرين ونبيذ الكشمش والتين ولم كره الجلوس على البواطي والرياحين وقلت وما نصيب الشيطان وما حاصل الانسان وسألت عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل وما جرى بينهم فيها من الاجوبة والمسائل وما كانوا عليه فيها من الآراء وتشتتوا فيها من الأهواء ولأي سبب تضادت فيها

عَلامَ يَتَعَصَّبُ هـذا الاعرابيُّ لسانه عليك دَعْنِى أقتله ويروى أن عامرا قال النبي عليه السلام لأغزُوَنَّك على ألف أشقَرَ وألف شَقْراءَ فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتَرْوِى قَيْسٌ أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فا كفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا فألّا ضربته قال أربد أردتُ ذلك مرتين فاعترض لى فى احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بينى وبينه أفأقتلك فلم يصل واحدٌ منهما الى منزله أما عامر فغُدَّ فى ديار بنى سلول بن صعصعة فجعل يقول أغُدَّةً كغُدَّةِ البعير وموتا فى بيت سلولية وأما أربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربدَ الحتوفَ ولا * أرهبُ نَوْءَ السماكِ والاسدِ
ما ان تُعَرِّى المنونُ من أحدٍ * لا والدٍ مشفقٍ ولا ولدِ
فجعنى الرعدُ والصواعقُ بالفارس يوم الكريهة النَجُدِ
يا عينِ هلّا بكيتِ أربدَ اذ * قمنا وقام العدوُّ فى كبدِ

وقال أيضا

ذهبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهم * وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجربِ
يتحدثون مخانةً وملاذةً * ويُعابُ قائلهم وان لم يشغبِ
يا أربدَ الخير الكريم جدودُه * غادرتنى أمشى بقرنٍ أعضبِ
ان الرزيةَ لا رزيةَ مثلُها * فقدانُ كلِّ أخٍ كضوءِ الكوكبِ

قوله فى خَلْف يقال هو خَلَفُ فلان لمن يَخْلُفُهُ من رهطه وهؤلاء خَلْفُ فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خَلْفُ الا فى الشر وأصله ما ذكرنا والمَخانةُ مصدر من الخيانة والمَلوذُ الذى لا يصدق فى مودته يقال رجل مَلوذٌ ومَلْذانٌ ومَلاذةٌ مصدره والأعضبُ المقطوعُ وفى الحديث لا يضحّى بعضباءَ ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه لولا ما مَنَّ الله به من بقائك لكنا كما قال لبيدٌ

ذَهَبَ الذين يُعاشُ فى أكنافهم * وبقيتُ فى خَلْفٍ كجلد الأجربِ

فقال له معنٌ أما تذكرانى سُدتُ حين ذهب الناس هلا قلتَ كما قال نَهارُ بن تَوْسِعةَ

فَلَدَتْهُ عُرَى الامور نزارٌ * قبل أن تَهلِكَ السراةُ البحورُ

ثم نرجع الى ذكر المراثى وقال أعرابى

الآثار واختلفت فيها الأخبار وسألت أن أقصد فى ذلك الى الايجاز والاختصار وحذف الاكثار وقلت واذ جعل الله تعالى للعباد عن الخمر المندوحة بالأشربة الهنيئة الممدوحة فما تقول فيما حسن من الأنبذة صفاء وبعد مداه واشتدت قواه وعتق حتى جاد وعاد بعد قدم الكون صافى اللون هل يحل اليه الاجتماع وفيه الاكتراع اذ كان يهضم الطعام ويوطئ المنام وهو فى لطائف الجسم سار وفى خفيات العروق جار لا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا جرس غضوض وقلت وكيف يحل لك تركه شربه اذا كان لك موافقا ولجسمك ملائما ولم لا قلت ان تاركه شربه كتارك العلاج من أدواء الادواء وانه كالمعين على نفسه اذا ترك شربه أخفش الداء وأنت تعلم انك اذا شربته عدلت به طبيعتك وأصلحت به صغار جسمك وأظهرت به حمرة لونك فاستبدلت به من السقم صحة ومن حلول العجز قوة ومن الكسل نشاطا والى اللذة انبساطا ومن الغم فرحا ومن الجمود تحركا

لعمري لقد نادى بأرفع صوته * نعى حي أن سيدكم ثوى
أجل صادقا والقائل الفاعل الذى * اذا قال قولا أنبط الماء فى الثرى
فتى قبل لم تعنس السن وجهه * سوى وضح فى الرأس كالبرق فى الدجى
أشارت له الحرب العوان فجاءها * يقعقع بالأقراب أول من أتى
ولم يجنها لكن جناها وليه * فآسى وآداه فكان كمن جنى

ويروى أن عائشة رضى الله عنها نظرت الى الخنساء وعليها صدار من شعر فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجى رجلا متلافا أخفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتى أخى صخرا فاسأله فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدت له فعاد لى بمثل ذلك فأتلفه زوجى فعدت له فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المال متلف فامنحها شرارها فقال صخر

والله لا أمنحها شرارها * ولو هلكت خرقت خمارها * واتخذت من شعر صدارها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لأبيها فقط ويروى عن بعض نساء بنى سليم انها نظرت اليها فى صدار وهى تصنع طيبا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقالت لها فى شئ كرهته الخنساء فقالت لها اسكتى فوالله لقد كنت أبسط منك عرفا وأطيب منك ورسا وأحسن منك عرسا وأرق منك نعلا وأكرم منك بعلا وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وقال الفرزدق وتتابع له بنون

أسكان بطن الارض لو يقبل الفدا * فديتم وأعطينا بكم ساكنى الظهر
فياليت من فيها عليها وليت من * عليها اذوى فيها مقيما الى الحشر
هم اوا كان لم يعرف الموت غيرهم * فثكل على ثكل وقبر على قبر
لقد شمت الاعداء بى وتغيرت * عيون أراها بعد موت أبى عمرو
تجرى على الدهر لما فقدته * ولو كان حيا لاجترأت على الدهر
وقاسمنى دهرى بنى مشاطرا * فلما توفى شطره مال فى شطرى

ومن الوحشة انساوهو فى الخلوة خير سامر وعند الجلبة خير ناصر يترك الضعيف وهو مثل الأسد فى العرين بلا نله ولا يلين وقلت الجيد من الأنبذة يصفى الذهن ويقوى الركن ويشد القلب والظهر ويمنع الضيم والقهر ويشهى المعدة ويهيج الطعام الشهوة ويقطع عن اكثار الماء الذى جل الادواء منه ويحدر رطوبة الرأس ويهيج العطاس ويشد البضعة ويزيد فى النطفة وينفى القرقرة والرياح ويبعث الجود والسماح ويمنع الطحال من العظم والمعدة من الضم ويحدر المرة والبلغم ويلطف دم العروق ويجريه ويرققه ويصفيه ويبسط الآمال وينعم البال ويغشى الغلظ فى الرئة ويصفى البشرة ويترك اللون كالعصفر ويحدر أذى الرأس فى المقعر ويموه الوجه ويسخن الكلية ويلذ النوم ويحلل التخم ويذهب بالاعياء ويغذو لطيف الغذاء ويطيب الأنفاس ويطرد الوسواس ويطرب النفس ويؤنس من الوحشة ويسكن الروعة ويذهب الحشمة ويقذف

وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى قال قدم رجل من البادية فلما صار بجبل سنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دفنت الدافنين الضيم عنى * برابية مجاورة سناما
أقول اذا ذكرت العهد منهم * بنفسى تلك أصداء وهاما
فلم أر مثلهم ماتوا جميعا * ولم أر مثل هذا العام عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبى العباس

فليت حمامهم اذ فارقونى * تلقانا فكان لنا حماما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنون سبعة روى ذلك أبو الحسن المدائنى قال أبو العباس فاختلف على فيهم فقال قوم كانوا تحت حائط وقال قوم آخرون بل حلب لهم فى علبة فتح فيها الأفعى فبعث بها اليهم فشربوها فماتوا جميعا والرجل يقال له الحرث بن عبد الله الباهلى وهلكت لجارة شاة فجعل يعلن بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكى على شاته * يبكى جهارا غير اسرار
ان الرزيات وأمثالها * ما لقى الحرث فى الدار
دعا بنى معن واخوانهم * فكلهم يعدو بعصفار

قال أبو العباس والمصائب ما عظم منها وما صغر تقع على ضربين فالحزم التسلى عما لا يغنى الغم فيه والاحتيال لدفع ما يدفع بالحيلة ومن أحسن القول فى هذا المعنى فى الاسلام قول على بن الحسين ابن على بن أبى طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع فسئل عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفى هذا زيادة تنتظر وفضل تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحذر أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجزع والاشفاق قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليم ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشىء فاله عنه يقال لهيت عن الامر ألهى اذا أضربت عنه ولهوت الهو من اللعب ومن أقدم ما قيل فى هذا المعنى قول أوس ابن حجر الأسيدى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم يرثى فضالة بن كلدة أحد بنى أسد بن خزيمة

أيتها النفس أجملى جزعا * ان الذى تحذرين قد وقعا
ان الذى جمع السماحة والنجدة والحزم والقوى جمعا

فضول الصلب بالانشاط للجماع وفضول المعدة بالهراع وبشبع المرتاع ويزهى الذليل ويكثر القليل ويزيد فى جمال الجميل ويسلى الحزن ويجمع الذهن ويذهب الهم ويطرد الغم ويكشف عن قناع الحزم ويولد فى الحليم الحلم ويكفى أضغاث الحلم ويحث على الصبر ويصحح من الفكر ويرجى القانط ويرضى الساخط ويغفى عن الجليس ويقوم مقام الأنيس وحتى ان عزلم يقنط منه وان حضرلم يصبر عنه يدفع النوازل العظيمة وينقى الصدر من الخصومة ويزيد فى المساغ ومضونة الدماغ وينشط الباه حتى لا يزيف شيأ براه وتقبله جميع الطبائع ويمتزج به صنوف البدائع من اللذة والسرور والنضرة والحبور وحتى ممى شرب صفا ومى فقده خفا وان شرب منه الصرف بغير مزاج تحلل بغير علاج وينفى الاحزان والهموم ويدفع الاهواء والسموم ويفتح الذهن ويمنع الغبن ويلقن الجواب ولا يكبد منه العتاب به تمام اللذات وكمال المروآت ليس لشئ كحلاوته فى النفوس وكسطوته فى الجباه

(أودى فما تنفع الإساءة من * شىء لمن قد تحاول البدعا)

الألمعى الذى يظن لك الظـ * ـن كأن قد رأى وقد سمعا

المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا

والحافظ الناس فى تحوط إذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وشبه الهيدب العبام من الـ * أقوام سقبا ملبسا فرعا

وكانت الكاعب الممنعة الـ * حسناء فى زاد أهلها سبعا

ليبكك الشرب والمدامة والـ * فتيان طرا وطامع طمعا

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله الألمعى الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذى يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترفل فى النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذى تناله الرزيئات فى ماله لما يعطى ويسئل والامتاع الإقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله فى السيف وما أشبهه يقال طبع السيف إذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال حجرة وكحل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا العائذ الحديثة النتاج والربع الذى ينتج فى الربيع ومن شأنهم فى سنة الجدب أن ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالامهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار ومن ذلك قولهم من عز بز أى من غلب استلب وفى القرآن وعزنى فى الخطاب أى غلبنى بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكمع قال الراجز

* ومشحوذ الغرار يبيت كمعى * يعنى السيف أى يبيت مضاجعى ملتفعا يقال تلفع فى مطرفه وفى كسائه إذا تلفف وتزمل فيه فيقول من شدة الضر يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التى

والرؤس وكانشاطه الحديث والجلوس بحمر الألوان ويرطب الأبدان ويخلع عن الطرب الأرسان وقلت ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان ويكثر الهذيان ويظهر الفضول والاختلاط ويناوب الكسل بعد النشاط فأما إذا تبين فى الرأس الميلان واختلف عند المشى الرجلان وأكثر الاخفاق والتفخ والبصاق واشتملت عليه الغفلة وجاءت الزلة بعد الزلة أوسال على الصدر لعابه وصار فى حد المخرفين لا يفهم ولا يبين قبل دلالات النكر وظهور علامات السكر ينسى الذكر ويورث الفكر ويهتك الستر ويسقط من الجدار ويهور فى الآبار ويعرق فى الأنهار ويعوق عن المعروف ويعرض للحتوف ويحمل على الهفوة ويؤكد الغفلة ويورث الصياح والصمات ويصرع الفهم للسبات فلغير معنى يضحك ولغير سبب يحك ويحيد عن الانصاف وينقلب على الساكت الكافى ثم يظهر السرائر ويطلع على ما فى الضمائر من مكنون الأحقاد وخفى الاعتقاد وقد يقل على السكر

كَعْبَ ثديها يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعنى امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلَقُ الرثُّ وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو الجحن والقتين وقال أعرابى

خليلىّ عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعدُ

فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * وبين المزجّى نفنفٌ متباعد

اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييّاً ولا عبأً على من يقاعدُ

وقالت ليلى الاخيلية

دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعواً ولبيك داعيا

فليت عُبَيْدَ الله كان مكانه * صريعاً ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حُمَيِّر العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرّس فى طريقه فأمن فقال فندّت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذبّ عبيدُ الله شيأ وانهزما وقُتل توبةُ ففى ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعينىّ ألا فابكى على ابن حُمَيِّر * بدمع كفيض الجدول المتفجّر

لتبك عليه من خفاجة نسوةٌ * بماء شؤون العبرة المتحدّر

سمعن بهيجا أزحفت فذكّرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكّر

كأنّ فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغوّر

ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر

ولم يقدع الخصم الالدّ ويملا الـ * ـجفان سديفاً يوم نكباء صرصر

الا رب مكروب أجبت ونائل * أثرت ومعروف لديك ومنكر

فيا توب للمولى ويا توب للندى * ويا توب للمستنبح المتنوّر

قولها لتبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجا تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سُدُمٌ وهى القديمة المندفنة قال الشاعر

وعلىّ بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

المتاع ويطول منه الأرق والصداع ثم يورث بالغدوات الخمار ويختل سائر النهار ويمنع من اقامة الصلوات وفهم الأوقات ويعقب السل ويعقب فى القلوب الغل ويجفف النطفة ويورث الرعشة ويولد الصفار وضروب العلل فى الأبصار ويعقب الهزال ويجحف بالمال ويجفف الطبيعة ويقوى الفاسد من المروءة ويذبل النفس ويفسد مزاج الحسن ويحدث الفتور فى القلب ويبطئ عند الجماع الصب حتى يحدث من أجله الفتق الذى ليس له رتق ويحمل على المظالم وركوب المآثم وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ويكفر من غير فهم

(فصل منه) وقلت ومن الحلو فى المعدة التخم وفى الابدان الوخم ويولد الكرش رياحا كمثل رياح العدس وحموضة تولد فى الاسنان الضرس والسكر حسبك بفرط حرارته وكسوف لونه وبشاعة مذاقه ونفار الطبيعة عنه وأنواع ما يعالج من التمر والحبوب فشربها الداء العضال والمسحور والبنى وأشباهها كدورة

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها تقذير الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأطوى البطن من دون ملئه * لمختبط فى آخر الليل ناج
وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليل الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

نظرت وركن من بوانة دوننا * وأركان حسمى أى نظرة ناظر
الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرة * لعاقرها فيها عقيرة عاقر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن أبرادا رقاقا لفتية * كرام ويرحل قبل فئ الهواجر
فتى لاتخطاه الرفاق ولاترى * لقدر عيالا دون جار مجاور
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يقنع سواك بناصر

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أى نظرة وأية نظرة وأيتما نظرة وأيما نظرة كما تقول مررت برجل أيما رجل وتأويله مررت برجل كامل فأيما فى موضع كامل وتقول مررت بزيد أيما رجل على الحال ومن قال أى نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمخرج مخرج استفهام وتقديره أى نظرة هى كما تقول سبحان الله أى رجل زيد وهذا البيت ينشد على وجهين

فأومأت ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيما فتى

ترسب فى المعدة وتولد بين الجلدتين الحكة وأشباه هذا كثيرة تركت ذكرها لانى لم أقصدك بالمسألة أبتغى منك تحليل ما يجلب المضرة ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك واذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كأفواه الفروخ محسنة للون ملذة للنفس يجثم على المعدة ويزود فى العروق ويقصد الى القلب فيولد فيه اللذة وفى المعدة الهضم وهو غسولها ونضوجها ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالعجل الى الطحال وينفخ منه وتظهر حمرته بين الجلدتين ويزيد فى اللون ويولد الشجاعة والسخاء ويريح من اكتنان الضغن ويعين على تغير النكهة وينقى الذفر ويسرع الى الجبهة ويغنى عن الصلا ويمنع القر وما تقول فى نبيذ الزبيب الحض والعسل المازى اذا تورد لونه وتقادم كونه ورأيت حمرته فى صفرته تلوح تراه فى الكاس كأنه بالشمس ملتحف شعاعه يخطف فى الاكف وما تقول فى عصير الكرم اذا أجدت طبخه وأنعمت انضاجه وأحسن الدن نتاجه فاذا

وأيما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلاشا وهاعن عقيرة شاؤها طلقها وقولها لعاقرها فيها عقيرة عاقر أي قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم غنيمة المغتنم وكقولهم عقيرةٌ وكا تكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا نَفْسَ عمرو بن عامرٍ * أصابوا به وترًا يُنيمُ ذوي الوتْرِ

يقال ثأرٌ مُنيمٌ اذا أصابه المُثئِرُ هدأ واستقر لانه أصاب كفؤا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جرَّ جاني قومهم أَمنوا * للؤم أحسابهم أن يُقتلوا قَوَدا

وخلاف قول الحرث بن عُبادٍ   لا بُجَيرٌ أغنى قتيلا ولا رهـ * ـطُ كُلَيبٍ تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دُرَيدُ بن الصمّة   قتلتُ بعبد الله خيرَ لِداته * ذُؤابا فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ التيمي من بني تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مُصعبَ بن الزبير بأخيه النابي بن زياد   ان عُبيدَ الله ما دام سالما * لسارٍ على رغم العدوّ وغادي

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حَزَزْنا برأس النابيِ بن زياد

كسر الياء على الاصل كما قال ابن قيس الرُقيّات

لا باركَ الله في الغواني هل * يُصبحنَ الا لهنَّ مُطَّلَبُ

ومن أخذه من نبأت على القوم أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه فانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما أشبههما) وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسريّ لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مُكِبًّا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعي بعدُ   قتلنا بالفتى القسريّ منهم * وليدَهُمُ أميرَ المؤمنينا

(ومروانا قتلنا عن يزيد * كذلك قضاؤنا في المعتدينا

وبابن السفط مناقد قتلنا * محمدَ ابن هرون الامينا)

فمن يك قتله سُوقًا فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

فض فض عن غضارة قد صار في لون الجادي في صفاء ياقوتة تلمع في الاكف لمع الدنانير ويضي كالشهاب المتقد وما تقول في نبيذ عسل مصر فانه يؤدي الى شاربه الصحيح من طعم الزعفران ما لا يلبس الخلقان ولا يجود الا في جدد الدنان ولا يستخدم الاجناس ولا يألف الارجاس وكذلك لا يزكو على علاج الجنب والحائض ولا ينقص على شئ من الاجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج أبيض يققا وحسبك به في رقة الهوى يكدره صافي الماء وهو مع ذلك كالهزبر ذي الاشبال المفترس للاقران من عاقره عقره ومن صارعه صرعه وما تقول في رزين الاهواز من زبيب الداقياد اذ يقود صلبا من غير أن يسيل سلافة أو يماط عنه ثفله حتى يعود كلون العقيق في رائحة المسك العتيق أصلب الأنبذة عريكة وأصلبها صلابة وأشدها خشونة ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب وما ظنك به وهو زبيب نقيع لا يشتد ولا يجود الا بالضرب الوجيع وما تقول في الدوشاب

وقولها ويرحل قبل فى الهواجر تريد أنه متيقظ ظعّانٌ والمولى فى قولها اذا مولاك خاف ظلامة يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل وانى خفتُ الموالىَ من ورائى يريد بنى العم قال الفضلُ ابن العباس

مَهْلًا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تَنْبُشُوا بيننا ما كان مَدْفونا

ويكون المولى المُعْتَق ويكون المولى من قوله جَلّ ثناؤه وان الكافرين لا مَوْلَى لهم ويكون المولى الذى هو أحقُّ وأَوْلَى منه قوله مأواكم النار هى مولاكم أى أولى بكم والمولى المالك وقولها ولم يبن أبرادا تريد الخيام ۞ قال أبو العباس وكانت الخَنْساء ولَيْلَى بائنتين فى أشعارهما متقدمين لأكثر الفحول وربّ امرأة تتقدم فى صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن يُنَشَّأُ فى الحِلْيَة وهو فى الخصام غيرُ مُبِين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان المرأة خُلِقَتْ من ضِلَعٍ عَوْجاء وانك ان ترد اقامتها تَكْسِرْها فدارها تَعِشْ بها فمن نَدَرَ من النساء فى باب من الابواب أمُّ أيوب الانصارية وأمُّ الدَّرْداء ورابعةُ القَيْسِيَّةُ ومُعاذَةُ العَدَوِيَّةُ فان هؤلاء النسوة تَقَدَّمْنَ فى الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثنى الجاحظ عن ابراهيم بن السِّنْدىّ قال كانت تصير الىَّ هاشميّةُ جارية حَمْدونَة فى حاجات صاحبتها فأَجْمَعُ نفسى لها وأطرُدُ الخواطر عن فكرى وأُحْضِرُ ذهنى جهدى خوفا من أن تورِدَ علىَّ ما لا أفهمه لبُعْد غَوْرها واقتدارها على ان تُجْرِى على لسانها ما فى قلبها وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالصةَ وعُتْبَةَ جاريتى رَيْطَةَ بنت أبى العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير مُتَّسِعٌ فمما نَدَرَ من شعر الخنساء قولها ترثى صَخْرًا

ياصخر ورّاد ماء قد تَنَاذَرَهُ * أهلُ المياه وما فى وِرْدِه عارُ

مشى السَّبَنْتَى الى هيجاء مُعْضِلةٍ * له سلاحان أنيابٌ وأظفارُ

وما عَجولٌ على بَوٍّ تَحِنُّ له * لها حَنينان اعلانٌ واسرارُ

تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتى اذا ادَّكَرَتْ * فانما هى اقبال وادبارُ

يوما بأَوْجَعَ منى يوم فارقنى * صخرٌ وللعيش احلاءٌ وامرارُ

وان صخرا لَوالينا وسيدُنا * وان صخرا اذا نَشْتُو لنَحّارُ

وان صخرا لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به * كأنه عَلَمٌ فى رأسه نارُ

لم تره جارةٌ يمشى بساحتها * لِرِيبةٍ حين يُخْلِى بيتَهُ الجارُ

البستانى سلالة الرطب الجنى بالحب الرتيلى اذا أوجع ضربا وأطيل حبسا وأعطى صفوه ومنح رفده وبذل ما عنده فاذا كشف عنه قناع الطين ظهر فى لون الشقر والكمت وسطع برائحة كالمسك واذا هم على المعدة لانت له الطبائع وسلبت له الأمعاء وأيبس الحصر وانقطع طمع القولنج وانقادت له اليبوسة وأذعنت له بالطاعة وابتل به الجلد القحل وارتحل عنه الباسور وكفى شاربه الوخز فاذا سنح عما تلظى ورمى بشرره هل يحل أن يشعشع اذا سكن جاشه وأبل حلمه وما تقول فى المغلق من أنبذة التمر فانك تنظر اليه وكان النيران تلمع من جوفه قد ركد ركود الزلال حتى لكان شاربه يكرع فى شهاب ولكانه فرند فى وجه سيف وله صفحة مرآة مجلوة تحكى الوجوه فى الزجاجة حتى يفهم فيه الجلاس وما تقول فى نبيذ الجزر الذى منه تمتد النطفة وتشتد النفطة يجلب الأحلام ويركد فى مخ العظام وما تقول فى نبيذ الكشمش الذى لونه لون زمردة خضراء

قولها

قولها   يا صخر ورّاد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار

تعني الموت أي لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبندى واحد وهو الجرىء الصدر وأصله في النمر والعجول التي فارقها ولدها او البو وقد مضى تفسيره وكذلك فانما هي اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعني الحرب وقولها كأنه علم في رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعينيّ جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرىء الجميل * ألا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما * د ساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا

فنال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما عالهم * وان كان أصغرهم مولدا

ترى الحمد يهوي الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمتدح به الشريف قال جرير

فاني لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدي   قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيئ   جدير أن يقل السيف حتى * ينوس اذا تمطى في النجاد

وقال الحكمي أبو نواس   سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة   بطل كأن ثيابه في سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد انما تريد ذلك يقال رجل معمد أي طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أي الطوال وقولها ما عالهم أي نابهم ونزل بهم تقول العرب ما عالك فهو عائل أي ما نابك فهو نائب ومن ذا قول كثير   يا عين بكي الذي عالني * منذ بدء مع مسبل هامل

صافية تحكم الصلابة مفرط الحرارة حديد السورة سريع الافاقة عظيم المؤنة قصير العمر كثير العلل جم الحبات تطمع الآفات فيه وتسرع اليه وما تقول في نبيذنا التين فانك تعلم أنه مع حرارته لين العريكة سلس الطبيعة عذب المذاق سريع الاطلاق مرهم العروق نضوج الكبد فتاح السدد غسال الامعاء هياج الباه أخاذ للمن جلاب للون مع كسوف لون وقبح منظر وما تقول في نبيذ السكر الذي ليس مقدار المنفعة منه على قدر المؤنة فيه هل يوجد في الحصول لشربه معنى معقول وما تقول في المروق والغربي والفضيخ ألذ المشروبات في ازمانها وأنفع المأخوذات في ابانها أقل شيء مؤنة وأحسنه معونة وأكثر شيء قنوعا وأسرعه بلوغا ضمورات عروفات الرجل الوفي ولها أرايح على الشاة كاذكى رائحة تشم أقبل المشروبات صداعا وأشدهن خداعا

(فصل منه) وكرهت أيضا تقليد المختلف من الآثار فأكون كحاطب ليل دون التأمل والاعتبار لعلمي بأن

ومن جيد قولها

أبعد ابن عمرو من آل الشريد * حلت به الارض أثقالها
لعمر أبيه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها
فان تك مرة اودت به * فقد كان يكثر تقتالها
نغر الشوامخ من فقده * وزلزلت الارض زلزالها
همت بنفسي كل الهموم * فأولى لنفسي أولى لها
لاحمل نفسي على آلة * فاما عليها واما لها

قولها حلت به الارض أثقالها حلت من الحلي تقول زينت به الارض الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها لنعم الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول يجود بما هو له في الوقت الذي يؤثره أهله على الحمد والشوامخ الجبال والشامخ العالي ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أي على حالة وعلى خطة هي الفيصل فاما ظفرت واما هلكت وقولها فأولى لنفسي أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعد ما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لي وروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت في جواره أو في داره أولى لي كدت والله أكون السواد المخترم وقد مضى هذا مفسرا وأنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم * ولكن أولى يترك القوم جوعا

وقالت الخنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم في الشجاعة ومحظوظا في العشيرة

أريقي من دموعك واستفيقي * وصبرا ان أطقت ولن تطيقي
وقولي ان خير بني سليم * وفارسها بصحراء العقيق
ألا هل ترجعن لنا الليالي * وأيام لنا بلوى الشقيق
واذ نحن الفوارس كل يوم * اذا حضروا وفتيان الحقوق
واذ فينا معاوية بن عمرو * على أدماء كالجمل الفنيق

فبكيه

كلام الشك لايجاوزه الامتناع اليقين (فصل منه) قد فهمت أسعدك الله تعالى بطاعته جميع ما ذكرت من أنواع الأنبذة وبديع صفاتها والفصل بين جيدها ورديئها ونافعها وضارها وما سألت من الوقوف على حدود ولا زلت من عداد من يسأل ولا بحث ولا زلنا في عداد من يشرح ويفصح اعلم أكرمك الله انك لو بحثت عن أحوال من يؤثر شرب الخمور على الأنبذة لم تجد الا جاهلا مخذولا أو حدثا مغرورا أو خليعا ماجنا أو رعاعا همجا ومن اذا غدا بهيمة واذا راح نعامة ليس عنده من المعرفة اذا أكثر من انتحال القول بالجماعة قد مزج له الصحيح بالمحال فهو يدين بتقليد الرجال لشعشع الداح ويحرم المباح فتى عذله عاذل ووعظه واعظ قال الأشربة كلها خمر فلا أشرب الا أجودها وقد أحببت أيدك الله التوثق من اصغاء فهمك وسوغت ظنا بالتقرير فقدمت لك من التوطئة ما يسهل لك سبيل المعرفة وذلك الى مثلك من مثلي حوم حمى فيما خفيت معالمه ودرست مناهجه وكثرت

فَبَكَيْه فقد أودى حميدًا * أمين الرأي محمود الصديق

فلا والله لا تَسْلاك نفسي * لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكني رأيت الصبر خيرًا * من النعلين والرأس الحليق

قولها أريق من دموعك واستفيق معناه أن الدمعة تَذْهَبُ اللَّوْعَةَ ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة إني لأجد في كبدي جمرة لا تطفئها الا عبرة فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبر فنظر الى رجاء بن حيوة كالمستريح الى مشورته فقال له رجاء أفضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمع والقلب يوجع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمان عينه فبكى حتى قضى أربًا ثم أقبل عليهما فقال لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلام دابني ثم وقف ملتفتًا الى قبره فقال

وقفت على قبر مقيم بقفرة * متاع قليل من حبيب مفارق

رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرت على هذا فافعل ثم أبانت عن نفسها فقالت ولن تطيق وقولها فلا والله لا تسلاك نفسي تريد لا تسلو عنك كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون أي كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت

ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت في يديها نعلين تصفق بهما وجهها وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهذلي

ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما * لا ترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا * من بطن حلية لا رطبا ولا نقدا

اذا تأوب نوح قامتا معه * ضربا أليما بسبت يلعج الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتي ربع عويلهما يعني أختيه يقول ماذا يرد عليهما العويل والسهر وقوله

شبهه واشتد غموضه ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص على البرهان في اظهاره واحتجب في الابانة عنه الى ذكر ضده ونظيره وشكله لم أحتشم من الاستعانة بكل ذلك فكيف والقدرة بحمد الله وافرة والحجة واضحة قد يكون الشيء من جنس الحرام فيعالج بضرب من العلاج حتى يتغير بلون يحدث له ورائحة وطعم ونحو ذلك فيتغير لذلك اسمه ويصير حلالا بعد ان كان حراما

(فصل منه في تحليل النبيذ دون الخمر) فان قال لنا قائل ما تدرون لعل الأنبذة قد دخلت في ذكر تحريم الخمر ولكن لما كان الابتداء أجرى في ذكر تحريم الخمر خرج التحريم عليها وحدها في ظاهر المخاطبة ودخل سائر الأشربة في التحريم بالقصد والارادة قلنا قد علمنا أن ذلك على خلاف ما ذكر السائل لأسباب موجودة وعلل معروفة منها أن الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض والتابعين من بعدهم لم يختلفوا في قاذف المحصنين أن عليه الحد واختلفوا في الأشربة التي تسكر ليس لجهلهم أسماء الخمور ومعانيها ولكن الأخبار

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير كما قال الراعي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

(قال الأخفش الزجل اختلاط الصوت الذي لصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعني مزمارا شبه صوت الحادي بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعني ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

قال الأصمعي هو تزمناى وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا بمؤتكل يقال نقدت السن اذا مسها ائتكال وكذلك القرن قال الشاعر * بألم قرنا أرومه نقد *

وقوله بسبت يعني النعل المجردة ويعلج يؤثر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حليهن فهن عطل * وبعن به المقابلة التؤاما

يعني اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما سبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله

أخذن حريرات وأبدين مجلدا * ودار عليهن المنقشة الصفر

يعني القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فتنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأى ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة الآخر خبره فقال استطردت له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم

المروية في تحريم المسكر والواردة في تحليلها ولو كانت الأشربة كلها عند أهل اللغة في القديم خمرا لما احتاجوا الى أهل الروايات في الخمر أي الاجناس من الأشربة هي كما لم يحتاجوا الى طلب معرفة العبيد من الاماء وهذا باب يطول شرحه ان استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب وما ينكر من خالفنا في تحليل الأنبذة مع اقراره بان الأشربة المسكرة الكثيرة لم تزل معروفة بأسمائها وأعيانها وأجناسها وبلدانها وان الله تعالى قصد الخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الأشربة طلقا مع أجناس سائر المباح والدليل على تجويز ذلك ان الله تعالى ما حرم على الناس شيأ من الأشياء في القديم والحديث الا أطلق لهم من جنسه وأباح من سنخه ونظيره وشبهه ما يعمل مثل عمله أو قريبا منه ليغنيهم الحلال عن الحرام أعني ما حرم بالسمع دون المحرم بالعقل قد حرم من الدم المسفوح وأباح غير المسفوح كجامد دم الطحال والكبد وما أشبههما وحرم الميتة

تسلب أخاك قال فما فعلت فرسه الشمّى قال هاهى تلك فخذها فانصرف بها فقيل له صخر ألا تهجوهم فقال مابينى و بينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للسانى عن الخنا لفعلت ثم خاف ان يظن به عىّ فقال

وعاذلة هبّت بليل تلومنى * ألا لا تلومينى كفى اللوم مابيا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى * وأن ليس اهداء الخنا من شماليا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عنى معاويا
وهوّن وجدى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريدا زاد فيها

وذى اخوة قطعت أرحام بينهم * كما تركونى واحدا لا أخاليا

(قال أبو الحسن الأخفش وزاد فى الأحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزه * اذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

قال أبو العباس فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه الشمّى فقيل كلا الشمّى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الأسوار الجشمى من جشم ابن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بنى سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فارسل عليه سهما ففلق قحقحه فقالت الخنساء

فدى الفارس الجشمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميم
فداك الحى حى بنى سليم * بظاعنهم و بالآنس المقيم
كما من هاشم أقررت عينى * وكانت لا تنام ولا تنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء مانذكر من مراثى الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا ياصخر ان أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

وأباح الذكية وأباح أيضا ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه وحرم الربا وأباح البيع وحرم بيع ماليس عندك وأباح الصلح وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الخنزير وأباح الجدى الرضيع والخروف والحوار والحلال فى كل ذلك أعظم موقعا من الحرام

(فصل منه) ولعل قائلا يقول أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والمسكر والخمر وما أباح الرسول وما حظر وكيف لا يكون كذلك والدين ومعالمه من عنده خرج الى الناس والوحى عليهم نزل والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم دفن وهم المهاجرون السابقون والانصار المؤثرون على أنفسهم وكلهم مجمع على تحريم الانبذة المسكرة وانها كالخمر وخلفهم على منهاج سلفهم الى هذه الغاية حتى انهم جلدوا على الريح الخفى وكيف لا يفعلون ذلك ويدينون به وقد شهدوا من شهد النبى صلى الله عليه وسلم قد حرمها وذمها وأمر بجلد شاربها ثم كذلك فعل أئمة الهدى من بعده

دفعتُ بك الجليلَ وأنت حيٌّ * فمن ذا يدفع الخطْبَ الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلا

وقالت أيضا

تعرّقني الدهر نهسًا وحزًّا * وأوجعني الدهرُ قرعًا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معًا * فأصبح قلبي بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمًى يتّقى * اذ الناسُ اذ ذاك مَن عزَّ بزّا
وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجدًا وعزا
وهم في القديم سراةُ الأديـ * ـم والكائنون من الخوف حرزا
وهم منعوا جارهم والنسا * يحفز أحشاءها الخوفُ حفزا
غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للارض ركزا
وخيل تكدّس بالدارعيـ * ـن تحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربًا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروبَ * بأن لا يصابَ فقد ظنّ عجزا
نعفّ ونعرفُ حق القِرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا

وكان سببُ قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفضّ أصحابُ صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنةً في جنبه استقل بها فلما صار الى أهله تعالج منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخرٌ اليومَ فقالت لا ميّتٌ فيُنعى ولا صحيحٌ فيُرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرّق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجفُّ دموعُها * وملّت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنتُ أخشى ان أكون جنازةً * عليكِ ومن يغترُّ بالحدثان
أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العَيْر والنَّزوان
لعمري لقد أنبهتُ مَن كان نائما * وأسمعتُ مَن كانت له أذنان
فأيُّ امرئ ساوى بأمٍّ حليلةً * فلا عاش الا في شقًى وهوان

فهم الى اليوم على رأي واحد وأمر متفق ينهون عن شربها ويجلدون عليها وانما نقول في ذلك ان عظم حق البلدة لا يحلّ شيئا ولا يحرمه وانما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنة المجمع عليها والعقول الصحيحة والمقاييس المعينة وبعد فمن هذا المهاجري والانصاري الذي رووا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يروا عنه التحليل بل لو أنصف القائل لعلم أن الذين من أهل المدينة حرموا الأنبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلوا النكاح في أدبار النساء كما استحل قوم من أهل مكة عارية الفروج وحرم بعضهم ذبائح الزنوج لانهم فيما زعموا مشوهوا الخلق ثم حكموا بالشاهد واليمين خلافا لظاهر التنزيل وأهل المدينة وان كانوا جلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزق الفارغ لانهم زعموا أنه آلة الخمر حتى قال بعض من ينكر عليهم فهلا جلدوا أنفسهم لانه ليس منهم الا ومعه آلة الزنا وكان يجب على هذا المثال ان يحكم بمثل ذلك على حامل السيف

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أياجارتا انّ الخطوبَ قريب * من الناس كلّ المخطئين تُصيبُ

أياجارتا اناغريبان ههنا * وكلّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

كأنى وقد أدنوا الى شِفارهم * من الادْمِ مصقولُ السراة نكيبُ

قال أبو العباس ومن حلو المراثى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مُقدّما شاعرا مُفلقا وخطيبا مِصقعا وفى دهر قريب فله فى شعره شدّة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المُحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى فى شعره بالمَثَل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتّسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما نُملى منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى وكان به صبّا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ماعلّة وكان من أجل الفتيان وآدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مُناذر

حين تمّتْ آدابه وتردّى * برداء من الشباب جديد

وسقاهُ ماءُ الشبيبة فاهتز اهتزاز الغُصنِ النَّدى الأُملود

وسمتْ نحوهُ العيونُ وما كا * ن عليه لزائدٍ من مزيد

وكأنى أدعوه وهو قريبٌ * حين أدعوه من مكان بعيد

فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشّا اذا هو نودى

يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه فى المحفل المشهود

لهف نفسى أما أراك وما عنـ * ـدك لى ان دعوتُ من مردود

كان عبدُ المجيد سمّ الأعادى * ملء عين الصديق رغم الحسود

عاد عبدُ المجيد زادَ وقد كا * ن رجاء لريب دهر كنود

خنتُك الودّ لم أمتْ كمدا بعـ * ـدك انى عليك حقّ جليد

لو فدى الحىُّ ميتا لفدتْ نفـ * ـسك نفسى بطارفى وتليدى

ولئن كنتُ لم أمتْ من جوى الحز * ن عليه لأبلغنّ مجهودى

لأقيمنّ مأتما كنجوم الليـ * ـل زُهرا يلطمن حرّ الخدود

والسكين والسم القاتل فى نظائر ذلك لان هذه كلها آلات القتل وبعد فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الانس الى طبع الملائكة ولو كان كل ما يقولونه حقا وصوابا لجلدوا من كان دار فى معبد والغريض وابن شريح ودحمان وابن محرز وعلوية وابن جامع ومخارق وأهل شريك ووكيع وحماد وابراهيم وجماعة التابعين والسلف والمتقدمين لان هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التى هى عندهم خمر وأولئك كانوا يعالجون الأغانى التى هى حل طلق على نقر العيدان والطنابير والنايات والصنج والزيج والمعازف التى ليست محرمة ولا منهيا عن شئ منها ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها كالاختلاف فى الأوانى وصفاتها وأوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفها ومجاريها وما يدج ويوصل منها الحنجرة والحنك والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها وأى الدساتين أطرب وأيها أصوب وما يحفر بالهمز

موجعات يسكن الكبد الحرى عليه وللفؤاد العميد
ولعين مطروفة أبدا فا * ل لها الدهر لا تقرى وجودى
كلما عزك البكاء فأنفذ * ت لعبد المجيد مجلا فعودى
لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حي لاقى الحمام فمودى * ما لحي مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر * عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر في شماريخ رضوى * ويحط الصخور من هبود
ولقد تترك الحوادث والايام وهيا في الصخرة الصيخود

وفي هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا * ء ورب القصر المنيف المشيد
شاد أركانه وبوبه با * بي حديد وحفه بجنود
كان يجبى اليه ما بين صنعا * ء فمصر الى قرى بيرود
وترى خلفه زرافات خيل * جافلات تعدو بمثل الأسود
فرمى شخصه فأقصده الدهـ * ـر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله عمر والار * ض أعينوا بالنصر والتأبيد
فلو ان الايام أخلدن حيا * لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت في الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى * هد ركنا ما كان بالمهدود
(وأرانا كالزرع يحصده الدهـ * ـر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبو * ن سراعا لمنهل مورود)
هد ركني عبد المجيد وقد كنـ * ـت بركن أنوء منه شديد

(فبعيد

أو يحرك بالضم وكالقول
بان الهزج بالبنصر أطيب
وبالوسطى والسريع
على الزير ألذ وعلى المثنى
والمصمد في لين أطرب
أم الحدر في الشدة
لسهل ذلك ولسلمناه له
لمن يدعيه ولم نجاذب
من يدعي دوننا معرفته
(فصل منه) ولهج
أصحاب الحديث بحكم لم
أسمع بمثله في تزييف
الرجال وتصحيح الأخبار
وانما أكثروا في ذلك
لتعلم حيدهم عن التفتيش
وميلهم عن التنقير
وانحرافهم عن الانصاف
(فصل منه) والذي
دعاني الى وضع جميع
هذه الأشربة والوقوف
على أجناسها وبلدانها
مخافة أن يقع هذا
الكتاب عند بعض من
عساه لا يعرف جميعها
ولم يسمع بذكرها فيتوهم
اني في ذكر أجناسها
المستشنعة وأنواعها
المبتدعة كالهاذي
برقية العقرب وان كان
قصدي لذكرها في صدر
الكتاب لاقف على حلالها
وحرامها وكيف اختلفت
الأمة فيها وما سبب
اعتراض الشك واستكمان
الشبهة ولان احتج للمباح
وأعطيه حقه وأكشف
أيضا عن المحظور فاقسم

(فبعبد المجيد تأمور نفسي * عثرت بي بعد انتعاش جدودي
وبعبد المجيد شلت يدي اليمنى وشلت به يمين الجود)

وفي هذا الشعر قبر غمي كنت المقدم قبلي * وبكرهي دليت في الملحود
كنت لي عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضي ويخضر عودي

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثي وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكانهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت وفي كنفها تصلح فمنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي وكان أحد رجلي العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون في سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثي فقال افد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا مالم تفتد نفسك فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا النفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقي راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمي المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر
فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر
فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر
يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر
ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطا نوءها المطر
من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر
طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر
لا تنكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر
وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر

له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله وبالحلال منهجه اقتداء مني بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد كتبت لك أكرمك الله تعالى في هذا الكتاب ما فيه الجزالة والكفاية ولو بسطت القول لوجدته متسعا ولا تاك منه الدهم وربما كان الاقلال في ايجاز أجدى من اكثار يخاف عليه الملل فخلطت لك جدا بهزل وقرنت لك حجة بملحة لتخف مؤنة الكتاب على القارئ وليزيد ذلك في نشاط المستمع فجعلت الهزل بعد الجد جماما والملحة بعد الحجة مستراحا

(فصل من صدر رسالته في استحقاق الامامة)

يحكي فيه قول من يجيز أكثر من امام واحد زعم قوم أن الامامة لا تجب لرجل واحد بعين من رهط واحد ولا لواحد من عرض الناس وان كان أكثرهم فضلا وأعظمهم عن المسلمين غناء بعد أن يكون فردا في الامامة لا ثاني له وأن الناس ان تركوا أن يقيموا اماما

لا يُصعبُ الامرَ الا ريثَ يركبه * وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ

تكفيه فلذةُ كبدٍ انْ ألمّ بها * من الشواء ويكفي شربهُ الغمرُ

لا يتأرّى لما في القدر يرقبُهُ * ولا تراه أمام القوم يقتفرُ

لا يغمزُ الساقَ من أينٍ ولا وصبٍ * ولا يعضّ على شرسوفه الصفرُ

مهفهفٌ أهضمُ الكشحين منخرقٌ * عنه القميصُ لسير الليل محتقرُ

عشنا بذلك دهرًا ثم فارقنا * كذلك الرمحُ ذو النصلين ينكسرُ

(فان جزعنا فقد هدّت مصيبتُنا * وان صبرنا فانا معشرٌ صُبُرُ

اني أشدُّ حزيمي ثم يدركني * منك البلاءُ ومن آلائك الذكرُ)

لا يأمنُ الناسُ ممساه ومصبحه * من كل أوبٍ وان لم يأتِ ينتظرُ

اما يصبك عدوٌّ في مناوأة * يومًا فقد كنت تستعلي وتنتصرُ

لو لم تخنه نفيلٌ وهي خائنةٌ * ألمّ بالقوم وردٌ منه أو صدرُ

ورّادُ حربٍ شهابٌ يستضاء به * كما يضيء سوادَ الطخية القمرُ

اما سلكتَ سبيلًا كنتَ سالكها * فاذهب فلا يبعدنّك اللهُ منتشرُ

من ليس فيه اذا قاولته رهقٌ * وليس فيه اذا ياسرته عسرُ

قوله اني أتتني لسان يقال هو اللسان وهي اللسان فمن ذكر فجمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وازار وآزرة ومن أنث قال لسان وألسن كما تقول ذراع وأذرع وكراع وأكرع لا تبالي أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمل قال أبو النجم * يأتي لها من أيمن وأشمل * وقال آخر أنشدنيه المازني

فظلت تكوس على أكرع * ثلاث وكان لها أربع

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من علُ يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بني على الضم كقبلُ وبعدُ واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

اني انصببتُ من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من علِ

والقوافي مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهي ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا

واحدا جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فان أقاموه كان ذلك رأيا رأوه وغير مضيق عليهم تركه ولهم أن يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ولا بأس أن يكونوا جماعة موالي ولكن لابد من حاكم واحدا كان أو أكثر على حال ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحدود ولم يقل أحد البتة ان من الحكم والحاكم بدا ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا أي ذلك كان من اقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك فعلى الناس الكف عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوبهم من عدو يدهمهم من غيرهم أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم وعليهم فيما شجر بينهم اعطاء النصفة من أنفسهم بالغا ما بلغ في عسر الأمر ويسره وعلى كل رجل في داره وبيته وقبيلته وناحيته ومصره اذا كان مأمونا اصلاح ذات البين عنده على أخيه وصاحبه وجاره وحاشيته من

يافتى قال الراجز وهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقا وهو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

انى أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عينى فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكره التهوع ومن جزعها منه ويروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتنى يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما يردنى الا قول ابن الاطنابة الانصارى

أبت لى عفتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح

واجشامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوى على أحد يقال استقام فلان فما ألوى على أحد ويقال ألوى بالشئ اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأ نوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يتقولون هذا فى أشياء بعينها ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعنى أمر الانواء لم يختلف فى ذلك المفسرون وعنه عليه السلام فى غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادى مؤمنا بى وكافرا بالكواكب وكافرا بى ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بى الكافر بالكواكب فهو الذى يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بى الذى يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أى استقل به فى ثقل فالنوء مهموز وهو فى الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعى لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما فى القرآن الا ساهيا فيما يذكر أصحابه عنه ويروى أنه سئل عن غير شئ من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوى المصير يقال لواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللأواء وكذلك الجلى مقصور فأما العزاء واللأواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من

خدمه حد أو حكم جناه جان عليهم على نفسه أو ظلم ركبه من غيره اقامة ذلك الحكم والحد عليه اذا أمكنه مستحقه الا أن يكون فوقه كاف قد أجزى عليه وعلى المجترح للذنب الموجب على نفسه الحد والمستحق له امضاء الحكم فى بدنه وماله والامكان من نفسه وان لا يعاز بقوة ولا يروغ بحيلة ولا يسخط حكم التنزيل فيما نزل به وفيما هو لسبيله من مال أو غيره وانما يجب ذلك اذا كان على الفريقين من القيم والجانى بمكنه ما كلفه الله من ذلك فان أبى القيم اقامة الحق والحد على الجانى بعد استحقاقه والامكان من نفسه لاقامة الحد عليه فقد عصى الله تعالى ولم يؤت فى ذلك الامر نفسه لان الله تعالى قد بينه له وأوجب عليه وقرره حين أوضح له الحجة وقرب الدلالة وطوقه المعرفة ومكنه من الفعل وقد بسطنا العذر لذوى العجز فى صدر الكلام وان أبى الجانى المستحق للحكم والحد الامكان من نفسه وماله وما هو بسبيله فقد عصى الله تعالى فى ذلك كما عصاه فى ركوبه

غِمْده وقوله ليلة لا ماء ولا شجر يريد القَفْر ووقت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكَوْماء ضربته بالمشرفي يقول قد عَوَّدَ الابل ان ينحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المَشارِف وقوله اجْلَوَّذَا منه وأنشدني الزِيادي لرجل من أهل الحجاز أَحْسِبُهُ ابن أبي ربيعة

ألا حَبَّذا حبذا حبذا * حَبيبٌ تحملتُ منه الأذَى

ويا حبذا بَرْدُ أنيابه * اذا أظلَمَ الليلُ واجْلَوَّذا

وقوله حتى تَقَطَّعَ في أعناقها الجِرَرُ يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهي تفزَعُ منه حتى تَقَطَّعَ جِرَّتُها ومثل هذا قول الخَنَّوْتِ

سأبكي خليلي عَنْتَرا بعد هَجعة * وسَيْفَي مِرداسا قَتيلَ قَنان

قَتيلانِ لا تبكي اللِقاحُ عليهما * اذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وأفان ضربان من النبت وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول

فلو كان سَيْفي باليمين تَباشَرَتْ * ضِبابُ المَلا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضِباب فكلما قُتِلَ منهم واحد سُرَّتْ بذلك الضباب واستبشرت وقوله لا يتأرى لما في القدر يرقبه يقول لا يتحبس له ومن ذا سمي الآرِيُّ لانه مَحْبِسُ الدابة وقوله ولا تراه أمامَ القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شيء من الزاد وقوله ولا يعض على شُرْسوفه الصَفَرُ الشَراسيف أطراف الضلوع والصَفَرُ ههنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعني ضامراً وأهضمُ الكَشْحَين توكيد له وقوله اما يصبْ عدو في مباوأة يقول في وِتْرٍ يقال باء فلان بكذا كما قال مهلهلُ بُؤْ بِشِسْعِ كُلَيْبٍ أي هو ثأرٌ بالشسع والطَخْيةُ والطُخْيةُ والطِخْيةُ ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذي أصابه هندَ بن أسماء الحارثيَّ ففي ذلك يقول

أَصَبْتَ في حَرَمٍ منا أخا ثِقَةٍ * هندَ بن أسماء لا يَهْنِئْ لك الظَفَرُ

يقال هَنأهُ ذلك وهَنَأَ له كما تقول هَنيأً لك قال الاَخْطَلُ

الى امام تُغادينا فَواضِلُهُ * أظفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئْ له الظَفَرُ

وقوله وليس فيه اذا ياسرته عَسَرُ مدح شريف مثل قولهم اذا عَزَّ أخوك فَهُنْ واغا هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبُه عند مساهلته الى باب الذُلِّ فأما مَنْ كان كذلك فعاسرته

ما أوجب عليه الحدولم يؤت من ربه لماذ كرنا من ايضاح الحجة واثبات القدرة

(فصل منه) وقد علمنا أن من شأن الناس الهرب اذا خافوا نزول المكروه والامتناع من امضاء الحدود بعد وجوبها عليهم ما وجدوا السبيل الى ذلك وهذا سبب اسقاط الاحكام والتفاسد وقد أمرنا ان نترك أسباب الفساد ما استطعنا وبالنظر للرعية ما أمكننا فوجب علينا عند الذى قلنا انا لو لم نقم اماما واحدا كان الناس على ما وصفنا من التسرع الى الشئ اذا طمعوا والهرب اذا خافوا وهذا أمر قد جرت به عامة المعرفة وفحت عندنا فيه بالخبر به قلنا عند ذلك ان الامامة لا تجب على الناس من طريق الظنون واشفاق النفوس وقد رأينا أعظم منها خطرا وقدرا ونفعا في كل جهة على خلاف ذلك وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى أمة وقد علم أنهم يزدادون من كفرهم من قبل ذلك الرسول كفرا بجحدهم له واخراجهم اياه وقصدهم قبله ثم لا يكون

أحمدُ ومدافعته أمدحُ كما قال جرير

بشرٌ أبو مروان ان عاسرتَه * عسرٌ وعند يساره ميسورُ

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المتخيَّرة في المراثي قصيدة متمم بن نُوَيرة في أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طارَ السَّنا في رَبابِه * وغيثٌ يَسُحُّ الماءَ حتى تَريَّعا

سقى الله أرضا حلَّها قبرُ مالكٍ * ذهابَ الغوادي المُدجِنات فأمرعا

وآثرَ سيلَ الواديين بديمةٍ * تُرشِّحُ وسميًّا من النبت خروعا

تحيّتَه مني وان كان نائيا * وأضحى ترابا فوقه الارضُ بلقعا

فما وجدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ * رأين مجرًّا من حُوارٍ ومصرعا

يذكِّرن ذا البثِّ الحزين ببثّه * اذا حنّتِ الاولى سجعن لها معا

بأوجعَ مني يوم فارقتُ مالكا * ونادى به الناعي الرفيعُ فأسمعا

وفيها

وكنا كندماني جذيمةَ حقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا

فلما تفرَّقنا كأني ومالكا * لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا * أصابَ المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعا

فان تكنِ الايامُ فرَّقن بيننا * فقد بان محمودًا أخي يوم ودَّعا

تقول ابنةُ العَمْريّ مالكَ بعدما * أراك حديثا ناعمَ البال أفرعا

فقلتُ لها طولُ الأسى اذ سألتني * ولوعةُ حزنٍ تتركُ الوجه أسفعا

وفقدُ بني أمٍّ تداعوا فلم أكن * خلافَهم أن أستكينَ وأضرعا

ولستُ اذا ما الدهرُ أحدثَ نكبةً * ورزءًا بزوّار القرائب أخضعا

ولا فرحٍ ان كنتُ يوما بغبطةٍ * ولا جزعٍ ان نابَ دهرٌ فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مُقدِما * اذا بعضُ من لاقى الخطوبَ تكعكعا

فعمرَكِ ألا تُسمعيني ملامةً * ولا تنكئي قرحَ الفؤاد فييجعا

وقصرَكِ اني قد شهدتُ فلم أجد * بكفّيَ عنه للمنية مدفعا

ذلك ما نعاله من الارسال اليهم والاحتجاج به عليهم لمكان علمه انهم يزدادون فسادا وبغيا اذ كان قدم لهم ما به ينالون مصالح دينهم ودنياهم واغما على الحكيم أن يأتي الأمر الحكيم عرف ذلك عارف أم جهله جاهل وعلى الجواد ذي الرحمة في جوده ورحمته أن يفعل ما هو أفضل في الجود وأبلغ في الاحسان وألطف في الانعام من ايضاح الحجة وتسهيل الطرق والابلاغ في الموعظة مع ضمان الوعد بالغاية من الثواب والدوام واللذة والتوعد بغاية العقاب في الدوام والمكروه الى عباده الذين كلفهم طاعته وأهل الفاقة الى عائدته ونظره واحسانه فان قبل ذلك قابل فقد أصاب حظه وان أبى ذلك فلنفسه ظلم وقد صنع الله به ما هو أصلح وان لم يستصلح العبد نفسه قالوا فاذا كان الله تبارك وتعالى عالما بان القوم يزدادون فسادا عند ارسال الرسل وكان غير صارف لهم عن الارسال اليهم اذ كان قد عدل خلقهم ومكنهم من مصلحتهم فما بال الظن والحسبان بان الناس يتفاسدون ويتنازعون اذا لم يقيموا اماما واحدا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفي هذه القصيدة لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما رائد الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القوم القداح وأوقدت * لهم نار أيسار كفى من تضجعا

عشنا الايادي ثم لم تلف مالكا * على الفرث يحمي اللحم أن يتمزعا

قوله وقد طار السنا في ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازني

كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التي يقشر بها وجه الارض مسحاة قال عنترة

سحا وساحية فكل قرارة * يجري عليها الماء لم يتصرم

وقوله تربع أي كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع اذا رجع ومنه سمي ريع الطعام لانه يرجع بفضل قال مزرد خلطت بصاعي عجوة صاع حنطة * الى صاع سمن فوقه يتريع

والذهاب الامطار اللينة والمدجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدجن والدجنة ومعناه الباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

ويقال أمرع الوادي اذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الأجيد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثني به ابن المهدي أحمد بن محمد النحوي يحدث به عن الأصمعي عن أبيه عن مولاة ابن الاجيد عن أوفى قال في النساء أربع فمنهن الصدع تفرق ولا تجمع ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيث وقع في بلد فأمرع ومنهن التبع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرثع قلت وما هي قال التي تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا (قال الاخفش حدثني بذلك

وجب فرضا لم ينطق به كتاب ولم يؤكده خبر وقد رأينا العلم بان الناس يتفاسدون ولا يرد به فرض

(فصل منه) وقالوا قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدعار ويصبح العوام بقوم منهم العدد اليسير في الناحية والقبيلة والدرب والمحلة فيقيم لهم حد المستطيل ويقمع شذوذ الدعار حتى يسرح الضعيف ويأمن الخائف وينتشر التاجر ويكبر جانبهم الداعر وانما صلاح الناس بقدر تعاونهم وتخاذلهم مع أن الناس لو تركهم المتسلطون عليهم وألجئوا الى أنفسهم حتى يتحقق عندهم أن لا كافي الا بطشهم وحيلهم وحتى تكون الحاجة الى الذب والحراسة والعلم بالمكيدة هي التي تحملهم على منع أنفسهم لذهبت عادة الكفاية وضعف الاتكال ولتعودوا اليقظة ولدربوا بالحراسة واستثاروا دفين الرأي لان الحاجة تفتق الحيلة وتبعث على الروية وكان بالحري أن يصلح أمر الجميع لان طمع الراعي اذا عاد بأسا صرفه في البغي

أبو العيناء عن الاصمعى وذكر نحو ذلك) وقوله وآنرسيل الواديين بديعة زعم الأصمعى وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياما يرفق وقوله ترشح وسميا أى تم نبته لذلك يقال فلان يرشح للخلافة والوسمى أول مطر يسم الارض والولى كل مطرة بعد مطرة فالثانية ولى للاخرى لانها تليها والخروع كل عود ضعيف وقوله فاو جدا أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهى النوق تعطف على الحوار فتألفه وروائم واحدتها رؤوم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حيث يسقط من أمه سليل قبل أن تقع عليه الأسماء فان كان ذكرا فهو سقب وان كانت أنثى فهى حائل وهو فى ذلك كله حوار سنة وقوله ندمانى جذيمة يعنى جذيمة الأبرش الازدى وكان ملكا وهو الذى قتلته الزباء وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك فى كتاب الاختيار ونديماه يقال لهما مالك وعقيل وفى ذلك يقول أبو خراش الهذلى

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

والمثل يضرب بهما الطول ما نادماه كما يضرب باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدى كرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

قال هذا من قبل أن يسلم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أر ما يدوم له اجتماع * سيفترق اجتماع الفرقدين

وقوله أراك حديثا ناعم البال أفرعا الأفرع التام شعر الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الفرعان خير أم الصلعان فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرع وكان عمر أصلع فوقع فى نفسه أنه يسئل عنه وعن أبى بكر والأسفع الاسود يقال سفعته النار أى غيرت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عمرك الله أى أذكرك الله قال

عمرتك الله الا ما ذكرت لنا * هل كنت جارتنا أيام ذى سلم

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل فى آخر نهاره انتظار الضيف ويروى ان عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبت فى شئ مما قلته فى أخيك فقال نعم فى قولى غير مبطان وكان ذا بطن ويقال فى غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طرش وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا وقال

وكان ذلك منها النائم ومنعشا لليقظان وضراوة للواكل ومزجرة للبغاة حتى تنبت عليه الصغيرة ويتفحل معه الكبير

(فصل منه) وزعم قوم أن الامامة لا تجب الا بأحد وجوه ثلاثة اما عقل يدل على سببها أو خبر لا يكذب مثله أو أنه لا يحتمل شيأ من التأويل الا وجها واحدا قالوا فوجدنا الأخبار مختلفة والمختلف متدافع وليس فى المتدافع والمتكافئ بيان ولا فصل فمن ذلك قول الانصار وهم شطر الناس أو أكثرهم مع امانتهم على دين الله تعالى وعلمهم بالكتاب والسنة حيث قالوا عند وفاة النبى صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير فلو كان قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أمر ما كان أحد أعلم به منهم ولا أخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم بعد الذى ظهر من احتمالهم فى جنب الله تعالى والجهاد فى سبيله والنصرة لنبيه صلى الله عليه وسلم مع الايواء والايثار بعد المواساة ومحاربة القريب والبعيد والعرب قاطبة وقريش خاصة ثم الذى

رجل لرجل والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان والارع ذو الورعة والهيئة والبرم الذى لا ينزل مع الناس ولا يأخذ فى الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبى * اذا الدخان تغشى الاشمط البرما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكساسة الحمام القشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع ۞ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى فى اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبى بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدى فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يربوع قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكا على سية قوسه ثم قال

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور
ولنعم حشو الدرع كنت وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور
أدعوته بالله ثم غررته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبى بكر فقال والله ما دعوته ولا غررته ثم أتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أنى رثيت أخى زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزانى أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول انى لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركنى لمالك ما لا يحركنى لزيد ومن طريف شعره

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك * ولا جزع والموت يذهب بالفتى
لئن مالك خلى على مكانه * لفى أسوة ان كنت باغية الاسا

كهول

نطق القرآن به من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولقيه بهم وثنائه عليهم وهو يقول أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع فى أمور كثيرة ثم لم يكن قولهم منا أمير ومنكم أمير من سفيه من سفهائهم ضرى اليه أمثاله منهم فان لكل قوم حسدة وجهالا وأحداثا ومرحانا من حدث تبعثه الغرارة ولا شاذ رجل يحب الجاه والفتنة أو مغفل مخدوع أو غر ذو حمية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا كان ذلك القول اذ كان من عليتهم فى الواحد الشاذ القليل بل كان فى ذوى أحلامهم والقدم منهم ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عبادة سيدا مطاعا ذا سابقة وفضل وحلم ونجدة وجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعانته به فى الحوادث والمهم من أمره ثم كان فى الدهم من الانصار والوجوه والجمهور من الأوس والخزرج فكيف يكون سبق من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا أمر يقطع عذرا ويوجب

كُهولٌ ومُرْدٌ من بنى عمِّ مالكٍ * وأيفاعُ صدقٍ قد تمليتُهم رضا
سقَوا بالعُقار الصِرفِ حتى تتابعوا * كدأب ثمود اذ رغا سقبُهم ضحى
اذا القوم قالوا من فتى لمُلمّة * فما كلُّهم يُدعى ولكنه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النَهشلي

لو كان فى الالف منا واحدٌ فدعَوا * مَن فارسٌ خالهم اياه يعنونا

وأول هذا المعنى لطرفة اذا القوم قالوا من فتى خلتُ أننى * عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد

وقال متمم أيضا فى كلمة له يرثى بها مالكا

جميلُ المحيّا ضاحكٌ عند ضيفه * أغرُّ جميعُ الرأى مُشتركُ الرحلِ
وقورٌ اذا القومُ الكرامُ تقاولوا * فحلَّتْ حُباهم واستطيروا من الجهلِ
وكنتَ الى نفسى أشدَّ حلاوةً * من الماء بالماذىِّ من عسل النحل
وكلُّ فتًى فى الناس بعد ابن أمه * كساقطة احدى يديه من الخبل
وبعضُ الرجال نخلةٌ لا جَنَى لها * ولا ظلَّ الا أن تُعَدَّ من النخل

وقال له عمر بن الخطاب انك لجَزْلٌ فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخى فى الليلة المظلمة ذات الأزيز والصُرّاد يركبُ الجملَ الثَفالَ ويجنُبُ الفرسَ الجَرور وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشَملةُ الفَلوتُ وهو بين المزادتين حتى يُصبح فيُصبحَ أهلَه متبسما الجمل الثفال البطىء الذى لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذى لا يكاد ينقاد مع من يجنُبه انما يجرّ الحبلَ والشملة الفلوت التى لا تكاد تثبت على لابسها وذكرنا أن مالكا كان من أرداف الملوك وفى تصداق ذلك يقول جريرٌ يفخر ببنى يربوع

منهم عتيبةُ والمحلُّ وقعنبٌ * والحنتفان ومنهم الردفانِ

فأحد الردفين مالك بن نُوَيرة اليربوعى والردف الآخر من بنى رياح بن يربوع والردافة موضعان أحدهما ان يردفه الملكُ على دابته فى صيد أو تريُّف أو ما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبلُ وهو أن يَخلُفَ الملكَ اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

(باب)

قال أبو العباس لما احتُضر ابراهيمُ النخعى رحمه الله جزِع جزَعا شديدا فقيل له فى ذلك فقال وأىّ خطرٍ

رضا وهؤلاء الأمناء على الدين والقوام قد قاموا هذا المقام وقالوا هذا المقال قالوا فان قال قائل فان القوم كانوا على طبقات من ذاكر متعمد وناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ومن رجل كان غائبا عن ذلك القول والتأكيد الذى كان من النبى صلى الله عليه وسلم واله فى اقامة امام يقدم فى أيام وفاته ومن رجل قدم فى الاسلام لم يكن من حمال العلم فاذكرهم أبو بكر وعمر فذكروا ووعظاهم فاتعظوا فقد كان فيهم الناسى الفاضل الذى يزجره الذكر ويتزع اذا بصر والمعتمد الذى لم يبلغ من لجاجه وتتابعه وركوب ردعه ما يؤثر معه التصميم على حسن الرجوع عند الموعظة الحسنة والتخويف بفساد العاجل فى كثير ممن لم يكن له فى الاسلام القدر النبيه اما للغفلة واما للابطاء عنه واما للخمول فى قومه مع اسلامه وصحة عقده فداواهم أبو بكر وعمر يوم السقيفة حين قالوا نحن الائمة وأنتم الوزراء وحيث رووا لهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش فلما استرجعوا رجعوا

أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد على من ربي اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسي والله أعز الانفس علي ولما احتضر حجر بن عدي ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلي ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدري أيؤدي بي الى جنة أم الى نار (قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر ابن عدي شيء واني لأعجب من قوله هذا ولست أدري أيدنيني الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت ۞ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزاري وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن الفزاري فان عبد الملك لما أحضرهما البقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اي والله

أصبر من ذي ضاغط عركرك * ألقى بواني زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبي أجد الضربة فاني والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم في سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيدا فقال اي والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبي سود أحد بني غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ماتقول قال لا يصلي الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ماقال لك المعلوج قال وعد أنك تبرأ قال أسألك بحقي عليك قال ذكر أنك لا تصلي الظهر قال ويلي على ابن الخبيثة والله لو كانت في شدقي لمكثها الى العصر وروى أن ابراهيم النخعي قال في الحديث الذي ذكرناه والله لوددت أنها تلجلج في حلقي الى يوم القيامة وفي وكيع بن أبي سود يقول

الفرزدق لقد رزئت بأساء وحزما وسوددا * تميم بن مر يوم مات وكيع
وماكان وقافا وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التقت الابطال أبصرت لونه * مضيأ وأعناق الكماة خضوع
فصبرا تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجري

قلنا الدليل على أن القوم لم يروا في كلام أبي بكر وعمر حجة عليهم وان انصرافهم عما اجتمعوا له لم يكن لانهم رأوا أن ذلك القول من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح حجة غضب رئيسهم وخروجه من بين أظهرهم مراغما في رجال من رهطه مع تركه بيعة أبي بكر رضوان الله عليه وتشنيعه عليهم بالشام وقد قال قيس بن سعد بن عبادة وهو يذكر خذلان الانصار اسعد بن عبادة واستبداد الرهط من قريش عليهم بالأمر

وخبرتمونا انما الأمر فيكم خلاف رسول الله يوم التشاجر
وان وزارات الخلافة دونكم
كما جاءكم ذو العرش دون العشائر
فهلا وزيرا واحدا تجتبونه بغير وداد منكم واواصر
سقى الله سعدا يوم ذاك ولا سقى
عواجله هابت صدور النوابر

وقال رجل من الانصار ودعاه علي رضوان الله عليه الى عونه ونصرته اما يوم الجمل أو يوم صفين مالي أقاتل عن قوم اذا قدروا

ومن الجفاة عند الموت هُدبة بن خَشرم العُذري وكان قتل زيادة بن زيد العُذري فلما حُمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادّعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحب أن يكون الجواب شعراً أم نثراً قال بل شعراً فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيتُ أنما هي ضربةٌ * من السيف أو إغضاء عين على وتر
عمدتُ لأمرٍ لا يُعيّر والدي * خزايتَه ولا يُسبّ به قبري
رُمينا فرامينا فصادف سهمُنا * منيّةَ نفسٍ في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا * وراءك من معدًى ولا عنك من قصر
فان تكُ في أموالنا لا نَضِق بها * ذراعاً وإن صبرٌ فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررتَ يا هدبة قال هو ذاك فقال عبد الرحمن أقِدني فكره ذلك معاوية وضنّ بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيراً فقال له معاوية أوَما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك ثم وجّه به الى المدينة فقال يُحبس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والي المدينة سعيد ابن العاصي فمما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلتُ السجن يا أمّ مالك * ذكرتك والأطرافُ في حلق سُمْر
وعند سعيد غير أن لم أبُح به * ذكرتُك ان الأمر يُذكر بالأمر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جداً ذكرت به ثغرها ويقال انه عُرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصي ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما أُخرج به ليُقاد بالحرة جعل يُنشد الأشعار فقالت له حُبّى المدينية ما رأيتُ أقسى قلباً منك أتُنشد الأشعار وأنت يُمضى بك لتُقتل وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تُولول تعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حُبّى فقال

ما وجدَتْ وجدي بها أمّ واحدٍ * ولا وجدَ حُبّى بابن أمّ كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلاً * كما انعتتْ من قوةٍ وشباب

فأغلقت حُبّى الباب في وجهه وسبّته وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فقال له أعلى

عـدنا عدوا وكنا قبل أنصارا
ويل لها أمة لو أن قائدها يتلو الكتاب ويخشى النار والعارا
أما قريش فلم نسمع بمثلهم غدراً وأعجب في الاسلام آثارا
الا تكن عصبة ما لوا م بينهم بالعرف عرفوا بالانكار انكارا
أبا عمارة والثاوي ببلقعة في يوم مؤتة لا ينفك طيارا
أبا عمارة حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وقد كان يكنى أبا يعلى والثاوي في يوم مؤتة جعفر ابن أبي طالب وقال رجل من الانصار من ولد أبي زيد القاري وذكر أمر الانصار وأمر قريش دعاها الى استبدادها وحقودها
تذكر قتلى في القليب تكبكبوا هنالك قتلى لا تؤدي دياتهم
وليس لنا كيها سوى الصبر مذهب
فان تغضب الابناء من قبل من مضى فوالله ما جئنا قبيحا فتعتبوا
(فصل منه) قد حكينا قول من خالف في وجوب الامامة وتعظيم الخلافة وفسرنا وجوه اختلافهم واستقصينا جميع حججهم

هذه الحال قال نعم فأنشد

ولستُ بمفراحٍ اذا الدهرُ سرّنى * ولا جازعٍ من صرفهِ المتقلِّبِ
ولا أبتغى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكنْ متى أُحملْ على الشرِّ أركبِ
وحرّبنى مولاى حتى غشيتُهُ * متى ما يحرِّبْكَ ابنُ عمكَ تحرَبِ

فلما قُدِّمَ نظر الى امرأته فدخلته غيرةٌ وقد كان جُدِعَ فى حربهم فقال

فان يكُ أنفى بانَ منه جمالُهُ * فما حسبى فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرّقَ الدهرُ بيننا * أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت فغفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمتْ أنفها فقالت أهذا فعلُ مَنْ له فى الرجال حاجة فقال الآن طابَ الموتُ ثم أقبل على أبوَيْه فقال

أبليانِ اليومَ صبرًا منكما * ان حزنًا منكما اليومَ لشر
ما أظنُّ الموتَ الا هيّنا * انَّ بعد الموت دارَ المستقرّ

ثم قال

أذا العرشِ انى عائذٌ بكَ مؤمنٌ * مقرٌّ بزلّاتى اليكَ فقيرُ
وانى وان قالوا أميرٌ مسلَّطٌ * وحجّابُ أبوابٍ لهن صريرُ
لأعلمُ أنَّ الأمرَ أمرُكَ ان تدِنْ * فربٌّ وانْ تغفرْ فأنتَ غفورُ

ثم قال لابن زيادة أثبتْ قدميكَ وأجِدِ الضربة فانى أيتمتُكَ صغيرا وأرملتُ أمكَ شابةً ويزعم بعض أصحاب الأخبار انه قال ما أجزعُ من الموت وآيةُ ذلك انى أضرب برجلى اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فكَّ قيوده ففُكّتْ فذلك حيث يقول

فان تقتلونى فى الحديد فاننى * قتلتُ أخاكم مطلقًا لم يُقيَّدِ

قال أبو العباس ووقف حبّار بن سلمى على قبر عامر بن الطُّفيل ولم يكن حضَرَه فقال أنعم صباحا أبا على فوالله لقد كنتَ سريعا الى المولى بوَعدك بطيأ عنه بايعادك ولقد كنتَ أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغى ان تجعلوا قبر أبى على ميلا فى ميل وذكر الحرمازىّ ان الأحنفَ بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المُصعبُ بن الزبير فى جنازته بغير رداء وقال اليومَ مات سيدُ العرب فلما دُفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بنى منقر فقالت لله درّك من

اذ كان على عذر لمن غاب عنه خصمه وقد تكفل بالأخبار عنه فى ترك الحيطة له والقيام بحجته كأنه لا عذر له فى التقصير عن افساد ما يخالفه وكشف خطأ من يضاده عند من قرأ كتابه وتفهم حجته لان أقل ما يزيل عذره ويزيح علته أن يكون قول خصمه قد استهدف لعقله وأضجر لسانه وقد مكنه من نفسه وسلطه على اظهار عورته فاذا استراح من شغب المنازع ومداراة المستمع لم يبق الا أن يقوى على خلافه أو يعجز عنه ومن شكر المعرفة بمعايب الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم وان يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل من يسدى اليهم ولن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره واعلم أن قراءة الكتب أبلغ فى ارشادهم من تلاقيهم اذا كان مع التلاقى يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتنبعث الحمية وعند المزاجة تشتد الغلبة وشهوة المباهاة والاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع وعن جميع

بجن

مجن في جَنَنٍ ومُدرجٍ في كفن فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسّع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المحافل شريفًا وعلى الأرامل عطوفًا ولقد كنت في الحي مسوّدًا والى الخليفة موفّدًا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشي فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرتُ على قبر النجاشي ناقتي * بأبيض عضبٍ أخلصته صياقله

على قبر مَن لو أنني متّ قبله * لهانت عليه عند قبري رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدّم فأنشد

لا يبعدنّ ربيعةُ بن مكدّم * وسقى الغوادي قبره بذنوب

نفرت قلوصي من حجارة حرّة * نُصبت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فانه * شرّيب خمر مسعر لحروب

لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

نعم الفتى أدّى نبيشةُ رحلَه * يوم الكديد نبيشةُ بن حبيب

وربيعة بن مكدّم رجل من بني كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي وقيس تقول قتله نبيشة ابن حبيب السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرًا وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلأنه في بني سليم قال حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لان الحرة هنالك لبني سليم وفي تصداق ما تدّعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنتُ ربيعةَ بن مكدّم * يوم الكديد نحرّ غير موسّد

فعارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد

ولقد وهبتُ سلاحه وجواده * لاخي نبيشة قبل لوم الحسّد

وقال أخو ربيعة يجيبه فات ابن غادية المنيّة بعدما * رفعت أسفل ذيله بالمطرد

ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وبهذه الحالة امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد بقراءتها والمتفرد بفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله ولا يعاز خصمه والكتاب قد يفضل ويرجح على واضعه بأمور منها أن الكتاب يقرأ بكل مكان أو في كل زمان على تفاوت الاعصار وبعد ما بين الأمصار وذلك أمر يستحيل في الواضع ولا يطمع فيه من التنازع وقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى ويبقى أثره ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها المستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا في الحكمة وانقطع سبيلنا الى المعرفة ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا بما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنة فاعتقم الرأي ومات الخاطر وتبلد العاقل واستبد بناسوء العادة

قل لابن غادية المُناخ لقتلنا * ما كان يقتلنا الوحيدُ المُفرَد

يريد أن أهبان مفرد من قومه فى أخواله وقال أيضا

فان تذهب سُليم بوتر قومى * فأسلم من منازلنا قريبُ

وقالت ليلى الاخيلية آليتُ أبكى بعد توبة هالكا * وأحفل من دارت عليه الدوائرُ

لعمرك ما بالموت عارٌ على الفتى * اذا لم تُصبه فى الحياة المعايرُ

فلا يُبعدنّك الله يا توبَ انما * لقاءُ المنايا دارعًا مثلُ حاسر

ويروى فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكلُّ جديد أو شباب الى بلى * وكل امرئ يوما الى الله صائرُ

وذكر المدائنى أن رجلا عزّى رجلا أفرط عليه الجزع على ابنه فقال يا هذا سُررتَ به وهو حُزنٌ وفتنة وجزعتَ عليه وهو صلاةٌ ورحمة فسُرّى عنه ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزّوا عن مصائبكم بى وقال رجل لابن عمر أعظم الله أجرك فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودلّ على انه من باب المصائب تعزيتُه اياه

﴿ وهذا باب طريف من أشعار المحدثين ﴾

قال مُطيع بن اياس الليثى يرثى يحيى بن زياد الحارثى وكان صديقه وكانا متّهمين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهل بكّوا لقلبى القرحِ * وللدموع الهوامل السفُحِ

راحوا بيحيى الى مُغيّبة * فى القبر بين التراب والصُفُحِ

راحوا بيحيى ولو تطاوعنى الـ * أقدار لم يبتكر ولم يرحِ

يا خير من يحسن البكاء له * اليوم ومن كان أمس للمدحِ

وفى يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنتُ ويحيى كيدَى واحد * نرمى جميعا ونُرامى معا

ان سرّه الدهر فقد سرّنى * أو حادثٌ نابَ فقد أفظعا

أو نام نامت أعينٌ أربعٌ * منا وان هبّ فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيبُ فى عارضى * لاح وفى مفرقه أسرعا

وأكثر من كتبهم نفعا وأحسن مما تكلفوا موقعا كتاب الله تعالى الذى فيه الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة فينبغى أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا سبيل من قبلنا فينا مع انا قد وجدنا فى العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحتج لدينه والذاب عن مذهبه ومواسى الناس فى معرفته وقد أمكن القول وأطرق السامع ونجا من التقية وهبت ريح العلماء

(فصل منه) واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى الى مخالفته غير مخرج انعام الله عليه ولا يحول احسانه اليه الى غير معناه وحقيقته ولم يكن احسان الله فى اعطائه الاداة وتبيين الحجة لمنقلبا افسادا واساءة لان المعان على الطاعة عصى بالمعونة وأفسد بالانعام وأساء بالاحسان وفرق بين المنعم والمنعم عليه لان المنعم عليه يجب أن يكون شكورا ولحق النعمة راعيا والمنعم منفرد بحسن الانعام وشريك فى جميل الشكر ولان المنعم أيضا هو الذى حبب الشكر الى فاعله بالذى قدم اليه من

سعى وشاة ظن بيننا * فكاد حبل الوصل أن يقطعا

فلم ألم بحبى على حادث * ولم أقل خان ولا ضيعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبى يرثى على بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خير إخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيت حزنا وصار قربك لى * بعدا وصار اللقاء هجرانا

انا الى الله راجعون لقد * أسبغ حزنى عليك ألوانا

حزن اشتياق وحزن مرزئة * اذا انقضى عاد كالذى كانا

قوله يا خير اخوانه محال وباطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شئ الا وهو جزء منه وقال أيضا

دعوتك يا أخى فلم تجبنى * فردت دعوتى حزنا عليا

بموتك ماتت اللذات منى * وكانت حية اذ كنت حيا

فيا أسفى عليك وطول شوقى * اليك لو ان ذلك رد شيا

وحدثنى رجل من أصحابنا قال شهدت رجلا فى طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيا ودموعه تكف من لحيته فدنوت اليه لاسمع ما يقول فجعلت العبرة تحول بينه وبين الابانة فقلت له يا هذا فرفع رأسه الى وكأنما هب من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكى قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لى من كل باب يسعى على فى نفسى وفى مالى وفى ولدى فخرج الى الصيد آيس ما كنت من عطبه وأكمل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبى فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبى ميتان فنمى الى خبره فأسرعت الى قبره مغتبطا بفقده فانى لضاحك السن اذ وقعت عينى على صخرة فرأيت عليها كتابا فهلم فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

احسانه وتولى من شناءته ولذلك جعلوا النعمة لقاحا والشكر ولادا وانما مثل اعطاء الآلة والتكليف افعل الخير مثل رجل تصدق على فقير ليستر عورته ويقيم من أود صلبه وليصرف فى منافعه ولا يكون انفاق الفقير ذلك الشئ فى الفساد والخلاف والفواحش ليقلب احسان المتصدق اساءة وانما هذا بصواب الرأى الذى لا ينقلب صوابا وان أنجح صاحبه وقد يؤتى الرجل من حزمه ولا يكون مذموما ويخطى بالاضاعة ولا يكون محمودا

(فصل منه) ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزانا بين خلقه وعيارا على عباده فى نظر عقولهم فى ظاهر ما فرض عليهم ويسر خلافه ويستخفى بضده ويعلم أن قضاءه فيهم غير الذى فطرهم على استحسانه وتحبب اليهم به فى ظاهر دينه والذى استوجب به على الشكر على جميع خلقه

(فصل منه) وان لم يكن العبد على ما وصفنا من الاستطاعة والقدرة والحال التى هى ادعاه الى المصلحة ما كان متروكا على طباعه ودواعى شهواته دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه

وما نحن الا مثلهم غير اننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكى على من بكاؤك عليه أحق من النسيب ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع فى جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت قال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله آنسة فجعت بها * ماكان أبعدها من الدنس
أتت البشارة والنعى معا * يا قرب مأتمها من العرس
يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح فى الغلس
يا ملك فى وفيك معتبر * ومواعظ يوحشن ذا الانس
ما بعد فرقة بيننا أبدا * فى لذة درك لملتمس

وأخذ ما فى صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مغروس يعاش به * فقدته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثى زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالى والرمح والفرس
أبكى على فارس فجعت به * أرملنى قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبرام من لفائدة * أم من لذكر الاله فى الغلس

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله

وذلك أسباب نحن ذاكروها وجاعلوها حجة فى اقامة الامامة وان عليها مدار المصلحة وان طبع البشر يمتنع من الأخبار الا على ما نحن ذاكروه فنقول انا لما رأينا طبائع الناس وشهواتهم من شأنها التقلب الى هلكتهم وفساد دينهم وذهاب دنياهم وان كانت العامة أسرع الى ذلك من الخاصة فكل لا تنفك طبائعهم من حملهم على ما يرديهم ما لم يردوا بالقمع الشديد فى العاجل ومن القصاص من العادل ثم التنكيل فى العقوبة على شر الخيانة واسقاط القدر وازالة العدالة مع الأسماء القبيحة والالقاب الهجينة ثم بالاخافة الشديدة والحبس الطويل والتغريب عن الوطن ثم الوعيد بنار الأبد مع فوت الجنة وانما وضع الله تعالى هذه الخصال لتكون لقوة العقل مادة ولتعديل الطبائع معونة لان العبد اذا فضلت قوى طبائعه وشهواته على عقله ورأيه الغى بصيرا بالرشد غير قادر عليه فاذا احتوشته المخاوف كانت مواد لزواجر عقله وأوامر رأيه فاذا لم يكن فى حوادث الطبائع ودواعى الشهوات وحب العاجل فضل على زواجر العقل وأوامر النهى

ليت شعري بأي ذنب ملك * كان هجري لقبرها واجتنابي

ألذنب حقدته كان منها * أم لعلمي بشغلها عن عتابي

أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب

ما وفى في العباد حي لميت * بعد يأس منه له في الإياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكر * ت عناقي بها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البشرى * فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا فتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بك وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان ملك غريبه

أراني غريبا وان أصبحت * منازل أهلي مني قريبه

خلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه

فأقبلت أبكي وتبكي معي * بكاء كئيب بحزن كئيبه

وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

كان الغضب متمنعا من الذي قادرا عليه لأن الغضب والحسد والبخل والجبن والغيرة وحب الشهوات والنساء والمكاثرة والعجب والخيلاء وأنواع هذه اذا قويت دواعيها لأهلها واشتدت جواذبها لصاحبها ثم لم يعلم أن فوقه ناقما عليه وأن له منتقما لنفسه من نفسه أو مقتضيا منه لغيره كان ميله وذهابه مع جواذب الطبيعة ودواعي الشهوة طبعا لا يمتنع معه وواجبا لا يستطيع غيره أو ما رأيته كيف يخرق في ماله ويسرع فيما أثلت له رجاله وشدت له أوائله من غير أن يرى للعوض وجها وللخلف سبيلا في عاجل دينه ولا آجل دنياه حتى يكون والي المسلمين هو الذي يحجر عليه ليكون مضض الحجر وذل الحظر وغلظة الجفوة واللقب القبيح وتسليط الاشكال مادة للذي معه من معرفته وبقية عقله (فصل منه) وقد يكون الرجل معروفا بالنزق مذكورا بالطيش مستهاما باظهار الصولة حتى يتحامى كلامه الصديق ويداريه الجليس ويترك مجازاته الكريم الذي يعرفون من شدته وبوادر حدته وشدة تسرعه والتهابه

سأصفيك ودي حفاظا لها • فذاك الوفاء بظهر المغيبه

أراك كذلك وان لم تكن • كذلك من الناس عندي ضريبه

ومما اخترنا من مرثية يزيد المهلبي للمتوكل على الله قوله

لاحزن الا أراه دون ما أجد • وهل كمن فقدت عيناي مفتقد

لا يبعدن هالك كانت منيته • كما هوى عن غطاء الزبية الاسد

لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم • اذ لا تمد الى الجاني عليك يد

لو أن سيفي وعقلي حاضران له • أبليته الجهد اذ لم يبله أحد

جاءت منيته والعين هاجعة • هلا أتته المنايا والقنا قصد

هلا أتته أعاديه مجاهرة • والحرب تسعر والابطال تجتلد

خر فوق سرير الملك منجدلا • لم يحمه ملكه لما انقضى الامد

قد كان أنصاره يحمون حوزته • وللردى دون أرصاد الفتى رصد

وأصبح الناس فوضى يعجبون له • ليثا صريعا تنزى حوله النقد

علتك أسياف من لا دونه أحد • وليس فوقك الا الواحد الصمد

جاؤا عظيما لدنيا يسعدون بها • فقد شقوا بالذي جاؤا وما سعدوا

ضجت نساؤك بعد العز حين رأت • خدا كريما عليه قارت جسد

أضحى شهيد بني العباس موعظة • لكل ذي عزة في رأسه صيد

خليفة لم ينل ما ناله أحد • ولم يضع مثله روح ولا جسد

كم في أديمك من فوهاء هادرة • من الجوائف يغلي فوقها الزبد

اذا بكيت فان الدمع منهمل • وان رثيت فان القول مطرد

قد كنت أسرف في مالي وتخلف لي • فعلمتني الليالي كيف أقتصد

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم • ضعتم وضيعتم من كان يعتقد

ولو

وكثرة فلتاته ثم لا يلبث أن يحضر الوالي الصليب والرجل المنيع فيلقى ذليلا خاضعا أو حليما وقورا أو أديبا رفيقا أو صبورا محتسبا وقد نجده يجهل على خصمه ويستطيل على منازعه ويهم بتناوله والغدر به فاذا عرف له حماة تكفيه وجها لا تحميه وجاها يمنعه ومالا يصول به طامن له من شخصه وألان له من جانبه وسكن من حركته وأطفأ نار غضبه أو ما علمت أن الخوف يطرد السكر ويميت الشهوة ويطفئ الغضب ويحط الكبر ويذكر بالعاقبة ويساعد العقل ويعاون الرأي وينبت الحيلة ويبعث على الروية حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوبا على عقله ممنوعا من رأيه بسكر الشباب وسكر الغنى واهمال الأمر وثقة العز وبأو القدرة (فصل منه) وانما أطنبت لك في تفسير هذه الأحوال التي عليها الوجود والعبرة لتعلم أن الناس لو تركوا شهواتهم وخلوا أهواءهم وليس معهم من عقولهم الا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم خلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس وأهوائها وبين الطبائع

ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم * حتكم السادة المذكورة الحشد

قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والارحام والبلد

اذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود

قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا * حتى كأن الذي نيلوا به رشد

من الاولى وهبوا المجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم يقرت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم ومسك قارت وهو أخفه وأجوده قال * يعل بقرات من المسك قاتن * وقرات فعال وقاتن مسك قاتن قد قتن قتونا أي يابس لاندوة فيه)

(باب ذكر الاذواء من اليمن في الاسلام)

فأما في الجاهلية فيكثرون نحو ذي يزن وذي كلاع وذي نواس وذي رعين وذي أصبح وذي المنار وذي القرنين فأما في الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصاري ومنهم قتادة بن النعمان الانصاري ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصاري ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأي وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء في الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الازدي ثم الدوسي ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا في جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل

وقلبها من الاشياء وخلفائها لم يكن في قوى عقولهم ما يداوون به أدواءهم ويخبرون به من اهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به من جميع مصالحهم وأي داء هو أردى من طبيعة تردي وشهوة تطغي ومن كان لا يعد الداء الا ما كان مؤلما في وقته ضاربا على صاحبه في سواد ليله وبياض نهاره فقد جهل معنى الداء وجاهل الداء جاهل بالدواء

(فصل منه) ولكنا نقول لا يجوز ان يلي أمر المسلمين على ظاهر الرأي والحزم والحيطة أكثر من واحد لان الحكام والسادة اذا تقاربت أقدارهم وتساوت عناياتهم قويت دواعيهم الى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم في الغلبة وهكذا جرب الناس من أنفسهم في جيرانهم الادنين في الأصهار وبين الأعمام والمتقاربين في الصناعات كالكلام والنجوم والطب والفتيا والشعر والنحو والعروض والتجارة والصياغة والفلاحة أنهم اذا تدانوا في الأقدار وتقاربوا في الطبقات قويت دواعيهم الى طلب الغلبة واشتدت جوانبهم في حب المباينة والاستيلاء

لسليتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذو اليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذو اليدين يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذلك فقال بلى يا رسول الله فالتفت الى أصحابه فقال ما يقول ذو اليدين فقالوا صدق يا رسول الله فنهض فأتم ثم قال اني لا أنسى أو أنسى لأستن

(وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية)

منهم سعد بن معاذ الانصاري وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه في المشي لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفي ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبي عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصاري قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال في حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس ما نافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبي عامر الانصاري غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معي على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته في المسلمين فخرج فأصيب ففي ذلك يقول الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمي الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالي الملائكة الابـ * ـرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذي حمت ظهره الدبـ * ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

على الرياسة ومتى كانت الدواعي أقوى كانت النفس الى الفساد أميل والعزم أضعف وموضع الروية أشغل والشيطان فيهم أطمع وكان الخوف عليهم أشد وكانوا بموافقة المفسد أحرى واليه أقرب واذا كان ذلك كذلك فاصلح الأمور للحكام والقادة اذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أفعالها على ما وصفنا أن ترفع عنهم أسباب التحاسد والتغالب والمباهاة والمنافسة وان ذلك أدعى الى صلاح ذات البين وأمن البيضة وحفظ الاطراف واذا كان الله تبارك وتعالى قد كلف الناس النظر لأنفسهم واستيفاء النعمة عليهم وترك الخطر بالهلكة والتغرير بالأمة وليس عليهم مما يمكنهم أكثر من الحيطة والتباعد من التغرير ولا حال أدعى الى ذلك أكثر مما وصفنا لانه أشبه الوجوه بتمام المصلحة والتمتع بالامن والنعمة

(فصل منه) فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه اذا كان القائم بأمور المسلمين بائن الأمر متفردا بالغاية من الفضل كانت دواعي الناس الى مسابقته ومجاراته أقل ولم يكن الله ليطبع الدنيا وأهلها

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان رجالا كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل صلى الله عليه يهبط في صورته فمن ذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا في بني قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بني قريظة فيقول ذاك جبرئيل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر ابليس في صورة الشيخ النجدي .

(وهذا باب قد تقدم ذكرناه اياه ووعدنا استقصاءه)

اعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءني رجل اذا لم تدر من هو بعينه أو دريت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولولا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه

على هذه الطبيعة وركبها أهلها هذا التركيب حتى تكون اقامة الواحد من الناس أصلح لهم الا وذلك الواحد موجود عند ارادتهم له وقصدهم اليه لان الله لا يلزم الناس في ظاهر الرأي والحيطة اقامة المعدوم وتشييد المجهول لان على الناس التسليم وعلى الله تعالى قصد السبيل وهل رأيتم ملكين أو سيدين في جاهلية أو اسلام من العرب جميعا أو من العجم لا يتضعضع أحدهما من سلطان صاحبه ولا ينهك أطرافه ولا يساجله الحروب اذ كل واحد منهم ما يطمع في حد صاحبه وطرفه لتقارب الحال واستواء القرى كما جاءت الأخبار عن ملوك الطوائف كيف كانت الحروب راكدة وأمرهم مريج والناس نهب ليس لهم ثغر الا معطل ولا طرف الا منكشف والناس فيما بينهم مشغولون بأنفسهم ملوكهم من عز يزمع اتفاق المال وشغل البال وشدة الخطر بالجميع والتغرير بالكل

(فصل منه) فان قالوا فاصفه فضلهم قلنا أن يكون أقوى طبائعه عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص وكثرة السماع ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماعه بحسن العادة فاذا اجتمع الى عقله علما والى علمه حزما والى حزمه عزما فذلك الذي لا بعده وقد يكون

و بعض يقول الرجل رأيت الاسد فليس يعنى أسدا بعينه ولكن يريد الواحد من الجنس الذى قد عرفت وكذلك الذئب والعقرب والحية وما أشبه ذلك ألا ترى ان ابن عرس وسام أبرص وأم حبين وأبا الحرث وأبا الحصين معارف لا على أن تميز بعضها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مخاض وابن لبون وابن ماء نكرات لان هذا مما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذه النكرات أدخلت فيما أضيفت اليه الالف واللام أو لقبتها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنث لانك تريد معنى جماعة ولا تذكر من ذلك الا ما كان فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كل ما يعقل تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يسلمون وتقول الجمال هى تسير وهن يسرن كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك الموات قال الله عز وجل فى الاصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله ان يدعون من دونه الا اناثا قالوا الموات فكل ما خرج مما يعقل فجمعه بالتأنيث وفعله عليه لا يكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سنين وعزين وليس هذا موضعه وجملته أنه لا يكون الا مؤنثا فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فيجمع الذكر والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرفت الذكر قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحفافيث منكم يا بنى لجأ * يطرقن حيث يصول الحية الذكر

(قال الاخفش الحفافيث ضرب من الحيات يكون صغيرا الجرم ينتفخ ويعظم وينفخ نفخا شديدا لا فائدة له) وتقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للانثى وهذا دجاجة وهذه دجاجة قال جرير

لما تذكرت بالديرين أرقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

يريد زقاء الديوك فالاسم الذى يجمعها دجاجة للذكر والانثى ثم يخص الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حبارى ثم يخص الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خرب وعلى هذا يجرى هذا الباب وكل ما لم نذكره فهذا سبيله ۞ وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا أنا سنذكرها

فى

الرجل دونه فى أمور وهو يستحق مرتبة الامامة ومنزلة الخلافة غير أنه على حال لابد من أن يكون أفضل أهل دهره لان من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقام فيه الا أشبه الناس به فى كل عصر ومن الاستهانة به أن يقام فيه من لا يشبهه وليس فى طريقته وانما يشبه الامام الرسول بان يكون آخذا بسيرته منه فأما أن يقاربه أو يدانيه فهذا ما لا يجوز ولا يسع تمنيه والدعاء به

(فصل منه) واذا كان قول المهاجرين والانصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا فى يوم السقيفة ثم صنيع أبى بكر وقوله لطلحة فى عمر وصنيع عمر فى وضع الشورى وتوعدهم له بالقتل ان هم لم يقيموا رجلا قبل انقضاء المدة ونجوم الفتنة ثم صنيع عثمان وقوله وصبره حتى قتل دونها ولم يخلعها وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلى رضى الله تعالى عنهم ورحمة الله عليهم وعليها ليست بحجة على ما قلنا فليست فى الارض دلالة ولا حجة قاطعة وفى هذا الباب الذى وصفنا وبينا من حالاتهم وبينا دليل على أنهم كانوا يرون أن اقامة الامام فريضة واجبة وان الشركة عنها منفية وان الامامة تجمع صلاح الدين وايثار خير الآخرة والأولى

(فصل منه) وأى مذهب هو أشنع وأى

في آخر هذا الكتاب منها خطب ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ما تهيأ من ذلك ان شاء الله

قال الأصمعي فيما بلغني خطبنا أعرابي بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ في ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم في الدنيا كنتم ولغيرها خلقتم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والمصلى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمن وحدثت في بعض الاسانيد أن عمر بن عبد العزيز قال في خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر في أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونور قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أخرج من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن رجلا معروفا ذهب اسمه عني قال أتيت ابن عمر فقلت أتجب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أتجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فأجابني بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثني بهذا الحديث القاضي (يعني اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبي أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال خطب الناس بالموسم عتبة في سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديث بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذي يضاعف الله فيه للمحسن الاجر وعلى المسيء الوزر فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمن حتفه في أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم فاسأل الله أن يعين كلا على كل فنعق به اعرابي من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لست به ولم تبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بني عامر يمت اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال وفيه أجر وعنده شكر فقال عتبة

قول هو أفحش من قول من قال لا بد للشاهد من أن يكون طاهرا عدلا مأمونا ولا يأمن أن يكون القاضي جائرا قاطعا فاجرا وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم

(فصل من صدر كتابه في مقالة الزيدية والرافضة)

اعلم رحمنا الله واياك ان شيعة علي رضي الله تعالى عنه زيدي ورافضي وبقيتهم بدد لا نظام لهم وفي الاخبار عنهما اغناء عن سواهما قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في أربعة أقسام أولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الدنيا أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الأموال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب أو يرتجيها راغب ولم نجد قولا خامسا فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار وحملة الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم علي وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد

قول كل واحد منهم من هذه الفرق فاطع العذر صاحبه ولا نافلا عن مذهبه وان كانت الرواية فى تقديم على أشهر واللفظ

استعيذ بالله منك واستعينه عليك فقد أمرت لك بعطائك فليبت امراعنا اليك بقوم بإبطائنا عنك وذكر العتبى ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال يا حاملى الأم آنف ركبت بين أعين انى انما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أوئسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبى أو غيره ان داود بن على بن عبد الله ابن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك فى نصابه فى أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبى سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انى من زرع قد استحصد وان يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى ففعلن فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه * ألا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء

به أكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على رضى الله تعالى عنه ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على ان لعلى من قتل الاقران والفرسان ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون على فى طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا أفقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبى بن كعب على ان عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكأحدهم وان سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبليغ بالحقير وصلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح

واعطيت

وأعطيت جميع الاشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطى أحد كما أعطيت ولا رزئ كما رزئت فقام ابن همام السلولي فأنشده شعرا كأنما قاوضه الثقفي فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذي بالملك أصفاكا
أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا
ما ان رزي أحد في الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذي يقلب الأمور ظهرا لبطن وقوله ان في كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته في كبة القوم ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا في حرب فقال طعنته في الكبة فوضعت رمحي في اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر ويروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتي لإبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هفافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بناني بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومري وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدي ولم يهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع ۞ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوي كما وعدنا في أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقي فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فانما جزاء الذين يحاربون

بيت المال في كل جمعة ونصلي فيه ركعتين ورفع سراويله وقطع ما فضل من ردائه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع ان زهده أفضل من زهدهم لانه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لابي الدرداء وأبي ذر وبلال مثل الذي ذكروا له في باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لابي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا انه أفضلهم وان كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه (فصل منه) وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم اعراب أجلاف وأشباه الاعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن هيجانهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا في البلاد وان أجدبوا آثروا العناد ثم هم موكلون ببغض القادة وأهل النهى والنعمة

الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضى لك ما شئت من الحاجات وأن أطلق من فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدى أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذى أعطيتنى وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخطبتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصى والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو فى الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة فى الاسلام من بينكم فأنا أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدنى العجم ولم تعرق فى أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدنى من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا على بن أبى طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة

يفنون الشكية ويشمتون بالعثرة ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة وهم كما وصفوا الطغام والسفلة وقال على رضى الله تعالى عنه فى دعائه نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا واذا افترقوا لم يعرفوا فهؤلاء هؤلاء وضرب آخر قد فقهوا فى الدين وعرفوا سبب الامامة واقنعهم الحق وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة وعرفوا المحبة وعرفوا المعدن ولكنهم قليل فى كثير وان كثروا فهم أقل عددا وان كانوا أكثر فقها فلما كان الناس عند على وأبى بكر وعمر وأبى عبيدة وأهل السابقة المهاجرين والانصار على الطبقات التى نزلنا والمنازل التى رتبنا وبالمدينة منافقون يعضون عليهم الأنامل من الغيظ وفيها بطانة لا يألونهم خبالا لا يخفى عليهم موضع الشدة وانتهاز الفرصة وهم فى ذلك على تقية ووافق ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب وتوعدهم بذلك فى شكاة النبى صلى الله عليه وسلم وصح به الخبر ثم الذى كان من اجتماع الانصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا احزابا وقالوا منا أمير ومنكم أمير فاشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب ممن وصفنا حاله ويناظر بقية فيحدث بينهم فرقة والقلوب على

ومن

ومن المولودين في الاسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمت ان هاشما ولد عليا مرتين وان عبد المطلب ولد الحسن مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل جدتي الحسن والحسين فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار فولدني أرفع الناس درجة في الجنة وأهون أهل النار عذابا فأنا ابن خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن خير أهل النار ولك عهد الله ان دخلت في بيعتي أن أؤمنك على نفسك وولدك وكل ما أصبته الا حدا من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهد فقد علمت ما يلزمك في ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرى لقبول الامان فأما أمانك الذي عرضت علي فأي الامانات هو أأمان ابن هبيرة أم أمان عمك عبد الله بن علي أم أمان أبي مسلم والسلام فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فاذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفاة والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعمومة ولا الآباء كالعصبة والاولياء ولقد جعل العم أبا وبدأ به على الوالد الادنى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمت أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وعمومته أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما ما ذكرت من النساء وقراباتهن فلو أعطين على قرب الانساب وحق الاحساب لكان الخير كله لآمنة بنت وهب ولكن الله يختار لدينه من يشاء من خلقه فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب فان الله لم يهد أحدا من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبد الله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الآخرة والأولى وأسعدهم بدخول الجنة غدا ولكن الله أبى ذلك فقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء فأما ما ذكرت من فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب وفاطمة أم الحسن وأن هاشما ولد عليا مرتين وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين فخير الاولين والآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلده هاشم الا مرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الا مرة واحدة وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أبى ذلك فقال ما كان محمد أبا أحد من

الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الأمور وعلم أن فضل ما بينه وبين أبي بكر في صلاحهم لو كانوا أقاموه لا يعادل التغرير بالدين ولا يفي بالخطر بالانفس لان في التهييج البائقة وفي فساد الدين فسادا لعاجلة والآجلة فاغتفر الخمول ضنا بالدين وآثر الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وقلة حرصه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والامر الجزيل نزل من الله تعالى بغاية منازل الدين وانما كانت غايتهم في أمرهم أربح الحالين لهم وأعون على المقصود اذ علموا ان هلكتهم لا تقوم بازاء صرف ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم (فصل منه) وانما ذكرت لك مذهب من لا يجعل القرابة والحسب سببا الى الامامة دون من يجعل القرابة سببا من أسبابها وعللها لاني قد حكيته في كتاب الرافضة وكان ثم أوقع وبهم أليق وكرهت المعاد من الكلام والتكرار لان ذلك يغني عن ذكره في هذا الكتاب وهو مسلك واحد وسبيل واحد وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية في ولائهم وحججهم لانه أحسن شيء رأيته لهم وانما أحكيه

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها القرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها (٣) ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختار لك فى الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وانك أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على ابن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبى المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله

الناس ويلى عليه من هو دونه فى الفضل حتى يكلفه الله تعالى طاعته وتقديمه اما للمصلحة واما للاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ فى المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال تعالى للملائكة اسجدوا لآدم والملائكة أفضل من آدم فقد كلفهم الله تعالى أغلظ المحن وأشد البلوى وليس فى الخضوع أشد من السجود على الساجد له والملائكة أفضل من آدم لان جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بنى اسرائيل وفيهم يومئذ داود النبى صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذى أخبر عنه فى القرآن وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ثم صنيع النبى صلى الله عليه وسلم حين ولى زيد بن حارثة على جعفر الطيار يوم مؤتة وولى أسامة على كبراء المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبى وقاص وذوو اخطار واقدار من البدريين

(٣) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما فى كتب السير الصحيحة وهى من وضع الرافضة اه مصححه

واشدنا

وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل على أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلمًا منهم وابتلى أبوك بالدماء ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيًّا الا العباس فكان وارثه دون بنى عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بنى هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التى أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم فى الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها فى غير هذا الموضع الذى ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد فى الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطى فضربه بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى فى معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما فى يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغى والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد

والمهاجرين والسابقين الأولين

(وصل منه) ولو ترك الناس وقوى عقولهم وجاع طبائعهم وغلبة شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزاعهم الى ما يرديهم ويطغيهم حتى يكونوا هم الذين يحتجرون من كل ما أفسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضار والنافع ويعرفوا فضل ما بين الداء والدواء والأغذية والسموم كان قد كلفهم شططا وأسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التى هى اجدى الأمور عليهم وأنفعها لهم ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية وأخرجهم من حد الطفولة والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الاداة والآلة ولذلك قال عز ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاهم وسبر الأمور وامتحان السموم واختبار الأغذية وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة وقلة المعرفة وغلبة الشهوة وتسليط الطبيعة مع كثرة الحاجة والجهل بالعاقبة لأتت عليهم السموم ولأفناهم الخطر ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الأدواء وترادفت

أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتان خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادتني ولاية العراق شرفا ولا ولاني أمير المؤمنين شيئا لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعموني ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم رزين وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجالسك وجحودك فضله اليك وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقا فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافا من آل عبد الله ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكتك وتتقدمك في المحافل والجامع عند بدأة الامور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من رد غربك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس الجنين أنت يا عدي نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

الأسقام حتى تصير منايا قاتلة وحتوفا متلفة اذ لم يكن عندهم الا أخذها والجهل بحدوثها او منتهى ما يجوز زمنها والزيادة فيها وقلة الاحتراس من توليدها فلما كان ذلك كذلك علمنا ان الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا يجوز صلاحهم الا ببقيتهم ولولا الأمر والنهي ما كان للتبقية وتعديل الفطرة معنى ولما ان كان لا بد للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين بين عدو عاص ومطيع ولي علمنا أن الناس لا يستطيعون مدافعة طبائعهم ومخالفة اهوائهم الا بالزجر الشديد والتوعد بالعقاب الأليم في الآجل بعد التنكيل في العاجل اذ كان لا بد من أن يكونوا منهيين بالتنكيل معجلا والجزاء الأكبر مؤجلا وكان شأنهم ايثار الأدنى وتسويف الأقصى واذا كانت عقول الناس لا تبلغ جميع مصالحهم في دنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز اذ كان علم الدين مستنبطا من علم الدنيا واذا كان العلم مباشرة أو سبب المباشرة وعلم الدين غامض فلا يتخلص الى معرفته الا بالطبيعة الفائقة والعناية الشديدة مع تلقين الأئمة ولان

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا راتبا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا
ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لامير المؤمنين زاجر
عنك فيما عرفك به من التسرع الى حماقتك فى غير واحدة منها القرشى الذى تناولته بالحجاز
ظالما فضربك الله بالصوت الذى ضربته به مفتضحا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين
يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى
سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحى من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من
حوض رسوله وجعل شركما الخير كما الفداء والله أن لو لم يستدل أمير المؤمنين على ضعف
مخايرك وسوء تدبيرك الا بفسالة دخائلك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائفة
بالنعمة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك فانك ادعيت أنك
أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل
لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء
على جميع أهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لاكثره رافعا
لاقله مع مخايث مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين
فى مولاه حسان وكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به
وسيكون لامير المؤمنين فى ذلك نبأ ان لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بامور أتيتها
غير تاركك لتكشيفك عنها وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة
وتوجيهك أخاك أسد الى خراسان مظهر العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر قد
أتت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا لحديث زرنب
وقصص الهجريين كيف كانت فى أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك
وخف رواجع البغى عليك وعاجلات النقم فيك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا
أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير فى أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم

الناس لو كانوا يبلغون
بأنفسهم غاية مصالحهم
فى دينهم ودنياهم كان
ارسال الرسل قليل النفع
يسير الفضل واذا كان
الناس مع منفعتهم
بالعاجل وحبهم للبقاء
ورغبتهم فى النماء وحاجتهم
الى الكفاية ومعرفتهم
بما فيها من السلامة
لا يبلغون لأنفسهم
معرفة ذلك واصلاحه
وعلم ذلك جليل ظاهر
سببه بعضه ببعض كدرك
الحواس وما لاقته فهم
عن التعديل والتحرير
وتفصل التأويل والكلام
فى مجىء الأخبار وأصول
الأديان أعجز وأجدر أن
لا يبلغوا منه الغاية ولا
كنه الحاجة لان علم الدنيا
أمران اما شئ يلى الحواس
واما شئ يلى علم الحواس
وليس كذلك الدين فلما
كان ذلك كذلك علمنا
أنه لا بد للناس من امام
يعرفهم جميع مصالحهم
ووجدنا الائمة ثلاثة رسول
ونبى وامام فالرسول نبى
امام والنبى نبى امام
والامام امام وليس برسول
ولا نبى وانما اختلفت
أسماؤهم ومراتبهم
لاختلاف النواميس
والطبائع وعلى قدر ارتفاع
بعضهم عن درجة بعض
فى العزم والتركيب
وتغير الزمان بتغير الغرض
وتبدل الشريعة فأفضل

عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

(هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أدهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذى نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله)

قال الشاعر

اذكر مجالس من بنى أسد * بعدوا وحن اليهم القلب
الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب
من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم غضب

وقال آخر

حياة أبى العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا
ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقى من الناس أعتبا

وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى * حياة للمكارم والمعالى
جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال
وترجعنى اليك وان نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

وقيل فى المثل المبالغة فى النصيحة تهجم بك على عظيم الظنة وأنشدنى العباس بن الفرج الرياشى

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدنى الرياشى

اذا الأمر أغنى عنك حنو به فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

الناس الرسول ثم النبى ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقيم الناس على حد مراشدهم اذ كانت طبائعهم لا تحتمل فى ابتداء الأمر أكثر من الجل ولولا أن فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الارشاد لكانوا اهملا ولتركوا قشرا حشرا واسقط عنهم الأمر والنهى ولكنهم قد يتفاضلون بين الأمور اذا أوردت عليهم وكفوا مؤنة التجربة وعلاج الاستنباط وان يبلغوا بذلك القدر قدر المستغنى بنفسه المستبد برأيه المكتفى بفطنته عن ارشاد الرسل وتلقين الأئمة وانما جاز أن يكون الرسول مرة عربيا ومرة عجميا وليس له بيت يحظره ولا شرف يشهر موضعه لانه حين كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وأنبه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب الى القاهر المعقول والواضح الذى لا يخيل أن يشتهر مثله فى الآفاق ويستفيض فى الاطراف حتى يصدع عقل الغبى ويضئ طبع العاقل وينقض عزم المعاند الأصل وينتبه من طول الرقدة ويخضع الرقاب وتضرع

وقال العتابي

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وفيت كل خليل ودني ثمنا * الا المؤمل دولاتي وأيامي

وقيل للعتابي ما أقرب البلاغة قال الا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن يسير

اقدر لرجلك قبل الخطو موضعها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذاق ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الأول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفي القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده في الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أي فمن كان شاهدا في شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفي القرآن في مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك بدرع لك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفي القرآن يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول وإياكم أي ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

الخلود حتى يتواضع له كل شرف ويرغم له كل انف فلا يحتاج حاله معه الى حال ولا مع قدره الى حسب وعلى قدر جهل الأمة وغباوة عقولها وخبث طادتها وغلاظ محنتها اوشدة حيرتها تكون الآيات كفلق البحر والمشي على الماء واحياء الموتى وقصر الشمس عن مجراها الان النبي الذي ليس برسول ولا مبتدى ملة ولا منشئ شريعة انما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبي بالرسول الكائن على غابر الأيام وطول الدهر ولتوكيد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدى لأصل الملة والمظهر لفرض الشريعة الناقل للناس عن الضلال القديم والعادة السيئة والجهل الراسخ فلذلك اكتفى بشهرة اعلامه وشرف آبائه وذكر شرائعه من عن شهرة بينته وشرف حسبه لانه لا ذكر الا وهو خامل عند ذكره ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه (انتهت الفصول) التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

﴿ يقول راجي عفو الباري علي بن أحمد الشهير بالهواري ﴾

الحمد لله الذي خلق الانسان علمه البيان وأنزل لهدايته كتابا بأفصح لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اختص بجوامع الكلم وروائع الحكم وبز شأو بلغاء العرب والعجم وعلى آله وأصحابه خير أمة أخرجت للناس الذين عنوا بنشر الدين وأقاموا اللغة على أمتن أساس ﴿ وبعد ﴾ فان علم الأدب بين علوم اللسان قلادة الجيد وبيت القصيد وبه تدرك أسرار القرآن ويقبض على أزمة البيان وقد كتب فيه أئمة البلاغة الكتب ودونوا الدواوين وأملوا الامالي بيد أن أحسنها وضعا وأدقها صنعا هو كتاب الكامل لشيخ الادب واللغة أبي العباس محمد بن يزيد المبرد فقد أودعه من مختار الشعر ونوابغ الخطب وعيون الرسائل ما فيه الغناء بحيث لو ألم به المتأدب كان من مبرزي البلغاء وقد التزم رحمه الله ان يشرح كل ما به حاجة الى الشرح بأمتن عبارة وأبلغ لفظ وأبدع اختصار وهذا ما حدا بحضرة الماجد الهمام (عبد الواحد بك الطوبي وأخيه) الى طبع ذلك الكتاب محلى هامشه بمنتخبات رسائل امام البلاغة ومالك أعنة البيان أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمر الحق كتاب لو قرأه متأدب ولم يخرج منه جاحظيا فلا أشب الله قرنه وكان هذا الطبع

الرائق بهذا الشكل الفائق بمطبعة التقدم العلمية التي مركزها بدرب الدليل بمصر
المحمية ادارة حضرة ملتزم الطبع وأخيه ولاح بدر تمامه وفاح مسك
ختامه في النصف الثاني من شهر شعبان المكرم
سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحية آمين
آمين

